

الرجعة

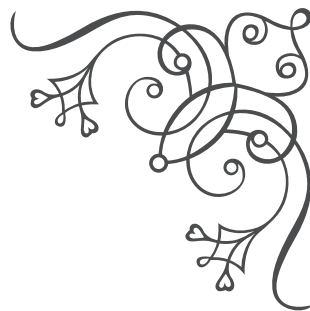
حَجْرُ رَفِضَةُ الْبِنَاوُونَ

(ظهور الباطن وانتصار التأويل)

الطبعة الثانية



مركز عبد السلام علي



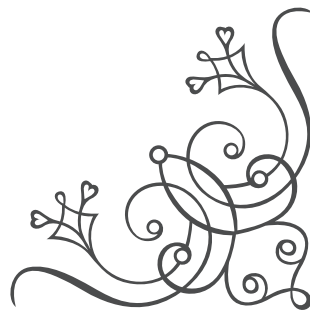
بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلَهُ﴾

(یونس/۳۹)

﴿نَصْرٍ مِنَ اللّٰهِ وَفَتْحٍ قَرِیْبٍ﴾

(الصف/۱۳)



الرجعة

سرشناسه : علی، رعد عبدالساده، 1980 - م.
عنوان و نام پدیدآور : الرجعة حجر رفضه البنائون / رعد عبدالساده علی؛
مشخصات نشر : قم: طوبای محبت، 1442ق. = 1399.
مشخصات ظاهری : 609
شابک : ISBN : 978-600-366-236-0
وضعیت فهرست نویسی : فیبا
یادداشت : عربی



الرجعة

حَجْرُ رُفْضِهِ الْبِنَائُونَ (ظهور الباطن و انتصار التأویل)

تألیف: رعد عبدالساده علی

الناشر: طوبای محبت

الکمیة: 500 نسخة

الطبعة: طه ، الأولى 1442 هـ. ق

شابک: 978-600-366-236-0

قم المقدسه ، شارع عباس آباد ، رقم 112 - +989122534967
رقم اتصال المؤلف 07739188004

مركز التوزيع العالمي للكتب و الآثار الاسلامية لرسالة الغدير

www.tobaymohebat.ir

info@tobaymohebat.ir



tobaymohebat



tobayemohebat



الأهداء

إلى السر الذي لم يُفسّر..... ولن يُفسّر

الذي ضاق به الزمن

بل احتار به الزمن

فتنة الله الكبرى التي بها يُثيب وبها يُعاقب

ثقتي وذخيرتي

مولاي ومُعتقدي

صاحب الكرات, ودولة الدول

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام

يا مولاي يا أبا الحسن ((أن أموت وألاقي ربي وأنا مُغالٌ فيك هو خيرٌ لي من أن ألاقيه وأنا جاحدٌ لفضيلة من فضائلك)).

مدخل

لماذا هذا العنوان (حجر رفضه البنائون) ؟

عن رسول الله ﷺ (أن مثلي ومثل الانبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وجمّله إلا موضع لبنة في زاوية من زواياه فجعل الناس يطوفون به ويُعجبون له ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة؟ فأنا اللبنة وأنا خاتم الأنبياء) .

انجيل متي/ ٢١ : ٤٢ ٤٤ (فقال لهم يسوع: أما قرأتم الكتب المقدسة: الحجر الذي رفضه البنائون صار رأس الزاوية هذا ما صنعه الرب فيا للعجب , لذلك أقول لكم سيأخذ الله ملكوته منكم ويسلمه إلى شعب يجعله يُثمر , من وقع على هذا الحجر تهشم ومن وقع هذا الحجر عليه سحقه) .

التوراة/ مزمو ١١٨ : ٢٢ (الحجر الذي رفضه البنائون صار رأس الزاوية) .

لقد أنكر موضوع رجعة الأموات قبل يوم القيامة من قبل أغلبية أهل الإسلام إلا فرقة الشيعة, وهم بدورهم ارتبكوا فيه أشد الارتباك, فمنهم من آمن به إيماناً اعتقادياً بدون الخوض في تفاصيله فأخذ كل شيء فيه على ما هو عليه, ومنهم من حاول أن يتخذ سبيل السلامة في محاولة للتوصل عن المسؤولية البحثية رافعاً شعار (ان الرجعة ليست من ضروريات الإيمان), فيما أعتقد آخرين أنها مفهوم رمزي القصد منه هو رجوع الملك لآل محمد ﷺ, بينما تعامل معه البعض بحجاجة واضحة, وغض آخرين بصرهم عنه, ولم يخلو الامر من تسفيه البعض له.

أما في بقية الاديان فالأمر لا يخلو من الإبهام, وان كانت النظرة العامة ومتابعة الجهود البحثية للموضوع عبر التاريخ, لاسيما في القرنين الماضيين, تُشعر بوجود مؤامرة لطمس معالم هذا الموضوع الذي على ما يبدو ان له أعداء تقليديين.

وفي هذا البحث اعتقد أن صورة احداث آخر الزمان وظهور دولة العدل الألهي على الأرض لن تكتمل إلا بوضع ذلك الحجر في مكانه المقرر.

فمن الإمام الصادق عليه السلام (أيام الله ثلاثة يوم القائم ويوم الكثرة ويوم القيامة) ،^(١) وان عدم البحث و عدم الاهتمام بل وإزالة هذا اليوم, هو بمثابة ترك لبنة اساسية في جدار تسلسل الأحداث, فهو يوم طويل من ايام الله مقابل يوم القائم عليه السلام ويوم القيامة, ولعل هناك تقصد بعدم الخوض في موضوع الرجعة, فلربما ادرك البعض بأنه حجر الزاوية الذي بوضعه في مكانه الصحيح ستكتمل الصورة, هذه الصورة التي يحاول البعض تشويهها لانها توضح لمشاهدها حتمية ظهور دولة العدل الالهي بظهور أول الجنات على الأرض قبل يوم القيامة, بل حتمية وراثه الأرض من قبل عباد الله الصالحين بظهور الإنسان الكامل ومرحلة جديدة من معرفة الإنسان بربه. فموضوع الرجعة ليس عودة للأموات فقط, ولا هو حلم, ولا حتى أمل, بل هو حتمية ستصل إليها الموجودات بمسيرتها باتجاه المبدأ, لانه في الحقيقة أول الطريق للعودة إلى اصلنا ونوعنا, فالرجعة حتمية كحتمية ظهور القائم عليه السلام وكحتمية يوم القيامة, بل الرجعة نقلة نوعية لكل الانظمة الحياتية البيولوجية والبيئية والطبيعية والفلكية بوصول الموجودات بمسيرتها التكاملية إلى صياغة جديدة للإنسان بولادة ثانية.

وكما في الحديث السابق لرسول الله ﷺ الذي يؤكد بأنه ﷺ حجر الزاوية لكل الرسالات وان أنكار رسالته هو إنكار لكل الرسل, وكما في المثل الانجيلي الذي يرسم لنا أهمية هذا الحجر فمن يؤمن به يستلم ملكوت الله على الأرض, هذا الحجر الذي من وقع عليه تهشم, ومن وقع هذا الحجر عليه سحقه, فأنا نكون غير مجانبين للصواب إذا قلنا ان الرجعة هي (حجر رفضه البنائون) .

لأن الموضوع برمته ارتبط بالباطن والقراءة المستقبلية للنصوص المقدسة وإلقاء نظرة لا بد منها على الغايات, هذا الباطن سيكون القطب الذي ستدور عليه رُحى التأويل, فالرجعة كما سنوضح هي معركة الانتقال من الظاهر إلى الباطن, ومن الباطن إلى التأويل **﴿يوم يأتي تأويله﴾**^(٢).

لذلك قال رسول الله محمد ﷺ للإمام علي عليه السلام (تقاتل على التأويل كما

(١) معاني الاخبار/ الشيخ الصدوق/ ١/٣٦٥ ، الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة/الحر العاملي/ باب ١٩/ ح ٣/ ص ٢٤٤.

(٢) الاعراف/ ٥٣

قاتلت على التنزيل^(١)، ومن هنا سنعرف لماذا قال آل محمد ﷺ في أكثر من مورد ان الراجعون لهذه الدنيا قبل يوم القيامة نوعين (من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً) ، لأن الرجعة هي ظهور الباطن وانتصار التأويل

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿أولم يرَ الإنسانَ أنا خلقناه من نطفةٍ فإذا هو خصيم مبين. وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم. قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلقٍ عليم﴾ (يس/٧٧ - ٧٩)

﴿ويقول الإنسان ءإذا ما مت لسوف أخرج حيا. أولا يذكر الإنسان إنا خلقناه من قبل ولم يك شيئا﴾ (مريم/٦٦ - ٦٧)

﴿وقالوا ءإذا كنا عظاماً ورُفاتاً ءأنا لمبعوثون خلقا جديدا. قل كونوا حجارةً او حديدا. أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسينغضون إليك رؤسهم ويقولون متى هو قل عسى أن يكون قريباً. يوم يدعوكم فتستجبون بحمده وتظنون أن لبثتم إلا قليلاً﴾ (الإسراء/٤٩ - ٥٤)

﴿ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة فإذا أنزلنا عليها الماء أهتزت وربت أن الذي أحياها لمحي الموتى أنه على كل شيء قدير﴾ (فصلت/٢٩)

﴿وهو الذي يرسل الرياح بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾ (الأعراف/٧٥)

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (...وإذا آن قيامه مُطر الناس جمادي الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم يرى الخلائق مثله. فینبت الله لحوم المؤمنین وأبدانهم في قبورهم فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب). الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/ باب ٩ / ح ٢٦ / ص ٢٥٧.

(ان كل احد لا يولد ثانية لا يقدر ان يرى ملكوت الله) (الأنجيل)

(أنا عندما ندفن الميت لاندفن جسد بل ندفن بذرة) . (حكمة قديمة)

(ينتهي عام العدد السابع الأكبر سيظهر في زمن تكثر فيه التسلية بالقتل ليس بعيداً عن فترة العصر الألفي السعيد العظيم عندما يخرج الموتى من قبورهم). (نوستراداموس /القرن العاشر/الرباعية ٧٤)

((سأل أهل الدنيا أهل البرزخ, ما هو الموت؟ قال ما حضوا الكفر: الموت هو أن تُمسخ. قال الذين يُلهى عنهم: الموت هو ان تنام. قال ما حضوا الايمان: الموت هو ان تتحول.))

(المؤلف)

خاطرة

((عندما ينتهي الزمان ستنتهي معه نشأة الارحام, وعندها سيُلَقَّح مطر السماء رُفات المؤمنين والقديسين في قبورهم, بعد أن احتضنتهم أمهم الأرض آلاف السنين, وتبدأ الرجعة بالخروج من التراب بولادة كونية, وسيخرجون من رحمها كما يخرج النبات من الأرض, لكنهم عندما يولدون للمرة الثانية لا يصرخون ولا يكون كما في المرة الأولى, لأنهم سيولدون كباراً ينفضون التراب من رؤوسهم مؤتررين أكفانهم سيوفهم على عواتقهم يلبون زُمرأً زُمرأً... لبيك لبيك داعي الله.

فالراجعون ممن محض الايمان محضاً سينالون الحياة الابدية وعضوية ملكوت الله على الأرض, ذلك الملكوت الأرضي السماوي كبداية حقيقية للانتماء لعائلة الله عن طريق الولادة للمرة الثانية, لأننا حقيقية كلنا بحاجة إلى فرصة ثانية..... إلى تجربة ثانية..... إلى حياة ثانية.

وسيبقى الانسان في هذه الدنيا خائفاً من الموت الى ان يكشف ان الحياة اقسى واطول من الموت نفسه, وقد كان الموت عندي قبل ان اتعرف على موضوع الرجعة نهاية, اما الان فالموت عندي غاية, لانه اصبح بداية حياة جديدة, فإيمانك بالرجعة يجعلك تكتشف ان هناك شيئاً مهماً يمكن ان تموت من اجله, فالذي ليس لديه شيء يستحق ان يموت من اجله ليس جديراً بالحياة.

فإيماننا بالرجعة يعطي للموت معنىً آخر ويبين لنا بما لا يقبل الشك ان لنا دور في هذه الحياة ومهمة يجب ان ننجزها, فعندها ستعشق الموت لانه طريق الرجعة بل هو الطريق الوحيد للقاء الاحبة. فالرجعة دليل على ان الإنسان ليس مخلوق ارضي بل هو مشروع كوني.

فاذا كنت تريد ان تكون من الراجعين فعليك ان تعرف عن الموت اكثر مما تعرفه عن الحياة, فلا معرفة حقيقية لمعنى الحياة ما دمت لحد الان لم تمت ولم

تعرف حقيقة الموت, وستعرف قيمة الحياة في الرجعة لانك عرفت الموت, فالذي يريد ان يكون من اهل الرجعة عليه ان لا يفكر بالحياة كثيراً, لان الحياة تجربة لا احد يخرج منها سالماً, وعليه ان يقضي حياته يتأمل الموت, فالراجعون من الموت هم الوحيدين الذين يعرفون لماذا وضعت القوانين, وعلى الذي يتأمل ان يكون من الراجعين ان يرجوا ان لا تكون له حياة طويلة بل حياة عميقة, وعليه ان يهمل ما ليس عليه القيام به, لان ايمانك بانك ستموت في يوم من الايام يجعلك تتجاهل الكثير من الامور التي تشغلك, فعليك ان تكون في هذه الدنيا انسان عادي لانك تعيش في نمط عادي, اما الراجعين فسيكونون اناس استثنائيين في عالم استثنائي.

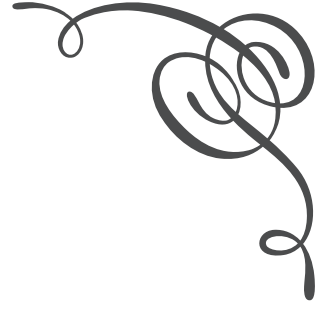
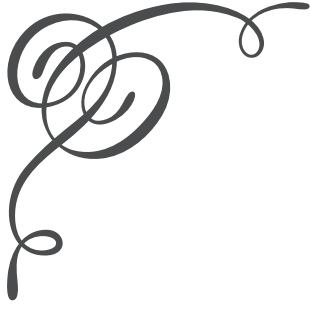
فان كان لنا في الدنيا اخوان من ابائنا وامهاتنا البيولوجيين, فالمؤمنون في الرجعة كلهم أخوة, لان ابوهم (ماء السماء) وامهم (الارض), وصدق رب العزة عندما قال ﴿فلا انساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون﴾^(١), وصدق مولانا أبي عبد الله عليه السلام اذ قال (المؤمن اخو المؤمن لبيه وامه ابوه النور وامه الرحمة)^(٢), فالرجعة اخوية بالطين, ووفاء بالعهود والمواثيق التي اخذت في الذر الاول, عندما تعارفت الارواح قبل الابدان بالفني عام.

وان ما اكتبه في هذا البحث ليس هو عين الحقيقة ولكنه ما فهمته عنها, فعلى الحقيقة أنا لا أعرف كيف ستحدث هذه الاشياء..... ولكني أومن بأنها ستحدث, لان الاثبات هو غير الادراك....وما لا يدركه العقل يدركه (الاحساس)).

(المؤلف)

(١) المؤمنون / ١٠١

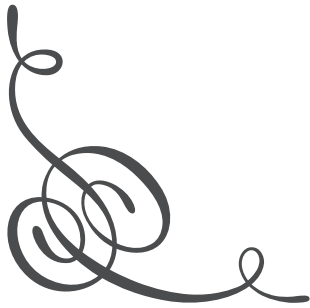
(٢) بصائر الدرجات/ الصفار/ باب ١١ / ح ٢



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

اللهم صل على محمد وآل محمد وعجل فرجهم والعن اعدائهم

اللهم أني أستغفرك مما أردتُ به وجهك الكريم فخالطني فيه ما ليس لك



المقدمة

عن عبد الله بن عطاء عن الإمام أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قال:

(كنت مريضاً بمنى وأبي عليه السلام عندي فجاءه غلام فقال: ها هنا رهط من العراقيين يسألون الأذن عليك. فقال أبي عليه السلام: أدخلهم الفسطاط. وقام إليهم فدخل عليهم فما لبث أن سمعت ضحك أبي عليه السلام قد أرتفع فأنكرت ووجدت^(١) في نفسي من ضحكك وأنا في تلك الحال... ثم عاد ألي فقال: يا أبا جعفر عساك وجدت في نفسك من ضحكك؟ فقلت: ما الذي غلبك منه الضحك جعلت فداك؟ فقال: أن هؤلاء العراقيين سألوني عن أمر كان مضى من آباءك وسلفك يؤمنون به ويقرون فغلبني الضحك سروراً أن في الخلق من يؤمن به ويقرّ. فقلت: وما هو جعلت فداك؟ قال: سألوني عن الأموات متى يبعثون فيقاتلون الأحياء على الدين)^(٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (يعود إلى هذه الدنيا من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً)^(٣).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، ولا يُسأل في الرجعة إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، قلت فسائر الناس؟ فقال: (يلهي عنهم)^(٤)).

عن الامام الرضا عليه السلام (من حسن في الدين أدبه حسن في الكرات والرجعات

(١) أحزنت أو غضبت. لسان العرب ٣. تاج العروس ٢: ٥٣٣ وجد.

(٢) مختصر البصائر/ عز الدين الحلي/ باب الكرات وحالاتها ح ١٢/٦٦ ص ٩٧. وفي المصدر نفسه في الباب نفسه ح ٢٧/٨١ ص ١٠٩ عبارة في الحديث بالفاظ أخرى وهي (...ان هؤلاء سألوني عن أمر ما كنت أرى إن أحداً يعلمه من اهل الدنيا غيري). ورد الحديث كذلك في الإيقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة/ للحر العاملي/ باب ٩/ ح ٨٢ ص ٢٨١

(٣) الإيقاظ من الهجعة/ الحر العاملي.

(٤) الإيقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩/ ح ٨٥ ص ٢٨٢.

مُنقلبه) (١).

عن الصادق عليه السلام (ليس منا من لم يقل بمتعتنا ويؤمن برجعتنا) (٢).

عن أبي الصباح قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن أشياء جعلت أكره أن أسيها فقال: (لعلك تسأل عن الكرات؟) قلت: نعم، فقال: (تلك القدرة) لا ينكرها إلا القدرة) (٣).

سئل الامام الصادق عليه السلام عن تجوز الصلاة خلفه قال (لا تصل خلف من لا يمسح الرجلين..... ولا خلف من لا يؤمن برجعتنا....) (٤).

قال أمير المؤمنين أبو الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام (..... إن أمرنا صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد أمتحن الله قلبه للإيمان، ولا يعي حديثنا إلا حصون حصينة وصدور أمينة وأحلام رزينة. ياعجباً كل العجب بين جمادي ورجب) فقال رجل من شرطة الخميس (٥): ما هذا العجب يا أمير المؤمنين قال (ومالي لا أعجب! وقد سبق القضاء فيكم وما تفقهون الحديث إلا صوتات بينهنّ موتات حصد نبات ونشر أموات، (ياعجباً كل العجب بين جمادي ورجب)، قال الرجل أيضاً: يا أمير المؤمنين ماهذا العجب الذي لانزال تتعجب منه؟ قال (ثكلت الآخر أمه، وأي عجب يكون أعجب من أموات يضربون هامات الاحياء) قال: اني يكون ذلك يا أمير المؤمنين قال: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة، كأني أنظر اليهم قد تخللوا

(١) الخصبي / كتاب المائدة / باب ٤ / ص ٤٤.

(٢) أجوبة المسائل السروية / الشيخ المفيد / ص ٢٠٧ ، وكذلك من لا يحضره الفقيه / ٣ : ٢٩ / ١٣٨٤ ، كذلك الهداية الكبرى / الخصبي / باب ١٤ / ص ٥٠٤.

(٣) مختصر البصائر / ١ / ٧٣ / باب الكرات / عز الدين الحلي ، وكذلك الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة / الحر العاملي / باب ٩ / ح ٨٦ / ص ٢٨٣

(٤) ازهار الرياض / الشيخ سليمان بن عبد الله الماحوزي نقلاً عن جواهر الحكم / السيد كاظم الرشتي / ج ١٠ / ص ٣٠١

(٥) شرطة الخميس: روي عن امير المؤمنين عليه السلام انه قال لعبد الله بن يحيى الحضرمي يوم الجمل: ابشر ابن يحيى فأنتك وابوك من شرطه الخميس حقا لقد اخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله بأسمك واسم ابيك في شرطه الخميس والله سماكم شرطه الخميس على لسان نبيه صلى الله عليه وآله ، (وذكر ان شرطه الخميس كانوا ستة آلاف او خمسة آلاف) . وهو جهاز استحدثه امير المؤمنين عليه السلام للمحافظة على الامن ومراقبة الاحداث وقد اختار له خيرة الرجال في الايمان والدين ومنهم الشهيد حبيب بن مظاهر.

المقدمة

سكك الكوفة وقد شهروا سيوفهم على مناكبهم يضربون كل عدو لله ورسوله ﷺ وللمؤمنين وذلك قول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور﴾^(١) ^(٢).

معنى الرجعة في الأحاديث: ^(٣) هي العودة إلى الحياة بعد الموت قبل يوم القيامة. والإيمان بالرجعة هو إيمان بالغيب وقد مدح الله المؤمنين بالغيب بقوله تعالى: ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾^(٤)، ولل فعل (رجع) معاني عديدة في الاستخدام اللغوي ولكن المقصود بالرجعة في الأحاديث هو رجوع الأموات إلى الحياة الدنيا قبل القيامة.

فقد ذكرت الأحاديث الواردة عن رسول الله وأئمة أهل البيت صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين عن أموات يرجعون إلى هذه الحياة على هيئةهم الأصلية قبل يوم القيامة، وستكون هذه الرجعة من أعاجيب عصر ظهور الإمام الحجة القائم عجل الله فرجه ودولة العدل الإلهي، والراجعون سيرجعون على شكل (أفواج) منهم (من محض الإيمان محضاً)، ومنهم (من محض الكفر محضاً)، في يوم أسماء آل محمد ﷺ بيوم الرجعة أو يوم الكرّة، فيما يسميه البعض بالحشر الأصغر أو القيامة الصغرى.

وسيخرج هؤلاء المؤمنون ممن (محض الإيمان محضاً) من قبورهم ينفضون التراب من على رؤوسهم، سيوفهم على عواتقهم، مؤتزرين أكفانهم نصرّة لامامهم ولأخذ الثأر والقصاص ممن ظلموا محمد وآل محمد ﷺ وأشياعهم من الذين (محضوا الكفر محضاً)، وستدور معارك بين الفريقين تنتهي بسيادة العدل بظهور أول الجنات على الأرض وهي الجنتان المدهامتان في وقت (برزخي) بانتقال مفهوم (الزمان) باتجاه مفهوم (الدهر)، حيث ستلتقي الأرض بالسماء، مما يؤدي إلى ظهور واقع ارضي سماوي بعد ان يتغير النظام الفلكي لكوكب الأرض.

وقد أشارت بعض المرويات بأن الرجعة خاصة وليست عامة، فيما أشارت مرويات

(١) الممتحنه / ١٣.

(٢) مختصر البصائر/ ٤٦٨/ ٥٢١ من خطبة لامير المؤمنين ع تسمى (المخزون)

(٣) الرجوع لغة: فعل الشيء ثانياً ومصيره إلى حال كان عليها (الرسالة التامة/ الكربايي).

(٤) البقرة/ ٣.

أخرى إلى وجود مجاميع أخرى من غير المحاضين قد تشملهم الرجعة، والقرآن الكريم يحدد أنها لا تشمل الأمم السابقة التي وقع عليها العذاب الألهي في الحياة الدنيا مثل قوم (نوح وعاد وثمود ولوط) ممن ذكر القرآن الكريم نزول العذاب عليهم وهم المشمولين بقوله تعالى ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنهْم لَا يَرْجِعُونَ﴾^(١)، أما الأمم التي لم تُعذب في هذه الدنيا فهي مشمولة بهذا الأمر كأمة الرسول محمد ﷺ وأمة موسى ﷺ^(٢) وأمة عيسى ﷺ .

وقد تحدث القرآن الكريم عن رجعة عدد من الأموات على شكل أفراد أو مجاميع من الأمم السابقة كما حصل في أمة موسى ﷺ وأمة عيسى ﷺ .

قوله تعالى ﴿ألم ترى إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾^(٣).

قوله تعالى ﴿أو كالذي مرّ على قريةٍ وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فأنظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنه وأنظر إلى حمراك ولنجعلك آية للناس وأنظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير﴾^(٤).

قوله تعالى ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم - إلى قوله - ورسولاً إلى بني إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم أنى اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بأذن الله﴾^(٥).

وهناك العديد من الآيات القرآنية المباركة التي سنوردها فيها من الدلالة الصريحة على وقوع هذا الأمر بكثرة في الأمم السابقة مما لا يحتاج إلى برهان، أما إذا أضفنا

(١) الانبياء/٩٥.

(٢) فرعون وقوم فرعون ليسوا من الراجعين لانهم ممن شملهم العذاب الالهى في الدنيا بالغرق ولكننا اقصد بأمة موسى ﷺ هم مجموع من عاصر انبياء بني اسرائيل ممن لم يقع عليهم العذاب في الدنيا في فترة نبوة انبيائهم.

(٣) البقرة/٢٤٣

(٤) البقرة/٢٥٩

(٥) آل عمران/٤٥ ٤٩

المقدمة

إلى هذه الآيات مجموعة الآيات القرآنية المؤولة والمفسرة بالرجعة من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام فسنكون أمام أمر قد شُحن القرآن الكريم شحناً في ذكر تفاصيله. فهذه الآيات القرآنية المؤولة بالرجعة من قبل أئمة أهل البيت عليهم السلام والأحاديث المروية عنهم تذكر حدث سيقع في آخر الزمان ليس له مثيل في الديانات السابقة من حيث الكم والكيف والغايات، بل كل ماجرى من عمليات أحياء للموتى في الأمم السابقة هو تمهيد لهذا الحدث الجلل الذي سيكون من اعجب أعاجيب عصر الظهور المبارك.

أما بالنسبة لفرق المسلمين الأخرى من غير الشيعة فهم لا يؤمنون بالرجعة بمعناها الذي قلنا وهو رجوع الأموات للحياة قبل يوم القيامة والقتال على الدين، بل أنكروها جملةً وتفصيلاً، فهم يؤمنون بأن رجوع بعض الأموات حاصل في الأمم السابقة بصريح القرآن الكريم لغرض اثبات قدرة الله فقط لتلك الأمم، أما رجوعهم للمرة الثانية فيكون في يوم القيامة لا غير، وهم بأنكارهم هذا على نوعين.

الأول: يرى أنها غير ممكنة لأنها من اعتقادات الشيعة فحسب.

والثاني: ينكرها أنكار من يراها مستحيلة.

لذلك لن نتطرق لأقوالهم في هذا البحث لأنه ليس لهم قول في هذا الموضوع إلا الإنكار^(١).

لقد أنفردت الشيعة الأمامية بالاعتقاد بموضوع الرجعة دون المذاهب الإسلامية

(١) ان الفكر السنّي عندما يرفض موضوع الرجعة يتناسى ان أول من ابدى نظرية الرجعة هو عمر بن الخطاب، فقد اعلن عندما شاع موت النبي ﷺ انه سيعود فيقطع ايدي وأرجل أقوام. عن ابي هريرة قال: لما توفي رسول الله ﷺ قام عمر بن الخطاب فقال: والله ما مات ولكنه ذهب إلى ربه كما ذهب موسى بن عمران فقد غاب عن قومه أربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل مات والله ليرجع رسول الله ﷺ كما رجع موسى فليقطعن ايدي رجال وارجلهم زعموا ان رسول الله ﷺ مات. (السيرة النبوية لابن هشام ٤: ٣٠٥).

ويعتقد جملة من الباحثين ممن كتب في موضوع الرجعة ان هناك وقائع واحاديث في الارث السنّي حول إحياء وظهور بعض الاموات في التاريخ الإسلامي لهو دليل على وجود موضوع الرجعة في فكرهم، وهذا التصور غير صحيح لأنهم يذكرون هذه الحالات من باب ان الله قادر على إحياء الموتى وليس القصد منها الرجعة كما هو المشهور عند الشيعة فالرجعة عند الشيعة ليست عودة للأموات فقط، بل هي مرحلة تأتي قبل القيامة بحشر اصغر للحساب والثواب فهي عقيدة لها اسباب ونتائج، فإحياء الموتى عند ابناء السنة هو لاثبات القدرة فقط، اما الرجعة عند الشيعة فهي غاية ستصل اليها حركة الموجودات بمسيرتها التكاملية.

الأخرى، بل أن هناك مجموعة من المواضيع أنفردوا بها (كالبداء والمتعة وطول عمر الأمام القائم عليه السلام)، وقد شُنت عليهم الكثير من التهم (كالغلو والقول بالتناسخ والخروج عن ملة الإسلام والكفر) لإيمانهم بهذه المعتقدات، حتى أنك لتجد عبارات تتكرر في كتب مخالفي الشيعة كعبارة (لعن الله فلان لأنه يؤمن بالرجعة)، أو (إن فلان كذاب وضاع لأنه يؤمن بالبداة) ^(١).

وقد ظل الكلام في الرجعة عند أئمة اهل البيت عليهم السلام لفترة طويلة محاط بدائرة التقية نظراً للتحسس البالغ من هذا الموضوع من قبل اعدائهم الذين يرون فيه مشروع سياسي لتأسيس دولة لال محمد عليه السلام، فاخذت الرجعة عندهم طابعاً سياسياً فيما هي بالاصل عقيدة ومشروع تكاملي ناهيك عن كون موضوع الرجعة يؤصل للتولي آل محمد عليهم السلام والبراءة من اعداءهم.

وللشيعة في موضوع الرجعة عدة مؤلفات بلغت أكثر من (٥٠) مؤلفاً، قد نقلوا فيها أكثر من (٢٠٠) حديث صحيح وأكثر من (٧٠) آية قرآنية مؤولة بالرجعة، ولهم في ذلك احتجاجات وأدلة ساقوها جواباً على اعتراضات مخالفينهم ورداً على الشبهات التي أثاروها حول هذا الموضوع.

كما أن كتب الشيعة التي تناولت أحداث آخر الزمان وعلامات الظهور قد جمعت عدة عناوين مختلفة في مؤلف واحد، فالكتب التي تناولت موضوع ظهور القائم عليه السلام جمعت الأحاديث الخاصة بالعلامات السياسية والاجتماعية والعسكرية والسماوية في كتاب واحد، بينما أفردوا لموضوع الرجعة مؤلفات خاصة به وحده، وقد أصابوا رضي الله عنهم، فإن لهذا الموضوع خصوصية واضحة من خلال الحديث المروي عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام بقوله (أيام الله المرجوة ثلاثة، يوم قيام القائم، ويوم الكثرة، ويوم القيامة) ^(٢)، فهو يوم مميز له أهمية كيوم القائم عليه السلام، فقد أفرد له الرحمن عزّ وجلّ يوم كامل من أيامه المرجوة، وإن كانت مؤلفاتهم تناولت الموضوع من جهتين لا ثالث لهما، جهة نقل أحاديث الرجعة، وجهة رد الشبهات التي أُثيرت حول الموضوع، ولا تجد في هذه الكتب نوع من التحليل والأستنتاج والتأمل

(١) ذكر مسلم في صحيحة باسناده إلى عمر بن المرادي قال: (سمعت جبرياً يقول: لقيت جابر بن يزيد الجعفي فلم اكتب عنه لأنه كان يؤمن بالرجعة)، نقلاً عن الأيقاظ من الهجعة / العاملي ص ٩٤.

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٧/ ص ١٧٨/ ح ٤، تأويل الآيات/ ج٢/ ص ٥٧٦/ ح ٣

إلا النزر اليسير مما جعل كل هذه المؤلفات تحت خانة كتب الحديث.

وأنك عندما تقرأ المؤلفات الخاصة بهذا الموضوع ستندهش لكثرة الآيات والأحاديث والقصص المتعلقة بأرجاع ناس إلى الحياة بعد موتهم على شكل أفراد ومجاميع، وأن إحياء الموتى عملية جرت على أيدي أغلب الأنبياء والأوصياء على مر التاريخ وفي كل الديانات، حتى لا تكاد حقبة زمنية من حُقب الرُسل والأنبياء تخلو من هذه المعجزة، وأن كثرة هذه المرويات ليجعلك في حيرة ممن يُنكر أصل الرجعة، وأنك لا تجد في بعض مطالب الأصول والفروع نصوصاً أكثر من نصوص وأحاديث الرجعة.

ان هذا البحث يشمل في طياته دعوة لمراجعة النفس ومراجعة بعض الثوابت والمسلّمات التي هي بحق بحاجة إلى مراجعة، كما سنحاول أن نضع القارئ الكريم أمام مجموعة من التساؤلات التي من خلالها سيدرك مدى الظلم والحيف الذي طال هذا الموضوع ومدى الإهمال المتعمد له.

ولن نقتصر في هذا البحث على نقل الآيات والاحاديث الدالة على الرجعة، ولكن سنحاول الإجابة على الاسئلة التي تطرحها هذه الآيات والاحاديث، في محاولة للوصول إلى فهم لقانونية وآلية الرجعة من خلال التدبر بآيات القرآن الكريم، واحاديث اهل العصمة عليهم الصلاة والسلام، والعلم المعمول به حالياً او العلم الذي نطمح ان تصل اليه البشرية، إذا كان الهدف منه خدمة الإنسان والإجابة على أسئلته المحيِّرة، فمرويات اهل بيت العصمة عليهم السلام تذكر إن العلم الذي جاءت به الأنبياء هو حرفين، وعندما يخرج الإمام القائم عليه السلام سيضيف هذين الحرفين خمس وعشرون حرفاً فتكمل سبعة وعشرون حرفاً ويبقى حرف واحد أستأثر الله به لنفسه^(١).

فإذا كان ما جاء به كل الأنبياء هو حرفان من العلم، فإن ما في ايدينا هو جزء ضئيل جداً من هذين الحرفين، والضالة في العلم الذي بين ايدينا لا تمكننا بأي شكل من الاشكال من الوصول إلى حقيقة العلوم في عهد الامام الحجة عليه السلام ،

(١) عن أبان، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (العلم سبع وعشرون حرفاً، فجميع ما جاءت به الرسل حرفان، فلم يعرف الناس حتى اليوم غير حرفين، فإذا قام القائم عليه السلام أخرج الخمسة والعشرين حرفاً فبثها في الناس، وضم إليها الحرفين حتى يبثها سبعة وعشرين حرفاً). بحار الانوار/ المجلسي/ ج ٥٢٦ / ص ٣٣٦

ومنها علم موضوع الرجعة، لذلك كانت واحدة من أهداف هذا البحث هو جمع أكثر الأدلة التي تمكننا من الوصول إلى فهم ولو جزئي لهذا الأمر.

وقد يعتقد البعض ان في هذا البحث بعض المعتقدات الدينية والفلسفية التي لم يقطع العلم بصحتها لحد الآن، وهذا كلام من يضع العلم فوق الايمان، فالعلوم التجريبية ليست هي الطريق الوحيد للمعرفة، فهناك طرق اخرى تتبع الإيمان والحس والوجدان والحدس، حتى ان البعض يعتقد ان الاشراق هو من طرق المعرفة، ويجب ان لا ننسى ان التطور العلمي والتكنولوجي الكبير الذي يسود الحياة حالياً قد استند بالاساس إلى معتقدات دينية وفلسفيه قديمة كانت في وقتها غير مقطوع بها ايضاً، وفي هذا البحث سيكون قائدنا القرآن، ثم الحديث، ثم العلم وليس العكس، وان كنت اعتقد إن القرآن والحديث شيء واحد.

والذي يريد ان يفهم الرجعة بمعناها القانوني عليه ان يعرف اوليات هذا الحدث ومن اين تم التأسيس له ومتى ستظهر معالمه ولا يكون ذلك الا من خلال معرفة سير الموجودات في النظام الكوني، فمسيرة الانسان الكونية من يوم ظهوره الى يوم وصوله لغايته مرت بانماط من الانظمة، ففي اول ظهوره في الذر، ثم يوم ظهوره على الارض كفرد من ذرية آدم عليه السلام، ثم يوم موته ودخوله الى البرزخ، ثم يوم رجعته في القيامة الصغرى ماحضاً للإيمان او ماحظاً للكفر، ثم موته وبعثه في القيامة الكبرى، وفي فترة تواجده على الارض تعرف على جملة من الافكار اولها مرتبطة بالحكمة وتعاليم الانبياء الاوائل، ثم ظهر النمط الميتافيزيقي المشتمل على المعاجز والرموز والطقوس الذي يسميه الاكاديمين خطأً بالاساطير، وهي فترة امتدت من فترة ما قبل الطوفان مروراً بالحضارة السومرية الى فترة نهاية الحضارة الفرعونية، ثم ظهرت سيادة النمط الفلسفي عند الاغريق واستمرت الى نهايات القرن الثامن عشر حيث بدأت سيادة نمط العلوم التجريبية من فلك وفيزياء وكيمياء وغيرها، ثم سيعود النمط الميتافيزيقي من خلال العلوم التجريبية نفسها اذا تم لفيزياء (الكم) ان تفتح بعض مغالقتها اضافة لعلم النانو وعلم الخلايا الجذعية، الى ان تاتي الرجعة فيظهر النمط الروحي وعودة الرموز المقدسة والحياة الحكمية بظهور المقدس ثانية على الارض في الرجعة حيث سيحكم الكائن الاعلى والانسان الكامل الارض ومن عليها لان الحياة ليس لها معنى اذا لم تكن حكمية ومثالية.

المقدمة

وأود أن ألفت أفتباه القارئ الكريم إلى أنني لا أريد بالأصل أن أناقش موضوع الرجعة من باب قال فلان ولم يقل فلان، ولا من باب ان سند او متن هذه الرواية معتمد او غير معتمد، ولا أريد في كل الاحوال التوغل في مناقشة الشبهات التي اثيرت حول هذا الموضوع، فلكل هذه العناوين كتبها الخاصة التي تناولت هذه المواضيع المتعلقة بالرجعة بشيء من التفصيل، ولكنني في الوقت نفسه ذكرت جملة من هذه المواضيع كمقدمة لا بد منها ليكون للقارئ إحاطة ولو جزئية بالموضوع ليكون معي في الصورة منذ البداية.

فطريقة هذا البحث تعتمد بالأساس على التدبر للآيات والمواضيع والمفردات القرآنية المتعلقة بموضوع الرجعة والمؤولة عن طريق مرويات آل محمد ﷺ وبأستخدام عامل مساعد وموضح وهو النتاجات العلمية الهائلة التي يشهدها هذا العصر للوصول إلى مقاربات فكرية وعلمية حول موضوع الرجعة والمواضيع المتصلة به، ومن هذا المدخل يمكن مناقشة موضوع الرجعة بطريقتين:

الأولى: هي طريقة أثبات أصل الفكرة، فيكون الكلام موجّه إلى صنف من الناس ينكرون موضوع الرجعة فيتم سرد الأدلة والقرائن لاثبات أصل الموضوع لهم.

الثانية: وهو الكلام مع الصنف الآخر الذين آمنوا بموضوع الرجعة وثبت عندهم فننطلق معهم لذكر وايضاح وربط أجزاء الموضوع وتفصيله من خلال البحث في الآليات والحيثيات المتصلة بالموضوع لأستخراج رؤية معينة للفهم.

وهنا اعتذر للقراء الذين لا يؤمنون بموضوع الرجعة كون هذا البحث بالأساس موجّه إلى الصنف الثاني، فهذا البحث لا يفيد اصحاب الأمزجة (التشكيكية) والعقليات (المنطقية)، لأن موضوع الرجعة مرتبط بالباطن والتأويل والوجدان أكثر من ارتباطه بالعقليات والمنطقيات، فهو بحاجة لدوافع وجدانية للتصديق أكثر من حاجته الى ادلة علمية للأثبات، والذي أراه ان من يُنكر موضوع الرجعة (في لبس من خلق جديد)، وقد قال عزّ من قال ﴿افعيينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾^(١).

ان الايمان باليوم الاخر هو اصل من اصول كل الديانات، ورغبة الانسان بالحصول

على حياة ثانية بعد هذه الحياة رغبة عامة في صدور الكل, وقد حاول الفكر المادي بكل افكاره ان يطمس ويُسقِّه معالم هذه الرغبة لانه يرى فيها اعتراض على قوانين الطبيعة, ولكنه نسي ان الطبيعة لا تسير وفق مطالب الانسان, ولكن الرجعة تقول لنا ان البعث وعودة الاموات هي عملية جارية بأصل النظام الطبيعي إلا انها مرهونة بتوقيتات, والمادي يعتقد انه فهم كل قوانين الطبيعة, ولكن الطبيعة تأتي ان تعطي سرها هكذا بالجمان, فالمادي يرى ان غاية وجود الانسان هو استمرار النوع, فيما ترى الرجعة ان الغاية تتعلق بالموت والحياة نفسها, اذ سينتهي نوع ويظهر اخر **﴿افعيننا بالخلق الاول . بل هم في لبس من خلق جديد﴾**, والرجعة تقول ان الانسان جسد وجوهر, الجسد يتغير بعدة حيوات, والجوهر ثابت يسعى للتكامل او الانتكاس, فالمادي لا يؤمن بوجود جوهر داخل جسم الانسان ويعتقد ان الانسان ما هو الا سلسلة فعاليات بايولوجية وفلسجية لوظائف الاعضاء, فالموت عند المادي نهاية لان الحياة عنده اصلاً صدفه بايولوجية, لذلك انتهى فكرهم بالقول بعبثية النظام لانهم لا يرون فيه غاية, اما الرجعة فهي تشير الى صيرورة النظام السائر الى غاية وهي ارادة الله نفسها, فالمادي يسميه تطور ولا يريد ان يخرج من الاطار البايولوجي, والدين يسميه غاية وخلود حيث سيتم تبديل هذه الاجساد الكدرة باخرى زاهرة نورانية, والغاية تقول للانسان انت اكبر من ان تكون منظومة بايولوجية دموية لحمية تأكل وتشرب وتنكح وللحيوانات مثل ما عندك, بل انت كائن مُعد سلفاً وفق القانونية الكونية لكي ترث الارض, وتعيش الخلود, وتعرف نفسك, فالفكر المادي يسير الى نهاية محدودة والرجعة تسير الى الغاية, فالرجعة هي ذلك النظام الذي تظهر فيه الطبيعة حكمتها وقدرتها التي خزنها الله فيها .

ومن هنا فالرجعة ليست ثقيلة على قلوب اتباع المذاهب الإسلامية المخالفة للشريعة فقط, بل الموضوع ثقيل حتى على قلوب الكثير من الشيعة, فليست المشكلة في معرفة الحقيقة بل بالتصديق بها, وهذه هي مشكلة موضوع الرجعة منذ البداية, مما جعل الكلام حول الرجعة ليس مُخيفاً بحد ذاته, بل المخيف هم (الآخرون) الذين لا يستوعبونها فيحكمون عليها وعلى المؤمنين بها بدم بارد.

فإذا كنت تُحب أن تولد مرة ثانية ولادة حقيقية, وتعيش مرة ثانية حياة حقيقية فسيفيدك هذا البحث, فرمما ستجد فيه الطريق إلى ماء الحياة التي شرب منها

المقدمة

الخضر عليه السلام , وان كنت لا تريد ذلك (فتم) إلى أن تصعقك نفخت الصور ليوم
القيامة.

الفصل الأول

أدلة الرجعة

أدلة الرجعة

ذكرت مصادر الشيعة الامامية العديد من الآيات القرآنية ونصوص حديثة وأدلة عقلية على اعتقادهم بالرجعة نذكر قسماً منها كالتالي:

أولاً: الآيات القرآنية الدالة على الرجعة

وهي الآيات القرآنية التي ورد فيها أحاديث عن رسول الله ﷺ وأهل البيت عليهم السلام في تفسيرها وتأويلها على أن المراد بها هو الرجعة، وقد ذكروا في هذا الشأن أكثر من (٧٠) آية قرآنية مفسرة ومؤولة بالرجعة^(١)، وسنذكر هنا عدد معين من هذه الآيات التي تمثل عمدة ما استدلوها به على هذا الأمر لوضوح المعنى الصريح فيها.

١- عن أبي عبد الله عليه السلام قال (ما يقول الناس في هذه الآية ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾^(٢). قلت: يقولون في القيامة. قال (ليس كما يقولون، إنما في الرجعة، أيحشر الله من كل أمة فوجاً ويدع الباقيين! إنما آية القيامة ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾^(٣) (٤).

والحديث واضح كون هناك حشر اصغر يُحشر فيه من كل أمة فوجاً وهو قبل الحشر الأكبر، والحديث يضع لكل حشر آية خاصة به، ولمزيد من التوضيح سنورد الآيات المباركة التي وردت في سورة النمل التي تحوي قوله تعالى ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ لما لهذه الآيات من أهمية في توضيح أمر الرجعة، قوله تعالى ﴿وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون. ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون. حتى إذا جاءوا...﴾ إلى قوله تعالى ﴿ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السماوات

(١) بإمكانك مراجعة المصادر التالية التي جمعت الآيات القرآنية المؤولة بالرجعة أولاً: الايقاظ من الهجعة بالبرهان عن الرجعة/الباب (٣) /للشيخ الحر العاملي. ثانياً: الزام الناصب في اثبات الحجّة الغائب/ج١/الشيخ علي اليزدي الحائري. ثالثاً: المهدي في بحار الانوار/العلامة المجلسي/باب (٢٩) .

(٢) النمل /٨٣

(٣) الكهف /٤٧

(٤) مختصر البصائر/ عز الدين الحلي / احاديث في الرجعة من غير طريق سعد (١٥/١١٥)، البحار

٢٧/٥١ :٥٣

والأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين ﴿١﴾، ومن خلال أمعان النظر في الآيات المباركة ستلاحظ أنها تتحدث عن ثلاث أحداث مهمة جاءت بسياق متسلسل وهي:

أولاً: (أخرجنا لهم دابة من الأرض) (خروج الدابة)

ثانياً: (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً) (الحشر الخاص)

ثالثاً: (ويوم ينفخ في الصور..... وكل أتوه داخرين) (نفخة النشور والقيامة)

ومن الواضح أن خروج دابة الأرض هي من الأحداث الجسيمة التي تسبق يوم القيامة باجماع المسلمين، إذ لا يعقل أن تخرج هكذا دابة يوم القيامة وما فائدتها في ذلك اليوم، عن رسول الله ﷺ (إن بين يدي الساعة الدجال والدابة ويأجوج ومأجوج والدخان وطلوع الشمس من مغربها) ^(٢)، أما النفخ في الصور فهو الذي يُحشر فيه الناس جميعاً، وبما انه ليس ثمة حشر بعد يوم القيامة بدليل الكتاب والسنة، فلا بد أن يكون الحشر الخاص واقعاً قبل يوم القيامة فهو من العلامات الواقعة بين يدي الساعة.

فهذا نص واضح وصريح بالرجعة قبل يوم القيامة وليس بعد القيامة رجعة، فتعين أن تكون الرجعة قبل يوم القيامة التي آيتها ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ ^(٣). فالحشر يوم القيامة كلي بدون استثناء، أما في الرجعة (الحشر الخاص) فهو يشمل قسم دون الكل، لذلك قال ﴿يوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾، لأنه حشر خاص وليس عام ^(٤).

(١) النمل/٨٢ ٨٤

(٢) الدر المنثور/ السيوطي

(٣) الكهف/٤٧

(٤) ورد في كتاب شرح الزيارة الجامعة/ للشيخ الاحسائي/ج٣/ ص ٥٢ قوله: (.....والقرآن ناطق بذلك في قوله (واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون) اذا قرئت كما انزلت من تأخيرها عن آية (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً) الآية. ليرتبط الكلام لعن الله من قدم ما اخره الله وأخر ما قدمه الله والنظم الحق بين الآيات هكذا (ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب باياتنا فهم يوزعون حتى اذا جاؤا قال اكذبتم بآياتي ولم تحيطوا بها علماً ام ماذا كنتم تعملون ووقع القول عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون). فذكر الله الحشر الخاص وبعث بعضاً ممن يكذب بآيات الله ﷻ واذا وقعت عليهم الحجة وانقطعوا عن الجواب اخرج الله لهم دابة من الأرض وقد انعقد الاجماع من المسلمين ان خروج الدابة قبل يوم القيامة وبعد انغلاق باب

أدلة الرجعة

٢- قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمِينِ بَلَى وَعَدَاً عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ. لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾^(١).

عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمِينِ...﴾، قال (يا أبو بصير ما يقولون في هذه الآية؟) قلت: إن المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن الله لا يبعث الموتى قال: فقال (تباً لمن قال هذا، سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزى)، قال: قلت: فأوجدنيه، فقال (يا أبا بصير لو قد قام قائمنا بعث الله من شيعتنا قباع سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوم من شيعتنا لم يموتوا فيقولون بعث فلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم عليه السلام فيبلغ ذلك قوماً من عدونا فيقولون يا معاشر الشيعة ما أكذبكم هذه دولتكم وأنتم تقولون فيها الكذب لا والله ما عاش هؤلاء ولا يبعثون إلى يوم القيامة. قال: فحكا الله قولهم فقال ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمِينِ﴾^(٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ

التوبة، وانغلاق باب التوبة عند الشيعة بعد قيام القائم عليه السلام قبل خروج دابة الأرض وخروجها قبل يوم القيامة).

وورد الكلام نفسه للسيد كاظم الرشتي حول هذه الآيات في كتاب (جواهر الحكم) ج ١٤ / ص ٥٦٨ ، وكذلك ج ١٣ / ص ٢٠٨

والذي افهمه من كلام الاحسائي والرشتي ان مرادهم ان قوله تعالى (واذا وقع عليهم القول اخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم) اذا كانت في بداية الآية فالسياق يدل على ان الحشر بعد خروج دابة الأرض مما يؤدي إلى عدم الانتباه او ضياع موضوع الرجعة في الآيات، اما اذا كان قوله تعالى (واذا وقع القول عليهم....) في آخر الآيات فهذا معناه ان هناك حشر وحساب قبل طلوع الدابة، وبالتالي فان الحشر قبل الدابة لا بد وان يكون في الرجعة، إذ ما فائدة خروج هذه الدابة بعد الحشر. وبهذا يكون التحريف عندهم ليس باضافة شيء إلى القرآن بل هو بمعنى التقديم والتأخير، أو اسقاط بعض المفردات، والمعنى الذي يذهب اليه الاحسائي والرشتي دقيق جدا لانه يُثبت وجود جهات منذ بدايات الاسلام تحاول ان تلغي موضوع الرجعة بالذات، وهذه ليست شخصيات او جهات عادية بل هي مؤسسة شيطانية تعرف مقاصد النصوص الالهية وتعرف الغايات التي يرمي اليها النص فهي تريد ان تحرف الدين عن غايته الاصلية لكي تضيع الحقائق وتتشوه الغايات، فالذي يُريد ان يشوهه او ان يُضَيِّع موضوع الرجعة يعلم علم اليقين انه عقيدة حقيقية في الدين.

(١) النحل/ ٣٨ ٣٩

(٢) الايقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة/ الحر العاملي/ ص ٢٥٦ وكذلك المحجة فيما نزل في القائم الحجة/ السيد هاشم البحراني/ الآية التاسعة والثلاثون/ ص ١٢٢.

يموت ﴿﴾، قال (مايقول الناس فيها؟) قلت: يقولون نزلت في الكفار، قال (أن الكفار لا يحلفون بالله وإنما نزلت في قوم من أمة محمد ﷺ قيل لهم ترجعون بعد الموت قبل القيامة فيحلفون أنهم لا يرجعون فرد الله عليهم فقال ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾، يعني في الرجعة سيردهم الله فيقتلهم ويشفي صدور المؤمنين منهم) (١).

واضح أن الآية لا تشير لبعث يوم القيامة، لأنه تعالى قال ﴿ليبين لهم الذي يختلفون فيه﴾، وأن (التبيين) يكون في الدنيا، أما في القيامة فهو حساب وثواب فقط، علماً أن هؤلاء المتحدث عنهم في الآية هم من أمة محمد ﷺ من المسلمين بدليل قوله ﴿وأقسموا بالله﴾، فلو كانوا من الكافرين ما أقسموا بالله، والكافرين يقسمون باللات والعزى كما يقول الحديث، فهم من المسلمين لأنهم يُقسمون بالله ولكنهم ينكرون الرجعة، لذلك وصفهم تعالى في آخر الآية بقوله ﴿وليعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين﴾ لأنهم يكذبون بالرجعة.

٣- قوله تعالى ﴿قالوا ربنا أمتنا أثنتين وأحييتنا أثنتين﴾ (٢)، عن أبي جعفر (عليه السلام) في قوله تعالى ﴿ربنا أمتنا أثنتين وأحييتنا أثنتين﴾ قال (هو خاص لأقوام في الرجعة بعد الموت ويجري يوم القيامة) (٣).

وكما ترى أن الآية تشير إلى حياتين وموتتين، بينما المتعارف عليه عند الناس أنها حياة واحدة وموتة واحدة، فإذا بُعث الناس ليوم القيامة تكون هذه الحياة الثانية، فيبقى في الآية موتة ثانية، أذن يجب أن تكون هناك حياة قبل يوم القيامة وبعد الموتة الأولى لكي تكون هناك موتة ثانية، فلا يمكن أن يقال ان الله أحيا ميتاً إلا أن يكون قبل أحيائه ميت، علماً أن لسان حال هذه الآية خاص وليس عام بدلالة الحديث (٤).

٤- قوله تعالى ﴿إنا لننصر رُسُلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم

(١) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩ / ح ٣٥

(٢) غافر/ ١١

(٣) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩ / ح ٢٧ / ص ٣٠٢

(٤) وستجد في فصل (آيات لها علاقة بالرجعة) في موضع لاحق من هذا البحث كلام مفصل حول هذه الآية. فالآية لها معنى خاص فيما يصره المفسرون باتجاه المعنى العام.

أدلة الرجعة

الأشهاد^(١)، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (قلت له: قول الله عز وجل ﴿إِنَّا لَنَنْصُرَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾، قال (ذلك والله في الرجعة، أما علمت أن أنبياء الله تبارك وتعالى كثيراً لم يُنصروا في الدنيا وقتلوا، وأئمة من بعدهم قُتلوا ولم يُنصروا، فذلك في الرجعة)^(٢).

وهذا واضح لكل من له اطلاع على سير الأنبياء والأوصياء عليهم السلام، فإن الكثير منهم لم يُنصروا وقد قُتلوا ودُبحوا من قبل أممهم وأقوامهم، كيحيى عليه السلام والحسين عليه السلام، وأن هذا النصر الذي تتحدث عنه الآية ليس نصر أخروي في القيامة، بل الآية واضحة تحدده بأنه ﴿في الحياة الدنيا﴾، وبما أنهم ماتوا ولم يُنصروا، أذن وجب عودتهم إلى الحياة في الرجعة قبل يوم القيامة ليُنصروا ويصدق وعد الله إليهم.

٥- قوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكتناها أنهم لا يرجعون﴾^(٣)، عن الإمام الصادق عليه السلام قال (كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة، وأما في القيامة فيرجعون، ومن محض الإيمان محضاً وغيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب، ومحضوا الكفر محضاً يرجعون)^(٤).

وفي الآية دلالة واضحة على الرجعة، فلا أحد من أهل الإسلام يُنكر أن الناس كلهم يرجعون يوم القيامة، من هلك ومن لم يهلك، فقله ﴿لا يرجعون﴾ يعني في الرجعة، فلو كانت (لا يرجعون) تعني لا يرجعون في يوم القيامة، إذأ لزم أن يكون هناك أقوام لا يشملهم الحشر النهائي مثل قوم (نوح وعاد وثمود) الذين أهلكهم الله بالعذاب بصريح القرآن الكريم، فإذا كان هؤلاء لا يرجعون في الحشر النهائي فهذا خلاف القرآن الكريم وما أجمعت عليه كلمة أهل الإسلام، فالرجوع هنا هو في الرجعة وليس في القيامة، أي أن الأمم التي أهلكها الله بالعذاب قبل يوم القيامة (لا يرجعون) في الرجعة ولكنهم يحشرون في الحشر النهائي، فتكون دلالة الآية واضحة من وجود حشرين الأول خاص في الرجعة والثاني عام لكل الناس في يوم القيامة^(٥).

(١) غافر/ ٥١

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٧ / ص ٣٠ / ح ٣

(٣) الانبياء/ ٩٥

(٤) تفسير البرهان/ للبحراني/ ج٥ / ص ٢٤٨ / ح ٢ كذلك الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/

باب ٩ / ح ٢٣ / ص ٢٥٥

(٥) الغريب فيما قيل حول هذه الآية هو كلام صاحب تفسير الجلالين لجلال الدين السيوطي بقوله: (وحرام على قرية أهلكناها) أريد أهلها (انهم لا) زائدة (يرجعون) اي ممتنع رجوعهم إلى

٦- قوله تعالى ﴿وَإِذ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (مابعت الله نبياً من لدن آدم فهلم جراً إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ يعني رسول الله عليه السلام ، ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم قال لهم في الذر ﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي﴾ أي عهدي ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ قال الله للملائكة ﴿فَاشْهَدُوا

(الدنيا) (تفسير الجلالين ص ٤٣٦) .

وربما يعتقد البعض أن كلام السيوطي صحيح لأن معنى الآية انه لا أحد يرجع إلى الدنيا بعد الموت إلا في القيامة، والقيامة ليست من الدنيا، فلماذا قال (انهم لا) زائدة، ولماذا اعتبرها زائدة اذا كان المعنى العام انهم ممتنع رجوعهم للدنيا، ومن هذه العبارة ترى ان هذه الآية قد اشكلت على صاحب تفسير الجلالين لأنها واضحة الدلالة في الرجعة، لانه لا يستطيع القول حسب ظاهر الآية ان هناك من لا يرجع في القيامة، فكان الحل الأسلم لدية هو جعل (انهم لا) زائدة، اي لو رفعنا (انهم لا) من الآية باعتبارها زائدة كما يقول لاصبحت (وحرام على قرية اهلكتها يرجعون) اي يرجعون في القيامة فقط كي يستقيم المعنى على هواه كما يظن، والحقيقة المعنى لم يستقيم ابدا بهذا الشكل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصدق الله تعالى حينما قال: (من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه) (النساء/٤٦) ، وقوله تعالى: (بئسما اشترأ به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله) (البقرة/٩٠) . وصدق رسول الله حينما قال: (لتركبن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة، حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه. قيل: من يا رسول الله؟ قال: وهل غير بني اسرائيل هؤلاء) .

ولو آمننا بهذا الكلام فقد حكمنا على القرآن بالتناقض، لأن القرآن ذكر في عدة موارد اشخاص ومجاميع عادوا إلى الحياة بعد الموت في الدنيا قبل القيامة كما في بني اسرائيل الذين ماتوا بالالوف ثم احياهم الله فهم قد رجعوا للدنيا، كما في قوله تعالى (ألم ترى إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم) (البقرة/٢٤٣)، ولكن قصد الآية ان الذين اهلكوا بالعذاب في الدنيا فقط لا يرجعون في الرجعة ولا يستقيم معنى الآية إلا إذا صُرفت باتجاه الرجعة. والأغرب من ذلك هو كلام السيد محمد حسين الطباطبائي قوله (وأما قوله تعالى (انهم لا يرجعون) وكان الظاهر أن يقال أنهم يرجعون فالحق انه مجاز عقلي وضع فيه نتيجة تعلق الفعل بشيء....) تفسير الميزان /ج١٤ / ص ٣٥٦.

ان هذا التخبط في كلام المفسرين عن هذه الآية مرده إلى أنها آية خاصة بأقوام معينين وهم يصفونها باتجاه العموم. والغريب أيضاً أنهم عند تفسيرهم للآية يأخذون من كل الأطراف إلا آل محمد عليهم السلام ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

والذي يلوح في خاطري القاصر ان لفظة (حرام) في قوله تعالى (وحرام على قرية اهلكتها انهم لا يرجعون) ، ان (حرام) بمعنى (حق)، اي حق على الله ان كل قرية اهلكها انهم لا يرجعون في الرجعة، والحرام هو حق الزم الله به نفسه انه كائن.

(١) آل عمران/٨١

أدلة الرجعة

وأنا معكم من الشاهدين ﴿١﴾.

ظاهر الآية واضح أن هؤلاء (النيين) لم ينصروا رسول الله ﷺ والامام علي ﷺ لأنهم حسب الترتيب الزمني لبعثة الأنبياء هو صلوات الله عليه وآله آخرهم وخاتمهم، وهذا النص قطعاً لن يكون يوم القيامة، لأن يوم القيامة كما قلنا يوم حساب وجزاء، فهذه النصرة واقعة حتماً في الرجعة قبل القيامة، وهذا الميثاق قد أخذ على الأنبياء في عالم الملكوت الذي يسبق عالم الملك (الدنيا) باعتبار أنهم أقروا بالربوبية لله، وللرسول ﷺ بالرسالة، وللإمام علي ﷺ بالولاية في عالم الذر، ففي تلك العوالم كان اقرار بذلك فقط، أما النصرة فهي في عالم الدنيا، وبما أنهم جاءوا إلى هذه الدنيا قبل رسول الله ﷺ ولم ينصروه لتأخره عليهم زمنياً، إذ لا بد من عودته ﷺ وعودتهم ﷺ لنصرتهم وهذا حاصل في الرجعة^(٢).

٧- قوله تعالى ﴿وأستمع يوم يناد المناد من مكان قريب. يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾^(٣)، عن أبي عبد الله ﷺ في قوله تعالى ﴿يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج﴾ قال (هي الرجعة)^(٤)، وعن علي بن إبراهيم قوله تعالى ﴿وأستمع يوم يناد المناد من مكان قريب﴾ قال: ينادي المنادي بأسم

(١) تفسير القمي/ج ١ / ص ١١٤ كذلك تفسير البرهان/ للبحراني/ج ٢/ ص ٦٠ / ح ٢ حسب سياق الآية الكريمة فان الشهود هنا هم الانبياء انفسهم، وهذا لا يصح كونك تتفق مع احد على ميثاق ثم تجعل نفس ذلك الشخص شاهدا عليه، لان الشاهد يجب ان يكون ليس طرفا في الموضوع او هو خارج عنه، لذلك قال الامام ﷺ في الحديث عن الشهود كونهم الملائكة، فعائدية ضمير الشهادة واقع على الملائكة، وهذا لا يمكن اكتشافه الا بحديث من حملة القرآن انفسهم. (٢) يمكن الاستدلال على رجوع الأنبياء من الأمم السابقة من آيات قرآنية كثيرة منها قوله تعالى (والسلام عليّ يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا) (مريم/٣٣)، وهي بحق المسيح ﷺ. وقوله تعالى (وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا) (مريم/١٥)، وهي بحق يحيى ﷺ، والمعروف قرآنياً وروائياً وتاريخياً أن المسيح ﷺ رُفِع وهو حي حالياً، ويحيى ﷺ قُتِل فكلاهما لم يجري عليه فعل الموت (لاننا سنوضح في فصل لاحق أن القرآن الكريم وأحاديث آل محمد ﷺ تفرق بين الموت والقتل)، والمقتول في سبيل الله ليس بميت لقوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون)، فلا بد من رجعتهم في آخر الزمان ليجري عليهم فعل الموت لقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت)، ولو كان بعثهم يوم القيامة مع عامة الناس لما استقام معنى الآية، فلا بد من رجعتهم ليصح معنى الآية، ثم بعدها يبعثون في الحشر الكلي مع بقية الخلائق يوم القيامة النهائي. وهاتين الآيتين دليل واضح على رجعة المسيح ويحيى ﷺ كما أخبر الصادقين من آل محمد ﷺ كون كل الانبياء راجعين لأنهم ممن محض الايمان محضاً.

(٣) ق / ٤١ / ٤٢

(٤) تفسير القمي/ج ٢/ ص ٣٠٣، تفسير البرهان/ للبحراني/ ج ٧ / ص ٣٠٦ / ح ٣

القائم وأسم أبيه ﷺ ، قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ﴾ قال: صيحة القائم من السماء (ذلك يوم الخروج) (١).

ارتبطت أحداث يوم القيامة في القرآن مع النفخ في الصور ولم ترتبط مع الصيحة، فالصيحة هي العذاب المنزل على الأمم لهلاكهم، وهي ليست من مُتخصات يوم القيامة، فيكون اليوم الذي تتحدث عنه الآية هو يوم الرجعة كما قال أبو عبد الله ﷺ .

٨- قوله تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ (٢)، عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر ﷺ قال (قوله) تعالى ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ قال (يُظْهِرُهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الرَّجْعَةِ) (٣).

عن الصادق ﷺ (من حديث طويل قال المفضل: يا مولاي فقوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ ما كان رسول الله عليه صلوات الله ظهر على الدين كله؟ قال (يا مفضل لو كان رسول الله صلى الله عليه وآله ظهر على الدين كله ما كانت مجوسية ولا يهودية ولا صابئية ولا فرقة ولا خلاف ولا شك ولا عبدة أوثان ولا اللات والعزى ولا عبدة الشمس والقمر ولا النجوم ولا النار ولا الحجارة وإنما قوله ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ في هذا اليوم وهذا (المهدي) وهذه (الرجعة) وهي قوله ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾ (٤) (٥).

وكما هو ظاهر من الآية الكريمة إن ظهور الدين المحمدي وهيمنته على بقية الأديان لم يتحقق في عهد رسول الله ﷺ ، وهو قطعاً ليس من تفاصيل يوم القيامة، لأن الله سبحانه وتعالى يقول ﴿إِنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾ (٦) ، ويوم القيامة تتبدل هذه الأرض كما في قوله تعالى ﴿يَوْمَ تَبْدُلُ الْأَرْضَ غَيْرَ الْأَرْضِ﴾ (٧)، فهيمنة

(١) تفسير القمي/ج٢/ص٣٠٣ ، تفسير البرهان/ج٧/ص٣٠٦/ح٢

(٢) الفتح/٢٨

(٣) تفسير البرهان/للبحراني/ج٧/ص٢٤٦/ح٢

(٤) الانفال/٣٩

(٥) بحار الانوار/ج٥٣/ص٣٣ ٣٤

(٦) الانبياء/١٠٥

(٧) ابراهيم/٤٨

أدلة الرجعة

الإسلام كدين خاتم على كل الديانات هو في يوم الرجعة وهي قبل القيامة، وهذه الهيمنة ستتم في أيام القائم عليه السلام، والآية أيضاً واضحة الدلالة كون رسول الله صلى الله عليه وآله راجع **﴿ليظهره على الدين كله﴾**.

نكتفي بهذا القدر من الآيات المباركة المؤولة بالرجعة وإلا فإن عددها يزيد عن السبعين آية ومن أراد المزيد فليراجع المصادر التي ذكرناها، وفي الفقرات اللاحقة توضيح وبيان لآيات أخرى حسب الموضوع.

ثانياً: الرجعة في الأمم السابقة.

وهي مجموعة من الآيات القرآنية الدالة على رجوع الأموات إلى الدنيا في الأمم السابقة على شكل أفراد أو مجاميع، وهي أحداث مضت في الزمن السابق وقد تم إيرادها للأثبات على أن رجوع الأموات هو أمر ثابت بنص القرآن الكريم، فلا مانع من حدوثه في آخر الزمان، لأن الرجعة هي سنة من سنن الله عز وجل، كما جرت في الأمم السابقة تجري على هذه الأمة، وأستدلوا على هذا الأمر بقوله تعالى **﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾**^(١)، وقول رسول الله صلى الله عليه وآله **﴿لتركبن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة﴾**، وان الرجعة بهذا المعنى لا خلاف ولا شك فيها عند المسلمين بعد أن نطق بها القرآن الكريم^(٢).

وهنا سنورد بعض الآيات.

١ - قوله تعالى **﴿ألو تر إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾**^(٣)، وهذه الحادثة خاصة ببني إسرائيل.

٢ - قوله تعالى **﴿أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فأنظر إلى طعامك وشرابك لم**

(١) الأحزاب/٦٢

(٢) القاعدة تقول: أن الوقوع دليل الأمكان (وبما أن الرجعة حصلت في الأمم السابقة فأمكانية وقوعها في هذه الأمة أمر وارد).

(٣) البقرة/٢٤٣

يتسنه وأنظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وأنظر إلى العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحما فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴿١﴾، وهذه الحادثة أيضاً وقعت في بني إسرائيل فقد روي عن أبي عبد الله عليه السلام أنه (عزير) وروي عن أبي جعفر أنه (أرميا) .

٣- قوله تعالى ﴿إذ قالت الملائكة يا مريم أن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم - إلى قوله - ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله وأبری الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بأذن الله﴾ ﴿٢﴾.

٤- قوله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم أدعهن يأتينك سعياً﴾ ﴿٣﴾.

٥- قوله تعالى ﴿لم ترى إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحيي ويميت قال أنا أحيي وأميت﴾ ﴿٤﴾.

٦- قوله تعالى ﴿ولبثوا في كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا﴾ ﴿٥﴾ وكذلك قوله ﴿وكذلك بعثناهم لیتساءلوا بينهم﴾ ﴿٦﴾.

٧- قوله تعالى ﴿وأختار موسى قومه سبعين رجلاً لميقاتنا فلما أخذتهم الرجفة قال رب لو شئت أهلكتهم من قبل وإياي﴾ ﴿٧﴾، روي أن الله أحياهم بعد موتهم وبعثهم أنبياء.

٨- قوله تعالى ﴿وإذ قلت يا موسى لن تؤمن لك حتى نرى الله جهرَةً فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون. ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ ﴿٨﴾.

(١) البقرة/٢٥٩

(٢) ال عمران/٤٥ ٤٩

(٣) البقرة/٢٦٠

(٤) البقرة/٢٥٨

(٥) الكهف/٢٥

(٦) الكهف/١٩

(٧) الاعراف/١٥٥

(٨) البقرة/٥٦ ٥٥

أدلة الرجعة

٩- قوله تعالى ﴿وأيوب إذ نادى ربه أي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾^(١)، روي أن الله أحيا له أهله من مات وقت البلاء (ومثلهم معهم) ممن مات من قبل. وبما أن الرجعة قد حدثت في الأمم السابقة فيكون الوقوع دليل الأمكان.

ثالثاً: أجلة الرجعة من سنة رسول الله ﷺ .

بما أن الرجعة هي أمر حاصل في الأمم كما تم ذكره في الفقرة السابقة من خلال الآيات القرآنية التي تؤكد ذلك، فقد أستدلّت الشيعة على أمكانية حدوثها في هذه الأمة أستناداً إلى حديث رسول الله ﷺ المذكور في كل كتب المسلمين.

قال رسول الله ﷺ (يكون في هذه الأمة كما كان في بني إسرائيل حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة)، وقال ﷺ (كل ما كان في الأمم السابقة يكون مثله في هذه الأمة حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة)، وقال ﷺ (لتركن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. قيل يارسول الله ﷺ من. قال: وهل غير بني إسرائيل هؤلاء)، عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ (والذي نفسي بيده لتركن سنن من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لا تخطئوا طريقهم ولا تخطئكم سنة بني إسرائيل)^(٢).

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وقد قال الله تعالى في كتابه ﴿لتركن طبقاً عن طبق﴾^(٣)، وكذلك قوله تعالى ﴿سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً﴾^(٤).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى ﴿لتركن طبقاً عن طبق﴾ قال: يقول: حالاً بعد حال. قال ﷺ (لتركن سنة من كان قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة ولا تخطئون طريقهم شبراً بشبر وذراعاً بذراع وباعاً بباع حتى أن كان من قبلكم دخل حجر صبّ لدختموه). قال: قالوا:

(١) الانبياء/٨٣

(٢) تفسير البرهان/ البحراني / ج٢ / ص ٤٢٢ / ج٣

(٣) الانشقاق/١٩

(٤) الاحزاب/٦٢

اليهود والنصارى تعني يارسول الله ﷺ؟ قال: (ومن أعني - لتنقضن عُرى الإسلام عُروة عُروة فيكون أول ما تنقضون من دينكم الإمامة وآخره الصلاة) (١).

فتكون الرجعة حادثة في هذه الأمة اسوة ببقية الأمم السابقة، ولتثبيت هذا المعنى فقد ذكروا شواهد أخرى تؤكد حدوث الأختلاف في أمة محمد ﷺ كما حدث في الأمم السابقة، وهي مصداق لحديث رسول الله ﷺ السابق، أن أول ما تنقضون من عُرى الإسلام هو الإمامة.

عن عمر بن أبي المقدم، عن أبي جعفر عليه السلام أنه قال له: إن العامة يقولون أن بيعة أبي بكر حيث أجمع الناس عليه كانت لله رضى وما كان الله ليفتن أمة محمد ﷺ من بعده إلى أن قال: فقال أبو جعفر عليه السلام (أليس قد أخبر الله عن الذين من قبلهم من الأمم أنهم اختلفوا من بعد ما جائتهم البينات حيث قال تعالى ﴿وأتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس ولو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جائتهم البينات ولكن اختلفوا فمنهم من آمن ومنهم من كفر﴾ (٢).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: هل كان في بني إسرائيل شيء لا يكون مثله هاهنا؟ قال: (لا) (٣).

وعن عبد الأعلى ابن أعين قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك (حديث يرويه الناس أن رسول الله ﷺ قال (حدّث عن بني إسرائيل ولا حرج). قال: (نعم). قلت: فنحدث عن بني إسرائيل بما سمعنا ولا حرج علينا؟ قال (أما سمعت ما قال كفى بالمرء كذباً أن يحدث بكل ما سمع). قلت: كيف هذا؟ قال (ما كان في الكتاب أنه كان في بني إسرائيل فحدث أنه كائن في هذه الأمة ولا حرج) (٤).

(١) تفسير القمي/ج٢/ص٤٠٧ كذلك تفسير البرهان/للبحراني/ج٨/ص٢٤٥/ح٢

(٢) البقره/٢٥٣

(٣) مختصر البصائر/ الشيخ الحلي.

(٤) معاني الاخبار/ الشيخ الصدوق/ ص ١٥٩

رابعاً: أحاديث أئمة أهل البيت عليهم السلام.

نقلت كتب الشيعة المعتبرة وهي بالعشرات أحاديث الرجعة عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام، وجمع العلامة المجلسي المتوفي سنة (١١١١) هـ نحو (٢٠٠) حديث في باب الرجعة من كتاب (بحار الأنوار)، وقال (كيف يشك مؤمن بحقيقة الأئمة الأطهار عليهم السلام فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح رواها نيف وأربعون من الثقات العظام والعلماء الأعلام في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم: كثقة الإسلام الكليني، والصدوق محمد بن بابويه، والشيخ أبي جعفر الطوسي، والسيد المرتضى، والنجاشي، والكشي، والعياشي، وعلي بن إبراهيم، وسليم الهلالي، والشيخ المفيد، والكرجكي، والنعماني، والصفار، وسعد بن عبدالله، وأبن قولويه، والسيد بن طاووس، وقرات بن إبراهيم، وأبي الفضل الطبرسي..... وغيرهم) .

من هذا الكلام يتضح أجماع الشيعة على صحة أحاديث الرجعة المنقولة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، وثبوت روايتها هو ما أتفقت عليه كلمتهم، وقد شكك البعض بمسألة الإجماع هذه بحجة أن نقل الحديث من قبل الراوي ليس معناه دائماً أن الراوي مصدق للحديث، لكن الإجماع المقصود هنا هو الكاشف عن قول المعصوم عليه السلام، لذلك قال العلامة المجلسي (ان روايات الرجعة عن طريق أهل البيت عليهم السلام متواترة معني) .

عن أبي عبدالله عليه السلام من حديث قال (أنظر ما كان من روايتهم عنا في ذلك الذي حكما به المجمع عليه بين أصحابك فيؤخذ به من حكمننا ويترك الشاذ النادر الذي ليس بمشهور عند أصحابك فإن المجمع عليه لا ريب فيه) (١).

(١) الاحتجاج/ الطبرسي/ ج ٢/ ح ٢٣٢/ ص ٢٦١.

خامساً: عدم وجود المعارض.

قال الشيخ الطوسي في (الأستبصار) من أن كل حديث لا معارض له فهو مُجمع عليه وعلى صحة نقله، ومعلوم أن أحاديث الرجعة لم ينقلوا لها معارضاً صريحاً على ما يظهر والله أعلم.

سادساً: أحاديث مخالفة العامة.

روي عن أئمة أهل البيت عليهم السلام أحاديث بصيغ مختلفة، ولكنها تحمل نفس المضمون في مخالفة العامة ومنها، عن زرارة قال: سألت أبا جعفر عليه السلام فقلت: يأتينا عنكم حديثان متعارضين إلى ان قال (أنظر ما وافق منهما العامة فأتركه وخذ بما خالفهم فإن الحق في خلافهم) ^(١)، فيصح القول أن أحاديث الرجعة لا توافق العامة بوجه فيجب العمل بها.

سابعاً: الإدعية والزيارات.

تؤكد الأدعية والزيارات المروية عن أهل بيت العصمة عليهم السلام على موضوع الرجعة، علماً أن هذه الأدعية والزيارات قد تم الأطمئنان لصحة سندها وصدورها من المعصومين عليهم السلام بعد أن أفاضت كتب الشيعة في تحقيقه. وهذه الأدعية والزيارات تمثل حيزاً كبيراً في التراث الشيعي وقد أعتنى بها العلماء والفقهاء أشد الأعتناء من ناحية السند والدلالة ولهم فيها مؤلفات ومصنفات كثيرة ^(٢).

وهذا الارث بمجمله هو ماخطه الأئمة المعصومين عليهم السلام وراثته عن رسول الله صلى الله عليه وآله، ومن الملاحظ أن أئمة أهل البيت عليهم السلام قد وضعوا كمية من المعلومات والحقائق والتشريعات من خلال نصوص الأدعية والزيارات، لاسيما بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، حيث بدأ التضييق عليهم وعلى أشياعهم من قبل الامويين والعباسيين من الناحية الفكرية والحياتية والعقائدية، ولظروف التقية التي كان يعيش بها الأئمة عليهم السلام

(١) الايقاظ من الهجة بالبرهان على الرجعة/الحر العاملي/ باب ١/ ح ١٩ / ص ٥٧.
(٢) منها: (١) مفاتيح الجنان (٢) ضياء الصالحين (٣) الاقبال (٤) فلاح السائل (٥) جمال الاسبوع (٦) مهج الدعوات، وغيرها الكثير.

أدلة الرجعة

فقد أخذوا أسلوب جديد في إيصال المعلومات والعقائد إلى مواليهم وأشباعهم فتم زبر هذه الأدعية والزيارات بمجموعة كبيرة من المعلومات العقائدية والتاريخية والعلمية والمستقبلية.

فيما كان الامويون والعباسيون ينظرون لهذه الأدعية والزيارات كونها ليست جزءاً من تراث النبوة، بل هي عندهم من مقولات وإنشاء أئمة العلويين، لذلك لم تنقل كتب الحديث والتاريخ السننية أي شيء عن هذه المواضيع وبقيت من مختصات مدونات الشيعة.

وبالجمله نريد أن نقول ونثبت أن جملة من المواضيع العقائدية قد تم التأسيس والتنظير لها من خلال الأدعية والزيارات ومنها موضوع الرجعة^(١).

وفيما يلي بعض العبارات الخاصة بالرجعة في الأدعية والزيارات:

١- **الزيارة الجامعة الكبيرة:** روي عند الصدوق بأسناد معتبر عن النخعي قال: قلت لمحمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب علمني يا بن رسول الله ﷺ قولاً بليغاً كاملاً إذا أردت أن أزور أحد منكم فقال.... (ثم ذكر الزيارة) . ومنها (..... مطيع لكم عارف بحكمكم

(١) يمكن هنا إيراد مجموعة من المواضيع المهمة التي وردت في الأدعية إضافةً لموضوع الرجعة.

١- دعاء الندبة: ويحوي على التسلسل التاريخي لحياة الرسول ودعوته وأوامره بأتباع اهل بيته ﷺ وتنصيب الإمام علي ﷺ في يوم الغدير بالإضافة إلى جملة من فضائل امير المؤمنين ﷺ ثم دور الأئمة ﷺ من بعده إلى الإمام المهدي ﷺ والدور الذي سيقوم به، فالدعاء بصورة عامة وبهذا الشكل ملخص مركز لحياة الرسول ﷺ والأئمة ﷺ والادوار المناطه بهم.

٢- زيارة عاشوراء: وفيها جملة من اسماء الملعونين واتباعهم لكي لا ينسى الناس من قتل الحسين ﷺ والتأكيد على استمرار اللعنة على كل من يقبل بقتل الحسين ﷺ في كل زمان.

٣- دعاء التوسل: ومن جملة ما فيه التسلسل النسبي للأئمة ﷺ وقرباتهم الخصيصة من رسول الله ﷺ .

٤- دعاء كميل دعاء عرفة دعاء ابو حمزة الشمالي دعاء الصباح وهي بمجموعها مشحونة شحناً بالقيم الروحية والمضامين الإيمانية العالية وهي في حد ذاتها دستور للتأمل والعبادة الحقة والعشق الحقيقي للعناوين المقدسة.

٥- دعاء السمات: ويحوي على التمجيد لأسماء الله عز وجل وجملة من أحوال بني اسرائيل وموسى ﷺ كما يحتوي الدعاء على معلومات فلكية.

٦- الزيارة الجامعة: وهي من الزيارات المهمة والتي ورد فيها تأكيد شديد بزيارة المعصومين ﷺ بها، وهي بصورة عامة تبين المقامات الكبيرة والخطيرة للأئمة ﷺ وهذه الزيارة بالذات فيها ما فيها والحديث عنها يطول وقد أفرد لها بعض العلماء شروحات خاصة.

مقر بفضلكم محتمل لعلمكم محتجب بدمتكم معترف بكم مؤمن بإيابكم
مصدق برجعتكم منتظراً لأمركم مرتقب لدولتكم.....) ومنها (.... وأجعلني
ممن يقتص آثاركم ويسلك سبيلكم ويهتدي بهداكم ويحشر في زمركم ويكرّ في
رجعتكم ويملك في دولتكم...).

٢- دعاء العهدة: وهو مروى عن الإمام الصادق عليه السلام . ومنه (.... اللهم
أن حال بيني وبينه الموت الذي جعلته على عبادك حتماً مقضياً فأخرجني
من قبري مؤتزرأً كفي شاهراً سيفي مجرداً قناتي ملبياً دعوة الداعي في الحاضر
والبادي....).

٣- زيارة عاشوراء: وقد ذكرت الكتب من فضلها الكثير ومنها. (.... بأبي
أنت وأمي لقد عظم مصابي بك فأسأل الله الذي أكرم مقامك وأكرمني بك
أن يرزقني طلب ثارك مع إمام منصور من أهل بيت محمد صلى الله عليه وآله
وسلم.....).

٤- زيارة رجب: ومنها (الحمد لله الذي أشهدنا أوليائه في رجب إلى أن قال
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته حتى العود إلى حضرتكم والفوز في كرتكم
والحشر في زمركم).

وكذلك عدة زيارات أخرى منها (زيارة الوداع) و (زيارة أمير المؤمنين عليه السلام) و (زيارة
الحسين عليه السلام) و (زيارة الإمام المهدي قائم آل محمد عليه السلام) و (زيارة القائم عليه السلام في
السرداب) وغيرها.

ثامناً: كتاب سليم بن قيس الهلالي.

عن الامام الصادق عليه السلام (من لم يكن عنده من شيعةنا ومحبينا كتاب سليم بن
قيس الهلالي فليس عنده من امرنا شيء ولا يعلم من اسبابنا شيئاً وهو اجد
الشيعة وسر من اسرار آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم)^(١).

سليم بن قيس الهلالي أبي صادق العامري الكوفي التابعي، أدرك أمير المؤمنين عليه السلام
والحسن والحسين وعلي بن الحسين والباقر عليه السلام، وتوفي في حياة علي بن الحسين

(١) مستدرک الوسائل / الميرزا النوري / ج١٧ / ص ٢٩٨

أدلة الرجعة

ﷺ ، مُستترّاً عن الحجاج أيام إمارته، وهذا الكتاب هو أصل من الأصول القديمة التي ألفت قبل عهد الإمام الصادق ﷺ، وجمع من الشيعة ممن حمل العلم ورواه يعتقدون أن كتاب سليم بن قيس أصل من أكبر كتب الأصول التي رواها أهل العلم وحملة حديث أهل البيت ﷺ وأقدمها، لأن جميع ما أشتمل عليه الأصل إنما هو عن رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ والمقداد وسلمان وأبي ذر ومن جرى مجراهم ممن شهد رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين ﷺ، وهو من الأصول التي تعول عليها الشيعة، ويتميز كتاب سليم بن قيس بأنه عُرض على ستة من المعصومين ﷺ فأقروه ووثقوا صاحبه، وهم (الإمام علي والإمام الحسن والإمام الحسين والإمام السجاد والإمام الباقر والإمام الصادق) عليهم صلوات الله أجمعين.

ولعلماء الشيعة كلام طويل حول هذه الوثيقة فقد أثبتوا بما لا يقبل الشك صحة صدورها وصحة روايتها وصحة سندها بالأدلة الوافية، وقد حقق أعظم علماء الشيعة هذا الكتاب وأثبتوا صحة نسبه وأنه معتبر غاية الاعتبار، قال العلامة المجلسي رحمه الله في أول كتابه البحار (كتاب سليم بن قيس في غاية الأشتهار، وقد طعن فيه جماعة والحق أنه من الأصول المعتمدة)، وقال في كتابه الأربعين ما هذا لفظه (ووجدت في كتاب سليم بن قيس الهلالي الذي رواه عنه أبان بن عياش وقرأ جميعه على علي بن الحسين ﷺ بحضور جماعة من أعيان الصحابة، منهم أبو الطفيل، فأقره عليه زين العابدين ﷺ وقال: هذه أحاديثنا صحيحة. قال أبان: لقيت أبا الطفيل بعد ذلك في منزله فحدثني في الرجعة عن أناس من أهل بدر وعن سلمان والمقداد وأبي كعب، وقال أبو الطفيل: فعرضت هذا الذي سمعته منهم على علي بن أبي طالب ﷺ بالكوفة قال: فهذا علم خاص لا يسع الأمة جهله ورد علمه إلى الله تعالى، ثم صدقني بكل ما حدثوني وقرأ عليّ بذلك قراءة كثيرة فسره تفسيراً شافياً حتى صرت ما أنا بيوم القيامة أشد يقيناً مني بالرجعة.....

تاسعاً: كتاب بصائر الدرجات

ورد في كتاب (بصائر الدرجات) في فضائل آل محمد ﷺ للمحدث الجليل أبي جعفر محمد بن الحسن بن فروخ الصفار المتوفي سنة (٢٩٠ هـ) الذي أدرك أبا محمد الحسن بن علي العسكري ﷺ، وهو من الوثائق المهمة والمعتبرة عند الشيعة، في

باب أن الأئمة عليهم السلام جرى لهم ماجرى لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وأنهم عندهم علم المنايا والبلايا والوصايا، أحاديث ذكرت فيها (الكرة) حيث وردت العبارات التالية لوصف هذا اليوم حيث ورد عن أمير المؤمنين عليه السلام (.....) ولقد أعطيت الست، علم المنايا والبلايا والوصايا والإنسان وفصل الخطاب وأني لصاحب الكرات ودولة الدول وأني صاحب العصا والميسم والدابة التي تكلم الناس)، وكما هم معلوم فأن العبارات (صاحب الكرات) و (دولة الدول) و (صاحب العصا والميسم) و (الدابة التي تكلم الناس) هي من العبارات المتداولة في أحاديث الأئمة عليهم السلام فيما يخص الرجعة.

عاشراً: استدلالات أخرى.

لنا هنا أن نضيف النقاط التالية:

١- إن عملية التحريف والتلاعب بالنصوص الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام هو أمر واقع، بل أن هذا الأمر وقع حتى في الكتب المقدسة وقد أشتكى رسول الله صلى الله عليه وآله من هذا الأمر في حياته عندما قال صلى الله عليه وآله (يا أيها الناس لقد كثرت عليّ الكذابة فما جاءكم عني فأعرضوه عليّ كتاب الله فما وافقه فخذوا به وما لم يوافقه فأتروكه)، وفي روايات أخرى عن آل محمد عليهم السلام عبارة (فردوه إلى العالم من آل محمد عليهم السلام)، هذا ما حدث في عهد رسول الله صلى الله عليه وآله ، أما بعد وفاته فالأمر لا يخفى على عاقل، لاسيما بعد الجهود الحثيثة التي بذلتها الأبواق الإعلامية وجيوش المنافقين المؤيدة لبني أمية وبني العباس الذين طال بهم الحكم لعدة قرون تسلطوا بها على رقاب المسلمين وأصبح الدين في أيديهم وسيلة للتمسك بالحكم والوصول إلى السلطة، مما أدى إلى صياغة أحاديث مفتعلة تؤسس للملك هؤلاء، فنشأت فوضى ناتجة عن تضارب الأحاديث في مضمونها وسندها، وهذه العملية أدت إلى نشوء علم كامل يختص بمتابعة وفرز الأحاديث الصحيحة عن غيرها، وهو ما يسمى حالياً بعلم الحديث وما يتصل به من علم الرجال المسؤولين عن نقل الأحاديث، لهذه الأسباب وقف أئمة أهل البيت عليهم السلام موقفاً حازماً أمام هذه الحملات التحريفية، فوضعوا مجموعة من القواعد اللازمة لهذا الأمر وأهمها القاعدة التي وضعها جدهم صلى الله عليه وآله فقالوا عليهم السلام (أعرضوا حديثنا

أدلة الرجعة

على القرآن فما وافق القرآن فخذوا به وما لم يوافق القرآن فردوه (ينا). كما أنهم ﷺ أعدوا حولهم مجموعة من الرجال الثقات الموالين الذين أوقفوا أنفسهم وجهودهم لحفظ أحاديثهم ونقلها.

إن القاعدة العامة التي وضعها رسول الله ﷺ بعرض الحديث على القرآن هي من جملة ما أهمل في علم الحديث بصورة عامة، فالأحاديث كمتن لا تصح إلا بوثيقة الرواة، وأن أحوال الرواة وصلاتهم وأمانتهم هو ما تم التركيز عليه بشكل كلي، وهي الضابطة التي اعتمدوا عليها في قبول أو رفض هذه الأحاديث، أما عرض الحديث على القرآن فلا تجد بحث أو دراسة جادة تتناول هذا الموضوع بشيء من التفصيل، أو تضع الضوابط والميزان للحكم على صحة الأحاديث أو بطلانها، فوقع التعارض والتناقض وعدم إمكانية فرز المزور عن الصحيح، وقد ذكرنا في بداية هذا الفصل مجموعة من الآيات القرآنية المفسرة والمؤولة بالرجعة والتي تشكل مجموعها دليل قرآني على صحة موضوع الرجعة عموماً.

إن وقوع التحريف في الروايات يدفعنا إلى أن نسأل أنفسنا سؤال مهم وهو: ما هو هدف التحريف؟ أن الجهات والأشخاص الذين يقومون بعملية التحريف لهم مآرب ومقاصد أما أن تكون شخصية أو فئوية لخدمة جهة معينة تعمل ضد الإسلام عموماً وضد (آل البيت) خصوصاً، وهذه الجهات المحرّفة على درجة عالية من الذكاء والخبرة، وهي تأخذ الموضوع المعين الذي ستحرفه (كالرجعة أو البداء أو الحلال والحرام أو...) أو أي موضوع آخر، وتغير بعض الكلمات أو تحرف معانيها أو تُسقط بعض العبارات على النص، فالهدف من العملية التحريفية هو تشويه النص وحرفه عن جهته الأصلية وليس إلغائه، وهذا واقع في بعض الأحاديث لا محالة، ولكننا لم نواجه من خلال متابعة وقراءة الأحاديث عملية قلب كاملة للنص أو اختراع موضوع غير موجود أساساً، فمن غير المنطقي أن بني أمية أو بني العباس أو من يدور في فلکهم إذا أرادوا أن يُحرفوا يخلقوا موضوع مثل موضوع الرجعة فيه كل هذه الفضائل والمقامات لآل محمد ﷺ، لان هذا العمل ليس فيه أي مصلحة لهم، ولا يمكن في الوقت نفسه أن يكون أتباع أئمة أهل البيت ﷺ قد اخترعوا هذا الموضوع في زمن الأئمة ﷺ ولا بعدهم، فلا بد أن يكون موضوع

الرجعة موجود أصلاً وهم تدخلوا بشكل أو بآخر لتحريفه، فعندما تُريد هذه الجهات المحرفة لموضوع معين مثل موضوع الرجعة فهي تقوم باستخدام أدواتها في التضليل في قلب بعض الكلمات أو إضافة كلمة هنا أو هناك، أو ربط الحديث بموضوع آخر ليس له علاقة بالموضوع الأصلي فتتم عملية التشويه، أما أن تقوم هذه الجهات سواء مخالفة أو مؤالفة بخلق موضوع كامل مثل موضوع (الرجعة) فهو غير موجود أصلاً، وإن المحاولات بهذا المعنى غير واردة.

فنستنتج من خلال هذه المقدمة أن موضوع (الرجعة) موجود أصلاً في كلام الرسول وكلام أهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين، لكن تمت عملية التشويه من قبل المحرفين وأعداء الله ورسوله بالإنكار والتسفيه، وبهذا تصح أحاديث الرجعة كموضوع صادر عن المعصومين عليهم السلام، هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار بوجود بعض الحلقات المفقودة في تسلسل أحداث الرجعة ربما سببها النقل الخاطئ أو غير الصحيح عن الرواة أو الناتج عن السهو والنسيان ولعل الأضطراب الذي يُعاني منه موضوع الرجعة ناشئ من هذه الأسباب التي ذكرناها.

٢- إن أحاديث الرجعة يمكن تصنيفها كونها من (أحاديث الرواية المستقبلية)، وهي تختلف عن أحاديث (الحلال والحرام)، فأحاديث الرجعة تشمل مواضيع غيبية مستقبلية والموضوع بمجمله خاضع لمفهوم (التأويل)، فلو طبّقنا آليات علم الرجال على هكذا أحاديث ذات طابع مستقبلي ستنتهي الصورة المستقبلية لموضوع الرجعة بكامله، ولن يبقى لنا كتاب يمكن الاعتماد عليه، فتطبيق آليات علم الرجال على أحاديث الرجعة لن يقودنا إلى نتيجة مرضية قطعاً إذ لا تسلم من هذه الآليات كل أحاديث الرجعة كمادة مستقبلية.

٣- إن أحاديث الرجعة ذات طابع مستقبلي غيبي تتعامل مع موضوع سيقع برمته في المستقبل، فهي ستقع في غير زمان القارئ أو زمن الباحث، وهكذا نوع من الأحاديث والمواضيع تحتاج في تصديقها إلى دافع وجداني أكثر من حاجتها إلى دوافع عملية وعقلية للأثبات، لذلك حث الأئمة عليهم السلام أتباعهم بالتسليم لكل ما يصدر عنهم وعدم أنكار أي شيء ورد عنهم لأن الموضوع يتحرك ضمن نطاق (الباطن والتأويل) لذلك قال آل محمد عليهم السلام في أكثر من مورد قولهم (إن أمرنا صعب مستصعب).

أدلة الرجعة

عن أبي عبدالله عليه السلام قال (من سره أن يستكمل الإيمان كله فليقل: القول مني في جميع الأشياء قول آل محمد فيما أسروا وأعلنوا وفيما بلغني عنهم وما لم يبلغني) ^(١).

عن جابر قال أبو جعفر عليه السلام: قال رسول الله ﷺ (إن حديث آل محمد صعب مستصعب لا يحتمله إلا ملك مقرب أو نبي مرسل أو عبد أمتحن الله قلبه للإيمان. فما ورد عليكم من حديث آل محمد فلانت قلوبكم وعرفتموه فأقبلوه، وما أشمأزت منه قلوبكم وأنكرتموه فردوه إلى الله ورسوله وإلى العالم من آل محمد، وإنما الهلاك أن يُحدث أحدكم بحديث لا يحتمله فيقول والله ما كان هذا، والإنكار هو الكفر) ^(٢).

لاحظ ان الإمام عليه السلام يضع ضابطة دقيقة وذاتية لقبول الحديث أو رفضه وهي (لين القلب واشتمئزاه) وهو أمر فيه دعوة للتأمل والمتابعة.

٤- هناك ثلاث مستويات للحركة إذا جاز التعبير في القرآن الكريم وفي كلام المعصومين عليهم السلام:

أولاً: الحركة على مستوى (الإجمال) (دائرة النبوة) (التنزيل): وهو مقام النبوة الخاتمة على صاحبها وآل بيته الصلاة والسلام، وبه يتعلق الوحي على المستوى التشريعي (الحلال والحرام، النواهي والأوامر، الأحكام والعبادات،)، وهو مقام ﴿لثبين للناس ما نزل إليهم﴾ ^(٣)، وقوله ﴿يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً﴾ ^(٤)، وقوله ﴿أما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ ^(٥)، وقوله ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ^(٦)، وقوله ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾ ^(٧)، وهذا هو مقام التأسيس الأول لكل ما سيأتي بعده.

(١) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/باب ١/ح ٢/٤٨ الكافي/لللكيني/١: ٦٠٣٩١.

(٢) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/باب ١/ح ٥/٤٩ كذلك الكافي/لللكيني/١: ١٠٤٠١.

(٣) النحل/٤٤

(٤) الاحزاب/٤٥

(٥) الرعد/٧

(٦) الانبياء/١٠٧

(٧) المائدة/٣

ثانياً: الحركة على مستوى (التفصيل) (دائرة الإمامة) ^(١): وهو مقام الأئمة بصورة عامة لتفصيل ماجاء به المقام الأول (مقام الإجمال) من تبين وتفصيل للفرائض والسنن، والمحكم والمتشابه، والناسخ والمنسوخ، والحدود والديات، والمطلق والمقيد، فهو يبين ويوضح مقام (الإجمال) من خلال ذكر التفاصيل والدقائق، ومن خلال مقام (التفصيل) يُعرف (الباطن)، وهو يعتمد على التأسيس الأول ويوسع دائرته، وهو بدوره أيضاً مرحلة تأسيسية لما سيأتي بعده، وهذا المستوى يشمل الرسول ﷺ والأئمة عليه السلا من الإمام علي عليه السلام إلى الإمام المهدي عليه السلام وهذا المقام هو مقام **﴿تبيان لكل شيء﴾** ^(٢)، ومقام **﴿أتممت عليكم نعمتي﴾** ^(٣).

ثالثاً: الحركة على مستوى (التطبيق الكلي النهائي): وهو النقطة الفاصلة للتحويل من التأسيس (الإجمالي والتفصيلي) إلى التطبيق الفعلي والنهائي للشريعة المقدسة، وهو مستوى لا يشمل أهل ملة دون أخرى، بل يشمل البشر بكل أئمتهم وأديانهم وكتبهم، وهو الغاية النهائية لرسالات الرسل والأنبياء والأولياء، وهو مقام **﴿مُصَدِّقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه﴾** ^(٤)، وقوله **﴿ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾** ^(٥)، وقوله **﴿الا أن وعد الله حق﴾** ^(٦)، وقوله **﴿يوم يأتي تأويله﴾** ^(٧).

وقائد هذا الدور هو الوريث الشرعي لكل الأنبياء والمرسلين والأوصياء، فعلى يديه تظهر النتائج ويتم الاستخلاف ووراثة الأرض، لاحظ أن قائد التأسيس الأول (الإجمال) هو محمد ﷺ، ومُطَبَّق التأسيس هو الحجة بن الحسن بنفس الاسم وما بينهما محمد، وصدق الإمام الصادق عليه السلام حينما قال (أولنا محمد وأوسطنا محمد وآخرنا محمد بل كلنا محمد).

(١) (القمر يستمد من الشمس فالشمس مقام النبوة والقمر رتبة الولاية والنبى صاحب مقام الإجمال والولي صاحب مقام التفصيل) (أسرار العبادات/ السيد كاظم الرشتي/ ص٢٥)، فيما يقول الشيخ الاحسائي في كتاب (الأسرار الحسينية/ ص٧٣) (الشمس صاحب مقام الإجمال لأن منها المادة والقمر صاحب مقام التفصيل لأن منه الصورة وهو صاحب العدد والحساب).

(٢) النحل/٨٩

(٣) المائدة/٣

(٤) المائدة/٤٨ بإمكانك أن تلاحظ أن قوله تعالى: (اليوم أكملت لكم دينك وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً) (المائدة/٣) تحتوي على هذه المقامات الثلاثة مجتمعة.

(٥) المائدة/٣

(٦) يونس/٥٥

(٧) الاعراف/٥٣

أدلة الرجعة

وان مُجمل مواضيع الصلاة والصيام والحج والزكاة وعموم العبادات والمعاملات وما يحتاج إليه المسلم في حياته اليومية وعلاقته مع الله ومع الآخرين قد تم التأسيس لها من خلال القرآن الموحى إلى رسول الله ﷺ وطُبقت في حياته على المستوى العملي، وكذلك الحال مع الأئمة عليهم السلام، فالعبادات والمعاملات شُرعت وعُمل بها على مستوى (الإجمال) و (التفصيل) و (التطبيق) ، وهي جارية على كل المستويات.

أما موضوع مثل موضوع (الرجعة) فتم التأسيس له في القرآن على (المستوى الإجمالي) بطريقة غير مباشرة، أي أن ظواهر الآيات لا توحى بشكل مباشر لهذا الأمر، فتكفل أئمة أهل البيت عليهم السلام من خلال (المستوى التفصيلي) ببيان هذه الدقائق وأظهار بواطنها في أحاديثهم المباركة، ولكن موضوع (الرجعة) لم يتم العمل به على مستوى التطبيق من خلال مقام (الإجمال والتفصيل) (النبوة والإمامة) ، إلا اللهم من خلال بعض الموارد في إحياء الموتى من باب أثبات الحجّة على الخصم، فبقي الموضوع بصيغته الإجمالية والتفصيلية بدون تطبيق حين العمل بالمستوى الثالث للحركة وهو (عصر الظهور المبارك) ، لذلك أنكر هذا الموضوع الأعم الأغلب من هذه الأمة والأمم الأخرى، وسيظل يواجه الإنكار إلى يوم تطبيقه، من هنا سنعرف إن الإيمان بالرجعة هو الإيمان بالقائم عليه السلام نفسه، فهما موضوعان متلازمان فاذا حصل الظهور حصلت الرجعة بالضرورة فهناك تلازم بالحدوث بين (يوم القائم) و (يوم الرجعة)، وعندما يبدأ قانون الرجعة بالعمل ويعود الأموات سيُصعق الجاحدون لهذا الأمر ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ بَلَى وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، وسوف يُصعق معهم من قال (أن الرجعة لا تساوي قُلامة ظفر)^(٢).

(١) النحل/٣٨.

(٢) يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المتوفى سنة (١٣٧٣) هجرية في كتابه (أصل الشيعة وأصولها / ص ١٦٨) حول موضوع الرجعة. قوله: (وأنا لا أريد أن أثبت في مقامي هذا ولا غيره صحة القول بالرجعة وليس لها عندي من الاهتمام قدر قُلامة ظفر).

أحد عشر: آيات الرجعة مُحكمات أم متشابهات.

ربما يعترض البعض ويقول إن آيات الرجعة بمعنى رجوع ناس قبل يوم القيامة في هذه الأمة من المتشابهات لقوله تعالى ﴿هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات مُحكمات هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾^(١)، والمتشابهات لا يُعمل بها لأنها مما أشتبه على الناس موضوعها.

وأني هنا أتساءل، ما هو الدليل على أن آيات الرجعة من المتشابهات؟ فلم يرد دليل قرآني أو من السنة المباركة أن آيات الرجعة من المتشابهات، ولا حتى كونها من المنسوخات، أو حتى من المتعارضات، لذلك ذكرنا سابقاً أن العلماء قالوا إن عدم وجود المعارض دليل على صحة الموضوع، هذا إذا اخذنا بنظر الاعتبار أن آيات النسخ أغلبها تخص الأحكام التشريعية، وآيات الرجعة لا تتعلق بالأحكام الشرعية بل هي آيات إخبار بما سيحدث في مستقبل هذه الأمة.

وورد عن أبي جعفر عليه السلام (.... فالمنسوخات من المتشابهات والمحكمات من الناسخات)^(٢).

وقد اجمع العلماء على أن المتشابهات ليست بحجة إلا إذا رجعت إلى المحكم، ونحن هنا نسأل أصحاب هذا الاعتراض، ما هو المحكم الذي نرد إليه آيات الرجعة إذا صح كونها من المتشابهات؟ ربما تقول أن آيات الحشر النهائي هي المحكمات في هذا الموضوع، ولكن ماذا تفعل بالآيات التي تقول أن الرجعة حدثت في الأمم السابقة؟ أليست هذه حوادث وقعت وناكرها ناكر لصريح القرآن والإجماع عند العلماء أن ظاهر القرآن حُجة، وإجماع المسلمين بصريح القرآن أن هناك من رجع من الموت قبل يوم القيامة في هذه الحياة في الأمم السابقة فتكون آيات رجوع الأموات في الأمم السابقة من المحكمات لوجود الإجماع والاتفاق وعليه يصح القول (أن الوقوع دليل الإمكان)، فقرائن القطع التي تحف بآيات الرجعة من القرآن نفسه ومن السنة ومن أحاديث المعصومين عليهم السلام لا تجعل آيات الرجعة في كل الأحوال من المتشابهات ولو حتى بالاحتمال، ومن هنا نعرف إن مُنكري الرجعة لا يستطيعون إنكارها بنص قرآني لعدم وجود هكذا نص يعارض آيات الرجعة

(١) آل عمران/٧.

(٢) تفسير البرهان/ البحراني / ج ٢ / ح ١ / ص ٧.

أدلة الرجعة

وأحاديثها، فيكون صرف آيات الرجعة باتجاه المتشابهات لا يكفي لإنكارها وقد نطق بها الثقلين (القرآن والعترة)، فموضوع الرجعة ثابت بالأدلة الأربعة المتعارف عليها عند المسلمين وهي (الكتاب والسنة والإجماع والعقل) ، فالكتاب نطق بها، والسنة ذكرتها، وأحاديث المعصومين أكدتها، والإجماع عند علماء طائفة الشيعة حولها حاصل، وأدلتها محفوفة بقرائن القطع لا الظن وليس لها معارض، والعقل يصدقها عند الاتفاق، لأنها مما حدث في الامم السابقة بنص القرآن، ومن هنا كانت الرجعة عقيدة تُدين بها لأنها مما نطق بها القرآن والعترة.

الفصل الثاني

من هم الراجعون

من هم الراجعون

تحدثت الآيات القرآنية والأحاديث النبوية والمعصومية عن أصناف مُعينة من الذين سيرجعون إلى الدنيا، عن أبي عبدالله عليه السلام قال (يعود إلى هذه الدنيا من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً) ^(١)، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبدالله عليه السلام قال (لا يُسأل في القبر إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، ولا يُسئل في الرجعة إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، قلت فسائر الناس؟ فقال (يلهى عنهم) ^(٢)).

(١) الإيقاظ من الهجعة/ الحر العاملي

(٢) الإيقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩ / ح ٨٥ / ص ٢٨٢.

أولاً: من محض الإيمان محضاً

وهم الراجعون أصحاب الحظ العالي في الإيمان من الأنبياء والأوصياء وعباد الله الصالحين والمؤمنين الممتحنين ممن ذكرهم الحديث بعباراة جامعة وهي (ممن محض الإيمان محضاً) ، وسنذكر هنا قسماً من الأحاديث التي تحدد أشخاص هؤلاء بالأسماء، فيما ورد أسم الأغلبية منهم ضمناً في الأحاديث بما لا يخفى على لبيب، وآخرون ذكروا على شكل أفواج، فمنهم يرجعون على شكل أفراد ومنهم على شكل أفواج كما ذكرت الآية.

١- الرسول محمد ﷺ .

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى ﴿إِن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾^(١)، قال (نيكم ﷺ راجع إليكم)^(٢).

عن أبي جعفر عليه السلام قال: سئل عن جابر فقال (رحم الله جابراً بلغ من فقهه أنه كان يعرف تأويل هذه الآية ﴿إِن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾، يعني الرجعة)^(٣).

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿يأيتها المدثر. قم فأندري﴾، (يعني محمد ﷺ وقيامه في الرجعة)^(٤)، وقوله ﴿إنها لأحدى الكبر. نذيراً للبشر﴾، يعني محمد ﷺ نذيراً للبشر في الرجعة)^(٥)، وقوله تعالى ﴿هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾، قال (يظهره الله عز وجل في الرجعة)^(٦)، وقوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس﴾ قال (في

(١) القصص/٨٥.

(٢) تفسير البرهان/البحراني/ ج ٦/ ص ١٠١/ ح ٦

(٣) تفسير القمي/ ج ٢/ ص ١٢٣، كذلك تفسير البرهان/البحراني/ ج ٦/ ص ١٠٠/ ح ١

(٤) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/ باب ١٠/ ح ١٠٤ / ص ٣٥٦، كذلك مختصر البصائر/عز الدين الحلي/باب الكرات وحالاتها (١/٥٥) ص ٨٨.

(٥) مختصر البصائر/عز الدين الحلي/باب الكرات وحالاتها (١/٥٥) ص ٨٨.

(٦) تفسير البرهان/البحراني/ج ٧/ ص ٢٤٦/ ح ٢، كذلك مختصر البصائر/عز الدين الحلي/باب

(الرجعة) (١).

عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال (أنه بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله عن بطنين من قريش كلام تكلموا به فقالوا: يرى محمد أن لو قد قضى أن هذا الأمر يعود في أهل بيته من بعده، فأعلم رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك فباح في مجمع من قريش بما كان يكتبه فقال: كيف أنتم معاشر قريش وقد كفرتم بعدي ثم رأيتموني في كتبية من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف. قال: فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل: إن شاء الله أو يكون ذلك علي بن أبي طالب عليه السلام إن شاء الله تعالى. فقال جبريل عليه السلام: واحدة لك وأنتان لعلي بن أبي طالب عليه السلام وموعدكم السلام. قال أبان: جعلت فداك وأين السلام؟ فقال: (يا أبان السلام من ظهر الكوفة) (٢).

٢- الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿حتى إذا فتحنا عليهم باباً ذا عذاب شديد﴾ (٣) قال: (هو علي بن أبي طالب عليه السلام إذا رجع في الرجعة) (٤).

الكرات وحالاتها (١/٥٥) ص ٨٨.

(١) لهذه الآية الكريمة بُعد زمني يشمل الماضي والحاضر والمستقبل فكيف يصح أن تكون رسالة رسول الله صلى الله عليه وآله للناس كافة وهو آخر الأنبياء وكل الأمم من غير المسلمين لم يروه فهي ذات بُعد في الماضي، لأن كل الأنبياء والصالحين قبل الرسول الكريم صلى الله عليه وآله قد آمنوا به لقوله تعالى: (لتؤمنن به ولتنصرنه) ، أما مساحة الحاضر فتشمل زمن الدعوة إلى يوم ظهور القائم أما، مساحة المستقبل فهي المساحة التي ستشمل كل الأمم من الأولين والآخرين وهي في الرجعة.

(٢) مختصر البصائر/عز الدين الحلبي/ باب الكرات وحالاتها (٩/٦٣) ص ٩٤.

من الملاحظ عند تدبر قوله تعالى: (أن الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد) انه استخدم الفعل (رد) ولم يستخدم الفعل (رجع) ، مما يدفعنا للتساؤل عن الفرق في استخدام كلا الفعلين في أحوال الرجعة. والذي يلوح في خاطري القاصر عند مراجعة موارد الفعل (رد) المتعلقة بموضوع الرجعة انه استخدم بمعنى (الرجعة النهائية) ، واستخدم الفعل (رد) لوصف رجعة رسول الله صلى الله عليه وآله بالذات لأنه سيرجع في آخر الرجعات، فيقتل أبلّيس وتظهر بعدها الجنتان المدهمتين، فرجعته صلى الله عليه وآله هي النهائية فاستخدم لها الفعل (رد) . ومن الملاحظ أيضاً أن الفعل (رد) يستخدم في وصف الرجعات النهائية للقيادات من كلا الفريقين كما في قوله تعالى: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمّددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) (الاسراء/ ٦) ، والتي فسرتها الأحاديث كونها رجعة الإمام الحسين عليه السلام مع أصحابه. أما من محض الكفر كما في قوله تعالى: (ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون) (الانعام/ ٢٨) .

(٣) المؤمنون/ ٧٧

(٤) مختصر البصائر/عز الدين الحلبي (١/٥٥) ص ٨٨.

أولاً: من محض الإيمان محضاً

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن لعلي عليه السلام في الأرض كربة مع ابنه الحسين صلوات الله عليهم يقبل برايته حتى ينتقم له من بني أمية ومعاوية وآل معاوية ومن شهد حربه، ثم يبعث الله إليهم بأنصاره (يومئذ من أهل الكوفة) ثلاثين ألفاً ومن سائر الناس سبعين ألفاً، فيلقاهم بصفين مثل المرة الأولى حتى يقتلهم فلا يبقى منهم مخبراً، ثم يبعثهم الله عز وجل فيدخلهم أشد العذاب مع فرعون وآل فرعون. ثم كربة أخرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يكون خليفته في الأرض ويكون الأئمة عماله، وحتى يعبد الله علانية فتكون عبادته علانية في الأرض كما عبد الله سرا في الأرض. ثم قال: أي والله وأضعاف ذلك - ثم عقد بيده أضعافاً - يعطي الله نبيه ملك جميع أهل الدنيا منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يفنيها حتى ينجز له مواعده في كتابه كما قال ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾^(١)

والملاحظ إن أشخاص الأئمة من أهل البيت عليهم السلام قد ورد ذكرهم في هذا الحديث بقوله: (ويكون الأئمة عماله) فهم من المشمولين بالرجعة، وكيف لا وهم سادة من محض الإيمان محضاً.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (يكفي علياً أن له ملك الكربة) .

ورد في الخطبة التطنجية للإمام علي عليه السلام مقطع يصف فيه رجعته ورجعة جملة من أصحابه وأعدائه يقول عليه السلام (.....وباعث محمد وإبراهيم لأقتلن أهل الشام بكم قتلات وأي قتلات، وحقي وعظمتي لأقتلن أهل الشام بكم قتلات وأي قتلات، ولأقتلن أهل صفين بكل قتلة سبعين قتلة ولأردن إلى كل مسلم حياة جديدة ولأسلمن إليه صاحبه وقاتله إلى ان يشفي غليل صدري منه، ولأقتلن بعمار بن ياسر وبأويس القرني ألف قتيل)^(٢)

(١) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/ باب ١٠ / ح ١١٨ .

(٢) الخطبة التطنجية/الخطب النادرة لأمر المؤمنين أبا الحسن علي بن أبي طالب عليه السلام / عبد الرسول زين الدين.

ويمكن الاستدلال على رجعة أمير المؤمنين عليه السلام من خلال فهمنا لموضوع (المبدأ والمعاد) استناداً لقوله تعالى: (كما بدأكم تعودون)، فالثابت أن رسول الله صلى الله عليه وآله مبدأ الأنبياء لقوله صلى الله عليه وآله (كنت نبياً وآدم بين الماء والطين) ، وهو خاتمهم بنص القرآن الكريم فهو الفاتح وهو الخاتم، وبما أن رسول الله صلى الله عليه وآله يقول (لكل نبي وصي) ، فوصي الخاتم هو خاتم الأوصياء.

فلو كان مفهوم الرجعة هو (ظهور القائم بعد غيبته كما يظن البعض) ، أو هي عودة الملك لآل

٣- الإمام الحسين بن علي عليه السلام .

عن حمران بن أعين قال: قال أبو جعفر عليه السلام لنا (إن أول من يرجع لجاركم الحسين بن علي عليه السلام ، فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر) ^(١) .
وعن أبي عبد الله عليه السلام قال (أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام ، وإن الرجعة ليست بعامة، بل هي خاصة ولا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً ومن محض الشرك محضاً) ^(٢) .

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال (قال الحسين بن علي عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله ﷺ قال لي: يا بني أنك ستساق إلى العراق وهي أرض قد ألتقى فيها النيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى (عمورا) ، وأنت لتستشهد بها ويستشهد جماعة معك من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد وتلا (يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) . تكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم، فأبشروا فوالله لئن قتلونا فأنا نرد على نبينا ﷺ . ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجة توافق ذلك خرجة أمير المؤمنين عليه السلام وقيام قائمنا عليه السلام وحياء رسول الله ﷺ ، ثم لينزلن علي وفد من السماء من عند الله عز وجل لم ينزلوا إلى الأرض قط، ولينزلن ألي جبرئيل وميكائيل وأسرافيل وجنود من الملائكة ولينزلن محمد ﷺ وعلي عليه السلام وأنا وأخي عليه السلام وجميع من من الله عليه في حمولات الرب، خيل بلق من نور

محمد ﷺ كما يقول مقصرة الشيعة، فهذا معناه أن القائم هو خاتم الأوصياء وبهذا فهو أفضل من الإمام علي عليه السلام ، وهذا قول باطل من كل الوجوه فعليه وجب رجوع الإمام علي عليه السلام كونه وصي الخاتم.

كما ورد حديث طويل عن رسول الله ﷺ في ذكر أحوال المعراج وما أوصى الله لنبيه ﷺ (...قال: يا محمد علي أول من أخذ ميثاقه من الأئمة عليهم السلام ، يا محمد: علي آخر من أقبض روحه من الأئمة وهو الدابة التي تكلم الناس...) ، مختصر بصائر الدرجات/ الحلي باب فضل الأئمة ح (٢٦/١٨٥) .
واضح من خلال الحديث أن قبض روح الإمام علي عليه السلام كونه آخر الأئمة لا يتحقق معناه إلا في الرجعة لان الثابت أن أمير المؤمنين أول الأئمة وأول من استشهد منهم، وهذا الحديث وغيره يدل على أن كل الأئمة راجعين وأنهم سيقبضون بعد أحداث الرجعة بترتيب عكسي أي يرفع الأئمة الثمانية (من الإمام السجاد إلى الإمام العسكري) ثم القائم ثم الحسين ثم الحسن ثم الإمام علي عليه السلام ، فيكون الإمام علي آخر من يقبض من الأئمة وبعدها يرفع رسول الله ﷺ ، فتحدث بعدها أحداث القيامة الكبرى لأنهم عليهم السلام إذا رفعوا من الأرض ساخت الأرض بأهلها.

(١) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/ باب ١٠ / ح ١٠٨ / ص ٣٥٩ .

(٢) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/ باب ١٠ / ح ١٠٩ / ص ٣٥٩ .

لم يركبها مخلوق....) (١).

٤- أئمة أهل البيت وأنبياء الله جميعاً.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له قول الله عزّ وجلّ ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ (٢)، قال (ذلك والله في الرجعة أما علمت أن أنبياء الله كثيراً لم يُنصروا في الدنيا وقُتلوا والأئمة قد قُتلوا ولم يُنصروا فذلك في الرجعة) (٣).

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ (٤) قال (ما بعث الله نبياً من لدن آدم وهلم جرا إلا ويرجع إلى الدنيا فينصر رسول الله ﷺ وأمير المؤمنين عليه السلام قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ يعني رسول الله ﷺ ولتنصرنه ﷺ أمير المؤمنين) (٥).

وهناك حديث شامل يصف رجعة كل الأئمة عليهم السلام.

عن المفضل بن عمر عن الصادق عليه السلام من حديث طويل قال عليه السلام (هيئات يا مفضل والله ليردّن وليحضرنّ السيد الأكبر محمد رسول الله ﷺ والصدّيق الأكبر أمير المؤمنين عليه السلام وفاطمة عليها السلام والحسن عليه السلام والأئمة عليهم السلام وكل من محض الإيمان محضاً..... ثم يظهر السيد الأجل محمد ﷺ في أنصاره والمهاجرين ومن آمن به وصدّقه وأستشهد معه، ويحضر مكذبوه الشاكون فيه والمكفرون والقائلون فيه أنه ساحر وكاهن ومجنون ومعلم وشاعر وناطق عن الهوى ومن حاربه وقاتله حتى يقتص منهم بالحق ويجازون بأفعالهم منذ وقت ظهور رسول الله ﷺ إلى وقت ظهور المهدي عليه السلام اماماً اماماً ووقتاً ووقتاً ويحقّ تأويل هذه الآية ﴿ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين. ونمكن لهم في الأرض ونري فرعون

(١) الإيقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ١٠/ ح ٩٥ / ص ٣٥١.

(٢) غافر/ ٥١

(٣) الإيقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ١٠/ ح ٧٧ / ص ٣٤٤.

(٤) آل عمران/ ٨١

(٥) الإيقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ١٠/ ح ٤٥ / ص ٣٣٣.

وهامان ﴿١﴾ (٢).

٥- أصحاب الحسين عليه السلام.

عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ (٣)، قال (خروج الحسين عليه السلام، يخرج في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهبة (٤) لكل بيضة وجهان). (٥).

وعنه عليه السلام قال (ويقبل الحسين عليه السلام في أصحابه الذين قُتلوا معه، ومعه سبعون نبياً كما بُعثوا مع موسى بن عمران عليه السلام، فيدفع إليه القائم عليه السلام الخاتم فيكون الحسين هو الذي يلي غسله وكفنه وحنوطه ويواري به في حفرته) (٦).

والمأمل يستنتج بوضوح أن أبو الفضل العباس عليه السلام على رأس قائمة أصحاب الحسين عليه السلام، فهو أخوه وناصره، وكذلك النساء فالسيدة زينب عليها السلام ونساء الحسين عليه السلام هنَّ جميعاً ممن يشملهم عنوان (من محض الإيمان محضاً) ولا شك في ذلك (٧).

ويمكن للمتابع لأحاديث الرجعة أن يُلاحظ وجود صمت عن شخصيات معينة مثل شخصية أبو الفضل العباس والسيدة زينب ((٣))، واعتقد ان هذا الصمت عن ذكر تفاصيل خاصة بهاتين الشخصيتين بالذات هو أمر مقصود، فأبو الفضل العباس والسيدة زينب ((٣)) لم يكن إعدادهم فقط ليشاركوا الإمام الحسين عليه السلام في واقعة الطف بل لنصرته أيضاً في رجعته، واني على يقين من إن هاتين الشخصيتين ستكونان من المفاجآت الكبيرة في زمن الرجعة، وباختصار شديد أقول: أن حامل الراية لم ينتهي دوره بعد، بل كربلاء لم تنتهي بعد، فكربلاء الدنيا كربلاء الماء والدم، وكربلاء الرجعة كربلاء الثأر والقصاص.

(١) القصص / ٥

(٢) مختصر البصائر/عز الدين بن سلمان الحلي/ تنمة ما تقدم من احاديث الرجعة (ح ٥/٥١٢) ص ٤٣٣ ٤٥٨.

(٣) الاسراء / ٦

(٤) البيض: الخوذة.

(٥) مختصر البصائر/عز الدين الحلي (٣٨/١٣٨) ص ١٦٤.

(٦) مختصر البصائر/عز الدين الحلي (٤٠/١٤٠) ص ١٦٥.

(٧) ورد في الزيارة الخاصة بأبي الفضل العباس (أني بكم وبإيابكم من المؤمنين).

أولاً: من محض الإيمان محضاً

٦- المسيح عيسى ابن مريم عليها السلام .

إذا كانت الرجعة بمعنى عودة أشخاص إلى الحياة الدنيا بعد الموت، فهذا المعنى لا ينطبق على (المسيح) كونه رُفِعَ، والنص القرآني يقول عنه ﴿اذ قال الله يا عيسى أي متوفيك ورافعك إلي﴾^(١)، والوفاة كما يقولون هو الرفع بالكلية، لذلك قالت الأحاديث أن المسيح ﷺ في آخر الزمان (ينزل) ولم تقل أنه (يرجع) ، فيما ذكرت أحاديث أخرى أنه بعد نزوله ﷺ وصلاته خلف الإمام المهدي ﷺ سيجري عليهم الموت فيموت المهدي ﷺ ويموت المسيح ﷺ كذلك، ثم يرجعون حالهم حال أنبياء الله الراجعون، ولكننا سنذكر حديث خاص بأحوال المسيح ﷺ كون له ظاهراً خاص بالمسيح ﷺ وباطناً خاص برسول الله ﷺ .

قوله تعالى ﴿وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقينا. بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزا حكيما. وان من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيدا﴾^(٢).

عن شهر بن حوشب قال: قال لي الحجاج: يا شهر، إن آية في كتاب الله قد أعيتني. فقلت: آية آية هي؟ فقال: قوله ﴿وان من اهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته﴾ والله إني لأمر باليهودي والنصراني فيضرب عنقه ثم أرُمقه بعيني فما أراه يُحرك شفثيه حتى يحمد. فقلت: أصلح الله الأمير ليس على ما تأولت، قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا فلا يبقى أهل ملّة يهودي ولا غيره إلا آمن به قبل موته، ويصلي خلف المهدي، قال: ويحك أنى لك هذه، ومن أين جئت به؟ فقلت حدثني به محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب ﷺ فقال: جئت بها والله من عين صافية^(٣).

ومعنى الحديث أن الحجاج أشكلت عليه الآية لأنها تتحدث عن المسيح ﷺ ، بمعنى ان الحجاج عندما كان يرى اليهودي والنصراني تُضرب عنقه لم يلاحظه انه يتكلم بذكر الرسول ﷺ أو إيمانه به، لان الحجاج ضن ان عبارة (ليؤمنن به قبل

(١) ال عمران/ ٥٥

(٢) النساء/ ١٥٧ ١٥٩.

(٣) تفسير القمي/ج١/ص١٦٥ ، كذلك تفسير البرهان/ للبحراني/ ج٢/ ص ٣٥١ ح ٢.

موته) عائدة على رسول الله ﷺ ، لذلك فهو يستغرب لماذا لا ينطق النصراني واليهودي الشهادة عند موته، لانه يفهم من الآية ان كل يهودي ونصراني سيؤمن برسول الله ﷺ قبل أن يموت لان عيسى ﷺ حي، علماً ان سياق الآية يتحدث عن أحوال المسيح ﷺ ولم يرد ذكر رسول الله ﷺ فيها، فكانت الآية عنده مشكلة لذلك قال (آية في كتاب الله قد أعيتني) ، فصحح له شهر بن حوشب المعنى وهو الذي سمعه من الإمام الباقر ﷺ ، كون الضمير في لفظة (به) (ليؤمنن به) عائداً على شخص المسيح ﷺ وليس على رسول الله ﷺ ، فيكون معنى الآية انه عندما ينزل المسيح ﷺ سيؤمن به كل اليهود والنصارى، ويصلي خلف المهدي عليه السلام قبل ان يموت المسيح ﷺ ، لانه لحد الآن حي فيجري عليه الموت بعد فترة من نزوله لكي يكون حجة على اليهود والنصارى كونه يؤمن بالرسالة المحمدية وبالمهدي عليه السلام ، فالمسيح ﷺ سيكون شهيداً على أمته لذلك ختمت الآية بقوله تعالى ﴿ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾.

فيما تعطي أحاديث أخرى معنى (باطن) للآية تصرفه باتجاه رسول الله ﷺ فهي كما يقول رسول الله ﷺ (ان للقرآن ظهر وباطن وللبطن بطن حتى سبعة ابطن) .

عن أبي عبد الله ﷺ في قول الله في عيسى ﷺ ﴿وان من اهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً﴾، فقال (إيمان أهل الكتاب انما هو بمحمد ﷺ) (١)، والحديث يشير بصورة واضحة إلى رجعة رسول الله ﷺ فيؤمن به كل الناس من كل الديانات.

٧- يوشع ودانيال عليهما السلام .

عن جابر عن أبي جعفر ﷺ قال (.....) وإن دانيال ويوشع عليهما السلام يخرجان مع أمير المؤمنين ﷺ يقولان: صدق الله ورسوله، ويبعث معهما سبعين رجلاً فيقتلون مقاتليهم ويبعث إلى الروم فيفتح الله لهم) (٢).

كما ذكرت الاحاديث السابقة إن جميع الأنبياء والأوصياء سيرجعون إلى الدنيا

(١) تفسير العياشي/ج١/ص٣١٠/ح٣٠٠، تفسير البرهان/البحراني/ج٢/ص٣٥١/ح٥٠.

(٢) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي.

أولاً: من محض الإيمان محضاً

لنصرة أمير المؤمنين وإن ذكر أسماء معينة كيوشع ودانيال وأسماعيل بن حزقيال عليه السلام بالخصوص هو أمر له خصوصية مع هؤلاء الأنبياء عليهم السلام كما سنلاحظ من قصة (أسماعيل بن حزقيال) .

٨- أسماعيل بن حزقيال عليه السلام .

عن يزيد بن معاوية العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله صلى الله عليه وآله أخبرني عن أسماعيل الذي ذكره الله تعالى في كتابه حيث يقول ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١)، أكان أسماعيل بن إبراهيم عليه السلام؟ فإن الناس يزعمون أنه أسماعيل بن إبراهيم عليه السلام . فقال عليه السلام (إسماعيل مات قبل إبراهيم عليه السلام وأن إبراهيم عليه السلام كان حجة لله قائماً صاحب شريعة فألى من أرسل أسماعيل إذاً)؟ قلت: فمن كان جعلت فداك؟ قال عليه السلام (ذاك أسماعيل بن حزقيال النبي عليه السلام ، بعثه الله إلى قومه فكذبوه وقتلوه وسلخوا وجهه، فغضب الله تعالى عليهم فوجه إليه سطا طائيل - ملك العذاب - فقال له: يا إسماعيل أنا سطا طائيل ملك العذاب وجهني رب العزة إليك لأعذب قومك بأنواع العذاب أن شئت. فقال له إسماعيل: لا حاجة لي في ذلك يا سطا طائيل. فأوحى الله إليه: ما حاجتك يا إسماعيل؟ فقال أسماعيل: يا رب أنك أخذت الميثاق لنفسك بالربوبية ولمحمد بالنبوة ولأوصيائه بالولاية وأخبرت خير خلقك بما تفعله أمته بالحسين بن علي عليه السلام من بعد نبيها، وأنتك وعدت الحسين عليه السلام أن تُكْرَهَ إلى الدنيا حتى ينتقم بنفسه ممن فعل ذلك به، فحاجتي إليك يا رب أن تُكْرِنِي إلى الدنيا حتى أنتقم ممن فعل بي ما فعل كما تُكْرِنِي الحسين عليه السلام . فوعد الله عز وجل أسماعيل بن حزقيال ذلك فهو يكرّ مع الحسين بن علي عليه السلام ..).^(٢)

(١) مريم / ٥٤

(٢) الايقاظ من الهجعة / الحر العاملي / باب ١٠ / ح ٤٢ / ص ٣٣٠ .

٩- جميع الأنبياء والمرسلين.

قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلم جراً إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ، ﴿وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام . ثم قال لهم في الذكر ﴿أَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَلِكُمْ أَصْرِي﴾ أي عهدي ﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا﴾ قال الله للملائكة ﴿فَأَشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٢)، وقد تكلمنا عن هذه الآية في الفصل الأول فراجع.

١٠- أحاديث وردت فيها أسماء مخصوصة.

وردت عدة أحاديث تذكر أسماء أشخاص معينين وهم من أولاد الأئمة وأصحابهم مثل اسماعيل بن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ، وعبد الله بن شريك العامري^(٣)، وداود الرقي وحرمان بن أعين، وميسر بن عبد الله، وربما غيرهم^(٤).

١١- عجة أسماء في حديث واحد.

ما رواه الشيخ المفيد في (الأرشاد) قال: روى المفضل بن عمر، عن أبي عبد الله عليه السلام أنه قال: (يخرج القائم عليه السلام من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجانة الأنصاري، والمقداد، ومالك

(١) آل عمران/٨١.

(٢) تفسير القمي/ج ١ / ص ١١٤، كذلك تفسير البرهان/البحراني/ج ٢ / ص ٦٠ / ح ٢.

(٣) يكنى أبا المحجل، روى عن علي بن الحسين عليه السلام وعن أبي جعفر عليه السلام ، وكان عندهما وجيهاً مقدماً، وأنه من حوارى الإمامين الباقرين ((٣))، عده الرقي من أصحاب الإمام الباقر عليه السلام ، وزاد الشيخ عليه الإمام الصادق عليه السلام .

(٤) عن أبي عبد الله عليه السلام قال (أني سألت الله عز وجل في إسماعيل أن يبقيه بعدي فأبى، ولكنه قد أعطاني فيه منزلة أن يكون أول منشور في عشرة من أصحابه وفيهم عبد الله بن شريك العامري وفيهم صاحب الراية) . عن أبي جعفر عليه السلام قال (كأني بعبد الله بن شريك العامري عليه عمامة سوداء ذؤابتها بين كتفيه مّصعد في كف الجبل بين يدي قائمنا أهل البيت في أربعة آلاف يكرون ويكرون) . نظر أبو عبد الله عليه السلام إلى داود الرقي وقد وليّ فقال (من سره أن ينظر إلى رجل من أصحاب القائم عليه السلام فليُنظر إلى هذا) .

أولاً: من محض الإيمان محضاً

الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً^(١).

يحدد الحديث هنا أن الإمام القائم عليه السلام يخرج هؤلاء من ظهر الكوفة (التي هي النجف) ، علماً أن بعض قبور هؤلاء خارج الكوفة كسلمان، وكذلك هنا تحديد لمكان أصحاب الكهف، وفي الحديث الكثير من التأمل لمن أراد التأمل، وسيكون هذا المعنى الذي ورد في الحديث واضحاً للقارئ الكريم عندما نصل إلى الفقرة الخاصة بشرح آية ومكان وزمان الرجعة في الفصول القادمة إذ سنشرح كيفية جمع هذه الشخصيات في مكان واحد فتابع.

والمجاميع الراجعة في هذا الحديث على ثلاثة أقسام حسب انتمائهم العقائدية فهم صنفوة مُنتخبة للأديان الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلامية) .

المجموعة الأولى: وهي الأمة العاملة من قوم موسى عليه السلام الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وهم المعنيون قرآنياً بقوله تعالى ﴿ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون﴾^(٢)، ويضاف إليهم يوشع بن نون عليه السلام وصي نبي الله موسى

(١) ارشاد المفيد: ٢: ٣٨٦ كذلك الأيقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩/ ح ٢٧/ ص ٢٥٨
(٢) الاعراف/ ١٥٩.

عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)، قال قوم موسى هم أهل الإسلام. العياشي/ ج ٢ / ص ٣٥ / ح ٨٩.
وفي حديث آخر عن الإمام علي عليه السلام عند كلامه مع راس الجالوت من حديث طويل نأخذ منه موضع الحاجة، قال الإمام علي: (..... كذبت والله الذي لا اله إلا هو لقد أفرقت على إحدى وسبعين فرقة (يعني أمة موسى) كلها في النار إلا واحدة فان الله يقول: (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون) فهذه التي تنجو). تفسير العياشي/ ج ٢ / ص ٣٥ / ح ٩١
روى صاحب الكشاف في كتابه: أن بني إسرائيل لما عبدوا العجل تبرأ سبط منهم ولم يدخل فيما صنعوا، وسأل الله ان يفرق بينهم وبين قومهم، ففتح الله لهم نقباً في الأرض فساروا وفارقوا قومهم، فلما بُعث النبي عليه السلام وعرج به إلى السماء أقدمه جبرئيل عليه السلام عليهم فأسلموا على يده وعلمهم الحدود والاحكام وعرفهم شرائع الإسلام وهم باقون يعبدون الله تعالى على الملة الإسلامية والشريعة المحمدية). منتحب الأنوار المضيئة/ للنيلي النجيفي/ ص ١٥.
وتقول الأخبار أيضاً ان ذي القرنين التقى بهم، ورد في كتاب (كمال الدين وتمام النعمة) من خبر طويل عن أحوال ذي القرنين ولقائه بالأمة العاملة. نقل منه موضع الحاجة (فبينما هو يسير إذ وقع إلى الأمة العاملة الذين هم من قوم موسى الذين (يهدون بالحق وبه يعدلون) ، فوجد أمة مقسطة يقسمون بالسوية ويحكمون بالعدل ويتواسون ويتراحمون حالهم واحد وكلمتهم واحدة وقلوبهم مؤتلفة وطريقتهم مستقيمة وسيرتهم جميلة وقبور موتاهم افنيتهم وعلى ابواب دورهم وبيوتهم وليس لبيوتهم ابواب وليس عليهم امراء وليس بينهم قضاة وليس فيهم اغنياء ولا ملوك ولا اشراف ولا يتفاوتون ولا يتفاضلون ولا يختلفون ولا يتنازعون ولا يستبون ولا يقتتلون ولا تصيبهم الآفات.....) .

ﷺ .

المجموعة الثانية: هم أصحاب الكهف وهؤلاء تواجدوا في الفترة بين عيسى ﷺ ورسول الله محمد ﷺ ، فهم بهذا المعنى على دين المسيحية، وهم حسب النص القرآني (رقود) ﴿وتحسبهم أيقاظ وهم رقود﴾^(١).

المجموعة الثالثة: أشخاص معينون من أمة الرسول الكريم محمد ﷺ وهم سلمان وأبو دجانة الأنصاري والمقداد ومالك الأشتر، وكما تلاحظ أن هؤلاء من خواص المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ .

ويبدو أن هؤلاء سيرجعون بطريقة تختلف عن الباقين إذ سنوضح لاحقاً أن عموم الراجعين سيرجعون بفعل المطرة التي ستستمر لمدة أربعين يوماً، أما هؤلاء فيقول الحديث ان القائم عليه السلام هو الذي يخرجهم لخصوصية لهم كونهم سيصبحون أنصاراً وحكاماً، وإن هذه التعددية الموجودة في هذه المجاميع الثلاثة كونها صفة منتقاة من الأديان الثلاثة الكبيرة يُشير إلى ان هذه الشخصيات ستكون شهود على أحداث كبيرة وجسيمة حدثت في هذه الأمم الثلاثة تخص موضوع مُعين وهو لماذا اختلفت هذه الأمم بعد رحيل أنبيائها، ونعتقد أن هذا الموضوع متعلق بأوصياء الأنبياء وتحريف الكتب المقدسة، لأن كل هذه المجاميع الثلاثة مرتبطة ارتباط واضح مع (أوصياء) أنبياء الديانات الثلاثة الكبيرة، ولعل هناك مصداق قرآني للحديث بقوله تعالى ﴿ويوم نبعث في كل أمة شهيداً عليهم من أنفسهم﴾^(٢).

والواضح ان هذه الامة ليسوا في هذا العالم فهم يعيشون بطريقة مثالية، وان امة بهذه المواصفات لايد وانها تعيش في أفق آخر (برزخي) ، أو كما معبر عنه فيزيائياً انهم متواجدون في فضاء موازي لفضائنا، ودليل ذلك طريق عيشهم المثالية والطريق الذي فتح لهم في الأرض بعد مفارقتهم لقومهم ولقاء رسول الله ﷺ في المعراج النبوي فلا يمكن ان يتم هذا اللقاء إلا إذا كانوا فعلاً متواجدون لغاية ظهور الرسالة المحمدية، ولا يمكن تفسير وجودهم إلى تلك الفترة بالقياسات العادية، إلا إذا كانوا فعلاً في فضاء آخر موازي لنا، أي كما يقولون في عالم برزخي. وسنشرح بشكل مفصل لاحقاً بعض المفاهيم الفيزيائية مثل (الفضاء الموازي) وتعدد العوالم) .

(١) الكهف/ ١٨

(٢) النمل/ ٨٩.

١٢- حديث جامع.

بصورة عامة الأشخاص الذين تشملهم الرجعة ولم ترد أسمائهم في الأحاديث، فهناك حديث جامع لهذه الحالة.

عن المفضل بن عمر قال: ذكر القائم عليه السلام: ومن مات من أصحابنا ينتظره، فقال أبو عبد الله عليه السلام (إذا قام أتى المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا أنه قد ظهر صاحبك فأن شئت أن تلحق به فالحق وأن تشاء أن تقيم في كرامة ربك فأقم) (١).

فالحديث يحدد صراحةً ان الرجعة تشمل كل المنتظرين الحقيقيين على امتداد الزمن ممن أدركهم الموت ولم يروا القائم عليه السلام.

(١) الغيبة للطوبى: ٤٥٨/٤٧٠، وكذلك الايقاظ من الهجعة/باب ٩/٧٧/ص ٢٧٩.

ثانياً: من محض الكفر محضاً

وهؤلاء من وصلت بهم درجة الكفر إلى نقطة اللاعودة من الظلمة والجبابرة والفراغة وأتباعهم ممن عادى الأنبياء والأولياء والصالحين ووقفوا في وجوههم وهم عبارة عن قيادات الذين كفروا وأتباعهم وكل من رضي بفعالهم.

والواضح من خلال متابعة أحاديث الرجعة الخاصة هؤلاء أنهم ينتمون إلى الديانات الثلاثة الكبرى (الإسلام والمسيحية واليهودية) ، فهذه الأمم لم يقع عليها العذاب الالهي، فمن أنتسب إليها من محض الكفر محضاً لا بد وان يكون من الراجعين، ولكن الأحاديث تذكر بكثرة أشخاص ومجاميع من أمة محمد ﷺ بالذات، وهم من ناصب العداء للرسول الكريم ﷺ وأهل بيته ﷺ، وهم من الكثرة بمكان، فما من إمام من آل محمد ﷺ إلا وتجد أمامه جبابرة وفراغة، وهم أنفسهم الذين عادوا رسول الله ﷺ في فترة بعثته وآذوه في أهل بيته ﷺ، والذين قاتلوا الإمام علي ﷺ في حروبه، والذين قتلوا الزهراء عليها السلام، والذين عادوا الإمام الحسن ﷺ وقتلوه، والذين قتلوا الإمام الحسين ﷺ ، وناصبوا العداء لأئمة اهل البيت ﷺ على طول الزمن، ويشملهم أيضاً من يعادي قائم آل محمد ﷺ وشيعته في غيبته، وبصورة عامة (الذين محضوا الكفر محضاً) هم نقيض (الذين محضوا الإيمان محضاً) ، وقد ورد ذكرهم بشكل كلي في عبارة من عبارات دعاء صنمي قريش (اللهم عنهم في مكنون السر وظاهر العلانية لعناً كثيراً دائماً ابداً دائماً سرمداً لا انقطاع لامده ولا نفاذ لعدده لعناً يغدو اوله ولا يروح اخره لهم ولا عوانهم وانصارهم ومحبيهم ومواليهم والمائلين اليهم والناهضين باجنتهم والمقتدين بكلامهم والمصدقين باحكامهم)، ومن اراد معرفة المزيد عن أحوالهم فليراجع كتب الرجعة وسنذكر بعض من الأحاديث التي تشرح أحوالهم.

عن جابر بن يزيد، عن أبي عبد الله ﷺ قال (أن علي ﷺ إلى الأرض كربة مع الحسين ﷺ صلوات الله عليهما، يقبل برايته حتى ينتقم له من بني أمية ومعوية وآل معاوية..... فيقتلهم في صفين مثل المرة الأولى.....) (١).

ثانياً: من محض الكفر محضاً

قال أبو عبد الله عليه السلام (إن أول من يكر إلى الدنيا الحسين بن علي عليهما السلام وأصحابه، ويزيد بن معاوية وأصحابه، فيقتلهم حذو القذة بالقذة، ثم قراء أبو عبدالله عليه السلام ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) ^(١).

كما وردت لائحة بأسماء الملعونين في زيارة عاشوراء ^(٢)، وهم من الطواغيت ممن محض الكفر محضاً، ومنها (لعن الله آل زياد وآل مروان، ولعن الله بني أمية قاطبةً، ولعن الله ابن مرجانة، ولعن الله عمر بن سعد، ولعن الله شمراً، ولعن الله أمة أسرجت وألجمت وتنقبت لقتالك).

ومنها (اللهم ألعن أبا سفيان ومعاوية ويزيد بن معاوية عليهم منك اللعنة أبد الآبدين).

ومنها (اللهم ألعن أول ظالم ظلم حق محمد وآل محمد، وآخر تابع له على ذلك، اللهم ألعن العصاة التي جاهدت الحسين وشايعت على قتله اللهم ألعنهم جميعاً).

ومنها (اللهم خص أنت أول ظالم باللعن مني وأبدأ به أولاً ثم ألعن الثاني والثالث والرابع، اللهم ألعن يزيد خامساً وألعن عبيدالله بن زياد وأبن مرجانة وعمر بن سعد وشمراً وآل أبي سفيان وآل زياد وآل مروان إلى يوم القيامة). وطبعاً هذا المستوى يشمل كل من أحبهم ورضى بفعالهم فهي كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (المرء يُحشر مع من يحب).

وورد حديث يحدد أن كل من يبغض آل محمد عليهم السلام فهو ممن محض الكفر محضاً ويُحشر مع الدجال.

عن أبي سعيد الخدري قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: في خطبته (أيها الناس من أبغضنا آل البيت بعثه الله يهودياً لا ينفعه إسلامه وان أدرك الدجال آمن به وأن مات بعثه الله من قبره حتى يؤمن به) ^(٣).

(١) تفسير البرهان/ البحري/ ج ٤ / ص ٥٣٦ / ح ٩.

(٢) زيارة عاشوراء: وهي من الزيارات المشهورة جداً الخاصة بزيارة الإمام الحسين عليه السلام وقد ذكرتها كل كتب الأدعية والزيارات.

(٣) أمالي الصدوق/ ٣٠٦ / المجلس ٥٠ ، بحار الانوار/ المجلسي: ٣٨ / ح ٢.

ثانياً: من محض الكفر محضاً

والحديث يشير بشكل مباشر إلى موضوع رجعة من محض الكفر محضاً لأنهم ممن ييغض آل محمد ﷺ ، فالحديث يقول (وان مات بعثه الله من قبره حتى يؤمن به) ، فهؤلاء ممن مات قبل الدجال وينشرون في الرجعة ليؤمنوا به، وفي الحديث دلالة على كون أحداث الدجال مرافقة لأحداث الرجعة، مما يعزز كون ظهور الدجال بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام بفترة معتد بها ويؤيده الحديث التالي.

عن أبي ذر أنه أخذ باب الكعبة وأسند إليها ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (من قاتلني في الأولى وقاتل أهل بيتي في الثانية حشره الله مع الدجال، وانما مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق) (١).

وربما يقول البعض أن الأحاديث تذكر ان الراجعين ممن محض الكفر محضاً سيقاتلون من محض الإيمان محضاً فهل سيرجعون للقتال أم للتعذيب؟ نعم الأحاديث واضحة كونهم يقاتلون ما حضي الإيمان ولكن مألم النهائي إلى العذاب وهو مصداق قوله تعالى ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وانهم لكاذبون﴾ (٢).

(١) أمالي الطوسي/ ٨٨/٦٠، كذلك في الايقاظ من الهجعة/باب ٩/ ١٧ح/١٧٣ص ٢٥٣.

(٢) الانعام/ ٢٨.

من هم غير المشمولين بالرجعة

هناك أصناف من الناس حددتهم الآيات والأحاديث بعدم شمولهم بالرجعة وهم:

١ - قوله تعالى ﴿وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾^(١).

عن الإمام الصادق عليه السلام قال (كل قرية أهلك الله أهلها بالعذاب لا يرجعون في الرجعة، أما في القيامة فيرجعون. ومن محض الإيمان محضاً وغيرهم ممن لم يهلكوا بالعذاب، ومحض الكفر محضاً يرجعون)^(٢).

واضح من خلال الحديث أن الأمم التي نزل عليها العذاب الالهي والتي وردت قصصهم في القرآن الكريم غير مشمولين بالرجعة وهم (قوم نوح قوم عاد قوم ثمود قوم فرعون قوم شعيب قوم لوط) ، وكذلك بقية الأمم التي لم ترد تفاصيل عذابهم بصورة مفصلة في القرآن، كما في قوله تعالى ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِنْ بَعْدِ نُوحٍ﴾^(٣).

أما أنبياء هذه الأمم فهم مشمولين بالرجعة، كما ورد في الأحاديث السابقة أن كل أنبياء الله من آدم عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيرجعون لأنهم لم يشملهم العذاب الالهي الذي وقع على أممهم فهم ممن (محض الإيمان محضاً) .

وفي الآية دلالة واضحة على وجود حشر أصغر قبل الحشر النهائي (كما ذكرنا سابقاً) ، فإذا كان قصد الآية الكريمة أن الذين أهلكوا بالعذاب في الدنيا (لا يرجعون) في الحشر النهائي فهذا يخالف صريح القرآن الكريم، لأن كل الأمم والمخلوقات راجعة ومحشورة يوم القيامة، فلا بد أن يكون قصد الآية هو حشر آخر قبل يوم القيامة وهو رجوعهم وحشرهم يوم الرجعة.

٢ - الصنف الآخر هم الذين وردت تسميتهم في الأحاديث بعبارة (يُلهى عنهم) .

عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي جعفر عليه السلام قال (لا يُسأل في القبر إلا من

(١) الانبياء/٥٩.

(٢) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩ / ح ٢٣ / ص ٢٥٥.

(٣) الاسراء/١٧.

محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً. ولا يُسأل في الرجعة إلا من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً). قلت له: فسائر الناس؟ فقال (يلهي عنهم) (١).

وهؤلاء هم حالة وسطية ، فلا هم إلى هؤلاء ولا هم إلى هؤلاء، فلا هم من اتباع قيادات الذين امنوا، ولا هم من اتباع قيادات الذين كفروا^(٢)، وسيأتيك كلام مُفصل حول الاحتمالات الخاصة بأحوال هؤلاء في الرجعة عند تحليلنا لقوله تعالى ﴿لو أن قراناً سُيرت به الجبال أو قُطعت به الأرض أو كُلّم به الموتى﴾^(٣) في الفصل الخاص بتحليل (آيات لها علاقة بالرجعة) ، إذ سنقوم بعملية توضيح للمواضيع القرآنية التالية (إحياء الموتى) و (أخراج الموتى) و (بعث الموتى) و (تكليم الموتى) ، وستلاحظ ان هذا الموضوع له علاقة بآية قرآنية أخرى وهي قوله تعالى ﴿قالوا ربنا أمتنا أثنتين وأحييتنا أثنتين فأعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾^(٤)، وستلاحظ أيضاً علاقة هذه الآيات مع الحديث الوارد عن آل محمد ﷺ والذي يحدد ان بعض الراجعين يعيشون فقط ثلاثون شهراً ثم يموتون في ليلة واحدة فتابع.

٣- عن أبي جعفر عليه السلام (إذا كان يوم القيامة احتج الله على سبعة على الطفل والذي مات بين النبيين والشيخ الكبير الذي أدرك النبي وهو لا يعقل والأبلة والمجنون الذي لا يعقل والأصم والأبكم، فكل واحد يحتج على الله عز وجل. قال: فبيعت الله تبارك وتعالى إليهم رسولاً فيؤجج لهم ناراً ويقول أن ربكم يأمركم ان تثبوا فيها ومن وثب نجا وكانت عليه برداً وسلاماً ومن عصى سيق إلى النار) (٥).

(١) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩/ ح ٨٥/ ص ٢٨٢.
(٢) يقول الشيخ الاحسائي (والسؤال انما هو لمن عرف ليسأل عما يعرف، فذلك ممن لم يمحض الإيمان والكفر، ولا يجوز ان يسأل عما لا يعرف او يعاتب عنه، فيلهي عنه ويترك في قبره حتى تأكل الأعراض ما فيه من الأعراض المانعة من فهمه للتكليف..... حتى يأتي يوم القيامة وهو كغيره من قوة التعقل فيجدد له التكليف ويسأل بان يؤمر بدخول النار المسماة بالفلق، فإن أطاع دخل الجنة وإن عصى دخل النار، نعم قد يُسأل بعض من لم يمحض عما عرف وما لم يعرف يلهي عنه إلى يوم القيامة، ولايسأل عن الكل إلا من عقل الكل). جوامع الكلم / الرسالة القطيفية/ ج ٨/ ص ٧٢٤.

(٣) الرعد/ ٣١.

(٤) المؤمن / ١١.

(٥) من لا يحضره الفقيه / القمي / ج ٣/ ص ٤٩٢/ ح ٤٧٤٢

من هم غير المشمولين بالرجعة

وهؤلاء ممن لا تشملهم الرجعة فيبقون هكذا إلى يوم يُعثنون مع كافة الخلائق ينتظرون الحشر النهائي في القيامة النهائية، وبما ان هؤلاء ليس عليهم حساب لانهم حالات خاصة فلا بد ان يجدد لهم تكليف وهذا التكليف هو نفسه التكليف الذي جرى على الخلائق في عالم الذر عندما جائهم النداء ﴿الست بربكم قالوا بلا﴾^(١)، ويبدو ان هؤلاء لم تكن لهم أجابة واضحة تحدد مسيرتهم في عالم التكليف لذلك جاؤا إلى الدنيا بهذه الأحوال السبعة التي يذكرها الحديث، وبما ان الخلائق في عالم الذر الذين أجابوا بلى عُرض عليهم الدخول إلى النار فدخل بعضهم فكانت عليهم برداً وسلاماً، فكذلك هؤلاء يُعاد عليهم نفس التكليف ليتم من خلاله دخولهم إلى النار أو إلى الجنة.

٤- من خلال متابعة مفردة (يرجعون) في القرآن الكريم نجد الآتي:

اولاً: قوله تعالى ﴿صم بكم عمي لا يرجعون﴾^(٢).

لعل هذه الآية مصداق لقولهم ﷺ (يُلهى عنهم) ، فالآية المباركة تصف هذه المجموعة بأنهم (لا يرجعون) ، وحالهم حال الذين وصفهم قوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكتها أنهم لا يرجعون﴾ ، فالآية تذكر مجموعة لا تفقه هذا الأمر لأنهم (صم) (بكم) (عمي) في هذه الحياة الدنيا كما ذكر الحديث السابق عن المجنون والأبله والذي لا يعقل فهم غير مشمولين بالرجعة لأنهم (يُلهى عنهم) .

ثانياً: قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الوعد أن كنتم صادقين. ما ينظرون إلا صيحةً واحدةً تأخذهم وهم يخضمون. فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون﴾^(٣).

(١) وعالم الذر عالم سابق عرض فيه التكليف على الخلائق توضحه الآية التالية، قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم إلت بربكم قالوا بلى شهدنا ان تقولوا يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين) (الاعراف/١٧٢) .

عن أبي جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل (وإذ أخذ ربك من بني آدم.....) الآية، قال: (أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم وأراهم نفسه، ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه) (تفسير البرهان للبحراني/ج٣/ ص ٢٣٦ / ح ٣) .

عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله (وإذ أخذ ربك من بني آدم.....) الآية) قال: (ثبتت المعرفة في قلوبهم ونسوا الموقف وسيذكرونه يوماً ما، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ومن رازقه) (تفسير البرهان/للبحراني/ج٣/ ص ٢٣٩ / ح ١٤) .

(٢) البقرة/١٨.

(٣) يس/ ٤٨ .٥٠

عن علي بن إبراهيم قال: ذلك في آخر الزمان يصاح فيهم صيحة وهم في أسواقهم يتخاصمون فيموتون كلهم في مكانهم لا يرجع أحد منهم إلى منزله ولا يوصي بوصية، وذلك قوله ﴿فلا يستطيعون توصيةً ولا إلى أهلهم يرجعون﴾^(١).

من خلال النظر في جو الآية المباركة أن هؤلاء تم أبادتهم بالصيحة، والصيحة هي عذاب الله النازل على الأمم الكافرة، وبما أنهم شملهم العذاب الإلهي في هذه الدنيا فهم (لا يرجعون) لأنهم مشمولين بقوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾.

ثالثاً: قوله تعالى ﴿وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون﴾^(٢).

من خلال متابعة السياق القرآني الذي وردت فيه هذه الآية المباركة وهو قوله تعالى ﴿وإذ قال إبراهيم لأبيه وقومه أني براء مما تعبدون. إلا الذي فطرنى فإنه سيهدن. وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون﴾^(٣).

إن الضمير في (عقبه) عائد لإبراهيم عليه السلام، فهذه الذرية ستخرج من عقب إبراهيم عليه السلام، وكما هو معلوم وواضح أن رسول الله وآل بيته صلوات الله عليهم اجمعين قد أخذوا من ذرية إسماعيل عليه السلام ابن إبراهيم عليه السلام، وأستمرت النبوة من خلال إسماعيل عليه السلام إلى أن وصلت إلى رسول الله ﷺ، ثم توارث آل البيت عليهم السلام هذه المناصب وعلم رسول الله ﷺ لأنهم أئمة هادون مهديون.

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عزّ وجلّ ﴿وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه﴾، قال (هي الإمامة، جعلها الله عزّ وجلّ في عقب الحسين عليه السلام باقية إلى يوم القيامة)^(٤).

وقد وردت الكثير من الأحاديث حول هذه الآية تحمل المعنى نفسه، ولكن المفسرين لم يذكروا لنا كلام حول عبارة (لعلهم يرجعون) في الآية نفسها، وقد يتصور البعض أن عبارة (لعلهم يرجعون) هي لمخاطبة الذين كفروا، أي أن الآية معناها أن الله قد جعل الإمامة (الكلمة) في أعقاب الأنبياء، لعل الذين كفروا

(١) تفسير البرهان/ البحراني/ج٦/ ص ٣٩٨/ح ١

(٢) الزخرف/٢٨.

(٣) الزخرف/٢٦ ٢٨.

(٤) تفسير البرهان/ للبحراني/ج٧/ ص ١١٤ / ح ١.

من هم غير المشمولين بالرجعة

يرتدون أو يرجعون عن غيرهم وظلالهم، وأن هذا المعنى وأن كان يوحي بصحته، لأن إبراهيم عليه السلام كان يخاطب (أبيه وقومه) وهم من الكافرين برسالته، إلا أن هذا المعنى غير صحيح.

علي بن إبراهيم: (في معنى الآية): ثم ذكر الله الأئمة عليهم السلام فقال (وجعلها كلمةً باقيةً في عقبه لعلهم يرجعون) ﴿يعني فأنهم يرجعون أي الأئمة عليهم السلام إلى الدنيا﴾^(١).

إذن فالآية تتحدث عن رجعة الأئمة إلى هذه الدنيا في أحداث الرجعة، لان الإمامة باقية إلى يوم القيامة^(٢).

رابحاً: قوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾^(٣).

عن المفضل بن عمر قال: سألت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ قال (الأدنى غلاء السعير، والأكبر المهدي عليه السلام بالسيف)^(٤).

روي عن الإمام الصادق عليه السلام (أن الأدنى: القحط والجذب، والأكبر القائم المهدي عليه السلام بالسيف آخر الزمان)^(٥).

وكما نلاحظ من خلال الأحاديث أن (العذاب الأدنى) كما عرفه الأئمة عليهم السلام بأنه (غلاء السعير- القحط الجذب) ، وهو لا يؤدي إلى هلاك هذه الأمم أو المجاميع بالمرّة، بل يؤثر بها ولا ينهاها من الوجود، فهذه المجاميع المخاطبة في هذه الآية وقعت عليهم عقوبة تأديبية ليس الهدف منها أئهاء وجودهم، فهم مشمولون

(١) تفسير البرهان/للبحراني/ج٧/ ص ١١٩ / ح ١٢ كذلك تفسير القمي/ج٢/ ص ٢٥٦.
(٢) لعل البعض يقول ان رجعة الائمة عليهم السلام حتمية بدلالة النصوص الروائية وان الآية وان كانت تشير الى معنى رجوع الائمة عليهم السلام الا ان لفظة (لعل) في الآية هو للتمني او للترجي ولا تفيد القطع؟ قد ورد في الاحاديث ان (لعل) و (عسى) على الله موجبة، عن الامام الحسن العسكري عليه السلام (في قوله يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون) قال (لعل) من الله واجب) الاصول الاصيلية. عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى (خلطوا عملا صالحا واخر سيئا عسى الله ان يتوب عليهم) قال (عسى) من الله واجب وانما نزلت في شيعتنا المذنبين) الاصول الاصيلية (٣) السجدة/٢١.

(٤) تفسير البرهان/للبحراني/ج٦/ ص ٢٠٨/ ح ٣

(٥) تفسير البرهان/للبحراني/ج٦/ ص ٢٠٩ / ح ٧

بالرجعة في زمن القائم عليه السلام ليدوقوا (العذاب الأكبر) ، لذلك عقّب بعدها بقوله (لعلهم يرجعون) .

علي بن إبراهيم في قوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون﴾ قال: عذاب الرجعة بالسيف، ومعنى قوله (لعلهم يرجعون) يعني فأثمم يرجعون في الرجعة حتى يُعذبوا^(١).

وهناك أمر آخر تتحدث عنه آيات أخرى في السياق نفسه لسورة السجدة قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون. ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون. ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مريّة من لقائه وجعلناه هُدًى لبني إسرائيل﴾^(٢).

لاحظ أنه بعد ذكر (العذاب الأدنى) و (العذاب الأكبر) عقّب بعدها بوصف حال هؤلاء المنكرين بقوله ﴿ومن أظلم ممن ذكر آيات ربه فأعرض عنها﴾، وبعدها تحولت الآيات إلى ذكر موسى عليه السلام و (الكتاب) والمخاطب هنا هو رسول الله صلى الله عليه وآله بقوله ﴿فلا تكن في مريّة من لقائه﴾، أي لقاء موسى عليه السلام ، فكيف يلتقى رسول الله صلى الله عليه وآله موسى عليه السلام وهو جاء بعده بألاف السنين، أن الآيات المباركة تشير إلى حدوث هذا اللقاء في الرجعة كما أشارت إليه الكثير من المرويات بأن أنبياء الله سينصرون رسول الله صلى الله عليه وآله ومنهم موسى عليه السلام^(٣).

خامساً: قوله تعالى ﴿أولم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون أنهم إليهم لا

(١) تفسير البرهان/ للبحراني/ ج٦/ ص ٢٠٨ / ح (١) قوله تعالى: (خلطوا عملاً صالحاً وأخر سيئاً عسى الله ان يتوب عليهم) (التوبة/١٠٢) . عن الصادق عليه السلام (عسى موجبة) . تفسير البرهان/ البحراني/ ج٣ / ص ٤٨٣ / ح ٢ و (عسى) هنا ليست للتمني كما هو المعروف في الاستخدام اللغوي لان الله لا يتمنى ولا يتردد لذلك اثبت الحديث هذه الحقيقة بقوله عليه السلام (عسى موجبة) وهذا يدل ان للقرآن معاني وأساليب تختلف عما هو معمول به ومتعارف عند اللغويين، ولا يمكن معرفة قصد الاله إلا من خلال الأخذ من حملة القرآن أنفسهم وهم الذين قال عنهم رسول الله صلى الله عليه وآله (كتاب الله وعترتي اهل بيتي) . والذي يدور في خاطري القاصر ان هذا المعنى يمكن عكسه على قوله تعالى: (لعلهم يرجعون) (فلعل) هنا ليست للتردد او للاحتمالات بل أنهم (يرجعون) والمعنى نستشفه من الحديث أعلاه كون (عسى موجبة) . لذلك قال (ومعنى قوله (لعلهم يرجعون) يعني فأثمم يرجعون في الرجعة حتى يُعذبوا) .

(٢) السجدة/ ٢١ ٢٣

(٣) وبإمكانك عزيزي القارئ مراجعة الفصل الخاص (بمناقشة آيات قرآنية ذات علاقة بالرجعة في نهاية البحث) لمعرفة ما قلناه حول تكلمة آيات سورة السجدة (٢٧ ٢٨ ٢٩ ٣٠) فتابع.

يرجعون ﴿١﴾.

وهي واضحة الدلالة كون الذين ﴿أهلكنا قبلهم من القرون﴾ قد وقع عليهم العذاب الالهي فهم غير مشمولين بالرجعة لذلك عقب بعدها مباشرة بقوله تعالى ﴿أنهم إليهم لا يرجعون﴾ وقوله تعالى ﴿وكم أهلكنا من القرون من بعد نوح﴾، وقوله تعالى ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾، فكل هذه الآيات تتحدث عن أقوام لا تشملهم الرجعة.

سادساً: قوله تعالى ﴿ولو نشاء لمسخناهم على مكانتهم فما استطاعوا مضياً ولا يرجعون﴾ (٢).

قال بعض المفسرين حول هذه الآية أن قوله تعالى (لا يرجعون) أي أنهم بعد مسخهم لا يرجعون إلى حالتهم الأصلية، والمعنى وأن كان صحيحاً إلا أن جو الآية يشير إلى موضوع آخر، فهؤلاء الذين مسخهم الله سبحانه قد وقع عليهم العذاب الالهي، وبما أنهم ذاقوا هذا العذاب في هذه الدنيا فهم (لا يرجعون) في الرجعة لقوله تعالى: ﴿وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون﴾.

(١) يس/٣١.

(٢) يس/٦٧.

الرجعة عامة أم خاصة ؟

ذكرت المرويات والأحاديث نوعين من الرجعة.

الأول: واضح الدلالة على رجوع من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً، عن أبي عبد الله عليه السلام قال (إن الرجعة ليست بعامة، بل هي خاصة ولا يرجع إلا من محض الإيمان محضاً أو من محض الكفر محضاً) ^(١).

الثاني: توحى بعض الأحاديث أن الرجعة تشمل (مجاميع) أخرى.

١- عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال (ليس من المؤمنين أحد إلا وله قتلة وموتة، أنه من قُتل نُشر حتى يموت، ومن مات نُشر حتى يُقتل..... ثم قال (ما في هذه الأمة أحد برّ ولا فاجر، إلا سيُنشر. فأما المؤمنون فينشرون إلى قرة أعينهم، وأما الفجار فينشرون إلى خزي الله إياهم، ألم تسمع أن الله تعالى يقول ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾) ^(٢).

ولقد عقّب صاحب كتاب (الإيقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة)، الحر العاملي، على هذا الحديث بقوله (أقول هذا العموم مخصوص بمن محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً لما مضى ويأتي إن شاء الله، لأن الخاص مقدم على العام ودلالته صريحة في منفاة العام في باقي الأفراد، ولا بد من العمل بهما وهو ما قلناه) انتهى كلامه.

ونفهم من جو الحديث المبارك ان عبارة (ما في هذه الأمة أحد برّ ولا فاجر) يقابل عبارة (من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً) فتكون الرجعة بهذا المعنى خاصة لكل هذه الامة، وغيرهم (يلهى عنهم).

٢- عن أبي عبد الله عليه السلام قال (أيام الله ثلاثة، يوم القائم ويوم الكرة ويوم القيامة) قوله تعالى ﴿وأن يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾ ^(٣).

(١) الإيقاظ من الهجعة/الحر العاملي/باب ٩/ح ٨٨/ص ٢٨٤.

(٢) تفسير البرهان/للبحراني/ج ٦/ص ٢٠٨/ح ٢.

(٣) الحج/٢٢

الرجعة عامة أم خاصة ؟

وهذه أيام طويلة لم تقع بعد، وان طول يوم القائم عليه السلام ويوم القيامة لهو دليل على طول يوم الرجعة، ومن ثم طول الفترة الزمنية التي سيتم من خلالها أرجاع الموتى، مع التداخل الحاصل بين يوم الرجعة ويوم القائم عليه السلام ، لذلك فنحن نفهم من خلال الأحاديث أن عملية الرجعة في البداية خاصة تشمل من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً، وهؤلاء هم من أمة محمد عليه السلام والأمم السابقة الذين لم ينزل عليهم العذاب، وهذه العملية كما قلنا ستقع في يوم القائم عليه السلام وهي متداخلة معه لأن المرويات تؤكد أن هؤلاء الراجعون يقاتلون مع القائم عليه السلام ، وبعدها سيكون هناك يوم كامل (للرجعة) حسب نظام الأفواج يُعاد فيه كل الأموات للحساب بصورة عامة برها وفاجرها من أمة محمد عليه السلام والأمم التي لم يقع عليها العذاب.

٣- عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعناه يقول (أن أول من يكرّ في الرجعة الحسين بن علي ويمكث في الأرض أربعين سنة حتى يسقط حاجباه على عينيه) (١).

من ملاحظة عبارة (ان أول من يكرّ في الرجعة) الواردة في الحديث المبارك أن (الكرّة) هي جزء من (الرجعة) والرجعة أعم، لذلك يصح أن يكون هناك يوم للكرّة خاص ويوم للرجعة عام، فيوم الكرّة هو يوم مخصوص كالأيام العادية (٢٤) ساعة وقد يتكرر عدة مرات لان لفظة (الكرّة) تحمل بمعناها (الهجوم على الأعداء في الحرب) وله ناس مخصوصون فتصح فيه الرجعة بمعناها الخاص لمن محض الإيمان محضاً.

أما يوم الرجعة فهو مجموعة أحداث عودة الأموات (ومن ضمنها مجمل الكرّات) خلال فترة زمنية طويلة على شكل أفواج ومجاميع، وهو يوم طويل كيوم القائم عليه السلام ويوم القيامة، وهو (كألف سنة مما تعدون) ، وفيه يصدق عنوان الرجعة بمعناها العام، وسيأتيك كلام مفصل حول مفهوم الرجعة والكرّة في موضوع قادم فتابع.

٤- عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام قال (لترجعن نفوس ذهبت وليقيضن قوم لقوم، ومن عذب عذب بعدابه، ومن أغتيض اغاظ بغيضه، ومن قتل أقتص بقتله ويُرد لهم أعدائهم معهم، حتى يأخذوا بثأرهم، ثم يُعمّرون بعدهم ثلاثين شهراً ثم يموتون في ليلة واحدة، قد أدركوا ثأرهم، وشفوا أنفسهم، وبصير عدوهم إلى أشد النار عذاباً، ثم يوقفون بين يدي الجبار عز وجل فيأخذ لهم

(١) مختصر البصائر/ الحسن بن سليمان الحلي/ ص ١٠٧

الرجعة عامة أم خاصة ؟

بحقوقهم) (١).

هذا الحديث المبارك فيه إشارة كون الرجعة تشمل مجاميع أخرى خارج نطاق من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً، ودليله أن هؤلاء المتحدث عنهم يُعمرون لمدة (ثلاثين شهراً) ثم يموتون في ليلة واحدة، وهذا خلاف الأحاديث التي تشير إلى أن مُلك آل محمد ﷺ ودولة القائم ﷺ تستمر لفترات زمنية طويلة، فهل كل الراجعين يعيشون (٣٠) شهراً، لاسيما وأن بعض الأحاديث تذكر أن المؤمنين في دولة القائم ﷺ لا يموت أحدهم إلا وله ألف ولد ذكر، وهذا لا يتناسب مع الـ (٣٠) شهراً، فلا بد أن يكون هؤلاء من عامة الناس وليسوا تحت عنوان من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، مما يشير إلى مجاميع أخرى تشملها الرجعة خارج نطاق محض الإيمان والكفر، ويؤيده الحديث التالي.

قال أبو جعفر عليه السلام ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ (لم يذق الموت من قتل لا بد أن يرجع حتى يذوق الموت) (٢).

إذا لا يتحقق مفهوم الموت لكل من قُتل لذلك حسب أجواء الحديث فكل مقتول راجع ليقص من قاتله، ويؤيده كلام أمير المؤمنين عليه السلام في الخطبة التطنجية بقوله: (ولأردن إلى كل مسلم حياة جديدة ولأسلمن إليه صاحبه وقاتله) .

وهذا المعنى ذكره الشيخ الأحسائي بقوله: (نعم... ورد أناساً ممن لم يحض الإيمان محضاً ولا الشرك محضاً وليسوا من أهل الرجعة ولا ممن يُسألون في قبورهم يرجعون، وذلك لأن بعضهم له قصاص والبعض الآخر عليه القصاص، فيرجع القاتلون والمقتولون، حتى يستوفوا قصاصهم من قاتليهم ويعيشون بعد أخذ ثأرهم ثلاثين شهراً ثم يموتون في ليلة واحدة) (٣).

ويقول أيضاً (الذين تلحق أرواحهم بالجنة هم خُص المؤمن الخصيصين والخالصين، وهم الذين يجمعهم أنهم محضوا الإيمان محضاً، وهؤلاء هم الذين في قبورهم، ومن سواهم تبقى أرواحهم في قبورهم إلى يوم القيامة، وهؤلاء ليس لهم برزخ ولا يُبعثون

(١) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩/ ح ١٠٧ / ص ٢٩١

(٢) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب ٩/ ح ١١٥ / ص ٢٩٧.

(٣) رؤى حول الأسرار الحسينية في مدرسة الشيخ الأحسائي/ ص ٢٨٧/ جمع واعداد وتحقيق راضي ناصر السلطان

الرجعة عامة أم خاصة ؟

في رجعة آل محمد ﷺ ، ولا يسألون في قبورهم، نعم كان من هؤلاء له قصاص أو عليه قصاص فأثم يُبعثون في الرجعة ليقصص المقتول من القاتل ويعيشون بعدما يقتلون ثلاثين شهراً ثم يموتون في ليلة واحدة) (١).

ويقول أيضاً (أن الموت هو خروج الروح من البدن، أما بالقتل أو بموت، فأما القتل ففيه خلاف هل هو عند أنقضاء العمر المكتوب بحيث لو ترك ولم يقتل مات وقيل لا يموت. وأختلف هؤلاء في قدر ما يبقى لو لم يقتل على أقوال لعدم عثورهم على نص يدل على شيء والنص موجود يذكرونه في الكتب ويقرؤنه ولا يفهمون معناه وهو (أنه يبقى سنتين ونصف)، وأعلم أن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أن الموت أمر اعتباري عدمي ليس بموجود لأنه عدم الحياة مما شأنه الحياة، والحق أن الموت شيء موجود مخلوق كما قال تعالى ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾ (٢) (أنتهى كلامه) (٣).

واضح ان السنتين والنصف تساوي (٣٠) شهراً، فهذا معناه أن كل شخص قُتل قد سُلب حقه في الحياة، أي له حق في الحياة لم يستوفه بعد، ولو تُرك لمات من نفسه بعد سنتين ونصف، لذلك سيتم تعويض هؤلاء بهذه الفترة المستتلة منهم في الرجعة، وبما أنهم ليسوا من المشمولين بالرجعة كونهم ليسوا ممن محض الإيمان محضاً أو ممن محض الكفر محضاً، فيؤخذ لهم حقه المسلوب في الرجعة ويموتون في ليلة واحدة ويؤجل أمرهم إلى الحشر النهائي (إلى يوم يبعثون).

٥- عن أبي عبد الله ﷺ قال (..... فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر ابليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهي آخر كربة يكرها أمير المؤمنين صلوات الله عليه. فقلت: وأنها لكربات قال: نعم. أنها لكربات وكربات ما من إمام في قرن إلا ويكرّ معه البر والفاجر في دهره حتى يدبيل الله عز وجل المؤمن من الكافر) (٤).

وعبارة (ما من إمام في قرن إلا ويكرّ معه البر والفاجر) دالة على نظام الافواج كما

(١) جوامع الكلم/ الاحسائي/ ج٨/ رسالة في جواب الشيخ علي العريض/ ص ٥٣٧

(٢) الملك/ ٢.

(٣) أحوال البرزخ والآخرة/ للشيخ الاحسائي/ الفصل الأول/ الموت حقيقته وأحداثه/ جمع وإعداد وتحقيق احمد الدباب.

(٤) مختصر البصائر/ الحسن بن سلمان الحلي.

الرجعة عامة أم خاصة؟

تذكره الآية ويؤيده الحديث التالي.

عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ قال: (يجيء رسول الله صلى الله عليه وآله في قرنه ويجيء علي عليه السلام في قرنه والحسين عليه السلام في قرنه وكل من مات بين ظهراي قوم جاءوا معه) ^(١).

إما إذا كانت عبارة (البر والفاجر) تقابل (ماحض الإيمان والكفر) فهي خاصة وليست بعامة.

(١) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/ باب ٩/ ح ٣٦/ ص ٢٦٢.

من هو محاض الإيمان

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (يعود إلى هذه الدنيا من محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً) ^(١)، لابد وان القارئ يسأل نفسه عند قراءة هذا الحديث من هو (الذي محض الإيمان محضاً) وكيف يصبح المؤمن محاض للإيمان وما هي أعماله وماهي مؤهلاته وكيف يصل إلى هذه الدرجة العالية؟ ان قراءة عامة لأحاديث آل البيت عليهم السلام تعطينا وصف عام وخاص لهذه الدرجة من الإيمان العالي، وتعرفنا على مواصفاتهم ومؤهلاتهم وأعمالهم وبم نالوا هذا الشرف الرفيع، فعنوان (المحض للإيمان) هو (صك) الرجعة والتنعم بملك آل محمد عليهم السلام ومرافقة الإنسان الكامل والصالحين الذين سيرثون الأرض، ونحن هنا نشير إلى مؤهلات هؤلاء المؤمنين اجمالاً.

منها ان المؤمن محاض الإيمان (يعرف إمام زمانه)، لقول رسول الله صلى الله عليه وآله (من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية) ، والمعرفة هنا تعني (عدم الإنكار) وهي مصداق قوله تعالى ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ ثُمَّ يَنْكُرُونَهَا﴾ ^(٢)، فهناك الكثير من الناس يعرفون الإمام المهدي عليه السلام ويعرفون أئمة أهل البيت عليهم السلام لكنهم ينكرون جملة من فضائلهم تحت مبررات عديدة، لذلك قلنا ان المعرفة في الحديث معناها (عدم الإنكار) ، فهي ليست معرفة معلومات عن الشخص فقط بل طاعته والانصياع لأوامره وعدم إنكار فضله ومنزلته كونه لا يقاس بأحد من الناس وهذه معرفة خاصة وما سواها عامة مجازية.

ومنه ان المؤمن المحاض للإيمان (يؤمن بأحاديث النورانية)، قال الإمام علي عليه السلام (لا يستكمل احد الإيمان حتى يعرفني كنه معرفتي بالنورانية فاذا عرفني بهذه المعرفة فقد أمتحن الله قلبه للإيمان) ^(٣)، وحديث النورانية يبين المقامات العالية والخطيرة لآل محمد عليهم السلام ، والمؤمن الماحظ للإيمان لا يُنكر منها شيء او يستعظم

(١) الإيقاظ من الهجعة/ الحر العاملي.

(٢) النحل/٨٣.

(٣) الخطبة النورانية/ البحار/ ٢٦/ ١ باب ١٣ ح.١.

منها شيء عليهم، لاسيما فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام، ومعنى معرفتهم بالنورانية ان المؤمن الماحض للإيمان يعتقد قلباً وعقلاً ووجداناً وقيناً ان آل محمد عليهم السلام هم الصراط المستقيم وهم سبيل الله، وهم رحمة الله الواسعة، وهم وجه الله الذي يتوجه اليه الأولياء، وهم عين الله الناظرة، وأذانه الواعية، وهم حجج الله على خلقه، وتراجمه وحيه، ولا يقاس بهم احد من الناس، فالتأخر عنهم زاهق، والمتقدم عليهم مارق، واللازم لهم لاحق، وان طاعتهم كطاعة رسول الله صلى الله عليه وآله، والأعتراف بحقهم والأخذ عنهم والرضا بفعلهم، وبصورة عامة هذه المقامات العالية ذكرتها (الزيارة الجامعة) بالتفصيل الواضح وكذلك مجموعة خطب أمير المؤمنين عليه السلام كالخطبة التطنجية وخطبة البيان وغيرها.

ومنها ان المؤمن لا يصل إلى درجة محض الإيمان إلا بالأقرار بالشهادة الثالثة (اشهد ان علياً ولي الله) كونها واجبة وليست مستحبة كما يقولون، لقول الصادق عليه السلام (فإذا قال أحدكم لا إله إلا الله محمد رسول الله فليقل علياً أمير المؤمنين) ^(١)، لان الإمامة اخت النبوة، بل هي مماثلة لها في كل مفرداتها، فلا يكون المسلم (مؤمناً) إلا إذا كان موالياً، لان الإيمان هو التصديق بولاية من نصبه الله خليفة على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله، فلا إيمان بلا ولاية ومصداقها قوله تعالى ﴿يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس ان الله لا يهدي القوم الكافرين﴾ ^(٢)، فالمائز الحقيقي بين الإسلام والإيمان هو الولاية، فمن شهد بالشهادتين كان مسلماً، ومن شهد بالشهادتين واعتبر الثالثة استحباباً كما يقولون فهو (مؤمن غير ممتحن)، ومن شهد بالشهادتين على اعتبار الشهادة الثالثة واجبة فذلك هو (المؤمن الممتحن الماحض للإيمان) ^(٣)، ونحن لا نلوم من يعتبر الشهادة الثالثة مستحبة (فلا حظ للمزكوم من نفحات العنبر المشموم) ^(٤)، ولا عجب في ذلك فان رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) مدينة المعاجز/هاشم البحراني/ ج٢ / ص ٣٧٥.

(٢) المائدة/ ٦٧: (عن أبي جعفر عليه السلام في قوله: (يا ايها الرسول بلغ ما أنزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته) قال: (هي الولاية) مختصر بصائر الدرجات/ حسن الصفار: ص ٦٤. والأحاديث عن هذه الآية من الكثرة بمكان وارتباطها بيوم الغدير وبيعة الغدير من اوضح الواضحات

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام: (الإسلام هو الظاهر الذي عليه الناس شهادة ان لا اله إلا الله وان محمد رسول الله واقام الصلاة وإيتاء الزكاة وحج البيت وصيام شهر رمضان فهذا الإسلام. وقال: الإيمان معرفة هذا الأمر).

(٤) هذه العبارة للحافظ رجب البريبي

من هو ماحض الإيمان

قال للناس قولوا لا اله إلا الله فقولوا، ثم قال لهم قولوا محمد رسول الله فقولوا، ثم قال صلّوا للقبلة فصلّوا، ثم قال صوموا في الهواجر فصاموا، وأمرهم باخراج زكاة ما لهم فأخرجوها، وقال لهم حجوا البيت فحجوا، ثم قال لهم (هذا علي وليكم من بعدي، من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فأعرضوا كما قال الله عزّ وجلّ ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾^(١)، لأن علي عليه السلام النبي الذي فيه يختصمون ﴿عمّ يتساءلون . عن النبي العظيم . الذي هم فيه مختلفون . كلا سيعلمون . ثم كلا سيعلمون﴾^(٢).

فالإسلام هو الإقرار بالتوحيد والنبوة، والإيمان هو الإقرار بالتوحيد والنبوة والإمامة، فمن كان مُقراً بالتوحيد والنبوة ولم يُعادي آل محمد عليهم السلام فأولئك المرجون لأمر الله ينتظرون إلى يوم يبعثون، ومن كان مؤمناً بالتوحيد والنبوة وعادى آل محمد عليهم السلام فذلك ماحض الكفر، ومن كان مقراً بالتوحيد والنبوة والإمامة فذلك من الراجعين كونه محض الإيمان محضاً، فالميزان هو الإمام فمن والاه فقد والى الله، ومن عاداه فقد عاداه الله، ومن والاه فقد محض الإيمان، ومن عاداه فقد محض الكفر. ومنها أن الماحظ للإيمان يؤمن بأن لقب (أمير المؤمنين) لا يصح لأحد غير الإمام علي عليه السلام حتى أولاده عليهم السلام لا يصح لهم هذا اللقب^(٣)، لأن أمير المؤمنين لقب بهذا اللقب لأنه يُمير المؤمنين العلم، فلا يكون أحد من الناس (أميرهُ علي) إلا إذا اعترف انه (لا أمير إلا علي).

ومنها لا يكون المؤمن ماحضاً للإيمان إلا إذا كان لِعاناً لأعداء آل محمد عليهم السلام من الأولين والآخرين صباحاً ومساءً، بل في كل وقت، فهو يتولى محمد وآل محمد عليهم السلام ويتبرأ من أعدائهم، لأن التبري والتولي من (أصول الدين) وليس من (فروعه) كما

(١) النحل/ ٨٣

(٢) النبأ/ ١-٥.

عن ابان بن تغلب، قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل (عم يتساءلون. عن النبأ العظيم. الذي هم فيه مختلفون) قال: هو علي بن ابي طالب عليه السلام لأن رسول الله صلى الله عليه وآله ليس فيه خلاف) تفسير البرهان/ للبحراني / ج٨ / ح ٦٦ / ص ١٩٥.

(٣) دخل رجل على ابي عبد الله عليه السلام: فقال: السلام عليك يا امير المؤمنين، فقام على قدميه، فقال: (مه، هذا اسم لا يصلح إلا لامير المؤمنين عليه السلام الله سماه به ولم يُسم به أحد غيره فرضي به الا كان منكوحاً وان لم يكن به أبتلي به وهو قول الله في كتابه ﴿ان يدعون من دونه الا اناثاً وان يدعون الا شيطاناً مريداً﴾ قال: قلت: فماذا ندعي به قائمكم، قال: فقال له: السلام عليك يا بقية الله السلام عليك بين رسول الله).

يقولون، فماحض الإيمان هو من المتولين المتبرين اللعائين، وانك تجد لهذا الامر عدة مصاديق قرآنية واضحة ومضمرة منها قوله تعالى ﴿ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى بعدما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون﴾. (١)

ولنعم ما قال الشاعر في اثبات هذه الحقيقة:

(إذا لم تبرأ من اعداء علي فما لك في محبته ثواب) (٢)

ومنها أن المؤمن الماحظ للإيمان يتحمل الصعب من أحاديث آل محمد ﷺ، عن أبي جعفر عليه السلام (ان حديثنا صعب مستصعب اجرد ذكوان وعر شريف كريم فاذا سمعتم منه شيئاً ولانت قلوبكم فاحتملوه واحمدوا الله عليه وان لم تحتملوه ولم تطيقوه فردوه الى الامام العالم من آل محمد ﷺ فانما الشقي الهالك الذي يقول والله ما كان هذا، ثم قال يا جابر ان الانكار هو الكفر بالله العظيم) (٣)، فالصعب هو البعير الذي لا يُركب، والمستصعب هو البعير الذي يخافه من يراه، فالذي ليس له حظ من نور الإمام يخاف طبعه من كلامهم الصعب، واما من له حظ من نور إمامه إذا سمع الحديث الصعب استبشر حتى لو لم يفهم، فهو كما يقول الحديث (يستلينون من حديثنا ما استوعره الناس)، وهذا المؤمن تسميه أحاديث أخرى بالمدينة الحصينة والقلب المجتمع.

ومنها أن الماحظ للإيمان لا يرد شيء من أحاديث أهل البيت عليه السلام ويعرف معانيها، عن ابي عبد الله عليه السلام (لا يكون الرجل منكم فقيها حتى يعرف معاريض كلامنا ان الكلمة من كلامنا لتصرف على سبعين وجها لنا من جميعها المخرج) (٤)، ومنها انه يتحمل أسرار آل محمد ﷺ، وإذا عرف منها شيء لا يذيعها، ومنها انه لا يرى تعارضاً في أخبارهم ولا يحتاج إلى علم الرجال للتأكد من صحة نسبة الحديث إلى المعصوم عليه السلام، لأن المؤمن ماحض الإيمان مُطَّلَع اِطْلَاعاً كافيّاً على أحاديث آل محمد ﷺ ويعرف أسلوب المعصوم لانه (يعرف لحن القول)،

(١) النساء/ ١٥٩.

(٢) من قصيدة للشاعر الناشئ الصغير

(٣) بصائر الدرجات/ محمد بن الحسن الصفار/ ص ٤٢

(٤) بحار الانوار/ ج ٢/ ص ١٨٤

لذلك قال أبي جعفر عليه السلام (انا لا نعد الرجل فقيها حتى يعرف لحن القول وهو قول الله (ولتعرفنهم في لحن القول))^(١)، فالمؤمن الممتحن له خيرة ومملكة تجعله يُميز حديث آل محمد عليهم السلام عن كلام باقي الناس كما يميز المؤمن كلام القرآن عن كلام الخلق، فالمؤمن كما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله (ينظر بنور الله).

ومنها انه يستند على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وكلام أهل العصمة عليهم السلام ودليل الوجدان واشارات الفؤاد لانه ممن يمتلك (مشعر القلب)، لذلك قالوا عليهم السلام (ما من عبد احبنا وزاد في حبنا وأخلص في معرفتنا وسئل مسألة إلا وقذفنا الجواب في روعه).

ومنها ان المؤمن الماحض للإيمان يصفه الإمام عليه السلام بانه (ويستلينون من حديثهم ما أستوعر على غيرهم ويأنسون بما أستوحش منه المكذبون واباه المسرفون) وقد وصف رسول الله صلى الله عليه وآله هذا المؤمن الممتحن الماحض للإيمان بقوله (يتجافى عن دار الغرور ويُنيب إلى دار الخلود ويستعد للموت قبل نزوله)^(٢).

فاذا كانت فيك هذه الصفات فأنت المؤمن الماحض للإيمان، وأعلم بأنك من الراجعين لا محالة، ولسوف يقفون على قبرك وينفضون التراب من فوق رأسك ويقولون لك (ظهر صاحبك فإذا أردت فاتبعه وان شئت فأبقى في قبرك وأنت على

(١) وسائل الشيعة/ ١٦: ٢٠٢ / ح ٣١

(٢) ربما يقول البعض ان هذه الصفات التي تذكرها لماحظ الكفر وماحظ الإيمان لا تنطبق إلا على من عرف الإسلام ونبوة النبي الخاتم عليه وعلى آله الصلاة والسلام، فكيف تصح رجعة من كان في الأمم السابقة قبل الإسلام وهم لا تنطبق عليهم أغلب هذه المواصفات التي ذكرناها. أن نزول الشرائع المقدسة كان بشكل تدريجي يتناسب مع مسيرة الإنسان التكاملية ودليله أن الشرائع والكتب المقدسة ينسخ أحدهما الآخر أي اللاحق ينسخ السابق، ولا بد أن يكون في كل تشريع لكل أمه من الأمم المشمولة بالرجعة قبل رسالة الرسول الخاتم صلى الله عليه وآله خصائص تجعل من يحوز عليها يكون من الراجعين حسب قياسات تلك الشرائع، وبما أن الشرائع مصدرها واحد وهو الله العلي العظيم فلا بد، بل هو الثابت، أن تحتوي على خصائص مشتركة ذكرتها كل الكتب المقدسة ومنها التوحيد على المستوى العقائدي والحلال والحرام على المستوى التشريعي والسلوكيات على المستوى الأخلاقي، فلا بد وان كل نبي لاحق جاء مصدقاً لما جاء به النبي السابق وان كل نبي سابق يبشر بالنبي اللاحق، وعليه تكون الرسالة الخاتمة مصدقة لما جاءت به الرسالات السابقة وبما أن القرآن الكريم والرسول العظيم صلى الله عليه وآله قد تحدثوا بالرجعة، فلا بد وان هذا الأمر قد تحدثت به كتب الشرائع السابقة (وستجد كلام مفصل لاحقاً عن الرجعة في الانجيل)، لذلك ستجد عند النظرة لبعض الأحاديث الخاصة الواردة عن آل محمد عليهم السلام أنها تؤكد أن كل الأنبياء بُعثوا على التصديق بالنبي الخاتم والوصي الخاتم عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

سلامة من دينك) ، فأيهما تختار أيها المؤمن الممتحن الماحض للإيمان.
أما الماحض للكفر فهو بعكس ما قلنا تماماً حرفاً بحرف وحسبنا في وصف حالهم ما
قاله القرآن الكريم ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾^(١) ، فأرجوا الانتباه للإشارة في الآية
الكريمة إذا كنت من أهل الإشارة.

أما إذا كنت ممن لم يحض الإيمان ولم يحض الكفر كما قال الله تعالى ﴿مَذْبُذِبِينَ
لَا إِلَىٰ هَوْلَاءِ وَلَا إِلَىٰ هَوْلَاءِ﴾^(٢) ، فأنت ممن (يُلْهَىٰ عَنْهُمْ) ، وستبقى في قبرك إلى
يوم يبعثون.

(١) الزمر/ ٤٥

(٢) النساء/ ١٤٣

الفصل الثالث

اسباب انكار موضوع الرجعة

اسباب انكار موضوع الرجعة

لابد ان نعرف ما هي اسباب انكار موضوع الرجعة من قبل طوائف المسلمين وتضعيفه من قبل بعض علماء الشيعة, والاسباب كما نعتقد هي التالية:

١- الجهل:

بصورة عامة يوجد تعميم حول هذا الموضوع، بل أن هناك دعوات لعدم الخوض في تفاصيله، لأنه كما يقولون موضوع مُبهم، ويترتب على هذا التعميم جهل وأعداء لا محالة، كما يقول الإمام علي عليه السلام (الناس أعداء ما جهلوا)، والجهل هذا لم يكن ناتج من عدم معرفة الاحاديث بل عدم وجود الامكانية الفكرية للتعامل مع هكذا موضوع كبير.

٢- الموت.

هناك أسباب تتعلق بالموت نفسه، فنظرة الناس لهذه الحقيقة لا زالت غامضة ومخيفة، فأنكروا الرجعة لأن الموت عندهم هو رحلة الالعودة، فاذا مات الإنسان انتظر الحشر النهائي لا غير، وبهذا يكون مصير الإنسان سائر إلى المجهول، فهم يعتقدون بصورة عامة أن كل شيء غير منظور فهو غير قابل للأدراك، وقاتم أن الموت عبارة عن باب يعمل بأتجاهين، فالموت قانون طبيعي كقانون الحياة وجزء أساس من أجزاء النظام الكلي، فالدخول إلى هذا العالم والخروج منه وجهين متعاكسين لظاهرة واحدة.

الموت والحياة قوانين لها ضوابط وآليات يُعمل بها ومن خلالها، وليس هو حادث يطرأ علينا بدون أسباب ومقدمات، فقد وصفه الله تعالى بقوله ﴿هو الذي خلق الموت والحياة﴾^(١)، وهو كما وصف في المرويات بانه (قنطرة بين الدنيا والآخرة)، وهذا الوصف دقيق جداً لأنه يبين أن الموت يشغل مساحة زمنية قصيرة بين حياتين بمقدار تجاوز هذه القنطرة فقط، فيكون الموت هو المرحلة الانتقالية بين عالمين وحياتين، أما آليته فقد وصفها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بقوله (كما تنامون تموتون وكما تستيقظون تُبعثون).

(١) تبارك/٢.

أما كتب الحديث فقد ذكرت مئات الأحاديث حول هذا الموضوع وتفصيله، ومنها الأعمال العبادية والسلوكية التي تطيل عمر الإنسان، كالصدقة وصلة الرحم وصلاة الليل، وكذلك ذكرت الذنوب والآثام والسلوكيات التي تقصر من عمر الإنسان، فهناك عملية ترابط وتفاعل بين عمل الإنسان وما سيؤول إليه مصيره والموت هو أحدها، والرجعة من نتائج هذه الأعتقادات والأعمال كما سنبين لاحقاً.

إن هذا الأعتقاد الضبابي عن الموت عند عامة الناس يجعل من الصعوبة صياغة كلمات توصل للآخرين حالة مفرحة عن الموت^(١)، أما البعض فيعتقد (أن المجيء إلى هذا العالم هو (الخروج من الجنة) وهذا ليس أنتقالاً موضعياً بل تغيير حال)^(٢)، فكان الموت عندهم هو الرجوع إلى الجنة، وهي نظرة إيجابية جداً.

أما الأغلبية فالموت عندهم أرتبط دائماً بالحزن والألم بل هو دائماً مرافق للسواد والمجهول، لأن مجموعة من الدارسين قد بحثوا موضوع الموت تحت (حمولة عاطفية ثقيلة) نتيجة فقدانهم احد أحببتهم فكانت نظرتهم للموضوع عاطفية أكثر من كونها معرفة قانونية.

وإذا توخينا الحقيقة فهناك جانب مشرق للموت لا تريد الأكتريه أن تنظر إليه أو تعرفه، أما الأقلية فهم يأنسون به كما أوضح ذلك أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام بقوله: (والله لابن أبي طالب أنس بالموت من الطفل بثدي أمه)^(٣).

والأمر الآخر الذي زاد موضوع الموت غرابة وتعقيد هو الجهود البحثية والفلسفية والتنظيرية التي تناولت هذا الموضوع، فأغلبها لم تضع تصورات واضحة لماهية هذا الإنسان ومكوناته وهل هو مخلوق أحادي أم ثنائي أم ثلاثي أي هل هو كائن ذو وحدة واحدة، أم ثنائي من (جسد ونفس)، أم ثلاثي من (جسد وروح ونفس)، وهذا القصور ناتج من عدم وجود تعريفات واضحة لهذه الأجزاء الثلاثة، حتى أن بعضهم قد جمع ما يقارب من (٣٠) تعريف للروح وحدها، فهم في أغلب الأحيان

(١) ان الموت هو انتقال من حالة إلى اخرى اما العذاب الجسدي والنفسي فهو اصعب بكثير من الموت ذاته، في الموت نتحد مع ذاتنا بطريقة آلية بينما نقضي الحياة متصارعين مع ذاتنا ومع الآخرين) ساميا ساندر / الصوت بوابة الكون / ترجمة ماري بدين ابو سمح / الفصل الثالث/ ٩٥

(٢) هنري كوربان / الإمام الثاني عشر / ص/ ١٤٣.

(٣) نهج البلاغة

اسباب انكار موضوع الرجعة

يفرّقون بين الروح والنفس كمادة لغوية، ولكنهم في نهاية المطاف لا يفرّقون بين وظائف هذه الأجزاء، فيقولون أن الروح هي النفس والنفس هي الروح، فجميع التعاريف الخاصة بالروح والنفس لا تتعدى قسمين، أما فرضيات أو ذوقيات، فتشابت هذه العناوين مما أدى إلى قراءة سيئة للكثير من النصوص.

وفي هذا البحث لا ندين ولا نلوم هؤلاء الباحثين والمفكرين لاننا عندما نتناول هذه المواضيع الكبيرة والحساسة عادة ما نؤمن بأنصاف حقائق صحيحة وخاطئة في الوقت نفسه.

فحقيقة (الموت) يجب أن تُعرّف قرآنيّاً وتوضّح الخطوط العامة لكل المواضيع المرتبطة بها كالروح والنفس والجسد والبرزخ والآخرة، ناهيك عن مئات الأحاديث المنقولة عن رسول الله وأهل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين الموضحة لهذه المواضيع فلا يمكن أهمال هذا الجانب لأنهم (عدّول القرآن الكريم).

إن موضوع الحياة بعد الموت، أو العودة من الموت، من المواضيع الرنانة لطغيان الجانب الغيبي عليه في كل تفاصيله، وهناك الكثير من الناس من يؤمن بهذا الموضوع وجداناً ولهم أفكار وتخييلات خاصة بهم، إلا أن هذا الأمر غالباً ما يكون موضوع أمل وليس اقتناع عارف، فيما ينظر آخرون إلى الموت كمجهول عظيم وحتمية لا مناص منها ولا يمكن أدراكها ويجب ببساطه القبول بها، ففكرة كون الموت هو انتقال من حال إلى حال غائبة عن بال الاكثريّة، فالناس عادة ما يحكمون على الأمور وفق قناعاتهم وأفكارهم المسبقة التي تربوا عليها، فهناك ضغط للمعلومة ناتج عن هذه التربية فعندما يُجابّهون بأمر خارج نطاق أفكارهم ومعتقداتهم يكون الإنكار عندهم حلاً جاهزاً وسهلاً، فالكثير منهم أنكر الرجعة تحت مبرر أنهم لم يروا أموات عادوا إلى الحياة وكأن لسان حالهم يقول ﴿فأتوا بأبائنا أن كنتم صادقين﴾^(١)، فهم يحكمون على هذا الأمر وفق قناعات تولدت لديهم ضمن سنين حياتهم القصيرة التي عاشوها، علماً أن القرآن الكريم فيه الكثير من أخبار يوم القيامة ووقائعها قد صدقها الناس وهي لم تقع بعد ولم يروها بعد.

لذلك كان مجرد التفكير بالرجوع لحياة أخرى بعد الموت تسبق يوم القيامة يثير الرعب والهلع في قلوب الأكثرية، فهذا الأمر خارج نطاق أعتقادهم، فالإنسان

بطبيعته يأنس إذا قال مقالة قد قالها الآخرون، ويخاف إذا جاء بأمر جديد قد يضعه في خانة البدعة، ولأجله كان الإيمان بالرجعة يستوجب منا أن نوسّع صورة العالم إلى ما وراء أفكارنا الثابتة، فالأشخاص الذين لهم القابلية والرغبة في التغيير هم وحدهم المؤهلين لفهم موضوع الرجعة.

وعليه يمكن ان نقول ان الله عز وجل وضع منذ البداية ارادته على شكل قانون، وهذه القوانين ومنها الموت والحياة تشغل الحيز الأكبر للوجود، فما الوجود إلا ازدحام مكتض من الموت والحياة، والامر متروك لنا في النهاية ان نستغل الفرصه الممنوحة لنا في فهم ارادة الله التي القمها في الكون على شكل قوانين، فالذي يُدرك الكون في نشاطه القانوني سيفهم ارادة الله وبالتالي (لماذا وكيف نحيا ونموت).

لذلك كان لزاماً على الإنسان المؤمن الواعي أن يشغل نفسه بين الحين والآخر بذكر الموت لأنه سيتحتم علينا في يوم من الايام أن نعبر هذه العتبة فالأجدي أن نفعل ذلك عن دراية بدل ان ندخل إلى عالم آخر فجاءة، وان فهمنا للموت كقانون ومظهر من مظاهر ارادة الخالق عز وجل سيثبت لنا ولكم ان للإنسان مهمة في هذه الحياة القصيرة يجب ان ينجزها، وهذه المهمة لن ننجزها إلا اذا اعترفنا أولاً وقبل كل شيء ان الموت ليس النهاية بل هو بداية لرحلة جديدة.

ومن هنا يكون الموت رحمة اذا كان هو اختيار الله لعبده ويكون نقمة اذا كان هو النتيجة الحتمية لتراكم اثم الإنسان لذلك كان موت الصالحين هو اختيار الله ﴿يا ايها النفس المطمئنة. ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾^(١)، وقوله ﴿ان الله اشترى من المؤمنين انفسهم﴾^(٢) اما موت عامة الناس فهو نتيجة حتمية لأفعالهم التي فعّلت هذا القانون.

٣- المعجزة.

أما الأمر الاخر الذي أدى إلى أنكار موضوع الرجعة فهو الفهم الخاطئ لموضوع المعجزة، فقد رسّخ الفكر الديني في أذهان الناس أن المعجزة هي (أمر خارق

(١) الفجر/ ٢٧ ٢٨

(٢) التوبة/ ١١١

اسباب انكار موضوع الرجعة

لناموس الطبيعة^(١)، ولا يمكن الخوض لمعرفة أسبابها بل هي القدرة وأنتهى الأمر، علماً أن المعجزة هي ظواهر الطبيعة نفسها وتجري وفق خصائص المادة وقوانينها، فالقوانين والأشياء التي تعمل عليها ثنائية لا ينفك أحدهما عن الآخر في عمل الوجود، ولا ندعي هنا بأننا نعرف كل قوانين الطبيعة والمادة، وفي الوقت نفسه ليس لدينا تفسير علمي لكل معجز الأنبياء، لأن هذه القوانين والعلل التي تعمل بها الأشياء منها معلوم ومفهوم وله تطبيقات والقسم الآخر لازال مجهول وتحوم حوله الأفكار والتوقعات.

لهذا السبب سُميت المعجزة بهذا الاسم لعجزنا عن فهم الأسباب الكامنة ورائها، ولو أستطعنا أكتشافها لأنتفت المعجزة من أنماط تفكيرنا، لأنه ببساطة لا يمكن ان يحدث شيء في الكون لا يتفق مع قوانينه، لذلك ظل الفكر الديني ينظر للمعجزة دائماً من جهة القدرة ولا ينظر إليها من جهة القانونية والسببية، فهي عنده أمر صعب التفسير فأخذت الجهود البحثية في هذا الجانب طابع التبرير وليس التحقيق.

إن مفردة المعجزة لم ترد في كل القرآن الكريم، بل هناك تعبير قرآني لهذه الظواهر وردت تحت لفظة (آية)، فأنفلاق البحر لموسى عليه السلام وولادة المسيح عليه السلام، وأنشقاق القمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم، هذه أمور خارقة للعادة (وليس للطبيعة)، لذلك ترى المفكرين المتدينين الذين يعتقدون بأن المعجزة تجري وفق قانونية عمل الأشياء (الطبيعة والمادة)، أو كما يسمونها (الأسباب والمسببات)، فأنهم بصورة عامة يتوقفون عند هذا الحد من التصريح ولا يحاولوا أن يفسروا أي معجزة بهذه الآلية أو تلك، أما لعدم معرفتهم وأحاطتهم بالعلوم الطبيعية والمادية، أو لعدم وجود الجرأة الناتجة من الخوف الذي يحصل عند محاولة تفسير هذه المعجزات.

لذلك أعتقدوا أن الله عز وجل إذا أراد أن يُظهر قُدرته فهو يُظهرها من خلال خرق هذه القوانين، وهذا تفسير خاطئ جداً لأن الله القدير يتصرف ويفعل بالأشياء بحكمة، ومن غير الحكمة أن يكون واضع القانون هو أول من يخرق القانون، فهم يعتقدون أن أكبر دليل على وجود الله هو خروج الطبيعة عن نظامها.

وفي هذا البحث اعتقد أن الطبيعة والمادة كقوانين وظواهر هي (أوامر الله الخالدة)

(١) علماً أن هناك من مفكرو الأديان من يؤمن بأن المعجزة تعمل ضمن قوانين الطبيعة نفسها.

(١)، لذلك لا يمكن أن يحدث شيء يناقض نظام الطبيعة لأنها أوامر الله وارادته ومشيئته وهي بالضرورة حقائق أزلية، وبما أنه لا يمكن أن يحدث شيء إلا بأمر الله، يترتب على ذلك أن قوانين الطبيعة هي أوامر الله نفسها، وهي حتماً تعمل في طبيعتها كحال وقدرة وأبداع الله تعالى.

فإذا كانت المعجزة هي خرق لقانون الطبيعة كما يقولون فهذا معناه أن هذه القوانين غير كاملة أو ناقصة، لذلك أقتضت الحاجة أن يُسد هذا النقص (وحاشا لله منه) بأظهار هذه المعجزة من خلال خرق القانون نفسه، وهذا محال عليه سبحانه لأن قوانين الوجود هي نفسها أوامره.

وعليه تكون المعجزة ظاهرة طبيعية أو خصيصة من خصائص المادة تحدث ضمن نطاق عمل القانون الذي تعمل به الأشياء، وإن كنا حالياً لا نعرف كل قوانين الطبيعة والمادة لأن قوانين الطبيعة والمادة من الأتساع بحيث أنها تسري وتشمل على كل ما يتصوره العقل، بل على الوجود كله، وأن هذا الفهم يوفر لنا قاعدة لتفسير معجز الأنبياء وفهمها ضمن قوانين الطبيعة والمادة، لأن هذه المعرفة بالضرورة ستقودنا إلى معرفة الله جل وعلا مبدع الأشياء وموجد العلل وواضع القوانين.

والتطور العلمي يوفر لنا اجواء جديدة لقراءة النصوص المقدسة، ولكن يجب ان لا ننسى ان قراءة النصوص المقدسة وخصوصا المتعلقة بالبدايات والغايات اشبه بالسير على طريق وعرة، والأمر لا يخلو من المنزلقات الخطيرة، لذلك تجدد ان جملة من علماء الدين وعلماء الفيزياء والطبيعات على حد سواء يصعب عليهم التوفيق بين النبوءات وطرائق العلم التجريبية المعمول بها حالياً، او التي تتحدث عن الافاق المستقبلية، وقد قال عز من قال ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾^(٢)، والسبب في ذلك ان العلم التجريبي يعتمد على مبدأ السببية التي تربط بين السبب والنتيجة، اي ان النتيجة تقع بعد السبب وليس العكس، على عكس النبوءة التي تذكر النتيجة مباشرة والتي فهم منها جملة من الفيزيائيين ان النبوءة بعيدة عن الاسباب، وقد جرى خلف هذا الاعتقاد جملة من علماء الدين ايضاً، والحقيقة ان النبوءة والمعجزة امور لها اسباب ايضاً، ولكن المتدينين لا يخوضون بالاسباب، لان

(١) هذه العبارة هي تعريف الفيلسوف سبينوزا للمعجزة في كتابه (رسالة في اللاهوت والسياسة).

(٢) فصلت / ٥٣

اسباب انكار موضوع الرجعة

الدين عندهم تعبدي فقط وليس بحثي, لذلك ارتبط عندهم مفهوم المعجزة والنبوءة كونها اشياء خارج عمل القوانين وهو خطأ واضح, من هنا كان لزاماً البحث في الاسباب لمعرفة النتائج وبالتالي الإيمان بالمعجزات والنبؤات.

ومن خلال هذا الفهم أيضاً نستطيع أن نفرّق بين الظواهر التي تحدث ضمن قوانين الطبيعة والمادة, وبين الظواهر التي تحدث نتيجة التكامل الإنساني التي تجعل الإنسان الكامل^(١) هو المؤثر والمحرك لهذه القوانين.

وهنا نضرب مثال واحد من عدة أمثله لتوضيح الفقرة السابقة, فمثلاً يمكن للإنسان أطالة عمره بالمحافظة على خلايا جسمه من خلال معرفته بخصائص الأغذية وفوائدها, وإذا تناولها وفق كميات محددة ووفق نظام غذائي صحي, ولكن الشريعة تؤكد أن هناك طرق أخرى لأطالة العمر من خلال ممارسات عبادية وسلوكية منها صلة الرحم والصدقة وصلاة الليل وغيرها الكثير, كما يشهد بذلك أحاديث كثيرة لرسول الله ﷺ وآل بيته الأطهار عليهم السلام, وأن هذين الأمرين يقودانا بالضرورة إلى أستنتاج مهم وهو أن هناك طريقتين لحدوث المعاجز.

الأولى: هي المعاجز التي تحدث من خلال معرفة قوانين الطبيعة والمادة والتي يمكن من خلالها تحريك الأشياء أو اختراع الأجهزة أو التوقي من بعض الظواهر أو محاكاتها, كما فعلها السحرة في زمن فرعون بأن يحولوا حبالهم وعصيهم إلى أفاعي لمعرفة بعض خصائص المواد, قوله تعالى ﴿فإذا حبالهم وعصيهم يُخِيل إليه من سحرهم أنها تسعى﴾^(٢), قوله تعالى ﴿سحروا عين الناس واسترهبوهم وجاءوا بسحر عظيم﴾^(٣).

الثاني: هو أستجابة الموجودات عن طريق التكامل الإنساني, فهذه تحدث بسبب وجود (قوانين ذاتية تحكم الأشياء والموجودات) بأعتبارها كائنات عاقلة مطيعة, فهذه الموجودات رغم وجود قوانين تحكمها فهي عبارة عن هيكل عضوي متكامل عاقلة لها أحساس وفهم, قوله تعالى ﴿فقال لها وللأرض أنتيا طوعاً أو

(١) نقصد بالإنسان الكامل (النبى او الولى) الذي وصل به حد التكامل إلى ان يصبح منفذ لأرادة الله فعلا (ياعبدي اطعني تكن مثلي اقول للشيء كن فيكون), او كما يقول احد الأئمة عليهم السلام (ان لله عبادة على الأرض اذا ارادوا اراد), او على حد تعبير الشيخ الاحسائي (الإمام هو محل فعل الله).

(٢) طه/٦٦

(٣) الاعراف/١١٦

كرهاً قالتا أتينا طائعين ﴿١﴾، وقوله تعالى ﴿فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين﴾ ﴿٢﴾، وقوله تعالى ﴿ولسليمان الريح عاصفةً تجري بأمره﴾ ﴿٣﴾. فالأرض والسماء والرياح والجبال وغيرها كائنات لها وعي وهي تُطيع الولي إذا أمرها، فكلما زادت ذات الولي كمالاً كلما كانت الاستجابة أسرع وأتم وهو ما يسمى عقائدياً (بالولاية التكوينية) ، ففي المقابلة بين نبي الله موسى ﷺ والسحرة تمكن سحرة فرعون من تحويل جباهم وعصيتهم إلى أفاعي عن طريق معرفتهم ببعض قوانين المادة وخصائصها. وكذلك فعل موسى ﷺ بتحويل عصاه إلى أفعى، وهنا تساوى الطرفان في إيجاد هذا النوع من المعاجز، ولكن ميزة ماجرى على يد موسى ﷺ يكمن في التصور الثاني لفهم المعجزة الناتج عن كماله الروحي لأن عصاه ﴿تلقف ما يؤفكون﴾ ﴿٤﴾.

والدليل على ان الموجودات تأتمر بأوامر الولي هو أمكانية النبي أو الولي بالأتيان بالمعاجز بأقتراح أو رغبة المعاندين أنفسهم، كما حدث بأنشقاق القمر لرسول الله ﷺ بأقتراح معاندي قريش.

ومن هنا نستطيع أن نفرق بين (الولي وأبليس)، وبين (المهدي ﷺ والدجال) ، لأن إبليس والدجال يعتمدون على الحالة الأولى للأتيان بخوارق الظواهر، وهي عملية محصورة بمعرفة قوانين الطبيعة والمادة، وهو ما عبر عنه بعض العارفين بمنح إبليس صلاحية العمل بظاهر الأسم الأعظم جزاءً لعبادته السابقة لأن الله عادل ولا يضيع عمل أحد.

لذلك تستطيع قوى الشر أن تُحرك بعض الموجودات من هذا الباب، وقد يقول البعض أن قوى الشر تستخدم أسلوب ليس له علاقة بالمادة كالحسد مثلاً وهو سلاح فعال عندهم، فالحسد وهذه الأنفعالات الحادة هي قوة ذات وليس كمال الذات، علماً أن للحسد أيضاً مصدر مادي فلا وجود للحسد بدون وجود إنسان، فأبليس والشيطان أقوياء لكنهم ليسوا متكاملين ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن

(١) فصلت/ ١١

(٢) الدخان/ ٢٩

(٣) الانبياء/ ٨١

(٤) الاعراف/ ١١٧

اسباب انكار موضوع الرجعة

تستجيب لهم الموجودات لعدم وجود كمال روحي بل هو تسافل روحي عند كل قوى الشر لذلك قال تعالى ﴿ان كيد الشيطان كان ضعيفا﴾^(١).

أما الأنبياء والأولياء والمهدي عليه السلام فهم يعملون بالطريقتين ويتميزون بالثانية لأن كمالهم جعل كل شيء ينجذب إليهم وطوع أمرهم، ومن هنا نفهم لماذا يسقط كثير من الناس في آخر الزمان تحت حبائل الدجال لوجود قابليات لديه تحاكي المعجزات يفعل بها الأعاجيب كما ذكرت الأحاديث، وما يفعلها إلا بهذه المعرفة فيخدع الأعم الأغلب من الناس كما فعلها سحرة فرعون، أما الولي وأتباع الولي فلا تنطلي عليهم هذه الأمور.

لذلك ستلاحظ أن أفعال الدجال وأن أستثمرت القانون نفسه، إلا أن نتائجها تناقض القانون نفسه، لأن الغاية التي يسعى لها الدجال غاية شر لا تتفق مع روح القانون ولا مع أوامر واضع القانون، وهذه الحالة تجدها مثلاً في قوانين الفيزياء بشكل واضح، فالقانون الخاص بالمواد المشعة قانون واحد ولكن هناك جهة أستعملته لأنتاج القنابل الذرية والنوية للفتك بالناس، وجهة أخرى أستعملته لعلاج الأمراض وأنتاج الكهرباء وتحلية المياه وغيرها، فالقانون واحد ولكن الأختيار مختلف لمستخدم القانون.

أما أفعال الولي فتكون منسجمة ومتطابقة مع غاية القانون نفسه، لأن إرادة الولي الكامل تنطبق على إرادة الله واضع القانون، لذلك قال الإمام علي عليه السلام (إن لله عباداً إذا أرادوا أراد).

إذاً فالتعريف الذي وضعوه للمعجزة كونها (أمر خارق لناموس الطبيعة) هو تعريف خاطئ، لأن معرفتنا بالعلل والأسباب تقودنا لمعرفة القانون، وهذا بدوره يجعلنا نفهم الأمر الألهي، ومن ثم نفهم شيء عن قدرة وعظمة وأبداع الله جل وعلا^(٢).

(١) النساء/٧٦

(٢) يقول العلامة محمد مهدي النراقي صاحب كتاب جامع السعادات (وهذا بخلاف المعجزة فهي ليست من الأمور العادية ولا يوجد لها سبب مطلقاً) (انيس الموحدين) . ويقول الشيخ محمد السند (وأذن فلا بد لمدعي السفارة أن يقيم شاهداً واضحاً يدل على صدقه في الدعوى وأمانته في التبليغ ولا يكون هذا الشاهد من الأفعال العادية التي يمكن غيره أن يأتي بنظيره فينحصر الطريق بما يخرق نواميس الطبيعة. وإنما يكون الأعجاز دليلاً على صدق المدعي لان المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية) دعوى السفارة/ الفصل الأول / ص ٢٦ . وهذا الكلام هو خلاف قاعدة الأسباب التي يتبناها الفكر الديني كون لكل معلول علة ولكل نتيجة

وعليه تكون هذه المعرفة منحصرة بصفات الله عزّ وجلّ واسمائه التي هي أوامر إلهية، أما الذات الإلهية فلا تخضع لهذا التحليل ولا يقع عليها هذا التصور، لذلك قال الرسول الكريم ﷺ (لا تفكروا في ذات الله بل فكروا في مخلوقات الله) ، فالذات الالهية غيب بت ومجهول بحت.

ومن الأدلة على كون المعجزة تحدث ضمن قوانين الطبيعة هو إمكانية إعادة إنتاج المعجزة وتكرارها على يد الأنبياء والأولياء، فلو كانت المعجزة خرق للنظام فيكون تكرارها هو تكرار لهذا الخرق وهو أمر لا يؤيده أي عاقل تأمل في نظام الطبيعة.

إن الكثير من قوانين الطبيعة تجري أمامنا كل يوم مثل نمو الأشجار والإنسان وتوالد الكائنات ودورة المياه ودورة الأرض والقمر وغيرها، ونحن لانستغرب من حدوثها يومياً ولا نعتبرها معجزة، علماً أنها تقع ضمن أطار الأعجاز ولكننا لاندخلها ضمن هذه الحانة لأننا تعودنا رؤيتها يومياً فهي عندنا أمر عادي، لذلك أعتقد الناس أن المعجزة هي الظاهرة التي تحدث لمرة واحدة فقط، فلو جئنا في زمن يكون فيه أحياء الموتى أمراً وارداً يومياً ويمارس بشكل طبيعي كعملية الولادة لما تحول هذا الأمر في أذهاننا إلى معجزة، ولو أننا جئنا إلى هذه الدنيا ولم نجد فيها قمراً كقمربنا الحالي وظهر مثل هذا القمر فجاءة في سمائنا لأعتبرناها معجزة وهكذا الحال مع بقية ظواهر الطبيعة وموجوداتها التي تحيط بنا.

وهناك أمر آخر في موضوع المعجزة وهو من المفاهيم الغير كاملة التصور وهو عزل المعجزة عن دورها التاريخي وحصره في زمن ظهورها فقط، لذلك أعتقد الكثير من الباحثين والمتدنيين أن المعجزة هي عبارة عن حدث تاريخي وقع في أمة معينة في فتره من فترات التاريخ وأنفتت الحاجة إليها وإلى دورها بعد أنتهاء ذلك التاريخ، ولأجله فأننا نعتقد أن عملية ربط المعجزة مع واقع تاريخي مُعين هو محاولة لفصل دور المعجزة عن الخط التاريخي لتطور الأديان والرسالات وأخفاء بل وأضاعة الغاية

سبب ومنها المعجزة، وعبارة (لايوجد لها سبب مطلقاً)، وعبارة (المعجز فيه خرق للنواميس الطبيعية) خاطئة من كل الوجوه، لان عدم وجود السبب يعني خرق القاعدة، وبالتالي فساد الكون اذا عملت الأشياء بدون سبب. مما يدفعنا للتساؤل. هل أن خرق الناموس الطبيعي لانتاج المعجزة هو عملية الغاء القانون ام هو العمل بلا قانون؟

والملاحظ في كلام جملة من العلماء عن المعجزة قولهم (أنها أمر خارق للعادة) وهي عبارة صحيحة كون المعجزة لها سبب ولكنه غير معروف فيكون ظهورها خارق للعادة وليس خارق للقانون، ولكنهم في أكثر من مناسبة يرددون عبارة (أن المعجزة خارقة لقانون الطبيعة) وهو خطأ واضح.

العامّة لمعاجز الأنبياء والرسل.

ومن هنا نفهم أنه لم يكن كل الأنبياء ﷺ قادرين على إيجاد كل المعجزات وفي أي وقت للأسباب أعلاه ولسبب آخر هو أن المعجزة لا تتعد عن ذات النبي نفسه فما يجري على يد أحدهم لا يجري على يد الآخر بالضرورة، فكلما كانت ذات النبي أكثر قوه كانت المعجزة الحاصلة على يديه وفي زمانه أكثر تأثيراً وهذا ما يؤيده قانون التفاضل بين الأنبياء ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾^(١).

فتكون هناك نقطتان مهمتان لحدوث المعاجز.

الأولى: هي معرفة القانون الطبيعي من قبل النبي أو الولي الذي ستتحقق المعجزة من خلاله، إذ لا يمكن أن يجري القانون على يد من جهله ولم يعرفه فتكون هذه المعرفة مقدمة لحدوث الفعل.

الثانية: هو ذات النبي نفسه الذي ستجري على يديه المعجزة لأن الأنبياء والأولياء وبقية البشر هم جزء من هذه الطبيعة، وبما أن الطبيعة تؤثر علينا بقوتها وفعاليتها فمن المنطقي أن يكون الإنسان مؤثراً فيها أيضاً، وكلما كانت ذاته قوية وكاملة كانت الطبيعة طوع أمره، وهذا هو بالضبط ما يحصل من خلال قدرة النبي أو الولي على تحريك الموجودات وأظهارها بشكل غير مألوف وغير متعارف عليه، أو كما سمي بالمعجزة، كما في قوله تعالى ﴿ولسليمان الريح عاصفة تجري بأمره﴾^(٢).

وهذا المعنى يُسمى بالولاية التكوينية والمعجزة الناتجة من خلالها تتم بأستدعاء قوة الفاعل لذلك اقترنت بالتحدي لصالح نفس الفاعل وشدة ارتباطها بفعل الله.

وبما أن الرسول الكريم محمد ﷺ هو أقواهم ذاتاً وأتمهم كمالاً فقد جرت على يديه وستجري كل معاجز الأنبياء متى شاء لأن علمه علم أحاطة وكماله أعلى الكمالات، بل أشتقت منه بقية الكمالات، وقد توارث هذه الكمالات بعد رسول الله ﷺ أئمة أهل البيت ﷺ إماماً بعد إمام.

بينما بقية الأنبياء ليسوا كذلك فأحياء الموتى جرى على يد السيد المسيح ﷺ

(١) الاسراء / ٥٥

(٢) الانبياء / ٨١.

لكنه ليس بالضرورة أن تكون هذه الميزة جرت على يد بقية الأنبياء، بل واقع القرآن الكريم صراحةً يؤيد أنها خاصة لبعضهم ﷺ، فكانت عملية أحياء الموتى هي من خصائص المسيح ﷺ لا لأن أحيائهم كان يتناسب مع واقع تاريخي لظهور الرسالة المسيحية فقط، بل لسبب أهم وهو ذات المسيح ﷺ العالية التي تتناسب مع هكذا عمل، وكذلك الدور الذي سيناط إليه في أحداث آخر الزمان، لأن نمط كماله الروحي جعله قادراً على أفاضة هذا الكمال لغيره، فالكامل يعطي من كماله للآخرين ولا ينقص منه شيء، لذلك قال ﷺ في الأنجيل: (أنا هو القيامة والحياة) (١).

وهذا الأمر فاقه خاتم الأنبياء وذريته من الأوصياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، وسيكون لهذا الكمال الظهور الأجلى والأتم على يد خاتم الذرية الطاهرة من سلالة الأوصياء المرضيين، بطل أحداث آخر الزمان، بقية الله في أرضه، الحجة ابن الحسن المهدي عجل الله فرجه، لأنه الوريث الشرعي لكل الأنبياء والمرسلين.

لهذه الأسباب التي ذكرناها في فقرة المعجزة يمكن أن نقول أن الفكر العامي لا يستطيع أن يتصور عودة الأموات قبل يوم القيامة لأنه لا يستطيع أن يتصور هكذا إمكانية في النظام، فكانت عملية عودة الأموات في نظرهم أمراً غير ممكن.

وإن السبب الذي دعانا للأطالة في الكلام حول المعجزة هو أن فهم هذا الأمر من الأهمية في هذا البحث، فمن خلاله سيتم الدخول إلى قانونية وآلية رجوع الأموات إلى الحياة قبل يوم القيامة، فهي قوانين سارية المفعول على امتداد الزمن، وإن كان لها عدة صور في الظهور، لان عملية ارجاع الموتى تتم بطريقتين، اما من خلال قدرة الولي الكامل بارجاع اشخاص إلى الحياة، او من خلال فعاليات النظام الطبيعي وكلاهما سيحدثان في الرجعة، فمنهم من يرجعهم الولي بنفسه، ومنهم من تجري عليه فعاليات النظام كما سنشرح ذلك بالتفصيل من خلال المطرة التي ستستمر لمدة اربعين يوم والتي من خلالها يتم اعداد ابدان المؤمنين.

فإذا كان هناك قانون للحياة فمنطقياً هناك قانون للموت يُعمل بهما على طول خط الزمن، لكن الأمر هنا في موضوع الرجعة مرهون بتوقيتات، وذلك بعد أن تأخذ بعض المواضيع المرتبطة بهذا الأمر غايتها كما سنوضحه لاحقاً.

اسباب انكار موضوع الرجعة

لذلك فأني أؤيد من يقول (بان الله هو واضع القوانين وليس صانع المعجزات) ، لان المعجزة هي من عمل الأنبياء والأولياء نتيجة الاستخدام الامثل لقوانين الله، لذلك قال الله عزّ وجلّ ﴿واذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني﴾^(١)، لان (الاذن) هنا تعني (بأمري) أي (بقانوني) ، فالمسيح ﷺ جرت على يديه هذه المعجزة (الخلق) لانه يعرف حيثيات القانون وبما انهم ﴿عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾^(٢)، (بأمره بقانونه) ، لذلك فهو ﷺ لا يعمل إلا بأذن واضع القانون وان كان عارفاً بالقانون، فليس هناك جهة مستقلة بالخلق والايجاد دون الله عزّ وجلّ فهم يعملون بأمره ومن خلال قوانينه.

وعليه فان تعريف الشيخ الاحسائي (للإمام والخلق) تعريف صحيح جداً اذ يقول (الإمام هو محل فعل الله والخلق هم اثار الفعل)، وهي حقيقة كبيرة ومهمة لأن الله كما ورد عن الأئمة عليهم السلام ان الله احتجب عن خلقه بخلقه، عن الامام موسى ابن جعفر ﷺ (ليس بينه وبين خلقه حجاب غير خلقه)^(٣)، فأذا اراد ان يُظهر فعله اظهره من خلال الولي، ولا يصبح وليّ إلا من تكامل واصبحت ارادته مطابقة لإرادة الله (ياعبدي اطعني تكن مثلي)، و (ان لله عبادة على الأرض اذا أرادوا أراد)، فأفعالهم هي ارادة الله عز وجل وهي في نفس الوقت الوجود واثاره.

٤- التنظير الفلسفي.

إن التنظير الفلسفي للمسائل الاعتقادية في الفكر الإسلامي الذي تناول عودة الأموات إلى الحياة وضع في حقل ضمن علم الأصول سُمي بـ (المعاد) ، ويقصدون به الحشر النهائي للناس يوم القيامة أمام الله للحساب، وقد اختلف الفقهاء والمتكلمون والفلاسفة وأصحاب الأديان والملل حول هذا الموضوع وذهبوا فيه إلى مذاهب شتى نوجزها هنا:

أولاً: إنكار المعاد على الأطلاق، جسماً وروحاً، وهو قول الملاحدة.

ثانياً: القول بالمعاد الروحاني فقط، لأن الأرواح عندهم مجردة والمجرد باقي والجسم

(١) المائدة/١١٠

(٢) الانبياء/٢٧

(٣) توحيد الصدوق/ باب ٢٨/ ح ١٢

متفسخ بعد الموت ويستحيل عندهم أعادته وهذا ما نُسب إلى جمهور الفلاسفة.
ثالثاً: القول بالمعاد الجسماني فقط لان النفس عندهم جسم لطيف سار في البدن سريان النار في الفحم.

رابعاً: القول بالمعاد الجسماني والروحاني، وهو معناه أن هذا الجسد الذي كان في دار الدنيا بجسمه وروحه منشور يوم القيامة كما كان.

ويعتقد الشيعة كسائر المسلمين أن الله عزّ وجلّ يعيد الخلائق ويحييهم بعد موتهم يوم القيامة للحساب والجزاء، وقد وقع الفلاسفة المسلمون في إشكال كبير حول هذا الأمر، فلو قالوا أن المعاد روحاني وجسماني معاً توجب أن تكون الجنة والنار والقيامة ذات وقائع مادية وهذا ما تؤكده الآيات القرآنية من أن المحشورين يوم القيامة لهم خصائص مادية، فالجنة فيها فواكه ولحم وأسرة وكؤوس وغيرها، والنار فيها مقامع من حديد وثياب من نار وغيرها، ومن ثم فإن المصير النهائي للبشرية والكون فيه واقع مادي وهذا يخالف الكثير من طروحاتهم ومقدماتهم الفلسفية التي تصف العوالم العلوية من أنها عوالم حسية خالية من المادة وآثارها، ولو قالوا بالمعاد الروحاني فقط لخالفوا القرآن الكريم صراحة^(١).

(١) والغريب ما في الامر انهم يعتبرون المعاد من الامور الفلسفية ويخلصون إلى القول ان احوال المعاد سمعية لا مجال للنظر العقلي فيها ولا ادري كيف نفسر هذا الكلام كون هناك مسألة فلسفية لايمكن النظر لها عقلاً وهل اعتمدت الفلسفة الا على الأدلة العقلية وبسبب هذا المنطق اثرت جملة من الشكوك حول موضوع المعاد جعلت الموضوع لا يحتوي التناقضات فقط بل دخل في اطار التخبط خصوصاً عند مناقشتهم لشبهة اعادة المعدوم فهم يفترضون مسبقاً تحول هذا الإنسان إلى عدم بعد الموت فكيف يمكن اعادته متناسين قوله تعالى (قل يحييها الذي انشأها أول مرة) (يس/٧٩) فالإنسان بعد موته لا يتحول إلى عدم بل يتفكك إلى اجزاء ومن بعض هذه الاجزاء يُعاد مرة اخرى وحتى لو تحول هذا الإنسان إلى عدم (وان كان لدينا مفهوم عن عدم ناقشناه ببحث مفصل) فان مسألة اعادته من قبل الله ممكنة لان الإمام الرضا عليه السلام يقول بما معناه (لاينقل الاشياء من الوجود إلى العدم الا الله) فمنطقياً لا يخرج الاشياء من العدم إلى الوجود الا الله لذلك فنحن نعتقد ان شبهة اعادة المعدوم اصلا ناتجة من سؤال خاطئ وان النقاشات التي اثرت حولها هي لمجادلة الملاحدة فقط وليس لاثبات اصل الموضوع لان الموضوع خاطئ من اساسه فتحول الامر عندهم إلى شبهة لم تثبت لديهم عقلاً، لذلك قالوا ان الثابت لديهم عقلا هو المعاد الروحاني ومن قال بالمعاد الجسماني فانه اثبتته من جهة الشرع لا من جهة العقل لذلك لا طريق لاثبات المعاد عقلا عندهم.

وقد اختلف الفلاسفة والمتكلمون والفقهاء المسلمون حول اثبات المعاد الجسماني بالدليل العقلي واغلب أقوالهم أن الثابت لديهم عقلا هو المعاد الروحاني اما الجسماني فهو ثابت عندهم فقط بخبر النبوة مما دفع البعض منهم إلى تبني المعاد الروحاني فقط وليس الروحاني الجسماني.

اسباب انكار موضوع الرجعة

أما موضوع الرجعة فلم يأخذ حقه من التنظير الفلسفي عند عامة المسلمين لسببين:

الأول: هو أن الجهود الفلسفية أنصبت على موضوع الحشر النهائي (المعاد) .

الثاني: أنكار ورفض الأعم الأغلب من المسلمين لموضوع الرجعة, فإذا كان بعضهم مثل (أبن سينا) الذي يعتقد ان المعاد الذي يشتهه العقل هو الروحاني فقط, فما بالك بموضوع مثل موضوع رجوع الأموات إلى الحياة قبل يوم القيامة^(١).

وفي الحقيقة هم الذين أوقعوا أنفسهم في هذا الأشكال وألزموا أنفسهم بالدليل العقلي لكل شؤونات العقيدة لأنهم يعتقدون إن كل أصول العقيدة يجب إن تثبت عقلا وهو كلام ليس له ما يبرره أي أن (التوحيد والنبوة والإمامة والعدل والمعاد) يجب إن تُثبت عقلا للاعتقاد بها وهي عندي مقدمة خاطئة جدا لان العقل ليس هو الطريق الوحيد للأثبات والاستدلال لذلك أشكل عندهم المعاد الجسماني لأنهم يعتقدون إن العقائد وفرروعها لا تثبت إلا بدليل العقل فكان المعاد الجسماني من أكبر اشكالات العقيدة عندهم.

ولو توخينا الدقة فليس هناك مبرر لاثبات كل العقائد بالعقل فنحن بحاجة إلى دليل عقلي صرف لأثبات وجود الصانع والى دليل عقلي صرف لاثبات إن الصانع قد أرسل أنبياء لهداية الناس أما ما بعد هذين الدليلين فلا نحتاج إلى دليل عقلي لاثبات بقية العقائد لان الله الذي ثبت لنا وجوده عقلا قد أرسل ألينا رسل اثبتناهم عقلا فما قاله هؤلاء الرسل ليس بحاجة إلى دليل عقلي لاثباته وإلا لو كانت كل أمور العقيدة تثبت بالعقل فما فائدة النقل عن الأنبياء وقد قال عز من قال: (وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا) (الحشر/٧) فاذا قال لنا القرآن الموحى إلى رسول الله بان المعاد جسماني وروحاني فاني لست بحاجة إلى دليل عقلي بعده لاثبات لأني اثبت الصانع والرسول عقلا واذا قال لي هذا الرسول (من كنت مولاه فهذا علي مولاه) فاني لست بحاجة لدليل عقلي لاثبات ولاية امير المؤمنين (ع) لان الصانع الذي ثبت لدي وجوده عقلا قد ارسل الي رسولا ثبت لدي عقلا فما يقوله الرسول فهو الحق بدون اي دليل عقلي وهي من مصاديق قوله تعالى (ما اتاكم الرسول فخذوه) .

(١) يقول السيد كمال الحيدري في كتابه المعاد/ج١/ المبحث التاسع/ المعاد الجسماني والروحاني/ ص٢٦٨ (حول الحاجة إلى دراسات اوسع واعمق حول المعاد الجسماني) يقول: (والا فالمسألة عويصة ومعقدة إلى حد جعل الكبار من الحكماء عاجزين عن الدخول فيها إلا من باب الوحي ويقول ايضا: اذن فليس كل شؤون المعاد قابلة للبحث العقلي فهذه الابدان ما هو مصيرها بعد الموت؟ اتعدم ام لا؟ او تعذب ام تنعم؟ ثم اذا كانت تحشر في الحشر الأكبر فأى ابدان الإنسان المتعددة هي التي تحشر لتعذب او تنعم) انتهى كلامه.

اقول: هذا كلام جداً مهم ففيه اقرار ان المباحث العقلية والفلسفية لم تصل إلى ان تقول كلمة الفصل في مختلف جوانب المعاد وسيلاحظ القارئ الكريم اننا لهذا السبب نحاول الابتعاد جهد الامكان عن البراهين الفلسفية والعقلية في تناول موضوع الرجعة لأن موضوع المعاد اصلا لم يُبت به عقلياً عند الفلاسفة وهو من الامور العويصة التي رجحوا ان الولوج فيها اسلم من خلال الشرع وخبر النبوة, يقول المجلسي في البحار (الاحوط الأولى التصديق بما تواتر من النصوص وعلم ضرورة من ثبوت الحشر الجسماني وسائر ما ورد من خصوصياته وعدم الخوض في أمثال ذلك لأنه قد يفضي التفكير فيه إلى القول بشيء لم يطابق الواقع ولم نكن معذورين في ذلك والله موفق للحق والسداد في المبدأ والمعاد (بحار الانوار ج٧ ص ٥٣) .

وعليه فأني اعتمد بالأساس على الدليل القرآني والدليل الروائي ومن ثم الدليل العلمي والقرائن

لذلك ستلاحظ ان كل المؤلفات الخاصة بموضوع الرجعة قد تناولت الموضوع من جانب روائي وأن الردود التي قيلت حول هذا الموضوع لرد الشبهات قد أتمدت على أدوات فلسفية ولغوية وكلامية في فهم وتحليل موضوع الرجعة، وهذه العلوم هي التي كانت سائده ومعتبره في تلك الأزمنة، فقد تم فهم موضوع الرجعة وفلسفته حسب معطيات وعلوم تلك الأزمنة.

ومما لا يخفى على بال أحد أنه في زمن صدور هذه المؤلفات كانت العلوم الطبيعية ذات أنجازات وقواعد بسيطة جداً إذا ما قورنت بعلوم هذه الأيام، وكانت هناك ثوابت فلسفية وعلمية لا يمكن تجاوزها من قبل رجال تلك الأزمنة لاسيما في مجال رؤيتهم لموضوع المعجزة كما قلنا سابقاً.

أما في الوقت الحاضر وبعد التطور العلمي والتقني في مجال الطب والوراثة والبيولوجيا أصبح لفهم موضوع الرجعة مُدخلية أخرى وآفاق أكثر للفهم، فياترى لو كان لدى علماء وفلاسفة المسلمين قبل (١٠٠٠) أو (٥٠٠) أو (١٠٠) سنة علم ودراية بمواضيع علمية دقيقة مثل علم الجينوم والوراثة وعلم الأستنساخ البشري وأطفال الأنابيب وغيرها من العلوم السائدة حالياً والتي أثبتت إمكانية نشوء جسد بشري بطرق غير الطرق العادية للتكاثر، فهل أن آرائهم ستبقى ثابتة أم تتغير؟

فإذا كانت النصوص الدينيه المتعلقة بأخبار آخر الزمان تتحدث عن أحياء أموات، وظهور مسوخ وتداخل للعوالم، فعلياً أن لا نتردد في تحليل هذه النصوص والتفكير بها، فلا أعتقد أن واحد من علماء هذه الأمة الماضين قد خطر في باله أن الإنسان يُمكن أن يُستنسخ أو يمكن أنتاجه عن طريق الأنبوبة، فالواقع العلمي السائد حالياً وما يحمله من رؤيا لمصير الإنسان يجعلنا ملزمين أن نعيد النظر بقراءة بعض النصوص التي عدّها جملة من العلماء غير معقولة أو مبالغ بها أو (ليست من ضروريات الإيمان)، لذلك فأني أعتقد أن الرجعة لن تكون مشكلة في زمنها بل مشكلتها الآن في هذا الزمان.

ولكن ما الذي أضافته الفلسفة إلى مثل هذه الامور إلا مبادئ متضاربه تؤكد

العلمية المتوفرة حالياً لمناقشة موضوع الرجعة فنحن نضيف عنصر العلوم المادية والعلوم الطبيعية كعنصر مساعد للفهم والشرح وايجاد الحلول وليس الادلة الفلسفية لأنهم اختلفوا فيها أشد الاختلاف.

اسباب انكار موضوع الرجعة

وتوسع دائرة سفسطة ابائهم المؤسسين بعد ان أقحمت نفسها بمجموعة من المصطلحات والعبارات غير المفهومه والأعراق في الرمزيات ولم تصل بنا في كل الاحوال إلى تعريف صحيح او تصور أصيل او حل بسيط، ولا نريد هنا ان يفهم البعض بأننا نُسفه آراء وافكار الآخرين (حاشاهم) ولكن نريد ان نقول ان التفرع والتشعب والتوغل في الامور العقلية والفلسفية أكثر من اللازم قد ابعدهم عن المصدر^(١)، بينما تؤكد كل المشاهدات والتجارب ان (الحقيقة بسيطه) لأن العظمة في البساطة التي هي من اساسيات الكمال لذلك تجدد الفلسفة دائماً عندما لا تجد حلاً تلجئ إلى التجريد كحل جاهز وما فكرة تجرد الروح والملائكة والعوالم العلوية إلا نتاج لهذا التضارب والتشعب في الرؤى، لذلك فنحن بحاجة إلى مراجعة بعض المقولات الفلسفية القديمة اما لاعادة صياغتها او لألغائها اصلاً او استبدالها بحقائق علمية لان الحقائق العلمية لا تتغير لكي تطابق المقولات الفلسفية، فعلم الفيزياء في الوقت الحاضر بدأت تثير اسئلة تتجاوز حدود الفلسفة فهناك فرق واضح بين ان تصيغ نظرية لفهم الاشياء من خلال التأمل النظري وبين نظرية تستند على حقائق علمية مقطوع بصحتها.

٥- أسلوب الرمز.

موضوع الرجعة في اغلب موارد لم يُذكر في القرآن الكريم بصورة مباشرة، بل وضع هذا الأمر بطريقة مشفرة وجُعل على شكل أشارات خلف السطور، لذلك تكفل أئمة اهل البيت عليهم السلام بأيضاح هذه المعاني للناس، وأسلوب التلغيز هو من الأساليب المتبعة في القرآن الكريم الذي له أساليبه في أفهام الناس وإظهار الأمور وإيصال المعلومة، فقد يتحدث القرآن عن أمر يفهم منه السامع شيء معين، ولكنه في الحقيقة يشير إلى أمر آخر، وقد ورد عن الامام الصادق عليه السلام (نزل القرآن باياك أعني وأسمعي يا جارة)^(٢)، وهذا الأسلوب هو خاصية قرآنية لحفظ المعلومات، هذه المعلومات التي لها أناس معينين وأزمنة معينة لظهورها، وهي كما روي عنهم عليهم السلام (ما كل ما يُعلم يُقال، ولا كل ما يُقال حان وقته، ولا كل

(١) يقول المثل الصيني: ان الماء كلما ابتعد عن منبعه قل صفائه.

(٢) الكافي/ ج٢/ ص ٦٣٠ ٦٣١

ما حان وقته حضر أهله^(١)، فموضوع الرجعة يسير ضمن هذا التصور وضمن هذا المنطق فله وقت وله أهل، لذلك تلاحظ أن آيات القرآن الكريم الخاصة بهذا الموضوع ذُكرت على هيئة أمثال ورموز، فمرة يربط الأمر بعملية الأنبات، ومرة يربطها بعملية سقي الأرض الجذباء وهكذا، وهذا أيضاً له مصداق واضح في كلام الامام السجاد زين العابدين عليه السلام (كتاب الله عز وجل على اربعة اشياء، على العبارة والاشارة واللطائف والحقائق، فالعبارة للعوام، والاشارة للخواص، واللطائف للأولياء، والحقائق للانبياء)^(٢)، فأنكر عموم المسلمين موضوع الرجعة لأنهم لم يفهموا من القرآن إلا (العبارة)، أما مَنْ آمن واعتقد بموضوع الرجعة فقد وضع يده على (الإشارة) وفهم معناها لأنه من أهل (الإشارة).

٦- الثقافة الدينية الشعبية.

هناك وجهة نظر كانت وما تزال سائدة في الأوساط الدينية الشعبية (لاسيما في العراق) مفادها أن رجل الدين عالم بكل شيء، فلا يقتصر علمه على حدود الشريعة والحلال والحرام، بل تعداها إلى أبعد من ذلك، فهو فقيه وعالم ذرة وكيميائي وفلكي وروحاني وأديب وحكيم..... وله في كل قدرٍ مغرّفه، وأصبحت هذه الفكرة بمرور الأيام قناعة ثابتة في أذهان الناس فهم لا يتتون بشيء إلا إذا كان لرجل الدين فيه رأي، بل ليس لهم رأي بعد رأي رجل الدين، فما دامت العمامة على رأس فلان فكلامه فصل الخطاب، أما إذا كنت حاسر الرأس فليس لرأيك أي أهمية، وصدق المثل الغربي الذي يقول (ليس المهم أن يكون لك رأس المهم أن تكون لديك قبعة).

وإذا صدرت هذه الأحكام والآراء من رجل الدين فليس هناك من يقول كيف، بل ستُدعن القواعد الشعبية لهذا التفسير إذا كان مقنعاً أو غير مقنع، فهذه القواعد الشعبية المتدنية قد تعلمت من آبائها وأجدادها جيلاً بعد جيل أنه يوجد هناك دائماً من يُفكر لك، فلا حاجة للتفكير بوجود رجل الدين، فلديه كل الحلول وكل التفسيرات. وقد صاغوا هذه القناعة بعبارة مشهورة يتداولها الناس باللهجة العراقية

(١) بحار الانوار/ ج٥٣/ ص ١١٥

(٢) ميزان الحكمة/ محمد الريشهري/ ج٣/ ص ٢٥٣١

اسباب انكار موضوع الرجعة

وهي (ذبحها براس عالم وأطلع سالم)، فعلى المتدين الأخذ بهذه الحلول الجاهزه بدون سؤال، أما إذا سئلت وقلت (لماذا) (كيف) (متى) ، فستنظر إليك كل العيون شزراً، وإذا سئلت عن أمر يخص الخالق عزّ وجلّ أو أمر غامض أو متعارض في علوم الدين فستواجه بسيل من التلميحات وربما التهديدات من أقرب الناس إليك، فأياك وأياك أن تسئل عن أمر غامض من أمور الدين، علماً أن رسول الله ﷺ قال (اسأل عن دينك حتى يقال عنك مجنون)، أما إذا سئلت عن أمر يخص القرآن فتلك الطامة الكبرى والجريمة العظمى، فسيأتيك الجواب زاجراً أن هذه المواضيع هي لخاصة الناس ولا ينظر فيها إلا العلماء، وإذا أردت أن تعلم فعليك أن تتسلح بمجموعة من العلوم والمعارف كالفقه وعلم الكلام والمنطق لكي تكون مؤهلاً للولوج في هذه الأمور، بل الأسلم لك أن تُدعن لما يقوله رجل الدين وإلا فأنت (خارج عن الملة) أو (ملحد) أو (شكاك) أو (ضعيف إيمان) أو (ذو عقل قاصر) ، علماً أن الأئمة عليهم السلام عندما كان الناس يسئلونهم يجيبونهم على قدر عقولهم ولم يشترطوا فيهم سعة المعلومات والأطلاع للأخذ منهم.

إن هذه الفكرة المتبناة من قبل هذه الأجيال المتدينة كون الأفكار والآراء لا تكون مسموعة ومقبولة إلا من رجل الدين، وعلينا أن لانفكر ولا نخرج برأي إلا ضمن إطار فهم رجل الدين، هذا الأمر يرفضه القرآن والسنة فقد حثت الآيات الكريمة والأحاديث المباركة لآل البيت عليهم السلام الإنسان المسلم في كل زمان ومكان للتدبر والتمعن والتفقه بأمور الدين والشريعة وآيات الله والكون والحياة.

وأنا هنا لا أقصد ولا أدعوا أن نبتعد أو أن نهمل رأي أو دور رجل الدين على مر التاريخ فهو مما لاشك فيه له دور مهم من خلال تعمقه في دراسة أمور الشرع ونقل جهوده إلى الناس من أجل أن لا يخرجوا عن أوامر الشارع المقدس، فلولا رجل الدين لضاعت الكثير من الأمور وأهملت لاسيما فيما يتعلق بالحلال والحرام وعلاقة الإنسان بربه وبالناس فجهودهم واضحة، ولكن نقول أن هناك عدة سلبيات ومشاكل في سلوك رجل الدين والقاعدة المتدينة، فرجل الدين أقتنع فعلاً بأنه يعرف كل شيء، فوجهة نظر الناس إليه كونه فاهم في كل الأمور قد أدت إلى ارتفاع نسبة الأنا لديه، فتصور أنه يحق له أن يبت في كل شيء، وهذه الخصلة أدت إلى اتساع الفجوة بين رجل الدين والمثقفين بصورة عامة، وبينه وبين

أصحاب الأختصاصات العلمية بصورة خاصة، فرجل الدين أنسان عالم بالحلال والحرام بصورة عامة (العبادات والمعاملات) وهو ما معروف حالياً بعلم الفقه، فهو شخص يبين للناس ما أحل لهم وما حُرّم عليهم وينظم أمورهم الحياتية فيما يخص (الصوم، الصلاة، الأثرث، الزواج، الزكاة، الخمس، الديات، الحدود...) ويدلهم على الصّح من الخطأ في هذه الأمور بالأضافة إلى دوره الوعظي كإنسان ناصح لأبناء دينه وطائفته، أما أن يكون له الحق في النظر في العلوم الطبيعية (وطبعاً له الحق في ذلك) ولكن ليس له الحق أن يبت بها دون العلم بحيثياتها الدقيقة، فأن لهذه الأمور أهل كما أن للفقه أهل^(١).

أما القاعدة المتدنية فعليها أن تعلم أن رجل الدين له الحق بالأفتاء في نطاق علمه بالفقه والحلال والحرام، أما بقية الأمور فيحق للآخرين أبداء آرائهم فيها حتى وأن كانت مخالفة لما يقوله رجل الدين، والغريب أن هذا الموضوع تفره كتب الفقه والرسائل العملية التي تؤكد أن المكلف من عامة الناس عليه أن يُقلد ويتبع الفقيه في الأمور الفرعية (الصلاة، الصيام الحج الزكاة...) (العبادات والمعاملات) فقط، أما فيما يخص الأمور الأعتقادية والأصول مثل (التوحيد النبوة العدل الأمامة المعاد) وبقية المواضيع المرتبطة بها مثل (أسماء وصفات الله سبحانه الملائكة الوحي القيامة...) فهذه الأمور يحق للمكلف أن لا يقلد العالم الفقيه فيها، بل عليه أن يعتقد بها من خلال التدبر والتفكر والأقتناع وليس من وجهة نظر الفقيه فقط، ولا بأس أن يأخذ برأي الفقيه في هذه الأمور إذا تطابقت مع قواعد العقل والشرع من خلال أشغال عقل وذهنية الإنسان المسلم بالنظر في هذه الأمور، فلا بد للإنسان المسلم من بصمه له في هذه المواضيع الرنانة التي لاتزال تحيط بها عشرات بل مئات

(١) لقد رأينا مع الاسف الشديد جملة ممن يقولون عنهم انهم علماء اخذوا العلم ترديداً على الافواه وليس فطنة وفهم، فاذا سألهم الناس عن بعض حقائق الاشياء وبواطنها وبعض المطالب الغامضة لم يعرفوا جواباً إلا قولهم كجواب حول هكذا مواضيع (انك لست مكلف بهذا) او (انك لا تعرف لغة الاصطلاح العلمي) او (انك لا تفهم) او (لابد من مقدمات طويلة) او (ان الشرع تعبدي) او (هذه طريقة السلف إلى الخلف) وهذه طريقة تهرب واضحة ناتجة من عدم استيعابهم لجملة من مطالب العلم وعدم امكانية ايصالها بشكل واضح للناس، فعليك ايها المسلم المؤمن ان تبحث عن العالم الشامل ذو الثقافة الموسوعية والاخلاق العالية الذي له نظرة في الظاهر والباطن والذي وضع يده على حقائق الاشياء ويرى اللطيفة السائرة في كل شيء وهؤلاء العلماء هم من ينطبق عليهم قول الإمام الصادق عليه السلام (علينا ان نلقي اليكم الاصول وعلينا ان تفرعوا) واذا لم يكن للعالم هذه الاحاطة الشاملة بمطالب العقيدة ففر منه فرارك من الاسد.

اسباب انكار موضوع الرجعة

الأسئلة التي هي بحق بحاجة إلى أجوبة.

هذه المقدمة سقناها لكي نقول أن موضوع الرجعة هو من المواضيع الاعتقادية المتفرعة من علم الأصول^(١)، وهذه المواضيع من حق المكلف أن لا يُقلد فيها أحداً، فإذا كان لأحد المكلفين رأي أو كلام أو وجهة نظر في موضوع مثل موضوع الرجعة قد يُخالف آراء بعض رجال الدين، فليس هذا معناه أنه قد كفر أو خرج من الملة أو أساء إلى رجل الدين أو العلماء، فالموضوع مفتوح على مصراعيه للبحث والتدقيق ولكن ضمن ضوابط القرآن والسنة.

فقد قال الإمام الصادق عليه السلام (انظروا الى رجل منكم قد روى حديثنا ونظر في حلالنا وحرماننا وعرف احكامنا فاني قد جعلته عليكم حاكماً)^(٢)، ويقول أيضاً عليه السلام (اياك ان تنصب رجلاً دون الحجة تصدقه في كل ما قال)^(٣)، في الحديث الأول دلالة واضحة لمن تأملها فإن الصادق عليه السلام يحثنا أن نأخذ أمر حلالنا وحرماننا ممن لهم الخبرة في هذا الأمر، اي يكونوا رواة لحديث آل محمد عليهم السلام، ناظرين في الحلال والحرام، عارفين بالاحكام، وهو الفقيه المنطبقة عليه الشرائط بلا شك^(٤)، فنحن نأخذ منهم مسائلنا الفقيهيه، أما الحديث الثاني فيؤكد أن علينا أن لا نأخذ من هذا الشخص كل تفاصيل الحياة لاسيما العلمية والفكرية فيجب أن يكون لنا دور في فهم الأمور الاعتقادية لاسيما ما له علاقة بالعلوم الطبيعية^(٥).

فإذا كان للفقيه رأي معين حول ماهية الملائكة مثلاً فأنا لست مجبوراً أن أخذ

(١) اعتقد أن الرجعة يجب أن تضاف إلى أصل (المعاد)، أما عند جمهرة من العلماء فهي ليست من الأصول ولا من الفروع بل من العقائد لذلك وصفوها (بأنها ليست من ضروريات الايمان) وكما سنشرح لاحقاً.

(٢) وسائل الشيعية: ج ١٨ / ص ٩٩ / باب ١١ / ح ١

(٣) معاني الاخبار/ الصدوق

(٤) نقصد بالفقيهية هو ذلك الإنسان العالم بحلال وحرام آل محمد عليهم السلام والذي تنطبق عليه الشرائط التي ذكرها الإمام العسكري عليه السلام بقوله (من كان من الفقهاء صائناً لنفسه حافظاً لدينه مخالفاً على هواه مطيعاً لأمر مولاه فللعوام ان يقلدوه) وكما هو واضح في الحديث الشريف ان لفظة (للعوام) مختلفه في الدلالة والمعنى عنها لو قال (على العوام) اي ان الامر يختلف من حيث الوجوب والتخيير.

(٥) فاذا كان معنى التقليد هو الأخذ ممن لديهم العلم والدراية بالحلال والحرام وأحكام الشريعة من مرويات آل محمد عليهم السلام حسب القواعد والضوابط التي وضعها آل محمد عليهم السلام للانسان الذي ستأخذ منه فهو أمر شرعي وعقلي في نفس الوقت، وان كان القصد من التقليد هو الأخذ من الفقيه كل شيء فهو عندي (اللا تفكير).

بقوله إذا أتضح لي عدم مطابقته للحقيقة القرآنية أو الروائية، وأنا في هذا الأمر لا أكون مذنباً لأنه موضوع اعتقادي ليس فيه تقليد، وعليه فأن مجمل الآراء التي صدرت من قبل رجال الدين حول موضوع الرجعة هي أمر يمكن لعامة الناس عدم الألتزام بها، فمن أراد البحث فليبحث ومن وصل إلى نتيجة قرآنية وعقلية وأعتقد بها وأن خالف رجل الدين فهو رأي يجب أن يُحترم لأنه رأي ناتج من التدبر في آيات الله سبحانه وتعالى وليس من حق رجل الدين أن يُلزم المكلف برأي معين في هذه الأمور لأنهم أنفسهم قد اختلفوا فيها أشد الأختلاف.

أما في الآونة الأخيرة فقد سمعنا عدة آراء وأفكار صدرت من بعض رجال الدين وتبناها مجموعة من مريديهم وأتباعهم مفادها أنه لاداعي للخوض في مواضيع معينة مثل الرجعة وأحاديث آخر الزمان لأنها مواضيع مبهمة، وبأختصار هي من شغل الله وليس من شغلنا، وهذا المنطق مصداقه في القرآن واضح لقوله تعالى ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتهم تأويله﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿واذا لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم﴾^(٢).

أقول لهم ما ذنبنا إذا لم تتمكنوا من الوصول إلى نتائج مقنعة حول هذه المواضيع، وما ذنبنا إذا كانت أفكاركم وعقولكم لاتستسيغ هذه المواضيع، وما ذنبنا إذا كانت هذه الابواب لم تُفتح لكم، فليس من الأنصاف عندما نفكر في أمر ولا نصل إلى نتيجة أن ننكره أو أن نغلق الباب ورائنا على الآخرين.

أعتقد أن هذه المواضيع مفتوحة ومجال البحث فيها واسع، وعلينا أن نتذكر دائماً قول الإمام الصادق عليه السلام (اياك ان تنصب رجلا دون الحجة تصدقه في كل ما قال)، وعليه فأني في هذا البحث أو من بحديث الإمام الصادق عليه السلام بعدم الأعتداد كلياً على ما قاله علماء الدين في موضوع الرجعة، فهناك عدة قرائن وأدلة وبراهين صدرت من جهات مختلفة على مر التاريخ حول هذا الأمر العجيب، وكما سنوضح لاحقاً، لاسيما بعد الأنجازات العلمية الكبيرة التي قذف بها القرن العشرين والواحد والعشرين إلى واقع الحياة في مواضيع خاصة جداً وعلى درجة عالية من الخطورة مثل (الوراثة علم الجينات الأستنساخ البشري البيولوجيا أطفال الأنابيب

(١) يونس/٣٩

(٢) الاحقاف/١١

اسباب انكار موضوع الرجعة

زرع الأعضاء الخلايا الجذعية) ، هذه العلوم التي جعلت الإنسان في زمننا هذا يضع يديه على كنوز معرفية لا بد أن تغير من وجهة نظرنا لبعض المواضيع الحساسة، فالعلم في هذه الأيام بدء يتكلم عن أمور لا يمكن تمييزها عن السحر وبدأ يفك الكثير من الطلاسم والالغاز.

٧- المعلومة المستقبلية.

هناك مواضيع خاصة ذات بُعد (مادي روحي) لا يمكن أن تكون واضحة ومفهومة في زمن معين، فأى محاولة للكلام بهذه المواضيع سيكون نتيجته الرفض إذا تم الكلام بها في زمن قبل زمانها وهذا بالضبط ما ينطبق على موضوع الرجعة، لذلك وردت عبارة دقيقة للامام عليه السلام في الحديث الذي أوردناه في بداية هذه المقدمة وهو قوله عليه السلام (فغلبني الضحك سروراً أن في الخلق من يؤمن به ويقر) ، وهذا دليل كافي على أن من يؤمن بهذا الأمر هم القلة حتى في زمنه عليه السلام ، فموضوع الرجعة مخصص لزمن قادم (زمن الظهور المبارك)، إذ أن من الصعب على العقل والنفس أن تعيش في زمن غير زمنها الذي عاينت أحداثه وأستوعبت أفكاره وشهدت معاملاته وعرفت أدواته وتكيفت بعاداته، وقد ترى ذلك واضحاً بين جيلين أو ثلاثة من أجيال البشر في نفس الزمان والمكان، فنلاحظ دوماً وجود فجوة بين ما يساور عقول الشباب وعقول الشيوخ، فإذا كان موضوع الرجعة من المواضيع المنكرة سابقاً للأسباب التي ذكرناها، فأنا أعتقد أنه قد جاء الوقت للكلام والبحث في هذا الموضوع الذي ظل في طي الكتمان لزمن طويل، فقد آن أوانه وظهرت مقدماته لاسيما بعد الآفاق الكبيرة التي فتحتها ومازال يفتحها العلم على كافة ميادين المعرفة، هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار الفهم الجديد لبعض المسائل الروحية من قبل العلم نفسه بعد أن كانت هذه الأمور مرفوضة عنده في القرون الماضية.

فتطور العلم يطرح أمامنا أسئلة جديدة أو في الغالب يعيد طرح أسئلة قديمة بصيغة جديدة، إذاً علينا اليوم أن نُعيد النظر والتفكير في الربط بين العلم والدين، بين الماديات والروحانيات، بين الجسد والروح، بين أصل الأشياء ونهاية الأشياء، فقد جاء الوقت الذي ستصبح فيه مبادئ العلم وثيقة الصلة والقربى من قلب الأشياء وماهيتها، ويجب علينا ان نتخلى عن ردة الفعل السريعة التي ترفض كل موضوع

غريب عن تصورنا، والواقع أن الإنسان في عصرنا قد وضع قدمه على أول درجات سُلم طويل، وطبيعي أن موضوع مثل موضوع (الرجعة) سوف يهاجم بالرفض والآنكار في بداية الأمر، ولكن الزمن القادم سيثبت هذا القانون الألهي، فأن العالم غاليلو قد صرّح وأثبت أن الأرض تدور وهو خلاف ماكانت تعتقد به الكنيسة في ذلك الوقت فُقدم إلى المحاكمة وحُكّم وأُجبر على التراجع عن هذه الفكرة وكانت النتيجة (أن الأرض تدور) .

٨- العدل الإلهي.

ربما يقول البعض لماذا وضع قانون الرجعة؟ لماذا لا يكون التسلسل المعروف عند أهل الإسلام لسير الحياة ثم الموت ثم البعث هو الصحيح؟ ولماذا نضع موضوع الرجعة ضمن هذا التسلسل؟ وما الفائدة منه؟ وهل ان هذا التسلسل في الفعاليات لا يصح إلا بوجود حياة ثانية تسبق يوم القيامة؟

ان هذه التساؤلات هي من المواضيع الأخرى التي جعلت الأعم الأغلب يُنكر موضوع الرجعة ومردها الفهم المحدود لقضية العدل الإلهي.

أن الرجعة هي مظهر كامل من مظاهر العدل الإلهي، وما محاولتنا لأثبات أصل الرجعة وتفصيلها إلا لأثبات هذا الأمر بالذات، فإذا كان هناك منقذ للبشرية يظهر في آخر الزمان تحدثت عنه كل الكتب السماوية ومهد له كل الأنبياء والمرسلين، وإذا كان هذا المنقذ هو الغاية التي رسمها الله جل وعلا للأرتقاء بالنوع الإنساني باسناد هذه الوظيفة لأحد عباده المصطفين ﴿أني جاعلٌ في الأرض خليفه﴾^(١)، وهذه الخلافة والتمكين لم تحدث لحد الان والتي ستنتقل البشرية إلى واقع حياتي وفكري جديد في نقلة نوعية لم يشهد لها التاريخ الإنساني مثيلاً، أو كما عبر عنها رسول الله ﷺ بكلمة جامعة وشاملة بقوله (يملئها قسطاً وعدلاً)، هذا الواقع الذي أسماه المسيح ﷺ بـ (ملكوت الله على الأرض)، هذا هو واقع دولة العدل الإلهي الذي عبرت عنه آية قرآنية اخرى ذات بُعد مستقبلي يمثل الغاية من جعل هذا الخليفة على الأرض وهي قوله تعالى ﴿ان الأرض يرثها عبادي

اسباب انكار موضوع الرجعة

الصالحون ﴿١﴾، فهل يصح في هكذا دولة وهكذا مُلك وهكذا مرحلة أن لا يتمتع بها إلا أهل ذلك الزمان؟.

إن ملايين البشر الذين أفنوا أعمارهم وسخروا جهودهم وآمنوا بهذا اليوم الموعود عقلاً وقلباً ووجداناً ووافتهم المنية قبل أن يدركوه، فهل من العدل في دولة العدل أن لا يكون لهؤلاء نصيب من هذا النعيم.

إن الإيمان بموضوع الرجعة وأثباته هو الحل الوحيد لهذا التساؤل، لأنه مظهر من مظاهر العدل الألهي، لذلك قال أبو عبد الله الصادق عليه السلام (من مات منكم على هذا الامر منتظراً له كان كمن كان في فسطاط القائم صلوات الله علي) ^(٢).

وبما ان الطفل بعد ان يولد يحتاج إلى فترة من الزمن لكي يفهم لغة والديه، كذلك الحال معنا في نظرنا لعدل الله وإرادته التي اودعها في القرآن الكريم على شكل قوانين، فالقرآن لغة كونية يتحدث بها الخالق معنا، ونحن حتماً بحاجة إلى فترة زمنية مناسبة وتجارب متعددة لكي نفهم لغة الإله الكونية، وبما ان حياتنا قصيرة فهي بالمعدل بين (٧٠ و ٨٠) سنة وهي في كل الاحوال فترة غير كافية لأنضاج الوعي الإنساني كفرد ومجموع لفهم مقاصد وغايات الإله، فكان (نظام وقانون الرجعة) حكمة إلهية لكي يُعطي الإنسان فرصة كافية من ان يعيش يوم كوني (بألف سنة مما تعدون)، وهنا تكمن الخطوره في عدم شمول الإنسان بالرجعة فهو سيحرم نفسه من نقلة تطوريه نوعيه في كل مفرداته.

فالإيمان بالرجعة يجعل لحياتنا قيمة لأن (ما نفعله هنا سيكون له صدقاً في الخلود)، فهي تمثل العودة الناضجة إلى مصدرنا ونوعنا، ولا تستغرب اذا عرفت ان الرجعة هي الخطوة الأولى والصحيحة لكي يضمن المؤمن الدخول إلى (جنة عرضها السماوات والأرض) حيث لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ^(٣).

(١) الانبياء/١٠٥

(٢) المحاسن/ البرقي/ ج ١ / ص ١٧٢

(٣) سنثبت في موضوع لاحق أهمية وضرورة نظام الرجعة لان له علاقة في تسلسل العوالم وبالتالي فهم واضح لسير الموجدات وترقيها.

٩- أهمال النصوص.

إن المتتبع لأخبار الرجعة يجد أشارات إلى أهمال بعض النصوص لأسباب عديدة. فمثلاً يقول العلامة المحدث (محمد بن الحسن الحر العاملي) .

(وقد رأيت أيضاً أحاديث كثيرة في الرجعة غير ما جمعته في هذه الرسالة ولم أنقلها لأن مؤلف ذلك الكتاب غير مشهور ولا معلوم الحال. ورأيت رسائل في الرجعة لبعض المتأخرين تشمل على أحاديث غير ما أوردته ولم أنقلها أيضاً لأشتمالها على أمور مستبعدة ينكرها الناس في بادئ الأمر مع أنها لا تخرج عن قدرة الله تعالى, ولكن الأقرار بها صعب على الناظر فيها وتحتمل الحمل على المبالغة إذا ثبت ما يعارضها) ^(١). انتهى كلامه.

إن عدم نقل العلامة العاملي لهذه الأحاديث لعدة أسباب:

أولاً: لأن مؤلفها غير معروف الحال.

ثانياً: لأنها تشمل على أحاديث على غير ما أوردته.

ثالثاً: لأشتمالها على أمور ينكرها الناس.

رابعاً: أنها تحتمل الحمل على المبالغة.

وربما يقول البعض أن العلامة العاملي محق بعدم النقل والأخذ ممن كان مجهول الحال عنده, حسب قواعد علم الحديث, ولكنه في الوقت نفسه لم يأخذ من مجموعة أخرى وصفهم (بالمتأخرين) وهم بلا شك معلومي الحال لديه, بسبب أن ما نقلوه من الأحاديث تخالف ما أورده العاملي (فمن هؤلاء المتأخرين وماذا كتبوا) ؟

هذه الطريقة عند البعض أدت إلى أهمال جزء كبير من الأحاديث خاصة والتراث بصورة عامة, فهل يحق لنا أن نهمّل جزء من الأحاديث والتراث بحجة أنه غير مستساغ, أو غير معقول, أو صعب التصديق, أو أن رواته مجهولين؟ إذ لربما يأتي يوم تكون فيه هذه النصوص ذات فائدة ومقبولة, وهل تم الاستغناء عن هذه النصوص نتيجة عرضها على القرآن أو السنة الصحيحة أم لمجرد أنها غير مقبولة لدى فلان

(١) الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة/الحر العاملي/ باب ٢/ الاستدلال على صحة الرجعة/ ص ٧٣.

اسباب انكار موضوع الرجعة

أو فلان؟ ولكن الغريب أن العلامة العاملي يقول أن هذه الأحاديث صعب الأقرار بها وفيها مبالغة، مما يدعوننا للتساؤل هل إن أحاديث الرجعة المتفق عليها من قبل علماء الشيعة هي سهلة ويمكن تصديقها بسهولة، أم أن كل أحاديث الرجعة غريبة وتستبعدا أغلب العقول، حتى أن امير المؤمنين عليه السلام وصف أحداث الرجعة بقوله **(العجب كل العجب)**، فما هو الفارق بين أحاديث الرجعة التي ينقلها العاملي وبين الأحاديث التي يعتقد أنها مبالغ بها.

وكان الأولى بنا أن نحتفظ بكل شاردة وواردة من تراثنا لاسيما فيما يتعلق بأحاديث آل محمد عليهم السلام، فما هو غير مُدرك لنا في الوقت الحاضر قد يجد له حملة في الزمن القادم، وليس من الأنصاف أن نُحمل هذا الجزء من الأحاديث لمجرد أن عقول الناس لا تتحملة، فلربما كان الأضطراب الذي يُعاني منه موضوع الرجعة هو بسبب أهمال هذه النصوص التي قرر بعض الأشخاص نتيجة قناعات مُسبقة أنها غير صحيحة، فلو كانت هذه الأحاديث المهملة مثلاً تتحدث عن أماكنه أستنساخ الإنسان كما هو متوقع عند أهل هذا الزمن، فهل من الأنصاف أن نُحمل لأنها لا تتناسب مع عقول أهل ذلك الزمان.

وأني على يقين أن هذه النصوص التي أُهملت هي الآن محط عناية عند جهات أخرى مخزونة في متاحفها بعد أن عرفت أن لكل زمن نصوصه الخاصة به، وهذا الأمر تجده واضحاً عند جملة من العلماء والباحثين لاسيما فيما يتعلق بنظرهم إلى الكتب المقدسة (التوراة والأنجيل) فهناك حل جاهز دائماً وهو أن هذه النصوص مُحَرَّفَة، نعم يوجد تحريف ولكن في الوقت نفسه يوجد ما هو أصيل.

وهنا أسائل: من هو الذي يُحدد أن الموضوع الفلاني حقيقة أم خرافة، وما هي الضابطة الحقيقية للفرز بين الاحتمالين؟

إن موضوع الخرافة موضوع نسبي، فما هو خرافة سابقاً أصبح اليوم حقيقة^(١)،

(١) كان الناس في نهايات القرن التاسع عشر يتندرون في مجالسهم الخاصه والعامه ويسخرون من الاخبار التي نقلتها بعض الكتب القديمة او الاحاديث او التراث الشفوي الشعبي لأؤلئك الناس من ان (الحديد) في يوم من الايام سيطير وكانت الاخبار والتعليقات حول هذا الموضوع واشباهه تُصنَّف من باب الخرافة وفي احسن الاحوال من باب الاستغراب، ولا نستطيع في كل الاحوال ان نلوم من لا يصدق بهذا اخبار لأن الموضوع بمجمله سابق لمستوى عصره ففي تلك الفتره من الزمن التي كانت النظره العامه لعمل بعض الاجهزه الميكانيكية البسيطة كونها من عمل الجن

ومن هنا اصدر جمهرة من العلماء والباحثين أحكاماً مُسبقة على مواضيع خاصة جداً ناتجة من (أختيارات وضوابط مزاجية) خاصة بهذا العالم أو ذلك الباحث وهي غير متحقق منها ولا تمثل في كل الأحوال حقيقة الموضوع المتحدث عنه، فالمسلمين بصورة عامة يؤمنون بأن العصا قد تحولت إلى أفعى على يد نبي الله موسى عليه السلام وهي من الثوابت التي لا يمكن أنكارها لانها مما ورد في القرآن الكريم، أما إذا ذكرت الأحاديث أن (الصورة) قد تحولت إلى (أسد) على يد أحد الأئمة عليهم السلام فالموضوع عندهم يكون خرافة^(١).

والشياطين، وهذه النظره لم تكن مقتصره على عموم الناس وسوادهم بل حتى الذين يصنفون انفسهم بأنهم متعلمين او متفتحين فقد كانوا ينظرون لهذه الحكايات والتوقعات من باب الريبه والشك وربما اتهام من يؤمن بها بالقصور الذهني.

وما ان حل علينا القرن العشرين حاملاً معه نتاجات عصر الصناعة حتى أصبحت الطائرات من الاسلحه المهمة في الحرب العالميه الأولى (١٩١٤ ١٩١٨) وسط دهشة الكثير من الناس الذين اعتقد البعض منهم ان الطائرة هي من عمل الشيطان، وبعدها تقبل الناس هذا الواقع وهذه الحقيقية واصبحت خرافة طيران الحديد حقيقه رغم انف الكل بعد ان اصبحت الطائرة من مسلمات هذا الزمان، ويا ليت الامر اقتصر على طيران الحديد بل الامر تعدا ذلك بكثير فهذا الحديد غزا الفضاء بل ان احد المسابير الفضائيه الذي اطلق في السبعينات من القرن العشرين قد عبر حدود المجموعة الشمسيه فيما شهدت خمسينات القرن العشرين وما بعدها الثورة التكنولوجية التي جعلت جملة من المعادن تدخل في صناعة الاجهزة الالكترونيه التي (تتكلم وتنقل الصور) ولم تبقى شارده وواردة في هذا الزمان الا وسُجلت على الرقائق الالكترونيه. وصدق من قال ان (حماقة البارحة هي حكمة الغد) ، بل ان هذه الافه طالت حتى العاملين على العلوم التجريبية الحديثة فحتى مطلع القرن العشرين كانت هناك عقليات علمية مرموقة تسخر من جملة من المواضيع العلمية التي كانت مطروحة على مستوى النقاش النظري مثل امكانية معرفة سرعة الضوء او الوصول إلى الكواكب او الثقوب السوداء او تحول المواد وغيرها التي اصبحت من مسلمات هذا الزمن.

وان موضوع الرجعة يشمله هذا المستوى من التصور اذا قُدر لك متابعتة على طول خط الزمن فمن يضحك منه اليوم من المثقفين والمتدينين والمتعلمين سيفاجئهم الزمن القادم بتحقيق هذا الامر خصوصاً بعد التقدم العلمي الكبير في مجال الطب والاستنساخ البشري والشفرات الوراثية وعلم الاجنة وغيرها من العلوم التي تحمل في طياتها تصورات علمية لفهم الكثير من خصائص جسم الإنسان وامكانية اعاده انتاجه.

(١) عن علي بن يقطين، قال: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى عليه السلام ويقطعه ويخجله في المجلس، فأنتدب إليه رجل معزم، فلما حضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز فكان كلما اراد خادم ابي الحسن عليه السلام ان يتناول رغيفاً من الخبز طار من بين يديه، فأستفز هارون الفرح والضحك لذلك فلم يلبث ابو الحسن عليه السلام ان رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور فقال له (يا أسد الله خذ عدو الله) قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فأفترست ذلك المعزم، فخر هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه، فلما أفاقوا قال هارون: يا ابا الحسن عليه السلام أسألك بحقي عليك لما سألت هذه الصورة ان ترد الرجل، قال: (ان كانت عصا موسى ردت ما ابتلعتة من حبال القوم وعصبيهم فأن هذه الصورة ترد ما ابتلعت من هذا الرجل) ، فكان ذلك أعمل الاشياء في أفاته نفسه.

اسباب انكار موضوع الرجعة

وهذا بالضرورة يقودنا إلى ما قلناه في موضوع المعجزة، فالمعجزة عند المسلم هي القدرة وأنتهى الأمر، وهو موضوع لا يمكن البحث فيه، أما في الحقيقة فإن العصا التي تحولت إلى أفعى على يد موسى عليه السلام، والطين الذي تحول إلى طير على يد المسيح عليه السلام، والصورة التي تحولت إلى أسد على يد احد الأئمة عليه السلام موضوع ممكن ضمن نفس القوانين العامة التي تحكم الأشياء، ولكننا مع الأسف نحكم على الأمور وفق قناعات مسبقة وأمزجة متضاربة بدلاً من أستخراج القانونية من مصدرها القرآني التي من خلالها يمكن فهم عمل الأشياء ومن ثم الحكم عليها.

وهنا لا نريد أن يتهمنا البعض بالمصادرة المستعجلة للجهود الروائية والبحثية المتعلقة بالرجعة عند السلف، فمن الظلم أن نتجاهل حيثيات تلك الازمنة وما كان يُحيط بعلماء ذلك الوقت من ظروف ذاتية وموضوعية، ولا نريد ايضاً الدفاع عن أحد، فالواضح أن مُعطيات تلك الازمنة لم ترتقي لأن تُفسّر أو تُنظر لموضوع الرجعة كما ينبغي خصوصاً مع وجود طرف مُخالف يُسفة ويُبكر ويتجنى على كل ما قيل حول هذا الموضوع، فيكفي أن يتهم هذا الطرف المؤمن بالرجعة (بالباطنية او الحشوية) فيجعل علماء تلك الازمنة يدخلون في معركة فكرية وكلامية لرد هذه التهم عنهم مما يُبعدهم عن أصل الموضوع، والذي أدى بالضرورة إلى صدور جملة من الميترات للتخلص من بعض الاحاديث التي شكلت لهم حرجة واضحة ومنها أحاديث الرجعة، ولكننا هنا نوجه اللوم إلى بعض العلماء الذي يعترف صراحةً بأن الرجعة (لا تساوي قُلامة ظفر) .

يقول الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء المتوفي سنة (١٣٧٣) هجرية حول موضوع الرجعة (وانا لا اريد ان أثبت في مقامي هذا ولا غيره صحة القول بالرجعة وليس لها عندي من الاهتمام قدر قُلامة ظفر) ^(١).

فمن الواضحات ان كل موضوع فكري او ثقافي اوديني مطروح أو سُيُطرح يجد له من يؤيده ومن يُعارضه، فلا تجد في الفكر الإنساني مثال واحد على موضوع اتفق عليه الجميع، بل كل المواضيع هي محل نقاش وخلاف وصدق أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام عندما قال (أرضاء الناس غاية لا تدرك) .

ومن الطبيعي أن يكون موضوع الرجعة يشمله هذا التصور، فله من يؤيده وله من

(١) اصل الشيعة واصولها/ محمد حسين كاشف الغطاء/ ص ١٦٨

يعارضه, أما من قال ان الرجعة ليست من ضروريات الإيمان فهو اجمالاً يؤمن بها لكنة أحتار في تفسيرها وفي تصنيفها, ولكن ماذا نسمي من كانت عنده الرجعة (لا تساوي قلامه ظفر), لماذا هذا التسفيه للموضوع؟ ولماذا هذه الجناية على التراث والاحاديث؟ فلو صدقت آية واحدة اوحديث واحد عن الرجعة لكنّا أمام امر خطير.

ولكنني رأيت عند متابعتي للجهود البحثية للعالم الغربي (في مجال العلوم الطبيعية والتجريبية والعلوم الدينية وخصوصاً ما يتعلق بالنصوص والمخطوطات) انهم يحتفزون ويقدرون كل شاردة وواردة من تراثهم ودينهم, بل حتى انهم يهتمون بأنصاف المواهب التي لها نتاج في هذه المواضيع, وتجد روح البحث طاغية على كل نتاجهم, أما في عالمنا الإسلامي فوجدت أناس متخصصين في قتل المواهب والغاء النصوص وأهمال التراث, وان يؤس هذه الامة لتجده واضحاً عندما تجدها تُمجد نص قصصي لا يخلو من المجون مثل (الف ليلة وليلة) وتسفّه موضوع الرجعة^(١).

ولو أننا كنّا في زمن الفطرة والتعبد بالحديث لكانت احاديث الرجعة على رأس قائمة الدرس, ولكننا مع الاسف في زمن المنهجية التي لا تخلو من الابلسة, هذه المنهجية التي تعاملت مع النص المعصومي بأستحياء واضح ولم تتعامل معه كونه صادر من مقام العصمة مما يشكل علامة استفهام حول إيمان البعض بمشروع الامامة والعصمة عند انكارهم او تضعيفهم لموضوع الرجعة, ويبدو ان اهمال

(١) ان المثقف المطلع لابد وانهُ لاحظ ان هناك جهود بحثية كبيرة على كافة الاصعدة الثقافية والفنية والفكرية والعلمية وحتى الدينية تهتم وتحلل وربما تتبنى الكثير من نتاجات الأمم والحضارات السابقيه كالأغريق التي ملئت اخبارهم آلاف الكتب والتي تتحدث وتحلل وتمجد بجمال وروعة الاساطير والميثولوجيا الاغريقية ومقولاتهم الفلسفية وتراثهم الفكري والاسطوري بل حتى ان هناك معاجم خاصه لمفردات ومعاني هذه الاساطير ومرموزات هذه الحضارات اما على المستوى الأكاديمي فهناك عدد لا يستهان به من الشهادات العلمية الراقية التي اختصت بهذه الحضارات ومرموزاتها, وعلى الرغم من ان اغلب هؤلاء الباحثين والمفكرين (اقصد المسلمين منهم) يقرون ان الاساطير الاغريقية من الخرافات والخيال الواسع الا انهم يتحدثون عنها بكل احترام بأعتبرها نتاج فكري لأمّة من الامم ولم اجد احد منهم وصل به الامر إلى تسفيه هذه الاساطير حتى وان لم يؤمن بها بل الجو العام عند المطلعين على هذا التراث هو الاحترام والتقدير, اما في موضوع الرجعة وحتى الكثير من المواضيع الدينية فلم ينل الاهتمام على المستوى الاكاديمي وحتى في الدراسات الدينية لأن وجهة النظر الغالبة هي التسفيه والتضعيف والسخرية فأساطير الأغريق تُحترم والرجعة لا تساوي قلامه ظفر, ونحن هنا لا نريد من الآخرين ان يؤمنوا بما نؤمن به قسراً, ولكننا نقول لماذا لا يُحترم تراثنا الديني والفكري كما يحترم تراث الاغريق.

اسباب انكار موضوع الرجعة

موضوع الرجعة هو موضوع حديث بدأ من زمن الانقلاب في الوسط الشيعي, وفي رأيي ان سبب أهمال موضوع الرجعة من قبل علماء الدين هو أن المنصب الديني عندهم وجاهة اجتماعية ومطلب شخصي وليس مشروع حياة فكري وعقائدي ومعرفي, وعليه فأنا هناك الكثير من المشاكل حول مواضيع معينة سببها أهمال أو ترك بعض النصوص بحجج متعددة.

١٠- الثوابت الوراثة.

هناك آفة رافقت جملة من العلوم كالتاريخ واللغة والعقائد بل حتى في الفقه, وهي: وجود ثوابت لهذه العلوم متفق عليها ثبتت نتيجة تقادم الزمن وهي غير متحقق منها, أو بأختصار كما يقولون (رُبّ مشهور لا أصل له) .

وهذا الأمر شائع عند النظر إلى مجمل العلوم الدينية لوجود هالة من القداسة حول الأشخاص الذين صدرت منهم هذه الآراء, أو لأنها تعالج نصوص دينية مقدسة, فكانت مراجعة هذه النصوص والآراء تشكل علامة أستفهام حول من يراجعها, فيضطر الباحث أو التلميذ إلى تقبلها كثوابت أما للحفاظ على مستقبله العلمي أو على الأغلب هو الخوف وعدم الجرأة الناتج عند التفكير بهكذا أمور, فالحل الأسلم عند الأغلبية هو ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون﴾^(١). ولاضرب لك مثلاً وأن كنت أعتقد أنه حقيقة.

أفرض أن هناك رجل دين مشهور في عصره بالعلم والفقاهة قبل (٥٠٠) عام, وصدر من هذا العالم رأي أو مقولة في موضوع مثل الرجعة كأن يقول: (الرجعة ليست من ضروريات الإيمان) , وقد لاقى هذا الرأي أو المقولة في زمانه القبول والأستحسان من قبل جماعة العلماء وتلاميذ العلوم الدينية وطبقة المتدينين, وعند رحيل هذا العالم من الدنيا لن يجرؤ أحد من تلاميذه أن يقول أن لي رأي مخالف لرأي أستاذي, لأن مكانة هذا التلميذ بالأصل ناتجة من كونه تلميذاً لهذا العالم المشهور, فالأوساط الدينية وكل الناس تنظر إليه كونه (تلميذ فلان) , فأذا خطئ أستاذه ثلم ثلمه في مكانته هو, وبما ان الرجعة ليست من المواضيع الفقهية التي لها علاقه بالحلال والحرام, وهو ما يحتاج اليه الناس يومياً, فالحل الأسلم لهذا التلميذ

(١) الزخرف/٢٢.

هو أن يروج مقولة استأذنه فهي حلول جاهزة توفر له عناء البحث وربما التصادم مع غيره، والآن لو أن هذا التلميذ اللبيب أصبح هو أيضاً عالماً مشهوراً وله كلمة ورأي مسموع قد مات أيضاً، فأن تلامذته لا يمكن أن يخرجوا عن رأي أستاذهم واستأذ استأذهم، فقد أقرّ هذا الأمر أثنان من كبار العلماء، والنتيجة أنهم سيتبنون نفس الرأي ونفس الفكرة بدون أدنى تفكير، فما بالك لو أستمروا هذا الرأي مقبول على أمتداد (٨ أو ٩) أجيال من العلماء فلا تجد في كلام هذه الأجيال إلا قولهم: (ان هذا الأمر قد أجمعت عليه كلمة علمائنا)، هنا سيرز لنا سؤال أعتقد أنه جداً مهم وهو: لو ان العالم الكبير المشهور الأول قال في حينها (ان الرجعة أمر ضروري من ضروريات الدين او انها موضوع متفرع من المعاد الذي هو من الاصول) لتبنت هذه الأمة مقولته ولوجدتها الآن تلوكتها الألسن وهي السائدة.

أما في الجانب العلمي فلا تجد هذه الآفة في العلوم التجريبية وان وجدت فهي ذات عمر قصير بل تموت بعد أقل من جيلين، والسبب هو استناد هذه العلوم على منطق الرياضيات الذي يوفر لهذه العلوم قاعدة رصينة في طرح الخطأ وأبقاء الصحيح، بالإضافة إلى التحليل والبحث والملاحظة التي هي من أدوات العلوم التجريبية والتي تجعل هذه الثوابت في حالة مراجعة مستمرة، فلا يمكن لأي باحث علمي أكاديمي أن يقول أن قاعدة فيثاغورس الرياضية صحيحة لمجرد اتفاق الآخرين عليها، فهو حتماً سيستخدمها في بحثه شاء أم أبى، وقد تأكد من صحتها نتيجة الاستخدام وليس من خلال رأي الآخرين.

لذلك فمراجعة بعض الثوابت في الفكر والفلسفة والعقائد الدينية هو امر ضروري جداً، ونحن هنا لا نريد ان نقول (كما قد يفهم البعض) أن نراجع ثوابت (سماوية) متعلقة بالنص او الرسالة او الوحي او التشريعات بصورة عامة، فلا يمكن مثلاً أن نراجع كون الخمر حلال ام حرام، فهناك في النص المقدس ثوابت أنكارها هو خروج عن الملة، ولكني هنا اقصد بالثوابت هي تلك المقولات والافكار التي تبناها البعض وأخذت صفتها القانونية وهي غير مبحوث بها أصلاً لعدد كبير من الأجيال والباحثين، وموضوع الرجعة بالذات هو ما ينطبق عليه هذا التصور.

وبأمكانك ان تجد الكثير من الشواهد على ما نقول فأن الكثير من طلبة العلوم الدينية يشككون ويعترضون على الكثير من المرويات الواردة عن آل

اسباب انكار موضوع الرجعة

محمد ﷺ من جهة السند او المتن او الدلالة بحجة ضعف السند او التعارض او عدم المقبولية وغيرها, إلا أنهم لا يشكلون على آراء اساتذتهم وكأن كلامهم فصل الخطاب, وبامكانك ان تتابع عدد من المواضيع الغير قليلة قد اهدر فيها العلماء الكثير من الجهد والوقت في مناقشة مسائل فرعية قد لا تكون محل ابتلاء ولا مرة واحدة في العمر, فيما لم ينفقوا مثل هذا الجهد والوقت في متابعة ومناقشة موضوع الرجعة.

ومع الاسف الشديد نلاحظ ان الدين عند جملة من العلماء والمتدينين هو موضوع تعبدي صرف وليس موضوع بحثي, فكان الاهتمام منصّب عند المتدينين على المواضيع الفقهية لعلاقتة بالجانب التعبدي, مما يظطرنا لاثارة تساؤل واضح يعرفه الكل, اليس البحث والعلم عبادة ايضا؟ وقد قال رسول الله ﷺ (ساعة تفكر خير من عبادة سبعين سنة), فكان التركيز في علوم الدين بصورة عامة على الاتجاه الفقهي واهمل بشكل واضح الاتجاه العقائدي لانه مرتبط بالعلم والبحث, لذلك قالوا عن الرجعة (ليست من ضروريات الإيمان) لانها موضوع عقائدي علمي فكري.

١١- الحيرة في تصنيف الموضوع.

تُقسّم مواضيع الدين بصورة عامة إلى قسمين (الفروع والاصول).

ففي حقل الفروع تناقش مسائل (العبادات والمعاملات), وهو موضوع الرسائل العملية للفقهاء بصورة عامة, اما حقل الاصول فيتم فيه مناقشة الاصول الخمسة (التوحيد النبوة المعاد العدل الامامة)^(١), ومن هذا التقسيم تجد هناك حيرة واضحة في إيجاد حقل معرفي ضمن الاصول والفروع لتصنيف موضوع الرجعة, فهو في كل الاحوال لا ينتسب إلى الفروع فلا بد أن يناقش من جملة مواضيع الاصول, ولكنهم إذا نسبوه إلى الاصول سيكونون أمام احتمالين.

الأول: هو أن يقولوا انه موضوع ضمن مواضيع الاصول الخمسة وهو لا محالة سيوضع في حقل (المعاد), وهذا بالضرورة سيجرهم إلى مجموعة من الاسئلة والاشكالات

(١) هذا التقسيم للاصول الاعتقادية هو الشائع في المناهج الشيعية كنوع من التقسيم المعرفي للمواضيع الاعتقادية

الصعبة، لأن موضوع المعاد وحده مشكلة فكيف بك إذا أضفت له موضوع مُبهم يُنكره ويسفهه الاعم الاغلب من المسلمين, بل هو موضع خلاف حتى لدى علماء الشيعة انفسهم, وهذا ما تلاحظه من خلال متابعة الجهود البحثية لعلماء الشيعة ومفكريهم بعدم ذكر موضوع الرجعة في مؤلفاتهم الخاصة بالاصول وخصوصاً المعاصرين منهم.

الثاني: وهو أن لا يُصنف هذا الموضوع من ضمن الاصول وهو في كل الاحوال ليس من الفروع فنعود لنفس المشكلة^(١).

ولكي يخلصوا من هذا الاشكال اضافوه إلى موضوع العقائد فظهر اشكال اخر وهو ان التقية والبداء وغيرها كلها عقائد, فلماذا انفرد موضوع الرجعة بكونه ليس من ضروريات الإيمان؟ وهل يصح هذا العنوان على المواضيع الاعتقادية الاخرى؟ أذاً لا بد من حالة وسطية تجعلهم لا ينكرون الموضوع بصورة مباشرة لكثرة الادله والقرائن المرتبطة به, وفي الوقت نفسه لا يلغونه, فكانت عبارة (الرجعة ليس من ضروريات الإيمان) هي الحل الاسلام ظناً منهم أنها ستزيل التناقض فوقعوا في تناقض أكبر منة تطرحه مجموعة من الاسئلة الآتية.

١- اذا كانت أحاديث الرجعة والايات المفسرة والمؤولة بها قد صدرت بحق من أهل بيت العصمة عليهم السلام وهي بعدد لا يمكن نكرانه وأغفاله, واذا كان الكلام والإيمان بهذا الموضوع هو مدعاة لسرور محمد وآل محمد عليهم السلام, واذا كانت الاحاديث التي وصلت الينا في هذا الأمر هي اكثر من بعض مواضيع الاصول والفروع, فهل بإمكانك أن تُحمل هذا الأمر بحجة انه ليس من ضروريات الإيمان؟ ام أن هناك انكار لصدور هذه الاحاديث عن الأئمة عليهم السلام, فهل هناك فرق بين جعل هذا الموضوع ليس من ضروريات الإيمان وبين انكاره؟

٢- اذا كانت الرجعة ليست من ضروريات الإيمان فكيف يمكن لنا ان نتصور ان محمد وآل محمد عليهم السلام قد تحدثوا في امر ليس من ضروريات الإيمان, وما فائدة

(١) يقول الشيخ محمد رضى المظفر (وعلى كل حال فالرجعة ليست من الاصول التي يجب الاعتقاد بها والنظر فيها) عقائد الامامية/ باب ٣٢ عقيدتنا في الرجعة.
يقول السيد محسن الامين (الرجعة امر نقلي ان صح النقل به لزوم اعتقاده وإلا فلا) . نقض الوشيعة/ص ٤٧٣ / ط ١٩٥١

اسباب انكار موضوع الرجعة

الحديث بهذا الموضوع من قبلهم وتجنيد كل هذه الطاقات العقلية والروائية اذا كان هذا الأمر لا يستحق ان يكون من ضروريات الإيمان.

٣- كيف يمكن ان نتصور ان تكون الرجعة ليست من ضروريات الإيمان وقد خصص لها الرحمن جل وعلا يوم كامل من أيام الله المرجوة، فعن ابي عبد الله عليه السلام قال (أيام الله ثلاثة يوم القائم ويوم الكثرة ويوم القيامة)، وهل يمكننا ان نقول ان يوم القائم عليه السلام ويوم القيامة ليس من ضروريات الإيمان.

٤- نسأل الذين يدعون بان الرجعة ليست من ضروريات الإيمان هل يمكنهم ان يعطونا موضوع آخر من مواضيع الدين هو ايضاً ليس من ضروريات الإيمان، واذا لم يكن هناك موضوع آخر ليس من ضروريات الإيمان فلماذا أنفرد موضوع الرجعة بهذه التهمة؟^(١)

٥- اذا كان التنزيه من ضروريات التوحيد، والوحي من ضروريات النبوة، والعصمة من ضروريات الإمامة، فلماذا لا تكون الرجعة من ضروريات المعاد؟

نقول لهؤلاء ان الرجعة والعودة إلى الحياة الدنيا بعد الموت قبل يوم القيامة هو سنة من سنن الله سبحانه وتعالى، وقانون من قوانين الناموس الأكبر ساري المفعول جرى استخدامه على يد من أذن الله لهم بمعرفته والعمل به، وله ظهورات في كل مراحل تاريخ الديانات، وسيكون له الظهور الأكبر في يوم من أيام الله القادمة، ولكن هذه المرة سيأخذ مداه الاوسع وغايته التي وضع من اجلها، وان عبارة (ان الرجعة ليست من ضروريات الإيمان) هي تنصل من المسؤولية البحثية، لأن معرفة الحقيقة بحد ذاتها مطلب، وأن هذه العبارة ستقودنا بالضرورة إلى عبارة أخرى تترتب عليها مباشرة فهل نصدق إذا قال لنا أحدهم (ان العصمة ليست من ضروريات الإمامة).

أن الإيمان بالرجعة يستلزم وجود عقلية ونفسية ذات طابع مميز يمكن من خلالها التعامل مع هكذا موضوع خطير، وان أنفراد الشيعة الإمامية بالإيمان بهذا الموضوع

(١) يعتقد بعض العلماء ان الاعتقاد بالبرزخ ليس من الضروريات، يقول السيد محمد حسين الطباطبائي (الحياة البرزخية هي من جملة المعارف الحقة التي بينها القرآن الكريم لكنها ليست من ضروريات القرآن) (ماذا بعد الموت/ فقرة الاعتقاد بالبرزخ ليس من الضرورات/ ص ٤٣)، هنا أسئلة هل يحق لنا ان نقسم مواضيع القرآن الكريم إلى ضروريات وغير ضروريات؟

فيه دلالة على أنفراد المذهب الشيعي بمزاج روعي دون بقية الملل الإسلامية، وقد وفرت أحاديث آل محمد عليهم السلام والآيات القرآنية المؤولة بالرجعة من قبلهم عليهم السلام القاعده الكبيره والإطار العام لكي يتم التعامل مع هذا الموضوع بشكل صحي، فإذا أنكروا عامة الناس هذا الأمر فليس بمستغرب، ولكن الغريب في الأمر أن ينكر موضوع الرجعة بعض من علماء الشيعة أنفسهم تحت عناوين مختلفة منها أن الرجعة هي رجوع الملك لآل محمد عليهم السلام دون الاهتمام ببقية التفاصيل، وهم من أسماهم الإمام عليه السلام (بمقصره الشيعة) ^(١)، أو عبارتهم المشهورة في حق الرجعة وهي (أن الرجعة ليست من ضروريات الإيمان)، فمن آمن بالرجعة فله الأجر والثواب، ومن لم يؤمن فأن هذا لا يقدر في إيمانه بشيء، وبأمكانك أن تقيس مدى الظلم الذي وقع على هذا الموضوع دون بقيه المواضيع الاعتقادية في الأمة الإسلامية، فانكار الرجعة من قبل بعض علماء الشيعة هو أمر أغرب من الرجعة نفسها، فكيف يمكن ان يتأمل الإنسان ان يكون من الراجعين وهو يعتقد ان الرجعة ليست من ضروريات الإيمان؟ ولكن عندما يبدأ العمل بقانون الرجعة سيُصاح بهم ﴿أرجعوا ورائكم فالتمسوا نورا﴾ ^(٢).

(١) قال الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر (فمن أين قلت برجعتنا ومقصره الشيعة يقولون معنى الرجعة أن يرد الله إلينا ملك الدنيا وأن يجعله للمهدي؟ ويجهم متى سُلِبنا الملك حتى يُرد إلينا. قال المفضل: لا والله ما سلبتوه ولا تُسلبونه لأنه ملك النبوة والرسالة والعصمة والإمامة. الزام الناصب / الحائري / ج ٢.

لاحظ ان الإمام عليه السلام يسمي من يعتقد بأن الرجعة كونها عودة الملك لآل محمد عليهم السلام بمقصره الشيعة. فماذا نسمي من كانت الرجعة عنده لا تساوي قلامة ظفر.
(٢) الحديد / ١٣

إذا قال لك شخص ان المهدي عليه السلام ليس من ضروريات الدين ستقول له المهدي جزء لا يتجزء من مشروع الإمامة التي هي من الاصول، فيكون السؤال المترتب على هذه الاجابة، لماذا لا تكون الرجعة جزء لا يتجزء من اصل المعاد؟ ولماذا قالوا ان المعاد أصل والرجعة عقيدة؟ وهل هناك فرق بين الاصل والعقيدة؟ لذلك لو راجعت كتب الاصول والاعتقاد لعلماء الشيعة الامامية لقرن من الزمن مضى او اكثر لن تجد للرجعة فيها ذكر بل يذكرونها كعقيدة في كتب العقائد وبكلام مختصر وعام وكائن الموضوع طارئ على الارث الشيعي.

لذلك تجد جمهرة من الباحثين المعاصرين وحتى العلماء اذا اراد ان يتناول موضوع الرجعة فهم يطرحونها ضمن آية ثابتة ولا تتغير وهي ان يتم سرد الايات الدالة على الرجعة والاحاديث المصدقة لها ثم يذكرون كلام بعض العلماء السابقين مع بعض الشروحات حول الشبهات التي أثبتت حول الموضوع وكلامهم بصورة عامة ذو طابع سردي ويخلو بشكل واضح من الجانب البحثي، لذلك ارتأينا في هذا الكتاب ان لا نقتصر على سرد الايات والاحاديث بل نسلك الطريق البحثي في متابعة المفاهيم التي تبينها الايات والاحاديث والغايات المرتبطة بهذا الموضوع.

١٢- أهمال الباطن والتأويل.

أن تركيز الفكر الديني على ظواهر آيات القرآن الكريم وتركه للباطن هي واحدة من اهم النقاط التي أدت إلى انكار واهمال موضوع الرجعة, لأن موضوع الرجعة لا يمكن تصنيفه ضمن أطار الظاهر, وهذا ما نلاحظه من جملة الآيات القرآنية المؤولة والاحاديث الموضحة لها, والباطن عادةً موضوع مُربك بالنسبة إلى الاغلبية, أما لدى الاقلية (أقصد الذين يؤمنون به) فهو موضوع مُقدس لكنه غير مفهوم فيأخذونه على ما هو عليه, فالجو العام عندهم للباطن هو الكتمان والتزام الصمت, علماً أن موضوع الباطن ليس أمراً غريباً أو طارئاً في العقيدة الإسلامية, فالقرآن الكريم يؤكد أن مستقبل الدين والهيمنة على بقية الاديان مرتبط بالتأويل, قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ﴾^(١), وعن رسول الله ﷺ قوله (أن للقرآن ظهر وبطن وللبطن بطن حتى سبعة ابطن), أما احاديث آل محمد ﷺ فهي بكثرة بما لا يخفى على كل مُطلع.

من هنا نفهم لماذا كانت الخطوة الأولى باتجاه الغاء الباطن بعد رحيل صاحب الرسالة المقدسة عليه وعلى آله الصلاة والسلام مباشرةً بأعلان جهة صراحةً الاكتفاء بكتاب الله في محاولة واضحة لفصل القرآن عن العترة, لأن هذه الجهة أدركت أن العترة هي الميمنة والموضحة للباطن والتأويل بل والمطبقة له, هذه العترة التي سيستمد منها الفكر الشيعي كل بواطن القرآن الموحى, وأن هذا الانكار للعترة أدى إلى أنقسام هذه الأمة فكرياً حول كل المواضيع ومنها الباطن والتأويل إلى قسمين.

القسم السني: الذي تبني ظواهر الكتاب من خلال فهمه لموضوع (خاتمية) الرسالة فغلق الابواب باتجاه الباطن والتأويل مُعلنًا نفسه حارساً للشريعة فلم يكن نتاجه إلا صدى للماضي وظل ينظر إلى الحياة من جهة الماضي فقط والمستقبل عنده مُغلق بل لا مستقبل للإنسان إلا من خلال قدوم يوم القيامة فأما للجنة وأما للسعير.

القسم الشيعي: الذي اعتمد دائرة (الخاتمية) من خلال فتح دائرة (الولاية) مُعلنًا استمرار النبوة من خلال الإمامة, بل هي عنده الأمتداد الطبيعي والمنطقي للنبوة وتمثالها في كل مفرداتها, فكان الباطن والتأويل هو المحرك لهذه الدائرة, فالشريعة

(١) الاعراف/٥٣.

كسُنن كُملت، فلا بد من تفصيل الكتاب الموحى تمهيداً إلى الهدف المستقبلي للتطبيق الكامل والكلي للكتاب وهو (التأويل)، فالفكر الشيعي منذ البداية ينظر إلى المستقبل نظرة خاصة ودقيقة تبلورت بمشروع الانتظار، فما دام هناك (باطن وتأويل) ستجد هناك دوماً من (يُتَظَر من يأتي الوشيك الظهور)، لأن الباطن عنده رحلة العودة، هذا الباطن الذي سيجعل للقرآن مستقبل النص المتحرك الصالح لكل زمان ومكان، فالإيمان بالظاهر فقط هو بتر لتعاليم الرسالة الخاتمة وتعاليم الأئمة عليهم السلام، وأن تبني مقولة (أن الرجعة ليست من ضروريات الإيمان) هو نسيان للأصول الشيعية، وبتر الباطن، وأهمال التأويل، بل هو محاولة لغلط دائرة الإمامة.

لقد حاول الشيعة في كل مؤلفاتهم الخاصه بموضوع الإمام المهدي عليه السلام أن يثبتوا لخصومهم طول عمر الإمام المهدي عليه السلام بأعتبره منذ ولادته سنة (٢٥٥ هـ) لم يمت ولم يطرأ عليه الهرم والشيخوخة، وأستدلوا بذلك بأدلة قرآنية حول طول عمر نوح عليه السلام، وطول عمر ابلis (لعنه الله)، وكذلك أدلة من الاحاديث التي تذكر طول عمر الخضر عليه السلام، طول عمر الدجال، بالإضافة إلى بعض الادلة النقلية التي تتناول ذكر القصص وأخبار المعمرين في الازمنة السابقة والذين وردت أخبارهم في كتب الاخبار، وقد حصروا هذا الموضوع في خانة المعجزة بصورة كاملة، وكما قلنا سابقاً ان علوم السابقين من علماء الأمة كانت تستند إلى فهم فلسفي وكلامي لهذه الأمور أما من الناحية العلمية الصرفة فأن هذا الأمر متروك لفهم أهل هذا الزمان.

أقول لمن ينكر الرجعة من الشيعة، او يعتقد بانها عودة الملك لا محمد عليه السلام فقط، ما هو الفرق بين موضوع طول عمر الإمام المهدي عليه السلام الذي دافعت عنه بكل قواكم وموضوع رجعة الاموات إلى هذه الحياه، فالقدرة الإلهية التي أودعت في شخص الإمام الحجة عليه السلام هي نفس القدرة في إعادة الموتى، ولماذا كان الإيمان بطول عمر الإمام الحجة عليه السلام جزء لا يتجزء من الإيمان بالإمام المهدي عليه السلام نفسه، بينما الإيمان بالرجعة ليس من ضروريات الإيمان.

ولعل القارئ الكريم يطلب توضيح للعنوان الفرعي للكتاب وهو (ظهور الباطن وانتصار التأويل) ولماذا اقترن هذا العنوان بالرجعة؟

كما اوضحنا سابقاً أن موضوع الرجعة برمته سيقع في المستقبل وكونه مجفوراً خلف السطور.

اسباب انكار موضوع الرجعة

الباطن: هو (أظهار معنى خفي للفظة أو لآية أو لموضوع من خلال قرينة قرآنية أو روائية أو قرينة عقلية لا يختلف عليها اثنان وله عدة مستويات وهدفه التبيين) (١), فالباطن معرفة الدليل والذي يحصل على الدليل يحصل على الباطن.

مثال للتوضيح:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (ما يقول الناس في هذه الآية ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾. قلت: يقولون في القيامة, قال (ليس كما يقولون. انها في الرجعة, يحشر الله من كل أمة فوجاً ويدع الباقيين, انما آية القيامة ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾).

لاحظ ان الإمام عليه السلام أظهر باطن قوله تعالى ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ كونها في الرجعة بقرينة آية اخرى وهي قوله تعالى ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ التي تخص الحشر النهائي, وكذلك قرينة عقلية من خلال نفس النص بقوله عليه السلام (يحشر الله من كل أمة فوجاً ويدع الباقيين), فهذا هو الباطن الذي تم من خلاله استخراج (تبيين) المعنى الغائب في الآية وهو الرجعة.

التأويل: هو (أنطبق الباطن على الواقع في أي زمان, وهدف التأويل هو التطبيق) (٢).

أمثلة للتوضيح:

قوله تعالى ﴿نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ (٣), ولم يقولوا (نبئنا بتفسيره) لأنهم يريدون معرفة أنطبق (الرؤيا) على (الواقع) تماماً, لذلك قال المفسرون للمك

(١) عن الصادق عليه السلام قال: (ان للقرآن ظهر وبطن وللبطن بطن حتى سبعة ابطن).

في القاموس/ البطن خلاف الظهر وجوف كل شيء وبطن خفي.

المفردات للراغب/ البطن خلاف الظهر في كل شيء ويقال للجهة السفلى بطن والعليا ظهر ويقال لكل غامض بطن ولكل ظاهر ظهر والظاهر والباطن لا يقال إلا مزدوجين كالأول والآخر.

المفردات للراغب/ التأويل من الأول اي الرجوع إلى الأصل رد الشيء إلى الغاية المرادة منه علماً كان أو فعلاً.

(٢) لا توجد كلمة في اللغة العربية أثارت جدلاً بين المفكرين والباحثين مثل كلمة التأويل فهي كلمة تفتح آفاق كبيرة للأكتشاف والمثير والجديد ووصل حد التنازع على معنى هذه الكلمة إلى حد الأفتتال وموضوع النزاع حولها لا يقتصر في الجانب الديني بل شمل المدارس النقدية والفكرية والفنية.

(٣) يوسف/٣٦

﴿وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين﴾^(١)، أي أننا نعرف معنى الرمز الموجود في الحلم ولكننا لا نعرف مدى أنطباقه حتماً على الواقع، لذلك كان يوسف يعرف هذا الانطباق ﴿ويعلمك من تأويل الاحاديث﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿ولنعلمه من تأويل الاحاديث﴾^(٣)، وكذلك قوله تعالى ﴿وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل﴾^(٤)، هنا سماه تأويل لأن حلم يوسف ﷺ أنطبق على (الواقع) بعد أن سجد له أخوته، وقوله تعالى ﴿سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾^(٥)، وهي واضحة الدلالة من ان العبد الصالح الخضر ﷺ سيقول لموسى ﷺ معنى أفعاله في خرق السفينة وقتل الغلام وأقامة الجدار بعد ان وقع الانطباق التام لهذه الافعال على الواقع، لذلك عقب في نهاية القصة بقوله ﴿ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبراً﴾^(٦).

وأنتك لتجد هذا المعنى واضحاً للتأويل في عدد من الاحاديث الواردة عن اهل البيت ﷺ كونهم يصرفون الفاظ معينة مثل (الصلاة الصيام البرهان الميزان) باتجاه شخص المعصوم ﷺ فهذه الألفاظ التي تمثل مفاهيم عبادية او معنوية تصبح تأويلاً عندما تنطبق على شخص بعينه^(٧).

فالتأويل لشرح الآتي وليس الآن، لان الظاهر هو الحاضر، والتأويل هو المستقبل، فالتأويل لا يحتاج إلى قرينة لأظهاره، لأنه موضوع له علاقة بالمستقبل وهو (للغيب) أقرب، والتأويل بحاجة إلى دوافع وجدانية للتصديق أكثر من حاجته لقرائن أثبات، فهو يظهر عندما (يتحول الرمز إلى واقع) .

فالباطن (أظهار)، والتأويل (أنطباق)، لذلك أنحصرت دائرة التأويل قرآنيّاً بمجموعة خاصة جداً ﴿وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم﴾^(٨)، وله وقت خاص

(١) يوسف/٤٤

(٢) يوسف/٦

(٣) يوسف/٢١

(٤) يوسف/١٠٠

(٥) الكهف/٧٨

(٦) الكهف/٨٢

(٧) يقول الحافظ رجب البرسي في كتابه (مشارك انوار اليقين) (الصلاة على الحقيقية حبهم والباقي مجاز) .

(٨) ال عمران/٧

عن ابي عبد الله ﷺ قال (نحن الراسخون في العلم ونحن نعلم تأويله) /الكافي/ ج١/ ص١٦٦/ ح١

به ﴿يوم يأتي تأويله﴾^(١)، فالباطن أسبق زمنياً في الظهور من التأويل الذي يأتي متأخراً عنه زمنياً.

ومن هنا نفهم ان التفسير مفهوم يحوي في طياته معنى التفصيل، بينما التأويل مفهوم متعالي يحتاج الانسان فيه الى مدارك بتقنيات عاليه وخاصة، منها الالهام وحس متدقق، فالمعنى الناتج من التأويل لا يدخل الى الادراك الا بطريقة مشفرة، واذا كان التفسير يقابل الظاهر فالتاويل يقابل الباطن

عن زرارة قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن هذه الامور العظام من الرجعة وأشباهاها فقال (ان هذا الذي تسألون عنه لم يجيء أوانه وقد قال الله عز وجل ﴿بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما ياتيهم تأويله﴾^(٢)).

لذلك فان مجيء الإمام المهدي عليه السلام ليس كاشفاً عن شريعة جديدة بل لأظهار المعنى الروحي للشريعة المحمدية والمعنى المستور للوحي المنزل، هذا المعنى هو الذي سينقل التجربة البشرية من ظاهر الكتاب إلى حقيقة باطنه، فوجب ان تكون شخصية الإمام (فوق طبيعية وسيطية جبل ممدود من السماء إلى الأرض السبب المتصل بين الأرض والسماء)، ومن خلال الباطن والتأويل سيعرف الناس حقيقة هذه الشخصية ودورها الخطير.

اذن (التأويل) يرفض ان يكون (جدلي) الذي هو فكر يقوم على مجردات منطقية، فالتاويل ليس موضوعاً بُني على أساس مقدمات منطقية، بل هو حقيقة تنطبق أنطباقاً كلياً على موضوع مُعين في زمن مُعين، فالتأويل مادته الزمن لذلك قال ﴿يوم يأتي تأويله﴾.

(١) الاعراف/٥٣

(٢) يونس / ٣٩ (الحديث مختصر البصائر / الحلي).

الكلام في الرجعة سبب سرور آل محمد ﷺ

عن عبد الله بن عطاء عن الإمام أبي جعفر الباقر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: (كنت مريضاً بمنى وأبي عليه السلام عندي فجاءه غلام فقال: ها هنا رهط من العراقيين يسألون الأذن عليك. فقال أبي عليه السلام: أدخلهم الفسطاط. وقام إليهم فدخل عليهم فما لبث أن سمعت ضحك أبي عليه السلام قد أرتفع فأنكرت ووجدت في نفسي من ضحكه وأنا في تلك الحال... ثم عاد أبي فقال: يا أبا جعفر عساك وجدت في نفسك من ضحكي؟ فقلت: ما الذي غلبك منه الضحك جعلت فداك؟ فقال: أن هؤلاء العراقيين سألوني عن أمر كان مضى من أبائك وسلفك يؤمنون به ويقرون فغلبني الضحك سروراً أن في الخلق من يؤمن به ويقرّ. فقلت: وما هو جعلت فداك؟ قال: سألوني عن الأموات متى يبعثون فيقاتلون الأحياء على الدين) ^(١).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (أيام الله ثلاثة، يوم القائم ويوم الكرة ويوم القيامة). فيوم القائم قد اختلف فيه من قبل المسلمين والديانات الأخرى بتفاصيل كثيرة، ويوم (الكرة) أو الرجعة قد أنكر جملة وتفصيلاً من الاعم الاغلب من المسلمين، أما يوم القيامة فلا نفهم منه شيء إلا قولهم بأن الله سينسف هذا الكون ويحاسب الناس فممنهم إلى الجنة ومنهم إلى السعير، فبإمكانك من خلال متابعة حيثيات هذه الأيام الثلاثة أن تقف على حجم التشويه الحاصل في فهم الناس للدين ومستقبل الإسلام الذي من المقرر له ان يكون ﴿مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمن عليه﴾ ^(٢).

ومن هنا سنفهم سر الفرحة التي ظهرت على الإمام السجاد عليه السلام في الحديث

(١) مختصر البصائر/ عز الدين الحلي/ باب الكرات وحالاتها ح ١٢/٦٦ ص ٩٧. وفي المصدر نفسه في الباب نفسه ح ٢٧/٨١ ص ١٠٩ عبارة في الحديث بالفاظ أخرى وهي (...ان هؤلاء سألوني عن أمر ما كنت أرى إن أحداً يعلمه من اهل الدنيا غيري). ورد الحديث كذلك في الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة/ للحر العاملي/ باب ٩/ ح ٨٢/ ص ٢٨١

(٢) المائدة/ ٤٨

أعلاه والتي جعلته ﷺ يرفع صوته بالضحك وهو مما لا نألفه في سلوك محمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم يتبسمون ولا يرفعون صوتهم بالضحك فهذه أخلاق الأنبياء وأولاد الأنبياء، فما بالك إذا عرفت أن ارتفاع الصوت بالضحك صدر من شخصيه قُدِّر لها أن لا تضحك، فلو صدر هذا الفعل من الإمام الباقر أو من الإمام الكاظم أو من الإمام الرضا أو بقية الأئمة عليهم السلام فهذا لا يثير الاستغراب، ولكن يصدر هذا الفعل من إمام شاهد كل مأساة كربلاء بتفاصيلها، بل ان كل مفردات حياته الشريفة بعد هذه الواقعة مُعبّرة عن أحداث ذلك اليوم، وهو الذي اصبح البكاء له شعاراً بل عُد من البكائين الخمسة، فلو تبسم الإمام السجاد عليه السلام لكان الأمر ربما طبيعياً، ولكن أن يرفع صوته بالضحك وهو صاحب المصيبة العظيمة هو بحد ذاته مدعاة للتأمل والتفكير^(١).

ان مادفع الإمام السجاد عليه السلام للضحك بهذا الشكل لابد أن يكون أمراً خطيراً جعل الفرح يأخذ منه هذا المآخذ، ويجعلنا نفهم مدى أهمية موضوع الرجعة، اذ ان مجرد السؤال حول هذا الأمر فيه فرح وسرور لمحمد وآل محمد عليهم السلام، فما بالك بمن يعتبر موضوع الرجعة ليس من ضروريات الإيمان، وما بالك بمن يعتقد ان الرجعة (لا تساوي قلامة ظفر) .

ملخص الإقوال في الرجعة:

بصورة عامة يمكن وضع ملخص لمجمل الأقوال التي قيلت في الرجعة.

القول الأول: وهو القول الذي يتبناه الفكر السني بكل اتجاهاته والرافض للموضوع جملة وتفصيلاً ويرى انه من مُفتريات الشيعة وقول بالغلو في اشخاص الأئمة عليهم السلام، وهؤلاء هم الذين سمتهم الاحاديث (بالقدرية) لقوله عليه السلام (لا ينكرها إلا القدرية) .

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام (البكاؤون خمسة آدم ويعقوب ويوسف وفاطمة بنت محمد وعلي بن الحسين) البرهان في تفسير القرآن/ج٢ / ص٢٦٤ / ح٥
وفي بحار الأنوار حين قال للإمام السجاد عليه السلام احد مواليه: اما آن لحزنك ان ينقضي؟ قال له عليه السلام (ويحك ان يعقوب النبي عليه السلام كان له اثنا عشر ابناً فغيب الله واحد منهم فأبيضت عيناه من كثرة بكائه عليه وأحدوب ظهره من الغم وكان أبنه حيا في الدنيا وانا نظرت إلى أبي وأخي وعمي وسبعة عشر من أهل بيتي مقتولين حولي فكيف ينقضي حزني) . بحار الانوار/ ج٦/ ص١٠٨ / ب٦/ ح١

القول الثاني: وهي القول بأن الرجعة هي (عودة الملك لآل محمد ﷺ) وهو رأي مُقَصِّرَة الشيعة، قال الإمام الصادق ﷺ للمفضل بن عمر (فمن اين قلت برجعتنا ومُقَصِّرَة شيعتنا يقولون معنى الرجعة أن يرد الله الينا مُلك الدنيا وأن يجعله للمهدي؟ ويجهم متى سلب المُلك حتى يُرد الينا) (١).

والمعنى واضح كون هناك قسم من الشيعة سماهم الإمام ﷺ بالمُقَصِّرَة يؤمنون بأن الرجعة ليست عودة الأموات قبل يوم القيامة بل هي رجوع الحق والملك لآل محمد ﷺ الذي يضمنون أنه سلب منهم عندما يظهر المهدي ﷺ ويحكم الأرض ويملئها قسطاً وعدلاً، فهي عندهم بمعنى اعتباري وليس حقيقي اي عودة الاعتبار لآل محمد ﷺ وليس رجوع اموات بأعيانهم، بل ان الرجعة عندهم مقتصرة على شخص الإمام المهدي ﷺ فقط بأعتبره مُظهر لهذا الملك، فهؤلاء قد أنصهر عندهم مفهوم الرجعة والغيبة في بوتقة واحدة فأصبحت الرجعة ملحقه بالغيبة، وتعبير الإمام الصادق ﷺ عنهم بكونهم (مُقَصِّرَة) ناتج من عدم تصديقهم لكثير من أخبار آل محمد ﷺ حول الرجعة، فالاحاديث عندهم انتقائية يأخذوا ببعض ويتركوا بعض، فهم كما يصفهم قوله تعالى ﴿الذين جعلوا القرآن عضين﴾ (٢)، وهؤلاء بالنتيجة يفقدون التسليم والتصديق والمعرفة وهي من مزايا الإيمان الكامل كما ورد عن الصادق ﷺ (انكم لن تؤمنوا حتى تعرفوا ولن تعرفوا حتى تصدقوا ولن تصدقوا حتى تسلموا ابواباً اربعة لا يصلح أولها إلا بآخرها ضل اصحاب الثلاثة وتاهوا تيهاً بعيداً) (٣).

(١) الايقاظ من الهجة بالبرهان على الرجعة/الحر العاملي/باب ٩/٩ ح ١٠٩ /ص ٢٩٣ وكذلك مختصر البصائر: ٥١٢٠/٤٣٣.

ربما يقول البعض ان مُلك آل محمد ﷺ قد سلبه منهم بني امية وبني العباس باستيلائهم على الخلافة فكيف يقول الصادق ﷺ في الحديث (متى سلب منا المُلك حتى يُرد الينا) . لو ان السلطة والمُلك تزول بادعاء اي مُدعي لزالَت سلطة الله جلّت كبرياؤه بادعاء فرعون انه الله ثم ان المُلك الذي عند بني امية والعباس هو مُلك بالغلبة والتسلط على رقاب الناس وليس هو مُلك ممنوح لهم من الله فالمُلك الذي يقصده الإمام ع) في الحديث ليس هو مُلك التسلط السياسي بل هو الملك الحقيقي لكل شيء.

(٢) الحجر/٩١ عن علي بن ابراهيم في قوله تعالى: (الذين اتخذوا القرآن عضين) قال: قسموا القرآن) تفسير البرهان/ البحراني / ج ٤ / ص ٤١٦ / ح ١

(٣) ورد في زيارة الإمام الحجة المنتظر صاحب الزمان ﷺ (...ووفقنا لزيارة أئمتنا ولم يجعلنا من المعاندين الناصبين ولا من الغلاة المفوضين ولا من المرتابين المقصرين) . من خلال دلالة الألفاظ في الزيارة انها تُعرّف المعاندين كونهم هم الناصبين ويُعرّف الغلاة كونهم

القول الثالث: وهي القول بأن الرجعة تعني رجوع النبي ﷺ وآل بيته ﷺ ومعهم أعدائهم فقط وهو قول يخالف الكثير من الروايات التي حددت رجوع الانبياء والأولياء جميعهم مع جملة من الصالحين بأسمائهم.

القول الرابع: وهو القول بأن الرجعة بمعنى الحلول, وهو مذهب مشهور عند جملة من الديانات والفرق الباطنية, فمرة يعني ان أرواح الصالحين تحل في أبدان لاشخاص في الدنيا, او بمعنى اخر بان تلك الارواح تسدد اشخاص في الدنيا, ومرة تعني الرجوع إلى الدنيا بولادة ثانية من خلال دخول الروح بجنين جديد التكوين فيولد في الدنيا من جديد, وأصحاب هذا الرأي يستندون على جملة من الاحوال التي مر بها أشخاص معينين يعتقدون أنهم موجودون في الدنيا سابقاً، أي لهم حياة سابقة بأدوار سابقة فهم يعرفون اسماء اشخاص وحوادث سابقة لحياتهم التي يعيشون فيها حالياً وهم يعتقدون بأنهم عاشوها بتفاصيلها ونسوا قسماً منها ويتذكرون القسم الآخر, وهذا قول بالتناسخ تعترضه بعض الروايات تنص على بطلانه, والمشهور بين العلماء بطلانه بكل اشكاله, لانهم يعتقدون لو كانت الرجعة بهذا المعنى فهي انتقال للروح الواحدة بعدة اجسام على مر الزمن.

وهذا المعنى للرجعة تجده عند البعض كونها ذات طابع روحي كأن تحل روح القائم ﷺ مثلاً بإنسان معين وفي الوقت نفسه فإن هذه الروح متقلبة في الادوار من جيل إلى جيل ومن شخص إلى شخص إلى ان تستقر نهائياً في شخص موجود في احداث عصر الظهور ويكون هو القائم الموعود ومن هذا الفهم فهم يؤمنون بأن المهدي ﷺ سيولد في آخر الزمان بهذا المعنى وان كان متواجداً على طول زمن الغيبة منتقلاً من انسان إلى اخر بعدة ولادات, فهو غائب عندهم بهذا المعنى وان هذه الفكرة هي التي لعب وسيلعب عليها جملة من أدعياء النيابة وأدعياء المهدييه من خلال اقناع الناس بأن روح المهدي ﷺ قد حلت في هذا المدعي او ذاك واذا مات قالوا أنتقلت هذه الروح إلى جسد (فلان) الذي هو احد مُريديه او أتباعه وهكذا.

هم المفوضين ويُعرف المرتابين كونهم هم المقصرين. فالمقصر هو المرتاب والشاك في أحوال وأحاديث الأئمة ﷺ ويؤيده ما جاء في الزيارة أيضاً قولهم (مصدق بوليك غير مرتاب) فالارتباب هو عدم التصديق والتقصير هو الارتباب.

وقد ورد حديث طويل عن أبي عبد الله الصادق ﷺ يصف فيه احوال الناس أثناء غيبة الإمام المهدي ﷺ وبلوى المؤمنين في ذلك الزمان وتولد الشكوك في قلوبهم وأرتداد أكثرهم عن هذا الأمر فمنهم من يقول مات ومنهم من يقول لم يولد ومنهم من يقول ولد ومات والمهم في هذا الحديث هو عبارة مهمة تُفند هذا الرأي القائل بحلول روح الإمام المهدي ﷺ في جسد غيره.

يقول أبو عبد الله الصادق ﷺ (.....) وقائل يعصي الله عز وجل بقوله أن روح القائم تنطق في هيكل غيره.....^(١)، والإمام ﷺ هنا يصف من يتبنى هذا الرأي بأنه (عاصي)^(٢).

القول الخامس: وهو القول بأن (الرجعة ليست من ضروريات الإيمان) واصحاب هذا القول يؤمنون بالرجعة بمعنى عودة الاموات قبل يوم القيامة وحسب الآيات القرآنية المؤولة من قبل آل محمد ﷺ واحاديثهم المتظافرة حول هذا الامر، إلا أنهم يعتقدون ان مسألة عدم التفقه بالرجعة لا يضر بإيمان المؤمن ولا يخرجهُ من حد الإيمان وهو الرأي الشائع عند جملة علماء الشيعة الأمامية، ولكن هذا القول يتعارض مع الكثير من المرويات والتي ذكرنا قسماً منها وخصوصاً حديث الإمام

(١) بشارة الإسلام / حيدر الكاظمي / ص ١٢٢.

ورد الحديث نفسه في (كتاب كمال الدين وتمام النعمة/ ج٢/ باب ما روي عن الإمام الصادق ﷺ من النص على القائم ﷺ) وانه الثاني عشر من الأئمة/ ح٥١/ ص٣٣٢ الشيخ الصدوق).

عن الصادق ﷺ (من حديث طويل.....وأما غيبة عيسى ﷺ فإن اليهود والنصارى أتفتت على انه قتل فكذبهم الله جل ذكره بقوله: (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) ، كذلك غيبة القائم فان الامة ستنكرها لطولها فمن قائل يهذي بأنه لم يلد وقائل يقول: انه يتعدى إلى ثلاثة عشر وصاعداً وقائل يعصي الله عز وجل بقوله: ان روح القائم ينطق في هيكل غيره.....).

اقول: لاحظ عبارة (انه يتعدى إلى ثلاثة عشر) ، أي ان هناك من يعتقد بان عدد المعصومين سيتعدى الاثنا عشر وهذا ما نلاحظه في جملة من ادعى المهودية وهذا يخالف كل احاديث المعصومين المتواترة بالتواتر القطعي كونهم (اثنا عشر) فقط.

عن الامام ابي محمد الحسن العسكري ﷺ عندما سُئل عن وقف على ابي الحسن موسى ﷺ اتولاهم ام اتبرئ منهم قال ﷺ (..... انا الى الله منهم بريء فلا تتولوهم ولا تعد مرضاهم ولا تشهد جنازتهم ولا تصل على احد منهم مات ابدا سواء من جحد اماما من الله او زاد اماما ليست امامته من الله وجحد او قال ثلاثة ان للجاحد امر اخرنا جاحد امر اولنا والزائد فينا كالناقص.....) مسند الامام العسكري ﷺ / عزيز الله العطاردي/ باب ١٥/ ح ١١٥

(٢) عن الصادق ﷺ من حديث طويل (قال المفضل: يامولاي فان من شيعتكم من لا يصدق برجعتكم؟ فقال: اما سمعوا قول جدنا رسول الله صلى الله عليه وآله ونحن سائر الأئمة نقول: (ولنذيقنهم من العذاب الادنى دون العذاب الأكبر) قال الصادق ﷺ: العذاب الادنى عذاب الرجعة والعذاب الأكبر عذاب يوم القيامة.....).

الباقر ﷺ الذي ذكرناه في بداية المقدمة بل يخالف كلام أمير المؤمنين علي ﷺ بقوله عن الرجعة (هذا علم خاص لا يسع الأمة جهله) (١).

القول السادس: وهو القول الذي اتبناه في هذا البحث وهو: ان الرجعة بمعناها الذي ذكرته الآيات القرآنية المؤولة من قبل أئمة اهل البيت ﷺ وأحاديثهم المفسرة لها من ان رسول الله ﷺ وآل بيته ﷺ والأنبياء والصالحين وجملة من محبيهم من أمة محمد ﷺ والأمم الأخرى التي لم يقع عليها العذاب الالهي وقيادات الشر واتباعهم سيعودون إلى هذه الدنيا قبل يوم القيامة (ممن محض الإيمان والكفر محضاً) على شكل افواج في يوم خاص وطويل جداً من ايام الله المرجوه وسيرجعون بأعيانهم شكلاً ومضموناً وان الرجعة هي اليوم الذي سيظهر فيه تأويل القرآن الكريم ووضعه في موضع التطبيق الفعلي رافعاً شعار ﴿وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه﴾ (٢) في نقلة نوعية جبارة للأنظمة الحياتية والطبيعية للموجودات والبشر على حد سواء في مسيرتها التكاملية.

والرجعة بصورة عامة مرتبطة (بتغير النظام الفلكي) الذي يتبعه بالضرورة (بتغير في النظام الطبيعي) وانتقاله إلى وضع جديد (وهو النظام البرزخي) في نقلة نوعية من مراحل تطور النظام وحركة الموجودات باتجاه المبدأ بتغير شكل الوقت من الزمان إلى الدهر مروراً بالمرحلة البرزخية لسير الموجودات كما سنوضح لاحقاً (٣).

والذي اريد قوله باختصار ان عملية احياء الموتى التي ذكرها القرآن الكريم والاحاديث في الرجعة او في الحشر النهائي هي عملية تجري في اصل النظام الطبيعي, لان هذا الامر مرهون بتوقيتات واحوال اخرى ستحدث في تلك الازمنة, فكما ان النظام الطبيعي الحالي المرتبط بنظام فلكي معين فيه القابلية لو ان بذرة وضعت في الارض وسقيت بالماء لاتتجت شجرة, كذلك الميت عندما ندفنه فنحن ندفن بذرة, إلا ان هذه البذرة لا تنمو ولا تتكامل في نظامنا الطبيعي الحالي, لكن عندما يتغير

(١) في كتاب سليم بن قيس تحقيق محمد باقر الانصاري ص ١٢٩ عبارة (هذا علم خاص يسع الأمة جهله), وفي بحار الانوار / ج ٥٣ / ص ٦٩ عبارة (هذا علم خاص لا يسع الأمة), وفي مختصر البصائر/احاديث في الرجعة من غير طريق سعد/ح ١٢٢/١٢. ص ١٤٥. الحسن بن سليمان الحلي (هذا علم خاص لا يسع الأمة جهله).

(٢) المائدة: ٤٨.

(٣) بإمكانك أن تراجع كتاب (نجم يتقلب في الآفاق) وكتاب (أيام الله) للمؤلف فقد شرحنا فيه بشكل مفصل كيفية تغير النظام الطبيعي والفلكي في أيام دولة العدل الالهي.

النظام ويتغير الواقع الفلكي والبيئي للارض سيكون للنظام قابلية على ان تنمو هذه الاجسام في الارض وتنبت كما ينبت النبات عندما تسقى الارض بماء خاص. لان الإنسان بعد موته لا يتحول إلى عدم بل يتفكك إلى اجزاء ويدخل كل جزء في انظمة مجانسة لنوعه وان رجوعه في الرجعة او القيامة هو اتحاد لهذه الأجزاء ضمن عوامل خارجية طبيعية وداخلية احيائية بالاضافة إلى عناصر أخرى لا نزال نجهلها كعملية النفخ في الصور فالامر هنا مرهون بتوقيتات لها علاقة بزمن تغير النظام الطبيعي إلى وضع يمكن من خلاله حدوث هذه الفعاليات بشكل جماعي لانه ببساطة الكون لا يبدد شيء ولكن كل شيء يتبدل من شكل إلى آخر.

وان مقولة ان الرجعة ليست من ضروريات الإيمان هي مقولة لا معنى لها لان المؤمن الذي سيرجع لا يرجع لانه مؤمن فقط بل لانه معتقد حقاً بموضوع الرجعة ومن هنا تأتي خطورة هذه المقولة لانها تجعل الإنسان المؤمن لا يهتم لهذا الموضوع لانه ليس من الاساسيات بل توفر له غطاء شرعي لعدم الإيمان به وبالتالي يمكن ان لا تشمله الرجعة لانها اساساً عنده امر ثانوي.

وعليه يكون هناك أمور يُثبتها الإنسان ثم يؤمن بها وهناك امور يؤمن بها ثم يُثبتها لان العقل ليس هو الادراك فهناك ماهو معقول وهناك ما هو مُدرك, فالعقل للأثبات والإيمان للأدراك, والرجعة امر يجب ان تؤمن به وتدرکه أولاً ثم تعقله ثانياً, لذلك فقد وقعوا في خطأ كبير عندما قالوا (ان الرجعة ليست من ضروريات الإيمان) لانها عندهم امر ثانوي وليس ضروري أولاً فبالنتيجة لا يستطيعون اثباتها ثانياً, وصدق من قال (ان الرجعة هي ثمرة الإيمان بالغيب) .

لاني اعتقد ان محاولة فهم المواضيع الغيبية المتعلقة بالغايات واكتشاف الاسرار بحاجة الى ادوات مختلفة وطرائق بحث مختلفة, وان واحدة من الكبوات التي وقع بها جملة من علماء العلوم الطبيعية والفيزيائية والكونية أنهم يعتقدون ان الحقيقة العلمية يجب ان تظل محصورة بما تنقله الينا حواسنا فقط, ولكن ماذا يقولون لو عرفوا ان (حواسنا بدائية) بالنسبة الى كون بلا حدود, وبالنتيجة كل المعرفة الناتجة من حواس بدائية هي (معرفة بدائية) لا ترتقي في كل الاحوال الى مستوى الشمول في النظر لكل معالم الكون والغايات, ومن هنا نعرف ان في داخلنا وفي اصل خلقنا حواس اخرى غير التي نعرفها اكثر نضجاً واكثر قابلية وهي بحاجة لحوافز داخلية وخارجية

لكي تظهر ومنها حواس الحدس والتنبؤ والوحي والالهام والخيال والتخاطر وغيرها الكثير, وبما ان الانسان يعيش في هذه الدنيا برحلته الوجودية لفترة قصيرة جداً لا تتجاوز عشرات السنين وهي في كل الاحوال غير كافية لظهور بركات وخواص هذه الحواس الدفينة فيه لذلك فاني اؤمن بان الرجعة هبة سيمنحها الله للناس بحياة ثانية هي قمة الرحمة وقمة العدالة لان الرجعة هي الطريق الطبيعي للنوع البشري لكي تظهر فيه هذه الحواس الراقية من خلال عملية هدم وبناء وموت وحياة وصياغة جديدة للانسان بعد الكسر في الطبيعة بولادة ثانية.

ونحن هنا نقول لكافة المؤمنين المنتظرين ان فهم الغاية من الغيبة وفهم مشروع خلافة الله على الأرض وظهور دولة العدل الالهي يتوقف على فهم موضوع الرجعة بالذات, فلا يغرنكم تعدد الآراء وتمسكوا بأحاديث آل محمد ﷺ ففيها النجاة ولا تكونوا كالذين قال عنهم الله عز وجل ﴿ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون﴾^(١).

فموضوع الرجعة سيشكوا إلى الله يوم القيامة مما به لأنه من جملة القرآن المتروك المهجور^(٢), وان هذا الأهمال المتعمد سيقودنا بالتالي إلى قنوط حتمي من اننا ليس لنا وظيفة في هذا النظام ومن ثم التصور الضبابي لأحداث الظهور ومستقبل الدين والإسلام.

(١) الحديد/١٦.

(٢) يقول رسول الله ﷺ (ثلاثة يوم القيامة يشكون إلى الله مما بهم, قرآن متروك, ومسجد مهجور, وعالم ضاع بين جهال).

الفصل الرابع

الأدلة والقرائن العلمية

سنورد في هذا الفصل والذي يليه مجموعة من الأدلة والقرائن كمدخل لفهم موضوع الرجعة بصورة عامة أرتأينا أن نجمعها في فصلين تمهيداً لشرح آلية وزمان ومكان رجوع الأموات وهي على قسمين.

القسم الأول: الأدلة والقرائن العلمية.

القسم الثاني: الأدلة والقرائن المستوحاة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول ﷺ وآل البيت عليهم السلام.

وان هذا الفصل والذي يليه وضع بالأساس كمدخل لشرح حديث الإمام الصادق عليه السلام بقوله (.... إذا آن قيامه مُطر الناس جمادي الآخرة وعشرة ايام من رجب مطراً لم يرى الخلائق مثله فئببت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم من قبورهم فكأني أنظر اليهم مُقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب) (١).

ونسعى من خلال الشرح إلى أثبات أمر نعتقد به وهو ان العلم والإيمان يكتبان نفس القصة ولكن كل بلغته, لذلك نرجو من القارئ الكريم ان يتذكر دوماً عند قرائته هذا الفصل موضوع الحديث اعلاه لكي يتسنى له الربط والأستنتاج بين مفردات الحديث والقرائن التي سنذكرها.

(١) مختصر البصائر/عز الدين الحسن بن سليمان الحلي

القسم الأول

الأدلة والقرائن العلمية

١- الاستنساخ البشري .

٢- التحنيط .

٣- التجميد .

٤- تحنيط وتجميد الموتى

٥- أطفال الأنايب

٦- السبات

٧- التكاثر اللاجنسي .

٨- الدباغة .

٩- شواهد تاريخية .

١٠- نظرة حول حالات المادة

١١- النظريات الحديثة.

قال تعالى ﴿أولم يروا كيف بيدي الله الخلق ثم يعيده ان ذلك على الله يسير .
قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدء الخلق ثم الله ينشئ النشأة الآخرة ان الله
على كل شي قدير﴾^(١).

قبل ان نحوض في شرح آلية وقانونية الرجعة لابد ان نتطرق إلى مجموعة من القرائن
العلمية والعملية التي تمت إلى هذا الموضوع بشكل او بآخر, فلا بد من هذه المقدمة
لكي يكون القارئ الكريم معنا في الصورة اثناء تحليل آلية واحداث الرجعة, فهذه

(١) العنكبوت/ ١٩، ٢٠.

القرائن العلمية المتعلقة بالإنسان كمادة احيائية بايولوجية، والقرائن المتعلقة بحالات المادة وقوانينها، والنظريات المتصلة بها، توفر للقارئ الكريم الاطار النظري والعلمي لفهم كيفية إنتاج الأجساد البشرية وخروجها من القبور والاحداث في الرجعة وكذلك في يوم القيامة، فهي عملية تجري في أصل النظام الطبيعي وفق مقدمات وفعاليات مترابطة ومتسلسلة في النظام الطبيعي في الخارج، والنظام الاحيائي في داخل الإنسان، فرجوع الاموات وبعثهم في الرجعة ويوم القيامة هو نتيجة لهذا التفاعل.

والرجعة بصورة عامة كما اعتقد مرتبطة (بتغير النظام الفلكي لكوكب الارض)، والذي يؤدي بالضرورة الى (تغير في النظام الطبيعي) وانتقاله إلى وضع جديد (وهو النظام البرزخي) في نقلة نوعية من مراحل تطور النظام وحركة الموجودات باتجاه المبدأ كما سنوضح لاحقاً^(١)، وان أثبات هذا الأمر سيقودنا بالضرورة إلى إلغاء فكرة إعادة المعدوم التي اشكلت على جُملة من الفلاسفة والمتكلمين، لان الإنسان بعد موته لا يتحول إلى عدم بل يتفكك إلى أجزاء ويدخل كل جزء في انظمة مجانسة لنوعه، وان رجوعه في الرجعة او القيامة هو اتحاد لهذه الأجزاء ضمن عوامل خارجية طبيعية وداخلية احيائية، بالاضافة إلى عناصر أخرى لا نزال نجهلها كعملية النفخ في الصور، فالأمر هنا مرهون بتوقيتات لها علاقة بزمن تغير النظام الطبيعي إلى وضع يمكن من خلاله حدوث هذه الفعاليات بشكل جماعي لانه ببساطة الكون لا يبدد شيء ولكن كل شيء يتبدل من شكل إلى آخر، فهذه القرائن والشواهد العلمية ستوصل للقارئ مجموعة من الافكار التالية:

- ١- تعدد اشكال التوالد والتكاثر في الكائنات الحية حتى للنوع الواحد.
- ٢- ان المادة الحية (جسد او نسيج او خلية) يمكن المحافظة عليها لفترة طويلة من الزمن (وهذه الحالة تحدث في الإنسان العادي بعد موته إذ يبقى جزء منه غير قابل للتفكك كما ذكرت جملة من المروييات).
- ٣- تعدد الطرق التي من خلالها يتم المحافظة على المادة الحية (جسد او نسيج او خلية).

(١) بإمكانك أن تراجع كتابنا (نجم يتقلب في الافاق) وكتابنا (أيام الله) فقد شرحنا فيه بشكل مفصل كيفية يتغير النظام الطبيعي والفلكي في أيام دولة العدل الالهي.

الأدلة والقرائن العلمية

٤- ان عملية المحافظة على الاجساد بعد الموت تتاثر بعاملين الأول هو العوامل الطبيعية المتمثلة بقوانين الطبيعة (فيزيائية وكيميائية وحيائية) ، والثاني هو عوامل روحية صرفة متمثلة بالاعتقاد بالحياة بعد الموت ومجموعة الطقوس والشعائر الخاصة بهذا الاعتقاد.

٥- شرح الاسباب التي جعلت بعض الحضارات مثل الحضارة الفرعونية تحاول بكل ما اوتيت من علم ومعرفة وامكانيات مادية ان تستخدم هذه العوامل للمحافظة على اجساد موتاهم والمتمثلة بعملية التحنيط حتى ان اهراماتهم العملاقة لا زالت لحد الآن باقية وماهي إلا عبارة عن قبور لحفظ اجساد الموتى.

٦- هل ان الحضارات السابقة والإنسان القديم كان يعتقد برجعته إلى الدنيا بعد موته في زمن آخر؟ ومن أين جاءت له هذه المعرفة وهذا الاعتقاد؟ واذا كان الإنسان يؤمن بان الله قادر على ارجاعه فلماذا هذا الاهتمام الكبير بالمحافظة على الأجساد بعد الموت؟

٧- هل ان موضوع رجعة الاموات هو من اعتقادات الشيعة فقط؟ أم أن هناك في العالم الغربي (المسيحي واليهودي) من يؤمن بهذا الامر وله اجاث وآراء وتجارب في هذا الامر بل وحتى متاحف لحفظ أجساد الموتى.

أولاً: الاستنساخ البشري.

من عادة الكائنات الحية ان تجدد نوعها باستمرار عن طريق خلط المكونات الوراثية في عملية التزاوج, فيحل الجديد محل القديم وبهذا تستمر الاجيال, وهذه سنة طبيعة واضحة, ولكن في عملية الاستنساخ يمكن ان تنشأ الذرية من خلال الخلايا (الجسدية) لا الخلايا (الجنسية), فكل خلية جسدية من اي نسيج او عضو في الكائن الحي تحتوي على نواة تمثل مركز هذه الخلية, وفي هذه النواة توجد المادة الوراثية المعروفة بـ (الكروموسومات) والتي تحتوي على كافة الصفات الوراثية الكاملة للكائن الحي من طول وشكل ولون وصفات أخرى, فلو أخذنا خلية واحدة من أي مكان (من اليد او المعدة او الجلد أو.....) من هذا الكائن سواء كان حيوان أم إنسان واخرجنا النواة من هذه الخلية المختارة, ثم اخذنا بويضة من انثى هذا الكائن واخرجنا النواة من هذه البويضة ووضعنا محلها النواة الأولى المستخرجة من

الخلية المختارة، وتم تحفيز هذه البويضة بعد وضع النواة المختارة فيها وزرعها في رحم الانثى لذلك الكائن لأنج كائن طبق الاصل من الكائن الذي أخذت منه النواة المختارة، ان هذه العمليات وان لم تنجح لحد الآن على الإنسان^(١)، لكنها نجحت على كائنات اخرى من الثدييات وهي النعاج، فقد تم استنساخ نعجة من خلية جسدية، وسميت بالنعجة (دولي)^(٢)، كما نجحت هذه الآلية على الفئران والضفادع.

ان بلوغ هذا الهدف قد يدعوا إلى الفرع حقاً، فهذا يعني ان الإنسان يستطيع ان ينسخ جسمه من جديد في صورة طبق الاصل منه، بل ان وجود اي خلية لاي انسان قد مات او بقيت بعض اجزائه مثل الشعر والاطافر وبعض الانسجة يمكن من خلال خلية واحدة اعادته بصورته الاصلية، أي ان زيداً قد يُبعث إلى الحياة مرة أخرى على الأرض من خلال خلية واحدة من جسمه^(٣).

ولاشك ان مثل هذه التطورات الجريئة والغريبة على عقولنا وزماننا لن تكون كذلك بالنسبة لمن يأتي بعدنا بأجيال، والواقع أن كل انجاز علمي كبير له سمات ومقدمات وغالبا ماتكون البداية متواضعة لكنها تتطور إلى الأحسن، وانجاح هذه الفكرة على بعض الحيوانات قد يفتح الباب لتطبيقها مستقبلاً على الإنسان.

إن الأبحاث المرتبطة بموضوع الاستنساخ تذهب إلى اكثر من مجرد إعداد نُسخ من هذا الإنسان، فهي تفتح الأفاق أمام أمور كبيرة وخطيرة كان الكلام فيما سبق عنها هو ضرب من الخيال، فالأبحاث في مجال الاستنساخ البشري لازالت في طور النظريات، إلا ان الانجاز العلمي الضخم الذي تحقق سنة (٢٠٠١) حيث انجزت

(١) أنها لحد الآن لم تنجح على الإنسان من باب انه لم يُعلن رسمياً في الأوساط العلمية المعتمدة أنها قامت بأستنساخ انسان ونجحت في ذلك، وان كنت اعتقد على المستوى الشخصي أن هذه التجارب قائمه على قدم وساق منذ فترة طويلة، لكن بسريه تامة من خلال مؤسسات علمية كبيرة تابعه لجهات سياسيه واقتصاديّه مؤثرة.

(٢) النعجة دولي هي أول حيوان ثدي تم استنساخه من خلية جسمية في اسكتلندا عام (١٩٩٦) واستمر عمرها ست سنوات ثم تم انهاء حياتها بالقتل الرحيم لأنها عانت من مرض في صدرها في حالة متدهورة.

(٣) سنثبت لاحقاً في هذا البحث أن عملية الاستنساخ البشري بالمعنى الذي ذكرناه ويذكره العلم ليس كما يفهم البعض من ان زيد سيعود (بنفسه بذاته) بل سنثبت ان (زيد) سيعود بلحمه وشحمه ودمه فقط ولكن (ليس بذاته الاصلية) ، وستجد الكلام حول هذا الموضوع في فقرة (الجسم الجسد البدن) من هذا البحث.

البشرية اهم وادق مشروع علمي, هذا المشروع يتعلق بسر الحياة ويصف الحروف التي كُتبت بها قصة الحياة, وهو مشروع قراءة الشفرة الوراثية للإنسان, فمن خلال قراءته لهذه الشفرة تمكن الإنسان من التعرف على نفسه عن قرب, وبدأ يتعلم الابجدية التي كُتبت بها حياته, وانه الآن يحاول رسم خريطة لنفسه^(١), فمن خلال هذه الخريطة الوراثية والأعداد المتزايدة من مراكز البحث العلمي وكثرة العلماء العاملين في هذا المجال, والإنفاق الضخم الذي ترصده الدول المتقدمة على هكذا بحوث, فان الإطار النظري لهذا العلم قد اصبح واضحاً, وان المسألة مسألة وقت لا أكثر, وان الكلام عن محاولة إطالة الاعمار والقضاء على الشيخوخة, والقضاء على الامراض الوراثية, والتعديل العضوي والجيني للبشر وتحسين خصائصهم, وزرع الاعضاء, والتحسين الوراثي للانسان والنبات, كل هذه الامور اصبحت في متناول البحث العلمي, وستكون المئة سنة القادمة مليئة بالمفاجآت, علما ان هناك جدل اخلاقي وقانوني حول هذه الابحاث, فهذه الاكتشافات ستقودنا إلى أمور مرعبة لو اطلق العنان للعلم للبحث بها, فان تلقيح المكونات الوراثية للإنسان خارج الرحم, وإنشاء جسد كامل خارج الرحم (إذا نجح العلم في إنتاج الارحام الصناعية), وتلاقح هذه المكونات مع مكونات وراثية لكائنات أخرى, سيؤدي بالضرورة إلى إعادة النظر بمفهوم الذكر والأنثى, وان الإنسان باستخدامه لميحمل هذه العلوم سيصل إلى نتائج لا ندري عظمة أم مخيفة, لكني شخصياً أعتقد ان الإنسان لن يكون حكيماً بما فيه الكفاية لأستثمار هكذا معرفة, إذ لربما تكون هذه المعرفة هي السبب في إنتاج المسوخ^(٢), وقد وصف الله عز وجل في القرآن الكريم مشروع

(١) وكما أن قطرة من المحيط تدل عليه، فخلية واحدة من جسم الإنسان هي الباب الواسع والرائع لفهم أسراره وأسرار الكون كله.

(٢) بإمكانك ان تراجع القرآن الكريم واحاديث الرسول الكريم وآل بيته صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين التي ذكرت موضوع المسوخ وكيف سيظهرون في آخر الزمان، وهي من الكثرة بمكان. كما يمكنك أن تراجع كتاب المتنبي الغربي نوستراداموس (النبؤات) فستجد الكثير من نبؤاته تتحدث عن ظهور المسوخ في آخر الزمان.

وبإمكانك ايضاً ان تراجع كتابنا (المزايلة) فقد أفردنا فيه فصل خاص لمناقشة كيفية ظهور المسوخ كما حددته الآيات والأحاديث بالإستفادة من المواضيع العلمية ذات الصلة كالاستنساخ والوراثة والجينات وغيرها, وقد أثبتنا في كتابنا (المزايلة) أن هناك حالات مختلفة لإنتاج الأشكال المشوهة منها اضطرابات في عملية الحمل نتيجة العقارات أو الإشعاع أو الممارسات الخاطئة، ومنها ما هو ناتج من عبث الإنسان بالمكونات الوراثية في المختبرات، ومنها ما هو عملية تغير دفعي فجائي بان يكون الإنسان جالس في بيته فتتقلب صورته من الصورة الآدمية إلى الصورة الحيوانية نتيجة

ابليس في هذا المجال بقوله ﴿وَلَا مَرْمَهُمْ فَلْيَغْيِرُنْ خَلْقَ اللَّهِ﴾^(١).

ومن جملة الاسئلة التي يطرحها علينا تطور هكذا علوم هو، هل إن الإنسان بطبيعته البيولوجية قابل للتطور أم لا؟ اي بمعنى آخر هل هذه الخصائص الوراثية والجينية والبيولوجية للإنسان وضعت فيه بأصل خلقته ليصل إلى هذه الهيئة والقدرات التي هو عليها الآن، أم انها وضعت فيه للوصول إلى غاية أرقى؟ فهل هو خلق بهذا الشكل والقدرات وسيبقى عليها، أم أنه سيحصل على مميزات وأشكال أخرى إيجاباً أو سلباً؟

إن الإجابة على هذا السؤال بحاجة إلى مقدمات كثيرة (دينية وعلمية وتاريخية وفلسفية)، ولكن يمكن القول إن هناك علاقة ربط وثيقة بين فعل الإنسان وفعاليات الطبيعة، سواءً الطبيعة الخارجية المحيطة بالإنسان أو طبيعته البشرية، فكل فعل إنساني جمعي أو فردي باتجاه الخير يقابله رد فعل إيجابي من الطبيعة الخارجية والطبيعة الإنسانية والعكس صحيح، لذلك تجد ان النص القرآني يذكر عدة مراحل طبيعية لخلق الإنسان ويذكر عدة علائق حياتية وسلوكية تحدد نوع العلاقة والتطور الناتج عنها، فيما ذكرت جملة من المرويات هذه العلاقة المتبادلة بشيء من التفصيل والتي كلها تؤكد ان الفعل الإنساني محرك لهذا التطور، فمصير الإنسان مربوط بفعله سواءً باتجاه تكامله أم تسافله، وسنناقش جزء من هذا الموضوع في فقرة (الأحداث) وفقرة (الجسد الجسم البدن) فتابع^(٢).

ثانياً: التحنيط:

تحنيط الموتى هو حفظ جثث الموتى بواسطة مواد كيميائية لكي يحافظ جسم الإنسان على مظهره ويبدو وكأنه حي عند تسجيله في مكان عام قبل إجراء مراسيم الدفن، بالإضافة إلى انه يفي بمتطلبات بعض الديانات التي تؤخر الدفن لعدة أيام وتضطر لنقل الجثة إلى مكان آخر فيمنع التحنيط تعفن الجثة. ولنأخذ مثل على ذلك.

مقدمات كثيرة اوردناها بالتفصيل في كتاب (المزايلة) فراجع.

(١) النساء/١١٩.

(٢) يمكن أن تراجع كتابنا المزايلة ففيه الكثير من المواضيع المرتبطة بهكذا أسئلة.

التحنيط عند الفراعنة:

يتم من خلال عملية التحنيط المحافظة على شكل الجثة وإكسابها مقاومة ضد العوامل الطبيعية كي لا تتحلل أو تتفاعل مع الجو المحيط بها، وكان قدماء المصريين يؤمنون بفكرة الحياة بعد الموت، والديانات المصرية تقول ان الإنسان لا يمكن ان يُبعث في الآخرة إلا بعد ان تعود الروح إلى الجسد، وأعتقد الفراعنة انه ينبغي تحنيط الميت كحماية لجثته من التحلل كي تتمكن الروح من العثور والتعرف على الجسد لتتم عملية البعث، والمصريين القدماء مولعين بحياة اسموها حياة الجنة الأبدية، وأسمى ما يتوقون إليه هو العودة للعالم السفلي عالم (اوسير بيس) إله الموت، كما أقتنعوا بان الإنسان مُشكّل من عدة عناصر، وان هناك اتصال مباشر بين حماية هذه العناصر وهيكل الموت هذه العناصر هي:

هيكل الجسد حيت (خيت) .

الروح (با) تمثل بطائر له رأس الموت.

(كا) مضاعفة انها تشبه الموت.

القلب (اي ب) وهو مصدر الخير والشر.

الإسم (رن) أسم الموت.

الظل (شوت) وهو يرافق الجسد والروح.

النفس أو الروح الحسنة (اخ) .

ووفقاً للمعتقدات المصرية القديمة فان أهم عنصر هو الجسد والطريقة المثلى لحفظه هو بتحنيطه، ويوجد لديهم عدة طرق للدفن بحسب منزلة الشخص وغناه، وفي البداية كان الأمر محصوراً بالفراعنة وموظفي الدولة الكبار، لكن بعد ذلك نُشر الأمر على الرعية وكانت عمليات التحنيط تستغرق حوالي (٧٠) يوماً.

هنا نتساءل هل كانت هذه الفكرة الكبيرة في اعتقاد الفراعنة ناتجة عن حالة أمل أم ناتجة عن معرفة واقتناع مسبق؟ إن الأمل في الحقيقة قد يدفع الإنسان لما هو أكثر من ذلك، لكن الطريقة التي سنذكرها في عملية إعداد هذه الأجساد الفرعونية لحياة ما بعد الموت تدل وبشكل واضح أنهم مارسوا هذا العمل عن معرفة واقتناع.

طريقة التحنيط:

اكتشف المصريون القدماء التحنيط عن طريق ترك الجثة فوق الرمال الحارة التي تغطيها أشعة الشمس، إذ وجد ان الجثة لا تتحلل سريعاً والطريقة كالتالي:

١- استخراج المخ من الجمجمة عن طريق الانف باستعمال الازميل والمطرقة، ويسحب المخ من خلال فتحة الانف بسنارة ممحاة ومعقوفة واستخراج أحشاء الجسد كلها ماعدا القلب (مركز الروح والعاطفة) ، وبذلك لا يبقى في الجثة أية مواد رخوة تتعفن بالبكتريا، أما بالفتح أو الحقن لزيت الصنوبر في الاحشاء عن طريق فتحة الشرج.

٢- يملئ تجويف الصدر والبطن بمحلول النطرون^(١) ولفائف الكتان المشمعة بالراتنج والعطور، وهي جميعاً مواد لا يمكن ان تكون وسطاً للتحلل او التعفن بالبكتريا.

٣- يُجفف الجسد بوضعه في ملح النطرون الجاف لاستخراج كل ذرة مياه موجودة فيه واستخلاص الدهون وتجفيف الانسجة تجفيفاً كاملاً.

٤- طلاء الجثة براتنج سائل لسد جميع مسامات البشرة وحتى يكون عازلاً للرطوبة وطارداً للحياة الدقيقة والحشرات في مختلف الظروف حتى لو وضعت الجثة في الماء وتركت في العراء.

٥- في احدى المراحل المتقدمة يتم وضع الرمال تحت الجلد وبين طبقة العضلات عن طريق فتحات في مختلف أنحاء الجثة لكي تبدو الأطراف ممتلئة ولا يظهر عليها أي ترهل في الجلد.

٦- استخدام شمع العسل لاغلاق الانف والعينين والفم وشق البطن.

٧- تلوين الشفاه والحدود بمستحضرات تجميل.

٨- لف المومياء بربطة كتانية كثيرة وقد تبلغ مئات الامتار مدهونة بالراتنج يتم تلوينها باكسيد الحديد الأحمر (المغرة الحمراء) بينها شمع العسل كمادة لاصقة وفي آخر السبعين يوماً تتم فيها عملية التحنيط.

(١) النطرون: ملح كربونات الصوديوم المائي وكان يستخدم في مصر القديمة في التحنيط وصناعة عجينة السيراميك وعامل منظف ومطهر.

الأدلة والقرائن العلمية

٩- تغطي الاحشاء بعد ذلك بضمادات وتوضع في اوعية كل وعاء يحمي من قبل إله.

١٠- كانوا يضعون قناعاً فضياً أو ذهبياً في مكان الرأس ليساعد الروح كي تتعرف على صاحبها^(١).

وبعد انتهاء عملية التحنيط تصبح المومياء جاهزة للدفن وتبدأ الطقوس والشعائر، وهنا يقوم الكهنة باستعمال أداة خاصة يلمس بها الأجزاء التي كان من الواجب ان تفتح لاغراض العالم الآخر، وكانت هذه الطقوس تسمى طقسه فتحة الفم وتسجيل الاداة التي يستعملها الكاهن لفتح حواس المتوفي (او استرجاعها) لكي يستطيع المتوفي تناول طعامه ويتكلم في العالم الآخر. وعندما تستكمل كل الطقوس فإن المومياء الموجودة داخل التابوت توضع في حجر الدفن وتغلق المقبرة وتختتم، وليس الهدف من عملية الغسل والتكفين تكريم هذا الميت وإجراء الطقوس عليه، بل ان هناك هدف كبير لهذه العملية، وهو إجراء اللازم لهذه الجثث لكي تتمكن من الرجوع إلى هذا العالم بطريقة أسهل وأسرع.

وتجد في شريعة الإسلام طقوس خاصة بالدفن أيضاً يجب علينا جميعاً الإعتناء بها، وقد تم فهم الحديث المروي عن الرسول ﷺ بقوله (إكرام الميت دفنه) بمعنى الإستعجال بالدفن، وربما يكون للحديث معنى اخر وهو الإعتناء بالدفن^(٢).

(١) أعتقد شخصياً أن استخدامهم للذهب والفضة في هذا الأمر ليس للزينة فقط بل لأستثمار خواص هذين المعدنين.

(٢) وجهة النظر الشائعة ان الموت يبدأ بانقطاع النفس ثم توقف القلب، اما وجهة النظر العلمية الحالية تعتمد بالأساس على ان موت الدماغ هو العلامة الحاسمة بأعتبار الإنسان بعدها يصبح ميتاً وهو علمياً توقف تيار الدماغ عن الرسم الكهربائي وهذه الحالة تتفق مع ما يحدث في حالة النوم من هبوط المستوى الكهربائي للإنسان، فتحدث حالة الارتخاء بين الجسم والنفس ومن ثم يصبح الإنسان مهيناً لدخول عالم الأحلام، لذلك قال الإمام علي ؑ (كما تنامون تموتون وكما تستيقضون تعثون) ، لذلك كانت واحدة من أهداف طقوس تجهيز الميت هو ترك مدة زمنية معتد بها بين الموت والدفن.

ولكن ماذا نقول عن تلك الحالات التي ثبت سريراً ان اصحابها موتي بعد توقف الدماغ ثم عادوا إلى الحياة بعد ساعات أو اكثر، وهي حالة ليست نادرة وتحدث عنها المدونات الطبية بشيء من التفصيل، بل ان هناك دراسات علمية معتمدة من قبل شخصيات أكاديمية معروفة تناولت هذه الظاهرة بشيء من التحقيق والتدقيق والتقصي ودرسته بعناية شديدة من خلال جمع البيانات السريرية للمريض مع مشاهداته لهذه الحالة أثناء موته.

وهنا يبرز لنا سؤال: هل من حق احد ان يُشرح هذه الجثة او يستخدم بعض اعضائها بعد الموت؟

وهنا سنقوم بعملية مقارنة بين مراسيم التحنيط والدفن عند المصريين القدماء وبين مراسيم الدفن عند المسلمين عموماً والشيعه خصوصاً، ومن خلال متابعة القواسم المشتركة للعمليتين ستلاحظ وحدة الهدف المرجو منها

المسلمين	الفراعنة
يتم غسل الجسد بواسطة الماء مع استعمال السدر والكافور.	يتم تحنيط الجسد من خلال إفراغه من الدم والأحشاء وإخراج الدماغ.
يتم لف الجسد بواسطة قطعة من القماش بيضاء تسمى (الكفن) .	يتم لف الجسد المحنط بأغطية خاصة من قماش معين (الكفن) .
يتم قراءة سورة معينة من القرآن الكريم أثناء عملية الغسل والتكفين، بالإضافة إلى بعض الأدعية الخاصة عند الشيعة حصراً مثل دعاء (العديلة)	تستعمل تراتيل وطقوس دينية وسحرية تلقى وترتل أثناء عملية التحنيط.
عند الشيعة يتم إحاطة جسد الميت، بالإضافة إلى الكفن، بقطعة قماش أخرى بيضاء مكتوب عليها سورة من القرآن الكريم وبعض الأدعية تسمى (الحبرة) .	ينقش على التابوت صور ورموز تمثل ما يحتاجه الميت في العالم الآخر، وما سيلقاه هناك، بالإضافة إلى مجموعات من التعويذات تنقذه من الأرواح الشريرة.
بعد إنزال الميت إلى قبره يلقي عليه أحد القراء مجموعة من التعليمات تذكره بربه ونبيه ودينه وإمامه وما سيلقاه من الملائكة داخل قبره للحساب، وتسمى هذه العملية (التلقين)	يتم إلقاء بعض الكلمات على الميت بعد تحنيطه، وذلك بوضع أصبع الملقى على فم الميت وعينه وأذنه، فعندما يضع يده على فمه يقول له سوف تتكلم من جديد وهكذا.
هناك نص نبوي يحث على وضع (جريدة) من سعف النخل مع الميت في قبره، كما يستحب وضع تربة الإمام الحسين ٨ مع الميت عند الدفن عند الشيعة خاصة.	يأخذ الفراعنة معهم بعد الموت أثاث وحلي وأسلحة توضع معهم في القبور، لاعتقادهم بحاجتهم إليها في العالم الآخر.

من يدري لعل هذا الشخص يعود للحياة بعد ساعات ومن يدري ان هذه العملية ربما تكون مؤلمة للميت فعلاً في ساعاته الأولى، حتى ان السلالات البدائية تضع حداً أدنى كفاصل زمني بين الموت والدفن أو الموت وحرق الجثة.

ومن هنا نفهم لماذا حثت الشريعة المقدسة على (تغسيل الميت وتكفينه وتلقينه والصلاة عليه) ، فليس الهدف من هذه المواضع هو التكريم فقط، بل للتأكد من موته، ولكي يكون هناك فترة زمنية كافية بين الموت والدفن، فربما الإنسان يحتفظ بنوع من الأحساس خلال ساعاته الأولى بعد الموت، لذلك نهت الشريعة المقدسة من الإساءة للميت بالضرب والتمثيل، وهذا ما يؤكد حديث رسول الله ﷺ (لا تمثلوا بالميت ولو كان كلباً عقوراً) .

لكن أنظروا ما فعلت هذه الأمة بأبن بنت رسول الله ﷺ الحسين ﷺ بعد قتله، فقد قطعوا رأسه وداسته الخيل بسنابكها ولم يبقى جزء من جسمه الشريف إلا وناله ضربة سيف أو طعنة رمح.

ثالثاً: التجميد.

هناك علم يعرف باسم (علم التبريد الشديد) وله استخدامات وتطبيقات كثيرة في مجال العلوم الكيميائية والفيزيائية والبيولوجية، ومن خلال هذا العلم يمكن ان تحتفظ بالخلايا والانسجة الرقيقة حية لفترات طويلة من خلال التبريد الشديد بعد معاملة الخلايا بمواد خاصة حتى لا يتحول ماؤها إلى بلورات دقيقة من الثلج قد تدمر جزيئاتها الأساسية تدميراً، مثلها كمثل زجاجة مملوءة بالماء ومغلقة إغلاقاً محكماً ثم وضعت في صندوق التبريد المتصل بالثلاجة وعندما يتحول ماؤها إلى ثلج يتهشم زجاجها من الضغط الشديد الكائن عليها (لان حجم الثلج هنا أكبر من حجم الماء) ، فعليه من الممكن تعبئة بليوناً خلية بكتريا في حجم لا يتجاوز بضعة سنتيمترات مكعبة، ومن الممكن ان تجفف حية بالتجميد ليظل الكثير منها حياً عند تدفئته فيما بعد، وهي تصمد في الحالة المجمدة إلى فترات طويلة جداً دون خسائر خطيرة، وفي درجات الحرارة المنخفضة جداً كتلك الموجودة بالفضاء يستطيع الكثير منها ان يبقى حياً مدة تصل إلى عشرة آلاف عام، أما اذا نظرنا إلى هذا الامر من خلال علم (النانو) وهو العلم الذي يتم من خلاله التلاعب بالمواد على (المستوى الذري) فهو يطرح آليات مستقبلية للتجميد في درجات حرارية متدنية جداً وإعادة الحياة إلى الكائنات المجمدة، فهذا العلم بالذات يفتح لنا آفاق هي اقرب للسحر والمعجزة.

رابعاً: تجميد وتحنيط الموتى.

تجميد البشر، أو ما يسمى علمياً بـ (الكرايونيكس) ، فكرة بدأت أصلاً في المانيا إبان الحرب العالمية الثانية، إذ تم تجميد بعض المرضى الذين ماتوا على أمل أن يتم إنعاشهم بعدما يكتشف العلم علاجاً لهم.

فمنذ بدء الخليقة والإنسان يسعى إلى تحقيق اهم هدف في حياته ألا وهو الخلود الابدي، وبالرغم من كل المحاولات التي بذلها الإنسان لتحقيق هذا الهدف كالتحنيط إلا ان حلمه لم يتحقق ومحاولاته المتكررة لن تتوقف أبداً.

وقد شهد العصر الحديث تجدد هذه الفكرة الموهلة في القدم وانتشرت عشرات القصص التي تحكي عن تجميد بعض الاشخاص لسنوات طويلة واعادتهم مجدداً

إلى الحياة، هذه القصص التي نُسجت حولها عشرات من افلام الخيال العلمي والتي شهدت مؤخراً أولى محاولات تجسيدها على ارض الواقع، فافتتحت العديد من المراكز لحفظ جثث الموتى في بعض الدول المتقدمة تكنولوجيا، وتقوم فكرة هذه المراكز على انه في حالة وفاة شخص بمرض لا علاج له في وقته، فانه يتم تجميد هذا الشخص بطرق علمية مدروسة بعناية وحفظ جثته إلى ان يتم اكتشاف علاج له في المستقبل على امل إعادته إلى الحياة وعلاجه، ونريد ان نشير هنا إلى انه يوجد في امريكا جمعية غريبة شعارها (جسد الجسد وانتظر.....) ثم أخرج مرة أخرى إلى الحياة) ، وتأسست هذه الجمعية بعد ان ظهر كتاب أسمه (نظرة على الخلود) عام (١٩٦٤) وفيه شرح مؤلفه (روبرت ايتنجر) كيفية حفظ الجسد قبل موته بدقائق بواسطة تبريده فجائياً بالنيتروجين السائل حيث تصل درجة الحرارة إلى حوالي (١٩٦) تحت الصفر، ولا بد والحال كذلك من وضع الجسد في كبسولة خاصة، وتوجد حتى الآن (١٤) جسد امريكي محفوظ في كبسولات تحت درجة حرارة منخفضة جدا.

إن فكرة بنوك الدم والخلايا والانسجة التي تُحفظ لساعات أو أيام أو شهور بمعاملات كيميائية وتبريد خاص، هي فكرة معمول بها على صعيد الواقع العملي، لكن تجميد جسد كامل فهذه مشكلة حقيقية يحاول العلماء البحث عن حل جذري لها، فهل يمكن تجميد الجسد لمدة طويلة ثم تدفئته بعد ذلك ليعود من نومته الطويلة ويعيش زمن غير زمانه؟ هناك تجارب أجريت على الفئران بعد تجميدها وهي حية وتم إعادتها إلى الحياة بإزالة الجليد ولم تبقى على قيد الحياة إلا لدقائق بسبب الضرر الهائل في الأغشية التي دمرها البرد.

إن عملية التجميد المؤقتة تعرف بأنها نقل الجسد المتوفي إلى حالة (إحياء مُعلق) ، وهي تستند إلى حقيقة ان عمليات البناء والهدم داخل الخلية الحية تشهد نوعاً من التباطؤ الشديد عند تجمد هذه الخلية، كذلك بالنسبة لوظائف المخ والتي لا تحتاج تحت هذه العملية إلى الاوكسجين مقارنة بما هو عليه الأمر في الحياة العادية، هذه العملية (تجميد الموتى) والتي تقوم بها العديد من الشركات في امريكا واوروبا تكلف حوالي (١٥٠) ألف دولار لحفظ جسد المتوفي كاملاً، أو (٥٠) ألف دولار لحفظ المخ فقط سليماً معافى، على امل ان يتطور علم الاستنساخ مستقبلاً ويتم إعادة

بناء الجسد.

إن هذه العملية الغريبة وغير المقبولة أخلاقياً في الكثير من المجتمعات تتم تحت اشراف طبي وقانوني صارم، فهي تجري فقط لمن ثبت انه متوفي من الناحية القانونية، ويعني ذلك توقف قلبه عن النبض بشكل كلي مع بقاء بعض الوظائف الخلوية في المخ بحالة عمل وهذا بالطبع يختلف عن حالة الموت الكلي، أما الآلية المتبعة في تجميد الموتى فتتم من خلال نقل الشخص المتوفي قانونياً إلى وحدة المعالجة الأولية ويزود بالاكسجين والدم لمنع تلف المخ، ثم يُحاط بالثلج ويحقن بالهليبارني (مانع تجلط) ، بعد ذلك ينقل إلى وحدة التجميد الفعلي حيث يتم إزالة الماء من الخلايا وذلك لتفادي عملية تفجر خلايا الجسم عند تعرضها للتجميد بسبب خاصية تمدد الماء عند درجات الحرارة المنخفضة، بعد ذلك يحقن الجسد بدلاً من الماء بخليط كيميائي مكون من (الجليسيرول) والذي يمنع تكون بلورات ثلجية عند درجات الحرارة المنخفضة للغاية ثم يُبرد الجسم حتى (١٣٠) درجة تحت الصفر ويوضع في خزان معدني يحتوي على نيتروجين سائل على درجة (١٩٦) تحت الصفر، وشهدت هذه التقنية جدلاً واسعاً في الاوساط الطبية والقانونية حيث انهالت عشرات الانتقادات والشكاوى على هذه الشركات متهمة إياها بالنصب والاحتيال والخداع لسلب أموال الاغنياء خصوصاً والذين يمتلكون القدرة المالية على الدفع، وتركزت هذه الانتقادات على انه لم يتم لغاية الآن إعادة أحد المجمدين إلى الحياة مرة أخرى وانه لا يتوقع ان يحدث ذلك في المستقبل، وترد على هذه الأقوال بعض شركات الموتى بقولهم ان عملية التجميد هذه شهدت نجاحاً واسعاً في حفظ الاجنة البشرية والبويضات والحيوانات المنوية وبعض اجزاء الجسم المختلفة، وتراهن هذه الشركات على التقدم العلمي والصحي الذي ستشهده البشرية في المستقبل الذي سيحوّل اشد الافكار غرابة إلى حقائق مسلم بها على أرض الواقع.

وهكذا تستمر محاولات الإنسان في البحث عن الخلود من تحنيط إلى تجميد إلى استنساخ لهذه الاجساد، على أمل الحصول على حياة جديدة خالدة، وسيحصل الإنسان على هذه الحياة في يوم من أيام الله المرجوة وهو يوم (الرجعة) وفق الآلية التي سنشرحها لاحقاً، لأنه ببساطة شديدة إذا أردت ان تحصل على حياة أخرى خالدة قبل يوم القيامة، فما عليك إلا ان تتقي الله عز وجل وتعمل عملاً صالحاً،

والعمل الصالح هو ان تتولى محمد وآل محمد ﷺ وتعادي أعداء محمد وآل محمد ﷺ .

خامساً: تجميد الأجنة.

يتم تجميد الأجنة بطرق خاصة (والأجنة الفائضة عن الحاجة بعد ان يتم اختيار الأجنة المناسبة داخل رحم المرأة) ، هذه الاجنة الفائضة يتم تجميدها على أمل استعمالها مستقبلاً، وطبعاً يتم اختيار الأجنة الجيدة للخصن والتجميد، وعلمياً لحد الآن يمكن حفظ هذه الاجنة لمدة ثلاث سنوات ويمكن لهذه الأجنة إنتاج أطفال أصحاء.

سادساً: تجميد البويضة.

ان نسبة نجاح عملية تجميد البويضة في سائل (النتروجين) هي اقل من نسبة نجاح تجميد الاجنة، وذلك لاحتمال تلف الجينات بسبب تلف الهيكل المكون لخلايا البويضة خلال عملية التجميد.

سابعاً: فيل الماموث.

الماموث هو فيل ضخم منقرض كان يعيش في أوربا الوسطى قبل مليون سنة، وقد عاصر إنسان ما قبل التاريخ في سيبيريا بنوع خاص. وقد اكتشفت أول جثة كاملة لفيل الماموث عند مصب نهر لينا شمال سيبيريا وهي مدفونة تحت طبقة من الجليد الذي حفظها سليمة تماماً منذ آلاف السنين وذلك سنة (١٧٩٨) ، كما تم العثور على جثة أخرى لهذا الفيل في أوائل القرن العشرين وهو يرقد مدفوناً لمدة عشرين ألف سنة من أرض سيبيريا الجليدية إلى ان اقلقت راحته بعثة علمية ادهشتها الحالة الممتازة التي وجدت فيها طوال هذه المدة من الزمن، ولا ندري ماذا ينبغي لنا القطب الشمالي تحت ثلوجه إذا ما ذابت.

ثامناً: الدباغة.

هذه عملية يمكن من خلالها المحافظة على نسيج عضوي وهو (الجلد) إلى فترات زمنية طويلة وبجالة ممتازة، ولازالت الكثير من المتاحف تحتوي على قطع من هذه الجلود التي كانت تستخدم في الكتابة والملابس منذ الاف السنين، فكما هو معلوم عندما يموت الحيوان ويترك يتفسخ جسده، لكن هناك طريقة معينة تسمى (الدباغة) يمكن من خلالها المحافظة على هذا الجلد وهو مادة حية، فالجلود مادة متينة ومرنة تصنع من جلود الحيوانات وتعد الماشية المصدر الرئيس للجلود بالإضافة إلى جلود الغزلان والماعز وتسمى عملية تحويل جلد الحيوان إلى منتج مفيد الدباغة.

تاسعاً: السبات.

١- **السبات الحيواني:** وهي عملية دفاعية تلجأ إليها الحيوانات في فصل الشتاء مثل الدب والقنفذ والوطواط والضفادع، إذ تقوم هذه الحيوانات بخزن كميات كبيرة من المواد الغذائية داخل جسمها على شكل مركبات دهنية وبروتينية قبل فصل الشتاء، وعند حلول فصل الشتاء عليها تدخل هذه الحيوانات في عملية نوم عميق يسمى السبات قد يستمر لمدة ستة أشهر، كما في حالة الدب القطبي، ويتم من خلال هذه الظاهرة الفسيولوجية إنخفاض حاد في ضربات القلب قد تصل إلى دقة واحدة لكل دقيقة، مما يسبب إنخفاض في عملية دوران الدم والتمثيل الغذائي لكي تكون كمية المواد المخزونة داخل الجسد كافية لفصل الشتاء.

٢- **السبات النباتي:** وهو عبارة عن إنخفاض شديد في (النشاط الايضي النباتي) ، وكذلك الانخفاض الشديد للتبادل مع الوسط الخارجي وتأثيره، وينتج عنه تباطؤ شديد للانقسام، وهو احد الطرق التي يلجأ إليها النبات ضد الظروف البيئية الصعبة، وهناك عدة أنواع من هذا السبات منها سبات ناتج عن صلابة غلاف البذرة كما في نواة التمر او بقية الثمار، إذ يحافظ هذا الغلاف على المادة الوراثية الأصلية للشجرة من الظروف الصعبة ويحجمها لفترات طويلة ويمكن زراعتها بعد فترة من الزمن، فاذا ما توفرت لهذه (النواة) الظروف الطبيعية من ماء وتربة نبت النبات من جديد، وعليه تقوم النباتات بانهاء عملية السبات نتيجة دخول الماء

وانتهاء السبب الخارجي المسبب للسبات^(١).

عاشراً: أطفال الإنابيب.

وهي عملية تلقيح للخلايا الجنسية (للأم والأب) ليس على فراش الزوجية، بل في أنبوب الاختبار وتتم هذه العملية بتخصيب البويضة (الأنثوية) بالحيوان المنوي (الذكوري) للأنب في أنبوب الاختبار بعد اخذ البويضات الناضجة من (الأم) لتوضع مع الحيوانات المنوية الجيدة (للأب) بعد غسلها، وبعد ان تتم عملية التلقيح داخل أنبوب الاختبار لعدة أيام (من يومين إلى خمسة) ، تبدأ بعدها عملية الانقسام للبويضة المخصبة، ثم تعاد هذه البويضة المخصبة إلى داخل رحم الأم لكي ينمو الجنين بصورة طبيعية ويخرج إلى الحياة بصورة طبيعية، وان أول عملية أخصاب خارج الجسم تمت عام (١٩٧٨) لسيدة بريطانية، وكانت النتيجة طفلة اسمها (لويزا براون) ولدت يوم ٢٨ تموز ١٩٧٨. أما اليوم ففي عالمنا آلاف من البشر قد جاؤا عن طريق أنبوب الاختبار، أي غير الطريقة التقليدية للجماع بين الرجل والمرأة. حادي عشر: التكاثر اللاجنسي.

وهي عملية إنتاج حيوان أو نبات عن طريق خلايا لاجنسية.

١- في عالم الحيوان: رصد العلماء عمليات من هذا النوع في بعض الحيوانات الدنيا، بعد ان لاحظوا ان هذه الحيوانات تتكاثر جنسيا وفق الناموس الطبيعي، لكنها تستطيع تحت ظروف خاصة ان تتكاثر جسدياً أو خضرياً كـ بعض أنواع النباتات، أي انها تستطيع التكاثر بطريقتين، ومنها كائن بدائي التكوين يعرف بـ (الهيديرا) وهو يسكن عادة في المياه العذبة ولا يتجاوز طوله سنتيمتر واحد، فعند شطر الهيديرا إلى نصفين لم يمض الكائن بل استطاع كل نصف من الجسد ان يكمل ذاته ويتحول كل منهما إلى كائن كامل، وهكذا حتى لو شطر إلى ٢٠٠ جزء اعطى كل جزء منه حيواناً مستقلاً، وكذلك هو الحال مع كائن آخر هو (البلائاريا) ،

(١) صدق الشاعر جبران خليل جبران عندما قال: (إن في التمر نواة حفظت سر النخيل) . وسيلاحظ القارئ الكريم ان هذه العملية تشبه العملية التي تتحدث عنها الأحاديث من كون الإنسان بعد موته يتحلل جسمه، إلا جزء صغير جداً تسميه الأحاديث (الطينة) ، وهو مادة حيائية عصبية على التفكك ولا تؤثر بها تقلبات الطبيعة، وهي بمثابة البذرة التي سيتم من خلالها إعادة هذا الإنسان في الرجعة وفي القيامة، وكما سنشرح ذلك بالتفصيل في فصول لاحقة.

الأدلة والقرائن العلمية

وهو أكثر تعقيداً من الهايدرا، فجسمه له رأس وبه عينان ومخ بدائي وفم يؤدي إلى ما يشبه البلعوم ينتهي بجهاز هضمي بسيط يحتوي على خلايا افرازية وماصة للغذاء المهضوم وله ذيل، ومع ذلك فقد قام احد العلماء بتقطيع هذه الدودة إلى مائة قطعة فأنتجت كل قطعة دودة لتصبح مائة دودة كاملة بكل انسجتها المختلفة.

٢- **في عالم النباتات:** النباتات تتكاثر عن طريق البذور، والمعروف ان البذرة هي بمثابة جنين نائم أو ساكن في مهد من الغذاء المخترن، والبذرة نتيجة حتمية لاندماج حبة لقاح مع بويضة في مبيض زهرة، وهذا هو الأمر الطبيعي في حياة النباتات، لكن هناك بعض التجارب الناجحة قام بها علماء على نباتي الجذر والتبغ واستطاعوا إنتاج نبات طبق الأصل من النبات الأصلي عن طريق خلايا خضرية او جسدية لا جنسية.

ثاني عشر: حالات أخرى.

١- وجود بعض الجثث سليمة بشكل جيد لانها دفنت في مناطق رطبة جداً (سبخة) قريبة من المستنقعات او ضفاف الانهار، ومن العوامل التي حافظت على هذه الجثث هو الرطوبة والظلام ووجود بعض الاحماض من الطين.

٢- وجود متاحف في بعض دول العالم خاصة بعرض أنواع الجثث القديمة والحديثة التي تم العثور عليها في مناطق مختلفة من العالم وان لبعض هذه الجثث حالة جسدية سليمة بشكل يثير الانتباه.

٣- يقول البروفيسور السوفيتي (كابريف) انه وجد في القطب الشمالي كائنات مثل الضفدع قد نامت عشرات الآلاف من السنين صحت فجأة ولكنها قاومت بعض الوقت ولم تتغلب على البيئة الجديدة فماتت مرة اخرى.

ثالث عشر: شواهد تاريخية.

١- عبدالله بن عبد المطلب والد رسول الله ﷺ .

وكان قبره واضحاً عند مسجد رسول الله ﷺ ، وله ضريح كبير، وبعد ان اقدم الوهاية على هدم قبور اهل البيت عليهم السلام سنة (١٣٤٤هـ) تم هدم قبر عبدالله بن عبد المطلب فظهرت جثته الطاهرة سالمة لم تتفسخ فكان ذلك ضربة قاسية للوهاية الذين يزعمون ان الموت عدم وان الميت كالتراب، فنقلوا جثته بدون ضرر إلى مقبرة البقيع كما هو اليوم.

٢- حذيفة بن اليمان وعبدالله بن جابر الانصاري (رض)

حذيفة صاحب رسول الله ﷺ ، وكان يعرف اسماء المنافقين الذين حاولوا قتل رسول الله ﷺ ، توفي في (٢٨ محرم سنة ٣٦هـ) ودفن عند نهر دجلة قرب بغداد، ومع مرور السنين أدى ازدياد مستوى الماء في نهر دجلة إلى تهديد القبر، فنقلت جثته في زمن أول رئيس لوزراء العراق بعد الانتداب البريطاني، وشاهد الجثة الكثير من الناس حتى ان كفنه كان سالماً، وهي من الحوادث المشهورة والموثقة في تاريخ العراق، واخرجت ايضا جثة الصحابي عبدالله بن جابر الانصاري وتم الدفن الجديد بجانب قبر سلمان المحمدي الصحابي الكبير في المدائن ببغداد.

٣- الحر بن يزيد الرياحي.

أمر الشاه اسماعيل الصفوي لما ملك بغداد سنة (٩١٤هـ) بنيش قبر الحر الرياحي الذي استشهد مع الإمام الحسين عليه السلام في واقعة كربلاء، فأرؤه نائماً كهيئته يوم قتل ورأوا على رأسه عصابة مشدودا بها رأسه، فاراد الشاه ان يأخذ تلك العصابة لما نُقل له ان تلك العصابة كانت منديل للإمام الحسين عليه السلام ، فلما حلوا تلك العصابة جرى الدم من رأسه حتى امتلاء القبر منه، فلما شدوا عليه تلك العصابة انقطع الدم، وحدثت هذه الحادثة بعد (٨٥٠) سنة على استشهاد الحر.

٤- حبيب بن مظاهر الأسدي.

وهو صحابي جليل ادرك رسول الله ﷺ وكان مع امير المؤمنين عليه السلام ، وهو من شرطة الخميس، واستشهد مع الامام الحسين عليه السلام في كربلاء. وقد امر نادر شاه بنيش قبر حبيب وذلك لزيادة اطمئنان قلبه، ولما وصلوا إلى الجسد الطاهر شاهدوه

وهو صحيح البدن سالم الاعضاء لم يتغير منه شيء، فبكى نادر شاه بكاء شديداً وأمر ببناء القبر الطاهر.

٥ - الكليني.

وهو محمد بن يعقوب الكليني صاحب كتاب الكافي توفي سنة (٣٢٩ هـ) ودفن في بغداد، وكان احد حكام بغداد يرى زحام الناس على زيارة الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، فقرر بنيش قبره الشريف لكن احد وزراءه حذره من عواقب هذا العمل الذي يثير الشيعة عليه، وأشار عليه بنيش قبر أحد علماء الشيعة للتأكد من صحة بقاء الاجساد كاملة بعد الموت، فنيش قبر العالم الجليل الكليني فشهدوا جسده سالمًا طرياً، وكان بجانب جسده بنت صغيرة هي الأخرى كانت سالمة، وذكرت هذه القصة في كتاب (لؤلؤة البحرين) للسيد هاشم البحراني وكتاب (هدية الأحياء).

وهناك عدة شواهد أخرى يصل عددها إلى المئات لم نذكرها مخافة التطويل نقلت اخبارها في كتب متنوعة، فقد ذكر لنا التاريخ الديني والعلمي مئات من الحوادث والامثلة والمشاهدات على جثث تم اكتشافها او نبشها بعد فترة طويلة من موت أصحابها ولا تزال تتمتع بتماسك مذهل لاجزاءها حتى بعد مرور مئات بل آلاف السنين.

نظرة حول حالات المادة

الكل يعرف ان هناك ثلاث حالات معروفة للمادة وهي:

١- الحالة الصلبة.

٢- الحالة السائلة.

٣- الحالة الغازية.

ولكي نفهم الحالة الرابعة يجب فهم الحالات الثلاثة ومعرفة التركيب الذري للمادة. تتكون المادة من تجمع للذرات، والذرات هي الوحدة الأساس في بناء المادة، وتتكون كل ذرة من نواة مركزية (موجبة الشحنة)، والكترونات (سالبة الشحنة) تدور حول النواة، ونواة الذرة بدورها تتكون من بروتونات (P) موجبة الشحنة، ونيوترونات (N) متعادلة الشحنة، وتختلف ذرات المواد باختلاف عدد (البروتونات النيوترونات الالكترونات) فيها، فلكل ذرة من ذرات المادة عدد معين من هذه الجسيمات.

وتتكون كل مادة في حالاتها الثلاث من تجمع للذرات، ففي الحالة الصلبة تكون الذرات متجاورة والمسافة بينها ثابتة وللمادة في الحالة الصلبة نظام هندسي ثابت، اما تجمع الذرات في الحالة السائلة فتكون المسافة بين ذراتها مستقرة ولهذا الذرات حرية الحركة، أما في الحالة الغازية فأن للذرات المكونة للمادة حركة سهلة وسريعة وتغير مواقعها في جميع الاتجاهات.

اذن الحالات الثلاث للمادة المعروفة تحددها المسافات الفاصلة بين الذرات وحركتها.

الحالة الرابعة للمادة (البلازما).

البلازما او الحالة الرابعة للمادة ليست تجمع للذرات بل هي عبارة عن تجمع جسيمات سالبة (الكترونات) واخرى موجبة (ايونات) ^(١)، فاذا اخذنا مادة وهي

(١) الايون: كل ذرة تفقد الكترونها أو جزء منها تصبح ايون موجب، أي تفقد صفة التعادل

في حالتها الغازية وسخناها بواسطة الكهرباء او ضوء الليزر فسوف تكتسب الكترولونات هذه الذرات طاقة مما يؤدي إلى تحرر هذه الالكترولونات تاركة النواة عارية لوحدها، فيتشكل فضاء (سالب) ناتج من تجمع هذه الالكترولونات الطليقة، وفضاء (موجب) ناتج من تجمع نوى الذرات، فتتنافر الاجزاء المتشابهة بصورة واضحة، وهذه حالة بنائية للمادة غير الحالات الثلاث تصبح المادة فيها مزيج من الشحنات الموجبة والسالبة، أي تفقد المادة تعادلها الكهربائي فتصبح المادة في حالتها الرابعة (البلازما) .

فالبلازما هي تجمع لدقائق الذرات وليس تجمع للذرات كما في الحالات الثلاث، فهي مادة في حالة (تأين) ، أي هي عبارة عن نوى ذرية عارية والالكترولونات حرة طليقة. وللبلازما عدة صفات، فهي موصل جيد للكهربائية ويمكن التحكم بها بواسطة المجال المغناطيسي، ويمكن إنتاج البلازما عن طريق رفع درجة الحرارة، ويمكن إنتاجها عن طريق شدة البرودة ايضا بواسطة الليزر من خلال امساك وتبريد الذرات المحايدة، اما الامر الذي قد يستغرب منه البعض فهو ان البلازما هي الحالة الاكثر شيوعا للمادة في الكون وتمثل (٩٩٪) من الكون المرئي وتشمل جميع النجوم والمجرات ومنها شمسنا، بل حتى كوكب المشتري الذي هو عبارة عن كتلة كبيرة من البلازما وكذلك البرق، اما استخدامات البلازما فهي كثيرة جداً وتدخل في كل مرافق العلم.

الحالة الخامسة للمادة.

في عام (١٩٠٠) ظهرت بوادر نظرية (ميكانيكا الكم) على يد العالم الالماني (ماكس بلانك) ، وهي نظرية تصف وتصيغ القوانين الخاصة بالعالم الداخلي للذرة (الكترولونات بروتونات نيوترونات.....) ، أو ما يعرف حالياً بالدقائق الذرية، ومن النتائج المذهلة لهذه النظرية هو ان العلماء اكتشفوا ان الضوء له حالتان في آن واحد فهو كجزيئة وموجة في الوقت نفسه، مما أدى إلى نتيجة حتمية هي ان كل شيء حتى الضوء والامواج لها صفة مادية، وان كل شيء في العالم الذري (غير مؤكد) ، بل ان كل شيء فيه يجري عليه الاحتمال، فظهر نتيجة هذا

الكهربائي وتصبح ايون موجب.

نظرة حول حالات المادة

الواقع قانون جدا مهم من قوانين فيزياء الكم وهو قانون (عدم اليقين) أو (اللاذقة) للعالم (شوريدنجر) والذي ينص على (انه لا يمكن قياس السرعة وزخم الالكترون في المدار نفسه بالذقة نفسها، فاذا كان هناك ذقة في قياس السرعة يكون هناك عدم ذقة في قياس الزخم والعكس صحيح) ، اما قوانين انشتاين في النظرية النسبية فهي تصف لنا قوانين المادة في حالاتها الكبيرة كالأجرام والكواكب والمجرات.

ان نظرية (ميكانيكا الكم) لماكس بلانك و (النظرية النسبية) لانشتاين تمثل الدعامتان الاساسيتان لعلم الفيزياء الحديث، ولكن الامر الذي قد يفاجيء البعض ان هاتين النظريتين لا تتفقان مع بعضهما، بل لا يجري قانون احدهما على الآخر، فقوانين (نظرية الكم) التي تضع لنا الإطار العام للمادة في حالتها الدقائقية والذرية لا تنطبق على المادة وهي في حالاتها الكبيرة، اما قوانين (النظرية النسبية) فتتطبق على الاجسام الكبيرة ولا تنطبق على مستوى الدقائق الذرية، وهكذا اصبح هناك عالمان العالم المشاهد لدينا والذي تحكمه قوانين انشتاين وقوانين نيوتن في الحركة العامة، والعالم الذري (غير المشاهد) الذي تحكمه قوانين فيزياء (الكم) وتُبنى قوانينه على عدم اليقين، فما كان من العلماء إلا انهم وضعوا مادة جديدة تقف على خط التماس بين هذين العالمين، مادة تعمل وفق ميكانيكا (الكم) كما انها تتطفل في عملها على قوانين العالم المشاهد، واطلقوا على هذه المادة (BEGS) ، واعتبروها الطور الخامس للمادة، ان فكرة هذه المادة كانت موجودة منذ عام (١٩٢٠) حينما فكر كل من العالمين انيشتاين والعالم الهندي (بوز) كل على حدة، في مادة يمكن ان توجد بين عالم الفيزياء المشاهد وعالم ميكانيكا الكم.

ويمكن الحصول على هذه المادة عند تبريد المادة بوسائل تبريد متطورة جداً وغاية في التعقيد إلى درجة تقترب من الصفر المطلق^(١)، ولنضرب مثلاً لتوضيح عملية التبريد هذه: تخيل انك تمكنت من تقليص نفسك حتى صرت بحجم الجزيء الذري حينها تستطيع بكل سهولة رؤية حركة الذرات، فعند تبريد هذه الذرات ستلاحظ حركتها وقلّة سرعتها تحت التبريد وتقارب هذه الذرات من بعضها، وكلما زاد التبريد زاد التقارب، ثم تبدأ الذرات بالاندماج مما يؤدي بالنتيجة إلى ان تختفي جميع الذرات

(١) الصفر المطلق: هي أقل درجة حرارة في الكون ولا يستطيع أي جزء من الكون أن يصل إلى درجة حرارة أقل من هذه الدرجة وفي هذه الدرجة تتوقف أشكال الحركة وتتوقف كل التفاعلات الفيزيائية والكيميائية.

ولا يبقى سوى كتلة ضخمة لا تتحرك، وهذه هي الحالة الخامسة للمادة، وهي أكثر أشكال المادة برودة في الكون وتمتاز باندماج جميع ذرات هذه المادة مهما اختلفت انواعها مع توقف للحركة وعندها يستحيل التمييز بين ذرتين في هذه الحالة لان كل الذرات لها السلوك نفسه، أي أن الاشياء من حولنا عند وصولها إلى هذه الدرجة تتحول إلى شيء موحد، وفي عام (١٩٩٥) تم تصنيع هذه المادة وذلك بتبريد غاز الصوديوم إلى درجة فوق الصفر المطلق بحيث تكون أكثر برودة من الفضاء بين النجوم، وفي هذه الدرجة المنخفضة من الحرارة اصبحت الذرات تتصرف كموجات أقرب منها إلى جزيئات، ومن أهم خصائص هذه المادة هي اننا إذا وضعنا مادتين من هذه الحالة للمادة مع بعضها فانهما لا يختلطان كالغاز العادي او يتصرفان كجزيئيين صلبين لكنهما يتداخلان كالامواج.

علم النانو.

وهو العلم الذي تجري فيه الأبحاث حالياً على قدم وساق، فتكنولوجيا النانو ستدخل في جميع مرافق العلم والحياة بما تحمله معها من آفاق كبيرة ستنقل تكنولوجيا القرن الواحد والعشرين إلى طابع أشبه بالسحر والمعجزات، فهذا العلم يحمل في طياته فك طلاسم المادة وفهم أوسع لخصائصها.

النانو: هي كلمة يونانية تعني قزم، والنانو هو وحدة قياس تعني واحد من ألف مليون جزء من المتر، وتستخدم هذه الوحدة للتعبير عن أقطار ومقاييس ذرات وجزيئات المواد والمركبات والخلايا، أي أن المتر الواحد يحتوي على مليار جزء من النانومتر، وللمقارنة فأن نانومتر واحد يعادل قياس صف مكون من (١٣) ذرة هيدروجين إذا تخيلنا انها وضعت متراسة بعضها بجوار بعض ومثل آخر فأن شعرة الإنسان العادية تساوي (٥٠٠٠٠٠) نانومتر.

وعلم النانو هو العلم المختص بإعادة هيكلة البنية الذرية للمادة، أي تخليق مواد جديدة تدعى المواد النانوية، والتلاعب بهذه البنية الذرية للمواد يؤدي إلى تغيير الخصائص لنفس المادة، وميزة هذا العلم هو ان الخصائص الاساسية للمادة كالتوصيل الحراري والكهربائي والصلابة ونقطة الانصهار وغيرها تعتمد على حجم المادة، لذلك كان التعامل مع المادة بأبعاد جديدة وصغيرة جداً يؤدي إلى ظهور

نظرة حول حالات المادة

خصائص جديدة للمادة، فمثلاً السلك العادي الذي يمر فيه التيار الكهربائي يخضع لكل قوانين الكهرباء (من مقاومة وجهد وتيار) ، لكن عندما يكون السلك من نفس المادة هذه بأبعاد نانوية فهذه القوانين لا تسري عليه، وهذا بدوره يؤدي إلى إمكانية إنتاج أجهزة بمواصفات وتكنولوجيا قد لا تخطر على بال احد، لاسيما ان إنتاج هكذا اسلاك بهذه الابعاد النانوية سيؤدي إلى نشوء ثورة حقيقية في مجال الطب والاجهزة الطبية بالذات، لأن اعصاب الإنسان وخلاياه ذات أبعاد نانوية، وبالتالي فأن إنتاج اجهزة بهذا المستوى من الصغر تساعد الإنسان على متابعة المرض والفايروسات ليس على مستوى النسيج العضوي فقط بل حتى على مستوى الخلايا المفردة.

اما اذا اضفنا التغيرات التي ستحصل في خصائص المادة من ناحية التركيب البلوري لها واللون وانعكاس الضوء وغيرها، فهذا سيؤدي إلى إعادة إنتاج المادة بتركيب بلوري جديد بمميزات جديدة، وهذا الموضوع إذا شرحناه بشكل كامل سوف نصل إلى نتيجة واحدة وهي إمكانية بناء أنواع لا تعد من اشكال المادة وبخصائص يمكن التحكم بها.

المادة النقيضة.

تعتقد الابحاث العلمية الدقيقة المستندة إلى واقع رياضي صارم في علم فيزياء الجسيمات الذرية (الكترن بروتون نيوترون) بوجود دقائق أخرى مقابلة لهذه الدقائق المكونة لذرات المادة تعاكسها في الشحنة وفي اتجاه الحركة، أي مقابل كل الكترن سالب الكترن نقيض موجب، وكذلك بروتون نقيض ونيوترون نقيض، وبما ان الذرة العادية مكونة من هذه الاجزاء فمنطقياً هناك ذرة نقيضة ناتجة من تجمع الدقائق النقيضة، وبالتالي فأن هناك مادة نقيضة ناتجة من تجمع الذرات النقيضة ومن ثم ارض نقيضة وسماء نقيضة وكون نقيض.

وهذه النظرية توفر لنا الاطار النظري لفهم مواضيع دينية وفلسفية متعددة مثل وجود اكون اخرى تعاكس كوننا بالاتجاه والشحنة، اي وجود عالم مثل عالمنا فيه نفس الاشياء ولكن بصوره نقيضة او مختلفة عن عالمنا، فيمكن ان نفهم وجود (القرين) الخاص بكل إنسان، او ان نفهم عالم الجان بصفته عالم نقيض لعالمنا،

ويمكن لهذه الفكرة ان توفر لنا مساحة لفهم عوالم أخرى مثل عالم البرزخ, او يوفر لنا فهم لحالة الموت نفسها وكيف تنتقل النفس من نظام مادي، الذي هو جسم الإنسان، إلى نظام نقيض له بالحركة والشحنة وله قوانينه الخاصة به وهكذا.

نظرية الفضاء الموازي.

قام بعض الفيزيائيين بتقديم نظرية (الاكوان) في الخمسينات من القرن العشرين لازالة التناقضات التي فتحتها فيزياء (الكم) في دنيا الفكر والمنطق، وهذه النظرية تسمى (نظرية الكون الموازي) ، فالكون الموازي لكوننا يحمل صفة مشابهة له وهو يتكون ايضا من الفضاء والزمن والمادة والمجرات والإنسان، بل يمكن القول بان هذين الكونيين والمواد الموجودة في هذين الكونيين تتبع قوانين فيزياء الكم، اي هناك عدة عوالم متداخلة وتشغل الفضاء نفسه، وتعتقد هذه النظرية ان الكون عالم ذو عدة ابعاد قد تصل إلى (١١) بعد، وهي متكورة على نفسها، فيكون هناك عدة عوالم متصلة ببعضها البعض وبعضها متداخلة ولكل عالم قوانينه الخاصة، بمعنى ان الحيز الواحد في عالمنا قد يكون مشغولاً باكثر من جسم ولكن من عوالم مختلفة. وهنا قد يقول البعض ماهي الحاجة إلى شرح حالات المادة وهذه النظريات في موضوعنا هذا؟

ان الفهم النظري لخصائص المادة يوفر لنا الاطار النظري المهم لفهم والتعامل مع مواضيع فكرية وعلمية حساسة جدا مثل (الروح النفس السحر الجان الموت البرزخ السموات السبع الأرضين السبع القربن.....) وغيرها، فهذا التصور وهذه النظريات تطرح لنا فكرة بل حقيقة لازال الاعم الاغلب ينكرها وهي (ان كل شيء دون الله مُركَّب, اي يتكون من اكثر من ماهية، وان المادة واحدة من هذه الماهيات المكونة للاشياء, فكل شيء هو صورة من صور المادة والطاقة، وكل شيء دون الله فهو مُركَّب من مادة وطاقة، وليس هناك شيء بسيط احادي مقابل الله عز وجل، فله وحده الوحدانية المطلقة، لذلك قالوا في الفلسفة ان الله (بسيط) ، اي بمعنى انه غير مُركَّب، فكل شيء دونه فهو مُركَّب وكل مُركَّب له خصيصة مادية، وهذا بدوره ينسف ثوابت فلسفية قديمة مثل العقيدة التي تؤمن بوجود كائنات (مجردة) ^(١)

(١) في الفلسفة يعرفون المجردات كونها مواضيع خالية من المادة واثارها ولا يجري عليها الزمان

نظرة حول حالات المادة

كالملائكة او العوالم العلوية، فنحن نعتقد ان الملائكة ليست كائنات مجردة بشكل صرف بل هي كائنات مُركّبة حالها حال بقية الكائنات ولها خصائص مادية، لكنها رقيقة جداً او ان جانبها المادي نوع من المادة لا نعرفه لحد الآن، ونطلب من اصحاب الافكار الفلسفية التي تؤمن بوجود المجردات ان يعطونا مثل واحد من الموجودات المحيطة بنا لا تمتلك صفة المادة، قد يقول البعض ان الافكار والاحلام والغضب والحب كلها اشياء غير مادية، في الحقيقة هذه انفعالات وليس لها علاقة بموضوعنا، كما ان هذه الانفعالات على فرض انها مجردات فهي ليس لها وجود إلا من خلال الإنسان الذي هو قوام مادي، فحتى المجردات لا توجد إلا من خلال المادة نفسها، فالمجردات لا يمكن أن توجد بشكل مجرد لوحدها، إنما من الممكن ان توجد من خلال ارتباطها بالمادة، وهذا التصور يؤيده قانون الثنائية (التركيب) الساري في كل أجزاء الكون، مثل تلازم الزمان والمكان والمادة والطاقة، حتى في اصغر الدقائق الذرية المعروفة حالياً لا يوجد جسيم مهما بلغ حجمه عبارة عن مادة صرفة او طاقة صرفة، بل هو مادة وطاقة أو مادة وموجة وهكذا.

قد يقول البعض ان القوانين بروحها تعتبر من المجردات على اعتبار أن البعض يؤمن بان الملائكة هم القانون نفسه او ان الفكر بحد ذاته قيمة مجردة، وهذا غير صحيح لانه لا يوجد قانون إلا من خلال موضوع يعمل عليه، ولا يوجد قانون لوحده مجرد او فكر مجرد لوحده، لان القوانين أوامر الهية، فلا بد من وجود موضوع لكي يعمل عليه القانون، فالقانون والموضوع الذي يعمل عليه ثنائية متلازمة ايضاً كتلازم (الزمان والمكان) و (المادة والطاقة) ، فلا يمكن تصور وجود جاذبية بلا كتلة، او مغناطيسية بلا مغناطيس، وفي الوقت نفسه حتى لا نقول بعدم وجود المجردات بحد ذاتها كالفكر والعواطف بل نقول ليس للمجردات وجود بحد ذاته بل هي موجودة من خلال وجود المادة نفسها.

فليس هناك عالم مادي يعمل لوحده وعالم روحي (ماورائي) يعمل لوحده، بل كلاهما موضوعان متلازمان لا ينفك احدهما عن الآخر، وهو ما يؤيده قانون الثنائية الساري في الكون كله، فحقيقتك في كل العوالم (الدنيا، البرزخ، الرجعة، الآخرة) هي حقيقة ثنائية (مادة طاقة) ، المادة بكل أشكالها وأنواعها وظهوراتها

والمكان.

(جسد، جسم، بدن، صلب، سائل، غاز، بلازما...) ، والطاقة بكل اشكالها وانواعها وظهوراتها (شعاع، حرارة، ضوء، كهرباء...) ، وفي أي عالم ستحل ستجد هذه الثنائية التي تمثل أحجار بناء الكون، فحتى أصغر دقائق المادة تتصرف بشكل مادي وموجي، وهذا بالضرورة يؤدي إلى كون كل ما هو طبيعي (مادي) يؤثر على ما هو روحي (موجي) ، والعكس صحيح، وان هذا التصور شائع عند جملة من علماء الفيزياء وحتى المدارس الفلسفية والدينية ولكننا مع الأسف نسيناه.

ان هذه الابحاث والتجارب والنظريات تؤكد بما لا يقبل الشك وجود صور اخرى للمادة غير مألوفة لدينا، فلا احد يجزم بانه عرف كل خصائص المادة، كما انها توضح امر قد يفزح البعض وهو ان الروح والنفس لها خصائص مادية، ومعرفة هذه الخصائص تؤدي إلى معرفة هذه العناوين، ومن يدري ربما هناك حالة سادسة وسابعة للمادة، فلا زلنا نجهل الكثير من خصائص هذه المادة المحيطة بنا، لاسيما بعد الآفاق التي فتحتها لنا علم النانو وهو العلم الذي يتم التلاعب فيه بالمادة على مستوى التركيب الذري.

ويمكن من خلال فهم نظرية الفضاء الموازي كون ان الفضاء الواحد قد يكون مشغول باكثر من موضوع، فلربما يكون عالم الجن وعالم الملائكة في حالة من حالات المادة الرابعة او الخامسة او غيرها، ويوفر لنا هذا الطرح تصور معين لحالة انفصال الروح والنفس عن الجسد باعتبارها صور مختلفة للمادة متداخلة مع بعضها، وبالتالي يكون لنا تصور فيزيائي عن حالة الموت وكذلك عملية إحياء الموتى، كما ان هذه النظريات توفر لنا فهم (لعالم البرزخ) كونه فضاء موازي لفضاءنا فيه كل المواصفات التي ذكرتها الاحاديث، فهو عالم متداخل مع عالمنا يتناسب مع صورة النفس فقط باعتبارها صورة رقيقة من صور المادة، فيمكن القول ان عالم المادة المنظورة (الحياة الدنيا) تنطبق عليها قوانين انشتاين ونظريته النسبية، اما عالم الاموات (البرزخ) الخاص بالنفس فتجري عليه قوانين فيزياء (الكم) .

ويمكن ان نقول ايضا من خلال هذا الفهم ان نضع تصور معين من خلال فهمنا للحركة والزمان والمكان عن حالة (انطواء الأرض) للصالحين، كما انها قد توفر لنا فهم معين لمسألة غيبة الإمام المهدي عليه السلام وطول عمره الشريف اذا ما اعترفنا بوجود سلوك معين للمادة عندما تقف على حافات عالمين مختلفين كما يحدث في

نظرية القوى الواعية.

وهي من النظريات التي ظهرت مؤخراً ومفادها ان القوى العاملة في الكون والمسيطرة على فعالياته كالجاذبية والمغناطيسية وغيرها هي قوى (واعية) وتمارس عملها ضمن قوانين خاصة بها تضبط من خلالها فعاليتها، وهذه ايضا تقودنا بالضرورة إلى فهم آخر لعدة مواضيع دينية وفلسفية وميتافيزيقية، فاستناداً إلى هذه النظرية يمكن التعامل مع هذه القوى (الواعية) اما عن طريق معرفة خصائصها او عن طريق اخضاعها لطاعة بعض الاشخاص الكاملين، فذات الإنسان الكامل اقوى من هذه القوى فتصبح طوع امره، وهذا ما ذكرناه في مقدمة هذا البحث في موضوع المعجزة، فهذه الموجودات تستجيب للولي كونها واعية وهذا ما يؤيده صريح القرآن الكريم كون السماء والأرض تتكلم وتبكي والجبال تُسبِّح والريح مأمورة بالأنقياد لبعض الأولياء وهذه فعاليات واعية كما ترى.

كما ان هذه النظرية توفر لنا فهم لمسألة النفس ايضاً، فالنفس كما قلنا لها طابع مادي واعى لان كل شيء دون الله فهو مادي، بل ان الكون ذو ظهورين (مادة طاقة) وكلاهما وجهان لعملة واحدة، فلا يمكن تخيل قوة الجاذبية بدون كتلة، ولا يمكن تصور النار بلا وقود مادي، ولا يمكن تخيل المغناطيسية بلا مادة، فالطاقة صورة من صور المادة، والمادة طاقة متكثفة، ولا توجد مادة بدون طاقة ولا طاقة بدون مادة فهما متلازمان كتلازم الزمان والمكان، وهذا ماتؤكد المعادلة الرياضية الشهيرة للنظرية النسبية للعلامة اينشتاين التي تنص على (ان الطاقة = الكتلة في مربع سرعة الضوء) ، فالنفس لها خصائص مادية ضعيفة فيغلب عليها طابع الطاقة، وهي استناداً إلى هذه النظرية قوة واعية من (مادة + طاقة) لها قوانينها، كما ان الإنسان بكيانه المادي يمثل كيان واعى فكان مدار الحساب والعقاب والموت والتكليف للنفس كونها تمثل هذا الوعي، أما عالم البرزخ فكما قلنا هو فضاء موازي لفضاءنا الذي نعيش فيه يتحد معه في المكان ويخالفه في الزمان أو كما تقول النظرية انه (زمان مكور على نفسه) ، وما عملية الموت إلا انتقال بين هذه الفضاءات (الانتقال من قوانين النسبية إلى قوانين الكم) ، وعليه تكون عملية

الرجوع من عالم الموت ليس أمراً غريباً أو نادراً، بل يجري هذا الأمر كلما توفرت مقدماته على يد كل من يعرف هذه القوانين الخاصة بكلا العالمين، فعليه تكون النفس ذات طابع مادي وطاقي لكن يغلب عليها طابع الطاقة، بل هي أقرب إلى الموجة، أما احداثي عالم البرزخ فهو كما قلنا ليس احداثي مستقبلي، بل هو موجود ومواز لفضائنا، وان عدم فهم هذا التصور كون هناك فضاءات اخرى موازية لفضائنا في المكان نفسه هو الذي جعل جملة من المفكرين ينكرون وجود هذا العالم، وفي هذا البحث لا نعتقد ان البرزخ هو الحاجز كما يقول أهل اللغة، بل هو حياة كاملة موازية لحياتنا^(١)، وهذا التفسير يوفر لنا فهم لعدة قصص وردت تصف فيها حالة الموت كون الإنسان يصبح عبارة عن اثنين، جثته ونفسه (هو) ، فهو يرى جثته هامدة ويرى الناس يبكون عليه لكنهم لا يرونه ولا يسمعونه، هذه حالة اتحاد بالمكان واختلاف بالزمان، لذلك ترى ان لسكان هذا العالم خصيصة وهي انهم يروننا ولا نراهم لاختلاف الكثافة بين العالمين، وهذه الحالة يمكن ان تحدث فيزيائياً في نوع من الزجاج يسمى الزجاج (الزئبقي)، فاذا كان لك بيت نوافذه مصنوعة من الزجاج الزئبقي ستجد ان من يكون داخل البيت (اضاءة قليلة)، يرى من هو خارج البيت (اضاءة عالية) ، والذي في الخارج لا يرى الذي في الداخل، وهذا يقودنا بالضرورة إلى ان عدم إمكانية رؤية هذه العوالم ليس ناتجاً من اختلاف الكثافة فقط بل ناتج عن اختلاف شدة الاضاءة ايضاً، وربما لهذا السبب تكون الكثير من اعمال السحر وتحضير الجان ليلاً، بالإضافة إلى السرعة الخاصة بحركة كل عالم، فهناك عدة عوامل مجتمعة تتحكم بالدخول والخروج والرؤية وغيرها من خصائص هذه العوالم وهي:

أولاً: كمية المادة ونوعها.

ثانياً: شكل الطاقة (كهربائية , مغناطيسية...).

ثالثاً: الحركة أو السرعة واتجاهها.

رابعاً: الاضاءة.

(١) أي ليس البرزخ حاجز كما هو الحال بالخط الفاصل بين الشمس والظل، بل هو عالم كامل وحياة كاملة تفصل بين حياتين وعالمين.

الفصل الخامس

القسم الثاني

الأدلة والقرائن المستوحاة من القرآن والأحاديث

الأدلة والقرائن المستوحاة من القرآن الكريم وأحاديث الرسول الكريم محمد وآل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين المتصلة بموضوع الرجعة، (القبور الاجداث النفس الروح الجسد الجسم البدن الموت القتل البرزخ الحشر البعث النفخ في الصور الخلق) .

هنا أمر لا بد أن نشير إليه لأهميته قبل الشروع في ذكر الأدلة والقرائن القرآنية، فعندما تندبر آيات والفاظ القرآن الكريم ونخرج بأستنتاج أو تعريف لهذه المفردات، فهذا ليس معناه أن هذه التعاريف والإستنتاجات هي كلام قطعي في هذه المواضيع، بل هي رؤيه فهمناها من خلال النظر في هذه الآيات والالفاظ وما فهمناه عنها من كلام المعصومين من آل محمد عليهم الصلاة والسلام، لاني اعتقد ان التفسير هو من اختصاص المعصوم عليه السلام وحده، فهم عدل القرآن الكريم، لذلك قالوا عليهم السلام في أكثر من مورد (لا يفهم القرآن إلا من خوطب به)، وقولهم عليهم السلام (وليس شيء أبعد عن عقول الرجال من تفسير القرآن) .

عن جابر قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن شيء من تفسير القرآن فأجابني، ثم سألته ثانية فأجابني بجواب آخر فقلت: جعلت فداك كنت أجبت في هذه المسألة بجواب غير هذا قبل اليوم. فقال لي (يا جابر ان للقرآن بطناً وللبطن بطن، وظهراً وللظهر ظهر، يا جابر وليس شيء أبعد من عقول الرجال من تفسير القرآن، ان الآية ليكون أولها في شيء وآخرها في شيء وهو كلام متصل ينصرف على وجوه) ^(١).

(١) يقول الشيخ احمد الاحسائي (اعلم ان التأويل في القرآن لا يجوز إلا ما أخذ عن أهله المخاطبين به، محمد وآله الطاهرين صلى الله عليه وعليهم أجمعين، لان القرآن على خلاف ما تعرفه الناس فان له ظاهراً وظاهرَ ظاهر وهكذا وباطن وباطن باطن، كذلك ليس لاحد ان يقول في القرآن إلا بدليل عنهم عليهم السلام وهو قسمان:

احدهما ما وصل إليه من النص من كتاب او سنة او ما علم من اللغة ويقتصر فيما وصل إليه على ما علم تناوله من معاني الكتاب غير حاصر لمعاني القرآن فيما علم فانه اذا دل دليل عنده على معنى

الأدلة والقرائن المستوحات من القرآن والأحاديث

أما نحن فنصينا هو الاكتشاف، ونقصد بالاكتشاف هو المعنى الذي نحصل عليه نتيجة التدبر في النص القرآني الذي فسره المعصومين عليهم السلام، وبالتالي فإن الاكتشاف هو النتيجة المنطقية للتدبر، فالقرآن وحده لا يكفي بدون إمام، لأنهما لا يفترقان، فالعامل بكلام الله بدون كلام الإمام نابذ له وراء ظهره ﴿فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمنا قليلا﴾^(١)، ومن تمسك بالقرآن ولم يتمسك بهم ﴿كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغة﴾^(٢).

فمثلاً عندما نحاول أن نجد تعريف أو تفرق بين (القبور والاحداث)، بين (الخلق والإنشاء)، بين (الروح والنفس) وغيرها، ففي كل الأحوال سنراجع الموارد القرآنية الخاصة بهذه اللفاظ، ثم نبحث في أحاديث آل محمد عليهم السلام والمفسرة والشارحة والموضحة لها، والمعنى الذي نخرج به هو مستوى معين من الفهم وليس المعنى الكلي الشامل لهذه المواضيع، فالأئمة عليهم السلام يتكلمون ولهم في كل لفظ سبعون وجهاً^(٣).

وفي كل الأحوال لا نستطيع أن نصل إلى كل هذه المعاني، بل نحوم حول معنى واحد فقط قد ينطبق على آيات معينة ولا ينطبق على أخرى، فما نقوله هنا هو مبلغ علمنا وغاية سعتنا، وإلا فإن الأمر أعظم وأخطر وقد قال الله عز وجل ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت

من معاني القرآن وقال هذا المعنى يدلّ عليه كذا وهو عنده انه دليل ذلك غير متكلف له لغرض له في ذلك ولا غير عالم بانه دليل ذلك المعنى فقد جاز له ذلك بشرط الا يحصره فيما علم فيقول ليس للآية معنى غير هذا واما اذا حصر فهو ممن يفسر القرآن برأيه، وقد روي عن أمير المؤمنين عليه السلام انه قال: (قال رسول الله صلى الله عليه وآله قال الله جل جلاله ما آمن بي من فسر برأيه كلامي، وما عرفني من شبهني بخليقي، وما على ديني من استعمل القياس في ديني)، وقد روى عنه صلى الله عليه وآله: (من فسر القرآن برأيه فليتبوء مقعده من النار) وامثال هذه كثير.

وثانيهما ان يكون الرجل المؤول للقرآن ان يعرف نوع الاعتقاد في توحيد الله تعالى وصفاته وما يصح ويمتنع عليه ونوع ما يصح به الاعتقاد في افعاله وفي أوامره ونواهيه وفي مراداته من عباده ونوع الحكمة والصنع والتكاليف ونوع حكمة اليجاد والقدر والبداء والمنزلة بين المنزلتين وما اشبه ذلك ويعرف النبوة لمحمد والإمامة لأهل البيت صلى الله عليه وآله ونبوة الانبياء ووصاية الاوصياء عليهم السلام واحوال التكليف والموت والبرزخ واحوال الآخرة ولو بالاطلاع على نوع المسئلة فاذا وصل الشخص إلى هذه الرتبة بالعلم البياني القطعي الضروري جاز له ذلك.....) جوامع الكلم / الاحسائي /

ج ٨ / جواب الملا حسين الكرمانى / ص ٢٩٠.

(١) ال عمران: ١٨٧

(٢) الرعد / ١٤.

(٣) عن أبي عبد الله عليه السلام انه قال (أني لأتكم على سبعين وجهاً لي في كلها تخريجة). مختصر البصائر

الأدلة والقرائن المستوحات من القرآن والأحاديث

كلمات الله^(١)، وقال امير المؤمنين الإمام علي عليه السلام في وصف القرآن (كتاب لا تُفنى عجائبه ولا تبيد غرائبه) ، وقالوا عليهم السلام (ان حديثنا ذكي) ، أي طري ابدأً متجدد دوماً، فنحن لا نحصر معاني القرآن وكلامهم عليهم السلام بما نفهم او بما يفهم غيرنا، لاننا لا نبلغ حقيقة معاني كلام القرآن والعترة بل يفيض علينا ما يشرح منهم عليهم السلام، وقد قال عز من قال ﴿وما اوتيتم من العلم إلا قليلاً﴾^(٢).

ونعود ونكرر العبارة التي ذكرناها في مقدمة هذا البحث وهي أننا عندما نناقش الأمور الكبيرة والحساسة في الكون والحياة (كالروح والنفس والعقل.....) ، عادةً ما نؤمن بأنصاف حقائق صحيحة وخاطئة في الوقت نفسه، لان كل الحقيقة لم ينكشف، وأن سعة المطلب في تناول هذه المواضيع يجعلني على أقل تقدير أدرك رغم انفي أن البحر عميق.

فالحديث عن العقل والروح والنفس لا يمكن ان يكون حديثاً فلسفياً صرفاً ولا علمياً صرفاً ولا كلامياً صرفاً، فكل هذه العلوم هي آليات للفهم تعطينا تصور محدود، والواضح ان إدراك حقيقة العقل والروح والنفس أمر قل الواصلون إليه وكثير المتحيرون فيه فهو أعقد مما نتصور وربما اسهل مما نتصور.

(١) لقمان / ٢٧.

(٢) الاسراء / ٨٥

القبور والاحداث

نبدأ هذه الفقرة بسؤال: هل الرجعة لها علاقة بالقبور أم بالأحداث؟

لم يذكر اصحاب المعاجم كلام مفيد وواضح حول هاتين المفردتين، فهم بالعادة يُعرّفون الحدث بأنه قبر فيما يُعرّفون القبر بأنه مكان وضع الميت، والمفردتان عندهم من المترادفات اللغوية، تتعدد صيغها ويتوحد معناها، فيما أعطى أصحاب بعض المعاجم معناً رمزياً لمفردة القبر، فالجهل هو قبر الكافر أو أن البدن هو قبر النفس وهكذا^(١).

وبصورة عامة لا يوجد تعريف محدد يُفرّق بين استخدام هاتين المفردتين (قبر وحدث) لدى أصحاب المعاجم، والغريب ما في الأمر أن بعض المعاجم ومنها (معجم المفردات / للراغب الأصفهاني) يُعرّف (الحدث بأنه جمعه أحداث)، ولا أدري ما فائدة هكذا تعريف في معجم مخصص (لمفردات القرآن الكريم فقط) ، وهذا التعريف تجده أيضاً في (الصحاح) وفي (المقاييس في اللغة) وبقية المعاجم^(٢)، وساضرب مثلاً للوصول إلى التفريق بين مفردتي الأحداث والقبور.

لو فرضنا أن هناك شخصاً اسمه أحمد، فمن خلال هذا الأسم نستطيع أن نحصل على معلومة، وهي أن هذا الشخص هو (ذكر) وليس (أنثى) ، لأن هذا الأسم (أحمد) مُتعارف وثابت بين الناس وفي الاستعمال انه لا ينطبق إلا على نوع (الذكور)، كما يمكننا ان نُحْمَن ان هذا الإنسان مسلم، كون هذا الأسم شائع بالاستخدام عند المسلمين، ولكننا لا نستطيع من خلال هذا الأسم فقط ان نعرف

(١) قال الراغب في المفردات: وقوله (إذا بعث ما في القبور) إشارة إلى حالة البعث، وقيل إشارة إلى حين كشف السرائر، فأن أحوال الإنسان ما دام في الدنيا مستورة كأنها (مقبورة) ، فيكون القبور على طريق الاستعارة، وقيل معناه إذا زالت الجهالة له بالموت فكان الكافر والجاهل مادام في الدنيا فهو مقبور، فإذا مات فقد أُشْر وأُجْرَج من قبره أي من جهالته، وذلك حسبما روي (الإنسان نائم فإذا مات أنتبه) ، وإلى هذا المعنى إشارة بقوله: (ما أنت بمسمع من في القبور) أي الذين هم في حكم الأموات.

(٢) يقول الشيخ الاحسائي في (جوامع الكلم ضمن الرسالة القطيفية): ماهية القبر محل سكنى الموتى، وأول منزل من منازل الآخرة، وأما في الظاهر فهو بيت الجسد وهو معروف، وأما في التأويل: فهو طبيعة الشخص وحياته وشهوته.

ان هذا ال (أحمد) كبير أم صغير، متزوج أم لا، جاهل أم متعلم، عاقل أم مجنون. وعليه فنحن بحاجة إلى مفردة أخرى أو كنية لهذا الأسم للحصول على معلومات أكثر أو خصوصيات أخرى.

فلو قال لنا قائل أن هذا الشخص المدعو أحمد كنيته بـ (أبو عبد الله) لعرفنا من خلال هذه الإضافة (الكنية) عدة معلومات، منها انه متزوج، وانه أيضاً بالغ وليس صغير، وانه عاقل وليس مجنون. وإذا قال لنا شخص آخر أن هذا الشخص هو طيب، فهذه المعلومة توفر لنا معرفة لخصائص أخرى لهذا الإنسان كون عمره فوق الثلاثين، وانه ذكي، وانه يجيد لغة أجنبية، وهكذا كلما أضيف لهذا الشخص عنوان معين نستطيع أن نستنتج صفات أكثر، فـ (أحمد) لا يمكن أن يكون (أبو عبد الله) إلا من خلال خصيصة الزواج، ولا يمكن أن يكون (طيب) إلا من خلال خصيصة العقل والذكاء والدراسة^(١)، اذن فهذا الشخص الذي أسمه أحمد هو نفسه أبو عبد الله وهو نفسه دكتور أحمد، ولكن ماهو الأصل لكل هذه العناوين، الأصل هو أحمد وبقية الصفات ناتجة من إضافة موضوع معين لـ (أحمد) ^(٢).

أذن لو نظرنا إلى المفردات التالية (قبر- جدث لحد رمس كفات) ، فما هو الأصل الجامع الذي تعود له كل هذه الألفاظ، الواضح أنه (القبر) ، فما هو الموضوع الذي إذا أضيف أو أخذ من القبر جعله يوصف بمفردة أخرى ناتجة من هذه الإضافة، أم أن الجدث موضوع خاص لوحده.

الواضح أن مفردة (الحد) تصف جزء من القبر لذلك عرفوه في المعاجم بأنه (جانب القبر) ، أما (الرمس) فهو عند أهل المعاجم (كتمان الخبر أو الدفن) ، والرمس هي الرياح الدوافن للآثار كما في القاموس المحيط، وعليه يكون (الرمس) هو القبر المختفية معالمه وليس له أثر، أما الكفات فهو (القبض والجمع اي تجمع الناس أحياءهم وأمواتهم كما في الراغب للمفردات) ، لذلك قال تعالى ﴿لَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ

(١) يقول العلامة عالم سببيل النيلي في كتابه الطور المهدي (ان تعدد أسماء الشيء الواحد انما هي صفات لتعدد مواصفات وخصائص ذلك الشيء) .

(٢) مفردة الماء تصف هذا السائل المعروف، لكنه عندما يجمد بفعل انخفاض الحرارة يتحول إلى مادة صلبة أسمها (ثلج) ، وبالتسخين يتحول إلى مادة غازية أسمها (بخار) ، وهكذا تلاحظ ان أسم الماء يتغير بتغير حالته نتيجة إضافة أو سلب موضوع الحرارة له.

القبور والالجات

كفاتا. أحياء وأمواتا^(١)، وكذلك قول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام عندما وصف القبور ووصف البيوت قال (هذه كفات الأحياء وهذه كفات الأموات)^(٢).

ولكن ما هو الفرق بين القبر والجدث؟ وما هي الخصيصة التي تُضاف أو تُسلب من القبر لكي يصبح جدثاً؟ أو ما هو الجزء المعين من القبر الذي يمكن أن نسميه جدثاً؟ أم الجدث موضوع مفرد لوحده؟ هذا ما سنحاول أن نفهمه من خلال موارد (الجدث) في القرآن الكريم وعلاقتها بالرجعة، فقد وردت مفردة (الأجداث) في القرآن الكريم في ثلاث موارد فقط كلها بصيغة الجمع وهي:

قال تعالى ﴿فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾^(٣).

قال تعالى ﴿خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر﴾^(٤).

قال تعالى ﴿يوم يخرجون من الأجداث سراغاً كأنهم إلى نصب يوفضون﴾^(٥).

المورد الأول:

قال تعالى ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون. أن كانت إلا صيحة واحدة فاذا هم جميع لدينا محضرون﴾^(٦).

هذه الآيات المباركة تصف حال صنف معين من الناس وهم الكافرون لأنهم يخرجون من الأجداث وهم يقولون ﴿ياويلنا﴾، أما المؤمنون فيخرجون فرحين مسرورين بما بشرهم الله به ﴿وهم من فزع يومئذ آمنون﴾، وان خروج هؤلاء الكفرة من أجداثهم مرتبط بـ (الصيحة)، والمعلوم ليس في الحشر النهائي صيحة، والآية تذكر ان هناك نفخ في الصور الذي هو من محتصات الرجعة والحشر النهائي، فتكون

(١) المرسلات/٢٥ ٢٦

(٢) عن علي بن إبراهيم قال: الكفات: المساكن، وقال: نظر أمير المؤمنين عليه السلام في رجوعه من صفين إلى المقابر فقال: (هذه كفات الأموات) أي مساكنهم، ثم نظر إلى بيوت الكوفة، فقال: (هذه كفات الأحياء)، ثم تلا قوله تعالى: (ألم نجعل الأرض كفاتاً. أحياء وأمواتاً). تفسير البرهان/ البحراني/ ج١/ ص ١٩٠.

(٣) يس/٥١

(٤) القمر/٧

(٥) المعارج/٤٣

(٦) يس/٥١ ٥٣

الآية واصفة لحال هؤلاء الراجعين ممن محض الكفر محضاً، لان الآية تتحدث عن حشر جزئي وليس كلي ونفخ جزئي وليس كلي (كما سنوضح لاحقاً) لذلك أرتبطت بالصيحة، أما قوله تعالى ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾، فمفردة ﴿جميع﴾ تخص هذه المجموعة التي تقول ﴿ياويلنا﴾، وهذا ما سنوضحه أكثر في الفقرة اللاحقة (فقرة النفخ في الصور)، والآية المباركة تشير الى معنى عام بقرينة قوله ﴿فإذا هم من الأجدات إلى ربهم ينسلون﴾، وقوله ﴿فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾، إلا انها توحى من طرف خفي بمعنى خاص كون الذين قالوا ﴿ياويلنا﴾ هم أشخاص معينين ومخصوصين لأرتباطهم (بالمراقد)، لذلك قال ﴿من بعثنا من مرقدنا﴾ ولم يقل (من بعثنا من قبورنا) .

ولفظة (المرقد) لها عدة معاني فقد تشير اللفظة الى معنى النوم، فالذي ينام يُقال عنه (رقد) والمكان الذي ينام فيه يسمى (مرقد)، فيكون للآية معنى عام، ويمكن ان نفهم من لفظة (المرقد) هو (القبر الذي عليه بناء ويُزار) ، فيكون للآية معنى خاص، وهو على نوعين مراقد لخيرة خلق الله ومراقد لشرار الناس، والنص أعلاه يحدد كونها مراقد لشرارهم بقرينة قولهم ﴿ياويلنا﴾ اذا كانت الآية على المعنى الخاص.

إذا شطر من الآية يحدد ان هناك مراقد دُفن فيها شخصيات مهمة، وهي مزارات معروفة ومعينة، يحسبهم الناس أختيار لكنهم أئمة في الشر، لذلك أفردهم الله عز وجل في هذا المورد عن الآخرين الذين سيخرجون من الأجدات كونهم في (مراقد) ، وأفرد لهم حشر خاص لانهم قيادات الذين كفروا، كما ان هناك بعث خاص لقيادات الذين آمنوا كما في عملية خروج الإمام الحسين عليه السلام كما ذكرنا في الأحاديث السابقة^(١)، وهؤلاء هم انفسهم الذين سيخرجهم الإمام المهدي عليه السلام من قبورهم (مراقدهم) بعد ان أفتتن بهم الناس لمئات السنين، وهم فلان وفلان فيعترفون

(١) كما أن آية (يس/٥٢) تؤكد وجود بعث خاص لقيادلت الذين كفروا، فهناك آيات تؤكد وجود بعث خاص لقيادات الذين آمنوا.

عن أبي عبد الله عليه السلام قوله عز وجل: (يوم ترجف الراجفة. تتبعتها الرادفة) (النازعات/٦-٧) قال: (الراجفة) الحسين بن علي (صلوات الله عليهما) ، و (الرادفة) علي بن ابي طالب عليه السلام ، وأول من ينفذ عن رأسه التراب الحسين بن علي عليه السلام في خمسة وسبعين ألف، وهو قوله تعالى: (أنا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد. يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم ولهم اللعنة ولهم سوء الدار) (المؤمن/٥١-٥٢)، تفسير البرهان/ البحراني/ ج٨/ ص ٢٠٥.

بذنوبهم كلها^(١).

وكما ذكرت ان هناك مراقد للصلحين ومراقد للكافرين, مراقد الكافرين تحتوي على (الأحداث) التي سيرجعون منها ومراقد الصالحين تحتوي على (أجسامهم) ، لأنها لا تتفكك (كما سنوضح لاحقاً في فقرة الموت والقتل) ، لذلك وصف الله سبحانه وتعالى أصحاب الكهف بقوله ﴿وتحسبهم ايقاظ وهم رقود﴾^(٢)، والرقود هنا حسب ما افهم ليس حالة عكسها اليقظة، لان النوم عكسه اليقظة لذلك قال ﴿تحسبهم ايقاظ﴾، أي ان المشاهد لهم يظن أنهم ايقاظ ولكنهم في الحقيقة (رقود) ، وهي حالة أشبه بالسبات، إذا لم تكن سبات فعلاً (والسبات هو عملية ابطاء لكل الفعاليات الحيوية للكائن إلى أدنى مستوياتها تجعله يحافظ على هيكلته البيولوجية لمدة طويلة وهي حالة شائعة عند الكائنات كما اوضحنا في فصل سابق) ، علماً ان القرآن الكريم نفسه عرّف النوم بأنه سبات، قوله تعالى ﴿وجعلنا نومكم سباتا﴾^(٣)، وقد وردت عدة احاديث تؤكد هذا المعنى.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (يُخرج القائم من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف، ويوشع بن نون وسلمان وأبا دجاجة الانصاري والمقداد ومالك الأشتر فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً)^(٤).

وظهر الكوفة كما هو معلوم مكان ضريح الإمام علي عليه السلام ، وهو مسجد ومرقد يُزار، فالمدكورين في هذا الحديث (رقود) في (ظهر الكوفة) ، وإن كانت الأدلة التاريخية تؤكد على دفن أغلبهم خارج الكوفة، لكن الحديث يتناسق مع أحداث الرجعة التي تؤكد أن أغلب الراجعين سيحشرون من الكوفة بالذات (وقد تكلمنا عن هذا الحديث في فقرة من هم الراجعون سابقاً) ، وهذا ما سنوضحه في فقرة كاملة لاحقاً وهي (فقرة مكان الرجعة) فتابع.

(١) راجع كتاب مختصر البصائر/عز الدين الحلي/تتمة ما تقدم من احاديث الرجعة/ح ٥١٢- ٥ / فيه القصة الكاملة لهذه الأحداث وهو حديث طويل لا يمكن إيرادها هنا.

(٢) الكهف/١٨

(٣) النبأ/٩

(٤) الارشاد / الشيخ المفيد/٣٨٦: ٢ كذلك الايقاظالهجعة/ الحر العاملي/باب ٩/ح ٢٧/ص ٢٥٨.

المورد الثاني:

قوله تعالى ﴿فتول عنهم يوم يدعُ الداعي إلى شيء نكر. خُشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداد كأنهم جرادٌ منتشر. مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾^(١)، والمورد أيضاً يصف حال الكافرين، فقد صرح عن هويتهم بقوله ﴿يقول الكافرون هذا يوم عسر﴾ و (الداع) هنا هو الإمام، عن علي بن إبراهيم قوله تعالى ﴿فتول عنهم يوم يدعُ الداعي إلى شيء نكر﴾، قال (الإمام إذا خرج يدعوهم إلى ما ينكرون)^(٢)، وواضح ان الإمام هنا هو المهدي عليه السلام، فتكون هذه الآية خاصة بخروج هؤلاء من الأجداد في يوم الرجعة.

المورد الثالث:

قوله تعالى ﴿يوم يخرجون من الأجداد سراعاً كأنهم إلى نصب يوفضون. خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام في قوله ﴿خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون﴾ قال (يعني يوم خروج القائم عليه السلام)^(٤)، وهؤلاء أيضاً من النمط السابق لانهم مذلولين لقوله تعالى ﴿ترهقهم ذلة﴾، كما ان خروجهم في يوم القائم عليه السلام فهو حشر أصغر وليس أكبر.

والأحاديث تؤكد وجود جزء صغير من جسم الإنسان لا يُبلى، وكذلك النتائج العلمية التي تم الحصول عليها من خلال علم الاستنساخ والتي تؤكد إمكانية نشوء جسد إنساني متكامل من خلال خلية واحدة.

عن الصادق عليه السلام (سئل عن الميت يُبلى في قبره فقال: نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خُلِقَ منها فأنها لا تُبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خُلِقَ أول مرة)^(٥).

ويمكن من خلال هذا المتبقي أو (الطينة) ، إعادة هذا الإنسان بمواصفات جسده

(١) القمر/٦ ٨

(٢) تفسير البرهان / للبحراني/ج٧ / ص٣٧٣ / ح١

(٣) المعارج/٤٣ ٤٤.

(٤) تفسير البرهان / للبحراني/ج٨/ ص١٢٥ / ح٢

(٥) فروع الكافي/ باب النوادر من كتاب الجنائز

القبور والاجداث

الاصلي نفسها (الصورة) ، بل (بوعيه) السابق (كما سنوضح في فقرة النفس لاحقاً) ، وبما أن القبر هو بمثابة الرحم لما يتمتع به من رطوبة وظلام فيمكن ان نقول: إن الجدت (هو الطينة او المادة الاصلية التي تكون منها الإنسان، وهي المتبقية بعد أن يموت ويتحلل الجسم الدموي اللحمي، وهي ليس من جنس هذا العالم لذلك كانت مادة عضية على التفكك ولا تتحلل بعوامل الطبيعة)، عن رسول الله ﷺ (ولكأني بهم يخرجون من جدث القبور) ^(١)، والحديث يجمع القبر والجدث في سياق واحد، وهو دال على اختلاف الموضوعين، فلو كان الجدت هو نفسه القبر لأصبح الكلام غير صحيح فهم يخرجون (من جدث القبور) ، أي أن الأجداث في القبور وهو الجزء الخالد من الإنسان الذي لا يتفكك بعوامل الطبيعة، أي أن لكل إنسان أجزاء (أصلية ذاتية) وأجزاء (عرضية إضافية) ، فالأصلي هو الجدت، وهو ليس من جنس مواد هذا العالم وهو الذي تسميه الأحاديث بالطينة، والإضافي هي المواد الطبيعية من جنس مادة هذا العالم التي تبني جسم الإنسان مثل (الدم واللحم والعظام والفضلات وغيرها) .

فالجدث ليس هو القبر وان كان الجدت يمكن ان يكون في القبر، فالقبر هو المكان الذي يوضع فيه الميت بكل اجزائه الدموية واللحمية اي الاجزاء العرضية، اما الجدت فهو اشبه بالحافظة التي توضع بها طينة الانسان الاصلية فهو اشبه بالرحم للمادة الاصلية لذلك قال (يخرجون من الاجداث) كما يخرج الجنين من بطن امه، اما لماذا كون هذه (الطينة او الجدت) مادة عضية على التفكك بعوامل الطبيعة، فسببه أنها أساساً ليست من جنس مادة هذا العالم، بل هي مادة الإنسان في العوالم السابقة لعالم (الدنيا) ، بل هي من عالم (الطينة) أو (عالم الذر)، فالإنسان كحقيقة وجودية كان موجوداً في عوالم سابقة لعالم الدنيا وهو عالم الملكوت، ثم جاء إلى عالمنا عالم الملك (عالم الكثافة وعالم الطبيعة) ، فهذه الطينة هي حصة الإنسان المادية في تلك العوالم، وهي حقيقته التي تأتي بها الملائكة وتمزجها مع النطفة في رحم الأم، وبهذا الشكل تنزل حقيقة الإنسان من عالم الملكوت إلى عالم الملك بواسطة الأضلاب والأرحام.

عن أبي عبد الله ﷺ قال (ان الله عز وجل خلق خلقاً خلاقين فإن أراد ان يخلق

(١) الكتاب المبين / محمد كريم خان / ج ٣ / ص ٣٨٢ / ح ١.

خلقاً امرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى﴾^(١)، فعجن النطفة بتلك التربة التي يُخلق منها بعد ان أسكنها الرحم أربعين ليلة، فإذا تمت له أربعة أشهر قالوا: يارب تخلق ماذا؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر أو أنثى، أبيض أو أسود، فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة)^(٢).

الحديث يحدد صراحةً ان نطفة الإنسان تُعجن (بالتربة) التي يأتي بها الملائكة، فإذا مات الإنسان تفكك جسده الدموي اللحمي لانه تكون من أغذية عالم الكثافة، ولا يبقى منه إلا ذلك الجزء (الأصلي) الذي جاء من عالم ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى﴾، فهذه (التربة) منها (خلقناكم) ثم بعد الموت (وفيها نعيدكم) وفي الحشر (ومنها نخرجكم تارةً أخرى) ، وبهذا يكون معنى الآية والحديث الموضح لها كما نفهم أن هذه التربة ليست هي التربة المعروفة لدينا من تراب هذا العالم، بل هي مخصوصة من تراب العالم السابق وهي حصّة الإنسان الوجودية التي لا تُفنى ولا تتفكك بل تنتقل من عالم إلى آخر، لذلك أفردّه النص القرآني بلفظة (الجدث) لكي يميزه عن مكونات الإنسان الأخرى^(٣)، وعليه يمكن ان نفرق بين الموضوعين ونقول:

القبر: هو مكان وضع الميت بكل أجزائه الأصلية والعرضية.

الجدث: هو المادة الأصلية فقط وهي ليست من جنس مواد هذا العالم، وهي (لا تُرى) لانها بصفاء ذلك العالم الذي جاءت منه، ولا يمكن رؤيتها بالعين المادية الكثيفة بل تُرى بالعين البرزخية الرقيقة.

فالذي لا يتحلل جسمه يبقى في القبر ومن تحلل جسمه فهو في الجداث، فيكونون

(١) طه / ٥٥

(٢) بحار الانوار العلامة المجلسي / ج٥٧ / ص ٣٣٧ / ح١٣.

(٣) ربما هذا الحديث يشير من جانب إلى بعض الأخبار الموجودة في نصوص الحضارات القديمة والتي تقول أن البذور الأولى للبشرية هبطت بها كائنات عاقلة ملكوتية من الفضاء وزرعتها في الأرض، وهذه الفكرة شاعت في جملة من روايات الخيال العلمي والأفلام السينمائية في العقود الأخيرة، والحديث يؤكد أن حقيقة الإنسان ليست الجسد الذي ينمو في الرحم، بل حقيقته هي من هذا التراب النازل من ذلك العالم العلوي بواسطة الملائكة، وهو في يوم من الأيام عائد إلى مبدأه فتكون بعض الافكار المتعلقة بالكائنات الفضائية لها ما يؤيدها.

أغلبهم في الأجدات وليسوا في القبور.

وبهذا يكون الحدث موضوع مفرد لوحده، قد يكون داخل القبر وقد يكون خارجه، ونقصد به انه قد يكون خارج القبر ان هذا الإنسان الميت قد تأكله الوحوش أو الأسماك أو تأكله النار أو تتقطع أوصاله أو ليس له قبر، ففي كل الأحوال تبقى هذه المادة (الحدث أو الطينة) في أي مكان وفي أي نظام طبيعي لا تتفكك، لان الإنسان الذي يُعاد في الرجعة أو الحشر هو من هذه المادة أينما كانت، لذلك قال الحديث (إلا طينته التي خُلِقَ منها، فأنها لا تُبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خُلِقَ أول مرة) ، وان عملية الخروج من الأجدات ما هي إلا إعادة تصنيع هذا الجسد كما في عملية نمو النطفة إلى جنين في رحم الأم، فالإنسان يصح أن يقال عنه أنه خرج من النطفة ويصح أن يقال أنه خرج من رحم أمه.

فتكون عملية خروجهم من الأجدات هي تحويل هذه (الطينة الحدث) إلى هيكل كامل، والذي يؤكد هذا المعنى هو مفردة (ينسلون) في قوله تعالى ﴿فإذا هم من الأجدات إلى ربهم ينسلون﴾، فإذا كان أصل المفردة (ينسلون) (بفتح الياء وبكسر السين كما في الرسم القرآني)، يقال (أنسلت الناقة وبرها إذا ألقته، ونسال الطير هو ما سقط منه) ، أما إذا كانت المفردة (ينسلون) (بفتح الياء وتشديد اللام) فهي الخلق أو الولد أو الذرية، وهي تفيد المعنى الذي ذهبنا إليه من أن تحويل المادة المتبقية (الطينة الأجدات) إلى أجساد هي عملية خلق، لأننا سنعرّف الخلق لاحقاً بأنه (تحويل المادة من شكل إلى آخر ذات هيئة وصورة وحياة) (١).

وكما تلاحظ لا توجد مفردة (حدث) أي اشتقاق في القرآن ولا في الاستعمال اللغوي، فمثلاً يمكن ان تقول (قبر مقبرة أقبه)، ولكن لا يمكن أن تقول (حدث محدثة اجدته) (٢).

(١) من الملاحظ ان لفظة الحدث ارتبطت مع حالة جماعية لوصف مجاميع الراجعين ولم تستخدم لوصف حالة فردية، وهو ما يؤكد الاستخدام القرآني للفظة كونها جاءت دائماً بصيغة الجمع (أجدات) ، وهذا أيضاً تجده واضح في الفعل (ينسلون) ، فقد ارتبط بوصف مجاميع وليس أفراد على خلاف الفعل (بعث) فقد يأتي لوصف حركة الأفراد والمجاميع، ومن هنا نفهم ارتباط الحدث مع (الانسلا)، لانها تصف فعل جماعي منظم يحدث في زمن واحد لان عملهما موحد. (٢) ربما يسأل البعض ويقول: إذا كانت لفظة الأجدات خاصة بالراجعين في يوم الرجعة، فهل سيحشر الناس في الحشر الأكبر من القبور؟ سيجد القارئ الكريم عدة أجوبة لهذا السؤال في طيات هذا البحث لها نفس المعنى وان تعددت

هنا قد يقول البعض أن هناك تعبير قرآني آخر وصف ما تبقى من رفات الميت وهي مفردة (رميم)، قوله تعالى ﴿وَضْرِبْ لَنَا مِثْلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ أَنْتَ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلْتَهُ كَالرَّمِيمِ﴾^(٢).

قال الراغب في المفردات: (الرم إصلاح الشيء والرمة تخص العظم البالي والرم الفتات من الخشب والتبن)، فالرميم مفردة أرتبطت بالعظام، وحسب ما نفهم من استعمال القرآن الكريم وتعريف أهل المعاجم هي مادة مرئية أشبه بالمسحوق لذلك قالوا ﴿مَنْ يَحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، لأنهم رأوا ذلك الرميم ولمسوه من خلال ملاحظة رميم الموتى، ولو كان الرميم لا يُرى لم تشبّه (الذاريات/٤٢) عمل الريح بتحويل كل شيء إلى رميم، فالجدث هو من ضمن ما تبقى من الرميم، وهذه (الطينة) لا يمكن تمييزها عن تراب القبر لأنها صغيرة ومختلطة مع التراب، بل لا تُرى لصفاءها، فالرميم ناتج من تحلل اللحم والعظام، أما الجذث فلا يتحلل لأنه المادة (الخالدة) ومنها سيعاد الإنسان مرة أخرى.

وعليه ليس مهم أن يكون للإنسان المشمول بالرجعة (قبر)، فالموضوع له علاقة بالأجدات حصراً، وسيعاد هذا الإنسان منه، سواءً كان المشمول بالرجعة أو الحشر النهائي تقطعت أوصاله أو أكلته الوحوش، أو له قبر أو ليس له قبر، فالأجدات مهما دخلت في الأنظمة الطبيعية، فلا تتحلل سواءً في بطون الوحوش أو في بطون الأسماك أو قيعان البحار أو في داخل الأرض، فتبقى كما هي (كما سنشرح في فقرة آلية الرجعة فإن هذه الأجدات، أو الطينة، ستنقلها الطبيعة إلى المكان المخصص الذي ستحشر منه، أقصد موضوع الملائكة النقالة، فتابع) (٣).

الصيغ والعبارات، وبأختصار ان هناك مجاميع وأمم لا تشملها الرجعة كما بينا في فصل أدلة الرجعة والآيات الخاصة بها، وهؤلاء يشملهم الحشر النهائي وسيخرجون من الأجدات أيضاً لان اجسامهم تحللت ولم يبقى منها إلا الطينة.

(١) يس/٧٨

(٢) الذاريات/٤٢

(٣) ورد في كتاب اخنوخ/ كتاب الأمثال/ المثل الثالث/ دينونة الأبرار بيد المختار. وكتاب اخنوخ هو الكتاب المنسوب إلى نبي الله أدريس ﷺ، وهو يصف في هذا المقطع عملية حشر الناس ليوم الدينونة بعد أن تفرقت أجزائهم وأكلتهم الوحوش أو أبتلعهم الأسماك.

يقول: (وبدأ المختارون يسكنون مع المختارين هي المكاييل التي أعطيت للأمانة وهي تُثيب البرّ- هذه المكاييل تكشف ما هو خفي في عمق الأرض أولئك الذين هلكوا فكانوا ضحية البرية أولئك

وان هذا التحليل يخدمنا في تفنيد شبهة (الأكل والمأكل) التي أثيرت حول موضوع المعاد والحشر النهائي للخلائق^(١).

النتيجة أن كل المؤمنين والكافرين والذين يُلهمي عنهم في الأجداث، لأن أجسادهم تحللت ولم يبقى منها إلا الطينة، ومنها يعادون في الرجعة أو في الحشر النهائي، أما المؤمنون فهم أيضاً في الأجداث، أما إذا لم تتحلل أجسادهم، وهذا ما يحصل في المراتب العالية للمؤمنين الذين تحفظ أجسادهم بعد الموت، فهم في (القبور) ، لذلك قال تعالى ﴿قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾^(٢)، ولم يقل (أصحاب الأجداث) .

الذين أبتلعتهم الوحوش المفترسة وأولئك الذين أبتلعهم سمك البحر هكذا يعودون ويثبتون في يوم المختار- فلا شيء يخفى أمام رب الأرواح لا شيء يمكن أن يختفي) .

(١) ملخص شبهة الأكل والمأكل هي انه إذا مات الإنسان وتحلل جسمه ودخل في أنظمة الطبيعة وعاد كل شيء إلى أصله، أو إذا أكلته الوحوش والسباع وصار السبع الذي أكله فريسة لسبع آخر، ثم استحال الجميع إلى تراب، ودخلت مكونات هذا التراب في تغذية النبات وتحولت إلى ثمار، وأكلت هذه الثمار من قبل الحيوان والإنسان، فكيف سيعود جسم هذا الإنسان الميت عند المعاد وقد تفرق في كل هذه الأنظمة الطبيعية والحياتية.

وهذه الشبهة واهية سببها عدم معرفة حقيقة الانسان واجزائه وان أصلها هو سؤال خاطئ وهو (هل يمكن إعادة المعدوم) ، وكما هو واضح فهم توهموا ان الإنسان بعد الموت يتحول إلى عدم، ولم يُعرّفوا عدم ولم يعطوا دليلاً على وجوده، فلا يمكن تحويل المادة إلى عدم (لأن المادة لا تفنى بل تتحول من شكل إلى آخر) ، وان عدم تعريفهم للعدم هو الذي جعلهم يكثر من مناقشة هذه الفكرة، واعتقد ان الموضوع واضح من خلال كلام آل محمد ﷺ من ان الإنسان بعد الموت يتفكك ولا يتحول إلى عدم، بل تتحلل عظامه ولحمه ويتبقى منه شيء صغير هو (الطينة) التي سيعاد منها مرة ثانية، وهذه الطينة كما سنوضح لاحقاً انها حاوية لكل صفات الإنسان البيولوجية وكل خلجاته وأعماله وذنوبه وحسناته، أي بكل وعيه.

يقول الشيخ الاحسائي في (رسالة في المعاد/رسالة في شبهة الأكل والمأكل) (فاعلم ان هذه الشبهة ضعيفة ذكرها بعض المتكلمين وتوهم فيها كثيراً وأصل ذلك الاشتباه عدم التفريق بين العوالم وأحوالها....) .

وعبارة الشيخ الاحسائي (انهم لم يفرقوا بين العوالم وأحوالها) دقيقة جداً، ولو اعتمدنا على كلام الشيخ الاحسائي كون هناك فوارق بين العوالم وأحوالها، يمكن القول ان لفظة القبر تصف مكان تواجد الميت في عالمناء، ولفظة حدث تصف مكان تواجد الميت في العالم الآخر، لذلك يصح ان تقول على أماكن تواجد الموتى (مقبرة) ، ولا يصح ان تقول عنها (مجدثة) ، لانها تصف حال عالم آخر.

يقول السيد كمال الحيدري في (المعاد/ج٢/ ص٢٦١) (إذن فالشبهة قائمة على أساس منهار لا ينهض بها) .

(٢) الممتحنة/١٣

عن الإمام علي عليه السلام قال (العجب كل العجب بين جمادي ورجب)، فقام رجل فقال: يا أمير المؤمنين ما هذا العجب الذي لا تزال تعجب منه؟ فقال عليه السلام: (ثكلتك أمك وأي عجب أعجب من أموات

وكذلك ورد في الزيارة الجامعة^(١) الخاصة بزيارة المعصومين من آل محمد ﷺ قولهم (وأجسادكم في الأجساد وأرواحكم في الأرواح وأنفسكم في النفوس وآثاركم في الآثار وقبوركم في القبور) ، ولم يقل أجدادكم في الأجداد، لان احوالهم ﷺ ليس كاحوالنا لأن أجسامهم لا تتحلل، ولا يمكن أن يكونوا في الأجداد، إذًا فالناس أغلبهم في الأجداد وليسوا في القبور.

وقد يقول البعض ماهو الفرق بين الخروج من الأجداد والخروج من القبور ؟

هو نفسه الفرق ما بين خروج الإنسان من النطفة وخروجه من الرحم، فعملية الخروج من الأجداد تمر بمراحل داخل القبر للإعداد كما تمر النطفة بمراحل داخل الرحم للإعداد، أما الخروج من القبور فهي عملية تجري دفعة واحدة بمرحلة واحدة، كما هي عملية خروج الإنسان من الرحم دفعة واحدة، فالإنسان يصح ان يُقال عنه انه خرج من النطفة على اعتبارها المادة الاصلية للتخليق، ويصح ان يُقال عنه انه خرج من الرحم بعد إتمام تكامل الجسم داخل رحم الأم، كذلك الإنسان في الرجعة والحشر النهائي فسيتم إعادة إنتاجه من الحدث باعتبارها المادة الأصلية للتخليق لذلك قال الحديث (حتى يُخلق منها كما خلق أول مرة)، ثم بعد تكاملها يتكون البدن ويخرج من الأرض والمعبر عنها بالقبور كما يصح ان يُعبر عن رحم الأم كونه قبر فهذه فعاليات متماثلة ومتتابعة^(٢)

يضرئون كل عدو لله ورسوله ولأهل بيته، وذلك تأويل هذه الآية (يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور) . (تفسير البرهان / للبحراني) .

كما هو واضح من الحديث ان الإمام علي ﷺ يصف عودة أموات من المؤمنين لأنهم يضرئون كل عدو لله ورسوله ﷺ ، لذلك أستشهد بهذه الآية (المتحنة/١٣) لانها تصف حال هؤلاء الذين يئس الكفار من خروجهم في الرجعة، لأنهم مكذبين بالرجعة، لذلك سماهم أصحاب القبور لان أصحاب القبور هم القيادات.

(١) وهي نص ورد عن الإمام علي النقي ﷺ خاص بزيارة الأئمة من آل محمد ﷺ ، وهي من أوثق الزيارات سنداً ومتمناً، ورويت في أغلب كتب الزيارات كمفاتيح الجنان للشيخ عباس القمي وضياء الصالحين للحاج محمد صالح الجوهرى وغيرها.

(٢) نحن عندما نأكل الثمار نأكل كل محتوياتها إلا البذور، وكذلك الأرض تأكل كل جسد الميت بعد الموت اللحم والعظم إلا الحدث، وكما ان البذرة تكمن فيها الشجرة ولا تتحول من بذرة إلى شجرة إلا بسقي بالماء، كذلك الإنسان في الرجعة وفي الحشر النهائي يكون كامن في الحدث ولا يتحول إلى إنسان كامل إلا بسقيه بالماء ﷻ وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون ﷻ (الأعراف/٧٥) .

(النفخ في الصور - البعث - الحشر)

من خلال الآيات القرآنية السابقة والأحاديث المباركة المرتبطة بها التي أوردناها في هذا البحث، أتضح لنا بالدليل القرآني وجود حشرين، (الحشر الأصغر) الذي أسماه المعصومين عليه السلام (يوم الرجعة) ، والثاني هو (الحشر الأكبر) المعروف عند كل المسلمين وأهل بقية الأديان بأنه (يوم القيامة) .

وعملية الحشر كما نفهمها هي (التجمع في مكان ضيق) ^(١)، لكن عملية الحشر تسبقها عمليات أخرى، فلا يمكن لهؤلاء المحشورين أن يُحشروا وهم لم يخرجوا أصلاً من القبور، ولا يمكن أن يخرجوا من قبورهم وليس هناك (نفخ في الصور) ، فالحشر عملية لاحقة بعد النفخ في الصور والخروج من القبور، فيكون تسلسل الفعاليات هكذا (١- النفخ في الصور ٢ الخروج من القبور (بعث) ٣ الحشر)، وبما ان هناك حشر أصغر وحشر أكبر كما هو واضح قرآنياً، فنكون غير مجانبين للصواب إذا قلنا أن هناك (بعث أصغر وبعث أكبر) ، وكذلك (نفخ أصغر ونفخ أكبر) ، وكل حسب وقته فيكون تسلسل الأحداث هكذا ^(٢).

١- نفخ أصغر

٢- بعث أصغر الرجعة

٣- حشر أصغر

٤- نفخ أكبر

(١) الحشر في اللغة هو أخراج الجماعة من مقرهم وأزعاجهم وسوقهم إلى الحرب ونحوها، أما في عُرف الشرع فهو أخراج الموتي من قبورهم وسوقهم للحساب، وقيل ان الحشر لا يقال إلا للجماعة.
(٢) يوم النثر: هو وقت نشر الأموات من القبور عند النفخ في الصور واتصال النفوس بالاجساد وخروجهم من القبور، وان عملية اتصال النفوس مع الأبدان توجي لي بان الفعاليات هكذا:
النشر: بمعنى (التجميع) أي إتحاد النفس مع الجسد.
الحشر: بمعنى (التجمع) .

يوم الحشر: هو وقت جمع الخلائق على صعيد واحد وهو بمعنى (التجمع) .
يوم القيامة: هو وقت قيامتهم بين يدي رب العالمين.
يوم الحساب: هو وقت مرور الخلائق على الصراط.

٥- بعث أكبر القيامة

٦- حشر أكبر

وقد أوضحنا مسألة الحشر الأصغر (الرجعة) والحشر الأكبر (القيامة) مفصلاً في فصل سابق وهو المتعلق بالأدلة القرآنية حول الرجعة فراجع ومختصره هو:

آية الحشر الأصغر قوله تعالى ﴿يَوْمَ نُحْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾^(١).

آية الحشر الأكبر قوله تعالى ﴿وَحْشِرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾^(٢).

فتكون القيامة أيضاً قيامتان، الأولى في الرجعة، والثانية هي القيامة الكبرى.

الموضوع الأول: (نفخ في الصور/أصغر) - (نفخ في الصور/أكبر)

أن مركب (النفخ في الصور) ورد في (١٠) موارد قرآنية، قسماً منها يخص يوم القيامة، وقسماً آخر يخص الرجعة.

أولاً: النفخ الأكبر

قوله تعالى ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات والأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾^(٣)، وكما هو واضح من خلال هذا المورد ان تأثير هذه النفخة على أهل السماوات والأرض، فهي بلا شك حدث أخروي يشمل كل أرجاء السماوات والأرض، أما أحداث الرجعة فهي أحداث أرضية، قوله تعالى ﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعاً﴾^(٤)، وهي نفخة تشمل الكل لقوله ﴿فجمعناهم جمعاً﴾، وهي مقابل قوله تعالى ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم احداً﴾ وسياق الآيات يدل على نفخ وحشر ليوم القيامة.

(١) النمل/٨٣

(٢) الكهف/٤٧

(٣) الزمر/٦٨ عن الامام علي بن الحسين السجاد عليه السلام: سئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: (ما شاء الله). تفسير البرهان / للبحراني.

(٤) الكهف/٦٩

ثانياً: النفخ الأصغر.

قوله تعالى ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون﴾. قالوا يا ويلنا من بعثنا من مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون^(١)، وكما ذكرت سابقاً ان هذا النفخ وهذا البعث وهذا الحشر الذي تتحدث عنه هذه الآيات المباركات هو في يوم الرجعة، فتكون هذه النفخة في هذه الآية هي نفخ أصغر لأرتباطها مع الحشر الأصغر، وقوله تعالى ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾^(٢)، وهذا المورد للنفخ في الصور مرتبط مع (الأفواج)، وذكرت الأحاديث أن الحشر الأصغر مرتبط بالأفواج لقوله تعالى ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾، ومفردة (الفوج) لوصف مجاميع صغيرة من ضمن الكتل البشرية الكبيرة فهذه الأفواج لها نفخة خاصة بها في الحشر الأصغر (الرجعة)، عن أبي عبد الله عليه السلام سئل عن الرجعة أحقّ هي قال: (نعم). وذكر الحديث، إلى ان قال: (فتأتون أفواجا) قوم بعد قوم^(٣).

الموضوع الثاني: البحث الأصغر - البحث الأكبر

أستخدمت لفظة (البعث) قرآنيّاً في موارد عديدة وبعده اشتقاقات وما يخصنا هنا موارد خروج الأموات للحشر والحساب، وقد استخدمت أيضاً لوصف حال الراجعين من الموت في الأمم السابقة قبل يوم القيامة وقبل يوم الرجعة كما في الموارد، قوله تعالى ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾^(٤)، (وهم أصحاب موسى عليه السلام)، وقوله تعالى ﴿فأماته الله مائة عام ثم بعثه﴾^(٥)، وهو العزيز كما تقول الأحاديث.

أولاً: البحث الأصغر.

قوله تعالى ﴿قالوا ياويلنا من بعثنا من مرقدنا﴾^(٦)، وهذا المورد ذكرناه سابقاً بأنه

(١) يس/٥١ ٥٢

(٢) النبأ/١٨

(٣) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/باب ٩/ح ٩٨/ص ٢٨٨

(٤) البقرة/٥٦

(٥) البقرة/٢٥٩

(٦) يس/٥٢

يتحدث عن نفخ أصغر وحشر أصغر فيكون البعث المرتبط به بعث أصغر كذلك.
ثانياً: البعث الأكبر.

قوله تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾^(٢) وكما تلاحظ ان هذا البعث جماعي لقوله ﴿يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعاً﴾، وهو يقابل الحشر الكلي في قوله تعالى ﴿وَحْشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾، فكلا الموردين للعموم وليس للخصوص.

الموضوع الثالث: الحشر الأكبر - الحشر الأصغر

وهذا ما أوضحناه في كلام في الفصول السابقة فراجع، آية الحشر الأصغر قوله ت الى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾، وآية الحشر الأكبر قوله تعالى ﴿وَحْشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نَغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَداً﴾.

(١) المجادلة/٦

(٢) المجادلة/١٨

تركيبة الإنسان

قبل البدء في الكلام عن (الموت القتل الروح النفس) لابد من الكلام أولاً عن تركيبة هذا الإنسان الذي تجري عليه كل هذه العناوين، فهذه المواضيع يجب ان تحدد ليكون لنا تصور عن كيفية إعادة الإنسان في الرجعة وفي يوم القيامة في الحشر النهائي، فلا يمكن التكلم عن الرجعة وليس لدينا تصور عن الروح والنفس والجسم وغيرها من المواضيع ذات الصلة.

ولموضوع تركيبة الإنسان أربعة تصورات.

١- أنه وحدة واحدة المعبر عنها بـ (الأنا) .

٢- أنه كائن ثنائي مكون من (نفس + جسم) أو (روح + جسم) .

٣- أنه كائن ثلاثي مُكوّن من (روح + نفس + جسم) .

٤- انه كائن سباعي (عقل روح نفس مادة طبائع مثال جسم) .

الإحتمال الأول: في الفلسفة يقولون أن الله جل وعلى (بسيط)، ويقصدون انه غير مُركّب فيكون (كل شيء دون الله فهو مُركّب) ، والمركب يستوجب وجود أكثر من ماهية متحدة مع بعضها ليصح عليه مفهوم التركيب، فنصل إلى نتيجة واضحة أن الإنسان شيء (مُركّب) فيسقط الأُحتمال الأول كونه وحدة واحدة بمعنى البسيط^(١).

(١) الله (الذات القديمة) غيب بت ومجهول بحت فهو لا يُعرف ولا يُعرّف، وان قمة معرفتك بذات الله هو ان لا تعرفه، لذلك قال الإمام علي عليه السلام (أنتهى المخلوق إلى مثله وألجأه الطلب إلى شكله الطريق مسدود والطلب مردود دليله آياته ووجوده أثباته) ، وقال عليه السلام (رجع من الوصف إلى الوصف ودام الملك في الملك وعمى القلب عن الفهم والفهم عن الإدراك والإدراك عن الإستنباط وهجم الفحص عن العجز والبيان عن الفقد والجهد عن اليأس) ، وقال الإمام السجاد عليه السلام (لم تجعل سبيلاً إلى معرفتك إلا بالعجز عن معرفتك) وقال الحكماء (العلم هو الجهل بالذات) ، فلا يمكن للعقل من إدراكه أو تعريفه (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) ، وان كل محاولة لمعرفة ذات الله محاولة عقيمة، لانه أمر فوق إدراك العقل الإنساني، وبما ان شرط العبادة هو المعرفة، وبما ان (الذات) مجهول ولا يمكن معرفته، لذلك اقتضت الحكمة ان يخلق الله خلقا يكونون محلاً لتجلياته واسمائه وصفاته، فتبقى المعرفة المأمورين بها هي معرفة الأسماء والصفات، لان

معرفة الله على نحو الإحاطة التامة والجزئية مستحيلة، بل اقتصرته معرفته بقدر السعة الوجودية لكل مخلوق وهي محدودة بمعرفة الاسماء، لذلك قال الحكماء (ان الله مجهول بالذات معروف بالصفات) ، فمن زعم ان الله يتجلى لعبده بذاته فقد ظل، أما قول أمير المؤمنين (يامن دل على ذاته بذاته) ، فهي الذات الظاهرة للخلق لا الذات البحت، فان الطريق إليها مسدود لان رتبة الذات غير رتبة الظهور، وعليه فان الله بالذات مجهول وبالأثار معلوم.

ولم يخلق الله خلقاً بسيطاً كما في الحديث عن الأئمة عليهم السلام (ان الله لم يخلق شيئاً فرداً واحداً قائماً بنفسه) ، فالموجودات مركبة لانها حادثة وكل مركب له حدود وجهات ووجوه، فلا يمكن ان يكون موجود خالي من هذه الصفات، فالموجودات بالجملة يجري عليها الزمان والمكان (فان كل ما يدركه الخلق فهو خلق) ، فالحادث مُحال ان يكون بسيطاً من جميع الجهات، لذا قال الحكماء (كل ممكن زوج تركيبى) لان كل شيء حادث في الوجود لا تظهر آثاره في الوجود إلا بتركيبه، فلا وحدة في الإمكان وان إطلاق الواحد على الممكنات أمر نسبي إضافي، وإلا فلا واحد إلا الله.

ولا اقصد بكلامي ان كل شيء دون الله هو مركب أو مادي، انه عبارة عن مادة (صرف) ، ولكن كل شيء دون الله مركب من أكثر من ماهية، أحدها المادة فكل شيء ماعدا الله حادث والمواد من الحوادث.

يقول السيد كاظم الرشتي (فان الشيء ليس إلا مادة وصورة، والصورة ليست إلا الحدود والعوارض والهيئات، وهي لا قوام لها إلا بالمادة، ولاشك ان المادة هي جهة الفاعل لعلوها وشرفها ووحدتها وبساطتها، والصورة هي جهة القابل لأختلافها وتكثرها وتضادها). جواهر الحكم/ج ٥/ص ١٤٥ .

أما أول ما خلق الله فهي المشيئة التي خلقها الله بنفسها، عن الصادق عليه السلام (خلق الله المشيئة بنفسها ثم خلق الأشياء بالمشيئة)، وقال الرضا عليه السلام (معناها واحد واسماؤها ثلاثة) ، وفي حديث (أول ما خلق الله المشيئة) وهذه المشيئة حادثة. ومعنى إحداثها بنفسها، أي لم تكن محدثة بمشيئة أخرى او بعلة فعلتها نفسها، ونظير ذلك انك إذا صليت الصلاة بالنية والنية احداثتها بنفسها لا بنية أخرى وإلا لزم الدور والتسلسل، وهذا محال فالمشيئة مادتها نفسها، إذ ان الله خلقها (لا من شيء) ، اي لا من مادة تسبقها، وإلا لكانت المادة قديمة، لذلك قال الصادق عليه السلام في وصف الذات المقدسة (كل ما ميزتموه بأوهامكم في أدق معانيه فهو مخلوق مثلكم مردود إليكم) . ولنعم ما قال الشيخ الاحسائي عن هذا الموضوع، يقول (ان هذا المسألة من أصعب المسائل التي ترد على الأفكار، ولولا كرامة العقل لضربت عنها صفحاً، لان الجواب الحقيقي يتعسر إدراكه، والإقناعي باطل في الحقيقة ويقول هذا كفاية، أي أكتفيت بهذه الإشارة لان البيان لا يزيد إلا غموضاً وتعمية) ، أنتهى كلامه.

وعليه إذا كان الله بسيطاً بالمعنى الذي يقصدون كونه غير مركب فكل ما دونه من المخلوقات هي مركبة، وليس هناك شيء بسيط في عالم الإمكان بمعنى عدم التركيب، وبالنتيجة فان كل مخلوق مركب وكل مركب حادث، والله وحده هو القديم، لذلك قال الإمام الرضا عليه السلام (كُنْه تفریق بینہ وبين خلقه) ، ولا يمكن الجمع بين الخالق والمخلوق في كل الأحوال لقول الصادق عليه السلام: (الجمع بلا تفریق زندقه) ، لان حقيقة الممكن (أي الوجود) هي الفقر والاحتياج، وحقيقة الواجب هي الغنى والاستقلال، فلا يمكن جمع الغني والفقير والمحتاج والمستقل والبسيط والمركب والخالق والمخلوق في صقع واحد، ومن هنا فلا نتبنى مقولة وحدة الوجود إذا كان القصد منها وحدة العابد والمعبود باجتماعهما في صقع واحد، فان أقصى ما يصل إليه العبد ان يكون تجلي للرب وليس متحداً معه (سبحان ربك رب العزة عما يصفون) ، أما إذا كان القصد من وحدة الوجود هو ان يكون الوجود بحد ذاته واحد، أي بمعنى انه بسيط، فهذا القول محال، لانه لا بسيط إلا الذات القديمة، وإذا استقل الوجود ببساطته اصبح هناك الهين، فالوجود بحد ذاته لا يكون بسيطاً، وإذا كان

قصدهم ان الوجود حادث وليس بسيط ولكنه بحد ذاته فيه وحدة، أي بمعنى كونه واحد اثتلافي في الخارج ومركب من الداخل، فهو الصحيح .

ويمكن الاستدلال على تركيب الأشياء وكل الحوادث من حديث الإمام الرضا عليه السلام بقوله: (ان الله لم يخلق فرداً قائماً بذاته للذي اراد من الدلالة عليه) ، فله سبحانه وتعالى في كل شيء آية تدل على انه واحد.

أما بعض الفلاسفة فقد استدلوا على معنى التجريد وبساطة الاشياء والحوادث من فهمهم لحديث الإمام علي عليه السلام انه سئل عن العوالم العلوية فقال (صور عارية عن المواد خالية من القوة والاستعداد) ، فلفظة (صور) وعبارة (عارية عن المواد) قادتهم إلى تبني فكرة وجود العالم المجرد المحض الخالي من المادة وآثارها، وهذا التأسيس غير صحيح لانه ثبت في الفلسفة والحكمة ان لكل شيء مادة وصورة، وفاتهم ان لكل عالم مادته المجانسة له، فعالم الروح مادته روحية وعالم النفس مادته نفسية وهكذا لبقية العوالم لتلازم موضوع المادة والصورة في كل العوالم وكل الاشياء، فقلوه عليه السلام (عارية عن المواد) يعني عن المواد الجسمانية الاوطى منها مرتبة، فالعالم العلوي عار عن المواد الجسمانية كما في عالما المادي والعالم العلوي لا ريب ان مادته من جنس عالمه، ومن هنا ترى جملة من هؤلاء الفلاسفة لإيمانهم بوجود المجردات المحضة الخالية من المادة قد انكروا المعاد الجسماني وقالوا بالمعاد الصوري، ظناً منهم ان العوالم العلوية والأخروية خالية من المادة، والحق ان فيها مادة من جنس عالمها لان الإنسان في الآخرة سيحشر ببدن مادي من جنس عالم الآخرة فيه مادة وصورة، فهؤلاء الفلاسفة يظنون ان المادة في عالم الدنيا فقط، وهو اشتباه واضح، لذلك أنكروا المعاد الجسماني.

وهذا بدوره يؤدي إلى إلغاء المقولة الفلسفية التي تؤمن بوجود كائنات (مجردة) كالملائكة التي يعتقدون أنها عوالم وكائنات خالية من المادة وآثارها ولا يجري عليها الزمان والمكان، فالملائكة عندنا كائنات مركبة وان كان تركيبها ضعيف لقلة المادة فيها فهم لا يعصون الله لعدم وجود التضاد فيهم، ولا يخرجون عن الاختيار لوجود شيء من المادة فيهم به يحصل الاختيار فلو كانوا محض نور لانعدم، وهكذا كل الكائنات مركبة لكنها تختلف من جهة نسبة مركباتها. فلا يمكن ان نتصور شيء دون الله ليس له هذه العناصر الأربعة (الزمان المكان المادة الطاقة) ، فكل شيء مادي مرتبط بالزمان والمكان فلا توجد مادة بشكل صرف ولا مجردات بشكل صرف، بل هما موضوعان متلازمان كتلازم الزمان والمكان وتلازم المادة والطاقة، والله هو من لا تجري عليه هذه العوارض، واننا هنا لا نقول ان المجردات بحد ذاتها غير موجودة كالأفكار والقيم، ولكن نقول لا وجود للمجردات بدون قوام مادي، فإذا كانت هناك فترة كان فيها الزمان مفصول عن المكان لصح وجود المجردات مفصولة عن المادة، لكن هذه الحالة غير موجودة لان الزمان والمكان وجدا سوية، لذلك ورد عن أحد الأئمة عليه السلام: (كان إذا لا كان فكون الزمان والمكان) ، لذلك نقول ان كل شيء دون الله له خصيصة مادية بنسبة معينة وبشكل من أشكال المادة، فقد أثبت العلم ان للضوء والأمواج خصائص مادية، بل أنهم يُعرّفون المادة بانها طاقة مكثفة، ويُعرّفون الطاقة بانها شكل من أشكال المادة، فالحرارة كونها عرض لو وجدت لوحدها مستقلة عن المادة لما صح ان نقول عنها عرض وهي في الحقيقة طاقة ذات طابع مادي رقيق، فهي في كل الأحوال لا تتواجد إلا بالتركيب. فاذا كان قصد العلماء من التجرد هو خلوه من المادة والمدة فهو خطأ واضح، لان كل شيء دون الله مركب تكون المادة أحد أجزائه. وان كنت أعتقد ان إطلاق لفظة (التجرد) عند بعض الحكماء والعلماء تعني (عالم العقول والأرواح والنفوس) ، وليس التجرد المطلق بخلوه من المادة والمدة، ولا يصح هذا التجرد بمعنى الإطلاق إلا على (الواجب) جل وعلى، حتى إن العلامة المجلسي في أول البحار حكم بكفر من قال بإثبات مجرد غير الله.

الإحتمال الثاني: كون الانسان ثنائي التركيب, وان كانت هناك قرينة تعزز هذا الاحتمال كون النظام الثنائي ساري المفعول في الكون ومتداخل في الأشياء فهناك (سالب موجب) (مادة طاقة) (انثى ذكر) وهكذا، لكن هذه التخريجة لا تثبت أصل الاحتمال لوجود عدة أنظمة حياتية وتكوينية في الكون مثل النظام (الثلاثي السباعي الأثنا عشري الثلاثيني) ، فليس النظام الثنائي هو النظام الوحيد، ناهيك عن أمر مهم وحاسم وهو أن النص القرآني والأحاديث تشير صراحةً إلى وجود (روح) و (نفس) لهذا الإنسان فيسقط هذا الاحتمال.

الإحتمال الثالث: كون الإنسان كائن ثلاثي مُركَّب من (روح + نفس + جسم) وهو التقسيم الشائع، وأصحاب هذا الرأي يتداخل عندهم موضوع (العقل والمادة والطباع) مع المفاهيم الثلاثة الأصلية فعندهم مثلاً الروح هي العقل وهكذا^(١).

الإحتمال الرابع: ان يكون للإنسان أكثر من ثلاث ماهيات بل هو على الأخص (سباعي) لوجود عدة قرائن تؤكد هذا الاحتمال, فقد ذكر أصحاب الفلسفة والحكميات ان للإنسان من مبدأه إلى غايته سبع مراتب وجودية، يستجنى أحداها داخل الآخر أستجنان النار في الخشب وأستجنان الطاقة في المادة وهي (العقل الروح النفس الطباع المادة المثل الجسم), ولعلمهم قد استشفوا هذا التقسيم من قول ابي عبد الله عليه السلام (لا يكون شيء في في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع, بمشيئة, وإرادة, وقدر, وقضاء, واذن, وكتاب, وأجل فمن

ولكن الغريب في الأمر ان بعض الفلاسفة يصفون الروح ايضاً كونها من المجردات وهي خالية من المادة واحكامها، ولكن في الوقت نفسه يقولون ان الروح لا تنعدم فيها آثار الحياة. ولنا هنا عدة أسئلة، أولاً: كيف يمكن ان نفهم وجود حياة في قوام لا مادي؟ ثانياً: ماذا نعني باللامادي وهل يوجد موضوع لا مادي فعلاً؟ فهم يقولون ان العوالم العلوية خالية من المادة وآثارها، ولا يجري عليها الزمان والمكان مثل الملائكة، فهل يعقل ان الملائكة تمتلك خصائص لا يمتلكها إلا الله؟ ثالثاً: لم يفسر لنا أصحاب هذه النظريات كيف تتفاعل المجردات مع الماديات، ولم يبينوا كيف تتحول الأشياء من الواقع المجرد إلى الواقع المادي وبالعكس حسب الحركة الجوهرية التي يتبنونها.

(١) يقول السيد كاظم الرشتي (الإنسان مثلث، أحد أضلاعه العقل، والثاني النفس، والثالث الجسد) أسرار العبادات / ص ٦٨ .

وكثيراً ما يُعبر عن الروح بأنها العقل عند أهل الفلسفة، ويسمون عالم الروح بعالم العقل، فيضعون العقل مقابل الروح، أو النفس مقابل الروح، وترتبط مع هذه العناوين عدة عناوين اخرى كالقلب والوعي والفكر، ومن الممكن ان يدور البحث على هذه العناوين الثلاثة (روح نفس جسم) وتعتبر العناوين الأخرى نتاج لعمل هذه المكونات الثلاثة أو من ملازماتها.

تركيبة الإنسان

زعم انه يقدر على نقض واحدة فقد كفر^(١)، والنظام السداسي في الكون نظام (بنائي) كما في خلق السماوات والأرض في ستة أيام، بينما النظام السباعي نظام (للأكتمال)، فلا بد ان يكون الإنسان سباعي لكي يكتمل^(٢).

أما التقسيم الفلسفي لسلسلة العوالم عند بعض الفلاسفة فيتبنى كون الإنسان سلك في رحلته الوجودية في ثلاثة عوالم كلية هي (عالم الجبروت الروح) و (عالم الملكوت النفس) و (عالم الملك الكثافة و الطبيعة)، وانه كلما مر بعالم من تلك العوالم لحقت به أعراض تلك العوالم، فأخذ من عالم الجبروت (العقل الروح)، ومن عالم الملكوت لحقت به آثار (النفس والطبائع والمادة والمثال)، وفي عالم الطبيعة لحقت به عوارض (الكثافة) أي الجسم، وبالنتيجة أستجن بعضها داخل الآخر، فالعقل داخل الروح وكلاهما داخل النفس والكل في الطبائع والكل في المادة والكل في المثال والكل في الجسم، ويمكن وضع مفاهيم مختصرة لهذه الأجزاء:

١- **العقل**: المنظومة القانونية التي تعمل بها الأشياء.

٢- **الروح**: الطاقة المشغلة، أو هي قوة الحياة الرابطة للأجزاء (ولها عدة أشكال كما سنشرح).

٣- **النفس**: ذات الإنسان (حقيقته) المعبر عنها ب (أنا)

٤- **الطبائع**: وهي الصفات الغالبة لعناصر التخليق الأربعة (الحرارة والبرودة واليبوسة والرطوبة).

٥- **المادة**: وهي عناصر التخليق الأربعة (نار هواء ماء تراب).

٦- **المثال**: وهو العالم البرزخي الذي تجتمع فيه الماهيات الخمس أعلاه مشكلة البدن البرزخي وهو زمن خلق آدم ﷺ وأول البشرية (وهو حالة وسطية بين لطافة الروح وكثافة الجسم، فهو روحاني من جهة لطافة الروح، وجسماني من جهة ان له صورة وحدود وأبعاد).

٧- **الجسد**: وهو الهيكل العضوي والآلة التي يتحرك بها الإنسان في عالم المادة

(١) الكافي/ الاصول/ باب ٤٧/ ح ٣٨٠

(٢) يوجد في النظام الطبيعي الكثير من الظواهر التي تشكل منظومة سباعية التركيب لعل أشهرها هو تحلل ضوء الشمس عند دخوله إلى الموشور إلى سبعة ألوان.

والذي تستجن في داخله كل الماهيات الست أعلاه، وهو حقيقة الإنسان الدنيوية المتكونة من نشأت الأرحام، وعند الموت يتحلل ويدخل الإنسان عالم المثال (البرزخ) بيدنه البرزخي الذي هو مستجن داخل هذا الجسم العضوي، وستتابع هذه المفاهيم في الشرح القادم ضمن ثلاثة عناوين كلية هي (الروح النفس الجسم) .

وعلى هذا الأساس فكل مرتبة من هذه المراتب السبعة لها وجهان، تدرك بالأعلى ما فوقها، وتدرك بالأسفل نفسها، فالعقل بوجهه الأعلى يدرك الفؤاد، وبوجهه الأسفل يدرك نفسه، والروح بوجهها الأعلى تدرك العقل، وبوجهها الأسفل تدرك نفسها، والنفس بوجهها الأعلى تدرك الروح، وبوجهها الأسفل تدرك نفسها، وهكذا لبقية المراتب، والجسم بوجهه الأعلى يدرك المثال، وبوجهه الأسفل يدرك نفسه، ونهايته إلى التراب.

يقول السيد كاظم الرشتي (ان كل شيء ممكن له ثلاثة وجوه، وجه إلى مبدئه، ووجه إلى نفسه، ووجه إلى غيره، فهو بهذا المفهوم ثلاثي من حيث جهاته، وبما ان كل شيء مُركَّب من (زوجين) لقوله تعالى (ومن كل شيء خلقنا زوجين) فهذه جهة التركيب، وبجمع الجهات مع الأجزاء يكون كل ممكن سباعي^(١)).

وحسب كلام السيد الرشتي يكون للإنسان ثلاث جهات (عقل وروح ونفس)، واربعة اجزاء (طبيعة ومادة ومثال وجسم) فالجموع سبعة، والكلام بمجمله ينطبق على (الحديث السابق) فيكون ترتيب الجهات والاجزاء هكذا.

مراتب الأمر	المراتب التكوينية	المراتب التدوينية
مشيئة	عقل	نقطة
إرادة	روح	ألف
قدر	نفس	حروف
قضاء	طبيعة	كلمة تامة
إمضاء (أذن)	مادة	البسمة
أجل	مثال	الحمد
كتاب	جسم	الكتاب

(١) جواهر الحكم / السيد الرشتي / ج ٣ / ص ٥٣.

الروح

قوله تعالى ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾^(١).

أعتبر جملة من الباحثين والمفسرين أن معرفة الروح أمر غير ممكن استناداً لهذه الآية المباركة، فيما يرى آخرون ان الآية تذهب إلى خلاف ما يظنون، لأنها عزّفت الروح بأنها ﴿من أمر ربي﴾، أي ان الروح هي جزء من الأمر الربوبي، وقد وردت لفظة الروح في القرآن بعدة اشتقاقات وعدة مركبات لغوية (روح الله) (روح بفتح الراء) (روح القدس) (روح منه) (الروح) (الروح الأمين) (الروح من أمره) (روحاً من أمرنا) (روحنا) (روحه) (روحي) .

وللروح في النصوص والاستخدام عدة أطلاقات، فمرة تُطلق ويُراد بها العقل، وهو الاستخدام الشائع عند الفلاسفة لأرتباط الروح عندهم بعالم الجبروت الذي هو عالم العقل أعلى العوالم في سلسلة العوالم الطولية^(٢)، فيما يرى بعض الفلاسفة الحكّامين ان الروح برزخ بين العقل والنفس فيجري عليها حكم الموضوعين، ومرة تُطلق ويُراد بها النفس وهو الاستخدام الشائع عند المتكلمين وفي الكثير من الأحاديث^(٣)، ومرة تُطلق ويُراد بها الملائكة وهو اطلاق في بعض المأثور الروائي، كما ورد في زيارة الحسين عليه السلام (السلام عليك وعلى الأرواح التي حلت بفنائك) ، وقد ذكرت المرويات ان هذه الأرواح هي آلاف من الملائكة حافين بقبر الإمام الحسين عليه السلام، ومرة تطلق ويُراد بها (الجان الصالحين) وهو الاستخدام الشائع عند أهل التسخير والروحانيات.

يقول السيد كاظم الرشتي (ثم ان المراد من الارواح ما وراء الجسم فيشمل جميع العوالم

(١) الاسراء/٨٥.

(٢) العوالم الكلية عند الفلاسفة ثلاثة، أعلاها عالم الجبروت، ويسمونه ايضاً عالم الأمر، ويرتبط به العقل والروح، ثم نزولاً عالم الملكوت، ويسمونه ايضاً عالم المثال، ويرتبط به ومقام النفس، ثم نزولاً العالم الثالث وهو عالم المادة، ويسمونه ايضاً عالم الملك أو عالم الطبيعة.

(٣) ان عدم التفريق بين معنى الروح والنفس هو من أكبر الثغرات في فلسفة مباحث المعاد، فهم في كل مناسبة يقولون ان الروح هي النفس والنفس هي الروح، والموضوعان عندهم يختلفان بالمادة اللغوية ويتحدان بالمعنى.

الغيبية من البرزخية والملكوية والجبروتية والرقائقية) (١).

وكلام السيد الرشتي على مجمله صحيح، ويمكن ان يحل لنا أشكالية إطلاق لفظ الروح على عدة مراتب وعدة عوالم، لانه مفهوم جاري في كل العوالم ما بعد عالم الجسم الكثيف، لذلك ورد عن مولانا امير المؤمنين عليه السلام (ان الله خلق الأرواح قبل الأبدان بالفي عام) ، فيكون لفظ الروح شامل لكل ما وراء عالم الأجسام (٢).

أما في هذا البحث فسنناقش موضوع الروح كونها (العنصر المشغل للكائن أو الموجودات المانح للحياة والرابط للاجزاء) ، أو هي القدرة كما نفهم من كلام المعصوم عليه السلام، عن أبي عبد الله عليه السلام قال تعالى ﴿ونفخت فيه من روحي﴾ قال عليه السلام (من قدرته) (٣)، فهي (القوة المانحة للحياة) ، والتي تجعل القلب ينبض على مدار الساعة، وتجعل الخلية تعمل بدون كلل، فكل مخلوق له روح لانها هي الحياة، فيكون معنى الروح إجمالاً حاوي لهذه المفاهيم الثلاثة (عنصر مشغل قوة مانحة للحياة رابطة للاجزاء القدرة)، فيكون بهذا المعنى كل شيء مانح للحياة وفيه قدرة يصح عليه إطلاق معنى الروح، (فالدماغ، والغذاء، والعلم، والدين، والروح، والعقل، والروح، والإيمان، والروح....) وستلاحظ ان الأحاديث التي سنذكرها تؤكد ان للروح عدة رتب وهي متغلغلة في كل شيء حسب هذه التعددية في الرتب (٤).

والروح موضوع مشترك لكل الموجودات، وهي متصلة بعالمها الأصلي أثناء وجودها في الإنسان أو بعد خروجها منه، وهي التي تُبقي الإنسان دائماً حياً وتمنح الكائنات صفة الحياة، ولا يقع عليها فعل الموت أو القتل أو الوفاة، وليس لها علاقة بالحساب

(١) السيد كاظم الرشتي/جواهر الحكم/ ج ٢ / ص ٦٧٩.

(٢) يقول السيد كاظم الرشتي (اما الروح فله اطلاقات: الأول: يطلق ويراد به العقل وهو الروح القدس، والثاني: يطلق ويراد به البرزخ بين العقل والنفس، الثالث: يطلق على النفس كما يقال خرجت روحه أي نفسه، والرابع: يطلق على الطبيعة الكلية وهو الروح على ملائكة الحجب، والخامس: يطلق على البخار المتصاعد من تجايف القلب اللحم الصنوبري، السادس: يطلق على باب المدد ووجه السرمد المادة العليا والحقيقة المنبسطة الكبرى الظاهرة بالنزول والصعود في جميع الأطوار...). جواهر الحكم / ج ١٢ / ص ١٤١.

(٣) بصائر الدرجات/ حسن الصفار.

(٤) عن أبي بصير قال سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله: (ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي) قال: التي في الدواب والناس. قلت: وما هي؟ قال: هي من الملكوت، من القدرة). بحار الانوار/ المجلسي/ ج ٥٨/ باب حقيقة النفس والروح/ ح ١٣.

والحديث بهذا المعنى يؤكد ان الروح هي العنصر المانح للحياة والمشغل للكائن الحي.

والثواب والعلم، فهذه الأشياء من اختصاص النفس^(١)، أي بما معناه أنه ليس هناك روح خاصة بـ (زيد) وأخرى بـ (عمر)، بل هي مثل الماء تسقي زيد وعمر وغيرهم، فهي كيان يشترك به جميع الخلق على خلاف النفس التي هي كيان (مستقل) لكل شخص، لذلك لا يجري فعل الموت على الروح لأنها موضوع مشترك لكل الخلائق وكل حسب استعداده، بل الموت يجري على النفس لأنها موضوع خاص لكل كائن^(٢)، قوله تعالى ﴿وجنات من أعناب وزرع ونخل صنوان وغير صنوان يُسقى بماء واحد﴾^(٣)، وهذا النص القرآني المبارك يرسم صورة لها مصداق على ما ذكرنا، فالمحاصيل الزراعية مختلفة الأنواع والأصناف ومتعددة الأشكال، لكنها كلها ﴿تُسقى بماء واحد﴾، فالروح مثل هذا الماء في الآية المباركة فهي تسقي الكل والنفس مثل تعدد المحاصيل والثمار، فإذا مات المخلوق عادت الروح إلى منشأها عود ممازجة لا عود مجاورة، كما تعود القطرة إلى ماء البحر.

واقصد بكلامي أنها تعود إلى منشأها ليس القصد منه أنها تنفصل كلياً عن الإنسان، بل اقصد أنها تخرج من الجسد مع بقية المكونات إلى عالم آخر تتجانس معه حسب مرتبته.

والروح موضوع ساري في كل العوالم الوجودية الثلاثة (عالم الجبروت وعالم الملكوت وعالم الطبيعة)، لأنها عنصر مشغل ومانح للحياة في كل العوالم، بل في كل الوجود، فلا قوام لاي عالم إلا بوجودها، وهي بهذا المعنى تقابل الرحمة الإلهية التي (ملأت أركان كل شيء) ﴿ورحمتي وسعت كل شيء﴾^(٤)، لان الرحمة أولاً منّة الإيجاد ثم التفضل بالاستمرارية، أما تعدد الأرواح، كما ورد في الأحاديث، فهو من باب التعدد الرتبي، فالماء واحد والأنهار متعددة، فهناك (نهر عذب) و (نهر مالح) و (نهر آسن)، وهكذا فالأنهار مختلفة بالتنوع لإضافة موضوع على الماء، لكن الأصل هو أن الماء واحد في كل هذه الأنهار.

(١) بإمكانك مراجعة النصوص القرآنية حول هذه المواضيع (الحساب والثواب والقتل والموت والتوفي والحركة والنوم والتكليف والبعث وغيرها)، ستجدها كلها مرتبطة بالنفس لا بالروح، ولا نريد هنا ان نذكر هذه الموارد مخافة التطويل لانها كثيرة.

(٢) ولا نقصد بالموت هنا الفناء او التحول إلى عدم، بل نقصد به الانتقال من حال إلى حال.

(٣) الرعد/٤.

(٤) الاعراف/١٥٦.

عن المفضل بن عمر قال (قلت لأبي عبد الله عليه السلام سألته عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مُرْحَى عليه ستره)، فقال عليه السلام (يامفضل أن الله تبارك وتعالى جعل للنبي ﷺ خمس أرواح: روح الحياة فيه دب ودرج، وروح القوة فيه نهض وجاهد، وروح الشهوة فيه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فيه أمر وعدل، وروح القدس فيه حمل النبوة، فإذا قبض النبي ﷺ انتقل روح القدس فصار في الإمام. وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتفعل وتسهو، وروح القدس ثابت يرى به ما في مشرق الأرض وغربها برها وبحرها) (١).

الحديث يؤكد أن هذه الأرواح مختلفة في الرتبة كما تختلف أنواع الماء، والماء واحد. وواضح أنه ليس كل إنسان فيه هذه الأرواح الخمس (كل هذه الرتب) بل لم تجتمع إلا لخاصة عباد الله.

ففي النبي خمس أرواح (روح القدس الإيمان القوة الشهوة الحياة) .

وفي المؤمن أربع (روح الإيمان القوة الشهوة الحياة) .

والكافر فيه ثلاث أرواح (روح الحياة روح القوة روح الشهوة) ، وكذلك الحيوان، فمن لم يكن مؤمناً فهو كما يقول الله تعالى ﴿أَن هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢)، لعدم وجود روح الإيمان فيه.

عن أمير المؤمنين عليه السلام (.... من حديث طويل..... فلما جحدوا ما عرفوا ابتلاههم الله بذلك، فسلبهم روح الإيمان، وأسكن أبدانهم ثلاث أرواح، روح القوة وروح الشهوة وروح البدن، ثم أضافهم إلى الأنعام فقال (ان هم إلا كالأنعام)، لان الدابة انما تحمل بروح القوة وتعتلف بروح الشهوة وتسير بروح البدن) (٣).

أما روح الإيمان فهي للمؤمنين خاصة، وروح القدس مرتبة خاصة جداً لا تحل إلا

(١) مختصر البصائر/عز الدين الحسن بن سليمان الحلي (٤/٤) احاديث متفرقة في علوم اهل البيت

وفي حديث اخر عن الصادق عليه السلام (ان الله عز وجل خلق الانبياء والائمة على خمسة ارواح....)

(٢) الفرقان/٤٤

(٣) تفسير البرهان/البحراني/ج/١ ص ٣٤٨ / ح ١ كذلك في الكافي / ج ٢ / ص ٢١٥ / ح ١٦

بصفوة عباد الله ممن لهم الحظ العالي من القرب والاصطفاء، لذلك وصف بأنه (لا يلهو ولا يلعب ولا يسهو ولا ينام) وان كانت بعض الأخبار تشير بأنها لم تحل إلا في محمد وآله عليهم السلام (١).

والحديث بهذا الشكل فيه أمران مهمان:

الأول: إن الأرواح الثلاث (روح القوة وروح الحياة وروح الشهوة) مرتبطة بجانب بايولوجي فلسفي حصراً، لارتباط كل نوع من هذه الأرواح بموضوع خاص بهذه المفاهيم، (فروح الحياة) مرتبطة بمفهوم (الحركة) لقوله (فيه دب ودرج) ، فيما أرتبط (روح القوة) بمفهوم (الهمة والعزم وحب البقاء) لقوله: (فيه نحض وجاهد) ، أما (روح الشهوة) فارتبط بمفهوم (الأكل والنكاح) لقوله (فيه أكل وشرب ونكح النساء) ، وكما تلاحظ فكل هذه الفعاليات ذات طبيعة بايولوجية متعلقة بفلسفة عمل ووظائف الاعضاء، ويشترك بها جميع الناس برهم وفاجرهم، وبذلك فهي تعطينا معنى كون هذا الإنسان يشترك مع بقية المخلوقات بهذه الصفات، لذلك قلنا أن الكافر ليس فيه روح الإيمان وروح القدس، بل الأرواح الثلاث أعلاه فقط، مما يجعله كموضوع مطابق لفعاليات الحيوان، لان الحيوان ايضا فيه هذه الأرواح الثلاث فقط التي هي العناصر المشغلة للاعضاء ووظائفها، وليس لها علاقة بالعلم والمعرفة.

الثاني: روح الإيمان وروح القدس مرتبطة بمواضيع أخرى ذات بُعد (معنوي أخلاقي معرفي) ، فروح الإيمان هي التي تحول هذا الإنسان من مخلوق بالمعنى البيولوجي إلى الإنسان بالمعنى الإنساني والأخلاقي والمعرفي، لذلك قال عنها (فيها أمر وعدل) وهي مفاهيم ليست بايولوجية، وروح الإيمان دالة متغيرة حسب استعداد العبد نفسه

(١) يقول السيد كاظم الرشتي (...فإذا كان الأنبياء خلقوا من شعاع نور طينتهم عليهم السلام) ، كان كل ما في الأنبياء شعاع وإشراق، ولاريب ان الشعاع على هيئة المنير وأسمه، فما يسد الأنبياء من إشراق ذلك النور يسمى روح القدس حقيقة بعد الحقيقة، وهكذا القول في الرعية مثل ما ورد في هشام بن الحكم وما ورد في حسان بن ثابت (انك مسدد بروح القدس مادمت ناصرنا) ، فالنور المسدد ونور العصمة يسمى روح القدس، إلا انه في الحقيقة الأصلية في محمد وآله عليهم الصلاة والسلام، وفي الحقيقة التبعية في الأنبياء وسائر الرعية، وهو قوله تعالى في عيسى ابن مريم (ايدناه بروح القدس) . جواهر الحكم / ج ١٢ / ص ٤٠.

وهذه الحقيقة تجدها ايضاً في نزول جبريل عليه السلام على الانبياء. يقول السيد كاظم الرشتي في شرح أحوال جبريل عليه السلام (وهو واحد يظهر لكه وينزل بحقيقته على محمد رسول الله صل الله عليه وآله وبعوض وجوهه على ساير الانبياء) . جواهر الحكم / ج ١٢ / ص ٨٥.

فهي تأتي وتروح حسب استعداد الشخص، والذي نفهمه من أجواء الأحاديث أنها بمراتب حسب مراتب الإيمان المتعددة^(١)، أما روح القدس فدلالاتها واضحة كونها لصفوة عباد الله، بل هي من مستلزمات (النبوة)، وظهرت بمعناها الأتم في النبي الخاتم وآل بيته صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

باختصار فإن الأرواح الثلاث (روح الحياة وروح القوة وروح الشهوة) مرتبطة بالمواضيع التالية (بايولوجي، إحيائي، كيميائي، فلسفي)، بينما أرتبطت (روح الإيمان وروح القدس) بمواضيع (الأخلاق، المعرفة، الإيمان، النبوة، الرسالة، الإمامة)^(٢).

والنبوة مرتبة معرفية كما أفهم، وهو خلاف الكلام الذي قلناه في بداية الفقرة كون الروح ليس لها علاقة بالعلم، لكن هذه المعرفة تتناسب مع خصوصية هذه الرتبة من الروح، وان هذه المعرفة لا تظهر في (النفوس) إلا بحلول روح الإيمان أو روح القدس، فهي لا تحل إلا في أشخاص محدودين ومميزين ومباركين، فالروح بالأصل ليس لها علاقة بالعلم والمعرفة، لكن هذين النوعين من الروح (الإيمان القدس) عامل حاسم ومُفعّل على توجيه النفس لهذه المواضيع الكبيرة، لان هذين النوعين من الروح هما وسيلة الإنسان للاتصال بالعالم العلوي^(٣).

(١) عن عبيد بن زرارة، قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أصلحك الله قول رسول الله ﷺ (إذا زنى الرجل خرج منه روح الإيمان يخرج كله أو يبقى بعضه، قال: لا يبقى فيه بعضه).

كما نفهم من الحديث ان روح الإيمان مراتب، فاذا تكامل في الإنسان حصل على مرتبة النبوة، وإذا قل حاز على مرتبة الإيمان، وهكذا، لذلك فالمؤمن إذا أرتكب الفاحشة قلت فيه نسبة روح الإيمان، ولكنها لا تخرج منه كلياً، لانه سريع التوبة أما إذا خرجت فهو كالانعام.

(٢) يقول السيد كاظم الرشتي (لما كانت الروح على ثلاثة أقسام روح حيواني مقره القلب اللحم الصنوبري، وروح نفساني مقره الدماغ وبه الادراك والحس، وروح طبيعي مقره الكبد وبه النمو والذبول) اسرار العبادات/ ص ٥٦.

كما ذكرت ان الروح هي مصدر الحياة وربما تقسيم السيد الرشتي لهذه المواضيع هو لشرح تعدد وظائف الأعضاء عند حلول الروح فيها، وربما هو لنفس السبب في تعدد الارواح في أحاديث الأئمة عليهم السلام، اي ان الروح الحيواني هو نفسه روح الحياة في الحديث الذي به دب ودرج ومقره القلب، والروح النفساني هو نفسه روح القوة في الحديث وبه نهض وجاهد ومقره الدماغ وبه الادراك والحس، والروح الطبيعي هو نفسه في الحديث روح الشهوة التي بها اكل وشرب واتى النساء ومقره الكبد وبه النمو والذبول.

(٣) لذلك تلاحظ ان الإنسان الكافر الذي هو كالانعام يمكن ان يميز الأشياء ويتعامل معها، بل حتى يمكن ان يصبح طبيباً أو مهندساً أو ان يتقن أي علم آخر لوجود عنصر النفس كونها ذات الإنسان وبها يتعلق العقل، إلا انه لا يمكن ان يرتقي إلى العلوم الخاصة كالنبوة والإمامة والإيمان إلا بروح الإيمان وروح القدس.

ولفظة (روح) لم تُجمع قرآنيّاً (أرواح) ربما للدلالة على انها بالأصل ماهية واحدة كالماء لا يُجمع، ولكن إذا تعددت أنواعه جُمع (مياه) كما نعتقد، أما في الاستخدام فهي تُجمع (أرواح) كما يُجمع النهر (أنهار) والماء واحد.

ويمكن النظر لبعض الموارد القرآنية المتعلقة بخلق الانسان (كنوع) قبل أن يُخلق آدم ﷺ، كما يقول الإمام الصادق ﷺ (ان قبل آدمكم ألف ألف آدم) ، وبما ان ادمننا نفخ الله فيه الروح، فالمستشف ان من كان قبله من نوع الإنسان فية الأرواح الثلاث (روح الحياة روح القوة روح الشهوة) وهذا ما يؤكد النص القرآني التالي، قوله تعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين. ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين. ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والابصار والافئدة قليلاً ما تشكرون﴾^(١)، والآيات تبين ان هذا الإنسان قبل نفخ الروح فيه كان يتناسل بواسطة (الماء المهين) لوجود الأداة (ثم) التي تدل على الترتيب، فهو في البداية حُلِق من طين ثم بدأ بالتناسل ثم جرت عليه عملية التسوية، وبعدها تم نفخ روح خاصة فيه (روحه)، فلولا وجود الأرواح الثلاث (الحياة والقوة والشهوة) فيه لم يستطيع التناسل، ولكن ما ميزه ونقله إلى رتبة أعلى أستحق بها الاصطفاء هي (روح الايمان) ، وهذه لم تُنفخ فيه إلا بعد (التسوية) ، فتكون عملية التسوية هي التي جعلت هذا الكائن الطيني مؤهل لاستقبال (روح الإيمان روحه) ، واعتقد أن هذا المخلوق سُمي آدم بعد نفخ روح الإيمان به، وبالنتيجة فأن الأوادم (كجنس) الذين قبل آدم (المسمى) الذي سجدت له الملائكة كلهم متشابهون، لان فيهم الأرواح الثلاث (الحياة القوة الشهوة) ، وأنفرد عنهم آدم بروح الإيمان، لذلك فهو أول الأوادم الذي (عرف الله) ، وإلا فان قبله عدة أوادم مشابهون له بالتركيب البيولوجي، إلا انه أنفرد عنهم لحلول روح الإيمان به ومن هنا تم (الاصطفاء)^(٢)،

لذلك تجد ان لفظة (روحه) في القرآن الكريم اقترنت مع (الإنسان) فقط كما في مورد (السجدة) السابق، فيما اقترنت لفظة (روحي) مع البشر فقط كما في الموردين التاليين، قال تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة أني خالق بشراً من صلصال من

(١) السجدة/٩٧

(٢) ذكر العلامة عالم سببط النبيلي في كتابه (أصل الخلق) بما معناه ان الاصطفاء لا يمكن إلا من خلال مجموعة، أي أن آدم تم أصطفاه من خلال مجموعة من نفس جنسه.

حماء مسنون. فإذا سويتُهُ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴿١﴾، قال تعالى ﴿وإذ قال ربك للملائكة إني خالق بشراً من طين. فإذا سويتُهُ ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾ ﴿٢﴾، وهذا يدل على تمايز الموضوعين (الإنسان والبشر)، فالبشر هنا أرقى لارتباطه بـ (روحي) المنسوبة إليه، وهو المعنى بعملية السجود.

ومن خلال التأمل في هذه النصوص الثلاثة ان آيات (السجدة/ ٧ ٩) تتحدث عن روح الإيمان (روحه) التي بها (أمر وعدل)، وآيات (الحجر/ ٢٨ ٢٩) وآيات (ص ٧١ ٧٢) تتحدث عن روح القدس (روحي) التي بها (حمل أعباء النبوة)، لذلك فهي لا تحل إلا في صفوة عباد الله، ولو تابعت آيات (سورة الحجر) و (سورة ص) لوجدتها مرتبطة بموضوع (السجود) الذي هو محور الخلاف في عملية الخلق، فيما لم ترتبط آيات (السجدة) مع السجود لان موضوع السجود (للبشر) وليس (للإنسان).

والذي استشفه ان هذا المخلوق سُمِّي آدم بعد نفخ روح الإيمان به، وإلا فهو قبلها (مخلوق) إنسان يُشابهه أقرانه في كل شيء، فالمخلوقات التي لم تحل بها روح الإيمان هو الإنسان، أما الذي حلت به روح الإيمان فهو (آدم النبي الذي عرف الله وعرف الأسماء)، والذي حلت به روح القدس هو (البشر)، مع التأكيد على وجود فرق بين لفظي (بشر و بشرا)، لان عملية السجود (للبشرا) وليس (للبشر) والتي تؤكد نصوص قرآنية أخرى انه حُلِق من الماء ﴿وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً﴾ ﴿٣﴾.

أذن نعود إلى أصل الموضوع ونقول ان عملية (النفخ) هي إضافة رتبة معينة من

(١) الحجر/ ٢٨ ٢٩

(٢) ص/ ٧١ ٧٢

(٣) الفرقان/ ٥٤

عن ابن عباس قال: قوله عز وجل: (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً)، نزلت في النبي ﷺ وعلي ﷺ، زوج النبي ﷺ علياً ﷺ أبنته وهو ابن عمه، فكان له نسباً وصهراً). تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٥/ ص ٤٦٤ / ح ٣.

ومن طرق العامة: عن الثعلبي في تفسير قوله تعالى: (وهو الذي خلق من الماء بشراً فجعله نسباً وصهراً) بالاسناد يرفعه إلى ابن سيرين قال: أنزلت في النبي ﷺ وعلي ﷺ. البرهان/ البحراني/ ج ٥ / ص ٤٦٨ / ح ١١.

الروح إلى كائن (ذو نفس)، وعليه فإن النفس الإنسانية لا ترتقي إلى مستوى المعرفة إلا من خلال تعاملها مع هاذين النوعين من الأرواح (روح الإيمان روح القدس) ، كما ورد في الحديث عنه ﷺ (روح الإيمان به أمر وعدل) و (روح القدس فيه حمل النبوة)، وإلا فإن أصل العلم و الفكر هي للنفس التي عليها مدار الحساب والثواب والتكليف، أما ترقى النفس لهذه المستويات العليا فيتم بالتعامل المشترك مع الأنواع الخاصة من الروح^(١). وفي هذا التصور تأييد لكلام بعض الفلاسفة الحكميين كما قلنا كونهم يعتقدون ان الروح برزخ بين العقل والنفس.

عن ابان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله ﷺ (إن روح الإيمان واحدة خرجت من عند واحد وتفرق في أبدان شتى فعليه أئتلفت وبه تحابت وستخرج من شتى ويعود واحد ويرجع عند واحد)، والحديث الشريف فيه دلالة على ان الروح، بل كل مرتبة منها، هي عنصر يشترك فيه كل من دخل في هذه الرتبة، فروح الإيمان واحدة داخله بعدة أشخاص وتعود واحدة كما قال رسول الله ﷺ (المؤمن أخو المؤمن) ، وهذا يؤكد ما قلناه ان الروح عنصر مشترك على خلاف النفس التي هي موضوع متعدد بتعدد الأوادم، وهنا يمكن ان نستشف معناً معيناً كون الروح قرانياً لم تستخدم إلا مع عملية الخلق والأمور العلوية، فيما أقتزنت النفس مع الأطوار النهائية، مما يؤكد أسبقية الروح وجوداً على النفس كماهية ووظيفة، وهذا ما تؤكدده جملة من النظريات الفلسفية بأسبقية عالم الروح على عالم النفوس.

ربما كلامنا السابق قد تناول وظيفة الروح، ولكن ماهي (ماهية) الروح؟

عن محمد بن مسلم قال: سألت أبا جعفر ﷺ عن قول الله عزّ وجلّ ﴿ونفخت﴾

(١) هنا قد يقول البعض: ان آدم عندما حلت به روح الإيمان اصبح نبياً بينما الحديث يؤكد صراحة ان روح القدس هي التي تحمل أعباء النبوة فكيف يكون آدم نبي بدون روح القدس. ان الحديث الخاص بهذه الأرواح الخمس فيه عبارة جداً مهمة ودقيقة نرجو الانتباه له وهي قوله ﷺ (ان الله تبارك وتعالى جعل للنبي ﷺ خمسة أرواح) ، فهي لم تجتمع إلا في رسول الله ﷺ وأهل بيته ﷺ كما ذكر الحديث، لذلك قلنا ان بعض النصوص مشعرة انها لم تحل إلا في الرسول محمد وآل البيت صلوات الله عليهم وكذلك النص القرآني الذي يؤكد ان عيسى ﷺ قد أيده الله بروح القدس، وهذا فرق واضح من بشر يؤيد بروح القدس وآخر (جعلت له أي تحل فيه) ، لذلك فأعباء النبوة التي حملها رسول الله ﷺ أستوجبت وجود روح القدس (لانه الخاتم) ، أما من كان دون هذه المرتبة من كل الأنبياء فهم أنبياء من خلال روح الإيمان لان روح الإيمان لها مراتب عند المؤمنين وأعلاها عند الأنبياء، والانبيااء والمؤمنين يؤيدون بروح القدس من باب انطباق الحقيقة بعد الحقيقة كونهم شعاع للنور.

فيه من روحي ﴿ كيف هذا النفخ فقال (أن الروح متحرك كريح وانما سمي روحاً لأنه أشتق اسمه من الريح وانما أخرجه على لفظ الريح لأن الروح مجانس للريح وانما أضافه إلى نفسه لأنه أضطفاه على سائر الأرواح كما أضطفى بيتاً من البيوت فقال: بيتي وقال لرسول من رُسله خليلي واشباه ذلك وكل ذلك مصنوع مُحدث مربوط مُدبر) ^(١)، ان الروح (كماهية) أقرب شيء إلى (الريح)، لاحظ قوله ﷺ (أن الروح مجانس للريح)، وعن الصادق ﷺ (ان الروح بمنزلة الريح في الزق إذا تَفَخَتْ فيه أمتلاً الزق) ^(٢)، لذلك ترى الإنسان إذا أنقطع عنه الهواء أنقطع نفسه وفارقتة الروح.

عن المفضل بن عمر عن أبي عبد الله ﷺ قال (.... إن الأرواح لا تمازج البدن ولا تواكله، وانما هي كلل للبدن محيطة به) ^(٣)، وفي هذا الحديث عبارة مهمه تحدد خصيصة من خصائص الروح وهي قوله ﷺ (هي كلل للبدن محيطة به) ، وهو ما تشير إليه الابحاث العلمية حالياً والتي تؤكد وجود غلاف غير مرئي يشع على هيئة موجات كهرومغناطيسيه ذات ألوان تحيط بالإنسان، واستطاعت أجهزة خاصة من رصدها وتصويرها، واتضح ان لها عدة مراكز على جسم الإنسان، وهذه (الهالة) لها علاقة وثيقة بالحالة البدنية والنفسية والفكرية للإنسان، وهي تتأثر سلباً او إيجابياً مع هذه العوامل، فهي بمثابة محطة إرسال واستقبال إذا جاز التعبير، وهناك حالياً جهود علمية حثيثة لدراسة هذه الظاهرة التي من المؤمل من خلالها معرفة الكثير عن تركيب الإنسان وخواصه ^(٤).

(١) بحار الانوار/باب حقيقة النفس والروح/ ج ٥٨. لاحظ قوله ﷺ (أن الروح متحرك) ، فالحركه تضيفي لهذا الموضوع الطابع المادي وهي ليس كما يقولون بأن الروح (مجرد) خالي من المادة وبالنتيجه لها وزن.

يقول السيد كاظم الرشتي (وأما ما ورد من انه هو الهواء، فالمراد بالهواء في استعمالات اهل البيت ﷺ في أمثال هذه المقامات الشيء الموجود الغايب من غير نوع الاجسام....). جواهر الحكم/

ج ١٤ / ص ٥٢٨

(٢) بحار الانوار/ج ٥٨

(٣) بحار الانوار / ج ٥٨ / باب حقيقة النفس والروح / ح ١١ / ص ٤٠

(٤) يمكن ان تجد مثال للحديث من خلال تامل شعلة النار الصادرة من احتراق الخشب فهي

محيطة بالخشب وكذلك الروح بالنسبة للإنسان فهي كلل محيطة به

يقول الشيخ كاظم الرشتي في كتابه (أسرار العبادات/ ص ٣١) (لأن الروح ليس بداخل البدن كدخول الشيء في الشيء، ولا خارج عنه كخروج شيء عن شيء)

وعلى الرغم من ان هذا البحث يتبنى كون الروح والنفس لها خصائص مادية، إلا أن حجم المادة المكونة لها قليلة جداً إذا ما قورنت بكثافة المادة الجسدية للإنسان، فالروح والنفس شيء محسوس وان كان غير ملموس كما تحس بحركة التراب عندما تحركه الريح، أو كما تحس بالحرارة الناتجة من أحتراق المادة ولا تلمسها، فالطاقة والمادة ثنائيان متلازمان، لذلك فالروح والنفس لرقة خصائصها المادية لا تتجانس ولا تعمل في عالم المادة (عالم الملك) إلا من خلال الجسد، أما في عالمها (عالم الملكوت) فهي مجانسة له تماماً لأنها من نفس مادته، فتكون في أقصى حالات عملها إذا كانت في عالمها الأصلي الذي جاءت منه، فالروح وان كان لها حصة مادية إلا اننا لحد الآن لا نعقلها مادياً.

وبالنتيجة لا نؤيد مقولة ان الروح والملائكة من عالم المجردات، لان هذه المواضيع لها خصائص مادية وبالتالي يجري عليها الزمان والمكان، بل في الحقيقية ان كل شيء واقع ضمن إطار الزمان والمكان، لان كل شيء له خصائص مادية قوية او ضعيفة، وسنبين في فقرة لاحقة أن الموت هو (قوة تفكك الأشياء ولا تفنيها) ، والموت هو القانون المقابل للحياة، فتكون الحياة هي (القوة الماسكة للأجزاء والتي تمنعها من التفكك) ، وبما أن الروح هي مصدر الحياة، فالأجزاء لا تعمل بطريقة كاملة إلا إذا أجمعت.

اذا الروح: هي قوة ذات مراتب متعددة مانحة للحياة (بل هي الحياة) ، يشترك بها الخلق، وهي ماسكة للأجزاء ومحيطة بها وهي متصلة بعالمها قبل وبعد الموت، وعند تفاعلها مع النفس بمراتب معينة تنتج المعرفة^(١).

ولا يمكن وضع تعريف شامل للروح والحياة لأنها ليست ظواهر يمكن مراقبتها كالوزن والسرعة والكثافة وغيرها، واعتقد انه من المجحف أن نتصور الكائنات عبارة عن ذرات متراكمة على بعضها بنسق معين ونحن نرى وجود الوعي في ايسر أنواع الكائنات، وان القول بأن الكائنات مجرد اصطفااف للذرات هو أشبه بمن يقول أن قصيدة الشعر هي مجرد كلمات مصفوفة، وكلنا ندرك أن للكلمات واقع

(١) فتكون عبارة (خرجت روحه) عبارة خاطئة، لان الإنسان عند الموت نفسه تخرج وروحه تنقطع، فالروح ليست مدفونة بداخلنا بل محيطة بنا ومخرقة لنا، وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام (كلل تحيط بالإنسان) .

وجداني على مشاعرنا لا يدركها إلا وعينا ومن هنا قال امير المؤمنين عليه السلام (الروح في الجسد كالمعنى في اللفظ) ، فالروح والحياة ظواهر شمولية لا يمكن حدها، ومن هنا نفهم لماذا كانت عملية (النفخ في الصور) سابقة لكل بعث وحشر في الرجعة أو في القيامة الكبرى، لان النفخ هو عملية عودة (الروح) للإجزاء التي تفككت بالموت، لان الروح هي الحياة الماسكة للإشياء.

وحسب هذا الفهم للروح والنفس يكون الإنسان والجان والملائكة والحيوانات والنباتات كلها ذات أرواح (لأنها كلها من مظاهر الحياة) حسب نوعها، لأن الروح هي المانحة للحياة، ويمكن تقسيم أنواع الأرواح على الكائنات كالتالي:

الإنسان الكامل: فيه روح (القوة الشهوة الحياة الإيمان روح القدس) .

الإنسان المؤمن: فيه روح (القوة الشهوة الحياة الإيمان)

الإنسان الكافر والحيوان: فيه روح (القوة الشهوة الحياة) وبعض المظاهر الحياتية قبل ادمننا.

الجان الكافر: فيه روح (القوة الشهوة الحياة) .

الجان المؤمن: فيه روح (القوة الشهوة الحياة الإيمان)

الملائكة (روح القوة روح الحياة روح الإيمان) وليس لها شهوة لأنها مجبولة على الطاعة، لذلك كان طعامهم التقديس والتسييح ولا يتناسلون لان هذه من فعاليات (روح الشهوة) المفقودة لديهم.

هنا يبرز لنا سؤال: هل للملائكة والجان والحيوان نفوس؟

بالنسبة للحيوان لو كان له نفس لكان لكل حيوان من جنسه كيان خاص به وأسم لكل فرد يميزه عن الآخر كالإنسان، فكل إنسان له نفس خاصة به وله أسم وصورة يميزه عن الآخرين، وهذا ما لا نجد في الحيوانات والنباتات فهي ذات شكل (صورة) واحدة وسلوك غريزي وحياتي ثابت لا يجيد عنه كل أفراد الصنف الواحد، فالحيوانات هيكلية بايولوجية ذات حياة تُدار بعقلها الغرائزي الجمعي، عكس الإنسان الذي له عدة طرق ومسالك في الحياة ولكل إنسان (صورة) خاصة به تميزه عن أفراد نوعه، فليس للحيوانات والنباتات نفوس مستقلة بل

لها روح تمنحها صفة الحياة، فهي خارجة عن التكليف بالمعنى الذي يُكلف به الإنسان، اي ليس لها شريعة كما هي الشرائع عند الإنسان، أما النص القرآني الذي يقول ﴿وان من شيء إلا يسبح بحمده﴾^(١) فهو لوجود صفة الحياة، ونقصد بعدم التكليف هو عدم وجود تشريع تتبعه كما في عالم الإنسان، والتسبيح هنا هو قابلية الإيجاد وسبب الاستمرار، وإلا لو لم تكن له قابلية فلا يوجد، ومنها ان الحيوانات منقادة إلى طبائعها وهذا الانقياد هو تكليفها وهي مقهورة به لذلك جرى عليها قانون (التسخير) فهي مكلفة من هذا الباب، قوله تعالى ﴿والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون. لتستوا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين﴾^(٢)، فهذه الكائنات تسخيرها هو تكليفها وتسبيحها هو قوام حياتها، فالتسبيح هو الانقياد وحاجتها إلى موجودها، لذلك ورد في الاحاديث أن الطيور لا تُصطاد إلا إذا انقطع تسبيحها، وبما ان موضوع التكليف من خصائص النفس، فعليه لا يوجد تكليف للحيوانات والنباتات بالمعنى الموجود لدى الانسان لعدم وجود نفس مستقلة لها، فهي مجبولة على غرائزها مقهورة بنظامها في النمو والتكاثر، أما ما ورد من أحاديث آل محمد عليهم السلام من أن ولايتهم عُرضت على كل شيء وبالتالي فأن لكل شيء نفس، فهذا التكليف ليس لمخلوق واحد من هذه الأنواع بل هو تكليف عام وشامل لكل نوع ولكل صنف على حدة، فمثلاً لا يُعرض التكليف على عالم الأبل لكل فرد بل للنوع كله لذلك فنحن نعتقد بوجود (نفس كلية واحدة) لكل صنف من هذه المخلوقات عُرضت عليها الولاية وهو الذي يسمونه (نفس الكل لذلك النوع) وهي التي يسميها الحديث (الحسية الحيوانية)^(٣)، فإذا قبلتها أصبح الصنف أو النوع كله موالي، وان رفضتها أصبح الصنف أو النوع كله مُنكر، والروايات الواردة عن اهل البيت عليهم السلام تشير الى وجود نفوس للحيوانات والنباتات ولكن ليس بالمعنى الموجود عند الانسان التي هي

(١) الاسراء/٤٤

(٢) الزخرف/١٢ ١٣

(٣) في حديث كميل بن زياد قال: (سألت مولانا امير المؤمنين عليه السلام قلت: اريد ان تعرفني نفسي. قال: يا كميل اي نفس تريد. قلت: يا مولاي وهل هي النفس واحدة. فقال: يا كميل انما هي اربعة: النامية النباتية. والحسية الحيوانية، والناطقة القدسية، والكلية الالهية....).

فكل انسان فيه طبيعة حيوانية ونباتية وكذلك الحيوان الا ان الحيوان ليس فيه الناطقة القدسية والكلية الالهية فهذه من مختصات الايمان العالي

عند الانسان محل التكليف والثواب والعقاب^(١).

والدليل على وجود نفس كلية واحدة لكل صنف هو ان شكل كل صنف ثابت لا يتغير ونقصد به شكل (صورة الوجه) ، خلاف الإنسان الذي لكل واحد صورته الخاصة فعرض الولاية على الجمادات والنباتات والحيوانات ليس لكونها صاحبة اختيار، كما قلنا انها مقهورة بطبيعتها، ولكن عرضت عليها الولاية لانها صاحبة (شعور) ، فكل شيء خلقه الله له حظ من الشعور، ولكل شيء موقع عبادي يترتب عليه ذكر عبادي فيكون عرض الولاية من هذا الباب سواء أمتلك اختيار أم لا^(٢).

(١) وهنا قد يرد سؤال وهو: إذا كان كل نوع من الأشياء او الحيوانات له موقف واحد ثابت من الولاية، فلماذا نجد هناك أختلافاً في الموقف عند صنف الخيول مثلاً كما حدث في واقعة الطف، فمنها من قاتل مع الحسين وبكى عليه بعد قتله وهو يصيح (الظليمة الظليمة) ، أما القسم الآخر فداس عليه بسنابكها.

أن سلوك الحيوانات تابع لقانون (التسخير) ، فهي كائنات يمكن ترويضها، فإذا روضت لأفعال الشر فعلت، وان روضت لأفعال الخير فعلت، وهذا لا ينافي كون صنف الخيل كله موالي لآل محمد ﷺ ، فهي كما قال رسول الله ﷺ (الخيل معقود بنواصيها الخير ليوم القيامة) ، ولكن هذا لا يمنع من وجود سلوك غير صحيح ناتج عن الغضب والكره.

وهنا ايضاً يبرز سؤال آخر وهو: انك قلت ان الموت والقتل مواضع تجري على النفس فقط ولا يجري على الروح، وبما ان صنف الحيوانات كما تعتقد ليس لها نفوس بل روح فقط، فبلنتيجة لا يجري عليها الموت لانه ليس لها نفس.

وهذا استنتاج صحيح جداً إلا انني ذكرت ان للنبات نفس نامية وللحيوان نفس حسية كما ذكر الحديث عن امير المؤمنين ﷺ ولكنها ليست كالنفس التي عند الانسان، ففعل الموت والقتل والذبح يقع على الحيوانات لكثافة مادة جسمها فتجري عليه العوارض كونه في عالم المادة ومنها الكبر والشيوخوخة والتحلل وبالتالي يصيبه الموت كقانون طبيعي يفكك الاجزاء، وبالنتيجة كما قلت المادة في المخلوق كلما طال عمره كما في الملائكة والجان لقلة كمية المادة المركب منها فهي كائنات ذات أعمار طويلة حتى أن البعض يصنف الملائكة من ضمن الخالدين.

سؤال آخر: ان هناك شواهد قرآنية حول تميز بعض الحيوانات بالكلام كالهدد والنملة ؟ ان كل هذه النماذج هي من باب قوله تعالى (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) ، فهذه الكائنات تكلمت مع الأنبياء كونهم لديهم الولاية التكوينية.

(٢) ورد في كثير من المرويات ان الإنسان مخلوق ذو عقل وشهوة، والحيوان مخلوق له شهوة وليس له عقل، والحديث التالي يؤكد ان الحيوانات ليس لها عقول وبالتالي ليس لها نفس تشخصه عن غيره من أفراد جنسه.

في حديث المفضل: (... وكذلك جميع الاصناف المسخرة للإنسان فبم كانت كذلك إلا بانها عدمت العقل والروية فانها لو كانت تعقل وتروي في الأمور كانت خليفة ان تلتوي على الإنسان في كثير من ماره حتى يمتنع الجمل على قياده والثور على صاحبه وتتفرق الغنم عن راعيها واشباه هذا من الامور.....) . وقال: (..... تفكر يا مفضل في الفطن التي جعلت في البهائم لمصلحتها بالطبع والخلقة لطفاً من الله عز وجل لهم لئلا يخلو من نعمه جل وعز أحد من خلقه لا بعقل وروية.....

أما عالم الجن فيسري عليه ما يسري على الإنسان بأعتبارهم قرآناً مكلفون بالشرعية، فهم لهم أرواح ونفوس بأستثناء أنهم لا يرتقون إلى مستوى يؤهلهم لأن يحل بهم (روح القدس) ، فهم أوطئ بكثير من الإنسان الكامل الذي ولايته شملت كل شيء، أما عالم الملائكة فله روح لأنه شكل من أشكال الحياة، إلا ان طابع الروح والعصمة الغالب عليه، فهو مجبول على الطاعة فليس له (روح الشهوة) ، أما بالنسبة للنفس فنحن نعتقد أن الملائكة في هذا الأمر عبارة عن قسمين (كلي وجزئي) .

الأول (الكلي): من له نفس خاصة به مستقلة كالإنسان تختلف عن غيره، وهو حال الملائكة المقربين والصفافين والكروبيين وحملة العرش ومن كان بهذا المستوى، والدليل على ذلك وجود أسم خاص لكل واحد منهم، وتعدد الأسماء دلالة على تعدد النفوس فهناك (جبرائيل ميكائيل.....) وبعض الملائكة المخصصين لأعمال معينة مثل منكر ونكير وهكذا) .

الثاني (الجزئي): من له نفس جزئية واحدة تحكم مجموعته أو صنفه، فهم بدون أسماء ولكن لهم أسماء حسب صنفهم وعادةً ما يذكرون بصيغة الجمع مثل (ملائكة الحساب ملائكة تسجيل الأعمال وهكذا) .

وفي ختام هذه الفقرة نضرب مثلاً بسيطاً من واقع الحياة لإيضاح دور الروح في الإنسان، أن الروح بمثابة (التيار الكهربائي) داخل الجهاز، فإن مصدر الكهرباء خارج الجهاز وتأثيرات الكهرباء داخل الجهاز، فالكهرباء متصلة بالمصدر وبالجهاز، فاذا قطع المصدر أمداه توقف الجهاز عن العمل وعادت الكهرباء إلى مصدرها، ولا توجد كهرباء خاصة بـ (أ) أو (ب) أو (ج) من الاجهزة، بل كلها كهرباء واحدة تشغل كل الأجهزه صغيرها وكبيرها جيدها وريدها قديمها وحديثها، فالروح كالماء تسقي الكل، كما ان مصدر الكهرباء يغذي كل الاجهزة على تنوعها، وان تعدد رتب الارواح يقابله تعدد شدة التيار الكهربائي، فالبيت الذي تدخله كهرباء

إلى ان قال: فمن كلفه (أي الطائر) ان يلقط الطعم ويستخرجه بعد ان يستقر في حوصلته ويغذو به فراخه، ولاي معنى يحتمل هذه المشقة وليس بذى روية ولا تفكر ولا يأمل من فراخه ما يأمل الإنسان في ولده من العز والرغد وبقاء الذكر، فهذا من (هو) فعل يشهد بانه معطوف على فراخه لعله لا يعرفها ولا يفكر فيها وهي دوام النسل وبقاؤه لطفاً من الله تعالى ذكره..... إلى ان قال في الدجاجة ومن اخذها باقامة النسل ولا روية ولا تفكر لولا انها مجبولة على ذلك) الكتاب المبين / محمد خان الكرمانى / ج ٤ / ٢٣٠١ / ح ١ / ص ١٧٣ .

ضعيفة تعمل اجهزتهُ بشكل ضعيف، واذا كانت متوسطة الشدة عملت الاجهزة بشكل متوسط، واذا كانت شدة التيار عالية عملت الاجهزة بكفاءة عالية، لذلك فالروح تدخل هذا الجسم مجبرة وتخرج منه مجبرة.

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عن أبيه محمد بن علي الباقر عليه السلام: (ان روح آدم لما أمرت ان تدخل فيه كرهته فأمرها ان تدخل كرهاً وتخرج كرهاً) (١).

والذي استشفه ان روح آدم في هذا الحديث ليست هي المعنية بقوله تعالى ﴿ونفخت فيه من روحي﴾، بل هنا الروح بمعنى (النفس) التي هي (ذات الإنسان)، كما سنبين لاحقاً في نهاية هذه الفقرة كيف ان لفظة الروح في بعض الاحاديث تعني النفس لوجود الرابط المشترك في العمل بين الروح والنفس الذي يؤدي إلى الاشتراك بالمعنى اللغوي.

حديث مهم:

نختم هذه الفقرة بحديث مهم للإمام علي عليه السلام فيه عدة توضيحات لما يتعلق بموضوع تعدد رتب الروح وتقسيماتها حسب أنواع الكائنات.

عن الاصبغ بن نباتة، قال: جاء رجل إلى امير المؤمنين عليه السلام فقال: يا امير المؤمنين، إن أناساً زعموا ان العبد لا يزني وهو مؤمن ولا يسرق وهو مؤمن ولا يشرب الخمر وهو مؤمن ولا يأكل الربا وهو مؤمن ولا يسفك الدم الحرام وهو مؤمن فقد ثقل عليّ وحرّج صدري حين أزعّم أن هذا العبد يصلي صلاتي ويدعو بدعائي ويُنَاكحني وأنا كحه ويوارثني وأوارثه وقد خرج من الإيمان لأجل ذنب يسير أصابه؟

فقال امير المؤمنين عليه السلام (صدقت، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والدليل عليه كتاب الله: خلق الله عز وجل الناس على ثلاث طبقات وأنزلهم ثلاث منازل وذلك قول الله عز وجل في الكتاب ﴿وأصحاب الميمنة﴾، ﴿وأصحاب المشئمة﴾، ﴿والسابقون﴾، فأما ما ذكره من أمر السابقين فإنهم أنبياء مرسلون وغير مرسلين، جعل الله فيهم خمسة أرواح: روح القدس، وروح الإيمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، فبروح القدس بعثوا أنبياء مرسلين وغير

(١) بحار الانوار/ المجلبي/ ج٥٨/ باب حقيقة النفس والروح.

مرسلين وبها علموا الاشياء، وبروح الإيمان عبدوا الله ولم يشركوا به شيئاً، وبروح القوة جاهدوا عدوهم وعالجوا معاشهم، وبروح الشهوة أصابوا لذيق الطعام ونكحوا الحلال من شباب النساء، وبروح البدن دبوا ودرجوا، فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم، ثم قال: قال الله عز وجل: ﴿تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض منهم من كلم الله ورفع بعضهم درجات وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾،^(١) ثم قال في جماعتهم ﴿وأيدهم بروح منه﴾،^(٢) يقول أكرمهم بها وفضلهم على من سواهم فهؤلاء مغفور لهم مصفوح عن ذنوبهم.

ثم ذكر أصحاب الميمنة، وهم المؤمنون حقاً بأعيانهم جعل الله فيهم أربعة أرواح: روح الإيمان، وروح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن، فلا يزال العبد يستكمل هذه الأرواح الأربع حتى تأتي عليه حالات). فقال الرجل: يا أمير المؤمنين ما هذه الحالات؟ فقال: (أما أولاهنّ فهو كما قال الله عز وجل: ﴿ومنكم من يُرد إلى أرذل العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً﴾،^(٣) فهذا ينقص منه جميع الأرواح وليس بالذي يخرج من دين الله لأن الفاعل به رده إلى أرذل العمر فهو لا يعرف للصلاة وقتاً ولا يستطيع التهجد بالليل ولا بالنهار ولا القيام في الصفّ مع الناس، فهذا نقصان من روح الإيمان وليس يضره شيئاً، ومنهم من ينقص منه روح القوة فلا يستطيع جهاد عدوّه ولا يستطيع طلب المعيشة، ومنهم من ينقص منه روح الشهوة فلو مرّت به أصبح بنات آدم لم يحن إليها ولم يقيم، وتبقى روح البدن فيه فهو يدب ويدرج حتى يأتيه ملك الموت فهذا الحال خير، لأن الله عز وجل هو الفاعل به، وقد تأتي عليه حالات في قوته وشبابه فيهمّ بالخطيئة فتشجعه روح القوة وتُرين له روح الشهوة وتقوده روح البدن حتى توقعه في الخطيئة، فإذا لامسها نقص من الإيمان وتفصّى^(٤) منه فليس يعود فيه حتى يتوب، فإذا تاب تاب الله عليه، فإذا عاد أدخله الله نار جهنم. فأما أصحاب المشئمة فمنهم اليهود والنصارى يقول الله عز وجل ﴿الذين

(١) البقرة/٢٥٣

(٢) المجادلة/٢٢

(٣) النحل/٧٠

(٤) تفصّى من الشيء: تخلص (لسان العرب مادة فصى).

آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ﴿^(١)﴾ ، يعرفون محمداً والولاية في التوراة والانجيل كما يعرفون أبناءهم في منازلهم ﴿وان فريق منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون. الحق من ربك فلا تكونن من الممترين﴾ ^(٢) ، فلما جحدوا ما عرفوا أبتلاهم الله بذلك فسلبهم روح الإيمان وأسكن أبدانه ثلاث أرواح، روح القوة، وروح الشهوة، وروح البدن ثم أضافهم إلى الانعام فقال ﴿ان هم إلا كالانعام﴾ ^(٣) و، لان الدابة إنما تحمل بروح القوة وتعطف بروح الشهوة وتسير بروح البدن)، فقال السائل: أحيت قلبي بإذن الله يا أمير المؤمنين ^(٤).

(١) البقرة/١٤٦

(٢) البقرة/١٤٦ ١٤٧

(٣) الفرقان/٤٤

(٤) الكافي/ج٢/ص٢١٤/ح١٦ البرهان/ البحراني /ج٧/ح٦ في تفسير سورة الواقعة برواية المفضل بن عمر عن الإمام الصادق عليه السلام قال (من حديث طويل..... فإذا أراد الله ان يخلق من الابدان التي تسكن فيه الروح الطيبة توفق الرجل إلى أكل الثمار الطيبة والطعام اللذيذ، فيكون الماء فيه فتجتمع النطفة، فإذا جامع الرجل أمراة وعلقت منه كملت في الجنين الأرواح الثلاث روح القوة وروح الشهوة وروح الحياة، وهذا قول النبي صلى الله عليه وآله (المؤمن كالنحلة إذا أكلت طيب وإذا وضعت وضعت طيب) ، فإذا كان عند خروج الجنين نزلت الروح الطيبة وهي روح الإيمان النورانية التي هي من نور الله خلقت فتثبت في البدن بعد سقوطها من الرحم والبطن.....) . والحديث فيه دلالة واضحة كون الأرواح الثلاث (القوة الشهوة الحياة) تنشئ مع تعلق النطفة مع البويضة وهي موجودة في الجنين وهو لازال في رحم أمه، لذلك قال الله (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) ، لان هذه الأرواح تجعل هذا المخلوق مظهر من مظاهر الحياة الخالية من كل أنواع العلم والتعقل، وهو ما يؤكد قولنا السابق، أما روح الإيمان التي تجعله مميز فتضاف إليه من الخارج لان مصدرها نور الهي، لذلك كما قلنا ان الإنسان كائن مخلوق فيه الأرواح الثلاث، أما آدم فتميز وترقى من خلال نفخ روح الإيمان فيه، ولعله، والله العالم، ان حديث الإمام علي عليه السلام بقوله: (إن الأرواح قد خلقت قبل الأبدان بألفي عام) ، لا يقصد به كل الأرواح الخمس، بل نوع معين فقط وهو (روح الإيمان) .

النفس

الكلام عن النفس أمر حارت به العقول وتاهت به الأوهام وتعددت فيه الآراء، فقد ورد عن الرسول الكريم ﷺ قوله (أعرفكم بنفسه أعرّفكم بربه) ، وعن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام قوله (من عرف نفسه فقد عرف ربه)، وقد اختلف العلماء والحكماء بالمعنى المراد من هذه الكلمات ولهم في شرحها بيانات كثيرة، منها ماهو ظاهري ومنها ماهو باطني ومنها ما هو ذوقي، حتى ان بعضهم حمل المعنى في هذه العبارات (بالتعلق على المحال) فمعرفة النفس محال فكذلك معرفة ربه، ولا يعرفها على الحقيقة إلا أولياء الله واصفياءه لانهم مستودع سر الله، فالنفس بهذا المعنى عندهم سر، عن أبي عبد الله عليه السلام قال (ان أمرنا سر في سر وسر مستسر وسر لا يفيد إلا سر وسر على سر وسر مقنع بسر) (١).

وفي مقدمة الكلام عن النفس ثبت على أنفسنا إقرارنا بالعجز بالإمام بهذا المطلب الكبير، ولكنها محاولة لألتماس ما (يرشح) منهم عيّلهم السلام، فما يرشح منهم يفيض علينا لعنا نفهم ولو جانباً واحداً من هذا الموضوع والله المستعان، وعند متابعة لفظة النفس (قرآنيا) نجد انها تشير إلى معان ثلاثة.

الأول: تطلق لفظة النفس ويُراد بها (معنى الشيء) (نفس الشيء) كما تقول (نفس الحجر- نفس المكان نفس الطريقة نفس الكلام وهكذا)، فعندما تقول (نفس الحجر) مرادك هو الحجر وليس شيء آخر كالماء ولهذا المعنى موارد قرآنية منها قوله تعالى ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ (٢)، فليس المراد هنا ان الله له نفس أو روح أو جسم، بل هو (ذاته) أو (معناه)، قال تعالى ﴿كُتِبَ عَلَيَّ نَفْسَهُ الرَّحْمَةِ﴾ (٣)، قال تعالى ﴿وَيَحْذَرُكَمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾ (٤).

(١) بصائر الدرجات/محمد حسن الصفار/نادر من الباب في ان علم آل محمد ﷺ سر مستسر.

(٢) المائدة/١١٦

(٣) الانعام/١٢

(٤) ال عمران/٢٨

الثاني: تُطلق لفظة النفس ويُراد بها (هذا الإنسان المركَّب من عدة أجزاء) ، أي بعبده المادي والروحي كما في قوله تعالى ﴿ومن قتل نفساً بغير نفس﴾^(١)، وقوله ﴿أقتلت نفساً زكية بغير نفس﴾^(٢)، وقوله ﴿لا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق﴾^(٣)، وفي كل هذه الموارد وغيرها يقع فعل القتل على الإنسان بمعناه المركَّب.

الثالث: تُطلق لفظة النفس ويُراد بها ذلك (القسم) من الإنسان المركَّب، أي ذلك الجزء المقابل للروح والجسم، أي (ذات الإنسان) أو (حقيقة الإنسان)، قال تعالى ﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾^(٤)، وقوله ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾^(٥).

وهذا الاطلاق الأخير هو موضع كلامنا.

والنفس كيان متعدد بدليل انها جُمعت في القرآن بطريقتين (نفوس) و (أنفس) ، فكل إنسان له نفس خاصة به، أي (ذات) ، فهناك نفس ل (زيد) ونفس ل (عمر) وهكذا، وقرآناً اتصلت بالمواضيع الآتية (الموت الحياة الوفاة القتل العرض الحساب البعث الكسب التكليف الإيمان الظلم الهدى الجزاء القضاء النوم الحركة وغيرها) فهي بصورة عامة موضوع الخلق وغايته^(٦).

فالنفس هي (ذات الإنسان) ، فليس الإنسان جسم يمتلك نفس بل هو نفس تمتلك جسم، لذلك تلاحظ ان جسم الإنسان يتفكك بعد الموت وتبقى نفسه، بل ان منظومة الإنسان البيولوجية (كما سنشرح لاحقاً) تتبدل من جسم إلى جسد إلى بدن حسب أنواع العوالم التي سيمر بها الإنسان، وتبقى (نفسه ذاته) واحدة بكل ما أكتسبت وبكل خُلجاتها.

وكما قلنا في موضوع الروح أن الروح متصلة بعالمها قبل الموت وبعده لانها عنصر مشغلاً أما النفس فهي لا تتصل بعالمها إلا بعد الموت أو أثناء النوم (الأحلام)، ويمكن أن نضرب أمثلة للتوضيح.

(١) المائدة/٣٢

(٢) الكهف / ٧٤

(٣) الانعام / ١٥١

(٤) الزمر/٤٣

(٥) الانعام / ٣٥

(٦) بإمكانك مراجعة الموارد القرآنية الخاصة بالنفس المرتبطة بهذه المواضيع وهي كثيرة جداً في القرآن.

أولاً: لو فرضنا أن (الروح + النفس + الجسم) مثل (الجهاز + الكهرباء + مشغل الجهاز) ، (فالكهرباء هي الروح) و (الجهاز هو الجسم) و (مشغل الجهاز هو النفس) ، وعليه تكون (الروح الكهرباء) هي مادة الحياة ولولاها لتوقف (الجهاز الجسم) ولم يكن لـ (مشغل الجهاز النفس) أي دور، فهو يتوقف بانقطاعها عنه وإذا أساء (مشغل الجهاز النفس) العمل وصدرت منه المعصية من خلال تحريكه (الجهاز الجسد) وليس (الروح الكهرباء) ، لذلك تجد ان عمل (الروح الكهرباء) و (النفس المشغل) دائماً متلازم^(١)، وهذا التلازم في عمل النفس مع الروح موجود قبل الموت وبعده كتلازم المادة مع الطاقة، أي ان الروح كطاقة مشغلة ومأنحة للحياة مستجنة ومتداخلة مع النفس، وربما لهذا السبب كان هناك تلازم مستمر باطلاق لفظ الروح على النفس والنفس على الروح في الكثير من الاستخدامات.

ثانياً: أن (الروح + النفس + الجسم) مثل (السيارة + السائق + البنزين) ، (فالروح هي البنزين) و (السائق هو النفس) و (السيارة هي الجسم) ، فإذا أُنقطع (الروح/البنزين) لم يكن (للسائق/النفس) أي أهمية وتوقفت (السيارة/الجسد) ، ف (الروح/البنزين) ليس لها علاقة بالأختيار والتكليف فهي مادة مشغلة للأجزاء، أما الذي يتحكم في هذا الموضوع وله إرادة وأختيار فهو (النفس/السائق) فهو الذي يُسيّر (السيارة/الجسم) كيف يشاء بأتجاه الخير أو بأتجاه الشر، وهو الذي يعاقب أو يُثاب^(٢).

قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فِيمسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٣).

(١) عندما نشبه عمل الكهرباء والأجهزة بعمل الروح والنفس والجسم القصد منها تبسيط الموضوع، وإلا فان الأجهزة الالكترونية والحاسبات أنظمة مغلقة على ذاتها و لديها اكتفاء ذاتي، بل هي أسيرة نظامها، أما موضوع الروح والنفس فهي أنظمة مفتوحة على المحيط الخارجي.

(٢) ذكرت في بداية الكلام ان الإنسان كائن مُركّب من سبع ماهيات (العقل والروح والنفس والمادة والطبائع والمثال والجسم) ، وفي هذه الامثلة نقتصر على ذكر (الروح والنفس والجسم) ، وذكرت سابقا انني ساناقدش هذه الماهيات الثلاثة بالتفصيل، وإلا على الحقيقية فان بقية الماهيات موجودة مثل العقل والطبائع، ولكننا نحاول تبسيط الموضوع من خلال ثلاث دوال وليس من خلال سبع، وان كنا سنذكر كلام ضمني عنها.

روى العياشي بالأسناد عن الحسن بن محبوب عن عمر ابن ثابت عن أبيه عن أبي جعفر عليه السلام قال: (ما من أحد ينام إلا عرجت نفسه إلى السماء، وبقيت روحه في بدنه، وصار بينهما سبب كشعاع الشمس، فإن أذن الله في قبض الأرواح أجابت الروح النفس، وإذا أذن الله في رد الروح أجابت النفس الروح، وهو قوله سبحانه ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْإِنْسَانَ حِينَ مَوْتِهِ﴾ الآية فمهما رأت من ملكوت السماوات فهو مما له تأويل وما رأت بين السماء والأرض فهو مما تخيله الشيطان ولا تأويل له) (١).

هذا الحديث المبارك مهم جداً للأسباب التالية:

١- يؤكد الحديث وجود (نفس وروح) لكل إنسان واختلافهما بالماهية والوظيفة (٢).
٢- أن النفس هي التي تعرج والروح تبقى في البدن، وخروجها عن البدن يعني الموت.

٣- هناك رابط يربط بين الروح والنفس في حالة الحلم يسميه الإمام عليه السلام (سبب كشعاع الشمس) ، ولولا هذا الرابط لحصل الموت فالنفس تخرج من البدن في حالة الحلم ولكنها غير كاملة الانفصال عنهن فهي متصلة به بواسطة هذا (الشعاع) (٣).

(١) تفسير البرهان / للبحراني / ج ٦ / ص ٥٤٤ / ح ٢ مجمع البيان / ج ٨ / ص ٤٠٤.
(٢) لاحظ الحديث المبارك الذي اوردناه سابقاً في فقرة الروح وهو، فقال: (يا مفضل أن الله تبارك وتعالى جعل للنبي صلى الله عليه وآله خمس أرواح: روح الحياة فبه دب ودرج، وروح القوة فبه نهض وجاهد، وروح الشهوة فبه أكل وشرب وأتى النساء من الحلال، وروح الإيمان فبه أمر وعدل، وروح القدس فبه حمل النبوة، فإذا قبض النبي صلى الله عليه وآله أنتقل روح القدس فصار في الإمام. وروح القدس لا ينام ولا يغفل ولا يلهو ولا يسهو، والأربعة الأرواح تنام وتلهو وتفعل وتسهو وروح القدس ثابت يرى به ما في مشرق الأرض وغربها برها وبحرها).

والحديث بصورة عامة في كل فقراته يُشير إلى ان الروح غير النفس، فلو كان المتحدث عنها النفس لكان لبعض الناس خمسة أو أربعة أو ثلاثة نفوس، بل هي نفس واحدة التي هي ذات الإنسان، ولكن تتعدد فيها القوى المحركة التي هي الأرواح التي قلنا عنها انها هي المانحة للحياة والتي وجودها يستتبع الحركة وبقيّة الفعاليات وحتى المعرفة بانواع خاصة، فتعددية الأرواح هي من جانب التعدد الرتبي وتعدد النفوس كما ورد في القرآن (المطمئنة اللوامة الأمانة بالسوء) ، فهو من جانب التعدد النوعي، فالنفس واحدة لكن لها أنواع متعددة، كما ان لكل إنسان جسم، لكن تختلف من حيث الشكل والجهة والاستعداد والقابليات وغيرها.

كما ان هذه الأرواح الخمس تزيد وتنقص كما ذكر الحديث، مما يعزز كون الروح موضوع مشترك للخلائق يختلف بحسب الرتبة، أما النفس فلم يتوفر لدينا دليل على انها تزيد وتنقص مما يعزز كونها عنصر مستقل لكل انسان.

(٣) تقول المصادر التي تخص علم الباراسايكولوجي (علم الخوارق) ان هناك ظاهرة تسمى (الاسقاط

٤ - الحديث يؤكد ان عمل الروح والنفس متلازم، لاحظ دقة قوله ﷺ (فإن أذن الله في قبض الارواح أجابت الروح النفس) ، وكذلك قوله ﷺ (وإذا أذن الله في رد الروح أجابت النفس) .

٥ - هناك عملية متعاكسة في حالة (القبض) و (الرد) ، ففي عملية القبض الروح هي التي تجيب النفس، وفي حالة الرد النفس هي التي تجيب الروح، وهذه علاقة مهمة جداً في فهم عملية الموت والحياة، فالظاهر من خلال الحديث أنه في عملية الموت تخرج النفس أولاً ثم تجيبها الروح، أما في عملية الإحياء فالروح تدخل أولاً فتجيبها النفس، وهذا ما يحدث بالضبط في موضوع الرجعة والحشر فالنفخ في الصور هو الذي يضيف الحياة لهذه الأبدان ثم تتبعها النفس الخاصة بكل إنسان.

٦ - الآية المباركة مورد الكلام تؤكد أن فعل الوفاة والموت يقع على النفس ﷻ **يتوفى الأنفس حين موتها**، فلو كانت الوفاة هي الموت لم يجمعهما في آية واحدة، فالوفاة هي (الأخذ بالكلية)، كما في قوله تعالى **﴿إذ قال الله يا عيسى أي متوفيك ورافعك ألي﴾** ^(١)، المسيح ﷺ غير ميت، بل أستوفاه الله أي أخذه بكليته (روح + نفس + جسم) ورفعته إليه، والآية تشير صراحةً إلى ان عملية الموت هي (وفاة النفس) ، أي (أخذها) ، فعندما يأخذ الله نفس الإنسان (يتوفاها) يحدث الموت وهو ما عبر عنه القرآن الكريم في مورد آخر بأن النفس تذوق الموت **﴿كل نفس ذائقة الموت﴾** ^(٢)، فالنفس بحد ذاتها لا تموت (أي لا تتفكك) ، بل تذوق الموت وهو عملية خروجها من الجسم فتؤخذ بكليتها (تتوفا)، لذلك فأية (الزمر/٤٢) تؤكد أن النفس هي التي تتوفى ساعة الموت وهو أمر صحيح جداً كما سنشرح لاحقاً في فصل الموت، ففي الموت تنفك النفس من أسر الجسم وتلبس جسم جديد من جنس عالمها الجديد (عالم المثال) ، فالنفس هي التي تؤخذ (تتوفى)

النجمي) وهي حالة الوعي التام أثناء النوم، أي ان الجسد فقط يكون نائماً بينما يكون العقل في حالة يقظة، ويعتقد الدارسون لهذه الظاهرة بوجود جسد أثيري أو جسم من الطاقة ينفصل عن الجسم المادي حيث يبقى بقربه أثناء النوم، ويكون هذان الجسمان متصلان (بحبل فضي) يربط بينهما، وما يهمننا من هذه الظاهرة هو التشابه بين موضوع (الحبل الفضي) وعبارة الحديث (سبب كشعاع الشمس) ، أو عبارة الحديث، عن المفضل بن عمر قال: (قلت لأبي عبد الله ﷺ سألتة عن علم الإمام بما في أقطار الأرض وهو في بيته مُرخى عليه ستره) .

(١) آل عمران/٥٥

(٢) آل عمران/١٥٨ .

وتعود إلى عالمها، فهي التي يقع عليها فعل الحساب والثواب والموت والقتل والتوفي وغيرها من الفعاليات المرتبطة بها قرآنيًا.

سأل أبو بصير أبا عبد الله عليه السلام (الرجل نائم هنا والمرأة النائمة يريان أنهما بمكة أو بمصر من الأمصار وأرواحهما خارج من أبدانهما قال: لا يا أبا بصير فإن الروح إذا فارقت البدن لم تعد إليه غير أنها بمنزلة عين الشمس هي مركبة في السماء في كبدها وشعاعها في الدنيا) ^(١)، والحديث أيضاً يؤكد أن الروح متصلة بعالمها قبل الموت وبعده، كما وصفها الإمام عليه السلام (أنها بمنزلة عين الشمس في السماء في كبدها وشعاعها في الدنيا) ، ويؤكد أيضاً أن النفس يمكن أن تتجول خارج الجسم وهي مرتبطة بهذا الشعاع ولا يحدث الموت ولكن إذا فارقت الروح البدن حدث الموت ^(٢).

(١) بحار الانوار / المجلسي / ج ٥٨ / باب حقيقة النفس والروح / ح ١٧
 (٢) وفي حديث آخر طويل أخذنا منه موضع الحاجة، عن أبي جعفر عليه السلام: (..... ولو كانت روح الحياة خارجة لكان بدنًا ملقى لا يتحرك، ولقد ضرب الله مثلاً في كتابه في أصحاب الكهف حيث قال: (ونقلهم ذات اليمين وذات الشمال) ، أفلا ترى أن أرواحهم فيهم بالحركات) . (بحار الانوار/ المجلسي / ج ٥٨ / باب حقيقة النفس والروح / ح ١٩ / ص ٣٣) .
 والحديث المبارك يؤكد ان الروح لو خرجت لوقع الموت بينما النفس يمكن ان تخرج أثناء النوم وتتصل بالجسم بشعاع كما ذكرت الأحاديث السابقة، وفي الحديث معنى مهم جداً حول أصحاب الكهف فهم يتحركون ويتقلبون لوجود الروح فيهم (روح الحياة) ، أما نفوسهم فهي في أفق آخر ولها نوع اتصال مع جسمها كما في حالة النوم، لذلك هذه العملية أقرب لحالة السبات لاسيما ان القرآن الكريم قد وصف النوم بأنه سبات لقوله تعالى: (وجعلنا نومكم سباتا) ، ومن هنا نفهم كيف سيعود أصحاب الكهف في آخر الزمان كما ذكرنا في حديث سابق ان الإمام المهدي هو الذي سيخرجهم من ظهر الكوفة فالواضح ان أجسامهم لازالت على حالها لم تتأثر بعوامل الطبيعة لان فيها (روح الحياة) لم تفارقها، وانما نفوسهم متعلقة بعوالم أخرى هي نفسها العوالم التي يراها الإنسان في النوم عند خروج نفسه في النوم مع اتصال بنوع ما مع الجسد، لذلك وصفهم القرآن بانهم (رقود) ولم يقل بانهم (نيام) ، لان عملية النوم حالة قصيرة قد يحدث فيها الانفصال أو قد لا يحدث، اي قد تحلم أو لا تحلم، أما الرقود فهو عملية (نوم طويلة سبات) تكون فيها عملية خروج النفس حالة ملازمة للرقود، وعلى هذا الأساس فان أصحاب الكهف أجسامهم في عالمنا هذا، لكن لا نعرف مكانهم وهذه الأجسام لا تتلف لان فيها روح الحياة، فهم لم يجري عليهم فعل الموت، أما نفوسهم فهي في عالم آخر موازي لعالمنا ولكن متصلة بجسدها كشعاع الشمس، لذلك لا الجسد يُبلى ولا النفس تتوفي في هذه الحالة، فهي كما قلنا (سبات) ، أو كما عبر القرآن (رقود)، لذلك قال تعالى (وتحسبهم أيقاظ وهم رقود)، ويبدو ان هذه الحالة (الفسلجية) (الرقود) هو نظام موجود في طبيعة الإنسان ولكنه نظام شامل استطاع أصحاب الكهف من تفعيله لأسباب تتعلق بأحداث آخر الزمان.

وهذا الأمر لا ينطبق على أصحاب الكهف وحدهم، بل ينطبق على كل عباد الله الصالحين الذين لم تتآكل أجسادهم في القبور لوجود عنصر (روح الحياة في أجسامهم) حتى بعد الموت، وهم ممن

النفس

والنفس بطبيعتها (مُدركة مُفكرة مُميزة) لوجود ماهية العقل المستجَنَّة فيها التي تمكنها من الاستنتاج والتحليل، لذلك كانت مدار الثواب والعقاب والتكليف بصورة عامة، ولكن هذا الإدراك يمر بمراحل تطورية نتيجة تعاملها مع محيطها، فعند ولادة الإنسان يكون عبارة عن (روح نفس جسم)، فالروح تجعله شكل من أشكال الحياة، والجسم هو هذه الآلة التي يتحرك ويعمل بها. والنفس عند نزولها من عالمها الأول عبارة عن خامة بيضاء مطبوع عليها الاختيار الأول لهذا الإنسان عندما كانت في عالمها عالم الذر.

فعملية التكاثر عند الإنسان هي عملية إنتاج (أجسام) فقط (هيكل بايولوجي) ، وليس عملية إنتاج نفوس، لان النفوس موجودة في عالمها قبل ان تُخلق هذه الأجسام في الأرحام، فعندما تحل هذه النفوس في الجنين في رحم الأم فهي تحمل معها اختيارها الذي اختارته في عالم الذر ولكنه (نُسي) ولسوف (تذكره) كما توكدة آية التالية والاحاديث المفسرة لها، قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١)، فكلهم في ذلك العالم قالوا بلى وهذه هي فطرة التوحيد التي فطر الناس عليها^(٢)، ﴿فَطَرَهُ اللَّهُ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْمُدْهَبُ﴾^(٣).

وهذه الفطرة يمكن ان تنحرف عن مسارها الأصلي نتيجة تعاملها مع معطيات الحياة، ولا نقصد بانحرافها ان الإنسان يمكن ان ينكر وجود الله، فمن يقل ذلك فهو كاذب ﴿أَفِي اللَّهِ شَكٌّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، ولكن نقصد انها تنحرف عن عقيدة التوحيد الأصلية التي هي الإسلام إلى عقيدة أخرى لذلك قال الرسول الكريم ﷺ (المرء يولد على الفطرة وأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) .

سينالون حظ الرجعة في الأفواج الأولى مع قائم آل محمد ﷺ الذين ذكرتهم الاحاديث بأسمائهم.

(١) الاعراف/١٧٢

(٢) عن أبي عبد الله ﷺ (قال: قلت (فطرت الله التي فطر الناس عليها) قال: التوحيد). الكافي / ج٢ / ح١٠.

عن أبي عبد الله ﷺ قال: سألته عن قول الله عز وجل: (فطرت الله التي فطر الناس عليها) ، قال: هي الإسلام، فطرهم الله حين أخذ ميثاقهم على التوحيد، قال: (ألسنت بربكم قالوا بلى) ، وفيه المؤمن والكافر) (تفسير البرهان/البحراني/ج٣/ ص٢٣٦ / ج٦)

(٣) الروم/٣٠

قال زرارة: سألت أبي جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ قال: (أخرج من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا كالذر فعرفهم وأراهم نفسه ولولا ذلك لم يعرف أحد ربه) وقال: (قال رسول الله ﷺ كل مولود يولد على الفطرة - يعني المعرفة بأن الله عز وجل خالقه - كذلك قوله ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾^(١)).

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ قلت: معاينة كان هذا؟ قال: (نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيدكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه فقال الله ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾^(٢)).

فالنفس في بدايتها لا تحمل إلا هذه الفطرة وهذا (الإقرار) المسجل عليها تلك المعلومات الأصلية الذي تسميه الأحاديث (العقل المطبوع) ومنه الاختيار الأول الذي تؤكد الأحاديث انه (نُسي) وانهم سيدكرونه، فلو تابعت موضوع (التذكر) قرآنياً لوجدته هدف الأنبياء الأول فيما (النسيان) هو هدف الشيطان الأول.

من موارد التذكر قوله تعالى ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَأَذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٣)، قال تعالى ﴿فَذَكَرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ﴾^(٤)، ومن موارد النسيان، قوله تعالى ﴿يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلِ قَدْ جَاءَتْ رُسُلًا بِالْحَقِّ﴾^(٥)، وقوله ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ آوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَأَنْسِيَتِ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسَانِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ﴾^(٦)، وقوله ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾^(٧)، وقوله ﴿أَسْتَحِذُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾^(٨)، وقوله ﴿فَأَمَّا يَنْسِينِكَ الشَّيْطَانَ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ

(١) تفسير البرهان / للبحراني / ج ٣ / ص ٢٣٦ / ح ٣

(٢) تفسير البرهان / للبحراني / ج ٣ / ص ٢٣٩ / ح ١٣

(٣) البقرة/ ٦٣

(٤) الغاشية/ ٢٢

(٥) الاعراف/ ٥٣

(٦) الكهف/ ٦٣

(٧) يوسف/ ٤٢

(٨) المجادلة/ ١٩

الذكرى مع القوم الظالمين ﴿١﴾.

فالأنبياء والأولياء والصالحين يُذكرون الناس بهذا الاختيار الأول، فيما يحاول الشيطان ان ينسيهم، فهم كلهم يعرفون ان الله خالقهم ولكنهم نسوا (ماذا) اختاروا لان الأحاديث تذكر ان السؤال الذي وجه إليهم ليس واحد بل عدة أسئلة.

عن جابر قال: قلت لأبي جعفر عليه السلام: متى سُمِّي أمير المؤمنين أمير المؤمنين؟ قال: (والله نزلت هذه الآية على محمد صلى الله عليه وآله وأشهدهم على أنفسهم أَلَسْتُ بربكم) وان محمد رسول الله نبيكم وان علياً أمير المؤمنين فسماه الله عز وجل أمير المؤمنين) ^(٢).

فعالم الذر هو عالم (الاختيار) وعالم الدنيا (عالم الاختبار) ولسوف تذكرون. هذه الفطرة التي تحتوي على الاختيارات الأولى والتي نُسيت هي التي تتفاعل مع المحيط الخارجي الذي تسميه الأحاديث (العقل المسموع) ، لذلك قال الله عز وجل ﴿والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً﴾

هنا قد يقول البعض: مادام الكل عنده هذه الفطرة فأن هذه المقدمة ستلغي قوانين الوراثة التي أقرها الدين والعقل والملاحظة؟ ان قوانين الوراثة لها علاقة بالشكل والسلوك، وليس لها علاقة بالمعتقد، فالمعتقد الديني عند الإنسان مرتبط بدالتين: **الأولى:** (العقل المطبوع) وهو اختياره السابق في العوالم السابقة، أي في عالم الذر فهو (البرامج التي تشكل البنية التحتية الثوابت الكليات المسلمات) .

الثاني: (العقل المسموع) وهو ما يتعلمه من محيطه الخارجي الذي هو نتاج التفاعل مع البيئة ^(٣).

(١) الانعام/ ٦٨

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٣/ ص ٢٤٤ / ح ٣٠.

(٣) يقول أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام

رأيت العقل عقلين فمطبوع ومسموع

فلا ينفع مسموع إذا لم يكن مطبوع

كما لا تنفع الشمس ونور العين ممنوع

والأبيات تدل على حقيقة واضحة كون العقل نوعين الأول المطبوع وهو الذي يقابل الفطرة الأولى التي من خلالها تم الاختيار الأول بقولهم (بلى) ، وبهذا العقل يكون الإنسان مميزاً بين الحسن والقبح وبه التكليف، والثاني هو المسموع الذي يكتسبه الإنسان من خلال تعامله مع مختلف

وهذه الفطرة متساوية لدى الكل كونهم كلهم قالوا (بلى) ، إلا ان هذه الإجابة كانت على مراتب، فمنهم الأول بالإجابة الذي تؤكد الأحاديث انه رسول الله ﷺ^(١)، ومنهم من تلكى وان هذه السرعة في الإجابة والتباطؤ هو الذي يحدد مكانته في الحياة، بالإضافة إلى ان الأحاديث تذكر ان هذا الاختيار لم يكن على موضوع (الرب) فقط، بل كان السؤال يتضمن اختيار النبي والولي، فما جرى في عالم الذر هو (اختيار) ، أما ما يجري في الحياة الدنيا فهو (اختبار) ، أي (معرفة لماذا أخترت) ، لذلك قال الإمام عليه السلام (ثبتت المعرفة ونسيتم الموقف وسوف تذكرون) .

ويمكن توضيح دور العقل في الحياة من خلال المثل التالي، فالحاسبة الالكترونية عند صنعها تكون بالأصل مجهزة بمجموعة من المعلومات الأصلية (برامج) ، وهي معلومات ثابتة في كل الحاسبات وهي خاصة للتشغيل والخزن وفهم ما يأتيها من الخارج، فعند دخول التيار الكهربائي (الروح) إلى الجهاز (الجسم) يقوم مشغل الجهاز (النفس) بعملياته الحسابية وفق المعلومات الأصلية لديه فقط (البرامج) ، كما هو الحال عند كل الأطفال الذين لا يعلمون شيئاً فسلوكهم في البداية سلوك غريزي في التغذية والنوم وطرح الفضلات وغيرها فهذا هو دور المعلومات الأصلية (تهديه إلى ثدي أمه) ولا يخالف في سلوكه سلوك أي حيوان آخر، لذلك قال ﷻ (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئاً)^(٢)، لكنه عندما يكبر ستدخل إليه معلومات من الخارج (أصوات صور ألوان كلام) ، كما يتم إدخال البرنامج لأي حاسبة من خارجها، وهذه البرامج الداخلة هي (تأثيرات المحيط الخارجي) والتي بدورها تجعله (مسلماً يهودياً مسيحياً مجوسياً) ، وهذه البرامج الخارجية لا تشتغل إلا من خلال المعلومات الأساسية الأصلية الموجودة على كل جهاز، فالمعلومات الأصلية (البرامج) هي برامج للتشغيل، أما المعلومات الخارجية فهي برامج معلومات

جوانب الحياة وهو الذي يسمونه بالعقل الاكتسابي، فإذا لم يكن المطبوع سليماً، أي الاختيار غير موفق في عالم الذر، فلا فائدة من المسموع، كما ان الشمس ليست ذات فائدة للإنسان الأعمى لان وجودها أو عدمه سواء بالنسبة إليه.

(١) عن أبي عبد الله عليه السلام (ان بعض قريش قال لرسول الله ﷺ بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بُعثت آخرهم وخاتمهم) ؟ فقال ﷺ (إني كنتُ أول من آمن بربي وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم: ألسنُ بربكم؟ قالوا: بلى. فكنتُ أنا أول نبي قال بلى فسبقتهم بالإقرار بالله). (تفسير البرهان/ البحراني/ ج٣/ ص ٢٣٥/ ح١) .

(٢) النحل/ ٧٨

متغيرة ومتعددة فالبرامج الأصلية هي (الطبيعة) والبرامج الخارجية هي (التطبع) .
فالعقل من لوازم النفس، والدليل على ذلك ان النفس جرى لها اختيار في عالم الذر
وكانت لها إجابة، فلا يمكن ان تجيب إلا إذا كانت مدركة وإلا لأنتفى الاختيار.

عن امير المؤمنين عليه السلام (من حديث طويل ان الله سبحانه لما خلق آدم مسح
على ظهره فأستخرج ذريته من صلبه في هيئة الذر فألزمهم العقل وقرهم انه
الرب وانهم العبيد.....) ^(١)، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام كيف
أجابو وهم ذر؟ قال: (جعل فيهم ما إذا سأهم أجابوه) يعني في الميثاق ^(٢).

نعود لما قلنا من ان الحيوانات لها (روح وجسم) ، فلو كان للحيوان نفس كالموجودة
عند الانسان لأصبحت لها القدرة على خزن هذا التراكم من المعلومات الموجود
في الخارج مما يجعلها قابلة للأستنتاج والتحليل، وهذا غير موجود في الحيوانات إلا
بمقدار ما يتعلق بغريزتها أي القوانين الأصلية المودعة فيها لكل أفراد جنسها وهو
الذي يسميه الحديث النفس النباتية والنفس الحيوانية، فلا يشذ أحد عن سلوك
المجموع، فهي خاضعة لقانون (التسخير) ، ولكل صنف من الحيوانات (نفس كلية
واحدة) مشتركة لذلك كان سلوكها ثابت وواحد في كل زمان ومكان، فهي برامج
حية إذا جاز التعبير ^(٣).

وعليه تكون عملية التكاثر في الحيوانات وان كانت بايولوجياً مشابهة للتكاثر عند
الإنسان تحمل صفة التكرار للنوع الواحد، إلا أنها عند الحيوانات تخرج عن نطاق
التكاثر والتكرار إلى نطاق (الاستنساخ) ، فكل فرد من الحيوانات يشابه أبناء صنفه
في كل شيء (الخلقة والسلوك) ، والسبب كما قلنا لعدم وجود عنصر النفس كما
في الانسان الذي يجعل الكائن مميزاً عن الآخر من أفراد صنفه، أما عند الإنسان

(١) تفسير البرهان/البحراني/ج٣/ ص ٢٤٠/ح ١٧

(٢) تفسير البرهان/البحراني/ج٣/ ص ٢٣٦/ح ٥

(٣) لو أخذت حيوان واحد من فصيلة مثل الكلاب ودرسته لوحده فانك تستطيع ان تعرف من
هذا الكلب الواحد كل الصفات البايولوجية والفسلجية والسلوكية لأفراد هذا الصنف ولا يشذ عنها
أحد في المأكل والمشرب والغريزة والسلوك، أما الإنسان إذا أخذته ودرسته، فستجد انه يشترك مع
صنفه بالصفات البايولوجية والفسلجية، وربما بعض الانفعالات السلوكية كالخوف، أما الحالة
النفسية للإنسان فلا يمكن ان تتشابه لكل النوع، بل هناك حالة خاصة لكل إنسان لوحده، وهي ما
نسميه بالشخصية، والسبب في ذلك هو وجود عنصر النفس المميز لكل إنسان لذلك قال تعالى:
(وكل إنسان أزمانه طائرته عنقه) ، لان كل فرد من نوع الإنسان هو كيان قائم لوحده.

فإن عملية التكاثر وأن أخذت طابع التكرار، إلا أنها لا تأخذ طابع (الاستنساخ) لوجود (نفس) خاصة لكل إنسان جاءت من عالم آخر سابق لهذا العالم، ويشترك مع أبناء جنسه بالشكل العام وعدد الاعضاء، إلا انه يخالف الكل بالشخصية و (صورة الوجه) التي هي العلامة الفارقة لكل إنسان، فنحن أساساً نُفَرِّق بين الناس من خلال شكل الوجه بينما لا يمكنك ذلك مع الحيوانات^(١).

هنا قد تثار بعض الأسئلة:

إذا كان الإنسان يرث من أبويه الشكل والسلوك ولا يرث أتمائمهم العقائدي، فكيف نفهم قول الإمام الصادق عليه السلام (من ثبت حُبنا في قلبه فليشكر لأبويه)، فالواضح من الحديث أن حُب الأبوين لآل محمد عليهم السلام وأعتقادهم بهم قد نقل إلى الأبناء؟

أن عملية التكاثر عند الإنسان لها علاقة بأعداد (النطف والبويضة) كمظهر من مظاهر الحياة فيها المورثات السلوكية والشكلية للإنسان، أما عملية أتحاد (النفس) بهذه المكونات الوراثية فليس له علاقة بمعتقد الأبوين كما قلنا، والسبب في ذلك هو (أن النفوس موجودة في عالمها قبل أن تخلق هذه النطف أساساً) كما تحده آية (الاعراف/١٧٢) السابقة الخاصة بعالم الذر^(٢)، ولكن هذه النفوس المخلوقة

(١) إذا مات الإنسان عادت أجزاءه المادية إلى نظام الطبيعة عود ممازجة، أما نفسه الدراكة وذاته فهي تعود إلى عالمها (المثال) عود مجاورة، أما الحيوان فهو بعد الموت تعود أجزاءه المادية إلى نظام الطبيعة عود ممازجة، وبما أنه ليس له نفس، فهو بهذا المعنى ينتهي، والسبب في مسألة تلاشي الحيوانات في المراحل العالية لان الجماد روحها العناصر، والنبات روحه الطبايع، والحيوان روحه الدم، فالحيوان كائن زمني يتلاشى بعد أنتهاء دورة الزمان، فكل شيء لا يتجاوز مبدأه، أما الإنسان فهو كائن (دهري) لذلك سيكون له تحقق ووجود في العوالم الأخرى لانه بالأصل هبط من تلك العوالم، ويمكن القول أجمالاً إن النفس عند النبات (برنامج)، وعند الحيوان (برنامج ذو وعي غرائزي)، لذلك يمكن ترويض بعضها، أما عند الإنسان فهي وعي مستقل.

(٢) عن الإمام الحسن بن علي بن ابي طالب عليه السلام (ان الولد يتكون من أربعة عشر شيئاً أربعة من الأم وأربعة من الأب وسبعة من الله، أما الأربعة التي من الأب فهي العظم والمخ والعصب والعروق، وأما التي من الأم فهي اللحم والدم والشعر والجلد، وأما التي من الله سبحانه وتعالى وهي الحواس الخمس والعقل والنفس). جواهر الحكم / الرشدي / ج ١١ / ص ١٤٢.

المفروض ان يكون المجموع (١٤) ولكن في الحديث ذكر (١٥) شيء ولعله خطأ في النقل او سقط شيء من الحديث والله العالم.

واضح من خلال الحديث ان ما يأخذه الولد من الأم والأب مواضيع ذات حقيقة بايولوجية متعلقة بالأعضاء وتكوينها، أما التي من الله فهي ذات طابع آخر له علاقة بذات الإنسان والنفس من جملة هذه الاشياء التي ليس لها علاقة بالمواضيع البايولوجية، وهذا يؤكد ما نريد أثباته كون التكاثر عند

سابقاً في حالة أنتظار لما يناسبها من هذه النطف (زماناً ومكاناً)، فإذا فعل الأبوين أعمالاً صالحة (في المأكل والسلوك والعبادة) ، أو أن لهذين الأبوين صفات جيدة متوارثة حتى وان كانوا غير صالحين، فإن هذه النطف تكون مؤهلة لأن تحل بها (نفس) تتناسب معها، لذلك كان أولاد الزنا دائماً أعداءً لأولياء الله لأن نفوسهم في تلك العوالم لم تستجب لأولياء الله بالإيمان، فالنطف المنحدرة من عملية زنا تكون مثالية لأستقبال هذه النفوس الرديئة حتى وان نشأت هذه النفوس في كنف آباء صالحين، لذلك قال رسول الله ﷺ للإمام علي **(يا علي لا يكرهك إلا ابن زنا أو ابن حيض)** ، وذلك لوجود التلازم بين من أنكر ولاية أمير المؤمنين في عالم الذر وبين عدم طهارة المولد، فشكر الوالدين على هذه النعمة كونهم أعدوا (الوعاء الإحيائي) (النطفة والبويضة) لكي تستقبل هذه النفوس الموالية لأولياء الله، فتكون عملية التكاثر عند الإنسان هي تكاثر بايولوجي وليس تكاثر للنفوس أو أستنساخها، فالبشر ليس لهم القدرة على إنتاج نفوس لأن النفوس موجودة في عالمها قبل خلق الأجسام كما حددتها آية (الاعراف/ ١٧٢) .

ومن هنا نعتقد ان مقولة (ان النفس جسمانية الحدوث روحانية البقاء) التي نادى بها جملة من الفلاسفة هي مقولة غير صحيحة، فهم يعتقدون ان النفس تنشأ مع نشوء الجسد المادي في الرحم، وهي ليست سابقة له، وهذا المعنى غير صحيح حسب سلسلة العوالم التي يتبنونها في أبحاثهم، فالروح أسبق وجوداً من النفس والنفس أسبق وجوداً من الجسم، فالنفس موجودة في عالمها السابق على عالم الدنيا لأنها من نفس جنس عالمها، وإذا وصلت إلى عالم الدنيا لا بد من الجسد لتعمل من خلاله، فهي أسبق وجوداً من الجسد لكنها لا تظهر في عالم الدنيا إلا من خلال الجسم، وجملة المرويات تؤكد هذا المعنى كون الروح والنفس أسبق وجوداً من الجسم^(١).

الإنسان هي عملية إنتاج أجساد ذات طبيعة بايولوجية فقط، والنفوس تأتي من عوالم علوية. (١) يعتقد أصحاب نظرية وحدة الوجود لصدر المتألهين الشيرازي ان هناك دليل قرآني يثبت ان النفس جسمانية الحدوث وهو قوله تعالى (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشأناه خلق آخر) (المؤمنون ١٢ ١٤) ، ويعتقدون ان الضمير في انشأناه يعود على الجسم الذي مر بعدة مراحل ثم تحول إلى نشأة أخرى، فالنفس عندهم غير موجودة قبل خلق الاجسام، بل هي شيء يتواجد مع تكامل الجسد في الأرحام ثم تستمر بتكاملها بعد الولادة إلى ان تصل إلى نشأة التجرد.

وهنا قد يُثار سؤال آخر:

إذا كانت النفس النازلة من عالمها تتناسب مع النطفة المنعقدة فهي (أي النفس) محكومة بعاملين: الأول: هو اختيارها الأول في عالم الذر كونها أستجابت سريعاً بقولها (بلى) . الثاني: هو نوع النطفة التي أعدت لها، فإذا كانت الإجابة في عالم الذر موفقة ونطفته طاهرة، فإن شخصية الإنسان وأعتقاده ناتج من هذين العاملين، فما هو دور البيئة والمحيط الذي تقول عنه هو السبب بتحويل هذا الإنسان إلى (مسلم أو يهودي أو نصراني) ، أو كما تسميها بالبرامج الخارجية التي تصنع مُعتقد الإنسان؟

أن هذه النفس إذا كانت صاحبة اختيار صحيح في عالم الذر ونزلت إلى نطفة مناسبة لها، فأنها تظل محافظة على هذا الامتياز حتى وان كانت عوامل المحيط الخارجي قد

واعتقد بعدم وجود ملازمة بين النص القرآني وبين الاستدلال الذي يذهبون إليه، والآية لا تشير إلى كون النفس جسمانية الحدوث لا من قريب ولا من بعيد، حتى ان السيد كمال الحيدري يقول: (لا يمكن لأحد ان يدعي وجود الدليل القرآني على واحدة من النظريات الثلاث المتقدمة على نحو الجزم واليقين) المعاد/ ج ١ / الروح الإنسانية/ الدليل القرآني على كون الروح جسمانية الحدوث. والغريب ان أصحاب هذه النظرية يقرون ان الإنسان كحقيقة وجودية مرت بعدة عوالم سابقة لعالم المادة ومنها عالم الذر، ولم يشرحوا لنا كيف يتحول الموضوع من جسماني إلى روحاني حسب نظرية الحركة الجوهرية التي يؤمنون بها.

ويبرز هنا عدة أشكال على هذه النظرية:

أولاً: هم يعتقدون ان الإنسان كحقيقة وجودية موجودة في عوالم سبقت هذه النشأة ثم يقولون ان النفس جسمانية الحدوث، أي نشأت في هذا العالم وهذا خلاف المقدمة التي يتبنونها، بل هو خلاف تسلسل عوالم الوجود.

ثانياً: هم يعتقدون ان المعاد هو نفسه المبدأ لقوله تعالى (كما بدائكم تعودون) ، بينما مقدماتهم تقول المبدأ جسماني والمعاد روحاني وهو خلاف الآية الكريمة.

ثالثاً: إذا كانت النفس جسمانية الحدوث ومآلها روحاني فهذا معناه ان المعاد عندهم روحاني صرف لانهم يتبنون ان النفس (روحانية البقاء) ، وهذا يخالف ما يعتقد به أغلب أهل الإسلام كون المعاد روحاني جسماني وهو ما تقره آيات القرآن الكريم.

رابعاً: أصحاب هذه النظرية يعتقدون ان العوالم العلوية عوالم خالية من المادة وآثارها، أي بحالة التجرد، فكيف لنا ان نتصور مفهوم علوي كالروح والنفس بدأت من عالم المادة ويصل إلى عالم التجرد، وفي هذا كما قلنا قطع واضح لسلسلة العوالم الطولية وقطع في صيرورة الاشياء من حيث المبدأ والمعاد، فالروح أو النفس عندهم كمفهوم ينشأ علوي في مبدئها وتنتهي علوية في معادها، بينما هم يقولون أنها تبدأ مادية وتنتهي روحانية.

واليك نص روائي يُثبت وجود الإنسان كحقيقة قبل عالم الدنيا.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (..... ان الله عز وجل أخذ من العباد ميثاقهم وهم أظلة قبل الميلاد...) مختصر بصائر الدرجات/تتمة ما تقدم من احاديث الذر ٢/٥٦٣.

أفسدت هذا الإنسان، لأن النفس حلت بما يناسبها من النطف، لكنها غير موفقة بتواجدها في محيط لا يتناسب مع اختيارها، وهذه مشكلة كبيرة بل هي مشكلة النفوس الكبيرة، فالمحيط حتماً يؤثر عليها خصوصاً في مرحلة الطفولة كونه غير مميز لما يحدث لها، فتستمر حالة الصراع لوجود طرفين متناقضين الأول هو صلاح هذه النفس الناتج من اختيارها الأول، والثاني عوامل المحيط الخارجي غير الملائمة والتي تدخل إلى هذا الإنسان قسراً، وهذا يفسر لنا حالات الانقلاب العقائدي السريعة والمفاجئة عند بعض الناس، فمنها تحول من قمة التسافل إلى قمة الكمال، كما في حالة (بشر الحافي) ، ومنها تحول من قمة الكمال إلى قمة التسافل كما في حالة (بلعام بن باعوراء) ، فنسأل الله سبحانه وتعالى لكم ولي (حُسن العاقبة)،

سؤال محتمل: تركيبة النفس

ربما يقول البعض انك في هذا البحث تتبنى كون الأشياء دون الله كلها مُركّبة، والمركّب يستلزم وجود أكثر من ماهية مجتمعة ليصح عليه مفهوم التركيب، وبالتالي فان النفس موضوع مُركّب وان أجزائها لا بد ان تكون مُركّبة أيضاً وهكذا، مما يؤدي إلى الدور والدور باطل فلسفياً وعقلياً؟

من الناحية العلمية لا يوجد في علم الجزيئات الأولية دليل على وجود جزيء مادي مكون من ماهية واحدة، فالذرة تتكون من البروتونات والنيوترونات والألكترونات، وكل من هذه الأجزاء مكون من مادة وطاقة، وان عملية تفكيك هذه الأجزاء داخل المفاعلات النووية لا زالت تعطي أجزاء أخرى أصغر بلغ عددها أكثر من (٤٠) جزيء، والتفكيك لا زال مستمر والنتج دائماً (جسيم وطاقة) مما يعزز مبدأ الثنائية والتركيب، أما من الناحية الفلسفية، فهم يصفون الروح والنفس من (البسائط) والبسائط عندهم هي أحادية التركيب، ولا يتطرقون أبداً لمسألة تفكيك هذه المركبات لان الموضوع كما قلنا يقودهم إلى الدور، واعتقد ان النفس موضوع مُركّب من عدة ماهيات ليصح عليها مفهوم التركيب، لكن أجزائها شديدة الارتباط مع نفسها مما يجعلها غير قابلة للتفكك فتبقى محافظة على هيكليتها في كل الأحوال، فهي من المركّبات لانها مكونة من عدة أجزاء، وهي من البسائط لان أجزائها لا تتفكك، فتبقى محافظة على وحدتها، فهي في الخارج شيء واحد وفي الداخل مُركّبة، وهذه الأجزاء لا توجد منفردة قبل التركيب، ولا يمكن ان توجد إلا مع بعضها مُركّبة، فلا قوام لأي واحدة منها إلا بالأخرى، فهي (مركّبات خالدة)، فالنفس بهذا المعنى (بسيطة ومعقدة)، فهي بسيطة من حيث كونها وحدة واحدة لا تتجزء، ومعقدة كونها تتكون من أجزاء لا تتفكك، فهي بسيطة بالنسبة لما دونها ومركّبة بالنسبة لما فوقها، والروح كما قلنا تعمل بتلازم مع النفس لانها عنصر الحياة، فلا قوام للنفس إلا بالروح المستجنة في داخلها كما تستجن الطاقة في المادة. ومن هنا نستطيع القول انه لا يوجد شيء بسيط إلا بالمعنى الذي ذكرناه، أي كونه مُركّب من أجزاء لا تتفكك، فلا يمكن ان يكون الممكن بسيطاً إلا بهذا المعنى

لعدم إمكانية وجود شريك للباري عزّ وجلّ، فلا يمكن ان يكون مبدأ الكون مهما تكن ماهيته إلا زوجياً لإثبات ان الوجدانية لله عزّ وجلّ، أي ان المركب من شيئين لا يكون بشيء واحد إلا انه شيء واحد أئتلافي لا حقيقي، وكذلك الإنسان فهو واحد أئتلافي لا حقيقي فهو مكون من أجزاء إلا ان أجزاءه تتفكك وتتركب، أما النفس فهي مركب لا يمكن ان يتفكك ولا يمكن لاجزائها ان توجد منفردة قبل التركيب، وهذا يذكرنا بحديث (الطينة) الذي ذكرناه سابقاً كون هذه الطينة تبقى في القبر (ولا تتفكك) ومنها يُعاد الإنسان مرةً أخرى فهذه مُركّبات خالدة.

ومن هنا يمكن ان نضع تصور معين لمسألة الخلود في الجنة والنار أو بالأحرى كيفية خلود أهل النار فيها على الرغم من شدة حرارتها والتي تصفها الأحاديث (ان لو سقطت شرارة من نار جهنم على أهل الأرض لأحرقتهم)، فكيف لا يتمزق ويتفكك المعذبون بالنار؟ السبب في ذلك ان النفس موضوع غير قابل للتفكك لانها (خالدة)، وكذلك الطينة التي حُلِق منها، فتبقى هكذا في جهنم معذبة ولا تتلاشى ﴿ثم لا يموت فيها ولا يحيا﴾^(١)، أما أبدانهم في جهنم فيصيبها التلف لانها موضوع قابل للتفكك، لذلك يُعاد إنتاجها دائماً في جهنم ﴿كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب﴾^(٢)، لان طينتهم أيضاً لا تتحول إلى عدم وهذا يؤيده قانون حفظ المادة والطاقة الذي ينص على: (ان المادة لا تُفنى ولكن تتحول من شكل إلى آخر).

ويمكن ان نذكر أمر آخر حقيقي يُبين مسألة كون النفس مُركّبة وغير قابل للتفكيك، وهو (القرآن والعترة) متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر، فالقرآن إمام، والإمام قرآن، ولا يعمل أحدهما إلا بالآخر، ولا يمكن ان يعمل كل جزء لوحده ولا يمكن ان يعملوا إلا معاً، فهما في الحقيقة أثنان وفي الحقيقة واحد فلا يعمل القرآن إلا بإمام ولا يعمل الإمام إلا بقرآن، وهذه حقيقة كبيرة يذكرها الإمام علي عليه السلام في وصف القرآن الكريم وآياته.

يقول الإمام علي امير المؤمنين عليه السلام في وصف القرآن (فظاهره أنيق وباطنه عميق، لا تنقضي عجائبه ولا تُفنى غرائبه، فيه ينابيع النعم ومصابيح الظلم، لا تفتح

(١) الاعلى/ ١٣

(٢) النساء/ ٥٦

سؤال محتمل: تركيبة النفس

الخيرات إلا بمفاتيحه، ولا تنكشف الظلم إلا بمصايحه، فيه تفصيل وتوصيل وبيان الأسمين الأعلىين الذين جُمعا فاجتمعا، لا يصلحان إلا معا يُسميان فيفترقان، ويوصفان فيجتمعان، قيامهما في تمام أحدهما في منازلها جرى بهما ولهما نجوم وعلى نجومهما نجوم^(١).

وهذين الأسمين الأعلىين هما (نبوة وإمامة) وفيهما سر سورة الفاتحة، بل سر القرآن، بل سر الوجود، بل سر الله، وهي كما يقول الإمام أبي عبد الله عليه السلام (ان أمرنا سر في سر وسر مستسر وسر لا يفيد إلا سر وسر على سر وسر مقنع بسر)^(٢)، فالنبوة والإمامة مُركَّب ظاهره أثنان وباطنه واحد، لذلك قلنا في كلام سابق عن قوله تعالى ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾^(٣)، ان النفس بجد ذاتها لا تموت بل تذوق الموت ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾^(٤)، لان فعل الموت لو وقع على النفس لتفككت لان الموت هو (فك المركبات) وعملية الذوق هذه هي التي تنقلها إلى واقع الوفاة، أي عندما تحين ساعة الموت بتفكك تراكيب هذا الإنسان ستخرج النفس منه، فهذه الإنتقالة (التفكك) هو الموت، فالنفس تذوقه فقط بخروجها من الجسم وبعد خروجها تؤخذ بكاملها (تتوفى)، لذلك قال ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾، فالنفس لا تموت بجد ذاتها لانها لا تتفكك بل تذوق الموت الذي هو عملية خروجها من الجسم.

وهذا التصور يمكن ان نعممه على مواضيع أخرى لها أهمية علمية وفلسفية مثل (الزمان والمكان)، فهذه أيضاً ثنائية لا ينفك أحدهما عن الآخر وهما يعملان دوماً معاً، فإذا انفصلا أصبح كل واحد منهما بسيط، وهذا محال حسب الفهم الفلسفي وحسب الفهم الذي تبناه، لان الوحدة صفة القديم والحادث مُركَّب وتبقى (الأحدية للأحد وحده) تعالى الله عن الزمان والمكان والحوادث علواً كبيراً.

وبهذا تكون النفس مكونة من ثلاث ماهيات (العقل كمنظومة قانونية الروح كطاقة مشغلة النفس بما هي كنفس أي حصتها المادية من الوجود) فهي بجد ذاتها

(١) بحار الانوار/ ٣٥: ٨٠

(٢) بصائر الدرجات/ محمد بن حس الصفار/ باب / ١٢ / نادر من الباب / ح١

(٣) الزمر/ ٤٢

(٤) ال عمران/ ١٥٨

ثلاثية التركيب^(١)، فلو صح وجود زمان لوحده بدون مكان لصح وجود طاقة بدون مادة ولصح وجود نفس بدون روح ولصح وجود جاذبية بدون كتلة، فهذه المفاهيم لا تستقيم وجوداً إلا إذا تواجدت بشكل ثنائي الذي هو قانون الوجود نفسه، فهذه ثنائيات خالدة ولا تتفكك.

(١) يقول السيد كاظم الرشتي في جواهر الحكم/ ج١٣ / ص ١١٧ (والواحد الذي ليس من الأعداد هو الأحد، وهو الذي به أختص القديم سبحانه، والواحد الذي هو مبدأ الأعداد ومقابل الاثنين والثلاثة، فهو من الأعداد لكنه ثلاثة، لان الممكن لا يخلو عن جهات ثلاث، إلا ان الوحدة لما غلبت عليها اضمحل حكم التثليث وبقي حكم الوحدة من قبيل أطعني أجعلك مثلي..... فكان أول الأعداد بل أول الأشياء مبدؤها الثلاثة....). ويقول ايضاً في/ج١٣ / ص ١٧٢: (ونحن قد بينا في كثير من مباحثنا ورسائلنا ان مبدأ العدد الثلاثة وان الواحد الحقيقي ليس له في الإمكان وجود ولا يمكن أقل من الثلاثة، فهي مبدأ العدد والواحد أجمال الثلاثة.....). أنتهى كلامه.

يقصد السيد الرشتي ان الله (الذات) لا ينطبق عليه مفهوم الواحد العددي لكون الواحد بالمعنى العددي له أثنان وثلاثة وهكذا، وهذا محال على الذات القديمة لانه أحدي وليس واحد. أما الواحد العددي الذي تبدأ به الأعداد والذي يقابله الاثنين والثلاثة فهو ليس بواحد على الحقيقة، بل هو مركب أيضاً حاله حال أي شيء، فلو كان هذا الواحد العددي مكون من ماهية واحدة لأصبح بسيط وغير مركب مما يستلزم مشابهة القديم، وهذا محال لان الواحد العددي حادث ولأجله أصبح مركب فهو واحد في الخارج ومركب في الداخل لانه لو لم يكن مركب لأصبح أحدي. والكلام بهذا المعنى يؤيد ما نذهب إليه كون كل شيء دون الله مركب، وإذا وجدت في الحوادث شيء له صفة الواحد فاعلم انه في الداخل مركب.

مواضيع أخرى لها علاقة بالنفس

أولاً: روح النفس.

ان النفس في عالمها محتاجة إلى الروح (الحياة) لأن الحياة تملئ أركان كل شيء، فالروح عنصر مشغل موجود في عالم البرزخ (عالم النفوس) وفي كل العوالم، والنفس في ذلك العالم لا تعيش لوحدها مجردة بل ستدخل إلى ذلك العالم وفق واقع ثلاثي أيضاً (النفس بحد ذاتها وجسدها البرزخي المخلوق من مادة ذلك العالم الروح طاقة الحياة المشغلة والعقل أي وعيها)، فالنفس في البرزخ في قلبها المثالي وهي في عالم البرزخ تسمى نفس على الرغم من وجود أجزاء أخرى متحدة بها (جسدها البرزخي والروح وعقلها)، فتسمى نفس لأنها في (عالمها) كما ان الإنسان في عالم الدنيا مكون من (روح ونفس وجسم) إلا انه يقال عنه إنسان من جهة جسمه لانه في عالم الكثافة، فالنفس في عالم البرزخ ذات واقع ثلاثي إلا ان عنصر النفس هو الأكثر تحقّقاً لأنها من سنخ ذلك العالم.

عن أبي ولّاد الحنّاط، عن أبي عبد الله عليه السلام (قال: قلت له: جعلت فداك، يروون أن أرواح المؤمنين في حواصل طيور خضر حول العرش، فقال: لا، المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طير، لكن في أبدان كأبدانهم) ^(١).

عن أبي بصير قال: أبو عبد الله عليه السلام قال: ذكر الأرواح أرواح المؤمنين، فقال: (يلتقون، فقلت: يلتقون؟ قال: ويتساءلون ويتعارفون حتى إذا رأيته قلت فلان) ^(٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام (... فإذا قبضه الله عز وجل صيرّ تلك الروح في قلبه في الدنيا فيأكلون ويشربون، فإذا قدم عليهم القادم بتلك الصورة التي كانت في الدنيا) ^(٣).

(١) بحار الانوار/ المجلد ٥٨/ باب حقيقة النفس واحوالها/ ج٢٩/ ص ٥٠.

(٢) بحار الانوار/ المجلد ٥٨/ ج٣٥/ ص ٥١.

(٣) الكتاب المبين/ الكرمانى/ ج٣ / ص ٣٦٩ / ج٣.

فلكل نفس كيان مستقل وهيكل خاص بها من نفس مادتها، ومن هنا نفهم لماذا ورد بكثرة في المرويات وصف النفوس في عالم البرزخ كونها أرواح لأن النفس تستمد ديمومتها من طاقة الروح التي تملئ ذلك العالم فسمي ذلك العالم بعالم الأرواح علماً ان سكانه من النفوس، فيكون عمل الروح والنفس متلازم، فهما يختلفان بالماهية ويتلازمان بالعمل كما في (المادة والطاقة) ، فلا توجد مادة صرف بحد ذاتها ولا توجد طاقة صرف بحد ذاتها، فالطاقة لها خصائص مادية والمادة لها خصائص طاقوية (راجع الحديث السابق عن كيفية تلازم عمل الروح والنفس)، فالإنسان في الدنيا اشبه بالخشب التي تكمن فيها النار، اي الروح كامنة في الجسد، اما في البرزخ فانه اشبه بالنار التي تصدر من الخشب، اي تكون الغلبة للروح على الجسد، وبعد الموت وتفكك الأجزاء تدخل النفس إلى عالم البرزخ بطاقة الروح أيضاً، لكن نسبة النفس في هذه الثنائية في البرزخ أعلى تحقّقاً، لان النفس هي التي عليها مدار الحساب والثواب في البرزخ، أما في الرجعة وفي الحشر النهائي فسيحشر الإنسان وفق واقع ثلاثي (بدن نفس روح) كما سنوضح لاحقاً، فعمل الروح والنفس متلازم كتلازم المادة والطاقة، فهذه المواضيع (الروح النفس الجسم) تجتمع في عالم الدنيا وعند الموت تخرج النفس مستصحبة معها طاقتها الوجودية (الروح) ويبقى الجسد في عالم الدنيا ويتحلل إلى عناصرها، إذاً فالنفس والروح لا توجد بشكل منفصل في عالم الدنيا وعالم ما بعد الموت لان الروح كما قلنا متغلغلة في كل العوالم لانها مادة التشغيل والنفس هي المحرك والجسد هو الآلة، لكن الإنسان (كنفس ذات) بأنتقاله من عالم إلى عالم تضاف أو تُسلب منه بعض الأرواح الخمسة، فلا قوام للجسد والنفس إلا بالروح ولا ظهور للروح إلا بالنفس والجسد، كما انه لا قوام ولا ظهور للطاقة إلا بالمادة.

وبعد ان اخذ كل مخلوق حصته المادية في هذا العالم أصبح لكل شيء (حصّة وجودية) ، هذه الحصّة هي (كينونته الوجودية) ، لكن هذه (الحصّة) مندمجة مع غيرها ولم تخصص بعد إلى بقية الأشياء، وبعد التخصص يصبح لكل شيء (ذات) خاصة به يميزه عن الآخر، ولا بد ان يكون لكل (ذات) أسم خاص بها يميزها عن الذوات الأخرى وتصفها بشكل دقيق وواضح، فكان العرش متعلق بالمشيئة ومقام (الإجمال) وهو عالم الجبروت، أما في عالم الملكوت فالأشياء متعلقة (بالكرسي) لانه مقام (التفصيل) ، ولا يكون هذا التفصيل إلا بالحروف، فعالم

مواضيع أخرى لها علاقة بالنفس

الجبروت عالم (الإشارة) وليس (العبارة) ، وأصبح عالم الملكوت عالم (العبارة) لانه عالم الحروف، لذلك قال الإمام علي عليه السلام (الروح في الجسم كالمعنى من الحروف)، ولاجل ان نفهم هذه الانتقالة من عالم الجبروت إلى عالم الملكوت وكيف تكونت الاشياء واصبح لها ذوات ومعاني وحصّة وجودية، لا بد من ذكر الحديث المبارك التالي:

عن مالك الجهني قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى ﴿أولم ير الإنسان إنا خلقناه من قبل ولم يك شيئاً﴾^(١)، فقال (لا مُقدراً ولا مُكوّناً) . قال: وسألته عن قوله تعالى ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾^(٢)، فقال (كان مُقدراً غير مذكور)^(٣).

وكما أفهم من الحديث فان فيه تمييز دقيق بين مرحلتين لا تخص الإنسان وحده، بل كل الموجودات، فقوله عليه السلام (لا مُقدراً ولا مُكوّناً) ، إشارة إلى عالم الجبروت كون الإنسان وكل شيء في ذلك العالم (لا مُقدراً) له ان يوجد، وبالنتيجة فهو (غير مكوّن) لعدم تخصص حصته الوجودية بعد، وقوله عليه السلام (كان مُقدراً غير مذكور) ، إشارة إلى عالم الملكوت، ففيه أصبح للاشياء حصّة مادية وجودية، وفيه قُدّر لهذا الإنسان ان يوجد ولكن لم يكن له ذكر في بدايات ذلك العالم لانه لم يتشخص بعد، فمادته موجودة ولكنها لم تتخصص بعد لتأخذ ملامح الإنسان، فحسب الروايات آدم حُلِق في نهايات الدهر، لذلك تكلمت الآية عن الدهر لانه في عالم الملكوت.

ويمكن ان نضرب مثل لتوضيح الفكرة عن كيفية رشح شيء من عالم الجبروت لتكوين عالم الملكوت، وهذا الشيء هو الحصّة المادية للموجودات، يمكن تشبيهها بالخشبة فهي المادة الخام لكل الموجودات والحصّة المادية لكل شيء سيُخلق فيمكن ان نضع منها سفينة أو كرسي أو سرير وأشياء أخرى، فكل هذه الاشياء

(١) مريم / ٦٧

(٢) الانسان / ١

(٣) تفسير البرهان/ للبحراني / ج٨ / ص ١٧٥ / ح١.

ووردت أحاديث في نفس المصدر عن نفس الآيات تحمل نفس المعنى بعبارات مختلفة.

عن أبي جعفر عليه السلام عن قوله (لم يكن شيئاً مذكوراً) ، قال (كان شيئاً ولم يكن مذكور) .

عن أبي جعفر عليه السلام قال (كان مذكور في العلم ولم يكن مذكور في الخلق) .

عن أبي جعفر عليه السلام قال (كان شيء مقدراً ولم يكن مكوّناً) .

خرجت من مادة واحدة، لكنها تميزت بالشكل والصورة والمقدار والجهة والحدود والوظيفة وغيرها، فكل شيء كان في هذه الخشبة في البداية (لا مُقدراً لا مُكوّناً) ثم أصبح بعدها لكل شيء (مقدار) ، فمن وجد أصبح مذكوراً، فالإنسان عندما أخذ حصته المادية كان (مُقدراً غير مذكور) ، وبعدها أصبح له شكل وأسم وصورة، فأصبح مذكوراً

وبعد ان اخذ كل شيء حصته المادية أصبح هناك تميز، فمن كبرت حصته كان تركيبه أقوى، فكان الإنسان كرتبة أعلى من بقية الموجودات لان حصته الترابية أكثر على خلاف بقية المخلوقات مثل الملائكة والجن التي غلب عليها الطابع النوري أو الناري لقله حصتها المادية، لذلك فالملائكة ضعيفة الاختيار جداً لعدم وجود الاضداد فيها فغلب عليها طابع العصمة فهي معصومة قهراً وليس اختياراً لعدم وجود المانع لديها، فهي مقهورة بطبيعتها النورية، ولاجله أصبحت هي الروابط بين العوالم وهي المنفذة للأوامر والمديرة لحثيات هذه العوالم لانها لا تخالف أمر خالقها.

أما الجن فمخلوقون من النار وهي أقرب لمعنى الطاقة الكثيفة فحصتهم المادية أكبر من الملائكة وأقل من الإنسان، فهم مختارون كالإنسان ومكلفون ويجري عليهم موضوع الثواب والعقاب ولغلبة الطابع الناري عليهم اكتسبوا التكوين الرقيق.

أما الإنسان فغلب عليه عنصر الكثافة المادية لانه من تراب، فإذا بلغ العصمة بلغها اختياراً وليس قهراً لوجود الاضداد فيه ولغلبة العنصر المادي عليه، ولاجله استحق الإنسان الكامل مرتبة الخلافة والأفضلية على بقية الموجودات، ولا يتم ذلك إلا بهبوط الإنسان إلى عالم الكثافة لكي يتم الاختيار والاختبار ومن ثم التخلص من هذه الكثافة المتمثلة بالجسد.

وعندما رشح عالم الملكوت من عالم الجبروت وأخذت الموجودات حصتها المادية أصبحت الروح متغلغلة في كل شيء لان كل شيء رشح منها، ومن هنا تلازم عمل الروح مع النفس كتلازم المادة مع الطاقة، لكن كمية الطاقة أكبر من المادة في عالم الملكوت وعندما هبطت الموجودات إلى عالم الكثافة، أي بعد ان رشح من عالم الملكوت شيء فظهر عالم المادة كانت كمية المادة هي الغالبة فاتحدت هذه العناصر الثلاثة (الروح النفس الجسم) مكونة الإنسان، لذلك عندما يرحل الإنسان من عالم الكثافة سيُلقي جسده فيه ويعود إلى عالم البرزخ (روح ونفس وجسد مثالي)

مواضيع أخرى لها علاقة بالنفس

، أي ان الروح والنفس ستحل بقلب مثالي من سنخ ذلك العالم الذي حل فيه. ومن هنا أفهم ان رحلة الإنسان الوجودية في سلسلة العوالم لم تبدأ من عالم الجبروت، لانه عالم خاص بالحقائق العلوية فقط فهو عالم العقل والامر والروح لقربه من المبدأ، فرحلة الإنسان بدأت من عالم الملكوت عندما أصبح له حصة وجودية.

ثانياً: العقل

وهو من لوازم النفس وقوة لها، وهو المنظومة التي تسميه الأحاديث (العقل المطبوع) ، لأن النفوس في عالمها الأول (عالم الذر) مُدركة وإلا كيف عُرض عليها الاختيار إذا لم تكن مميزة، وان قولها (بلى) في ذلك العالم دال على وجود العقل، فليس هذا النوع من العقل موضوع خارجي يُضاف للإنسان بعد ولادته، بل هو فيه أصلاً كمنظومة علوية لعوالم سابقة.

أما الذي يُضاف للإنسان بعد ولادته هو الذي تسميه الأحاديث (العقل المسموع) ، وهو موضوع قابل للتطور والانحراف عند تعامله مع المحيط الخارجي، لذلك كان الاختيار في عالم الذر أختيار ذاتي صرف بدون مؤثرات خارجية، لأن الكل قد أجاب إجابة واحدة (بلى) ضمن قانون واحد مودع فيه، لكن التفاضل فيه كان بسرعة الاستجابة على الموضوع (الأول) (ألست بربكم) ، ونوعية الإجابة على الموضوع الثاني والثالث (النبوة والإمامة) ، فيكون تعامل العقل مع المحيط الخارجي بعد الولادة هو ما نسميه (بالفكر)، وما بين العقل المطبوع والمسموع مساحة تشكل المعلومات الأولية (البنية التحتية) وهو على قسمين:

الأول: معلومات تشغيلية لتشغيل كافة الوظائف الفسلجية والبايولوجية (برامج تشغيل) وهو بهذا المقدار موجود عند الإنسان والحيوان.

والثاني: تتفاعل مع النفس والروح في الكمالات العليا لإنتاج (الفكر) ، لذلك لم يكن للبهائم (فكر) لانها أساساً بلا نفس، كما ان بنيتها التحتية تشمل برامج التشغيل فقط (الغريزة) فهي تأكل وتشرب وتتناسل بهذه البرامج.

والعقل بهذا المعنى لدى الإنسان في حالة تصارع مع النفس ونوازعها وشهواتها، لان العقل يتفاعل مع المؤثرات الخارجية التي تضغط عليه باستمرار، فإذا أنتصر

الإنسان بهذا الصراع ارتقى إلى ما هو أفضل من الملائكة، وان فشل ارتكس إلى ما هو أسوأ من البهائم.

عن أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام قال (ان الله ركب في الملائكة عقلاً بلا شهوة وركب في البهائم شهوة بلا عقل وركب في بني آدم كليهما، فمن غلب عقله شهوته فهو خير من الملائكة ومن غلبت شهوته عقله فهو شر من البهائم) ^(١).

ثالثاً: صورة النفس.

هل للنفس صورة كما ان للإنسان صورة؟ على اعتبار ان النفس موضوع مستقل لكل إنسان خلاف الروح التي هي موضوع عام.

وردت لفظة (الصورة) ومشتقاتها في عدة آيات قرآنية، ولم ترتبط مع لفظة النفس مباشرة ولكنها ارتبطت مع هذا الإنسان ككائن ذو أبعاد، قوله تعالى ﴿هو الذي يصوركم في الارحام كيف يشاء﴾ ^(٢)، والمورد واضح جداً كون (الصورة) كموضوع يُضاف إلى هذا الإنسان وهو في رحم أمه، وبالتالي فإن الصورة ناتجة من تفاعل المكونات الوراثية للإنسان وهي حاملة لسمات (الأب الأم الأخوال الأعمام)،

قوله تعالى ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم ثم قلنا للملائكة أسجدوا لآدم﴾ ^(٣)، عن أبي جعفر عليه السلام قوله ﴿ولقد خلقناكم ثم صورناكم﴾ قال (اما ﴿خلقناكم﴾ فنطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظماً ثم لحماً، وأما ﴿صورناكم﴾ فالعين والأنف والأذنين والفم واليدين والرجلين صور هذا ونحوه ثم جعل الدميم والوسيم والجسيم والطويل والقصير وأشباه ذلك) ^(٤).

قوله تعالى ﴿يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم. الذي خلقك فسواك فعدلك. في أي صورة ما شاء ركبك﴾ ^(٥)، الطبرسي: عن الصادق عليه السلام (لو

(١) وسائل الشيعة/ العاملي/ ج١٥/ ص٢٠٩/ ح٢

(٢) ال عمران/٦

(٣) الاعراف/١١

(٤) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٣/ ص١٣٧/ ح٥ تفسير القمي/ ج١/ ص٢٣٠

(٥) الانفطار/ ٦/ ٨.

مواضيع أخرى لها علاقة بالنفس

شاء ركبك على غير هذه الصورة^(١)، والآيات فيها ترتيب واضح فالخلق ثم التسوية ثم التعديل ثم التصوير

هذه الموارد بمجملها تؤكد ان الإنسان يكتسب صورته (شكله) نتيجة فعاليات وتفاعلات مادية تجري على المادة الوراثية فهي المسؤولة أولاً وآخراً عن هذا الأمر، لكن هذه الصورة ستنتبع على النفس بعد أن تحل في الجنين، لان الجنين في مراحلها الأولى هو جسم وروح، أي مظهر من مظاهر الحياة ثم تضاف إليه النفس لاحقاً^(٢).

فالنفس في عالمها الأول الذي أتت منه السابق لهذا العالم المادي الكثيف كانت أصلاً بلا صورة، اي بلا صورة شخصية والا فهي لها صورة نوعية، أي هي (مذوتة) وليست (مُصوّرة)، وترحل عن الدنيا (مُصوّرة ومشخصة)، فهي تأخذ صورتها من عالم المادة الكثيف عالم الدنيا، لذلك ذكر الحديث السابق أنك إذا رأيت نفس المؤمن في ذلك العالم لقلت (هذا فلان)، أي صورته في عالم البرزخ هي نفس صورته في عالم الدنيا.

فالنفس عندما تخرج من الإنسان عند الموت تأخذ معها كافة خلیجات هذا الإنسان وشريط أعماله (الحسنات والسيئات وكافة الاعمال بالصورة والصوت)، ومن جملة ما تأخذه هو صورة هذا الإنسان التي ستطبع عليها مما يؤكد ما قلناه سابقاً ان الإنسان عند رجعتة في الرجعة أو في القيامة سيرجعون (بأعيانهم)^(٣)، أي بنفس الصورة والشخصية، فالصورة طُبعت على النفس وهي أساساً مخزونة في الطينة أو (الجدث) بأعتباره مادة متبقية من مادة الإنسان، فينطبق أحدهما على الآخر عند الرجعة أو القيامة الكبرى.

(١) مجمع البيان / ج ١ / ص ٢٨٧ تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٨ / ص ٢٣٠ / ح ٢
(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام قال (ان لله عز وجل خلق خلائق فإن أراد ان يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه: (منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى) فعجن النطفة بتلك التربة التي يُخلق منها بعد ان أسكنها الرحم أربعين ليلة فإذا تمت له أربعة أشهر قالوا: يارب تخلق ماذا؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر أو أنثى أبيض أو أسود، فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان صغيراً او كبيراً ذكراً أو أنثى، فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة) . (البحار/ ج ٥٧ / ٣٣٧)

(٣) ان بعض المرويات تؤكد رجوع الصالحين بصورة بهية وجميلة، وهي في كل الأحوال صورة نقية ومطورة لصورته الأصلية، والكافرين يعودون بصورة مشوهة فهي صورته الأصلية وعليها آثار أعماله القبيحة، فهي صور المسوخية. ودليل ذلك ان لقمان الحكيم كان عبداً أسوداً وأبو بصير ليث المرادي الذي هو من الأوتاد الأربعة كان أعمى فهم سيرجعون بصورهم البهية الجميلة.

وهذا التصور يفسر لنا حالة ذكرتها الأحاديث عندما سؤل الإمام علي عليه السلام عن الشخص نراه في هذه الدنيا وليس لنا به معرفة سابقة فنحبه، وآخر ليس لنا معرفة به سابقة ونراه للمرة الأولى فنكرهه، ولم يصدر من هذا الشخص ما يدعوا لأن نكرهه ولا ندري ما سبب هذا الشعور^(١).

فأجابهم الإمام عليه السلام بان (الارواح) حُلقت قبل الأجسام بألفي عام فما أئتلف في تلك الفترة أئتلف هنا، وما أئتلف في تلك الفترة (العالم) أئتلف هنا، فانك عندما ترى شخص للمرة الأولى فتحبه أو تكرهه بدون سبب هو نتيجة لذلك اللقاء السابق، فالشعور بقي ثابت لوجود اللقاء لكن الشخص نفسه غير معلوم لديك لأنه في ذلك العالم ليس له (صورة) فلو كانت له صورة لتذكرته، لكنك نسيت الحدث لعدم (التشخيص) في ذلك العالم ولعدم وجود الملامح، فعندما سؤل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى ﴿وَإِذ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾، قالوا له: اننا لا نذكر ذلك الموقف فقال عليه السلام: (ثبتت المعرفة ونسيتم الموقف وسوف تذكرون).

(١) عن الرسول الأكرم عليه السلام (الأرواح جنود مجنودة فما تعارف منها أئتلف وما تناكر منها أختلف). وعن الصادق عليه السلام (ان الله تعالى آخى بين الأرواح في الأظلة قبل ان يخلق الأبدان بألفي عام). بحار الانوار/ المجلسي/ج٥٨/ص ٧٨ ٧٩

الروح والنفس في سلسلة العوالم الطولية

ذكر أصحاب الفلسفة والحكميات ان للإنسان من مبدأه إلى غايته سبع مراتب وجودية، يستجن أحدهما داخل الآخر أستجنان النار في الخشب وأستجنان الطاقة في المادة وهي (العقل الروح النفس الطبائع المادة المثال الجسم) .

ولعلمهم قد استشفوه هذا التقسيم من قول ابي عبد الله عليه السلام (لا يكون شيء في في الأرض ولا في السماء إلا بهذه الخصال السبع، بمشيئة، وإرادة، وقدر، وقضاء، واذن، وكتاب، وأجل فمن زعم انه يقدر على نقض واحدة فقد كفر) ^(١).

والاشياء بصورة عامة حسب حركتها في سلسلة العوالم الطولية توجد في البدء مُجملة ثم يجري عليها التفصيل كلما نزلت رتبة وجودية في تلك العوالم، فاذا كان مبدأ حقيقة الاشياء هو العقل الكلي لقول الرسول الكريم ﷺ (أول ما خلق الله العقل قال له أدبر فادبر قال له أقبل فاقبل) ، ولا نقصد ان ذات الإنسان هي العقل الكلي فالعقل الكلي مظهر من مظاهر الحقيقة المحمدية ﷺ ، لكن نقصد ان لكل إنسان حصة من ذلك العالم حسب استعداده الوجودي، لذلك ورد في الأحاديث (ان العقل له رؤوس بعدد رؤوس الخلائق) ، فتكون تلك الحصة العقلية في أول مبدئها (مجملة) ، فإذا رشح منها شيء لا بد وان يكون مفصلاً لها.

فالروح حسب التسلسل الوجودي رشحت من العقل وهي بحد ذاتها في رتبها مُجملة، لكنها كرتبة أدنى من العقل مفصلةً له شارحة لأحواله وباب له، ثم رشحت النفس من الروح وهي بحد ذاتها في رتبها مُجملة، لكنها كرتبة أدنى من الروح مفصلةً لها وشارحةً لآحوالها وباب لها، وهكذا كل هذه المراتب السبع حسب سلسلة الطول من الأعلى إلى الأدنى، ويمكن ان نستفيد من حديث عن الامام الرضا عليه السلام (وقد علم ذووا الالباب ان الاستدلال على ما هناك لا يكون الا بما هيئنا...) ^(٢)، بمعنى ان كل عالم علوي أو رتبة علوية يمكن الاستدلال عليها بما دونها من العوالم والرتب، ففي كل عالم سفلي مثال لما في العالم الذي أعلى منه

(١) الكافي / الاصول / باب ٤٧ / ح ٣٨٠

(٢) عيون اخبار الرضا عليه السلام / ج ١ / باب ١٢ / ح ١

وهكذا، وهذا الحديث هو أصل معرفي وباب يُفتح منه ألف باب يمكن النظر من خلاله إلى كل فعاليات العوالم وشؤوناتها، فإذا أردت ان تعرف شيء عن العقل أنظر في أحوال المراتب الأدنى منه تجد له مثال، وإذا أردت ان تعرف شيء عن الروح أنظر في أحوال المراتب التي أدنى منها تجد له مثال، وإذا أردت ان تعرف شيء عن النفس أنظر في أحوال المراتب التي هي أدنى منها تجد له مثال، وهكذا فكل مرتبة دنيا شارحة ومفصلة للعليا التي رشحت منها (ما هناك يستدل عليه بما ها هنا) ، وعليه إذا نظرنا في أحوال الجسم عرفنا شيء عن المثال، وإذا نظرنا في المثال عرفنا شيء عن المادة، وإذا نظرنا في المادة عرفنا شيء عن الطباع، وإذا نظرنا في الطباع عرفنا شيء عن النفس، وإذا نظرنا في النفس عرفنا شيء عن الروح، وإذا نظرنا في الروح عرفنا شيء عن العقل، ويمكن تعميم هذا الأمر على عوالم أخرى وكيفيات أخرى ورتب أخرى، فالنطفة بالعلقة والعلقة بالمضغة والمضغة بالعظام، وكذلك النقطة بالألف والألف بالباء والبسملة والبسملة بالحمد والحمد بالقرآن والقرآن ككتاب (تدويني) يُعرف وينطبق على الكتاب (التكويني) الذي هو الوجود بكل مراتبه.

فالنقطة جملة حاوية لكل العلوم لانها المبدأ، لذلك قال أمير المؤمنين عليه السلام: (العلم نقطة كثرتها الجاهلون) ، وقال (انا النقطة) ، فإذا نزلت النقطة مرتبة كان الألف، فاستجنت النقطة بالألف، وإذا نزلت الألف مرتبة ظهرت الباء، فاستجنت النقطة والألف بالباء، فإذا نزلت الباء مرتبة ظهر سرها وهو (بسم الله الرحمن الرحيم) لقول أمير المؤمنين (كل البسملة بالباء) ، والبسملة بدورها رشح منها سورة الحمد، ورشح من سورة الحمد القرآن كله الحاوي لكل الرتب الوجودية، لذلك قال الرسول الكريم ﷺ (ان للقرآن ظهر وبطن وللبطن بطن حتى سبعة أبطن) ، وعليه يكون القرآن حاوي لكل شيء حسب هذا المنطق، لذلك وصف القرآن نفسه بانه (قرآن مبين) ، وقال: ﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾^(١)، وقال ﴿كتاب فصلت آياته﴾^(٢)، وقال ﴿تبيان لكل شيء﴾^(٣)، وقس على ذلك كل الرتب الوجودية وكل العوالم حرفاً بحرف ﴿ما ترى في خلق الرحمن

(١) الزمر/٢٧

(٢) فصلت/٣

(٣) النحل/٨٩

من تفاوت ﴿١﴾.

إذاً فالعقل أستجن في الروح، وكلاهما أستجنا في النفس، (والعقل والروح والنفس) أستجنا في الطبائع والكل في المادة والكل بالمثال والكل بالجسم.

فالنفس في رتبها (جوهر) والجسم بالنسبة لها (عرض)، فإذا نزلت النفس رتبة أستجنت في الجسد الذي هو حالة عرضية، فإذا تخلصت منه ظهرت رتبها الجوهرية باعثة أنوار الروح والعقل منها، ومن هنا نستطيع ان نضع فهم لمسألة لماذا وردت لفظة (الروح) بمعنى (النفس)، ولماذا وردت لفظة (النفس) بمعنى (الروح) في جملة من الأثر الروائي، والتي جعلت كل اللغويين والباحثين يقولو (ان النفس هي الروح والروح هي النفس) فهما مفهومان لموضوع واحد.

والذي اعتقده حسب المنطق الذي ذكرناه ان النفس لا تنفك عن الروح فهي (مركب)، فالروح علّة للنفس والنفس شارحة لأحوال الروح، فإذا نظرت من الخارج فهي وحدة ائتلافية، وإذا نظرت من الداخل فهي مركب ثنائي، فالروح على هذا الأساس (نفس عالية)، والنفس على هذا الأساس (روح متدنية)، والجسد هو (نفس في أدنى مراتبها)، والنفس في البرزخ بين الحالتين تأخذ لمسة من هذا ولمسة من هذا، ففي البرزخ لها جسدها وروحها لذلك قلنا ان الإنسان كذات يدخل لعالم البرزخ مُركّب أيضاً من عدة رتب وجودية بما يجانس ذلك العالم.

والذي يلوح في خاطري القاصر ان معنى قول أمير المؤمنين عليه السلام (ان الله خلق الارواح قبل الابدان بألفي عام فما أئتلف هناك أئتلف هنا وما تخالف هناك تخالف هنا)، ربما القصد من الأرواح هنا حسب ما أفهم هو (النفوس العالية)، لذلك سماها أرواحاً لقرّبها من المبدأ، لان ذات الإنسان التي ستثاب وتُعاقب هي النفس وليس الروح، لان الروح قوة مانحة للحياة ترافق هذا الكائن في كل مراتبه الوجودية.

فتكون ذات الإنسان على الأصل هي (النفس)، وكلما ارتقت حلت بها روح أعلى حسب الاستعداد الوجودي لكل إنسان، فذات الإنسان هي النفس المعبر عنها ب (أنا)، والتي لا تزيد ولا تنقص، وهي الدائمة الباقية في جميع الأطوار والأحوال في الشباب والرجولة والشيخوخة في الصحة والمرض، فتتغير عليها العوارض، لكنها

الروح والنفس في سلسلة العوالم الطولية

تبقى هي هي نفسها وهي التي تُثاب وتُعاقب. أما الروح فهي التي تزيد وتنقص فمرة تتعلق بالنفس خمسة أرواح ومرة أربعة ومرة ثلاثة وهكذا في علاقة ربط متبادلة بين الموضوعين، فالنفس ترتقي وتتسافل نتيجة التعامل مع أنواع الروح، فهي ثنائية لا تنفك إلا انها تتغير حسب الاستعداد، ومن هنا نفهم لماذا تعددت أنواع النفوس أيضاً في القرآن وفي الأحاديث لان لكل إنسان نفس خاصة به تعبر عن ذاته تختلف عن الآخرين، لكن نوع هذه النفس يختلف باختلاف تعاملها مع الارواح الخمسة.

الجسد الجسم البدن

الجسم:

قوله تعالى ﴿وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم﴾^(١).

قوله تعالى ﴿أن الله أصطفاه عليكم وزاده بسطة في العلم والجسم﴾^(٢).

الجسد:

قوله تعالى ﴿وأخذ قوم موسى من بعده من حليهم عجلاً جسداً﴾^(٣).

قوله تعالى ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾^(٤).

قوله تعالى ﴿وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام وما كانوا خالدين﴾^(٥).

قوله تعالى ﴿ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب﴾^(٦).

البدن:

قوله تعالى ﴿اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾^(٧).

يكاد يكون هناك اتفاق عند أهل المعاجم أن (الجسم: هو هيكل فيه روح وحياء وحركة)، وان (الجسد: هو الهيكل الخالي من الحياة)، والجسم عند البعض هو نفس الأبعاد الثلاثة (الطول والعرض والعمق)، أما الجسد فهو ما يتركب منه الشيء، أما البدن عندهم فهو (الجثة العظيمة) لذلك يقال (أمرأة بادن وبدينة)، أي عظيمة البدن وسميت (البدنة) لسمنها ويقال (بدن) إذا سمن وقيل في قوله تعالى ﴿اليوم ننجيك ببدنك﴾ أي بدرعك فقد يسمى البدن درع، وهذا المعنى (أي الدرع)

(١) المنافقون/٤

(٢) البقرة/١٤٧

(٣) الاعراف/١٤٨

(٤) طه/٨٨

(٥) الانبياء/٨

(٦) ص/٣٤

(٧) يونس/٩٢

موجود حتى في الاستخدام الشعبي للفظه البدن، وإذا جمعنا التعاريف الخاصة بالبدن نستطيع ان نقول ان البدن هو (شخص الشيء العظيم القوي) ، فالتعاريف اللغوية تضيف للبدن مواصفات لا تذكرها عند الكلام عن الجسد والجسم منها (القوة الضخامة الخصوصية) .

ومن خلال ملاحظة الموارد القرآنية لهذه المفردات الثلاث نستنتج ما يلي:

الجسد: قرآنياً يرتبط مع الإنسان والحيوان وهو في كل موارد موضوع خالي من الروح، ويطلق أيضاً على الشيء المصنوع (عجلاً) على الهيئة الحيوانية أو الإنسانية.

الجسم: قرآنياً يرتبط فقط بالإنسان من (المؤمنين والكافرين) ، وهي تعني هذه الهيئة الإنسانية ذات الروح والحياة والحركة.

البدن: لا يوجد في القرآن الكريم إلا مورد واحد لهذه المفردة ﴿اليوم ننجيك ببدنك﴾، (بدن بفتح الباء) ، ولها اشتقاقات قرآنية مثل (بُدن) (بضم الباء) ، قوله تعالى ﴿والبُدن جعلناها لكم من شعائر الله﴾^(١) ، ومورد ﴿اليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾، فالقصة تدل على ان فرعون قد غرق فالفروض ان يكون الموضوع الناتج بعد الموت هو (جسد) لخلوه من الحياة، ولو فرضنا أنه نجا، وهو (خلاف الاحاديث) ، فالفروض يكون له (جسم) بأعتبره ذو حياة ولكن هنا سماه بدن.

أما الاحاديث المباركة التي وردت عن آل محمد ﷺ والتي تفسر آية (يونس/٩٢) فهي تذكر مصير فرعون.

عن أبي جعفر عليه السلام (من حديث طويل..... (فاليوم ننجيك ببدنك) قال (ان قوم فرعون ذهبوا أجمعين في البحر فلم ير منهم أحد، هودوا في البحر إلى النار، وأما فرعون فنبذه الله وحده فألقاه بالساحل لينظروا إليه وليعرفوه ليكون لمن خلفه آية ولئلا يشك أحد في هلاكه.....) ^(٢).

عن الإمام الرضا عليه السلام (من حديث طويل..... وقد كان فرعون من قرنه إلى

(١) الحج/٣٦.

(٢) تفسير البرهان/البحراني/ ج٤ / ص ٤٩ / ح ١

الجسد الجسم البدن

قدمه في الحديد وقد لبسه على بدنه، فلما غرق ألقاه الله تعالى على نجوة^(١) من الأرض ببدنه ليكون لمن بعده علامة.....^(٢).

ويمكنك ان تلاحظ ان حديث عودة الاموات (فينبت الله به لحوم وأبدان المؤمنين) استخدم مفردة البدن لوصف أحوال الراجعين ولم يستخدم مفردة (جسم أو جسد) فإما ان يكون موضوع بدن فرعون هو درعة أو لباسه العسكري المصنوع من الحديد، وإما أن يكون فرعون هذا بالذات لديه خصيصة بايولوجية في جسمه تختلف عن بقية الناس، ويمكن ان تلاحظ ان الإرث الفرعوني يؤكد ان الفراعنة هم أنصاف آلهة، ويعتقدون انهم يختلفون عن بقية الناس من حيث العرق، وهذا ربما يؤكد لنا جملة من النصوص وأخبار الحضارات السابقة التي تؤكد على وجود مواليد جاؤا من زيجات لأصناف مختلفة، كما في عملية تجماع الجان مع الإنسان فيكون الناتج حالة وسطية بين الجنسين.

وعليه فأني استشف من خلال النصوص وقرائن اخرى ان المنظومة البايولوجية الناتجة من إعادة هذا الإنسان بعد الموت في الرجعة هي (البدن) وليس (الجسم أو الجسد)، فكلا الفريقين سيرجعون بالأبدان^(٣).

ومن المتوقع ان تكون هذه الابدان شديدة القوة وبجسم أكبر من الحالي تتناسب مع متطلبات المرحلة التي سيرجعون إليها، وهذه الابدان تشابه في حجمها حجم الإنسان في بدء الخليقة، فقد ذكرت المرويات ان الإنسان في عهد آدم ﷺ له هيئة عظيمة لذلك سمى أهل اللغة السمين (بالبدن) لكبر حجمه، وربما لقوة هذه الابدان صرفوها بأتجاه (الدرع)^(٤).

(١) النجوة: المرتفع من الأرض

(٢) تفسير البرهان/البحراني/ ج٤ / ص ٥٠ / ح ٣

(٣) يقول السيد الخميني: (إذا قلنا ان الرجعة تكون بأن تنشى النفوس الطاهرة للراجعين أبداناً ملكية لها كي تحل فيها، فلا ينبغي إنكار ذلك، إذ هو غير مستبعد في حد ذاته، إن لم يكن هو الحقيقة بعينها). المعاد/ ف٥ / جواب على شبهة الرجعة.

(٤) سنشرح في الفصل الخاص (بمناقشة آيات لها علاقة بالرجعة) كيف ان هناك مؤشرات على ان قوم نوح ﷺ تعاملوا مع هذه الابدان، قوله تعالى (والله أنبتكم من الأرض نباتاً)، فتابع. وربما هذه الحالة موجودة في قوم عاد وثمود الذين تصفهم بعض الآيات كونهم جبارين، أو كما يصف قوم عاد كونهم أصحاب خلقة مميزة بقوله تعالى (وزادكم في الخلق بصطة) (الاعراف/٦٩).

عن أبي عبد الله ﷺ قال (إذا زرت أمير المؤمنين ﷺ فاعلم انك زائر عظام آدم وبدن نوح وجسم علي بن أبي طالب).

إذاً يصبح لدينا ثلاثة مظاهر بايولوجية لهيئة الإنسان خلال دورة الحياة والموت كما في الجدول.

جسم دموي لحمي	مثال	مادة	طبائع	نفس	روح	عقل	الإنسان في الحياة
جسم برزخي	مثال	مادة	طبائع	نفس	روح	عقل	الإنسان في البرزخ
بدن	مثال	مادة	طبائع	نفس	روح	عقل	الإنسان في الرجعة

لاحظ ورود الالفاظ (عظام بدن جسم) في الحديث بهذا الشكل لا بد وان يكون مقصود للدلالة على اختلاف كل موضوع عن الآخر، فلكل لفظ معنى خاص به. فقد ورد في الاحاديث ان نوح ﷺ حمل معه في السفينة عظام آدم ﷺ ، ومرويات أخرى تقول ان موسى ﷺ حمل معه عظام يوسف ﷺ عندما خرجوا من مصر وعبروا البحر، ولفظة العظام إذا أخذناها على ظاهرها كما هو المتداول في الاستخدام، فهذا يعني ان لحوم بعض الانبياء تأكلها الأرض، وهذا خلاف الاحاديث التي تؤكد ان الأرض لا تأكل أجساد الانبياء، فيما يقول البعض ان لفظة عظام في هذا الحديث تطلق على عموم الجسم، لانه شائع عند أهل اللغة وقولهم هذا فيه تكلف واضح.

ولكن هناك أحاديث ربما تعطينا تصور معين لفهم هذه الحالات، ففي حديث عبد الله بن سلام اليهودي قال: يا محمد أخبرني عن آدم من أي الأرض خلق؟ قال ﷺ (خلق رأسه ووجهه من موضع الكعبة وخلق بدنه من بيت المقدس) (روضة الواعظين/ص ٤٠٩). وروي عن أمير المؤمنين ﷺ قال (ان الله خلق آدم من تراب مختلف، فخلق رأسه من العراق ويده اليمنى من بيت المقدس ويده اليسرى من فارس وصدرة من بابل ورجله من أرض الهند، لذلك اختلفت صور بني آدم)، وبالجمع بين الحديثين نستنتج ان التراب الداخلى في خلق آدم من مصادر أرضية متعددة، وسنذكر لاحقاً تحليل للشيخ الاحسائي في فقرة (مكان الرجعة) يقول فيه ان نطفة الإنسان في بداية خلقه أمتزجت مع تراب جاءت به الملائكة من نفس المكان الذي سيدفن فيه لاحقاً بعد موته، فإذا مات الإنسان وتحللت أجزائه رجعت هذه التربة إلى نفس المكان، فمن كانت تربته من النجف مثلاً رجعت إلى النجف بواسطة الملائكة النقالة، وهو بهذا التحليل يستند على جملة من المرويات وسنذكرها بالتفصيل لاحقاً. واستناداً لهذا التحليل فان أجساد الانبياء لا تتحلل لانها خلقت من تربة واحدة من مكان واحد وهي راجعة إليه بعد الموت، أما آدم فقد خلق من عدة أنواع من التراب من أماكن مختلفة، لذلك لا بد ان يرجع كل جزء إلى محله، فهو بهذه الحالة يجب ان يتحلل لرجوع كل جزء إلى أصله، فلا يبقى إلا العظام لانها أصل الإنسان، فهو لا يتحول إلى رميم. أما يوسف ﷺ فربما يجري عليه نفس التصور، وليس لدي دليل روائي على نوعية التراب الذي خلق منه كما في روايات خلق آدم، لكن لدينا (إشارة) قرآنية بقوله تعالى (ولقد جائكم يوسف من قبل بالبينات فما زلتم في شك مما جائكم به حتى إذا هلك قلتم لن يبعث الله من بعد رسولا)، والآية تقول ان يوسف ﷺ (هلك)، ولم تقل انه مات، والهلاك كما نفهم من بعض موارد هو (الإنحلال البطيء للشيء عبر الزمن)، فالهلاك أعمق من الموت، فالموت هو تفكك الأجزاء، أما الهلاك فهو إنحلالها البطيء بالتدريج، فالآية بهذا المعنى تؤيد بقاء عظام يوسف ﷺ فقط والله العالم.

عموماً هذه الالفاظ الثلاثة في هذا الحديث لازالت عندي موضع تأمل وخصوصاً لفظة (بدن) التي أفترنت مع نوح ﷺ .

الجسد الجسم البدن

أما في الحشر النهائي يوم القيامة، فالإنسان أيضاً يحشر بواقع عقلائي روحاني نفساني، أي مركب من هذه الماهيات، إلا ان هذه الماهيات تكون أكثر تحقّقاً كلما اتجهت إلى المبدأ، لأنها ستكتسب صفة الخلود الدائم، لذلك قلنا سابقاً ان النفس لا تتفكك لأنها عنصر خالد، فإذا كان الراجعون سيرجعون بالأبدان فسيكون تسلسل هذه الفعاليات البيولوجية كالآتي:

الجسم: وهو هذه المنظومة البيولوجية (صورة وهيئة وشكل وحجم) الممنوحة للإنسان من بدايات أكتماله كجنين في بطن أمه إلى لحظة موته، لوجود الروح والحياة والحركة فيه.

الجسد: وهو هذه المنظومة البيولوجية المتبقية من الإنسان بعد خروج الروح والنفس منه، أي بعد الموت وهو خاضع لتحلل بعوامل الطبيعة^(١).

البدن: وهو هذه المنظومة الاحيائية التي يرجع بها المشمولين بالرجعة من كلا الفريقين.

وعندما نقول عن ابدان الراجعين انها منظومة بيولوجية او احيائية لا نقصد المعنى البيولوجي الحرفي وان كان فيهم، الا انها منظومة احيائية جديدة تتناسب مع الواقع الجديد الذي سيظهر في زمن الرجعة نتيجة الكسر بالموت واعادة الصياغة بالمطررة التي ستحدث وهي التي تسميها الاحاديث (الابدان الزاهرة)، كما ورد في المرويات عن امير المؤمنين عليه السلام (لاخرجنكم من الابدان الكدرة الى الابدان الزاهرة)، وربما هذا الواقع الاحيائي الجديد سيظهر في مراحل متقدمة من الرجعة كما تسمي المرويات بعض الرجعات (الكرة الزاهرة).

وسيتّم إعادة هذا الإنسان من خلال تلك (الطينة الجدث) كما ذكرنا في موضوع

(١) ورد في الزيارة الجامعة (أسمائكم في الاسماء وأجسادكم في الاجساد وأرواحكم في الارواح وأنفسكم في النفوس وآثاركم في الآثار وقبوركم في القبور)، لاحظ انه لم يذكر (البدن) ولا (الجسم)، بل ذكر (الجسد) لانه هنا يخاطب أشخاص موجودين في العالم الآخر، أي بعد موتهم، ولو خاطبهم ويقصد حالهم في الدنيا لقال (جسم)، لذلك عقب بعدها بذكر القبور لأنهم في حالة ما بعد الموت، فهم أحياء عند ربهم يرزقون، وكما أوضحنا سابقاً ان أولياء الله في القبور وليسوا في الاجداث، كما ان العبارة تؤيد كون الإنسان مركب (روح نفس جسم).

عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام (الإمام بشر ملكي وجسد سماوي وأمر الهي وروح قدسي ومقام علي ونور جلي وسر خفي..... فهو ملكي الذات الهي الصفات). بحار الانوار: ج ٢٥ / ص ١٧١.

(القبور والاحداث) من خلال تفاعل هذه الطينة مع الماء النازل من السماء كما ذكره الحديث موضوع البحث (مُطر الناس من جمادي الآخر وعشرة أيام من رجب مطراً لم ترى الخلائق مثله فینبت الله به لحوم المؤمنین وأبدانهم) ، (وسيتم شرح هذه الفقرة بشكل كامل في موضوع آية الرجعة) ، وتتم العملية داخل الأرض كما تمت العملية الأولى داخل الرحم، وهذه الابدان لها خصائص جديدة من حيث القوة والحجم وربما خصائص أخرى وهي التي يقع عليها (الثواب والحساب) في (الرجعة وفي الحساب النهائي) ، فالتى ستُعذب أو تُثاب هي الابدان من المؤمنین والكافرين في الرجعة، وهذا هو التركيب الاحيائي الثاني للإنسان الذي عبر عنه الإمام أبا عبد الله عليه السلام بقوله (هي هي وهي غيرها) .

بسنده عن حفص بن غياث قال: شهدت المسجد الحرام وأبن أبي العوجاء يسأل أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى ﴿كَلِمًا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ﴾، فقال: ما ذنب الغير. فقال عليه السلام: (ويلك هي هي وهي غيرها) ، قال: فمثل لي في ذلك من أمر الدنيا. قال عليه السلام (نعم، أرايت لو ان رجلاً أخذ لبنة فكسرها ثم ردها في ملبنها فهي هي وهي غيرها) ^(١).

قيل لأبي عبد الله عليه السلام كيف تبدل جلودهم غيرها؟ قال (أرايت إذا أخذت لبنة فكسرتها ثم صيرتها تراباً ثم ضربتها في القالب فهي كانت أم غيرها، أما هي ذلك وحدث تغييراً آخر والأصل واحد) ^(٢).

واضح ان الإمام عليه السلام يُشَبِّه عملية الموت (بالكسر) ، فالإنسان مثل تلك اللبنة عندما مات (كُسر) وتحلل إلى عناصر الطبيعة، ثم أعيد مرة أخرى من نفس ترابه، لذلك قال عليه السلام (فكسرتها ثم صيرتها تراباً ثم ضربتها في القالب) ، وهذا هو البدن الناتج من إعادة هذا الإنسان من نفس (طينته) اللبنة.

ومن هذا الحديث المبارك يُمكن ان نستشف معنى آخر (للجسد)، لاحظ ان الامام عليه السلام يُشَبِّه عملية انتاج الانسان مرة اخرى بعد الموت بعملية ضرب تراب اللبنة في القالب، فيكون (القالب) هو الجسد، ومادة الانسان هي الجسم، فاذا انسحقت مادة الجسم البيولوجية وتحللت بعد الموت، فيمكن إعادة انتاج هذا الانسان

(١) الأحتجاج/ للطبرسي/ ج ٢/ احتجاجات الامام الصادق عليه السلام / ح ٢٢٧ / ص ٢٥٦.

(٢) تفسير علي بن ابراهيم/ ص ١٠٢.

الجسد الجسم البدن

لوجود المادة الاصلية الخاصة به وهي الجسد، ومن هنا سمي القرآن عجل بني اسرائيل جسد ﴿فأخرج لهم عجلاً جسداً له خوار﴾، لانه شيء مصنوع اشبه بالقلب، فاذا وضعت في هذا القلب نطفة وبويضة انتجت جسم كما في الولادة العادية، واذا وضعت فيه جسد ومطر السماء كما تقول الاحاديث نتج بدن، فالهيكله العامة واحده كما ان اللبنه بعد كسرهما وتحويلها الى تراب يمكن اعاده انتاجها كلبنة من خلال القلب، فانت اذا اعدت للقلب نفس التراب نتجت لبنة جديدة، ولكن هي هي وهي غيرها، هي هي من حيث مادتها، وهي غيرها من حيث انها لبنة جديدة، اما اذا وضعت مادة اخرى نتجت لبنة لكن من المادة الجديدة فالقلب جسد، اما المضمون فيختلف حسب نوعية المادة الموضوعه في القلب، فاذا وضعت في اي قالب شمع نتج شكل مصنوع من الشمع، واذا وضعت فيه منصهر الحديد نتج شكل مصنوع من الحديد، فالشكل واحد والماهية مختلفة. فالجسد هو المتبقي الوحيد والصامد من مادة الإنسان، وهو مادة عصبية على التفكك ولا تؤثر عليها فعاليات الطبيعة من تعفن وتحلل^(١)، وهذا الجزء (الجسد الطينة) لا يحتوي على المادة الاحيائية والوراثية من هذا الإنسان بعد الموت فقط، بل يحتوي على (شريط أعمال الإنسان) ، أي كل تاريخه السمعي والمرئي (بالصوت والصورة) ، فهو الذاكرة المخزونة لكل أفعاله، وهو يذكرنا بقوله تعالى ﴿مال هذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾^(٣).

فإذا كانت أعمال هذا الإنسان حسنة تم إنتاج (بدن) يتناسب مع نوعية هذه الاعمال، كما لو انك وضعت مادة قوية ونظيفة صافية وراقية في القلب لنتج هيكل قوي ونظيف وصافي وراقي، وبالتالي يكون النعيم هو المترتب على هذه الاعمال كونها أبدان تتجانس مع أعمالها، فهذا البدن هو المؤهل لدخول الجنة (فهو هو) لأنه نفس الإنسان، أي (ذاته) التي عليها مدار الحساب والثواب، (وهو غيرها) لانه (بدن) بمواصفات جديدة من حيث القوة والمميزات وان كان له نفس الصورة، وهذه المميزات بمجموعها تتناسب مع واقع الجنة.

(١) أثبتت العلوم الحديثة ان المادة الوراثية للإنسان مادة عصبية على التفكك.

(٢) الكهف/٤٩

(٣) الجاثية/٢٩

أما بالنسبة للذين كفروا (من محض الكفر محضاً) ، فهم يُعادون بالابدان أيضاً، لكن هذا البدن ناتج من (الجدث الطينة) الحاوية على كل تأثيرات الذنوب والآثام التي عملها هذا الإنسان الكافر فينتج عنه (بدن) مخصص للعذاب بهيئة المسوخية، كما لو انك وضعت في القالب مادة كدرة قذرة شائبة لتنتج هيكل كدر قذر شائب، (فهو هو) لانه نفس الكافر و (هو غيره) لانه بنوعية جديدة حسب واقع ذلك العالم، فكلا الفريقين سيعودون بالابدان، المؤمنون بأبدان قوية وجميلة وبالصورة الآدمية، أما الكافرون فقد ذكرت المرويات انهم سيرجعون بالصورة الحيوانية ولو رأيت أي واحد منهم لقلت (هذا فلان)، فيكون الإنسان على الحقيقة هو الذي اختار جنته وناره ﴿وما ظلمهم الله ولكن أنفسهم يظلمون﴾^(١)، او كما يقول رسول الله ﷺ (ان ما هي اعمالكم تُرد اليكم) .

وعند حضور الوقت الخاص للعمل بقانون الرجعة وفق نظام طبيعي جديد تتم إعادة الروح والنفوس إلى هذه الابدان الناتجة من هذه المطرة، وستعود كل نفس إلى بدنها المجانس لها، لأن النفس بدورها قد أخذت هذه الاعمال معها (شريط الاعمال الموجود أيضاً في الجذث) ، وعلى موجب هذا الشريط تنعمت أو تعذبت في عالم البرزخ، وفي الرجعة ستنطبق كل نفس على بدنها انطباقاً تاماً لأنطباق كل شيء على مثاله، ولا يمكن ان تنطبق على بدن آخر لعدم المجانسة، أي ان لكل بدن (رقم جيني) ولكل نفس (رقم ترددي) ، إذا جاز التعبير، فينطبق هذا الرقم على هذا التردد، وان هذه العملية الجارية على أهل الرجعة هي نفسها للمحشورين في الحشر النهائي، لذلك تجد هناك تطابق في الآليات لكلا الحشرين، ففي الرجعة هناك مطر يستمر لأربعين يوماً، وفي الحشر النهائي أيضاً ذكرت المرويات وجود مطر يستمر لأربعين يوماً، فلكل حشر مطر خاص به.

مع الأخذ بنظر الاعتبار ان الإنسان العادي بدايته على شكل نطفة أنعقدت من المواد الغذائية التي أكلها أبويه، ومن هذا الغذاء يتكون الجسم، وبعد الموت يتحلل (١) آل عمران/١١٧.

يقول الشيخ الاحسائي (إلا ترى انك إذا كسرت خاتمك ذهبت صورته، فإذا صغته عاد الخاتم الأول بصورته بعينه مع ان الصورة الأولى لا تعود وهي معنى قوله تعالى (كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب) ، مع ان الجلود المبدلة هي الأولى وانما سماها غيرها لان صورتها الأولى ذهبت وبذلت صورة أخرى، ولهذا قال الصادق ؑ في الآية (هي هي وهي غيرها) ، ثم مثل باللبنه تكسرها وتردها في قالبها فهي هي وهي غيرها.....) . جوامع الكلم/ج٥/ص٥١٤.

الجسد الجسم البدن

إلى نفس عناصر الطبيعة التي تشارك بدورها في إنتاج أشخاص آخرين، أما بالنسبة للمؤمنين الراجعين فيعاد إنتاج أبدانهم من المطر النازل من السماء الذي تذكر المرويات انه من تحت العرش (فهذا الماء منشأه سماوي وليس أرضي) ، لذلك سيتم إعادتهم من خلال تفاعل مادة الجسد مع هذا الماء الخاص، فتتميز أبدانهم فهي أبدان ذات خصائص ملكوتية لا تشارك العنصر السماوي في إنتاجها.

لذلك تجد ان ابدان الراجعين ممن محض الإيمان محضاً ومن محض الكفر محضاً تتميز بطول العمر، هذا في النعيم وهذا في العذاب، لكن في نهاية زمن الرجعة أي قبل يوم القيامة ستفكك هذه الابدان ولا يبقى منها إلا تلك (الطينة او الجسد) عند النفخة الأولى في الصور ويعود كل شيء إلى أصله، وتبقى الدنيا هكذا أربعمئة عام لا حس ولا محسوس، كما تقول المرويات، ثم ينفخ بالصور للمرة الثانية ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾، فتعود كل الخلائق برها وفاجرها من الأولين والآخرين للحشر النهائي بعد ان تمطر الدنيا لمدة أربعين يوماً أيضاً، فتخرج أبدان جديدة خاصة بالنعيم الأبدي.

وهذه العملية ستكون يوم القيامة الذي فيه سيحشر الباقين الذين لم تشملهم الرجعة من الأولين والآخرين وبنفس الآلية، فمن شملته الرحمة التحق بأصحاب الرجعة، لكن هو حتماً ليس بدرجة بل أوطئ منهم بكثير، وتبدأ رحلة جديدة انطلاقاً من الجنة الأرضية (جنة الدنيا جنة أهل الرجعة) ، إلى الجنة الأخروية التي فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وهي المعبر عنها قرآناً بقوله تعالى ﴿وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض﴾^(١).

(١) (ال عمران/١٣٣).

الاحاديث متظافرة بوجود نوعين من الجنات، الأولى أرضية والأخرى أخروية، وقد صرحت سورة الزمر بوجود الجنة الأرضية، قوله تعالى (وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) (الزمر/٧٤) ، وهذه الجنة الأرضية التي ورثها عباد الله هي نفسها التي ذكرها القرآن الكريم بعنوان (الجنة المدهامتان) ، والتي ذكرها المسيح ﷺ وبشر بها وأسمائها (ملكوت الله على الأرض) ، وهذه الجنة أو الملكوت الأرضي له مميزات سماوية، لذلك عقت الآية بعد آية (الزمر/٧٤) مباشرة بقوله (وترى الملائكة حافين من حول العرش) (الزمر/٧٥) ، فهي جنة أرضية بواقع سماوي يمكن رؤية الملائكة فيه.

وهنا نريد ان نذكر دليل آخر على وجود هاتين الجنة الأرضية والسماوية، وعلى وجود مرحلتين لدخولهما من خلال مركبين لغويين قرآنيين، الأول: مركب (السماء والأرض) . والثاني: مركب (السماوات والأرض) ، وستلاحظ من خلال هذين المركبين ان الآية القرآنية التي أرتبطت بالمركب

أما من محض الكفر محضاً، فهم وحدهم الذين تقع عليهم أهوال يوم القيامة لان الرسول الكريم ﷺ يقول (القيامة لا تقع إلا على شرار الناس) (١).

الأول (السماء والأرض) بصيغة المفرد هي للجنة الأرضية ذات الواقع السماوي الذي ذكرته سورة الزمر، والآية التي أرتبطت بالمركب القرآني (السموات والأرض) بصيغة الجمع هي الجنة الأخروية. قوله تعالى: (سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) (الحديد/٢١) ، قوله تعالى: (وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض) (آل عمران/١٣٣) ، مع ملاحظة اختلاف الافعال (سابقوا) و (سارعوا) وكذلك لفظة (كعرض) و (عرضها) . (١) نورد هنا حديث من طرق العامة وهو يشرح أحداث ما قبل القيامة بعد القضاء على ياجوج وماجوج. عن رسول الله ﷺ قال: (.....) فبينما هم كذلك إذ بعث الله ريح طيبة فتقبض روح كل مؤمن ومسلم ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر فعليهم تقوم الساعة) . صحيح مسلم: ج٨ / ص١٩٧.

اعتراضات محتملة

الإعتراض الأول: الرجعة والإستنساخ.

ربما يقول البعض أنك قد ذكرت ان هناك إمكانية علمية لأستنساخ الإنسان من خلال العلوم السائدة حالياً بواسطة عيّنة من جسده كما شرحت في فقرة الأدلة والقرائن العلمية.

فالسؤال هو: لو أخذنا عينة من إنسان (حي) وتم استنساخه، فهذا معناه انه سيصبح (أثنان)، فهل هذا الثاني هو نفسه الأول بكل تفاصيله، أم ان له (نفس) خاصة به تختلف عن الأول ولكنهما يشتركان بنفس الصورة والهيئة، وبهذا يكون الثاني ليس هو الأول لكون لكل واحد منهما (نفس) خاصة به، فكيف تشبه الرجعة بعملية (الاستنساخ) .

في هذا البحث لم نُشَبِّه الرجعة بالاستنساخ، لان الرجعة عندنا ولادة جديدة من الارض وليست استنساخ، وإذا تصور البعض اننا نُشَبِّه الرجعة بعملية الاستنساخ فهو للتفهم وليس المعنى الحرفي، على الرغم من وجود التشابه في بعض حيثياتها، لانها تجري على عينات من أشخاص ميتين وليسوا أحياء، ولكن في الحقيقة هذا ليس بجواب لأن أصل السؤال لا زال قائماً، وهو: لو أخذت عيّنة من إنسان ميت وتم استنساخه منها، فهل يعود (هو بعينه) ، أي تلتحق به (نفسه) الخاصة به، أم يعود بشكله فقط؟

ان الخلايا الإنسانية تحتوي على الشريط الوراثي الخاص بالإنسان (المكونات الوراثية الجينات) ، وهي المسؤولة عن إنتاج هذا الإنسان ومميزاته كنوع (أي الشكل والهيئة وعدد العيون والأرجل واليدين وهكذا) ، وتحتوي على صفات كل فرد لوحده (كلون العين والشعر والبشرة وغيرها) ، وإذا تم استنساخ هذا الإنسان من هذه الخلايا، سواء كان حي أو ميت، فهو قطعاً إنسان آخر يختلف عن الإنسان الذي أخذت منه العينة، لكن له نفس صفاته البيولوجية كنوع وكفرد (لكنه في كل

الاحوال لن يعيش كما سنوضح) .

أما في الرجعة فلا يتم إعادة هذا الإنسان من أي من هذه الخلايا، بل من (مادة خاصة بكل إنسان) وهي (الجدث الطينة) التي تحتوي أيضاً، بالإضافة إلى الشريط الوراثي للإنسان باعتبارها مادة احيائية، (شريط الاعمال تاريخ الإنسان الذنوب والحسنات فعالياته في الدنيا) ، فإذا أعيد هذا الإنسان من هذه (الطينة) سيعود (هو هو) بنفس المضمون والشكل الخارجي، لذلك نؤكد ما قلناه سابقاً ان الراجعون هم أنفسهم بأعيانهم.

وهذا الاستنتاج سيقودنا إلى جواب مهم جداً، ربما الاشخاص الذين لديهم اهتمام ومعلومات عن علم الاستنساخ يسمعونه لأول مرة، وهو ان عملية الاستنساخ للحيوانات ستنتج، بل نجحت بإنتاج حيوان له حياة مستمرة، أما استنساخ الإنسان فيمكن، لكن سيتم إنتاج هيكل فقط لا تكتب له الحياة إلا بالطبيعة الحيوانية (أي كمظهر من مظاهر الحياة) ، والسبب كما قلنا سابقاً ان الحيوانات لها (روح وجسم) فقط، وليس لها نفوس، فيمكن إعادة إنتاجها من خلال الاستنساخ باعتبارها مظهر من مظاهر الحياة، ولا تتميز لأنها ليس لها نفس، أما الإنسان إذا تم استنساخه فيتم إعادة هيكلة الجسم فقط وفيه مظهر للحياة باعتباره مادة بايولوجية حية، لكن النفس لن تعود إليه لان النفس لها عالمها ولها توقيتاتها، وهي تعود للإنسان من خلال النفخ في الصور، وهذا مما لا يقدر عليه الإنسان مهما بلغ علمه، إلا في حالات التكامل القصوى وهي حالة أحياء الموتى على يد الانبياء والأولياء والصالحين.

فلو أخذنا عيّنة من جثة فرعون، وهي حالياً محفوظة في المتاحف بشكل متماسك، وأجرينها عليها عملية الاستنساخ، فالنتاج هو فرعون بلحمه ودمه، لكن ليس بذاته، لان نفس فرعون في عالم آخر لا تعود إلا بقوانين خاصة لا يمكن ان يعمل بها إلا عباد الله المخولين ممن لهم الولاية التكوينية.

الإعتراض الثاني: إحياء الموتى الرجعة.

إذا كان هؤلاء الراجعين سيعودون بنظام عضوي جديد هو (البدن) ، فهل الحالات السابقة لإحياء الموتى التي ذُكرت في القرآن الكريم تحمل نفس المعنى، أي أنهم عادوا (بالأبدان) ؟

سنثبت لاحقاً في فصل (آيات لها علاقة بالرجعة فتابع) أن حالات إحياء الموتى المذكورة في القرآن الكريم جرت على أناس (لم يدفنوا) ولم يتوغلوا كثيراً في الموت، كما في حالة إحياء الميت بواسطة البقرة، أو إحياء قوم من بني إسرائيل في زمن موسى ﷺ على شكل مجاميع، فبقيت أجسادهم بلا تحلل، فتم إعادة الروح والنفس لأجساد لم تتفكك، فتجدهم عاشوا بعد الموت برزق وتكليف كما هو حال الأحياء، لان الهدف من إحيائهم (ولا نقول إرجاعهم) هو لأثبات أصل إمكانية إحياء الموتى فقط، على خلاف الرجعة التي سيكون الهدف منها (الثواب والعقاب)، فالذين أحياهم الأنبياء والأوصياء تم اعادةهم لنفس النظام الذي كانوا فيه، اما في الرجعة فيتم ارجاعهم لنظام جديد بهيكله جديدة، وستجد لاحقاً في فصل (آيات لها علاقة بالرجعة من هذا البحث) أننا نُفرّق بين العبارتين القرآنيتين الخاصتين بمعاجز المسيح ﷺ .

الأولى: قوله تعالى ﴿واحيي الموتى بأذن الله﴾^(١) التي تخص حالات حصلت في زمن المسيح ﷺ .

والثانية: قوله تعالى ﴿واذ تخرج الموتى بأذني﴾^(٢)، والتي تخص حوادث ستقع في آخر الزمان كما نعتقد، ويمكنك ان تلاحظ ان الآية الأولى تتحدث عن (إحياء للموتى) ، فيما تتحدث الثانية عن (إخراج للموتى) ، فاختلفت صيغة (الأذن الممنوح للاستخدام) ، الأولى (بأذن الله) ، والثانية (بأذني)، فالذين عادوا من الموت من الأمم السابقة لا بد أنهم عادوا بأجسامهم وليس بأبدانهم لأنهم حتماً سيموتون مرة أخرى.

هذا بالنسبة للحالات المذكورة في القرآن الكريم، أما في الأحاديث فأنها تذكر ان هناك من عاد من الموت بعد ان قضى في ذلك العالم آلاف السنين وتحول إلى

(١) ال عمران/٤٩

(٢) المائدة/١١٠

ريميم، ربما هؤلاء لم يتحولوا إلى رميم، بل بقيت أجسادهم كاملة، وان هؤلاء عادوا بالاجسام لان الهدف من إحيائهم، كما قلنا، هو لأثبات أصل الموضوع، هذا إذا لم تكن أجسادهم لم تتحلل أصلاً، لذلك تم إرجاعهم إلى حالة الموت بعد انتفاء الحاجة كما في حالة إحياء سام ابن نوح عليه السلام .

الإعترض الثالث: أبعاد الراجعين.

ربما يقول البعض: كيف عرفت ان هذه الابدان أقوى من الاجسام؟

أحاديث آل محمد عليهم السلام متظافرة بان الراجعين لهم من القوة ما ليس لهم في الحياة الأولى، فقوة الرجل منهم تعادل أربعين رجلاً كما ذكرت المرويات، وان العاهات ستختفي، وقد يقول البعض أيضاً أن هذه الأبدان التي أعيد إنتاجها من (الطينة الجذث) لا بد ان تكون حاوية على كل مواصفات هذا الإنسان الوراثية بأعبارها مادة أحيائية حاوية للمورثات، فإذا كان المشمول بالرجعة ذو عاهة وراثية ثابتة فكيف ستختفي وهي موجودة في أصل تركيبته.

ان توقعاتنا بصدور مثل هذه الاسئلة من القراء الكرام هو الذي دفعنا بالأصل لكتابة فصل كامل نذكر فيه الأدلة والبراهين والقرائن العلمية وخصائص المادة والنظريات والقوانين المتعلقة بالمادة الاحيائية وغير الاحيائية، فهو المدخل الذي نعتمد عليه في الإجابة على هكذا أسئلة، وهناك عدة أمثلة تطبيقية في مختلف العلوم تجيبنا على هكذا تساؤلات وخصوصاً علم (النانو) (وهو العلم الخاص بإعادة بناء المادة وإنتاج أنواع جديدة منها تحمل خصائص أكثر كفاءة)، وسأضرب مثلاً واحداً للتوضيح وهو: ان عنصر الكربون هو المكون الأساس لمادة (قلم الرصاص)، وهو مادة سوداء هشة رخيصة الثمن، لكن نفس ذرات الكربون المكوّنة لهذا القلم لو أعيد ترتيبها لأنتجت (الماس) الذي هو احد مُركّبات الكربون بترتيب بلوري معين للذرات، وكما تلاحظ ان الفرق شاسع بين قلم الرصاص والماس وهو نفسه الفرق بين (الجسم) و (البدن) .

أما حالياً فإن التوقعات العلمية تذهب إلى أكثر من ذلك، خصوصاً بعد الجهود البحثية الجبارة والانفاق المالي الكبير على علم المورثات والعلوم الاحيائية، فهم في الوقت الحاضر يتحدثون عن إمكانية إعادة ترتيب المادة (الاحيائية الخلايا)

اعتراضات محتملة

، فتراهم يتحدثون عن إطالة العمر والقضاء على الشيخوخة ومكافحة الامراض الوراثية، وهذه العناوين بمجموعها تجدها في أحاديث آخر الزمان، التي تؤكد ظهور خصائص بايولوجية جديدة للإنسان والحيوان في دولة العدل الألهي، منها بالنسبة للإنسان طول العمر وكثرة الذرية واختفاء الامراض، وبالنسبة للحيوان هناك انقلاب بايولوجي سلوكي للحيوانات المتوحشة التي ستصبح أليفة، ومن أكلة لحوم إلى أكلة أعشاب، فتجد عبارة تكرر في كل النصوص الدينية التي تتحدث عن دولة آخر الزمان وهي (ان الذئب سيرعى مع الغنم) ، بل ان الاسد سيأكل التبن، والجارية تفري الاسد، والطفل يلعب مع الافعى.

فإعادة إنتاج هذا الإنسان في الرجعة ستكون إعادة هيكلية بايولوجية جديدة خالية من كل عيوب الماضي، لأن المسؤول عن الإنتاج هذه المرة ليس المادة الاحيائية ، بل هناك عنصران أساسيان لإعادته، الأول: أعمال الإنسان المخزونة في الجذث، والثاني: الماء الذي سيلقح هذا الجذث المتبقي، فهو من منشأ سماوي، وهي نفسها الطريقة والخاصية التي يمكن إنتاج (الماس) منها من عنصر كان بالأساس من مكونات (قلم الرصاص) ^(١).

هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار كون الإنسان مخلوق من عناصر بنسب معينة وهي العناصر الاربعة الأصلية للتخليق وهي (الماء التراب الهواء النار) ، والتي تتحول إلى الاخلاط الاربعة أو الطبائع المعروفة عند أهل الطب القديم وهي (المرة الصفراء مقابل النار) و (المرة السوداء مقابل التراب) و (الهواء مقابل الدم) و (الماء مقابل البلغم) ، فالإنسان في أصل خلقته حُلق على أعتدال هذه الطبائع ﴿لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم﴾ ^(٢)، وان اختلاف نسب هذه المكونات كعناصر يؤدي

(١) يقول السيد كاظم الرشتي: (وكذلك الصورة الدنياوية قد لا ترجع في الآخرة، الا ترى ان لقمان كان عبداً أسود أتظن انه يُحشر يوم القيامة أسود الوجه والبدن، وأبو بصير ليث المرادي البخري كان أعمى أتظن انه يُحشر أعمى، والكفار الذين هم في هذه الدنيا ظهروا على الصورة الحسنة أتظن انهم يُحشرون عليها والله سبحانه وتعالى يقول (ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً) ، وتغير الصورة في الآخرة مما لا يستريب عاقل) جواهر الحكم / ١٢ ج / ص ٤٦٥.

ان تغير الصورة في الرجعة لا تعني إلغاء معالم الوجه بالكلية، فالإنسان المؤمن يظهر بالصورة الجميلة والكافر بالصورة القبيحة، لكنه يبقى في ملامح يمكن التعرف عليه أو كما يقول الإمام الصادق عليه السلام: (لو رأيته لقلت هذا فلان) .

(٢) التين / ٤

إلى اختلاف في الطبائع سلباً وإيجاباً، لذلك ورد في الحديث عن الصادقين عليهم السلام (مابعث الله نبياً إلا وهو صاحب مُرَّةٍ سوداء) وهي المرتبطة بعنصر التراب، وقد ورد في الاحاديث أيضاً بما معناه انه (من زادت نسبة التراب فيه زاد عقله) ، لذلك كان الانبياء أصحاب مُرَّةٍ سوداء لزيادة التراب ومن ثم زيادة العقل.

واعتدال هذه الطبائع أو انحرافها مرتبط بأمور عديدة، منها ماهو ذاتي ومنها ما هو خارجي، لكن الثابت من خلال المرويات ومُعطيات العلم ان الإنسان الأول الأقرب عهداً من زمن آدم عليه السلام كانت لديه خصائص بدنية وحواس ومواهب أكثر بكثير مما هو عليه الآن، وان السلوك المنحرف لبني آدم هو الذي أدى إلى انهيار خلقي في تركيبية الإنسان، وحتى انهيار للطبيعة المحيطة به لوجود حالة الربط بين فعل الإنسان وقوانين الطبيعة ان كانت خيراً فخير وان كانت شراً فشر.

واعتقد كما شرحت في مؤلف لي سابق ان اعتدال هذه الطبائع مرتبط أساساً بوضع فلكي خاص بالأرض، وهو اعتدال ولبوث الفلك الذي كان موجوداً في الزمن الاول الاقرب عهداً بآدم عليه السلام ، وان تغير الوضع الفلكي أدى إلى تغير واضح في نسب هذه المكونات وبالتالي اختلاف في الطبائع ، ففقد الإنسان الكثير من خصائصه إلى ان استقر على ما هو عليه الآن.

فإذا ظهر القائم عليه السلام وعاد النظام الفلكي كما كان عليه في بدايات زمن آدم عليه السلام ، واعتدل الفلك، فتصفوا الدنيا وتعتدل الطبائع، وهو ما سيحدث في بدايات زمن الرجعة، وعليه يمكن القول ان هناك الكثير من المرويات التي ذكرت وجود عوالم في أنظمة كوكبية أخرى يعيشون حالة من الاعتدال المزاجي والفكري والطبائعي، كما في احاديث (جابلقا وجابلسا) ، وأحاديث (الأمة العاملة) الذين ألتقى بهم ذي القرنين وغيرها، فهم ولا بد متواجدين في نظام فلكي معتدل، بحركة بطيئة واعتدال للأفلاك.

نظرة في آية قرآنية

قوله تعالى ﴿وقال لهم نبيهم ان الله بعث لكم طالوت ملكاً قالوا أنى يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال قال ان الله اصطفاه عليكم وزاده بسطةً في العلم والجسم والله يؤتي ملكه من يشاء والله واسع عليم﴾^(١).

واضح من خلال هذه الآية المباركة ان ميزة (البسطة في العلم والجسم) هي (زيادة) عن الآخرين لقوله ﴿وزاده﴾، وهي من حيثيات الأصفاء ﴿ان الله اصطفاه عليكم﴾، وكما تقول (قدر قادر قُدرة)، تقول ايضاً (بسط باسط بسطة)، فالبسطة من مشتقات لفظة (بسط)، وهي دالة على الإمتداد في الشيء^(٢) كما في الموارد التالية:

قوله تعالى ﴿والله جعل لكم الأرض بساطاً﴾^(٣)، وقوله تعالى ﴿ولا تبسطها كل البسط﴾^(٤)، وقوله تعالى ﴿والله يقبض ويبسط﴾^(٥).

وكما تلاحظ ان (البسط عكسها القبض)، فالبسط دال على الإمتداد في الشيء، فيكون القبض الدال على الإنكماش في الشيء، فيكون لطالوت (زيادة إمتداد) في العلم والجسم، ولأجله سيكون مميزاً شكلاً ومضموناً عن غيره بشكل واضح، فتميزه من خلال (الجسم) دليل لكل الناس، أما تميزه من جهة العلم فهو (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد).

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى (وزاده بسطة في العلم والجسم)، قال (وكان أعظمهم جسماً وكان شجاعاً وكان أعلمهم)^(٦).

(١) البقرة/٢٤٧

(٢) بسط الشيء نشره وتوسعه..... ويقال بسط الثوب نشره ومنه البساط/الراغب في المفردات.

(٣) نوح/١٩

(٤) الاسراء/٢٩.

(٥) البقرة/٢٤٥.

(٦) تفسير البرهان /هاشم البحراني/ج١/ ص٥١٨ / ح٢.

ووردت هذه الصفة (بسطة) لوصف أحوال قوم (عاد) بما حباهم الله من قوة الاجسام وشدتها، لكنه عز وجل لم يمنحها لهم من جهة (العلم) بل من جهة (الخلق)، قال تعالى ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَصْطَةً﴾^(١).

ومن ملاحظة قصة طالوت وأحواله، وأحوال قوم عاد، نرى ان (البسطة) أرتبطت ايضاً بمواضيع الملك والخلافة ﴿ان الله بعث لكم طالوت ملكاً﴾، وقوله ﴿وَأذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ﴾، وهذه المواضيع وردت مقترنه في أحاديث آل محمد ﷺ مع أحوال الإمام المهدي عجل الله فرجه، فتكون (البسطة في العلم والجسم) من صفات ومختصات الخلفاء والملوك المنصوص عليهم وليس لغيرهم، ومن هنا نفهم حديث رسول الله ﷺ الذي يصف فيه (جسم) الإمام المهدي عجل الله فرجه، عن رسول الله ﷺ (المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي اللون عربي والجسم اسرائيلي.....)^(٢)، والرسول ﷺ لا يريد ان يقول لنا ان جسم الإمام عجل الله فرجه يشبه أجسام بني اسرائيل الموجودين حالياً او في كل زمان، فكلنا قد رأينا اشخاص ينتمون إلى بني اسرائيل أو اليهود ولم نرى في اجسامهم أي خصيصة تميزهم عن الآخرين، بل لهم أجسام مثل بقية الناس، فالقصد هو ان تراجع مميزات (طالوت) التي ذكرها القرآن الكريم وفهم الخصيصة الجسمية والعلمية له، فعبارة (جسمه جسم اسرائيلي) هي إشارة لهذا الأمر، فإذا اردنا ان نعرف المواصفات الجسمية للقائم عجل الله فرجه علينا ان نعرفها من خلال مواصفات طالوت القرآنية، وهذه الميزة ستكون واضحة للإمام المهدي عجل الله فرجه عند ظهوره المبارك، لأنها مميزة (الملوك والخلفاء قرآنياً)، وهي حتماً غير موجودة في أبناء زمن الظهور، وهي في الوقت نفسه دالة مهمة جداً للمنتظرين على تحديد شخص الإمام عجل الله فرجه، لذلك ذكرت جملة من المرويّات ان درع رسول الله ﷺ لا تستوي إلا على جسم الإمام الشريف، وهذه الدرع لها ميزة عجيبة تدل على ان الشخص الذي تستوي عليه جسمه عجب أيضاً، ولا تستوي إلا على جسمه

(١) (الاعراف/٦٩) مع ملاحظة أمر مهم وهو ان مورد (البقرة/٢٤٧) الذي يتحدث عن أحوال طالوت وردت فيه اللفظة (بسطة) (بالسين) حسب الرسم القرآني، أما مورد (الاعراف/٦٩) الذي يصف أحوال قوم عاد وردت فيه اللفظة (بصطة) (بالصاد)، ولا ندري على وجه الدقة ما هو الفرق بين اللفظتين بهذا الرسم فهل هما موضوعان أم موضوع واحد.

(٢) منتخب الاثر/١١٩٨ /٤ الشيخ لطف الله الصافي.

نظرة في آية قرآنية

الشريف، وهذا الأمر هو أيضاً دالة للمنتظرين لمعرفة شخص الإمام عليه السلام ^(١). ولعل صفة الاجسام المميزة هي صفة ملازمة للأبطال الالهيين كما في طالوت والمهدي عليه السلام وحتى لكلكامش بطل الملحمة المعروف، ورد في ملحمة كلكامش/ ترجمة طه باقر (في ذكر تفاصيل بدن كلكامش/ الرقيم الأول/ الحقل الأول) العبارة التالية (لقد صنع الآلهة العظام شكل جلجامش على هيئة فريدة. لقد كان طوله أحد عشر ذراع، وعرض صدره تسعة أشبار، وكان طول..... ثلاثة.....) وتسعة اشبار نحو (١٨٠) سنتمتر حسب هامش الترجمة، ويذكر ايضاً في (الرقيم الأول/ الحقل الثاني) عبارة (ثلاثه أله والثالث الآخر إنسان، وشكل جسمه لا نظير له)، والملحمة ركزت على ذكر تفاصيل جسم كلكامش والمعنى واضح، كون هذا الجسم ليس له مثيل في تلك الأزمنة، ولو كانت هذه التفاصيل سائدة في ذلك الزمان لم يذكرها كاتب الملحمة، ولو كان جسم الإمام المهدي عليه السلام مشابه لأجسام الناس في زمن الظهور لم يذكر الرسول وآل البيت عليهم الصلاة والسلام أحاديث كثيرة في وصف هذا الأمر.

ولابد من التوسع في شرح هذا الموضوع لسبب وهو: ان ظهور الأئمة من آباء الإمام المهدي عليه السلام، من الإمام علي عليه السلام إلى الإمام الحسن العسكري عليه السلام، كان ظهوراً ظاهرياً للناس، أي بما يعرفه الناس ويألفوه من الهيئة البشرية ﴿قل﴾

(١) عن الإمام الصادق عليه السلام (وان قائمنا من لبس درع رسول الله ﷺ فملأها، وقد لبسها أبو جعفر عليه السلام فخطت عليه)، فقلت له: أنت أحم أم أبو جعفر، قال: كان أبو جعفر أحم مني، وقد لبستها أنا وكانت وكانت). بصائر الدرجات/ الصفار/ ج ٤ / ح ٤ وكذلك في النجم الثاقب/ النوري/ ج ١ / الباب الثالث / ص ٣١٧.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لبس أبي درع رسول الله ﷺ ذات الفضول فخطت، ولبست أنا فكان وكان). بصائر الدرجات/ الصفار/ ج ٤ / ح ٤٨.

عن أبي عبد الله عليه السلام (..... ان أبي لبس درع رسول الله ﷺ وكانت تستخب على الأرض، وانا لبستها فكانت وكانت، وانها تكون من القائم كما كانت من رسول الله ﷺ مشمرة وكأنه ترفع نطاقها بحلقتيه وليس صاحب هذا الامر من جاز الاربعةين) (مشمرة: أذبالها مرتفعة عن الأرض). بصائر الدرجات/ الصفار/ ج ٤ ح ٥٥.

قال العلامة المجلسي (ويظهر من الاخبار ان عندهم ﷺ درعين أحدهما علامة الإمامة تستوي على كل إمام، والأخرى علامة القائم ﷺ لا تستوي إلا عليه ﷺ) . بحار الانوار/ ج ٢٦ / ص ٢٠٣. ان موضوع لبس الدرع من قبل الإمام وكثرة الاحاديث تدل على انه ﷺ سيشارك في الحروب بنفسه، وكيف لا وهو أبن حيدرة الكرار مفرق الصفوف الذي لا يكثرث بالألوف.

انما انا بشر مثلكم^(١)، وهذه الصورة هي التي يتحملها الناس ﴿ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون﴾^(٢)، وإلا فهم في الحقيقة لهم صورة مثالية لا يتحملها الخلق لذلك يجب ان (يلبسو عليهم ما يلبسون)، والإمام المهدي عليه السلام حالياً في زمن الغيبة في عالمنا له هذه الصورة البشرية المعروفة، يمشي مع الناس في أسواقهم ويطء فرشهم ويحضر المواسم كما كان أخوة يوسف يروه ولا يعرفونه ﴿فعرّفهم وهم له منكرون﴾^(٣)، والذي يلوح في خاطري القاصر ان الإمام المهدي عليه السلام في بداية ظهوره سيخرج للناس بهذه الهيئة البشرية المعروفة مع حسن المنظر وجمال الملامح، لكنه في مرحلة أخرى (ربما في فترة حكمه الثانية) سينزع هذه الصورة ويظهر بالصورة المثالية لقولهم بالحق (نحن نتقلب في الصور كيف نشاء) ، فيظهر للناس على حقيقته الملكوتية وهي التي تشير إليها جملة من الاحاديث ، كون درع رسول الله لا تستوي إلا على بدنه الشريف، وهي دالة بشكل واضح انه لا يوجد بدن مثل بدنه في فترة ظهوره، لذلك لم تستوي هذه الدرع كما ذكر الحديث على أي أحد من الأئمة لانهم لبسوها وهم في صورتهم البشرية، وهي لا تستوي إلا على بدن من يظهر بالصورة الملكوتية، لذلك قال الرسول الكريم ﷺ عن المهدي (جسمه جسم اسرائيلي) إشارة إلى قوله تعالى ﴿وزاده بسطة في العلم والجسم﴾، وهذه الصورة المثالية ليس لها ظل كما كان رسول الله ﷺ ليس له ظل، لانها على درجة عالية من النقاء والصفاء، فالإمام حالياً مع الناس بالهيئة البشرية لا يراه إلا خواص الناس ومن كان أعلى من هذه المرتبة وفتح الله عيون قلبه وعقله فهو يراه بصورته الملكوتية ويبدو ان الخضر عليه السلام يراه بهذه الهيئة لوجود جملة من الاخبار تفيد ان الملائكة وصالحوا الجن يرونه وكذلك الأبدال.

وبما ان الاحاديث تذكر ان للإمام المهدي فترتين من الحكم فنستطيع القول ان مدة حكمه الأولى البالغة (١٩) سنة سيظهر بها بهيئته البشرية، أما في مدة حكمه الثانية والبالغة (٧) سنوات، والتي تقول عنها الاحاديث ان الفلك سيبيء فتكون كل سنة بطول عشرة سنوات من سنيننا هذه فتكون مدة حكمه سبعين سنة، وهذه الفترة هي فترة تغيرات كبيرة في النظام الطبيعي والفلكي للارض وبدايات

(١) الكهف / ١١٠

(٢) الانعام / ٩٠

(٣) يوسف / ٥٨

نظرة في آية قرآنية

الرجعة التي ستكون فيها أبدان الراجعين أيضا بمواصفات خاصة، وبما ان الإمام عليه السلام يقتل ثم يرجع فيظهر الإمام في هذه الفترة بهيئته الملكوتية المميزة، لان هذه الهيئة الملكوتية لا يتحمل النظر إليها إلا أهل الرجعة في زمن ونظام الرجعة زمن الصفاء والنقاء.

الموت والقتل

واضح من خلال موارد القرآن الكريم ان هناك فرق بين الموت والقتل.

قوله تعالى ﴿فإن مات أو قتل﴾^(١).

قوله تعالى ﴿ولئن متم أو قتلتم﴾^(٢).

قوله تعالى ﴿ما ماتوا وما قتلوا﴾^(٣).

وهناك فرق بين الموت والقتل من قبل الجهة الفاعلة، فالله سبحانه وتعالى يميت المخلوقات، لذلك فهو (المميت) ، وقد نسب إلى نفسه عز وجل فعل القتل كما في قوله تعالى ﴿فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم﴾^(٤)، لكننا لم نجد في اسماء الله الحسنى والمتعارف عليها اسم لله كونه (القاتل) . أما الإنسان فيصح ان نقول عنه (قاتل) ، أما إذا قتل أحد أولياء الله شخصاً أثناء المعركة أو للدفاع عن النفس فهو قد قام بفعل القتل، لكنه ليس بقاتل، لأن أولياء الله (مقاتلون وليسوا قتلة) .

قال تعالى ﴿فهزموهم بأذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك﴾^(٥).

قال تعالى ﴿قال رب أني قتلت منهم نفساً فأخاف ان يقتلون﴾^(٦)، والمورد خاص بموسى ﷺ^(٧).

(١) الاعراف/١٤٤

(٢) آل عمران/١٥٨

(٣) آل عمران/١٥٦

(٤) الانفال/١٧

(٥) البقرة/٢٥١

(٦) القصص/٣٣

(٧) يقول الشيخ الكراجكي في كتاب/ كنز الفوائد/ ج١ / فصل في ذكر الموت والقتل وما بينهما: (اعلم ان الموت غير القتل والذي يدل على انها غيران قول الله عز وجل (فان مات او قتل) ، (ولئن متم أو قتلتم) ، (ما ماتوا وما قتلوا) . وليس يجوز ان يكون التأكيد والتكرير في اللفظين يرجحان معنى واحد، ويدل على ذلك أيضاً العلم بأن الله سبحانه ليس بقاتل لمن مات حتف أنفه. ولو قال قائل في ميت ان الله قتله لأعاب العقلاء عليه. والموت والقتل عرضان وليسوا بجسمين.

وقال الشيخ المفيد: ان القتل متولد عن الاسباب، ومحله محل حياة الاجسام، والموت معنى يصاد حياة والقتل عند جميع أهل العدل من مقدورات العباد والموت لا يقدر عليه أحد إلا الله)

عن زرارة قال: كرهت أن أسأل أبا جعفر عليه السلام فأحتلت مسألة لطيفة لأبلغ بها حاجتي، فقلت أخبرني عن مات أقتل؟ قال: (لا، الموت موت والقتل قتل) . فقلت له: ما أحد يقتل إلا مات: قال: فقال (يا زرارة قول الله أصدق من قولك) ، قد فرق بين الموت والقتل في القرآن فقال ﴿أفان مات أو قتل أنقلبتم على أعقابكم﴾ ، وقال ﴿ولئن متم أو قتلتم لإلى الله تحشرون﴾ ، ليس كما قلت يا زرارة الموت موت والقتل قتل وقد قال الله تعالى: ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يُقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويُقتلون وعداً عليه حقا﴾ ، وقال ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾ قال: ليس من قتل بالسيف كمن مات على فراشه، أن من قتل لا بد ان يرجع إلى الدنيا حتى يذوق الموت ^(١).

عن أبي جعفر عليه السلام انه قرأ هذه الآية ﴿إن الله اشترى من المؤمنين انفسهم واموالهم بأن لهم الجنة﴾ أتدري من يعني؟ قلت: المؤمنون فيقتلون ويُقتلون قال: (لا ولكن من قتل رُد حتى يموت ومن مات رُد حتى يُقتل وتلك القدرة فلا تنكرها) ^(٢).

عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿ولئن قُتلتم في سبيل الله أو متم﴾ ، قال (القتل في سبيل علي وذريته عليهم السلام وليس أحد يؤمن بهذا إلا وله قتلة وميتة، انه من قتل ينشر حتى يموت ومن مات ينشر حتى يقتل) ^(٣).

عن أبي عبد الله قال: في قوله تعالى ﴿يوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ ، قال (ليس أحد من المؤمنين قُتل إلا سيرجع حتى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل) ^(٤).

. أنتهى كلامه.

ويقول السيد كاظم الرشتي (ثم اعلم ان الموت بقول مطلق هو قطع العالي نظره عن السافل فينقطع السافل ويبقى ميتاً لا حراك وذلك القطع لا يكون إلا بعدم إقبال السافل إلى العالي لضعف القابلية وانهدام بنيته) ، ويقول (فاذا عرفت هذا فاعلم ان الموت موتان أقبالي وأدباري، فالأول هو موت الوفاء والفناء، والثاني هو موت الفناء والشقاء، والثاني أمثالي وانفصالي انقطاعي، فالأول هو الرحمة والثاني هو النقمة) . جواهر الحكم / ج ٥ / ص ٦١.

(١) مختصر البصائر/عز الدين الحلبي / باب الكرات وحالاتها (ح ٧/٦١) / ص ٩٢.

(٢) مختصر البصائر/عز الدين الحلبي / باب الكرات وحالاتها (ح ٦/٧٥) / ص ١٠٤.

(٣) الايقاظ من الهجعه/ الحر العاملي / باب ٩ / ح ٩٢ / ص ٢٨٥.

(٤) الايقاظ من الهجعه/ الحر العاملي / باب ٩ / ح ٩٠ / ص ٢٨٤.

الموت والقتل

من ملاحظة الاحاديث التي أوردناها عن الأئمة عليهم السلام أنهم يفرّقون بين الموت والقتل أستناداً إلى واقع قرآني صريح بهذا الأمر، فالموت ليس قتل والقتل ليس موت كما في قوله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾^(١)، (وفي هذه الآية دلالة واضحة على عدم وقوع فعل الموت على الذين (قتلوا في سبيل الله) الذي حدده الإمام عليه السلام في الحديث السابق بأن (القتل في سبيل الله) هو (القتل في سبيل علي وذريته عليهم السلام) ، فهؤلاء ليسوا أموات بل أحياء عند ربهم يرزقون، أما من قُتل في (غير سبيل الله) فهو خارج نطاق هذه الآية قطعاً، فليس كل من قُتل في هذه الدنيا هو حي عند الله، بل فقط من (قُتل في سبيل الله) .

أذن من قُتل في سبيل الله وهم المؤمنون سيعودون لهذه الدنيا ليدوقوا فعل الموت، ومن مات منهم يرجع ليدوق القتل، وبما ان الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام قد وقع عليهم فعل القتل أما بالسيف أو بالسم كما عبر أحد المعصومين عن هذه الحالة بقوله: (ما منا إلا مقتول أو مسموم) ، وبما انه لكل مؤمن ميتة وقتلة، فعليه ستكون رجعتهم سلام الله عليهم حاصلة لجميعهم بدون استثناء، لانهم قتلوا في سبيل الله فلا بد من رجعتهم ليدوقوا فعل الموت الذي لم يجري عليهم لحد الآن، فهم ﴿أحياء عند ربهم يُرزقون﴾، لذلك أكدت الروايات على رجعتهم جميعاً.

نعود إذا للموضوع ونقول: ان الموت قوة وجودية تفكك الموجودات ولا تلغيها بل تفك التراكيب، مما يؤدي إلى دخول هذه الاجزاء المفككة إلى أنظمة أخرى، فليس هناك موت بمعنى إلغاء وتحول إلى عدم، بل هو أمر نسبي ، فهو الانتقال من نظام إلى نظام آخر يرافقه تفكك للاجزاء.

فاذا كان الموت هو (فك التراكيب) ، فالقتل هو (توقف الحركة) ، فعند الموت تفكك نفس الإنسان عن الجسم، والجسد يتحلل إلى عناصر الطبيعة التي تكوّن منها داخل القبر أو خارجه، فلا يبقى منة إلا الطينة التي حُلق منها أول مرة، وسيعاد منه في الرجعة، والنفس تذهب إلى عالم جديد والذي هو بالاصل عالمها بأحداثيات (زمانية ومكانية) جديدة، وهو المعبر عنه بعالم البرزخ، وهو كما نعتقد فضاء موازي لفضائنا أو متداخل معه، وتسطحب النفس معها إلى ذلك العالم كل خلجاتها

(١) آل عمران/١٦٩.

شريط الاعمال الذنوب والحسنات تاريخ الإنسان الموثق بالصوت والصورة) ،
والنفس في هذا العالم تلبس هيئة (جسم) من مادة ذلك العالم الجديد^(١). وهو
جسدها الاصلي المنتمي إلى عالمه.

وهذه المواضيع المرتبطة بالنفس التي هي مدار عمل الإنسان ستتجسد إلى وجودات
في ذلك العالم، ومنه يتم تحديد درجة هذا الإنسان ومصيره إلى الجنة أو النار، لأن
الجنة والنار هما التطور الحتمي لأعمال الإنسان، فهو مُعذب أو مُنعم في ذلك
العالم.

فالموت عبارة عن بوابة فاصلة بين عالمين، فوقته قصير يمتد على فترة الانتقال فقط،
لذلك وصفه رسول الله ﷺ بأنه (قنطرة) ، وعبور هذه القنطرة لا يستلزم وقت
طويل، بل قصير مقارنة بكلا العالمين (الدنيا والبرزخ) ،.

أما المفردات الخاصة بالموت فتختلف باختلاف أبتجاه الحركة بين هاذين العالمان،
فالمتحرك من جهة الدنيا إلى جهة الآخرة عبر هذه البوابة يسمى (خارج من الدنيا)
بالنسبة إلينا أهل الدنيا، بينما أهل الآخرة يقولون عنه (دخل) ، لذلك ورد في
الاحاديث انه عندما يموت الإنسان يقول أهل الدنيا عنه مات. ويقول أهل الآخرة
انه (ولد) ، فهو خارج بالنسبة إلينا وداخل بالنسبة لهم، وعملية الدخول والخروج
هي أفعال وحركات تنسب إلى الباب فقط، وليس للحياة لان كلا الطرفين حياة.
أن هذه العملية لها علاقة بأبتجاه الحركة والشخص الراصد في كلا العالمين، فالذي
عندنا خارج، عندهم داخل والعكس صحيح، فنحن نسميهم موتى بالنسبة إلينا،

(١) الفراعنة يؤمنون بوجود عالم إلى (الغرب) هو (عالم الروح) أو (عالم تروح إليه) الاشياء الهامة
وتجيء منه الشخصيات الهامة، وهذا المكان هو مصدر العبقرية. وورد في (كتاب الموتي) الفرعوني
في الفصل الثاني والثلاثين هذه العبارة (الله العلي القدير جعلني ملكاً على عالم الموتي ذلك العالم
الهادئ الجميل) ، واعتقاد الفراعنة بوجود هذا العالم في الغرب يذكرنا بحديث أبي عبد الله الصادق
ﷺ عندما سُئل عن الفرات فقال ﷺ (ان لله جنة في المغرب وماء فراكتم يخرج منه وإليها تخرج
أرواح المؤمنين من حفرهم كل مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتنعم..... وان لله ناراً في
المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار ويأكلون من زقومها ويشربون من حميمها.....) . الكافي/ج٣ /
ص٢٤٦.

وهذا العالم في هذا الحديث هو عالم البرزخ الذي ذكره رسول الله ﷺ بقوله (إذا مات الإنسان
فقبوره روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار) ، فهذه الروضة موجودة في المغرب والنار في
المشرق، ولعل كاتب النص الفرعوني عندما ذكر جانب (الغرب) ووصفه بأنه جميل وهادئ قد ذكر
لنا الجانب المشرق من هذا العالم ولم يذكر لنا ما موجود في جانبه المظلم.

الموت والقتل

لكنهم في الحقيقة أحياء لأنهم في حياة أخرى، أما فعل الموت وحركة الموت ودور الموت فهو محصور بتجاوز هذه البوابة فقط وما بعدها حياة، أما مصير الجسد فإنه يتحلل إلى عناصر الطبيعة إلا جزء صغير منه سوف يُعاد منه مرة أخرى.

وهنا سنضرب مثلاً من نظام الطبيعة لتوضيح فكرة ان الموت هو (فك التركيب) ، فعملية الموت لا تجري على الإنسان وحده، بل على كل الموجودات، لأنها جزء من النظام، والموت ليس حالة فناء بل تحول من نظام إلى آخر ومن حالة إلى أخرى، فالماء موجود في الطبيعة وهو عبارة عن مادة مُركّبة تتكون من اتحاد غاز الاوكسجين (O) وغاز الهيدروجين (H) بنسب معينة، فكل ذرة واحدة من (O) يتحد مع ذرتين من (H) ليتكون الماء، فإذا اتحد ال (H) مع (O) تكون الماء وعندها يصح ان نقول (ولد الماء) ، وعند تحلل الماء إلى عناصره الأصلية فيصح ان نقول مات الماء لأن تراكيبه قد تفككت.

من هذا المثل الطبيعي يمكن ان نستنتج أمور مهمة:

١- ان الهيدروجين (H) غاز يشتعل والاكسجين (O) غاز يساعد على الاشتعال، لكنهما عندما يتحدان يكونان الماء الذي لا يشتعل ولا يساعد على الاشتعال، وهذا معناه ان عناصر الطبيعة عندما تكون حرة بمفردها تكون لها خصائص فيزيائية وكيميائية تختلف عنها عندما تتحد مع غيرها، بل ربما يكون الناتج له صفة أو خصيصة تعاكس أصل طبيعة العناصر المكونة له، وهذا الأمر يقودنا إلى تساؤل مهم وهو: ان النفس والجسد عندما تكون منفصلة عن بعضها، أي غير متحدة، فلها ماهية وخصائص تختلف عنها وهي في حالة اتصال مع بعضها كما في الإنسان الحي، فكما ان غاز H يفقد خصيصة الاشعال عند اتحاده مع O لتكوين الماء الذي لا يشتعل، فالروح والنفس تفقد بعض خصائصها عند تجمع مركبات الإنسان الثلاثة، أما إذا انفصلت عادت لخصائصها الاصلية كالماء إذا دخل جسم الإنسان أتحد مع مكوناته مكوناً الدم والانزيمات والفضلات وغيرها، وإذا خرج تحلل وعاد كل شيء إلى أصله^(١).

(١) يقول السيد كاظم الرشتي (واما عزرائيل فحيث انه في الطبع بارد يابس طبع الموت والفساد فاذا حضر عزرائيل تفككت الاجزاء وتحللت وفسدت لما فيه من قوة التففت فلم تجد الروح محلاً لايقاً مناسباً فتتصل بمركزها وتلحق باهلها فيقبض عزرائيل الروح بانفصال الاعضاء الموجب اتصالها على النظم الطبيعي الحياة، فعزرائيل يفصل واسرافيل يجذب الحياة إذ لا محل لها، فلا

وهذا المثل يوفر لنا تصور معين لقوله تعالى ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾^(١).

هذه الآية المباركة تصف عالم سابق لهذه النشأة، نشأة الحياة الدنيا التي نحن فيها، وهذا العالم تسميه الاحاديث بعالم الذر، وان الخطاب القرآني في هذه الآية موجه للنفوس، فهي لديها معلومات ومعرفة كبيرة عن هذا العالم، لكنها عندما دخلت إلى الجسد فقدت هذه المعرفة ونسيت، وهو ما يذكره الحديث التالي:

عن ابن مكيان عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في قوله ﴿وَإِذَا أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتَ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ﴾ قلت: مُعَايِنَةٌ كَانَ هَذَا؟ قَالَ: (نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم من أقر بلسانه في الذر ولم يؤمن بقلبه. فقال الله ﴿فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ﴾)^(٢).

إذاً فالنفس لها خصائص عندما كانت لوحدها في عالمها غير متصلة بالجسم، وعند اتصالها بالجسم فقدت هذه الخصائص كما قال الإمام عليه السلام: (نسوا الموقف).

٢- يمكن تشبيه عمل الموت بعمل النظام الطبيعي الذي يفك مُرَكَّبَ الماء، أما عملية تجميع الاجزاء فهي تنسب إلى جهة أخرى مانحة للحياة، فالموت مُفكك الاجزاء وهناك جهة أخرى جامعة للاجزاء، لذلك كانت عملية الرجوع من الموت في الرجعة والقيامة مرتبطة بالنفخ بالصور التي هي من محتصات اسرافيل عليه السلام.

٣- أن للماء ثلاث حالات هي (غاز سائل صلب)، وهذه الحالات ذات طابع مادي متفاوت، فالصلب (ثلج)، والسائل (ماء) أقل منه كثافة، والغاز (بخار) أقلهم كثافة، مما يدفعنا للاعتقاد ان مكونات الإنسان الثلاثة (الروح النفس الجسم) لها أيضاً طابع مادي متفاوت، فالروح ذات طابع مادي خفيف جداً، وأكثرها

يحيا أحد إلا بنفخة الدفع ولا يموت أحد إلا بنفخة الجذب). جواهر الحكم/ ج ١٣ / ص ١٦١.
من كلام السيد الرشتي ان عمل عزرائيل واسرافيل عمل مشترك وذلك لان مبدأ الموت والحياة متقابل، فالأول يفكك والآخر يجمع، والمعنى الحاصل من الكلام يؤيد ما نذهب إليه كون الموت هو فك للتركيب، والحياة هي جمع هذه التركيبي.

(١) الاعراف/ ١٧٢.

(٢) البرهان / للبحراني.

الموت والقتل

النفس، ثم الجسد الذي هو مادة كثيفة جداً كما هو واضح.

٤- ان للماء ثلاث حالات مادية، ولكل حالة لفظ خاص به (الصلبة يقابلها ثلج) ، (السائلة يقابلها ماء) ، (الغازية يقابلها بخار) ، وهنا يبرز لنا تساؤل: ان هناك ألفاظ خاصة بمكونات الإنسان الثلاثة (روح نفس جسد) وهي متحدة مع بعضها، ولها ألفاظ أخرى عند تفككها، فما هو أسم الروح داخل الجسم، وما هو أسمها خارجه، وما هو أسم النفس داخل الجسم، وما هو أسمها خارجه، وما هو أسم الجسم وهذه العناصر فيه، وما هو أسمه عند خروجها منه، دليل ذلك ان هناك (جسد وجسم) وسمي جسماً لان فيه حياة وسمي جسداً لسلب صفة الحياة منه كما قلنا سابقاً؟

ولعل هذا الأمر هو الذي دفع الكثير من الباحثين ان يعطوا للنفس والروح عشرات التعاريف. فالروح أو النفس إذا أتحدت مع بعضها في الإنسان بقي لها نفس اللفظ وهي خارجة عنه وهذا سيؤدي بالضرورة إلى ان خصائصهما خارج الجسم نفسها وهي داخله، وبما ان هذه الخصائص مختلفة قبل وبعد الدخول إلى الجسم فيجب ان يكون لكل واحدة لفظ خاص بها لكل حالة.

أما القتل فصريح القرآن الكريم والاحاديث تؤكد أن له كيفية مختلفة عن الموت العادي. ففي الموت العادي يتم فصل مادة الحياة (الروح) عن الإنسان بأمر إلهي ﴿لكل أجل كتاب﴾^(١)، وهو الموت الناتج عن المرض أو الهرم (الشيخوخة)، أما القتل فهو (توقف الحركة) ، وكما قلنا أن لنا هنا كلام، فالقتل حسب ما نفهم نوعان:

الأول: هو قتل الإنسان لأخيه الإنسان وأسبابه عديدة، وهو يؤدي إلى قطع مصدر الحياة (الروح) ، وبالتالي خروج النفس فتتفكك أجزائه، ويشمل أيضاً المحروق والغريق وحوادث السير وغيرها، وهو كالموت العادي يذهب فيه كل جزء إلى عالمه، وبهذا يكون للقتل من هذا النوع نفس آلية الموت مع فارق واحد وهو ان الموت العادي بكتاب وأجل وهو بعلم الله ورضاه، أما هذا النوع من القتل فهو نتيجة عبث الإنسان فهو بعلم الله ولكن ليس برضاه.

(١) الرعد/٣٨.

الثاني: وهو النوع الذي يهمننا هنا، وهو الذي سماه القرآن (القتل في سبيل الله) وسمته الاحاديث (القتل في سبيل علي وذريته) ^(١).

فهذا القتل هو الذي ينطبق عليه قوله تعالى ﴿ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون﴾ ^(٢)، أن هؤلاء المقتولون في سبيل الله (في سبيل علي وذريته) أحياء عند ربهم يُرزقون.

فالمعنى الأول الذي نستشفه من الآية الكريمة انهم في عالم البرزخ بحياة ورزق، والمعنى الآخر وحسب ما نفهم من هذه الآية ان هذه العناصر الثلاثة (روح نفس جسم) لم تتفكك بطريقة كاملة، لأن الآية تصفهم بأنهم (أحياء) و (يرزقون) ، فلو كان قصد الآية انهم أحياء في العالم الآخر، فلماذا تقول عنهم أحياء، علماً ان الكل في العالم الآخر الموتى والمقتولين لهم صفة الحياة في ذلك العالم، فوصف الآية لهم بأنهم (أحياء يرزقون) يدل على ما يبدو من وجود عملية اتصال من نوع معين لازالت بين هذه الاجزاء الثلاثة تجعلهم ليسوا كألاموات، لذلك قال الأئمة عليهم السلام (الموت موت والقتل قتل) ، فجسم الإمام يبقى حياً، لذلك ترى ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يتقلب في السرير عند الغسل، وكان رأس الإمام الحسين عليه السلام يقرأ القرآن وهو على الرمح، وان هؤلاء المقتولين (في سبيل الله في سبيل علي وذريته) تكون رجعتهم جداً سهلة، بل هم من أول الراجعين لعدم فك هذه التراكيب الثلاثة بصورة كاملة، لذلك ذكرت المرويات أن أول من ينشق القبر عنه هو الحسين بن علي عليه السلام ثم أصحابه المستشهدين معه (المقتولين في سبيل علي وذريته) وأولهم أبو الفضل العباس عليه السلام فهو التطبيق الأمثل بالأستشهاد في سبيل علي وذريته، فهم قُتلوا في سبيل الحسين عليه السلام ، وهم بهذه الحالة لا يحتاجون في رجوعهم إلى مطر نازل من السماء أو غيرها من الحثيات التي ذكرتها الاحاديث لرجوع الموتى، ويؤيد هذا الكلام جملة من المرويات التي تؤكد ان القائم عليه السلام سيرجع أشخاص بالاسم وبأعيانهم كيوشع بن نون وسلمان وأصحاب الكهف وغيرهم ممن ذكرتهم الاحاديث، فهؤلاء ليسوا في حالة تفكك كامل فرجوعهم سهل ولا يحتاج إلى مقدمات طبيعية.

(١) راجع الاحاديث الخاصة بهذا الموضوع في مقدمة هذه الفقرة.

(٢) آل عمران / ١٦٩ - عن امير المؤمنين عليه السلام قال: (أنا حي لا أموت) ، فليل له كيف ذلك قال قوله تعالى: (ولا تحسبن الذين الآية) .

الموت والقتل

وهذا التحليل يخدمنا لفهم لماذا لا تتحلل أجسام الشهداء في قبورهم وتبقى محافظة على هيكليتها (طبعاً نقصد الشهداء في سبيل الله في سبيل علي وذريته) ، وان كان هناك الكثير من الاجساد حُفظت في قبورها لأشخاص لهم عدة انتماءات عقائدية لأسباب طبيعية، كما سنشرح لاحقاً، لان هؤلاء الذين حفظت أجسادهم بعوامل طبيعية أو علمية كما في التحنيط تم حفظ المادة الاحيائية فقط، ولا يشملهم موضوع انهم (احياء عند ربهم يرزقون) ، فهم موتى فعلاً ولكن أجسادهم محفوظة.

وكما ذكرنا في مقدمة هذا الكتاب ان هناك علاقة ترابط سببية بين فعل الإنسان وقوانين الطبيعة وبين أعتقاده وما سيؤول إليه أمره، فالقوانين الحاكمة على عالم المادة والطبيعه تكون تحت سيطرة من يرتقي بالكمال، لذلك ذكرت جملة من المرويات ان هناك نوعيات خاصة من العبادات والسلوكيات لها علاقة بطول العمر والمحافظة على الاجساد بعد الموت، وان القتل في سبيل علي وذريته عليه السلام كعبادة وسلوك وموقف له حتماً مظهراً يوازيه وقانون يشملهم ويفعله، فتكون إحدى بركات ونتائج القتل في سبيل علي وذريته هو عدم تحلل هذه الأجساد، وهذا ما صرحت به الروايات وجملة من الوقائع التاريخية^(١).

ومن هنا نفهم لماذا أصطحب الحسين عليه السلام معه لأرض كربلاء حتى الأطفال والرضع، لانه يعلم انهم لا ينالون هذه المراتب إلا من خلال القتل في سبيل علي وذريته، وهذا الأمر يخص كل من قُتل مع الحسين عليه السلام فهم أول الراجعين، ويشمل هذا الأمر كل من قُتل في سبيل علي عليه السلام وذريته على امتداد الزمن.

فيكون لهذا الصنف من الشهداء آلية للرجعة تختلف عن آلية غيرهم، فأجسادهم كاملة ولها علاقة غير مقطوعة مع الروح والنفس، فتكون عملية اتحاد هذه المركبات عند الوقت المحدد سريعة وسهلة، أما الآخرين من المؤمنين المشمولين بالرجعة، ومن تفككت أجزاءهم بالموت العادي أو القتل، فلهم آلية أخرى للرجوع حددها

(١) يقول الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي في جوامع الكلم: (الموت أصعب من القتل والذبج أبلغ في هدم البنية) .

والذي أومن به ان أجسام الأنمة عليهم السلام بعد الموت تبقى في كمال الإدراك الشعوري، لانهم في أصل خلقتهم يختلفون عن الناس، وكذلك محياهم ومماتهم، كما ورد في مرويات كثيرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما غسله الإمام علي عليه السلام كان جسده الشريف يتقلب بدون الحاجة إلى من يقلبه، وكذلك الحال مع الإمام علي عليه السلام ، وكذلك الحال مع الحسين عليه السلام عندما تكلم رأسه الشريف في أكثر من مكان بعد عملية القتل

الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام والذي ذكرناه في مقدمة البحث والذي سنشرحه بشكل كامل في فقرة خاصة.

عن الإمام الصادق عليه السلام (.....) وإذا آن قيامه مُطر الناس جمادي الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم يرى الخلائق مثله فینبت الله به لحوم المؤمنین وأبدانهم في قبورهم فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفذون شعورهم (من التراب....).

وربما يقول البعض إذا مات أحد المؤمنین في الدنيا فهو لا بد أن يقتل مع القائم عليه السلام ، ومن قتل هنا مات مع القائم عليه السلام ، فيكون بهذا المعنى أن الميت في الدنيا إذا رجع سيقتل مع القائم، وبالتالي فإن له رجعتان الأولى هي رجعته بعد الموت، والثانية رجعته بعد القتل مع القائم عليه السلام فكيف تفسر ذلك؟

الجواب على شكل نقطتين:

١- ربما يكون لما حظ الإيمان أكثر من كرة وأكثر من رجعة كما في الحديث عن الإمام الرضا عليه السلام (من حسن في الدين أدبه حسن في الكرات والرجعات منقلبه) ^(١)، فهي كرات ورجعات.

٢- الأحاديث تذكر صراحة انه من مات على الانتظار كان كالمقتول في سبيل الله، وبالتالي فكل المحاضين للإيمان بهذا المعنى مقتولين ويرجعون مع القائم عليه السلام ، ثم يموتون في نهاية الرجعة بالنفخ الأصغر، ثم يبعثون للبعث النهائي. عملية الخلق:

لفظة الخلق كمفهوم تنطوي على معاني كثيرة، قال ابي عبد الله عليه السلام (إنا لتكلم بالكلمة بها سبعون وجهاً لنا من كلها المخرج) ^(٢)، ونحن لا نستطيع في كل الأحوال الإمام بكل المعاني المتعلقة بكل لفظ، لكننا نحوم حول معاني معينة، وقد دارت على موضوع الخلق ولفظة الخلق رُحى الكلام في كل الاتجاهات الفكرية والفلسفية والدينية، والذي استشفه من التدبر أنها قد تشير إلى أحد المعاني التالية: وليست عملية الخلق كما فهمها البعض من أنها إيجاد شيء من العدم، بل الخلق

(١) كتاب المائدة / الخصيبي / ب / ٤ / ص ٤٤

(٢) بصائر الدرجات / الصفار / ج ٧ / باب ٩ / ح ٤٤

الموت والقتل

هو عملية تحول المادة من شكل إلى آخر، ولا نريد هنا ان نتحدث عن (أول شيء خلقه الله) والتي تسميها الاحاديث بالمشيئة، فلهذا الموضوع مبحث فلسفي خاص خارج نطاق موضوعنا، لكننا ناقش هنا عملية الخلق الناتجة من تحول شيء إلى شيء آخر، من ماهية إلى ماهية أخرى ذات شكل وصورة .

قوله تعالى ﴿أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير﴾^(١).

قال تعالى ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذي﴾^(٢).

قال تعالى ﴿خلق من تراب ثم قال له كن فيكون﴾^(٣).

قال تعالى ﴿إنا خلقنا الإنسان من نطفة امشاج نبتليه﴾^(٤).

قال تعالى ﴿إنا خلقناكم من طين لازب﴾^(٥).

قال تعالى: ﴿كلا إنا خلقناهم مما يعلمون﴾^(٦).

قال تعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين﴾^(٧).

قال تعالى ﴿خلق الإنسان من صلصال كالفخار﴾^(٨).

قال تعالى ﴿وخلق الجن من مارج من نار﴾^(٩).

قال تعالى ﴿والجان خلقناه من قبل من نار السموم﴾^(١٠).

قال تعالى ﴿والله خلق كل دابة من ماء﴾^(١١).

(١) آل عمران/٤٩

(٢) المائدة/١١٠

(٣) آل عمران/٥٩

(٤) الإنسان/٢

(٥) الصافات/١١

(٦) المعارج/٣٩

(٧) السجدة/٧

(٨) الرحمن/١٤

(٩) الرحمن/٩

(١٠) الحجر/٧٢

(١١) النور/٤٥.

وكما تلاحظ من خلال الموارد أعلاه وموارد أخرى كثيرة في القرآن الكريم، ان عملية الخلق هي تحويل شيء إلى شيء آخر، فمرة التراب يتحول إلى إنسان، ومرة الطين ومرة النطفة، ومرة النار يتحول إلى جان، ويدخل عنصر الماء كقاسم مشترك في خلق كل دابة، أما عملية النفخ فهي إضافة طابع الحياة وهو (الروح) إلى هذا المخلوق.

ومن الملاحظ أيضاً من خلال الآيات والاحاديث ان عصا موسى عليه السلام قد تحولت إلى أفعى على يد موسى عليه السلام ، والطين تحول إلى طير على يد المسيح عليه السلام ، والصورة تحولت إلى أسد على يد أئمة الهدى عليهم السلام ^(١)، فهذه العمليات تم تحويل مادة إلى نوع خاص من الموجودات ذات حياة وهي (أفعى طير أسد) وهي مجموعها تنتسب إلى صنف الحيوانات. وعملية الخلق التي ذُكرت في القرآن الكريم حددها أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام ضمن مستويات كما في الحديث التالي:

سُئِلَ أمير المؤمنين عليه السلام عن مشابه الخلق فقال عليه السلام (هو على ثلاثة أوجه ورابع: فمنه خلق الاختراع فقلوه سبحانه ﴿يَخْلُقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(٢)، وأما خلق الاستحالة فقلوه تعالى ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظِلْمَاتٍ ثَلَاثٍ﴾^(٣) وقوله ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفٍ ثُمَّ مِنْ عِلْقَةٍ ثُمَّ مِنْ مَضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ لِنَبِّئِكُمْ مِنْ نَقَرٍ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ﴾^(٤)، وأما خلق التقدير فقلوه لعيسى عليه السلام ﴿وَإِذْ خَلَقْنَا مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ

(١) عن علي بن يقطين، قال: استدعى الرشيد رجلاً يبطل به أمر أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام ويقطعه ويخجله في المجلس، فأنتدب إليه رجل معزم، فلما حضرت المائدة عمل ناموساً على الخبز، فكان كلما أراد خادم أبي الحسن عليه السلام ان يتناول رغيفاً من الخبز طار من بين يديه، فأستفز هارون الفرح والضحك لذلك، فلم يلبث أبو الحسن عليه السلام ان رفع رأسه إلى أسد مصور على بعض الستور فقال له: (يا أسد الله خذ عدو الله) قال: فوثبت تلك الصورة كأعظم ما يكون من السباع فأفترست ذلك المعزم، فخر هارون وندماؤه على وجوههم مغشياً عليهم، وطارت عقولهم خوفاً من هول ما رأوه، فلما أفاقوا قال هارون: يا أبا الحسن عليه السلام أسألك بحقي عليك لما سألت هذه الصورة ان ترد الرجل، قال: (ان كانت عصا موسى ردت ما أبتلعت من حبال القوم وعصبيهم فأن هذه الصورة ترد ما أبتلعت من هذا الرجل) ، فكان ذلك أعمل الاشياء في أفاته نفسه.

(٢) الاعراف / ٥٤

(٣) الزمر / ٦

(٤) الحج / ٥

الموت والقتل

الطير^(١)، وأما خلق التغيير فقوله تعالى ﴿وَأَمْرُهُمْ فليغيرن خلق الله﴾^(٢) (٣).
وسنحاول ان نتابع فقرات هذا الحديث المبارك حسب ترتيبها.

المستوى الأول:

وهو الذي تحدث عنه امير المؤمنين عليه السلام في هذا الحديث أسماه بـ (خلق الاختراع) ، وحسب الاحاديث ان أول خلق خلقه الله ليس له مثل سابق في الوجود، فهو خلق (اختراع)، وهو الذي تسميه الاحاديث بالمشيئة التي خلقها الله بنفسها، عن أبي عبد الله عليه السلام (خلق الله الأشياء بالمشيئة وخلق المشيئة بنفسها)^(٤).

أما هنا سماه الإمام علي عليه السلام بخلق الاختراع وأستشهد بقوله تعالى ﴿خلق السماوات والأرض في ستة ايام﴾، فهذه السماوات والأرض مخلوقة من هذا النور الأول وليس لها مثل سابق، فهي خلق اختراع، لكن لو حُلقت سماوات وارض أخرى غيرها، فهذه الثانية (غيرها) لا تكون خلق اختراع، بل تكون خلق تكرر، لانه يوجد مثل سابق لها، لذلك كانت الانوار الأولى التي أشتقت من النور الأول وهي أنوار المعصومين عليهم السلام هي خلق اختراع لانهم ليس لهم مثل سابق ولا يوجد لهم مثل لاحق، وهذه الصفة تجعلهم قادرين على ايجاد الاشياء من خلاهم، فخلق الاختراع هو الوجود الذي حُلِق وأوجد من خلال النور الأول والانوار الأولى وليس له مثل سابق مثل السماوات والأرض والجنة والملائكة والعرش والكرسي، وينطبق على هذا المستوى من الخلق احد التعاريف السابقة التي ذكرناها في بداية هذه الفقرة وهي ان الخلق على هذا المستوى هو (إيجاد شيء لم يوجد سابقاً) .

عن الرسول الاكرم صلى الله عليه وآله وسلم قال (ان الله خلقتني وخلق علياً وفاطمة والحسن والحسين حين لا سماء مبنية، ولا أرض مدحية، ولا ظلمة ولا نور، ولا شمس ولا قمر، ولا جنة ولا نار) . فقال العباس: كيف كان بدء خلقكم يا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؟ فقال: (يا عم لما أراد الله أن يخلقنا تكلم بكلمة خلق منها نوراً ثم تكلم بكلمة أخرى فخلق منها روحاً ثم مزج النور بالروح فخلقني وخلق علياً وفاطمة والحسن

(١) المائدة / ١١٠

(٢) النساء / ١١٩

(٣) تفسير النعماني / بحار الانوار/الجليلي/ ج ٩٠ / ص ١٧

(٤) اصول الكافي/ كتاب التوحيد/ باب ٣٦ / ح ٣٠٠

والحسين، فكنا نسبحه حين لا تسبيح، ونقدسه حين لا تقديس، فلما أراد الله تعالى أن ينشئ خلقه فتق نوري فخلق منه العرش فالعرش من نوري ونوري من نور الله ونوري أفضل من العرش. ثم فتق نور أخي علي فخلق منه الملائكة، فالملائكة من نور علي ونور الله وعلي أفضل من الملائكة، ثم فتق نور أبنتي فخلق منه السماوات والأرض، فالسماوات والأرض من نور أبنتي فاطمة، ونور أبنتي فاطمة من نور الله، وأبنتي فاطمة أفضل من السماوات والأرض. ثم فتق نور ولدي الحسن فخلق منه الشمس والقمر، فالشمس والقمر من نور ولدي الحسن، ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر. ثم فتق نور ولدي الحسين، فخلق منه الجنة والحدود العين فالجنة والحدود العين من نور ولدي الحسين، ونور ولدي الحسين من نور الله، وولدي الحسين أفضل من الجنة والحدود العين^(١).

إذاً فكل شيء حُلق من هذا النور الأول هو خلق اختراع، وهي قدرة ممنوحة لهم من الله عزّ وجلّ لهم خاصة، لا يشاركونهم فيه أحد، ولكن ليس على نحو الاستقلال.

إذا كانت عملية إيجاد الأشياء وخلقها من خلال (الأنوار الأولى)، محمد وآل بيته صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين هي عملية خلق اختراع، فماذا نسمي عملية خلق محمد وآل بيته صلوات الله عليهم؟ ان كلا العمليتين هي خلق (اختراع)، لكن عملية خلق الأنوار الأولى، محمد وآل بيته صلوات الله عليهم هي عملية اختراع منسوبة إلى الله، فهم الابداع الحقيقي للإله، أما عملية خلق الاختراع الخاصة بالموجودات الأخرى فهي موجودة من خلال النبي وآله صلوات الله عليهم، فالعمليتان مختلفتان بـ (الموجد) لهما، الأولى منسوبة إلى الله والثانية موجودة من خلال ما أوجده الله مباشرة منه، فهم مخلوقات بالاصالة وكل شيء دونهم مخلوق بالتبعية، لكن ليس على نحو الاستقلال كما قلنا، فالرسول الاعظم وآل بيته صلوات الله وسلامه عليهم اجمعين وكل الخلق بحاجة إلى الله، فهو الغني ونحن الفقراء والفقير بحاجة دوماً لله عزّ وجلّ^(٢).

(١) بحار الأنوار: ١٥ / ١١٠٠ باب خلق النبي/ ح ١١.

(٢) هناك تعريف رائع للإمام والخلق ورد في أحد مؤلفات الشيخ الاحسائي يخدمنا في فهم هذا المعنى، يقول الشيخ الاحسائي: (الإمام هو محل فعل الله والخلق هم آثار الفعل).

الموت والقتل

لذلك عندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن قوله تعالى ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾^(١)، قال: (نحن هم)، وعن أبي عبد الله عليه السلام عن قوله عزّ وجلّ: (وَمَنْ خَلَقْنَا). قال (هم الأئمة)^(٢)، لاحظ ان الآية تقول ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا﴾، أي ان الله ينسب فعل خلق هؤلاء إلى نفسه، فهؤلاء هم خلق الاختراع، خلق أولي من الله، فكانت عملية خلقهم عليهم السلام ليس لها مثيل في كل المخلوقات الأخرى وذلك لشرافتها ونسبتها إلى الله، فالنور المحمدي عليه السلام هو المشيئة التي (خلقها الله بنفسها) كما ذكرت الاحاديث، إذ لا يمكن ان تكون هناك علاقة ربط بين الذات القديمة مع الاشياء، وإلا كانت الذات حادثة، وقد تظافت الكثير من الأحاديث حول هذا المعنى لوصف هذه النقطة بالذات، قال رسول الله عليه السلام (انا من الله والخلق مني)^(٣)، وعن امير المؤمنين عليه السلام قوله (إنا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا)^(٤).

المستوى الثاني:

وهو الذي ذكره الحديث بعبارة (خلق الاستحالة)، وهو تحويل شيء إلى شيء آخر كما أستشهد الإمام عليه السلام بقوله تعالى ﴿يَخْلُقْكُمْ فِي بطون امهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث﴾، وقوله تعالى ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة﴾، فهذه العملية هي تحويل النطف إلى كائن حي من خلال الإنسان نفسه، فالإنسان خلق من أب وأم ويصدق على أبويه أن يكونا هما الذين خلقاه لوجود قابلية التناسل والتكاثر لديهما، وهذه هي عملية (خلق الاستحالة)، أي انه شيء يستحيل إلى شيء آخر (يتحول بالتدريج)، وهذه تشمل كل المخلوقات (الإنسان والجن الحيوانات)، فمنهم يتكون أمثالهم، فهي عملية ليست منسوبة إلى الله مباشرة، بل أودعها الله في مخلوقاته، فهي بحكم هذه القوانين المودعة فيها، تحوّل الاشياء إلى أشياء أخرى بقدرته سبحانه الموجودة فيها، وهذه العملية واضحة وتجري في الطبيعة بكل مرافقها، قوله تعالى ﴿خلق الإنسان من صلصال

(١) الاعراف/ ١٨١

(٢) تفسير البرهان/ للبحراني.

(٣) مشارق انوار اليقين/ الحافظ رجب البرسي، مستدرک سفينة البحار للنمازي (انا من الله والكل

مني)

(٤) نهج البلاغة

كالفخار^(١)، وقوله ﴿إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نَظْفَةٍ﴾^(٢)، وقوله ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ﴾^(٣)، وينطبق على هذا المستوى من الخلق أحد التعاريف التي ذكرناها منها (انتقال المادة من حالة اللاتعيين إلى حالة التشخص)، أو (التحول من الحالة المبهمة إلى الحالة الواضحة).

المستوى الثالث:

هو الذي ذكره الحديث بعبارة (خلق التقدير)، وأستشهد عليه الإمام علي عليه السلام بقوله تعالى ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأُذُنِي﴾، وهو إعطاء الصلاحية (الاذن) لأحد الانبياء أو الأولياء في تحويل (المادة) من شكل إلى آخر من أشكال الوجود والحياة، أو هو تحويل نوع من الحياة وماهيتها إلى نوع آخر، مثل تحويل الحياة الجامدة إلى حياة متحركة، كتحويل الطين على يد المسيح عليه السلام إلى طير، وتحويل عصا موسى عليه السلام إلى أفعى، وتحويل الصور على يد الأئمة عليهم السلام إلى أسد، وهذه العملية تتم وتبرز إلى الوجود بصورة دفعية (فجأة) لم نعرفها سابقاً، فهي تصوّر بصور مختلفة حسب الحاجة، وهي ليست خرقاً للقانون، بل صورة أخرى للقانون لا نعرف آليتها، وهذه الصلاحيات والاذونات لا تعطى إلا للأنبياء والأولياء وممن هم على مستوى عالي من القرب والاصطفاء، نتيجة تكاملهم فتصبح الموجودات طوع أمرهم.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (ان لله عز وجل خلق خلقين، فإن أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه ﴿مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نَعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى﴾، فعجن النطفة بتلك التربة التي يُخلق منها بعد ان أسكنها الرحم أربعين ليلة فإذا تمت له أربعة أشهر قالوا: يارب تخلق ماذا ؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر أو أنثى أبيض أو أسود، فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى، فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة)^(٤).

(١) الرحمن/١٤

(٢) الانسان / ٢

(٣) الرحمن/٩

(٤) بحار الانوار / ج ٥٧ / ص ٣٣٧.

الموت والقتل

قال صاحب البحار (خلاقين: أي ملائكة خلاقين، والخلق هنا بمعنى التقدير لا الإيجاد)، وينطبق على هذا المستوى من الخلق أحد التعاريف السابقة وهو (ظهور الحركة على الشيء) .

المستوى الرابع:

وهو الذي سماه الحديث (خلق التغيير)، قوله تعالى ﴿ان الله لا يغفر ان يُشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يُشرك بالله فقد ضلّ ظلالاً بعيداً. ان يدعون من دونه إلا اناثاً وان يدعون إلا شيطاناً مريداً. لعنه الله وقال لا تأخذن من عبادك نصيباً مفروضاً. ولا ضلنهم ولأمنينهم ولأمرنهم فليؤتكن اذان الانعام ولامرنهم فليغيرن خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً﴾^(١).

وحسب سياق الآيات فان مسألة تغيير الخلق ممكنة من قبل قوى الشر، وهي الهدف الذي يسعى إليه ابليس أو الشيطان في قوله تعالى ﴿لأمرنهم فليغيرن خلق الله﴾، لان الهدف هو تغيير (خلق الله) حسب ما أفهم هو حرف المخلوق عن الغاية التي تُخلق من أجلها، فالإنسان بطبيعة خلقه وعناصر مادته قابل للتغيير تكاملاً أو تسافلاً، وهو الذي ينطبق عليه أحد التعاريف السابقة وهو الخلق بمعنى (إعادة ترتيب المادة) .

فمشروع ابليس منذ البداية هو (تغيير خلق الله) ، محولاً إياهم إلى أشكال مريضة من الحياة، وهذا المشروع الابليسي وضع بالاساس مقابل مشروع الأولياء، وهي الغاية التي يسير باتجاهها التكامل الإنساني وهو مشروع ﴿اني جاعل في الأرض خليفة﴾^(٢)، فهما مشروعان يمثلان خطان متوازيان يسيران منذ بدء الخليقة حتى نهاية الاحداث، فابليس والشيطان كما نفهمهم هم عبارة عن (قوى وجودية نافذة في الاشياء) تحاول ان تُغيّر هذه الهيئات الأدمية إلى مستويات دنيا من الحلقة لكي تضمن ان سير البشرية كفعل جمعي عاجزة عن الارتقاء بنوعها إلى ما هو أفضل، مما يمنح قوى الشر وقت إضافي لاطالة عمره.

ومن هنا نستطيع ان نضع جواب للشبهة التي نادى بها الزنادقة لاثبات تناقض

(١) النساء/ ١١٦ ١١٩

(٢) البقرة/ ٣٠

القرآن عندهم، فهم يبدؤن كلامهم بسؤال وهو: هل ان الله خالق كل شيء؟ ستقول: نعم. فيقولون: هل ان الله خلق كل شيء حسن؟ ستقول: نعم لقوله تعالى ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾^(١)، فيقولون لك: ما هو وجه (الحسن) في الحشرات والهوام وهي قبيحة المنظر كريهة الرائحة؟

ان الكثير من هذه الشبهات منشأها هو حمل المعنى على الظاهر، والجواب يمكن من خلال فهم القانونية القرآنية لعملية الخلق، فكانت الإجابات ضعيفة كونها ناقشت الأمر كلامياً على الظاهر، ولم تأخذ من الناحية القانونية لأن القرآن عندهم (كلام) وليس (قانون)، فالنص بهذا الشكل ومن الناحية القانونية القرآنية يشير إلى ان كل شيء خلقه الله حسن ﴿الذي أحسن كل شيء خلقه﴾، إذاً فكل شيء قبيح هو فعل (تغيير) لجهة أخرى لا تلتزم بأوامر الله واضع القوانين، ولكن هل تستطيع جهه أخرى من ان تخلق؟ الجواب: نعم لسببين:

الأول: قوله تعالى ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^(٢)، فهي دالة بشكل واضح على وجود عدة (خالقين)، والله جل وعلا (أحسنهم)، كما ان هناك عدة رازقين والله ﴿خير الرازقين﴾.

الثاني: ان عملية الخلق من الناحية القانونية القرآنية ليست (إيجاد شيء من العدم)، فالخلق بهذا المعنى لا يقدر عليه إلا الله لذلك فهو ﴿أحسن الخالقين﴾، فالخلق هو تحويل المادة الاصلية للخلق إلى ماهية ذات شكل وصورة وحياة، وشواهد في القرآن كثيرة منها ما ذكرنا سابقاً.

ولكن هل لقوى الشر بهذا المعنى قابلية على الخلق الجواب: كلا. لقوله تعالى ﴿واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يُخلقون﴾^(٣)، ولقوله ﴿ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له﴾^(٤)، إذاً كيف تستطيع قوى الشر ان تؤثر إذا لم تكن لها القابلية على الخلق؟ الجواب: انها لا تخلق ولكنها (تُغيّر) ﴿فليغيروا خلق الله﴾، أو كما قلنا (إعادة ترتيب المادة).

(١) السجدة / ٧

(٢) المؤمنون / ١٤

(٣) الفرقان / ٣

(٤) الحج / ٧٣

الموت والقتل

فعملية التكاثر والولادة هي تحول النطفة بالتدريج إلى كائن كامل من خلال القوانين المودعة في مادته النطفة، فإذا كانت عملية الجماع وإنتاج النطفة تجري وفق سلوكيات شرعية منضبطة حسب أوامر الله من ناحية الممارسة ونوع الطعام والوقت والكيفية، نتج كائن إنساني مؤهل للتكامل، وإذا كانت هذه الممارسة خلاف إرادة واضع القانون كان الناتج (شرك شيطان) ، والشراكة هنا تعني وجود طرف آخر شارك الإنسان في هذه العملية لقوله تعالى ﴿وشاركهم في الاموال والأولاد﴾^(١).

عن أبي بصير قال: قال أبو عبد الله عليه السلام (يا أبا محمد أي شيء يقول الرجل منكم إذا دخلت عليه أمرته؟) قلت: جعلت فداك أيستطيع الرجل ان يقول شيء؟ قال (ألا أعلمك ما تقول). قلت: بلى. قال: تقول (بكلمات الله استحللت فرجها وفي أمان الله أخذتها، اللهم ان قضيت لي في رحمها شيئاً فأجعله باراً تقياً وأجعله مسلماً سويماً ولا تجعل فيه شرك للشيطان). قلت: وبأي شيء يُعرف ذلك؟ قال: (أما تقراء كتاب الله عز وجل ثم أبتدأ هو ﴿وشاركهم في الاموال والأولاد﴾، فان الشيطان يجيء حتى يقعد من المرأة كما يقعد الرجل منها ويحدث كما يحدث الرجل وينكح كما ينكح)، قلت: بأي شيء يُعرف؟ (قال بحبنا وبغضنا فمن أحبنا كان من نطفة العبد، ومن أبغضنا كان من نطفة الشيطان)^(٢)

إذاً فالتغيير الذي يحدثه الشيطان في عملية الخلق هذه (الجماع) ناتجة من مشاركته الفعلية، فالحديث يؤكد انه يجمع وله نطفة، والذي نفهمه من هذه الكيفية ومن خلال قرائن أخرى ان نطفة الإنسان مادة كثيفة ككثافة جسم الإنسان، أما نطفة الشيطان فهي من نفس جنس مادته، وبما ان مادة الشيطان من النار فنطفته كما نتوقع نمط من أنماط (الطاقة الاحيائية) ، تتفاعل مع مكونات النطفة الإنسانية، وهذه النطفة الشيطانية تحمل أيضاً خصائص وشكل وأمكانيات الشيطان، كما ان نطفة الإنسان تحمل خصائص وشكل وأمكانيات الإنسان، فعند أمتزاج كلا النطفتين يكون الناتج شرك شيطان، وان الدور الذي يقوم به الشيطان في هذه العملية هو زرع (فايروس) يعمل باتجاه رغبات مشروع الشيطان، وهذه الطاقة

(١) الاسراء/٦٤

(٢) تفسير البرها/ البحراني/ ج٤ / ص ٥٧٧ / ح ٣

الاحيائية إذا أردنا ان نشبهها فهي تؤثر كما يؤثر الاشعاع الذري على الإنسان، أو كما تؤثر الاشعاعات على تشويه الجنين داخل الرحم وشواهدة كثيرة، وان هذا الناتج المشترك بين الإنسان والشيطان يكون مؤهلاً من خلال تتابع الاجيال بان يتحول إلى مسخ، والذي هو نتائج لعبث الإنسان بمشاركة الشيطان على مادة الخلق الاصلية فتحدث عملية (تغيير خلق الله) (١).

ويمكن ان نوضح أمر آخر يؤكد ان هناك عملية تغيير للخلق لاسباب أخرى يوضحها الحديث التالي.

عن عمار بن عاصم عن أبي عبد الله عليه السلام: (..... فقلنا اخبرنا عن الحية والعقرب والخنفس وما أشبه ذلك، فقال عليه السلام (أما تقرأ كتاب الله؟) قال: قلت: وما كل كتاب الله أعرف. فقال: أما تقرأ ﴿افلهم يهد لهم كم اهلكنا قبلهم من القرون يمشون في مساكنهم﴾ (٢)؟ قال: فقال: (هم أولئك أخرجوا من النار فقليل لهم كونوا نشأاً). (٣)

فقصد الآية ان الذين أهلكوا من القرون السابقة يمشون في مساكن المخاطبين قرآنيًا، أي نحن، لقوله: (الم يروا) ، فلفظة يمشون عائدة على القرون فهم يمشون في مساكننا، لذلك قال (مساكنهم) ، أي مساكن المخاطبين، فارجوا الانتباه لذلك، والحديث واضح ان هؤلاء تحولوا في النار إلى هيئة الحشرات والهوام.

فالنار ذات الطاقات العالية في جهنم هي التي تحول الإنسان عندما يدخل إليها إلى الهيئة الحيوانية، ومن ثم إلى هيئة الهوام، والذي يؤكد معنى الحديث جملة من المرويات التي وردت عن الرسول الاكرم عليه السلام في وصف ما رآه في رحلة الاسراء والمعراج عندما نظر إلى جهنم فرأى بعض الناس على شكل خنازير وقردة وعقارب وحيات واشكال غريبة، فعملية التعذيب في النار هي عملية إنقلاب في الصورة إلى هيئات متسافلة جداً، أي (إعادة ترتيب المادة) ، لذلك ورد في الدعاء (اللهم لا تشوه خلقي في النار)، والحديث بهذا المعنى يعطينا تصور معين عن منشأ الحشرات، فهو

(١) لقد ناقشنا هذا الموضوع بشكل مفصل في مؤلف لنا بعنوان (المزايلة) فراجع.

(٢) طه / ١٢٨

(٣) الاصول الستة / عدد من المحدثين / ص ٩٢ وورد مثله في مستدرک الوسائل / الميرزا النوري / ح ١٦٩ / ص ١٦٩.

الموت والقتل

واضح الدلالة كون الحشرات ليست خلق مباشر وليس لها أصل مستقل، بل هي نتاج لأنتكاس الاجناس العالية من الأمم السابقة (طبعاً الأمم التي سبقت التجربة الآدمية) كما يقول الحديث (ان قبل ادمكم الف الف ادم) ، فمن يدخل إلى النار يضل في حالة انتكاس حُلقي من هيئته الاصلية إلى الهيئة الحيوانية، وكلما زاد عذابه تحول إلى هيئة الحشرات، ويخرج من النار على هذه الهيئة، فيكون العذاب داخل النار ليس ألم فقط، بل هو ألم من نوع خاص لم نألفه لان اهل النار سيرون كيف يتم تحويلهم من هيئتهم الآدمية إلى هيئة الحشرات، وهو عذاب ما بعده عذاب. هذا فيما لو قُدر لهذا المخلوق ان يخرج من النار، أما اذا كان من الخالدين فيها فسوف ينتكس إلى مرتبة الجماد ويصبح من وقود جهنم كما وصفهم عز وجل بقوله ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾^(١)، وقوله ﴿انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم﴾^(٢).

وهذه الحالة لها مصاديق في العلوم التجريبية، إذ يمكن تحويل عنصر إلى آخر، مثل تحويل البلاتين إلى ذهب، وشواهد كثيرة لمن له معرفة بعناصر الجدول الدوري، وهذا التحول في ماهية العنصر من عنصر إلى آخر تحتاج إلى طاقة عالية، وهذا الأمر ممكن ان يحصل داخل المفاعلات الذرية لطاقتها العالية، وان عملية تحول الإنسان إلى حيوان أو حشرات أو حجارة داخل النار هو بسبب الطاقة العالية، فهي الوحيدة المؤهلة ان تفكك المادة الوراثية لهذا الإنسان وتعيد ترتيبها محولةً إياه إلى أشكال وهيئات أخرى، لذلك ترى، وكما ذكرنا سابقاً، ان الرسول الكريم ﷺ في رحلة الاسراء والمعراج عندما رأى النار لاحظ ان جملة ممن يعذب فيها على هيئة القردة والخنازير والكلاب، وكذلك على هيئة الحشرات كالعقارب وغيرها، عليه تكون هذه الحشرات والهوام والمسوخ التي ظهرت والتي ستظهر في الزمن القادم هي ليست خلق مباشر من الله، بل هي (نتائج) جهات أخرى تتلاعب بالمادة الاصلية للتخليق.

إذاً يمكن تعريف المستويات الأربعة للخلق الواردة في الحديث المبارك للإمام علي عليه السلام موضوع البحث على الشكل التالي:

(١) البقرة/٢٤

(٢) الانبياء/٩٨

الأول: خلق الإختراع: وهو الخلق الأول الذي ينسبه الله إلى نفسه، وهو النور الأول للرسول الأكرم ﷺ وآل بيته عليهم السلام، وان ما يصدر عنهم تصح عليه هذه التسمية لأنها عملية ليس لها مثل سابق فهي أختراع.

الثاني: خلق الإستحالة: وهي عملية تحويل شيء إلى شيء آخر، وهي عملية تدريجية للوصول إلى مظهر كامل من مظاهر الحياة، وباب البحث مفتوح على مصراعيه في هذا النوع لانه يشمل الحيز الأكبر من قوانين الطبيعة والحياة، ويشمل كافة الموجودات العاقلة وذات الحياة كالإنسان والنبات والحيوان....

الثالث: خلق التقدير: وهو عملية تحويل شيء إلى شيء آخر بصورة دفعية فجائية لظهور مظهر من مظاهر الحياة، وهي ليست خرقاً للقانون، بل هي صورة غير مألوفة للقانون.

الرابع: هو عملية التغيير الحاصلة من تدخل جهات أخرى نتيجة العبث بالقوانين من أجل حرف موضوع الخلق عن غايته الاصلية.

ومن خلال هذا الكلام المطول عن عملية الخلق وأنواعه، نريد ان نقول ان الرجعة هي خلق استحالة لأنها تتم بالتدرج وفق آليات خاصة.

وهنا لا بد ان نوضح أمراً قد أشرنا إليه مجملاً وهو: أننا لا نقصد بالخلق الذي أسند أو جرى لغير الله ان يكون هذا (الخالق) فاعلاً بدون الله وان كان بأمره، بل لا مدخلية لأحد في خلق العالم إلا الله، وليس لله شريك في هذا الأمر ولا غيره من الأمور، أي لا يمكن للأنبياء والأولياء أن يكون لهم استقلال في الإحداث والإيجاد، لكن الله سبحانه وتعالى يجّل عن مباشرة الاشياء بنفسه، فالله واضع القوانين هو سبحانه يأمر والعباد ينفذون، فأن الله سبحانه قادر على ما يشاء بما يشاء لأنه سبحانه ألبى أن يجري الأشياء إلا بأسبابها، كما خلق النبات بالمطر والإنسان من النطفة وهكذا، أي انه قادر على خلق هذه الأشياء مباشرة، لكنه جعل لها أسباباً، فإذا أراد الله أن يميت شخصاً وهو طبعاً قادر على أن يأخذ روحه مباشرةً، لكنه جعل لهذا الأمر سبباً، فخلق عزرائيل عليه السلام للقيام بهذه المهمة، وهو أيضاً له أتباع يتبعونه، فالأمر من الله والتنفيذ من قبل ملك الموت بأذن الله وأمره، ولنضرب مثلاً للتوضيح أكثر فأن أحد الملوك لو أراد ان يبني قصرًا فإنه لا يياشر هذا العمل

الموت والقتل

بنفسه، لكنه يختار ويجهز مجموعة من المهندسين البارعين المطيعين لتنفيذ هذا الأمر، وهؤلاء المهندسين بدورهم يوفرون ويختارون العمال البارعين لهذا العمل، وهؤلاء بدورهم يوفرون أدوات العمل ولوازمه، وهكذا حسب سلسلة الوظائف والأدوات في أي عمل، فلكل واحد من هؤلاء دوره في العمل، فلو أراد الملك مثلاً أن يقوم بأعمال البناء بيديه، فهذا الأمر قد يكون في البداية من وجهة نظر العمال والمهندسين هو تواضع من قبل الملك، لكن لو أستمر الملك بالقيام بعمل العامل من جلب الطوب والصخر والحديد للعمل يوماً فأن هذا سيحط من قدر الملك بلا شك وسيُنظر إليه العمال وكأنه واحدٌ منهم لأنه تخلى عن دوره وأخذ دورهم، فتسقط عنه صفة المملوكية، وكذلك الله سبحانه فإنه لا يباشر الاعمال بنفسه، لكن أعد لهذا الكون مخلوقات عالية الرقي لتديره وفق أوامره، فالملك يأمر والعباد ينفذون بحكم الصلاحية والقدرة التي أودعها فيهم، لذلك جعل الله سبحانه وتعالى عزرائيل سبباً للموت، وميكائيل سبباً للخلق، واسرافيل سبباً للرزق، وجبرائيل سبباً للحياة عليه السلام اجمعين، مع ان الله قادر ان يوجد هذه المسببات بدون تلك الاسباب كما ورد في الدعاء (يامسبب الاسباب من غير سبب) ، فمن قال ان عزرائيل عليه السلام حين يقبض الارواح له شراكة مع الله أو بأستقلال دون الله أو بتفويض الأمر إليه، فهذه الوجوه الثلاثة باطلة، بل العمل بأمر الله وبقدرته.

من هذا الطرح نفهم كيف يكون هناك عدة خالقين كما صرح القرآن الكريم (تبارك الله أحسن الخالقين) ، ومن هذا الباب نفهم مدخلية الأئمة عليهم السلام في هذا الأمر، فإن الله سبحانه لما جعل العالم عالم الاسباب وأجرى الأشياء بأسبابها، خلق الرسول الاكرم محمد عليه السلام وجعله السبب الاعظم لوجود هذا العالم، عن أبي عبد الله عليه السلام قال (ان الله خلقنا فأحسن صورنا وجعلنا عينه في عبادته ولسانه الناطق الذي يدل عليه وخزانه في سمائه وارضه بنا اثمرت الاشجار واينعت الثمار وجرت الانهار وبنا ينزل غيث السماء) ^(١) ، وبالجملة فهم عليهم السلام محال مشيئة الله والسبب الأعظم في إيجاد خلق الله ومدخليتهم في خلق العالم مدخلية تسبب لا مشاركة ولا أستقلال ولا تفويض، لأن الله يجري الاشياء بأسبابها، وهم صلوات الله عليهم السبب المتصل بين الأرض والسماء.

(١) بحار الانوار.

فعملية الخلق اذا نسبتها الى الله عزّ وجلّ تكون بمعنى الاختراع والأبداع، أما عملية الخلق في مقام الربوبية التي تمنح لبعض الجهات فهي من قبيل الإعداد، أي تحويل شيء إلى شيء آخر، ومن هنا نفهم مدخلية الأئمة عليهم السلام في الخلق، أو كما قلنا في مقدمة البحث عن تعريف الشيخ الاحسائي بقوله: (الإمام محل فعل الله والخلق هم آثار الفعل)، فكل من أخلص لله وأطاعه، صار محلاً لظهور فعل الله وأمره، فيجري الله فعله على يديه مثل الحديد المحماة على النار، فالفعل كل الفعل للنار والحديد صارت تفعل فعل النار لكونها صارت محلاً لظهور النار، كما ان الكاتب إذا كتب بالقلم تظهر الكتابة من القلم، ولا مانع من ان تنسب الكتابة للقلم، ومع هذا فالقلم ليس شريك الكاتب في الكتابة، ولا وكيلاً عنه، وانما تنسب إليه الكتابة لكونه سبباً لها، وكذلك الإمام أو الولي صار محل فعل الله، وان فعل الله وأمره ظهر منه، فالفعل لله ظهر على يد وليه، فلا شراكة انما **﴿عباد مكرمون لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون﴾**^(١)، وكل الافعال التي تصدر من الإمام تجري على هذا النهج، لان الله سبحانه وتعالى يجلب ان يفعل الشيء بذاته، ولو فعل ذلك بذاته، لكان حادثاً مخلوقاً فهو يفعل بالاسباب، وأعظم تلك الاسباب هم محمد وآله صلوات الله عليهم أجمعين.

عالم البرزخ

قوله تعالى ﴿ومن ورائهم برزخ إلى يوم يبعثون﴾^(١)، إن أصل وجود عالم كامل وحياة كاملة تسمى بعالم البرزخ هو حكمة إلهية أقتضت وجود عالم وسطي بين حياة الدنيا وحياة الآخرة، لأن الطفرة غير موجودة في تسلسل العوالم الطولية كما يقول الفلاسفة، والسبب في ذلك أن الحشر الأكبر لم يتحقق بعد، فالحياة الدنيا لازالت مستمرة ومازال فيها أحياء وسيولد أناس آخريين في المستقبل، فإذا مات الإنسان وتفككت أجزائه ذهبت نفسه إلى عالم مجانس لها تكون فيه أما معذبة أو منعمة، وهي في كل الأحوال في حالة أنتظار، أما ان تعود للدنيا من خلال الرجعة أو الحشر النهائي للخلائق أجمعين، وبهذا المعنى يكون عالم البرزخ هو حافظة أو مخزن لهذه النفوس لحين استدعائها للعودة إلى أبدانها.

والحياة البرزخية حياة كاملة كما افهم من جملة الآيات والاحاديث، فهو عالم متعدد الحيشيات والمراتب لكننا لا نراه، فعالمنا عالم كثيف بفعل مادة الجسم، والذي يتبعه بالضرورة ضيق في افق الحواس لدينا، فلا ندرك ولا نرى ولا نحس بذلك العالم على الرغم من قربه منّا في الزمان والمكان، لكن النفس عندما تخرج من الجسم ستراه وتعيه لأنها من نفس مادته الرقيقة والشفافة، فتظهر عند الموت الحواس البرزخية للنفس التي هي أشد قوة وأكثر قابلية في الإدراك والتمييز مما يجعل النفس في ذلك العالم تمتلك صفات لا نفهمها حالياً، فهي تأكل وتشرب وتتعمق وتتعب حسب مقومات ذلك العالم المجانس لمادتها.

والبرزخ على هذا النحو ليس الحاجز الفاصل بين عالمين كما يفصل الخط بين الظل والشمس، بل هو عالم وحياة كاملة بين عالمين وحياتين، وبهذا يكون له امتداد واسع يشغل فيه مساحة زمنية هي نفس المساحة الزمنية التي تشغلها الحياة الدنيا، ولا يختلط عالم الدنيا مع عالم الآخرة لوجود هذا العالم الفاصل بينهما، قال تعالى ﴿مرج البحرين يلتقيان. بينهما برزخ لا يبغيان﴾^(٢)، إذ لربما يكون المعنى الذي

(١) المؤمنون/١٠٠

(٢) الرحمن/١٩، ٢٠

نتكلم عنه هو من مصاديق هذه الآية المباركة.

فالبرزخ هو منطقة ناتجة من اختلاط وقتين مختلفين كلياً، او عالمين مختلفين كلياً، وهو ليس الحد الفاصل بين طرفي الموضوع بمعنى (الحد) كما هو الحال بوجود (حد) فاصل بين الشمس والظل، بل هو (منطقة مختلطة بين منطقتين) تشغل مساحة معينة من الوقت، أما الموضوع الذي يفصل بين فضائين بدون اختلاط طرفي الموضوع فهو (الحاجز) كما في قوله تعالى ﴿وجعل بين البحرين حاجزا﴾^(١).

ومن خلال مراجعت الأعمال الفكرية والفلسفية المتعلقة بأحوال المعاد الذي هو من الأصول الإعتقادية عند المسلمين، تجد ان جملة من كتب في هذا الموضوع قد استخدموا أدوات فلسفية وكلامية في فهم وشرح حيثيات المعاد وكافة فروعها، ومنها عالم البرزخ، وقد أسهبوا في ذكر تفاصيل هذا العالم وخصائصه لأنه مما أجمعت عليه كلمة علماء الأمة إلا ما ندر منهم، فبقيت الرؤية الخاصة بعالم البرزخ محصورة وفق هذه الأدوات والطرائق.

وفي هذا البحث سننظر إلى هذا العالم من خلال منظار آخر وبأدوات أخرى، لعنا نرسم صورة تُقرب للقارئ الكريم المعنى وقد تعطيه افق جديد للتصور والتمعن بحيثيات هذا العالم كما نفهم وكما نتصور، فيمكن النظر لعالم البرزخ من خلال مفاهيم فيزيائية، على اعتبار ان الدنيا والبرزخ والجسم والنفس لها خصائص مادية متفاوتة في الكثافة والرقّة، وبالتالي يمكن معرفة شيء من خصائص كل عالم إذا عرفنا نوع المادة المتحركة فيه، كما اننا نعرف الكثير من خصائص عالمنا وأجسامنا من خلال معرفتنا بخصائص المادة والمادة البيولوجية.

وعلى هذا الاساس وبالأستناد إلى جملة النظريات العلمية التي تكلمنا عنها سابقاً (فراجع) ، يتضح ان عالم برزخ الاموات هو فضاء موازي لفضائنا الذي نعيش فيه يتحد معنا في المكان ويختلف عنا بالزمان، وهو متحرك ضمن شكل معين للزمان.

عن ضريس الكناسي قال: سألت أبا جعفر عليه السلام ان الناس يذكرون ان فراتنا يخرج من الجنة، فكيف وهو يقبل من المغرب وتصب فيه العيون والأودية؟ قال أبو جعفر عليه السلام: وانا اسمع (ان لله جنة خلقها في المغرب وماء فراتكم يخرج منها وإليها

تخرج أرواح المؤمنين من حفرهم كل مساء فتسقط على ثمارها وتأكل منها وتتعمق فيها وتتلاقى وتتعارف، فإذا طلع الفجر هاجت من الجنة فكانت في الهواء فيما بين السماء والأرض تطير ذاهبة وجائية، وتعهد حفرها إذا طلعت الشمس، وتتلاقى في الهواء وتتعارف، قال: وان لله ناراً في المشرق خلقها ليسكنها أرواح الكفار ويأكلون من زقومها ويشربون من حميمها ليلهم، فإذا طلع الفجر هاجت إلى واد باليمن يقال له برهوت أشد حراً من نيران الدنيا، كانوا فيها يتلاقون ويتعارفون، فإذا كان المساء عادوا إلى النار، فهم كذلك إلى يوم القيامة، قلت: أصلحك الله فما حال الموحدين المقرين بنبوة محمد ﷺ من المسلمين المذنبين الذين يموتون وليس لهم إمام ولا يعرفون ولا يتكلم؟ قال: أما هؤلاء فهم في حفرهم لا يخرجون منها فمن كان له عمل صالح ولم تظهر منه عداوة فإنه يُخَدُّ له خَدٌّ إلى الجنة التي خلقها الله في المغرب فيدخل عليه منها الروح إلى حفرته إلى يوم القيامة فيلقى الله فيحاسبه بحسناته وسيئاته فيما إلى الجنة وأما إلى النار، فهؤلاء موقوفون لأمر الله، وكذلك يفعل بالمستضعفين والبلبة والأطفال وأولاد المسلمين الذين لم يبلغوا الحلم، فأما النصاب من أهل القبلة فأنهم يُخَدُّ لهم خَدٌّ إلى النار التي خلقها الله بالمشرق فيدخل عليهم منه اللهب والشرر والدخان وفورة الجحيم إلى يوم القيامة ثم مصيرهم إلى الجحيم ثم في النار يسجرون ثم قيل لهم أين ماكنتم تدعون من دون الله أين إمامكم الذي أتخذتموه دون الإمام الذي جعله الله للناس إماماً (١).

الحديث يوضح ان حركة وأحوال هذا العالم مرهون وتابع لحركة الشمس كما في عالمنا، فحركتنا وعبادتنا وأعمالنا ونومنا وغذائنا مرتبط بحركة الشمس وتوالي الليل والنهار، لكننا في عالمنا نتحرك وقت ما نشاء عكس عالم البرزخ الذي تحددت الحركة فيه بوقت (الفجر المساء)، بعبارة أخرى، ان المكان الذي يشغله هذا العالم هو مكان ثابت أحدهما خاص بالمؤمنين يقع في جهة الغرب تسميه الاحاديث (عين تدعى سلمى) ، والآخر خاص بالذين كفروا يقع في الشرق تسميه الاحاديث (برهوت)، وهذه الأماكن (غرب سلمى) (شرق برهوت) ثابتة، لذلك قال الحديث ان سكان ذلك العالم (يتعاهدون حفرهم) ، أي انهم بعد أنتهاء الوقت المخصص

يرجعون إليها، وكما هو معلوم ان مكان القبر ثابت ولكن شكل الزمان هو المتغير عليه كما في عالمنا، فأنت تسكن في دارك في مكان ثابت، لكن هناك عدة أشكال من الوقت تتوالى عليك حسب حركة الشمس (فجر صباح ظهيرة مساء ليل) خلال اليوم الواحد، لكننا في هذا العالم المادي الكثيف توفر لنا هذه الكثافة إمكانية للتعامل والتأقلم مع كل أشكال الوقت المتعددة، أما في عالم البرزخ فإن النفوس في ذات طابع مادي خفيف جداً، فهي لا تتفاعل إلا مع مستوى معين من الإضاءة وشدة الحرارة، أي شكل خاص من الوقت، لذلك تجد هناك جملة من الاحاديث والمرويات تؤكد ان العوالم الأخرى المحيطة بنا (الملائكة والجان) ، لا تداهم عالمنا إلا في وقتين معينين هما الفجر والمساء، لان ماهية هذه المخلوقات لرقتها المادية أيضاً تتأقلم مع هذين الوقتين، والثابت ان الملائكة تتحرك فجراً وعالم الجن يتداخل مع عالمنا مساءً.

وكما تلاحظ من الحديث ان ارواح المؤمنين تخرج من حفرها كل مساء إلى الجنة، وعند طلوع الفجر تهيج بين السماء والأرض، وتعود لحفرها عند طلوع الشمس، بينما تهيج ارواح الكفرة إذا طلع الفجر، وفي المساء يعودون إلى النار، والتقسيم واضح كون هذا العالم متأثر بحركة الشمس وكمية الحرارة والإضاءة الناتجة منها، فزمن الجنة في عالم البرزخ ممتد من المساء إلى طلوع الشمس، وزمن العذاب ممتد من طلوع الشمس إلى المساء، فالأول يشغل مساحة الليل والآخر يشغل مساحة النهار، والظاهر ان سبب عذاب الكفرة في هذا العالم هو الشمس ذاتها لأن النفوس كما قلنا ذات واقع مادي ضعيف تؤثر عليه الشمس بشكل كبير، أما عالم المؤمنين فلا تطلع عليهم الشمس فيه، وهذا يوفر لنا تصور كيف ان عالم البرزخ يتحد معنا في المكان ولا يعمل من فيه إلا بمرور شكل معين من الوقت عليه، وهذه المساحة الزمنية متحركة بحركة الأرض حول نفسها وتابعة لتوالي الليل والنهار.

ومن هنا حثت المرويات على استحباب دخول المقابر في أزمته معينة وهو وقت ما بين الطلوعين (طلوع الفجر وطلوع الشمس) ، لانه الزمن الفاعل لهذا العالم بالنسبة لنفوس المؤمنين، حتى ان الاحاديث تذكر انك إذا زرت الميت بين الطلوعين رءاك وسمعتك وإذا زرته بعد هذا الوقت رءاك ولم يسمعك.

ولهذا العالم أنماط حياتية مختلفة حسب استعداد النفس المسبق وما جنته في عالم

الدنيا، فالأعمال الصالحة للإنسان في الدنيا قبل الموت توفر له ذخيرة حقيقية ليعيش في ذلك العالم بإمكانيات أعلى ونعيم وراحة والعكس صحيح، فكان المتواجدون فيه ليس بصيغة ومستوى واحد، بل بزوايا متعددة كما في الاختلاف الواضح للخصائص والقابليات في عالمنا المادي لذلك قال الرسول الكريم ﷺ (إذا مات الإنسان فقبوره روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)، وحتى هذه الروضات والحفر على درجات حسب أعمال الإنسان^(١).

وهناك أنظمة حياتية متعددة في عالم البرزخ تقابل الانظمة الحياتيه في عالم الدنيا وهو ما نستشفه من جملة أحوال هذا العالم، فالإنسان في عالم المادة يبدأ عبارة عن نطفة ثم يتطور إلى جنين ثم يخرج من بطن أمه طفلاً وتبدأ رحلته في المحيط الخارجي غلام ثم شاب ثم شيخ.

فقسماً منهم ممن محض الإيمان محضاً، والآخر ممن محض الكفر محضاً، فيما يوقف آخرون ولا يُبت في أمرهم إلا بأوقات معينة، وهم الذين وصفتهم الاحاديث بأنهم (يلهى عنهم)، أو كما يسميهم القرآن (المرجون لأمر الله)، فيما يذهب المؤمنون إلى رياض الجنة والكافرون إلى حفر النار.

إذاً فهو عالم ذو مراتب ومستويات متعددة عبّرت عنها الاحاديث بأنها درجات للمؤمنين ودركات للكافرين، ومن هنا نفهم لماذا أعتقد البعض ان الاحاديث الخاصة بعالم البرزخ متعارضة، الأمر الذي أدى إلى إنكار الكثير من المرويات، بلى حتى إلغاء وجود هذا العالم، وفي الحقيقة ليس هناك تعارض لأن جملة الاحاديث لا تذكر زاوية واحدة لهذا العالم بل تذكر زوايا متعددة، فالزاوية الخاصة بفلان الذي يذكره حديث معين تختلف عن الزاوية الخاصة بشخص آخر يصفه حديث آخر كما نجد في عالمنا المادي، فكلامك وتقييمك للإنسان وهو في مرحلة الطفولة يختلف عن تقييمك له ولأنظمة حياته وفعالياته في مرحلة الشباب، فالنظر لجملة احاديث عالم البرزخ ضمن هذا التصور تحل لنا عدة إشكالات في النصوص يعتبرها البعض متضاربة.

(١) بعض المرويات تشير إلى وجود أسباب دنيوية ممكن ان تكون سبباً في استفادة من موجود في عالم البرزخ، كما في قول الرسول الاكرم محمد ﷺ (إذا مات الإنسان أنقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له).

فمثلاً هناك أحاديث تصف حالة الموت والدخول إلى عالم البرزخ بأنه قرض بالمقاريض ونشر بالمناشير ورضخ بالحجارة، وهو التصور المتعارف عند الناس عموماً، فيما تصفه أحاديث أخرى بأنه أشبه بعملية النوم بسهولتها، بل حتى ان له رائحة طيبة، والموضوع ليس فيه تعارض لأن هذه الاحوال تجري على مواضيع مختلفة، فحالة الشدة تخص أشخاص، وحالة السهولة تخص آخرين، وكل حسب درجته وأستعداده، فالموت واحد والطرق متعددة والبرزخ واحد والزوايا متعددة.

عموما لا نريد ان نتعب ذهن القارى الكريم بالتوغل في مسائل دقيقة في فهم هذا العالم من خلال النظريات الفيزيائية الحديثة، فيمكن ان نتصوره كفضاء متداخل مع فضاءنا او موازي لفضائنا يتحد معنا في المكان ويختلف في الزمان، وهذا ليس حال البرزخ فقط، بل حال عالم الملائكة والجن المحيط بنا والمتداخل مع عالمنا، ويمكن ان نفهمه أيضاً من أختلاف الحركة وسرعة كل عالم بالنسبة للعالم الآخر، ويمكن فهمه أيضاً كونه المادة (النيضة) لعالمنا، وكلمة (أين) تفقد معناها في ذلك العالم، فهو (مكان اللا أين) فهو (زمان اللا أين في هذا المكان) .

وبما ان نفوس المؤمنين والكافرين موجودة حالياً في ذلك العالم، وبما ان نظام الرجعة سيتم فيه إعادة تلك النفوس إلى أبدانها التي نشأت في القبور، وبما انهم بأعداد كبيرة (أفواج) ، فسيحصل في زمن الرجعة اتحاد بنمط معين بين عالمنا وعالم البرزخ في قفزة نوعية لكل الانظمة الحياتية والكونية، لان زمن الرجعة هو زمن برزخي تتغير فيه أنظمة وتحل أخرى، فتصبح عملية تكليم الموتى من مفردات ذلك الزمن،

وانني في هذا البحث وفي ابجاثي الاخرى اعتمد على فهم معين للوضع الفلكي للارض، اذا اعتقد استناداً لادلة قرآنية وروائية وعلمية ان الارض في فترة ما بعد الظهور وبدايات الرجعة العامة سيتغير نظامها الفلكي، فتهتول من طبيعة الدوران حول نفسها ودورانها حول الشمس الى حالة اللبوث، وعلى موجب هذا الواقع ستطول الايام والسنون^(١)، فتنقسم الارض على موجب هذا الواقع الجديد الى اربعة اقسام، قسم فيه النهار دائم، وقسم فيه ليل دائم، وقسم فيه وقت الفجر دائم، وقسم فيه وقت الغروب دائم، وبما ان الحديث الذي ذكرناه يقول ان اهل عالم

(١) يمكنك مراجعة كتاب (نجم يتقلب في الافاق) وكتاب (ايام الله) للمؤلف فقد شرحنا هذا الموضوع بشكل مفصل

البرزخ يتنعمون و يعذبون حسب هذه الاوقات, فان لبوث الارض سيجعل عالم البرزخ يظهر, وهذا ما تؤكد عليه جملة من المروييات ان الملائكة والجن ستظهر في زمن الامام المهدي عليه السلام, ويتحد عالم الاموات مع عالم الاحياء, قوله تعالى ﴿لَوْ اَنْ قَرَأَنْ سِيرَتِ بِه الْجِبَالِ اَوْ قَطَعَتْ بِه الْاَرْضَ اَوْ كَلِمَ بِه الْمَوْتِ﴾^(١), وسناقش هذه الآية المباركة بالتفصيل في فصل لاحق من البحث بعنوان (آيات لها علاقة بالرجعة) .

وهناك فرق بين عالم البرزخ الخاص بالاموات والبرزخ الكوني, فعالم البرزخ الاموات هو عالم موازي لنا وهو في باطن هذا العالم ومستجن فيه كما تستجن النار في الخشب, وستراه عند الموت وهو حافظة تحفظ فيها النفوس لحين الحشر, وبعد الحشر ينتهي هذا العالم, اما البرزخ الكوني فهو عالم بين (الدهر والزمان) اي ما بين (المللكوت والمللك) تصل اليه الخلائق عن طريق الحركة, أي انت تقطع مسافة وتصل اليه فبيننا وبينه بُعد مكاني, وهو المكان الذي ستصل اليه الارض والمجموعة الشمسية بحركتها الكلية في الرجعة.

مفهوم (الرجعة) و (الكرة)

وردت لفظة (الرجعة) و (الكرة) في الاحاديث لوصف أحوال الراجعين, ولا بد لنا من تفريق بين الموضوعين لتحديد كلا المفهومين, وقبل البدء في الكلام علينا ان نحدد مفهوم (اليوم) قرآنياً لأرتباطه بالرجعة أي (يوم الرجعة), فلفظة اليوم في القرآن الكريم لها عدة إطلاقات يمكن ان نذكر منها ما يرتبط بموضوعنا.

المستوى الأول: اليوم الطبيعي.

وهو المساحة الزمنية التي يشغلها تعاقب الليل والنهار الطبيعيين وهو هذه الظاهرة التي تحدث كل يوم ومقدارها حسب قياسات أهل الأرض (٢٤) ساعة، وهو اليوم العادي الذي من خلاله يتم حساب الأسابيع والشهور والسنين وهو وحدة قياس طبيعية وليست إتفاقية، لأن الوحدات الزمنية الناتجة من تكرار ظواهر الطبيعة كتكرار الليل والنهار هي وحدات قياس طبيعية موجودة في أصل النظام الطبيعي الأرضي، وهذا اليوم مقسم إلى قسمين (الليل والنهار) وموارد هذا المستوى لليوم في القرآن الكريم عديدة ومنها، قوله تعالى ﴿كلوا من ثمره إذا أثمر وأتوا حقه يوم حصاده﴾^(١)، وقوله ﴿إذ أتيتهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً﴾^(٢)، وقوله ﴿وسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً﴾^(٣).

المستوى الثاني: اليوم التاريخي.

وهو كاليوم الطبيعي يتكون من الليل والنهار الطبيعيين (٢٤) ساعة، لكنه يوم حدث فيه حدث كبير جعل ذكرى هذا اليوم مستمرة على إمتداد التاريخ وراكزة في الازهان وفي التأثير حتى بعد انقضاء زمن الحدث، مثل يوم العاشر من محرم الذي أستشهد فيه الإمام الحسين عليه السلام، فالحادثة وقعت في يوم طبيعي مقداره يوم

(١) الانعام/١٤١

(٢) الاعراف/١٦٣

(٣) مريم/١٥

وليلة، أي (٢٤) ساعة، لكن آثار الحدث أمتدت وأستمرت ليومنا هذا مما جعل يوم العاشر من المحرم يوماً تاريخياً ولهذا المستوى من اليوم عدة موارد منها، قوله تعالى ﴿اليوم أكملت لكم دينكم﴾^(١)، وقوله ﴿لقد نصركم الله في مواطن كثيرة ويوم حنين﴾^(٢)، وقوله ﴿وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر﴾^(٣).

المستوى الثالث: اليوم الكوني.

وهو اليوم الذي يشغل مساحة زمنية قد تصل إلى ألف سنة مما تعدون ﴿وان يوم عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾^(٤)، وهذا اليوم أيضاً له بداية ونهاية وغاية، وهذا اليوم الكوني حدوده تمتد إلى خارج الاحداثيات الزمانية والمكانية لكوكب الأرض، ويشمل أحداثيات أخرى وأكوان أخرى، وتشمل تأثيراته السماوات والأرض، وهذا المستوى من اليوم تجده في أيام الله الستة المخصصة لخلق السماوات والأرض ﴿الذي خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام﴾^(٥)، وهذا المستوى من اليوم هو المعني بقوله تعالى ﴿وذكرهم بأيام الله﴾^(٦)، وقوله تعال ﴿قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله﴾^(٧)، وهي مصداق قول أبي عبد الله عليه السلام (أيام الله ثلاثة يوم القائم ويوم الكرة ويوم القيامة)، فهذه أيام مستقبلية طويلة جداً وفيها أحداث كبيرة وهي مجموعها تمثل أيام كونية كما في قوله تعالى ﴿الحمد لله رب العلمين. الرحمن الرحيم. مالك يوم الدين﴾^(٨)، وقوله ﴿وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾^(٩)، وقوله ﴿ثم يعرج إليه في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون﴾^(١٠)، وقوله ﴿تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين

(١) المائدة/٣

(٢) التوبة/٢٥

(٣) التوبة/٣

(٤) الحج/٧٤

(٥) الفرقان/٢٥

(٦) ابراهيم/٦

(٧) الجاثية/٤٥

(٨) الفاتحة/٣١

(٩) الحج/٤٧

(١٠) السجدة/٥

ألف سنة^(١)، وقوله ﴿قال أنظرنى إلى يوم يعثون﴾^(٢).

وكما تلاحظ ان اليوم الكوني طويل جداً وتأثيراته تمتد لأبعد من أحداثيات الأرض، وتشمل تغيرات ضخمة في الانظمة الكونية والطبيعية والحياتية الفاعلة، فيتم فيه أستبدال أنظمة بأخرى، فيوم القائم هو (وقت القائم) وكل أحداث عصر الظهور هي (يوم القائم)^(٣)، ويوم الرجعة هو (وقت الرجعة)، وكل أحداث الرجعة هي (يوم الرجعة)، ويوم القيامة هو (وقت القيامة)، وكل أحداث القيامة هي (يوم القيامة)، وليس من المفروض ان تكون مدد هذه الأيام متساوية فلكل يوم نظامه الخاص، ويؤيده الحديث التالي.

عن ابي عبد الله عليه السلام قال (يوم التلاق يوم يلتقي اهل السماء وأهل الارض، ويوم التناد يوم ينادي اهل النار اهل الجنة ﴿ان افيضوا علينا من الماء او مما رزقكم الله﴾^(٤)، ويوم التغابن يوم يغبن اهل الجنة اهل النار، ويوم الحسرة يوم يؤتى بالموت فيذبح)^(٥).

ومن خلال هذا الفهم يمكن ان نفرق بين مفهومي (الرجعة) و (الكرة) والتي جاءت مقترنة مع بعضها في الكثير من المرويات، فيوم الرجعة هو يوم كوني طويل فيه أحداث ضخمة وتغيرات كبيرة لعدة أنظمة يستمر لألف سنة أو أكثر، وهو معنى عام لكل أحداث الرجعة، أما يوم الكرة فهو يوم تاريخي يشكل جزء من يوم الرجعة.

أي ان بعض الراجعين من الانبياء والصالحين كالحسين عليه السلام عندما يرجع إلى الدنيا في يوم الرجعة سيكون ذلك اليوم المخصوص الذي يعود فيه هو يوم طبعي وهو

(١) المعارف/٤

(٢) الاعراف/١٤

(٣) ان أحداث ما بعد الظهور يقع أغلبها في يوم الرجعة فتكون عملية ظهور الإمام المهدي عليه السلام وحكمه هي نهاية يوم القائم وبداية يوم الرجعة.

فيكون يوم القائم هو اليوم الممتد من وفاة الإمام الحسن العسكري عليه السلام، وتولي الإمام المهدي شؤون الإمامة مروراً بالغيبة الصغرى ثم الكبرى إلى يومنا هذا، ويمتد إلى زمن الظهور وإلى زمن ما بعد الظهور، أما يوم الرجعة بالمعنى العام فيبدأ من يوم وفاة الإمام القائم عليه السلام ورجوع الإمام الحسين عليه السلام وخروج الأموات إلى يوم ظهور الجنان المدهامتان في آخر الرجعات.

(٤) الاعراف/ ٥٠

(٥) معاني الاخبار/ الشيخ الصدوق/ ص ١٥٦ / ح ١

حدث تاريخي جليل من جملة أحداث يوم الرجعة الكلي، لذلك تجد في الاحاديث عدة (كرّات) ، لان هذه الأيام متكررة، أي ان يوم الرجعة الكوني فيه عدة أيام تاريخية للكرات، وان كل يوم من أيام الكرّة مرتبط بحدث كبير في يوم الرجعة، مثل يوم كرّة الإمام علي عليه السلام ، ويوم كرّة الإمام الحسين عليه السلام وهكذا، لذلك سمى أمير المؤمنين نفسه في عدة مرويات بأنه (صاحب الكرات) و (صاحب الرجعات) ، لأن أغلب الراجعين يرجعون لمرة واحدة والقيادات مثل الإمام علي عليه السلام له عدة رجعات وعدة كرات، والذي نفهمه من لفظة الكرّة أيضاً هو العمل العسكري (أي الصولة) على العدو، وقد ينطبق مفهوم الرجعة والكرّة مع بعضهما في الوقت نفسه، كما في حالة رجعة الأموات وخروجهم من قبورهم ومشاركتهم في القتال مع القائم عليه السلام فهم راجعون من الموت وكارون للقتال.

عن المعلّى بن خنيس وزيد الشحام عن أبي عبد الله عليه السلام قالوا: سمعناه يقول (ان أول من يكرّ في الرجعة الحسين بن علي عليه السلام ، ويمكث في الأرض أربعين سنة حتى يسقط حاجباه على عينيه) .

لاحظ عبارة (ان أول من يكرّ في الرجعة) ، وهي دالة بصورة واضحة على ان يوم الكرّة هو جزء من يوم الرجعة.

عن عبد الكريم بن عمرو الخثعمي قال: سمعت أبا عبد الله يقول (ان أبلّيس قال: (أنظرنني إلى يوم يبعثون) ، فأبى الله ذلك عليه فقال (فإنك من المنظرين. إلى يوم الوقت المعلوم) ، فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر أبلّيس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم، وهي آخر كرّة يكرها أمير المؤمنين صلوات الله عليه. فقلت: وأنها لكرات؟ قال: نعم إنها لكرات وكرات، ما من إمام في قرن إلا ويكرّ معه البر والفاجر في دهره حتى يدبّل الله عز وجل المؤمن من الكافر) ^(١).

وعبارة (ما من إمام في قرن إلا ويكرّ معه البر والفاجر في دهره) ، تدل على تعدد الكرات التي كلها تقع في يوم الرجعة الطويل.

ويبدو ان هناك معاني اخرى لكلا الموضوعين منها ان الكرة هي العودة للدنيا

مفهوم (الرجعة) و (الكرّة)

للمشاركة في المعارك, فكل من كرّ يحارب, اما الرجعة فهي العودة النهائية للمتمتع بدولة العدل كما ورد في الدعاء (ان يجعل لي كرة في ظهورك ورجعة في ايامك) .

وبصورة عامة فالكون فيه عدة عوالم والموجودات تتحرك فيه, وهي سلسلة من العوالم يطلقون عليها في الفلسفة سلسلة العوالم الطولية ويسمونها (قوس النزول وقوس الصعود) , وبهذه الحركة تشكلت ثلاث عوالم طولية كلية, هي (عالم الجبروت) و (عالم الملكوت) و (عالم الملك), وتوجد عوالم برزخية فاصلة بين هذه العوالم الكلية الثلاثة, وهذه (المناطق البرزخية) تحمل صفات كلا العالمين فيكون التسلسل كالأتي حسب قوس النزول وقوس الصعود.

قوس النزول:

- ١- عالم الجبروت
- ٢- منطقة برزخية بين عالم الجبروت وعالم الملكوت.
- ٣- عالم الملكوت .
- ٤- منطقة برزخية بين عالم الملكوت وعالم الكثافة.
- ٥- عالم الملك (عالم الكثافة) عالم الدنيا.

قوس الصعود:

- ١- عالم الملك (عالم الكثافة) عالم الدنيا.
- ٢- منطقة برزخية بين عالم الملك وعالم الملكوت.
- ٣- عالم الملكوت.
- ٤- منطقة برزخية بين عالم الملكوت وعالم الجبروت.
- ٥- عالم الجبروت.

واستناداً لهذه الحركة فان يوم الرجعة، كيوم كوني، سيقع في رحلة قوس الصعود في المنطقة البرزخية بين عالم الملك وعالم الملكوت، فهو واقع أرضي بخصائص ملكوتية^(١).

(١) لقد ناقشنا مفهوم اليوم قرآنياً وروائياً وفلسفياً في كتابنا (أيام الله) ، وأثبتنا فيه ان هذا المفهوم

ومن خلال هذه المقدمة يمكن إضافة استدلال قرآني آخر على صحة عقيدة الرجعة من خلال النظر بأحوال أبلّيس لعنه الله من قوله تعالى ﴿قَالَ فَاحْرَجْ مِنْهَا فَاذْكَرَ رَجِيمًا. وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ. قَالَ رَبِّ فَاظْهَرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ. قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الظَّالِمِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾^(١)، فلو كان يوم الدين ويوم يبعثون يفصل بينها فوارق زمنية طويلة، ولكل يوم خصوصيته، فيكون يوم الوقت المعلوم هو يوم مقتل أبلّيس، كما تذكر المرويات، هو قبل يوم يبعثون النهائي، فيوم الوقت المعلوم يوم طبيعي، ويوم يبعثون يوم كوني، والفاصلة الزمنية بين اليومين طويلة جداً، وهي فترة الرجعة لذلك ورد في المرويات ان الجنّان المدهامتين لا تظهران إلا بعد قتل أبلّيس حيث سيطعنه رسول الله ﷺ بحربة من نور يكون فيها هلاكه وجميع أشياعه، وبعدها يتنعم المؤمنون بجنة الرجعة إلى ان يأتي يوم يبعثون النهائي الذي ستحشر فيه جميع الخلائق للحساب.

له عدة مستويات متعلقة بحركة الموجودات في الكون في عوالمه الكلية، وان نظام الرجعة له توقيتات خاصة متعلقة بنوع النظام الذي ستصل إليه الموجودات في حركتها الكونية لان نظام الرجعة هو نظام برزخي.

(١) الحجر/ ٣٤ ٣٨

الفصل السادس

أفكار وأستنتاجات

ما دمننا قد وصلنا إلى هذه النقطة من البحث، وما دمننا قد توصلنا إلى وضع تعاريف إجمالية لعدة مواضيع عن الروح والنفس والبرزخ والموت والقتل والخلق، فهنا سنتناول عدة أفكار وآراء وأستنتاجات تثيرها هذه المواضيع، ولو أننا سنخرج عن أصل البحث بعض الشيء لكن كما يقال الشيء بالشيء يُذكر، وأرجو من القارئ الكريم أن لا يعتبر هذه الآراء والإستنتاجات كونها آراء ثابتة وأفكار قطعية، بل هي رؤية نستشفها من خلال النظر بمواضيع هذا البحث، وهي نقاط مطروحة للبحث والمناقشة قد تُغني البحث في موضع معين، وقد تُثير على أقل تقدير أسئلة حول هذه المواضيع، وربما تفتح للقارئ أفق معين للتفكير والفهم، فهناك الكثير من المواضيع التي لاتزال تحوم حولها علامات الاستفهام، وصدق من قال و (أن أغرب أجزاء عالمنا لم ينكشف بعد)، فلا بد إن نفهم إن هناك عدة أفكار ورؤى وتحليلات تحتاج إلى دوافع وجدانية للتصديق أكثر من حاجتها لقواعد علمية للأثبات، كما أن قسماً منها بحاجة إلى جرأة في الطرح أو سعة في الأفق.

وسنناقش هذه الافكار وفق قناعة ان حدود العقل والخيال يجب إن تمتد إلى ما وراء أفكارنا الثابتة، فما كان بالامس حُرافة، أصبح اليوم حقيقة، وما هو اليوم صعب التصديق، سيصبح من مسلمات الزمن القادم، لذلك فأني أطلب من القارئ الكريم أن يأخذ ما نقوله على نحو المواضيع المطروحة للتأمل، فلربما تكون بعض هذه الافكار خلاف برجة الأغلبية من الناس.

أولاً: النخلة وأثرها في عالم الأصوات.

عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له (أرأيت الميت إذا مات لم يُجعل معه الجريدة)؟ ^(١) قال (تُجافي عنه العذاب والحساب ما دام العود رطباً أما الحساب والعذاب كله في يوم واحد في ساعة واحدة قدر ما يدخل القبر ويرجع الناس عنه، فأما جعل السعفتان لذلك ولا عذاب ولا حساب بعد جفوفهما إن شاء الله) ^(٢).

(١) الجريدة: هي سعفة النخل
(٢) علل الشرائع/ الشيخ الصدوق

عن ابن أبي عمير، عن بعض أصحابه قال: (سألت أبا عبد الله عليه السلام عن رش الماء في القبر قال (يتجافى عنه العذاب ما دام الندى في التراب) (١).

عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام (أن قبر النبي صلى الله عليه وآله رُفِعَ شبراً من الأرض وان النبي صلى الله عليه وآله أمر برش القبر) (٢).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (أجيدوا أكفان موتاكم فانها زيتهم) (٣).

عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله ان رسول الله صلى الله عليه وآله مر بقبرين فقال (انهما ليعذبان وما يعذبان في كبيرة أما أحدهما فكان لا يستنزه من البول، وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة، ثم أخذ جريدة رطبة فشققها نصفين ثم غرز في كل قبر واحدة ثم قال: (لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا) (٤).

ورد في كتاب (الانوار النعمانية للسيد نعمه الله الجزائري)

(أن الله أمر الملائكة فوضعوا التراب الذي حُلق منه آدم في المنخل ونخلوه، فما كان لباباً صافياً أخذ لطينة آدم عليه السلام ، وما بقى في المنخل خلق الله منه النخلة لأنها حُلقَت من تراب بدن آدم وهي (العجوه) ، وكان آدم يأنس بها في الجنة، ولما هبط إلى الأرض أستوحش بمفارقتها وطلب من الله سبحانه وتعالى أن ينزل له النخلة، فأنزلها وعرسها في الأرض ولما قربت وفاته أوصى إلى ولده أن يضع معه في قبره جريدة منها، فصارت سنة إلى زمان عيسى عليه السلام ، ثم أندرست في زمان الفترة، (٥) فأحيها النبي محمد صلى الله عليه وآله وقال: (أنها ترفع عذاب القبر ما دامت خضراء) ، وقد روى الجمهور عن النبي صلى الله عليه وآله انه قال للأَنْصار (خضروا صاحبكم فما أقل المخضرون يوم القيامة) ، فقالوا وما التخضير؟ قال صلى الله عليه وآله (جريدة خضراء توضع في أصل اليدين إلى أصل الترقوه) .

واضح ان هذه الاحاديث وغيرها الكثير مما يحمل نفس المعنى تثير تساؤل واحد، ما فائدة وأهمية وضع الجريدة مع الميت؟ وكيف يحدث هذا التأثير؟ وهل ان هذا

(١) علل الشرائع/ الشيخ الصدوق

(٢) علل الشرائع/ الشيخ الصدوق

(٣) علل الشرائع/ الشيخ الصدوق

(٤) اخرجاه في الصحيحين

(٥) الفترة: هي الفترة الزمنية من زمن عيسى عليه السلام إلى ظهور الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وآله .

أفكار وأستنتاجات

الامر هو موضوع رمزي صرف، أم ان له أثر مادي متبادل بين العالمين (الاموات والاحياء) ؟

وقبل الإجابة عن هذا التساؤلات دعنا نذكر بعض صفات النخلة.

النخلة: نبات ثنائي المسكن فهناك نخل ذكري وآخر أنثوي كلاهما يُخرج عراجين، ويستوجب نقل بعض العراجين الذكرية لرش طلعتها على العراجين الانثوية للتلقيح. ويتكاثر النخل عن طريق الفسائل التي تنمو أسفل الساق (الجدع) ، ويمكن تكاثرها عن طريق النوى، إلا أنها طريقة غير مضمونة حيث لا تتجاوز نسبة النجاح (٢٠٪) ، وهناك طريقة ثالثة تسمى (المستنسخ) وهي زراعة النسيج للنخلة بحيث تنتج نسخة مطابقة للنخلة الأم مقارنة بين الاسلوبيين التقليديين (النوى الفسائل) .

ويمكن إجراء مقارنة سريعة ومهمة بين طرق تكاثر الإنسان وطرق تكاثر النخل.

الطريقة الأولى: عن طريق الفسائل بأن يؤخذ فسيل النخلة ويُتزرع منها ويُزرع في مكان آخر، أما ثمر النخيل التمر فيتم عن طريق رش العراجين الذكرية على الانثوية، ويقابلها في الإنسان نقل الحيمن من الذكر إلى الانثى، وبما ان النخل كائن ثابت (غير متحرك) ، لذلك وجب التدخل البشري لأجراء عملية التكاثر.

الطريقة الثانية: وهي عملية تكاثر النخل عن طريق زرع (النوى) ، وهي أي النوى الجزء الصلب الموجود في ثمرة النخل (التمر) ، فهذه النوى تحمل كل الصفات الوراثية للنخلة وهكذا الحال لنوى كل النباتات. وهذا يذكرنا بما نبحت عنه في هذا الكتاب وهو إمكانية نشوء جسم بشري كامل عن طريق تحفيز ما بقى من الجسد والذي تسميه الاحاديث (الطينة) الاصلية التي خُلق منها الإنسان المستديرة التي لا تبلى ومنها يخرج الإنسان مره أخرى في الرجعة.

الطريقة الثالثة: وهي طريقة الاستنساخ من خلال زراعة نسيج النخلة، وهو عين ما تقوله نظرية الاستنساخ البشري من خلال إعادة هذه الهيكلية البشرية من خلال خلية لأحد الانسجة الجسدية.

وان هذه الصفات الفسلجية للنخل المشابهة الصفات الفسلجية للإنسان في التكاثر، جعلت الكثيرين ينظرون إلى النخلة حسب التصنيف الطولي للكائنات بانها الحد الفاصل بين عالم النبات وعالم الإنسان، لذلك ورد في الاحاديث النبوية انها (عمة)

الإنسان، وعن رسول الله ﷺ: (أكرموا عمتكم النخلة فأنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم). وهو ما يؤكد تشابه النخلة مع الإنسان في جملة من الصفات. يمكن إيجازها بالنقاط التالية:

النخلة ذات جذع منتصب وكذلك الإنسان.

منها الذكر والأنثى وكذلك الإنسان.

لا تثمر إلا اذا لقحت وكذلك الإنسان.

إذا قطع رأسها ماتت وكذلك الإنسان.

إذا تعرض قلبها إلى صدمة قوية ماتت وكذلك الإنسان.

إذا قُطع سعفها لا تستطيع تعويضه من نفس المحل.

طرق تكاثرها الثلاثة التي ذكرناها لها انطباق واضح على طرق تكاثر الإنسان المعروفة والأخرى المتوقعة التي ذكرناها في هذا البحث.

عدد الصبغات الوراثية (الكروموسومات) في النخلة هو ٤٩.

أن أهمية هذه الاحاديث وهذه المعلومات الخاصة بالنخلة تؤكد وجود واقع مادي يمكن من خلاله التعامل مع عالم الاموات بواسطة وسائل مادية محسوسة لها صفات مشتركة مع الإنسان لإحداث أثر في ذلك العالم، فأستخدم جريدة (سعفة) النخل ورش الماء، بل حتى نوعية الكفن، كلها أمور مادية تسهل عملية دخول الميت إلى عالمه، بل تخفف عنه العذاب، فلو كان الاتصال مع هذا العالم مقتصرًا على المسائل الحسية والروحانية لأكتفى رسول الله ﷺ والأئمة عليهم السلام ببحث الناس على قراءة القرآن والأدعية فقط لموتاهم.

والذي نفهمه من أجواء هذه الاحاديث المباركة وبعض خصائص المادة ان رفع العذاب عن الميت لوجود سعفة أو رش الماء هو عامل (الرطوبة) ، التي هي صفة من صفات الحياة، وعامل مشترك بين الكائنات، وبما ان هناك جهات مسؤولة عن الحساب والعذاب داخل القبر وهي الملائكة، نستشف ان التعامل مع هذه الكائنات بواسطة أشياء مادية هو أمر ممكن، وخصوصاً الماء الذي هو رابط كوني لعلاقات الكائنات، وملائكة العذاب حسب ما نتوقع يغلب عليهم الطابع

أفكار وأستنتاجات

الناري، فوجود عوامل الرطوبة من الماء وسعفة خضراء يدفعها للابتعاد عن هذا الميث لوجود التعارض الطبيعي بين الماء والنار (الرطوبة والحرارة) ، لذلك ورد في الاحاديث (ان العذاب يُرفع عن الميت ما دامت السعفة خضراء) .

والذي يؤيد المعنى بعض وجهات النظر الفلسفية والتي لها ما يؤكدتها علمياً مفادها ان كل شيء في الوجود له (ملك) خاص به موكل به من نفس جنس مادته، فالمملك الموكل بالماء من نفس جنس الماء، والمملك الموكل بالنار من نفس جنس النار وهكذا، وهم يقصدون من جملة كلامهم حول هذا الأمر إلى ان بعض الملائكة هي (طبائع المواد) ، مما يعزز النظرية الفيزيائية الحديثة التي تحلل الظواهر حسب مفهوم ان القوانين المسيطرة على عالم المادة هي عبارة عن (قوى واعية)، فأستناداً إلى هذه النظرة الفلسفية والعلمية يمكن ان تتأثر ملائكة العذاب النارية بكل ما هو مائي ورطب فتبتعد عنه، والملفت في هذا الأمر أيضاً ان بعض الاحاديث بينت ان الاموات أنفسهم يستطيعون الاتصال بعالمنا من خلال مخلوقات أخرى تكون واسطة للاتصال.

عن إسحاق بن عمار عن عبد الرحيم القصير قال: (قلت له، أي الإمام الكاظم عليه السلام،: المؤمن يزور أهله؟ فقال (نعم) يستأذن ربه فيؤذن له فيبعث الله معه ملكين فيأتيهم في بعض صور الطير يقع في داره ينظر إليهم ويسمع كلامهم) (١)
عن إسحاق بن عمار قال: (قلت لأبي الحسن الأول عليه السلام: يزور المؤمن أهله؟ فقال: نعم. فقلت: في كم؟ (قال: على قدر فضلهم منهم من يزور في كل يوم ومنهم من يزور في كل يومين ومنهم من يزور في كل ثلاثة أيام)، قال: ثم رأيت في مجرى كلامه يقول: (أدناهم منزلة يزور كل جمعة)، قال: قلت: في أي ساعة؟ قال: عند زوال الشمس ومثل ذلك، قال: قلت: في أي صورة؟ قال: في صورة العصفور أو أصغر من ذلك، يبعث الله عز وجل معه ملكاً فيريه ما يسره ويستتر عنه ما يكره فيرى ما يسره ويرجع إلى قرّة عين) (٢).

والاحاديث صريحة كون روح المؤمن إذا أرادت ان ترى أحوال أهلها في عالم الدنيا (عالم الكثافة) ، فهي بحاجة إلى (موضوع) تعمل من خلاله، وبما أنها ستدخل إلى

(١) الكافي / ج٣ / ص ٢٣٠

(٢) بحار الانوار / ج٦ / ص ٢٥٧

عالم الكثافة فيجب ان يكون هذا الموضوع ذو خصائص مادية يمتلك صفة الحياة، وهي الطيور أو ما هو أصغر من العصافير، لكي تسمع وترى ما يجري أمامها، ولو ان روح المؤمن دخلت إلى هذا العالم بدون وساطة، هذا الموضوع المادي، فهي لن تسمع ولن ترى لأن جنس مادتها ليس من جنس مادة هذا العالم، فأقتضى وجود الوسائط المادية عند الحركة بالإتجاهين من الدنيا إلى البرزخ أو من الرزخ إلى الدنيا. ويمكن ان نفهم من موضوع التضاد بين (الماء والنار) (الرطوبة والحرارة) أمر آخر له علاقة بعبادة نمارسها يومياً وهي (الوضوء)، فالمسلم لا يدخل إلى صلاته إلا بوضوء، ومادة الوضوء هي الماء، وبما ان الشيطان كما قال رسول الله ﷺ (يجري من ابن آدم مجرى الدم في العروق) ، والشيطان كمخلوق أو صفة يغلب عليه الطابع الناري ، أو على أقل تقدير له تأثيرات حرارية، فلا بد ان يكون مدخل الصلاة مائي لتتم المعادلة أو إضعاف تأثير الحرارة الناتجة من حركة الشيطان في عروق ابن آدم.

عن الرسول ﷺ (إذا غضب أحدكم فليتوضئ بالماء عند الغضب، فانما الغضب من النار) ^(١)، وقال ﷺ (الغضب من الشيطان انما الشيطان من النار وانما الماء يطفى النار) ^(٢).

فمن هنا حثت الاحاديث والمرويات على التأكيد ان يبقى الإنسان المؤمن ما أمكن على وضوء، بل تذكر ان الوضوء هو من أساليب الوقاية من الغضب، فكلما غضب الإنسان لا بد من ان يسرع للوضوء، لان الغضب حالة شيطانية (حرارية) والوضوء مائي رطب فيحصل التعادل لوجود التعارض.

(١) الكتاب المبين/ الكرمانى / ج ٤ ٢٠٢٤/٢.

(٢) الكتاب المبين/ الكرمانى / ج ٤ ٢٠٢٤/٣.

ثانياً: الموت والإنسان الكامل.

نبدأ هذه الفقرة بسؤال: هل يستطيع الموت كقانون طبيعي ان يفك تراكيب الإنسان الكامل^(١) بأعتبار ان عملية فك التراكيب في الموت وجمعها في الحياة هو القانون الساري على كل الموجودات؟ يمكن ان نعقب على هذا السؤال كالتالي: أن الرسول الأكرم ﷺ وأئمة اهل البيت عليهم السلام على أعلى مرتبة من الارتباط مع الله سبحانه، فلا يسري عليهم فعل الموت كقانون طبيعي لفك المركبات، فتجد في المرويات ان ملك الموت يستأذن بالدخول على رسول الله ﷺ وعلى آل بيته عليهم الصلاة والسلام لكي يعمل فليس له القدرة على فك هذا الترابط بينهم وبين الله إلا بموافقتهم، لذلك فهم لا يموتون بل يُقتلون، وهذا ما يؤكد حديث رسول الله ﷺ بقوله: (ما منا إلا مقتول أو مسموم) ، فهم عليهم الصلاة والسلام لا تنفكك مكوناتهم، لذلك كان الحل الوحيد لجهة الشر بالوصول إليهم هو قتلهم لإيقاف حركتهم، ولا سبيل للشر إلا من هذا الباب، ويمكن ان نفهم العبارة الواردة في الدعاء الخاص بزيارتهم عليهم السلام وهي (السلام على أجسادكم وعلى أرواحك وعلى طينتك) لأنها وحدة واحدة لا تنفكك، ومن هنا أيضاً يمكن ان نفهم سبب غيبة الإمام المهدي عليه السلام وسبب طول عمره الشريف، فهو عليه السلام لا يموت لقوة ارتباطه بالله عز وجل، فليس هناك سبيل عليه من قوى الشر إلا بالقتل (لذلك ورد في الاحاديث عند السؤال عن سبب الغيبة انه يخاف القتل) ، وهذا الامر (أي القتل) يمكن ان يجري عليه وفق سير الحياة العادية كما جرى على آباءه الطاهرين فكلهم قُتلوا لكثرة أعدائهم.

وبما ان الله عز وجل منح مخلوقاته الأختيار، فلا يوجد سبب يمنع أبلّيس وقوى الشر من الوصول إلى الإمام المهدي عليه السلام بالأسباب الطبيعية، ولو حمى الله الإمام المهدي عليه السلام بالقوة القاهرة لوقع الجبر والإكراه في مسألة حفظ الإمام، ولكان لابليس الملعون حجة على الله (وحاشا الله ان يكون لأحد حجةً عليه) ، فكانت مساحة العمل مفتوحة بهذا الإتجاه، فهناك حالة نفيير دائم من قبل أبلّيس وأتباعه بالبحث عن الإمام المهدي عليه السلام ، لأنها تعلم انها من الممكن ان تصل إليه كما وصلت إلى آباءه الطاهرين وقتلتهم، وهذا ما صرحت به الروايات من ان الإمام

(١) نقصد بالإنسان الكامل هو النبي أو الولي الذي أصبح محل فعل الله ومنفذ لإرادته.

المهدي عليه السلام (يخاف القتل) وليس الموت، أو كما ورد بالدعاء للإمام المهدي عليه السلام في دعاء العهد (اللهم وأجعله ممن حصنته من بأس المعتدين)، فلا بد من وسيلة طبيعية لحمايته عليه السلام وهي الأختفاء عن الانظار وخفاء العنوان وخفاء المكان وخفاء الاسم، أما إذا خرج عليه السلام فهناك تدبير آخر لحمايته لان خروجه عليه السلام سيتوافق مع صور أخرى للقانون وهي قوانين عصر الظهور المبارك.

وورد ان الإمام المهدي عليه السلام بعد فترة من حكمه سيقتل ولم يقل انه سيموت أسوة بأبائه الطاهرين، ولكن هنا قد يقول البعض ان الرسول صلى الله عليه وآله والأئمة عليهم السلام يموتون لقوله تعالى ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾^(١) ولقولهم عليهم السلام (لكل مؤمن ميتة وقتلة). إلا اللهم ان يكون هذا الامر لا يشملهم بأعتبارهم قيادات المؤمنين ولشدة ارتباطهم بالله فلا يسري عليهم فعل الموت، لكن يعترضنا قوله تعالى ﴿انك ميت وانهم ميتون﴾^(٢) مما يعزز الحديث الذي يذكر ان لكل مؤمن ميتة وقتلة، فمن مات هنا سيقتل في الرجعة ومن قتل هنا سيموت هناك، وهذا ايضا يفسر لنا الاحاديث التي تؤكد بوجود أكثر من فترة حكم للإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره، منها الأولى بعد ظهوره ومنها الثانية بعد قتله وبعثه من الموت في الرجعة. وبصورة عامة يمكن القول ان فعل الموت كقانون طبيعي لا يجري على الإنسان الكامل إلا بموافقته، لان الإنسان الكامل هو المسيطر على القانون وليس العكس، أما القتل فيمكن لجهة الشر ان تقتل الإنسان الكامل إذا سنحت لها الفرصة.

وهناك عدة شخصيات لم يطء عليها فعل الموت لحد الآن:

أولاً: الإمام المهدي عليه السلام.

ثانياً: الخضر عليه السلام كما هو معلوم انه حي يرزق وهو أيضاً تحت عنوان الخفاء والغيبية، ربما لنفس الأسباب، لكنه أكتسب هذه الصفة لأنه شرب من ماء الحياة كما ورد في الروايات فإنه من شرب من ماء الحياة لا يموت إلا إذا طلب هو^(٣) أو إذا سمع الصيحة أو حتى ينفخ في الصور، وعن الإمام الرضا عليه السلام قال (ان الخضر

(١) ال عمران / ١٨٥

(٢) الزمر / ٣٠

(٣) الاحاديث تشير إلى وجود خصيصة للخضر عليه السلام كونه لا يموت إلا إذا أراد هو أو إذا سمع الصيحة، مما يعزز قولنا ان الموت كقانون طبيعي لا يجري على من وصل إلى مرحلة التكامل، أي ان الموت عنده يصبح اختياري

أفكار وأستنتاجات

﴿شرب من ماء الحياة فهو حي لا يموت حتى ينفخ في الصور، وانه ليأتينا فيسلم فنسمع صوته ولا نرى شخصه وانه ليحضر حيث ما ذكر فمن ذكره منكم فليسلم عليه وانه ليحضر المواسم كل سنة فيقضي جميع المناسك ويقف بعرفة فيؤمن على دعاء المؤمنين وسيؤنس الله به وحشة قائمنا في غيبته ويصل به وحدته﴾ (١).

ثالثاً: روي ان هناك أربعة أشخاص أحياء أثنان في الأرض وأثنان في السماء أما اللذان في الأرض فالياس والخضر عليهما السلام، وأما اللذان في السماء فعيسى وإدريس عليهما السلام.

رابعاً: المسيح عليه السلام: بنص القرآن الكريم فإن السيد المسيح عليه السلام لم يمّت بل (توفى) قوله تعالى ﴿إذ قال الله يا عيسى أني متوفيك ورافعك إلي﴾ (٢).

والتوفي هو الأخذ بالكلية، فهو حي وسيظهر في آخر الزمان مع الإمام المهدي عليه السلام، كما ان المسيح عليه السلام خصيصة ذكرها القرآن الكريم لم ينسبها إلى أحد من الرسل قبله هي قوله تعالى ﴿وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس﴾، وروح القدس هو قوة ملكوتية خاصة وهي حسب أحاديث آل محمد عليهم السلام نوع خاص من الأرواح الخمسة، وروح القدس أعلى الأرواح الخمسة مرتبة ولا (تحل) إلا بأشخاص لهم مستوى عالي من القرب والاصطفاء وهم الرسول الكريم وآل بيته صلوات الله عليهم اجمعين، ومن خلال الخصائص التي ذكرها آل محمد عليهم السلام لهذه الروح، اما (التأييد) بهذه الروح فممكن لغيرهم، ومن خلال النظر في حياة المسيح عليه السلام وعملية رفعه إلى السماء فإن هذه الروح إذا تأيد بها شخص تمنحه صفة عدم الموت لشدة ارتباطه بالله .

ويمكن ان نفهم العبارة الواردة في (دعاء الافتتاح) بطلب النصر والتأييد للإمام المهدي عليه السلام (وصل اللهم على ولي أمرك القائم المؤمل والعدل المنتظر أحففه بملائكتك المقربين وأيده بروح القدس يارب العالمين.....) ان هذا الطلب في الدعاء مهم جداً (أيده بروح القدس) لانه طلب بعدم جريان فعل الموت عليه، أي دعاء له عليه السلام بالبقاء.

(١) كمال الدين وتمام النعمة/الشيخ الصدوق

(٢) ال عمران/٥٥

ثالثاً: هل هناهك فرق بين الموت ومملك الموت؟

الموت: هو القانون الطبيعي والقوة التي تفكك الأشياء, وقول الله عزّ وجلّ ﴿الذي خلق الموت والحياة﴾^(١) يدل على كون الموت كائن عاقل (قانون واعى), وهو يؤيد ما قاله البعض من ان القوى المسيطرة على فعاليات الطبيعة هي قوى عاقلة (نظرية القوى العاقلة), ويمكن القول ان لفظه (خلق) تعني (أمر) , أي خلق الموت والحياة هو أمر بإيجاد الموت والحياة بأعتبار ان كل عملية خلق هي أمر الهى.

فيكون ملك الموت هو المسؤول عن أستخدام هذا القانون أو هذه القوة التي هي التجلي الكلي لأسم الله (المميت) , فمن الممكن أن توجد جهات أخرى غير ملك الموت تستطيع استخدام هذا القانون وتميت الاشياء بدون الاستعانة بملك الموت, كما في عبارة للإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام في بعض خطبه والتي أشكلت على الكثيرين واعتبروها من أقوال الغلاة وهي قوله عليه السلام: (أنا المحيي أنا المميت) , فهو عليه السلام يستطيع إن يستخدم (القانون) لمعرفته بحيثياته.

هذا الطرح يوفر لنا فهم لهذه العبارة كون هذه القوانين يمكن العمل بها لكل من توصل لمعرفتها, فكل من تكامل وعرف القانون يستطيع العمل به وتجرى الأمور على يديه, وقوى الشر لا يمكن ان ترتقي إلى هذا المستوى العالى لأستخدام القانون فهي لا يمكن ان تكون (مميتة) بل هي قوى (قاتلة) , وهذا يؤيد ما قلناه سابقاً كون الإنسان الكامل لا يموت بل يُقتل, ويمكن ان تستخدم قوى الشر موضوع القتل بشكل فعال جداً من خلال ظاهرة (الحسد) , عن ابي عبد الله عليه السلام (لو نبش لكم من القبور لرأيتم ان أكثر موتاكم بالعين)^(٢), وقد فرّقنا بين الموت والقتل في فقرة سابقه والجهة الفاعلة لكلا الموضوعين.

(١) الملك/ ٢

(٢) بحار الانوار/ ج٩٢ / ص ١٢٧

رابعاً: هل يموت ملك الموت؟

ربما يقول البعض (نعم) لان ملك الموت ليس هو الموت، بل هو مستخدم القانون، وبما انه كائن لذلك يجري عليه فعل الموت، أما الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام فيحدد ان (الموت) هو الذي يُقتل وليس ملك الموت، كما ورد في الحديث بما معناه (يؤتى بالموت على هيئة كبش أملح فيذبح ما بين الجنة والنار)، إذ ان الذبح بالنسبة للموت هو إيقاف العمل به، أي إيقاف العمل بالقانون، أما إذا أخذنا لفظة (الذبح) على معنى آخر كون القتل أنواع ومنها الذبح، فإن لفظة الذبح في الحديث دقيقة جداً لان (الذبح) هو الإمعان في تهديم البنية.

أما إذا جرى فعل الموت على ملك الموت، فهذا يعني ان ملك الموت مركب أيضاً من عدة أجزاء وموته يعني تفكك أجزائه، وهذا يقودنا إلى سؤال (هل الملائكة تموت)؟، النص القرآني يحدد ان كل شيء هالك الا وجهه^(١)، فالملائكة شيء والقانون الذي تعمل به شيء، وان كنا نعتقد ان نوع الملك يتناسب مع طبيعة القانون الذي يعمل عليه، والاحاديث تشير صراحةً إلى ان كل شيء سيموت بعد عملية النفخة الأولى في الصور ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصُعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾^(٢)، فتبقى السماوات والأرض هكذا لا حس ولا محسوس لمدة أربعمائة عام ثم يُنفخ في الصور نفخة ثانية ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾، لكن إذا قُتل الموت وأصبح هناك خلود لمن في الجنة ولمن في النار، فما هي الحاجة لملك الموت بعدها؟

إن أصل إيقاف العمل بقانون الموت هو لأجل إن يكتسب أهل الجنة وأهل النار الخلود الدائم، وبما إن بعض الاحاديث الواردة عن أهل بيت العصمة عليهم السلام تؤكد بان الله عزّ وجلّ مستمر بعملية الخلق حتى بعد دخول ناس إلى الجنة وآخرين إلى النار، لان هذه دورتنا وهناك دورات سابقة وأخرى لاحقة، فيبقى الموت قانون كوني ساري العمل به للدورات اللاحقة ويتم توقف العمل به على دورتنا في نهايتها.

ربما يقول البعض ان هذه التجليات العظمى لأسماء الله عزّ وجلّ فلا يسري عليها الموت فتجليات الأسماء لا تموت لانها أوامر الله وقوانينه؟

(١) القصص / ٨٨

(٢) الزمر/ ٦٨

وهذا يؤكد المعنى ان موت هذه الكائنات هو التوقف عن العمل لتوقف عمل القانون وليس إلغائها من الوجود، وهذا يقودنا إلى استنتاج مهم كون الملائكة بالأصل خلُقوا لكي يكونوا خالدين لانهم وسائط تنفيذ الأوامر، ولعل هذا المعنى تجده واضحاً بقوله تعالى على لسان إبليس عندما خاطب آدم ﷺ وأغوائه له بالأكل من الشجرة، قوله تعالى ﴿ما نحاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا ان تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين﴾^(١)، فهي إشارة إلى وجود جهة نالت صفة الخلود، وإذا كان فعل الموت لا يجري على الملائكة فهذا ليس معناه ان الملائكة غير مُركّبة، فكل شيء دون الله فهو مركب، لكنها لا تموت لشدة ارتباطها بالله أو لانها الجهات المسؤولة عن تنفيذ الأوامر وان كان فعل الموت ساري عليها عند النفخ في الصور كما في النص القرآني.

وهذا المعنى يعترضه حديث للإمام الحسن بن علي ﷺ قال: (..... من حديث طويل..... وأشد من ملك الموت، الموت الذي يميت ملك الموت، وأشد من الموت أمر الله الذي يميت الموت)^(٢)، والحديث واضح الدلالة انه لا يلغي القانون إلا واضع القانون وهو شأنه جل وعلا، والحديث أعلاه يؤكد معنى الآية المباركة كون النفخ في الصور يميت كل الخلائق ومنها ملك الموت.

فالموت قانون ساري على (نشأة الدنيا عالماً المادي الكثيف) لقوله سبحانه ﴿كل نفس ذائقة الموت﴾، فهي خاصة بهذه النشأة، فإذا كانت الملائكة لا تنتمي كماهية إلى الخصائص المادية لهذا العالم، فهي في عالمها لا تموت والدليل كما ذكرناه في الآية السابقة حول كلام الشيطان مع آدم في الجنة، فإذا صح هذا الكلام فالملائكة إذا جاز التعبير هم (الخالدون الاوائل) لانهم وسائط تنفيذ الأوامر ولا نقصد بالخلود هو عدم الموت، بل لهذه اللفظة عدة مستويات للتحقق كما سنبين قرآنياً.

والدليل الواضح الذي لا يحتاج إلى بيان كون الموت كقانون ساري على هذه النشأة والنشآت الأخرى كون الإنسان بعد موته ومحاسبته في البرزخ سيرجع في الرجعة، ثم يموت مرة أخرى في نهاية الرجعة بعد نفخة الصور الأولى، ثم يحيى في نفخة الصور

(١) الاعراف/٢٠

(٢) الاحتجاج/ الطبري ج٢/ احتجاجات الامام الحسن ﷺ ح/١٤٩

أفكار وأستنتاجات

الثانية, وبعدها يحوز على رتبة الخلود الدائم في الجنة أو في النار النهائية, فلا موت في الجنة والنار النهائية, وعليه يمكن التمييز بين العبارتين القرآنيتين.

الأولى: قوله تعالى ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والأرض﴾^(١), فالخلود هنا مرتبط بالأجل المضروب للسماوات والأرض فهو خلود محدود لا يناله الموت, ويبدو ان الملائكة قد حازت هذا المستوى من الخلود منذ البداية إلى ان ينالهم الموت في النفخة النهائية.

الثانية: فهو قوله تعالى ﴿خالدين فيها ابدا﴾^(٢), وهو كما نفهم غير محدد بمدة وهو دال على توقف قانون الموت لأكتسابهم صفة الخلود الدائم, والحديث الذي يذكر ان الموت سيقتل هو خاص بهذه المرحلة بالذات.

ونفهم من قوله تعالى ﴿انك ميت وانهم ميتون﴾^(٣), وقوله ﴿وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفان مت فهم الخالدون﴾^(٤), أي انك يا رسول الله ﷺ في هذه النشأة ميت لسريان قانون الموت على كل من فيها, فلم يخلد أحد في هذه الدنيا, أما المسيح ﷺ والخضر ﷺ والمهدي ﷺ فلا نقول عنهم حالياً خالدين, بل هم معمرين ولا بد من سريان فعل الموت عليهم في آخر الزمان.

(١) هود / ١٠٧

(٢) الاحزاب / ٦٥

(٣) الزمر / ٣٠

(٤) الانبياء / ٣٤

خامساً: طاقة (شحنة) الروح والنفس والجسم.

يعترف العلماء اليوم بوجود أربعة قوى مستقلة في الطبيعة:

أولاً: القوة الجاذبة، وهي المسؤولة عن جذب الاجسام الكبيرة مع بعضها كما في علاقة القمر مع الأرض أو الأرض مع الشمس.

ثانياً: القوة الكهرومغناطيسية، وهي المسؤولة عن التجاذب بين الجزيئات المختلفة الشحنة والتنافر بين الجزيئات المتشابهة الشحنة وهي التي تحافظ على استقرار الذرة بصورة عامة من خلال تحديد مدارات الالكترونات وهي القوة المهيمنة في عالم الكيمياء.

ثالثاً: القوة النووية الشديدة، وهي المسؤولة عن ارتباط (النيوترونات والبروتونات) داخل نواة الذرة.

رابعاً: القوة النووية الضعيفة، وهي القوة التي تتحكم بتحلل الجسيمات الأولية داخل الذرة.

وهناك جهود بحثية جبارة في علم الفيزياء والرياضيات لإيجاد صيغة رياضية لتوحيد هذه القوى اصطلح على تسميتها (بالقوة الفائقة) .

ويهمنا هنا تلك القوة التي تمسك الاجسام ذات الشحنات المتشابهة، فالمعلوم ان كل ذرة تحتوي على نواة وهذه النواة بدورها تتكون من (بروتونات موجبة الشحنة ونيوترونات متعادلة الشحنة) ، فالنواة بصورة عامة موجبة الشحنة تبعاً لشحنة البروتونات، ولكن السؤال هو: لماذا لا تتنافر البروتونات بعضها عن بعض وهي كلها ذات شحنة موجبة إذ حسب القاعدة ان كل شحنتين متشابهتين تتنافر، ان السبب في ذلك وجود قوة (ماسكة) تعاكس القوة الدافعة للشحنات المتشابهة وهذه القوة من القدرة بحيث انها تحافظ على هيكلية النواة وبالتالي هيكلية المادة، فإذا انكسرت هذه القوة (الماسكة) تحررت البروتونات والنيوترونات مولدة طاقة جبارة هي نفسها الطاقة الماسكة والمعروفة حالياً بالطاقة النووية، فلو كانت البروتونات والنيوترونات ذات شحنات مختلفة (أي سالبة وموجبة) لألغت أحدهما الأخرى كشحنات، أما على المستوى المغناطيسي فأختلاف القطبية المغناطيسية يؤدي إلى جذب أحدهما للأخرى بقوة يصعب فصلها.

أفكار وأستنتاجات

إذن يمكن التشبيه بين عمل هذه القوى والموت، فالموت هو انكسار لهذه القوة الماسكة التي تمسك الاجزاء، ويمكن القول استناداً إلى هذا المثل الذري واستناداً إلى القاعدة الكونية العامة التي تؤكد ان كل شيء في الكون متناسق وان ما يجري على أكبر الاشياء وأعقدها يشابه ويتناسق مع ما يجري مع أصغر الاشياء وأبسطها، فيمكن كطريقة ربط بين الاشياء ان نفهم ان النيوترون المتعادل الشحنة هو بمثابة الجسد، والبروتون الموجب الشحنة هو بمثابة النفس، وان القوة الماسكة لهذه الاجزاء هي طاقة الروح الجبارة فعند حدوث الموت تنكسر هذه القوة الماسكة (علماً ان الطاقة هي شكل من أشكال المادة) وتنفصل النفس (ذات الشحنة الموجبة)، لذلك ذكرت سابقاً ان النفس في عالمها لها حياة (أي شحنة)، أما الجسد فهو بمثابة النيوترون متعادل الشحنة فبعد انفصال الاجزاء يعود لأصله متعادل الشحنة (جثة هامدة)، لذلك فالنفس توافقة للعودة إلى عالمها، لكن وجود طاقة الروح هي التي أجمتها في الاجساد، لذلك قال الإمام علي عليه السلام (ان الله تبارك وتعالى علم ان الارواح في شرفها وعلوها متى ما تركت على حالها نزع اكثرها الى دعوى الربوبية دونه عز وجل فجعلها بقدرته في الابدان التي قدر لها في ابتداء التقدير نظراً لها ورحمة بها) ^(١).

وربما نستطيع القول أن شحنة النفس عند بعض الناس المحبين للدين ترتبط بالجسم أشد الارتباط، فتكون حالة الموت والنزاع له مؤلمة جداً كما ذكرت الاحاديث، لان نفسه لا تفك ارتباطها بالجسم فهي متعشقة فيه، ومن هذا الباب وصفت بعض الاحاديث ان الموت هو أشبه بقرض بالمقاريض ونشر بالمناشير ورضخ بالحجارة، وهي حالة ليست عامة للكل، بل لكل من تمسكت نفسه بجسمه، أما حالة النزاع عند البعض فهي سهلة لتنافر شحنة النفس مع الجسم فهذه النفس تحن إلى عالمها فهي دائماً بارتباط ضعيف بالجسم فتكون عملية خروجها سهلة لوجود هذا التنافر ^(٢).

(١) البحار: ج٥٨. باب ٣٣ ح ٦، علل الشرائع: ج ١ باب ١٣ ح ١
(٢) ان كل شيء دون الله مُركَّب والمادة جزء من هذا التركيب وبما ان الإنسان كائن مُركَّب (روح جسد نفس) فان العناصر الاربعة للتخليق (الماء النار الهواء التراب) لا بد وان يكون لها ظهور في هذه المركبات، فالروح كطاقة هي أقرب لعنصر الهواء، ووصفت الاحاديث الروح كونه مجانس للريح وعالمها الجبروت، والنفس أقرب لعنصر الماء فهي ذات طبيعة سيالة إذا جاز التعبير وعالمها الملكوت، والجسد ايضا يتكون من هذه العناصر الاربعة إلا ان عنصر التراب هو الطافي والاكثر

تحققاً وعالمه المُلْك, إذأ فللروح قالب هوائى وللنفس قالب مائى وللجسد قالب ترابى, فيما خلق الجان من النار فله روح ونفس وجسد إلا ان عنصر النار هو الأكثر تحققا فجسده نارى طاقوى إذا جاز التعبير.

الفصل السابع

زمان ومكان الرجعة

تسلسل الاحداث بعد خروج الإمام المهدي عليه السلام

لابد من إجراء جولة سريعة نوضح فيها ما سيحدث بعد خروج الإمام المهدي عليه السلام ، لكي ننطلق لبيان تسلسل احداث الرجعة، وأن وضع تسلسل منطقي لتتابع الأحداث بعد خروج المهدي عليه السلام ليس بالأمر السهل لوجود جملة من الأحداث الجسيمة والمتداخلة مع بعضها، ناهيك عن أمر مهم جداً وهو أنني اعتقد كما اثبتته في اجاث اخرى، ان كفيات ما بعد الظهور تختلف أو تبدأ تختلف عن الكثير من الكفيات التي نألفها هذه الأيام، لأن النظام الطبيعي في تلك الايام سيتغير، والتغير سيحدث على الواقع الفلكي للأرض الذي سيسير باتجاه (اللبوث) ^(١)، كنتيجة حتمية لوصول الموجودات إلى هذه النقطة من (الحركة الكونية) ^(٢).

لان الوضع الفلكي في ايام الرجعة وخصوصا في نهايتها سيكون مشابه للوضع الفلكي في ايام خلق آدم عليه السلام، وذلك الوضع يجعل النظام الطبيعي فيه من المميزات والخصائص ما لا نراه في نظامنا الان، فحركة الفلك لها الدور الاهم في تشكيل نمط النظام الطبيعي، فاذا تغير الفلك تغيرت الطبائع والطبيعة، فلا بد ان يكون الوضع الفلكي في زمن الرجعة مشابه للوضع الفلكي لفترة خلق ادم عليه السلام حرفاً بحرف، وهذا ما تسميه الاحاديث (باستدارة الفلك)، فادم حُلِق عند الاستدارة الاولى للفلك عندما كان طالع الدنيا السرطان والوقت الزوال والشمس في الحمل والكواكب في اشرفها، فاذا كان يوم الرجعة حدثت الاستدارة الثانية للفلك وعادت كما بدأت، وتكون بمعناها الاعم عند كره امير المؤمنين عليه السلام والمعركة الكونية النهائية فيكون الفلك في حينها على اشتد الاستقامة ^(٣).

(١) لقد ناقشنا هذا الموضوع بشكل مفصل في كتابنا (نجم يتقلب في الآفاق) فراجع.

(٢) لقد ناقشنا بالتفصيل موضوع الحركة الكونية وسير الموجودات في كتابنا (أيام الله) فراجع.

(٣) عن الاشعث بن حاتم. قال: كنت بخراسان حيث اجتمع الرضا عليه السلام والفضل بن سهل والمأمون في ايوان الحري بمرور فوضعت المائدة، فقال عليه السلام (النهار حُلِق قبل أم الليل؟ فما عندكم؟) قال: فأرادوا الكلام فلم يكن عندهم في ذلك شيء، فقال الفضل للرضا عليه السلام: أخبرنا بها أصلحك الله، فقال (نعم من القرآن أم من الحساب؟) قال له الفضل: من جهة الحساب. فقال (قد علمت يا فضل ان طالع الدنيا السرطان والكواكب في مواضع شرفها فزحل في الميزان والمشتري في السرطان والشمس في الحمل والقمر في الثور فذلك يدل على كينونة الشمس في الحمل في العاشر من الطالع في وسط

ويمكن ان ندخل لموضوع تسلسل الأحداث بعد الظهور من خلال موضوع مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام ، فقد اختلفت المرويات لكلا الفريقين والفريق الواحد بذكر عدة مُدد لحكم الإمام عليه السلام ، فالمشهور عند مصادر العامة أن المهدي عليه السلام يملك (٩٧) سنوات، ولهم مرويات تعارض هذين الرقمين منها (يبقى المهدي أربعين عام) ، (يملك سبع سنين أو ثمان أو تسع) ، (يملك تسعاً وثلاثين) ، (ثلاثون سنة) ، (يملك سبع سنين وشهرين) ، (يملك أربع وعشرين سنة) ، (يلي أمر الناس ثلاثين أو أربعين سنة)، والقول الراجح عندهم هي روايات (٩٧) سنوات، وحتى لو كانت روايات الأربعين سنة صحيحة باعتبارها أعلى فترة لحكم القائم عليه السلام ذكرتها مرويات العامة فإن هذه المدة القصيرة تبرز لنا أشكال مهم وهو، أن دولة العدل الالهي ومشروع (بملاها قسطاً وعدلاً) ومشروع (خلافة الله على الأرض) تشغل فترة (٩٧) أو (٤٠) سنة، مما يجعل الانسان المسلم يسأل نفسه سؤال محوري، وهو: ماذا بعد انقضاء هذه الفترة؟ والجواب المنطقي لهذه المقدمة انه بعد انتهاء هذه المدة يموت المهدي عليه السلام وليس بعدها إلا يوم القيامة. فهل من المنطق، وهل من المعقول، وهل من العدل، ان هذا الإمام الذي أدخرته السماء لاطهار دين الله عزّ وجلّ وعدله ونصرة أوليائه، والذي هو أمل كل الأنبياء والمرسلين، ان تنتهي دولته ودوره بهذا الشكل السريع (والبارد)، وهل هذه الفترة كافية لكي يملأها قسطاً وعدلاً؟ وهل من العدل الالهي ان يحكم الشر خلال تاريخ البشرية آلاف السنين ولا يحكم الخير إلا (٩٧) سنوات أو في أقصى الأحوال (٤٠) سنة؟

ومن هنا سنفهم لماذا ركّز كل الباحثين والمتدنيين من ابناء العامة على عبارة واحدة يكررونها دائماً في أبحاثهم وهي من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله في شرح أحوال القائم عليه السلام ، قوله (أن الله سيُصلحُه في ليلة) ، فالمهدي عندهم يولد في آخر الزمان ولا يعي دوره، بل هو شخص سينزل عليه الأمر الالهي في ليلة مباركة مستقبلية يَمَن بها الله عليه وعلى البشرية ويُصلح له حاله في تلك الليلة الموعودة، فيظهر وينتقم من أعداء الله ويملاها قسطاً وعدلاً، فهو عندهم (يظهر فجأة وينتهي فجأة) ، لذلك كانت

السماء فالنهار خلق قبل الليل، وفي قوله تعالى (لا الشمس ينبغي لها ان تدرك القم ولا الليل سابق النهار) أي قد سبقه النهار) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٦/ ص ٣٩٧/ ح٢

الغايات النهائية للدين الإسلامي وحقيقة القرآن الكريم والرسالة المحمدية صلى الله عليه وآله عند العامة مرتبطة فقط بيوم القيامة، وبالنتيجة فهم منطقياً يرفضون موضوع الرجعة لان مصير الكون والإنسان والدين عندهم مرتبط بيوم القيامة وليس بالمهدي عليه السلام، وهذا الفهم عند أبناء العامة سيقودهم بالضرورة وكنتيجة حتمية إلى إنكار جملة من المواضيع المتعلقة بهذا المشروع ومنها (الإمامة العصمة طول عمر المهدي البداء الرجعة).

وإذا آمننا بهذا المنطق الذي يتبناه ابناء العامة كون مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام مدة قصيرة، سنواجه إشكالات أكبر تتعارض مع جملة من النصوص القرآنية الواضحة التي رسمت تصور مُذهل عن غاية الله عز وجل من هذا المنقذ، بل الغايات العظمى التي سيصل إليها أبطال الخير والثمرة المرتقبة لرسالات الرسل وجهود الأنبياء والصالحين على يد خليفة الله في أرضه، وإليك بعض الآيات التي لا تنطبق إلا على مشروع خلافة الله على الأرض.

قوله تعالى ﴿أني جاعل في الأرض خليفة﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿يوم يأتي تأويله﴾^(٢)، وقوله تعالى ﴿أن الدين عند الله الإسلام﴾^(٣)، وقوله تعالى ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾^(٤)، وقوله تعالى ﴿وما خلقت الإنس والجن إلا ليعبدون﴾^(٥)، وقوله تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوء من اللجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾^(٦)، وقوله تعالى ﴿ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾^(٧)، وغيرها الكثير.

فأين نذهب بكل هذه العناوين القرآنية ذات البُعد المستقبلي والتي لم تتحقق لحد الآن، والتي تُظهر وتحدد الغاية من هذا المشروع، وتبين ما سيحدث في دولة العدل بوراثة (الأرض) من قبل عباد الله الصالحين، والذي أسماه المسيح عليه السلام (ملكوت الله على الأرض)، فهذه العناوين القرآنية هي نتيجة حتمية لسير الموجودات باتجاه

(١) البقرة/ ٣٠

(٢) الاعراف/ ٥٣

(٣) ال عمران/ ١٩

(٤) الانبياء/ ١٠٥

(٥) الذاريات/ ٥٦

(٦) الزمر/ ٧٤

(٧) القصص/ ٥

غايات عظمى من خلال التكامل في دولة العدل.

إذاً فالتصور الذي يتبناه الباحثين والمتدينين من ابناء العامة حول مشروع المهدي عليه السلام والغايات المرتبطة به والثمرة النهائية لمستقبل الدين والإنسان والكون هو تصور ضيق جداً وضبابي ومبتور ولا معنى له، والغريب أن هناك جملة من المرويات عند العامة بعدد لا يستهان به تشرح أحوال الإمام المهدي عليه السلام بعد ظهوره، وأغلبها ذات طابع عسكري قتالي كروايات فتح البلدان، ومقاتلة الكفار، وسيطرته على مشارق الأرض ومغاربها، بالإضافة إلى المرويات التي تشرح حدوث مواضيع وآيات جسيمة في زمنه كطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدجال، ونزول المسيح، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج دابة الأرض، ونار تخرج من قعر عدن تسوق الناس إلى المحشر وغيرها من علامات الساعة، فكيف لنا أن نتصور دولة عدل الهي تنطبق عليها كل العناوين القرآنية وكل هذه الأحداث الجسيمة بهذا العمر القصير وبكل هذه المشاكل والإرهاصات فمتى (سيملأها قسطاً وعدلاً) ، ومتى سيرعى الذئب مع الشاة ومتى يتنعم المؤمنون بخيرات المهدي عليه السلام .

لذلك ترى أغلب الباحثين من ابناء العامة يحاولون جهد إمكانهم ان يسحبوا مجموعة من العلامات التي تحدث بعد خروج المهدي عليه السلام ويضعونها قبل خروجه لكي يخلصوا من هذا التناقض، فجعلوا الدجال وطلوع الشمس من مغربها ودابة الأرض وغيرها قبل خروج المهدي عليه السلام كي تستقيم الاحداث على هواهم، واحسنهم حالاً من جعلها من اشرط الساعة.

أما مرويات الشيعة فتوفر لنا نظرة ذات بُعد خلاق يتفاعل مع عناوين القرآن وغايات مشروع الخلافة، فهي تصور لنا واقع مُذهل يأتي على شكل تدريجي ومتصل وصولاً إلى أهداف عليا، وإذا أضفنا موضوع الرجعة لهذه المنظومة القرآنية والحديثية فهي ستعطينا إجابات عامة وخاصة لما سيحدث وكيف سيحدث ويعطي لمشروع الإمام المهدي عليه السلام افق زمني واسع كافي لأستيعاب كل أهدافه وكل حيثياته.

ويمكن ان نضع تصور (جزئي) لما سيحدث في زمن ما بعد الظهور من خلال موضوع الرجعة ومن خلال موضوع مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام ، أما (تفاصيل) هذا الموضوع ستجده متداخل مع بقية فصول الكتاب، فالمرويات الشيعية بصورة عامة تذكر أن للإمام المهدي عليه السلام مدتين للحكم مع اختلاف الأرقام هنا وهناك،

فهو يظهر ثم يقتل ثم يعود، وتطرح تصور آخر ان هناك عدة مُدد لحكم الإمام المهدي عليه السلام تأتي بالتتابع على طول فترة (يوم الرجعة) .

عن أبي عبد الله عليه السلام (يملك القائم تسع عشرة سنة وأشهر) ^(١)، فيما ورد في خطبة البيان للإمام علي عليه السلام انه يحكم (٤٠) سنة، وورد أيضاً (٨٠) سنة.

قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كم يملك القائم؟ قال (سبع سنين يطول له الأيام والليالي حتى تكون السنة من سنياه مكان عشر سنين من سنينكم هذه فيكون سني ملكه سبعين سنة من سنينكم هذه) ^(٢).

عن رسول الله صلى الله عليه وآله (من حديث طويل عن الإمام المهدي عليه السلام ولأنصرنه بجندي وملائكتي حتى يعلن دعوتي ويجمع الخلق على توحيدني ثم لاديمن ملكه ولأدأولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة) ^(٣).

والأحاديث بهذا الشكل فيها معاني كثيرة فهي تؤكد طول يوم الرجعة وطول فترة خلافة الله على الأرض لقوله (لأديمن ملكه) ، وهي تقابل العبارة الواردة في الدعاء (تمتعهُ فيها طويلاً)، كما أن الحديث يؤكد أن أولياء الله كلهم يحكمون وليس المهدي عليه السلام وحده، بل هو أولهم لقوله (لأدأولن الأيام بين أوليائي) ، وهي تقابل مجموعة من أحاديث الرجعة كما ذكرناها في فصل سابق كون أن الأئمة

(١) الغيبة للنعماني/ باب ٢٦/ ح ١ ينابيع المودة: ١٨١.

(٢) الغيبة/ للطوسي/ ٤٧٤ بحار الانوار/ للمجلسي/ ٢٥/ ٢٩١ و ٣٨٦. اثبات الهداة/ ٣/ ٦٢٤.

ورد حديث آخر بنفس المعنى، عن أبي جعفر عليه السلام: (من حديث طويل..... فيمكنك على ذلك سبع سنين كل سنة عشر سنين من سنينكم هذه ثم يفعل الله ما يشاء. قال: قلت: جعلت فداك فكيف يطول السنين؟ قال: يأمر الله تعالى الفلك باللبوث وقلة الحركة فتطول الايام لذلك والسنون) . الارشاد للمفيد: ٣٦٥ كشف الغمة: ٢/ ٢٥٦.

لقد أشرنا إلى كتاب (نجم يتقلب في الآفاق) وكتاب (ايام الله) للمؤلف في أكثر من مورد فقد أوضحنا كيف ان النظام الفلكي للأرض سيتغير في فترة ما بعد الظهور تمهيداً لظهور الجنان المدهامتان، وان الحديث الذي يؤكد ان الإمام المهدي يحكم سبع سنوات كل سنة تعادل عشرة سنوات من سنيننا هذه هو من جملة الأدلة التي أعتمدنا عليها لاثبات هذا الأمر، بالإضافة للآيات القرآنية وروايات أخرى وأدلة علمية، فالتصور الصحيح لهذا الحديث هو ان الأرض حالياً تكمل دورتها حول الشمس ب (٣٦٥) يوم، أي سنة واحدة، أما إذا أكملت دورتها حول الشمس بعشرة سنوات من سنيننا هذه فتكون السنة في تلك المدة تعادل زمنياً عشرة سنوت من سنواتنا هذه، فتكون السبع سنوات معادلة لسبعين سنة، لان النظام قد تغير، فالرجعة ستحدث في نظام (برزخي) نتيجة تغير واقع الأرض الفلكي من الدوران إلى اللبوث.

(٣) كمال الدين وتمام النعمة/ الشيخ الصدوق.

كلهم سيرجعون ويحكمون ومنها مُدد حكم طويلة جداً، فالإمام علي عليه السلام يحكم (٤٤٠٠٠) سنة، ورسول الله صلى الله عليه وآله يحكم (٥٠٠٠٠) سنة، وهي كلها قبل يوم القيامة، لذلك قال الحديث (لأدأولن الأيام بين أوليائي إلى يوم القيامة) ، كما أن في الحديث حقيقة لطيفة وهي قوله (لأدأولن الأيام) ، ولم يقل لأدأولن السنين، لان النظام الفلكي في تلك الفترات المتقدمة من دولة العدل سيكون نظام الأيام فيه هناك مقابل لنظام السنين هنا، فكل يوم هناك بألف سنة لذلك قال سبحانه ﴿وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾^(١)، بل في مرحلة متقدمة سيكون ﴿في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة﴾^(٢)، وبإمكانك أن تلاحظ التلازم بين فترة حكم رسول الله صلى الله عليه وآله البالغة أيضاً (٥٠٠٠٠) سنة، وبإمكانك ان تراجع ما كتبناه في فقرة (مفهوم الرجعة والكرّة) للاستزادة.

عن أبي عبد الله قال: في قوله تعالى ﴿يوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾ قال (ليس أحد من المؤمنين قُتل إلا سيرجع حتى يموت، ولا أحد من المؤمنين مات إلا سيرجع حتى يقتل)^(٣).

فإذا كان الإمام الحجة الغائب عليه السلام منذ ولادته إلى حين ظهوره لم يجري عليه فعل الموت أو القتل، فبعد ظهوره يجب أن يموت ويقتل، والراجح انه سيقتل أولاً أسوة بأبائه وجده صلوات الله عليهم أجمعين، ثم بعدها يرجع ويذوق الموت، ومن خلال هذا الطرح يمكن ان نفهم لماذا اختلفت المرويات في ذكر مدة حكم القائم عليه السلام^(٤).
ومن الأحاديث نفهم وجود أكثر من مدة زمنية لحكم القائم عليه السلام ، وهذا ما

(١) الحج/٤٧

(٢) المعارج/٤

(٣) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي.

(٤) يقول الشيخ الاحسائي (فاذا تحقق وعلم جاء الحجة عليه السلام الموت فتقتله سعيدة التميمية لعنها الله ترميه بجون حجر من فوق سطح وهو متجاوز في الطريق كما روي وهذه المرأة لها لحية مثل لحية للرجل) الرجعة/ ص ٤٥

لم يتوفر لدي دليل روائي من كتب الحديث المعتمدة عند الشيعة يذكر فيه كيفية موت أو قتل الإمام المهدي عليه السلام وان كانت النصوص تذكر عبارة (إذا جاء الحجة الموت) ، لكن هناك بعض الكلام في التراث الشيعي الشعبي الشفوي يذكر إن الإمام يُقتل، وربما هذا الموضوع وجملة من مواضيع الرجعة تناقلها الارث الشعبي الشفوي من بعض الكتب التي لم يعتمدها العلماء لعدم ثبوت عناوينها أو رواياتها، وكما ذكرنا في فصل سابق عن الاسباب التي أدت إلى عدم الاهتمام أو إنكار موضوع الرجعة نتيجة لأهمال جملة من النصوص الخاصة.

يؤكد وجود ميتة وقتلة له عليه السلام، فعند ظهوره سيحكم مدة قصيرة هي المحددة بـ (تسع عشرة سنة وأشهر) أو (٤٠) أو غيرها، ثم يُقتل بعدها عليه السلام حيث أكدت الأحاديث أن الذي يلي غسله ودفنه هو الإمام الحسين عليه السلام.

عن أبي عبد الله عليه السلام (من حديث طويل.... قال: اذا جاء الحجة الموت فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحدّه في حفرته الحسين بن علي عليه السلام ولا يلي الوصي إلا الوصي) (١).

ثم بعدها يرجع إلى هذه الدنيا ويحكم للمرة الثانية التي ستكون ذات زمن أطول يستمر لمدة سبعين سنة (سبع سنين كل سنة بعشرة سنين من سنينكم)، ولعل مدة حكم القائم عليه السلام تتناغم مع زمن الغيبة، فكما أن له عليه السلام غيبة صغرى وغيبة كبرى، فسيكون له مدة حكم صغرى ومدة حكم كبرى، وبصورة عامة مدة السبعين عام ليست فترة طويلة، فقد ورد في الدعاء للإمام الحجة عبارة (حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيه طويلاً).

بالاسناد عن بريدة الاسلمي قال: قال رسول الله ﷺ (كيف إذا استيأست أمتي من المهدي فيأتيها مثل قرن الشمس يستبشر به أهل السماء وأهل الأرض). فقلت: يا رسول الله ﷺ بعد الموت؟ فقال ﷺ (والله أن بعد الموت هدى وإيمان ونوراً). قلت: يا رسول الله ﷺ أي العمرين أطول؟ قال ﷺ (الآخر بالضعف) (٢).

لا ادري بالضبط ان سؤال السائل في هذا الحديث عن (أي العمرين أطول) يقصد به عمر المؤمنين في زمن القائم عليه السلام، أو عمر القائم عليه السلام، أو عمر دولة العدل، وفي كل الأحوال نصل إلى النتيجة نفسها من طول الأعمار للقائم عليه السلام والمؤمنين في دولته، فقد دلت الروايات على ذلك، وعلى احتمال ان الحديث يشير إلى عمر الإمام عليه السلام، فالعمر الأول هو عمر الإمام منذ ولادته سنة (٢٥٥) هـ إلى يوم ظهوره، وهو حالياً أكثر من (١٠٠٠) سنة، فيكون عمره الآخر بالضعف، أي أن عمره الآخر هو مُضاعف هذا الرقم، وهي مدة بلا شك طويلة فتكون، العبارة الواردة في الدعاء (وتمتعة فيها طويلاً) صحيحة لأن عمره بعد الظهور سيكون

(١) مختصر البصائر/عز الدين الحلبي.

(٢) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/باب ٩/ح ١٠١/ص ٢٨٩.

بالضعف.

عن الإمام الحسن بن علي عليه السلام (أنه مر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله بحلقة فيها قوم من بني أمية، فتغامزوا به وذلك عندما تغلب معاوية على ظاهر أمره. فرآهم وتغامزهم به، فصلى ركعتين ثم جاءهم فلما رأوه جعل كل واحد منهم يتنحى عنه مجلسه له، فقال لهم: (كونوا كما أنتم فإني لم أرد الجلوس معكم ولكن قد رأيت تغامزكم بي، أما والله لا يملكون يوماً إلا ملكنا يومين، ولا شهراً إلا ملكنا شهرين، ولا سنة إلا ملكنا سنتين^(١))، والحديث أيضاً يؤكد فترة الحكم بالضعف، وهناك حديث آخر يحدد مدة زمنية أخرى وهو:

عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول (والله ليملكن منا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة ويزداد تسعة. قلت: متى يكون ذلك؟ قال: (بعد القائم). قلت: وكم يقوم القائم في عالمه؟ قال (تسعة عشر سنة ثم يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين عليه السلام ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتى يخرج السفاح - وهو أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام)^(٢).

وكما تلاحظ ان هذه المدة قد حُددت بعد موت القائم عليه السلام والحديث يوضح مدة (التسعة عشر سنة) كونها المدة الأولى لحكم القائم عليه السلام، وقد ذكرت المرويّات أن هذه المدة (٣٠٩) سنة بعد موت القائم عليه السلام هي مدة حكم الإمام الحسين عليه السلام، والسفاح هو الإمام علي عليه السلام كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام. ولكن الاحاديث تشير بشكل واضح إلى تسلسل رجعة بعض الأئمة عليهم السلام، فبعد المهدي عليه السلام يأتي الحسين عليه السلام وبعده الإمام علي عليه السلام.

ورد في كتاب شرح الزيارة الجامعة (....) وقال في البحار وتلميذه الشيخ عبد الله بن نور الله البحراني في كتابه العوالم اعلم ان الاخبار المختلفة الواردة في أيام ملكه عليه السلام بعضها محمول على جميع مدة ملكه، وبعضها على زمان استقرار دولته، وبعضها على حساب ما عندنا من السنين والشهور، وبعضها على سنه وشهوره الطويلة، والله يعلم بحقائق الامور.....^(٣).

(١) بحار الانوار/ المجلسي: ٩٠/٤٤ - ومثله في مناقب آل أبي طالب: ١٧٥/٣.

(٢) مختصر البصائر/ عز الدين الحلبي/ أحاديث في الرجعة من غير طريق سعد (٤٢/١٤٢).

(٣) شرح الزيارة الجامعة/ الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي/ ج ٣/ ص ٤١:

والمعنى الذي يذكره الشيخ الاحسائي نقلاً عن العوالم يوفر لنا مساحة لفهم تعدد مدة حكم الإمام المهدي عليه السلام كون كل مدة شارحة ومُبيّنة لخصوصية من خصوصيات مُلكه، فيمكن صرف مُدة أول حكمه وقتاله مع الكافرين حين استقرار الوضع بمعناه السياسي بـ (١٩) سنة، ويمكن صرف فترة الاربعين سنة أو غيرها باتجاه ملكه بعد استقرار الوضع السياسي والبدايات الأولى لأصلاح النظام وظهور أول بوادر دولة العدل، أما مدة حكمه البالغة (٧) سنوات كل سنة بعشر سنين من سنيننا هذه، فيمكن صرفها إلى مدة استقرار النظام الطبيعي والتغير الفلكي وظهور الجنتان المدهامتان.

ويمكن ان نصرف تعدد مُدد حُكم الإمام المهدي عليه السلام وباقي الأئمة عليهم السلام باتجاه آخر، وهو تعدد مُدد الحُكم نتيجة لاختلاف الواقع التاريخي والطبيعي الذي سيرافق جملة الاحداث من خلال مسيرة الموجودات باتجاه تكاملها.

ولنا في هذا الأمر تصور آخر سنذكره على شكل نقاط وهو:

١- **أحداث (ما قبل) ظهور الإمام المهدي عليه السلام**: وتكون جملة العلامات ذات طابع (سياسي) ، (اجتماعي) ، (تاريخي) منها علامات محلية وأخرى عالمية، فهناك مجموعة من الرايات المختلفة فكرياً وعقائدياً تتصارع للوصول إلى غايات وهو ما نطلق عليه الآن (الصراع السياسي) .

٢- **أحداث (الظهور)**: وجملة العلامات فيه ذات طابع (عالمي) لانه حدث يشمل كل الأرض.

٣- **أحداث (ما بعد) الظهور**: وتكون الاحداث فيه ذات طابع (ملحمي) لظهور الجانب الاعجازي وتداخل بعض العوالم.

٤- **أحداث (الرجعة)**: وتكون الاحداث فيه ذات طابع (كوني) متعلق بتغير النظام وظهور قوانين جديدة وكيفيات جديدة منها تغير النظام الفلكي وظهور الجنتان المدهامتان.

فيمكن القول إجمالاً ان هناك مُدة حكم للإمام المهدي (طبيعية) وهي مدة (١٩) سنة، فيها صراع تاريخي وسياسي وعقائدي لتصفية المخالفين إلى ان يستقر الوضع بالمعنى السياسي، وهي تأويل قوله تعالى ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا

بين يديه من الكتاب ومهيماً عليه فأحكم بينهم بما أنزل الله ﴿١﴾.

وهناك مُدة حكم (عالمي) تتم فيه السيطرة على كل بقاع الأرض وظهور الحكومة العالمية، وهي تأويل قوله تعالى ﴿إن الدين عند الله الإسلام﴾ ﴿٢﴾.

وهناك مُدة حُكم أخرى ذات طابع (ملحمني) يتمثل بظهور الجانب الاعجازي والولاية التكوينية لشخص الإمام وربما هي فترة (٧) سنوات كل سنة بعشر سنين من سنيننا هذه وهي أول بوادر تغير النظام الفلكي، وهي تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾ ﴿٣﴾.

وهناك مدة حكم أخرى ذات طابع (كوني) وهي قولهم ﴿اللهم صلِّ على محمد وآل محمد﴾ في الدعاء (ومتتمعه فيها طويلاً). وهي تأويل قوله تعالى ﴿وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرها﴾ ﴿٤﴾.

فيكون موضوع مدة الحكمين للإمام المهدي عليه السلام أو تعدد فترات الحكم هي أمر منطقي يتناغم مع العناوين القرآنية الخاصة بوراثة الأرض وهيمنة الدين الإسلامي على بقية الشرائع كما أنها تتفق مع عدة عناوين آخر لها نفس التصور كما شرحنا في مواضيع سابقة مثل (الغيبية الصغرى والغيبية الكبرى)، (حشر أصغر حشر أكبر أي خاص للرجعة وعام لكل الخلائق)، (بعث أصغر وبعث أكبر)، (نفخ أصغر ونفخ أصغر).

وإذا أضفنا للموضوع مدد حكم بقية الأئمة ورسول الله ﷺ مع جملة الأحداث

(١) المائدة / ٤٨

(٢) ال عمران / ١٩، عن الباقر عليه السلام في قوله تعالى: (ان الدين عند الله الإسلام) قال: (التسليم لعلي بن ابي طالب عليه السلام بالولاية). تفسير البرهان/ البحراني / ج٢ / ص ١٦ / ح٣.

(٣) الزمر / ٧٤

عن أبي الحسن عليه السلام قال: (لما حضر علي بن الحسين عليهما السلام الوفاة أغمي عليه ثلاث مرات، فقال في المرة الأخيرة: (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) ثم مات). تفسير البرهان/ البحراني / ج٦ / ص ٥٦٨ / ح٢.

(٤) آل عمران / ٨٣.

عن أبي عبد الله عليه السلام يقول: (وله أسلم من في السموات والأرض طوعاً وكرها) قال: إذا قام القائم لا تبقى أرض إلا نودي فيها بشهادة ان لا إله إلا الله وان محمد رسول الله) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٢ / ص ٦٤ / ح٤.

الجسيمة بعد الظهور، كطلوع الشمس من مغربها ودابة الأرض والدجال ونزول المسيح عليه السلام ويأجوج ومأجوج، بل عناوين أخرى خاصة لم تذكر إلا في مرويات الشيعة مثل ظهور الملائكة والجن وتعاملهم مع الناس والانفتاح على بقية العوالم المخفية عنا حالياً والرجعة وظهور الجنتان المدهامتان على الأرض، كل هذه العناوين إجمالاً لا تتحقق إلا إذا كانت هناك فترة طويلة جداً لحدوث وتسلسل كل هذه الأحداث.

إذن فلا بد من مدة طويلة لكي تتحقق كل العناوين القرآنية والروائية الخاصة بمشروع المهدي عليه السلام وخلافة الله ووراثة الإنسان الكامل للأرض وما عليها للبدء بمرحلة جديدة من معرفة الإنسان بربه وحصول العبادة والمعرفة الحقيقية ﴿وما خلقت الجن والأنس إلا ليعبدون﴾^(١) ولا يمكن أن نصل إلى ترتيب منطقي وفهم معقول لكل هذه العناوين إلا من خلال فهم موضوع الرجعة فهو يوم طويل من (أيام الله) القادمة والذي سيتوج بوراثة الأرض لعباد الله الصالحين في نقلة نوعية لكل مفردات الإنسان والحياة، بل هي نقطة أولية باتجاه فهم الكون والغايات إنطلاقاً إلى الجنات العاليات فهي مرحلة تكاملية لسير الموجودات ومعرفة الإنسان بربه.

هذه المقدمة سقناها لكي يعرف القارئ الكريم أهمية بل حتمية موضوع الرجعة في تسلسل الأحداث لكي يكون له تصور إجمالي لما سيحدث وهي مقدمة مهمة للدخول معنا إلى فضاء التفاصيل.

زمان ومكان الرجعة

هناك عدة أحاديث حددت هذين المحورين:

١- عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ إِيمَانِهِمْ لَأَيِّعِثَ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، قال: (يا أبا بصير ما يقولون في هذه الآية) قلت: إن المشركين يزعمون ويحلفون لرسول الله ﷺ إن الله لا يبعث الموتى قال: فقال (تباً لمن قال هذا سلهم هل كان المشركون يحلفون بالله أم باللات والعزى) قال: قلت: فأوجدنيه، فقال (يا أبا بصير لو قام قائمنا بعث الله قوماً من شيعتنا قباع سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوماً من شيعتنا لم يموتوا فيقولون: بعث فلان وفلان وفلان من قبورهم وهم مع القائم؟ فيبلغ ذلك قوماً من عدونا فيقولون يا معشر الشيعة ما أكذبكم هذه دولتكم وأنتم تقولون فيه الكذب لا والله ما عاش هؤلاء ولا يبعثون إلى يوم القيامة قال: فحكى الله قولهم فقال ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ إِيمَانِهِمْ لَأَيِّعِثَ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ﴾^(٢).

٢- عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (..... وإذا آن قيامه مطر الناس جمادي الآخر وعشرة من رجب مطراً لم يرى الخلائق مثله فنبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم من قبورهم فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب)^(٣).

٣- عن سعيد بن جبیر (أن السنة التي يقوم فيها القائم تُمطر الأرض أربعاً وعشرين مطرة يرى أثرها وبركتها)^(٤).

٤- قال أبان بن تغلب: مررت بقوم يعيرون عليّ روايتي عن أبي جعفر عليه السلام قال: فقلت: كيف تلموني في الرواية عن رجل ما سألته عن شيئاً إلا قال: قال

(١) النحل / ٣٨

(٢) المحجة فيما نزل في القائم الحجة / السيد هاشم البحراني / التاسع والثلاثون.

(٣) الايقاظ من الهجعة / الحر العاملي / باب ٩ / ح ٢٦ / ص ٢٥٧.

(٤) كشف الغمة

رسول الله ﷺ ، قال: فمر صبيان ينشدون (العجب كل العجب بين جمادي ورجب) فسألته عنه قال: (لقاء الأحياء بالأموات) (١).

٥- عن امير المؤمنين عليه السلام انه خطب الناس فقال (أن أمرنا صعب مستصعب، إلى إن قال (يا عجباً كل العجب بين جمادي ورجب) فقيل: ما هذا العجب؟ فقال (مالي لا أعجب وقد سبق فيكم القضاء وأي عجب أعجب من أموات يضربون هام الأحياء. والذي خلق الحبة وبرئ النسمة لكأني أنظر إليهم وقد تخللوا سلك الكوفة قد شهروا سيوفهم على عواتقهم يضربون كل عدو لله ولرسوله وللمؤمنين وذلك قول الله عز وجل ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور﴾ (٢)، إلى أن قال: فيؤمئذ تأويل هذه الآية ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم﴾ (٣).

٦- عن أبي عبد الله عليه السلام قال (أنه بلغ رسول الله ﷺ عن بطنين من قريش كلام تكلموا به) فقال: يرى محمد إن لو قد قضى هذا الأمر يعود في أهل بيته من بعده فأعلم رسول الله ﷺ ذلك فباح في مجمع من قريش بما كان يكتبه فقال: كيف أنتم معاشر قريش وقد كفرتم بعدي ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف. قال: فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل إن شاء الله أو يكون ذلك علي ابن أبي طالب عليه السلام إن شاء الله، فقال رسول الله ﷺ ، أو يكون ذلك علي ابن أبي طالب وموعدكم السلام. قال أبان جعلت فداك وأين السلام قال: يا أبان (السلام من ظهر الكوفة) (٤).

٧- عن امير المؤمنين عليه السلام قال (من حديث طويل..... فيا عجباه وكيف لا أعجب من أموات يبعثهم الله أحياء يلبون زمرة زمرة بالتلبية (لبيك لبيك داعي الله) قد أنطلقوا بسلك الكوفة قد شهروا سيوفهم على عواتقهم ليضربوا بها هام الكفر وجبابرتهم وأتباعهم من جبابرة الأولين والآخريين....).

٨- عن أبي عبد الله عليه السلام قال (أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا

(١) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/باب ٩/ ح ٦٢ / ص ٢٧٠.

(٢) الممتحنة/ ١٣

(٣) مختصر البصائر/ الشيخ عز الدين الحلي.

(٤) مختصر البصائر/ عز الدين الحلي/ باب الكرات وحالاتها (٩/٦٣)، البحار ٥٣: ٦٦/٦٠.

زمان ومكان الرجعة

الحسين بن علي (عليه السلام) (١).

هذه الأحاديث المباركة وغيرها قد أجمعت على وجود زمان ومكان للرجعة.

(١) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/ باب ١٠ / ح ١٠٩ , بصائر الدرجات/ عز الدين الحلي/ باب الكرات وحالاتها (٢٣/٧٧), البحار ٥٣ : ١/٣٩

أولاً: زمان الرجعة

أولاً: إن عبارة (لو قد قام قائمنا) في الحديث رقم (١) وحديث الحديث تشير بشكل واضح إلى أن المقصود ان هؤلاء الراجعين هم أشخاص مخصوصين، فيكون الحديث دال على الرجعة الخاصة لشخصيات مهمة، فالحديث يذكر أن الناس سيسمونهم بأسمائهم (بُعث فلان وبُعث فلان) ، وهم يقاتلون مع المهدي عليه السلام ، فتكون هذه رجعة خاصة في بدايات ظهور القائم عليه السلام ، وقد ذكرت أحاديث أخرى أسماء هؤلاء ذكرناها في فصول سابقة فراجع مثل سلمان والمقداد ومالك الاشر وأصحاب الكهف وقسم من قوم موسى ويوشع بن نون.

والمعلوم أن أحداث الظهور تمتد لمدة زمنية قد تصل إلى سنوات، لكنه يعبر عنها في الأحاديث بيوم الظهور، وكذلك أحداث الرجعة ستمتد لمدة ليست بالقصيرة يتم من خلالها إرجاع المؤمنين والكفرة على شكل دفعات وأفواج فتكون هذه الفترة موازية لأحداث الظهور، والسنة التي يظهر فيها القائم عليه السلام سميت في الاحاديث من قبل المعصومين (بعام الفتح)، والسنين حسب التقويم الهجري تبدأ من شهر محرم، وهذه السنة (عام الفتح) فيها شهر محرم هو الإعلان الرسمي لظهور الإمام.

عن أبي عبد الله عليه السلام (يخرج القائم يوم السبت يوم عاشوراء يوم قتل الحسين عليه السلام) (١)، وبعد العاشر من محرم والإعلان الرسمي عن ظهور الإمام عليه السلام ستحدث حادثة الخسف بجيش السفياي قبل دخوله إلى مكة، والمستشف ان حادثة الخسف تقع بعد ظهور الإمام وإعلانه عن نفسه في مكة، ومن المتوقع ان تحدث هذه الحادثة (الخسف) بعد شهر محرم (أما في صفر أو في ربيع الأول أو ربيع ثاني)، وبعد حادثة الخسف ستتغير الامور السياسية والعسكرية في منطقة الاحداث (العراق الحجاز الشام) بسبب إنكسار هذه القوة العسكرية وتراجع جيش السفياي عن مكة والمدينة المنورة مما يجعل الساحة مفتوحة للإمام عليه السلام بالحركة والظهور.

وبعد هذه الحادثة يخرج الإمام من مكة، وفي خبر (يخرج المهدي من مكة بعد

(١) قبل هذه المدة الإمام موجود وله دور في أحداث مكة واجتماع أصحابه الـ ٣١٣ عليه، لكنه لا يعلن عن نفسه إلى يوم (١٠) محرم من عام الفتح.

الحسيف في ثلاثمائة واربعة عشر رجلا عدة اهل بدر) (١)، فمن المتوقع خروجه من مكة في ربيع اول، ومن الراجح ان الدفعات الأولى من الراجعين (بالمعنى الخاص) ستكون بعد هذه الاحداث، أي في عام الفتح أو الذي يليه، لان الحديث يحدد كونهم يقاتلون مع المهدي عليه السلام.

كما ان عبارة (يا معشر الشيعة ما أكذبكم هذه دولتكم وأنتم تقولون فيه الكذب لا والله ما عاش هؤلاء ولا يبعثون إلى يوم القيامة) في الحديث تشير الى ان رجوع هؤلاء يحدث والامام المهدي عليه السلام له دولة، والامام الحجة عليه السلام لا تكون له دولة إلا بدخوله الكوفة فهي عاصمته، وعبارة (وهم مع القائم) في نفس الحديث فيها دلالة واضحة على ان هؤلاء الراجعين هم في دولة الإمام وهم معه يقاتلون بدليل قوله (سيوفهم على عواتقهم)، فيكون التحليل الذي نورد هنا يشير إلى احتمال بداية الرجعة (بمعناها الخاص) وهو عام ظهور الإمام عليه السلام فهي ممتدة وملاصقة على طول خط أحداث عصر الظهور لانهم سيرجعون على شكل أفواج، واذا كان موضوع دولة الامام المهدي عليه السلام لا يتحقق الا بعد انتصاراته العسكرية وفتح البلدان وتعيين عماله فتكون رجعة هؤلاء ربما بعد كل هذه الاحداث ولكنهم من اول الراجعين.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (سئل عن الرجعة أحق هي؟ قال: (نعم). فقيل: من أول من يخرج؟ قال: الحسين عليه السلام يخرج على أثر القائم عليه السلام. قلت: ومعه الناس كلهم قال: لا بل كما ذكر الله تعالى في كتابه ﴿يوم ينفخ في الصور فتأتون أفواجا﴾ (٢).

وعبارة (يخرج على إثر القائم) توحى على قرب خروج الإمام الحسين عليه السلام من بدايات عصر الظهور المبارك، الا ان الحديث التالي يشير الى ان الحسين عليه السلام يخرج في نهاية هذه الفترة.

عن ابي عبد الله عليه السلام (ان الحسين عليه السلام يخرج في آخر عمر القائم عليه السلام ثم يموت ويغسله الحسين عليه السلام) (٣)

(١) الملاحم والفتى / ابن طاووس / باب ١٣٤

(٢) مختصر البصائر / عز الدين الحلي / احاديث في الرجعة من غير طريق سعد (٣٩/١٣٩)

(٣) اثبات الهداة: ٧ / ١٠٢

اولاً: زمان الرجعة

كما ان الحديث يقول انهم على شكل أفواج والذي نفهمه أن أول الراجعين هم ممن (محض الإيمان محضاً) في فترة ظهور الحجّة ﷺ ، فيما تكون الدفعات الأخرى في وقت لاحق وعلى استمرار عصر ما بعد الظهور، أي يمكن أن نقول ان الرجعة ستكون بمعناها الأخص مع بدايات الظهور ثم تكون بمعناها الأعم.

فاذا كان الحسين ﷺ هو اول الراجعين فلا بد ان الافواج الخاصة ستكون بعده اي ان الحديث الذي يذكر رجوع سلمان والمقداد وغيرهم سيكون بعد رجوع الامام الحسين ﷺ باعتبارهم من اول الافواج الخاصة.

عن أبي عبدالله ﷺ أنه قال (يخرج القائم ﷺ من ظهر الكوفة سبعة وعشرين رجلاً خمسة عشر من قوم موسى الذين كانوا يهدون بالحق وبه يعدلون، وسبعة من أهل الكهف ويوشع بن نون، وسلمان، وأبا دجاجة الأنصاري، والمقداد، ومالك الأشتر، فيكونون بين يديه أنصاراً وحكاماً) (١).

ثانياً: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في مسند فاطمة عليها السلام قال: قال حدثنا علي بن إبراهيم بن مهزيار الاهوازي (وذكر الحديث مع القائم ﷺ) قال القائم ﷺ (الا أنبئك بالخبر: أنه إذا قعد الصبي وتحرك المغربي وسار العماني وبوبع السفياي يأذن الله لي فأخرج بين الصفا والمروة في الثلاثمائة وثلاث عشر رجلاً سواء فأجيء ألى الكوفة وأهدم مسجدها وأبنيه على بناءه الأول، وأهدم ما حوله من بناء الجبابرة وأحج بالناس حجة الإسلام، وأجيء إلى يثرب وأهدم الحجرة وأخرج من بهما وهما طريان، فأمر بهما تجاه البقيع وأمر بخشبتين يصلبان عليهما فتورق من تحتهما فيفتقن الناس بهما أشد من الفتنة الأولى، فينادي منادي من السماء يا سماء أيدي ويا أرض خذي فيومئذ لا يبقى على وجه الأرض إلا مؤمن قد أخلص قلبه للإيمان) قلت: يا سيدي ما يكون بعد ذلك؟ قال: (الكرّة الكرّة الرجعة الرجعة) ثم تلا هذه الآية ﴿ثم رددنا لكم الكرّة وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ (٢).

هذا الحديث يضعنا أمام تصور لبدايات زمن الرجعة، فقول الإمام القائم ﷺ يحدد مجموعة من الأحداث قبل الظهور (الصبي المغربي العماني السفياي) ،

(١) ارشاد المفيد: ٢: ٣٨٦ كذلك الأيقاظ من الهجرة/ الحر العاملي/ باب ٩/ ح ٢٧/ ص ٢٥٨

(٢) تفسير البرهان / للبحراني/ ج ٤ / ص ٥٣٤ / ح ٥.

وبعدها يخرج الإمام عليه السلام مع أصحابه الثلاثمائة وثلاثة عشر، والمعروف ان الإمام عليه السلام يظهر ويعلن عن نفسه يوم العاشر من المحرم، ولا يخرج من مكة إلا بعد حادثة الخسف بجيش السفياي، ثم يتوجه بعدها إلى الكوفة حسب الحديث ويهدم مسجدها ويبنيه، ثم يعود إلى مكة ليحج بالناس حجة الإسلام، والمعلوم فإن شعيرة الحج في شهر ذي الحجة أي أن الإمام عليه السلام يمر عليه أكثر من عشرة أشهر بعد خروجه من مكة لكي يحج (من محرم إلى ذي الحجة) ، فيكون هذا أول حج للإمام عليه السلام بعد ظهوره، ثم يذهب إلى يثرب ويخرج من بالحجرة وهما طريان، أي بعد موسم الحج^(١)، ثم تبدأ بعدها أحداث الرجعة الخاصة، وهذا يقودنا إلى استنتاج أن أحداث الرجعة العامة ستكون بعد هذه الحوادث ولا تكون في سنة خروج الإمام عليه السلام، لذلك قال الحديث (يا سيدي ما يكون بعدها قال: الكرة الكرة الرجعة الرجعة) ، وهي دالة على بدايات الرجعة العامة، ومن هذا التحليل نفهم أن المطر النازل بين جماد ورجب يكون في مرحلة متقدمة في أحداث الظهور وكما سنوضح لاحقاً.

ولدينا تصور للآيات المباركة الأولى من سورة التوبة فهي تؤيد هذا التحليل أيضاً، فبالأمل في بدايات هذه السورة نجد دلالة واضحة إلى خطوات حقيقية لبدايات أحداث عصر الظهور المبارك وهي السورة التي تنتهي بها فترة (العهد) مع المشركين. قوله تعالى ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين . فسيحوا في الأرض أربعة أشهر وأعلموا أنكم غير معجزي الله وان الله مخزي الكافرين . وأذان من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبتم فهو خير لكم وأن توليتم فاعلموا أنكم غير معجزي الله وبشر الذين كفروا بعذاب أليم* فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ان الله غفور رحيم﴾^(٢).

(١) حادثة نبش قبر الاول والثاني حسب قراءتي للروايات يمكن ان تكون في سنة الظهور اي بعد خروج الامام المهدي عليه السلام من مكة ودخوله الى المدينة وقد ناقشنا هذا الموضوع في كتابنا حدث وحديث , ويمكن ان تكون في السنة الثانية للظهور كما نشرح هنا وعلى كلا الاحتمالين فان الفارق بينهما ليس كبير في الوقت

(٢) التوبة/ ١ ٥

أولاً: زمان الرجعة

فهذه الامور التي تذكرها السورة المباركة سيظهر تأويلها في زمن قائم آل محمد ﷺ لقولهم صلوات الله عليهم ان ما يجري على اولهم يجري على اخرهم وهي تعلن عن انتهاء مدة الامهال للمشركين ويبدأ العمل فيهم بالسيف.

عن أبي جعفر عليه السلام في تفسير قوله تعالى (ولكل قوم هاد)، قال (عليّ الهادي، ومنا الهادي)، فقلت: فانت جعلت فذاك الهادي؟ قال عليه السلام (صدق ان القرآن حي لا يموت، والاية حية لا تموت، فلو كانت الاية اذا نزلت في الاقوام وماتوا ماتت الاية لمات القرآن، ولكن هي جارية في الباقيين كما جرت في الماضيين) (١).

عن أبي عبد الله عليه السلام من حديث طويل، قال: (... ولما نزلت الآيات من سورة براءة دفعها رسول الله ﷺ إلى أبي بكر وأمره ان يخرج إلى مكة ويقراها على الناس بمنى يوم النحر فلما خرج أبو بكر نزل جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ فقال: يا محمد لا يؤدي عنك إلا رجلٌ منك فبعث رسول الله ﷺ أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في طلب أبي بكر فلحقه في الروحاء فأخذ منه الآيات فرجع أبو بكر إلى رسول الله ﷺ فقال: يارسول الله أنزل الله فيّ شيئاً؟ قال: لا، أن الله أمرني أن لا يؤدي عني إلا أنا أو رجل مني) (٢).

وبما ان سورة براءة هي آخر ما نزل من القرآن الكريم فالراجح انها قد وضعت النقاط على الحروف لمجمل الرسالة المحمدية بمعناها المعاش والمستقبلي، لذلك فنحن نكون غير مجانبين للصواب إذا قلنا ان تأويل هذه السورة وبالأخص بداياتها تتحدث عن أحداث آخر الزمان استناداً لهذا التناغم بين ما أنتهت إليه الرسالة المحمدية وما سيكون نقطة البداية بالنسبة للعصر المهدي، فإذا كانت سورة براءة شرحت ما آلت إليه أحوال المسلمين والرسالة وفيها من الأوامر والزواجر والحقائق الشيء الكثير مما جعلها تسمى بالسورة الفاضحة، ولعل في هذه الامور دليل على الحديث الذي قال فيه جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ ان هذه السورة لا يؤديها إلا رجل منك وهو الإمام علي عليه السلام، فهناك تناغم من حيث المبدأ والغاية فلا يطبقها إلا الإمام المهدي عليه السلام لانه من رسول الله ﷺ، وان أول خطوات الإمام المهدي عليه السلام مرسومة في هذه السورة، فكما بلغها سيد الاوصياء سيطبقها آخر

(١) تفسير العياشي / ج ٢ / ص ٢٠٣

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج ٣ / ص ٣٦٠ / ح ١ كذلك تفسير القمي/ ج ١ / ص ٢٨٠.

الاصبياء، وقد نزلت سورة براءة سنة (٩) للهجرة بعد فتح مكة سنة (٨) للهجرة وبعد غزوة تبوك سنة (٩) هـ.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (....) كانت سيرة رسول الله ﷺ قبل نزول سورة براءة ان لا يقاتل إلا من قاتله، ولا يحارب إلا من حاربه وأراده، وقد كان أنزل عليه ﴿فإن أعتزلوكم فلم يقاتلوكم والقوا إليكم السلم فما جعل الله لكم عليهم سبيلاً﴾ فكان رسول الله ﷺ لا يقاتل أحد قد تنحى عنه وأعتزله حتى نزلت سورة براءة وأمره الله بقتال المشركين من أعتزله ومن لم يعتزله إلا الذين عاهدهم رسول الله ﷺ يوم فتح مكة إلى مُدة، منهم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو، فقال الله عز وجل ﴿براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾ ثم يقتلون حيثما وجدوا فهذه أشهر السياحة (عشرون من ذي الحجة ومحرم وصفر وربيع الأول وعشرة من شهر ربيع الآخر) ^(١).

كما هو واضح ان المشركين الذين حجوا تلك السنة قد أمهلوا أربعة أشهر ثم يُقتلوا حيث وجدوا، وبما أن الحج الأكبر في زمن الإمام المهدي عليه السلام من المتوقع حسب هذا التحليل أن يكون في السنة الثانية للظهور المبارك، فتكون أشهر السبيح الاربعة واقعة بعد (الحج الأكبر) ، وهي فترة الأمهال النهائي للمشركين، وبعدها تبدأ العمليات الفعلية للقتال، وان هذا الأمر متوقع لأن الحاج لا يكتب عليه ذنب لمدة أربعة أشهر.

عن الحسين بن خالد قال: قلت لأبي الحسن عليه السلام: لأي شيء صار الحاج لا يكتب عليه ذنب أربعة أشهر؟ قال (أن الله عز وجل أباح للمشركين الحرم في أربعة أشهر إذ يقول ﴿فسيحوا في الأرض أربعة أشهر﴾، ثم وهب لمن حج من المؤمنين الذنوب أربعة أشهر) ^(٢).

وهذا الأمر لا بد أن يُطبقه الإمام عليه السلام بعد الحج الأكبر، فتكون هذه الأشهر الأربعة فترة إمهال للمشركين، وبعد هذه الاحداث تبدأ الرجعة (بمعناها الخاص) في سنة الحج الأكبر، فالراجعون مهياؤن للقتال ولا قتال في أشهر السبيح، إذن

(١) تفسير البرهان/البحراني/ج٣/ ص ٣٦٠ / ح ١.

(٢) تفسير البرهان/البحراني/ج٣/ ص ٣٦١ / ح ٣ كذلك الكافي/ ج ٤ / ص ٢٥٥ / ح ١٠.

أولاً: زمان الرجعة

فمن المتوقع أن تكون أحداث الرجعة الخاصة في السنة الثانية للظهور بعد أشهر السبع الأربعة، قوله تعالى ﴿فإذا انسلخ الأشهر الحرم فأقتلوا المشركين حيث وجدتموهم﴾^(١).

والذي يؤيد هذا المعنى هو خصيصة موجود في سورة التوبة وهي انها نزلت بدون (البسمة) ، فالبسمة رحمة وان خلو هذه السورة من البسمة دال بشكل واضح على السلوك الشديد الذي سينهجه الإمام المهدي عليه السلام في بدايات ظهوره، وتصف عدد من الاحاديث هذا السلوك كما في قولهم عليهم السلام (يضع السيف على عاتقه ثمانية أشهر حتى ليقال لو كان من ولد فاطمة لرحم) ، أو قولهم عليهم السلام (إذا تمنى أحدكم القائم فليتمناه بعافية فان الله بعث محمد صلى الله عليه وآله رحمة ولسوف يبعث القائم نقمة)، فنحن غير مجانبين للصواب إذا قلنا ان سورة براءة تصف البدايات الحقيقية لظهور الإمام المهدي عليه السلام وسلوكه الشديد مع أعدائه.

(ومنه قال: علّة إسقاط بسم الله الرحمن الرحيم من سورة براءة ان بسم الله الرحمن الرحيم أمان والبراءة كانت من المشركين فاسقط منها الأمان)^(٢).

ثالثاً: عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله ﴿وقضينا إلى بني إسرائيل في الكتاب لتفسدن في الأرض مرتين﴾^(٣)، (قتل علي وطعن الحسن) ، ﴿ولتعلون علواً كبيراً﴾ (قتل الحسين) ، ﴿فإذا جاء وعد أولاهما﴾ (فإذا جاء نصر دم الحسين عليه السلام) ، ﴿بعثنا عليكم عبداً لنا أولي بأس شديد فجاسوا خلال الديار﴾ قوم يبعثهم الله قبل خروج القائم لا يدعون وتراً لآل محمد إلا أخذوه، ﴿وكان وعداً مفعولاً﴾ قيام القائم، ﴿ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً﴾ خروج الحسين عليه السلام في سبعين من أصحابه عليهم البيض المذهبة لكل بيضة وجهان المؤدّون إلى الناس: أن الحسين قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه وأنه ليس بدجال ولا شيطان والحجة القائم بين أظهرهم، فإذا استقرت المعرفة في قلوب المؤمنين انه الحسين عليه السلام جاء الحجة الموت فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحدّه في حفرته الحسين عليه السلام ولا

(١) التوبة/٥

(٢) بحار الانوار/ المجلد ١/ ج ٩٠/ باب ١٣٠/ ص ١٤٥/ النوادر.

(٣) الاسراء/ ٤

يلي الوصي إلا الوصي). (١)

يقول الشيخ الاحسائي في معرض كلامه عن قوله تعالى ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلٍ.....﴾. يقول: (الرجعة: تطلق على رجعة آل محمد ﷺ ، ومختصر القول في بيانها على ما كنت أفهم من الروايات أن أول قائم منهم بالحق هو القائم الحجة عليه السلام ومدة ملكه سبع سنين كل سنة عشر سنين، فإذا مضى من حكمه تسع وخمسون سنة وبقي أحد عشر سنة خرج الحسين عليه السلام ، وفي الحديث (أول من ينفض التراب عن رأسه الحسين عليه السلام ، وفي أخرى السفاح وهو الحسين عليه السلام ، ويبقى إلى آخر حكم القائم أحد عشر سنة صامتاً، فإذا قُتل القائم عليه السلام غسله الحسين عليه السلام وكفنه وصلى عليه ودفنه وقام بالأمر بعده) .

ويقول أيضاً: (وقد دلت أخبارهم بأن أول من يخرج هو الحسين عليه السلام وهو أول من ينفض التراب عن رأسه وهو عليه السلام يخرج في آخر دولة القائم عليه السلام إذا مضى منها تسع وخمسين سنة كما تشير إليه بعض الاخبار، ويبقى صامتاً حتى يتحقق عند الخلق انه الحسين ابن بنت رسول الله ﷺ) . أنهى كلامه (٢).

ولم أجد حديث حسب إطلاعي على أحاديث الرجعة يحدد أن الحسين عليه السلام يخرج بعد (٥٩) سنة من خروج القائم عليه السلام ويبقى صامتاً (١١) سنة، ولم يذكر الشيخ الاحسائي مصدر هذا الحديث في كتابه، فإذا وجد مثل هذا الحديث فيكون هناك تصور جديد لمسألة كيفية رجوع الافواج الخاصة وكيفية رجوع الإمام الحسين عليه السلام ، ولم يوضح لنا الشيخ لماذا يبقى الحسين عليه السلام صامتاً وهل هذا الصمت يشمل بقية الراجعين (٣).

(١) تفسيرالبراهن/ البحرانج/٤ ص ٥٣١/ ح ١ كذلك الكافي/ج٨ / ص ٢٠٦ / ح ٢٥٠.

(٢) الرجعة / الاحسائي / ص ٤٥

ولعل عبارات الاحسائي تشير إلى وجود معلومات في (بعض الاخبار) هو إشارة إلى وجود بعض الكتب إلى زمن الاحسائي فيها أخبار وأحاديث لم تصل إلينا، مما يؤكد ضياع جملة من نصوص الرجعة، وهذا الكلام ورد للشيخ الاحسائي في عدة موارد منها (جوامع الكلم/ ص ٤٩ رسالة حياة النفس وكذلك ص ١٥٦ الرسالة السلطانية) ، وكذلك ورد في كلام السيد كاظم الرشتي (جواهر الحكم/ ج١٣ / ١٦٥) ، وكذلك ذكر نفس المعنى الحاج محمد كريم خان الكرمانى في كتاب (مكارم البرار/ ج٧ / الفطرة السليمة/ ص ٤١٣) ، لذلك فأني أستبعد عدم صحة هذه المعلومة، لانه من الغير المعقول إن يتفق ثلاثة من العلماء الاجلاء ممن رووا الحديث وتتبع الآثار على إيراد كلام وينسبونه للأئمة عليه السلام بدون التأكد منه، بل هو عندهم ثابت الصدور من مقام العصمة.

(٣) وجدت في كتاب الرجعة للشيخ أحمد الاحسائي ص ٣٥ كلام يذكر فيه اسماء العلماء ممن نقل

أولاً: زمان الرجعة

عموماً إذا كان فعلاً هناك حديث بهذا الشكل، فهذا معناه أن الدفعة الأولى من الراجعين الذين يقاتلون مع الإمام المهدي عليه السلام يعلمون بخروج الإمام الحسين عليه السلام وبصمته هذه المدة، وتكون أحداث الرجعة الكبيرة وخروج بقية الأفواج من كلا الفريقين بعد (٥٩) سنة، فخرج الإمام الحسين عليه السلام وأصحابه دلالة على بداية عمليات عسكرية ضخمة جداً ضد من (محض الكفر محضاً)، ويمكن أن يكون في كلام الشيخ الاحسائي نوع من المنطق خصوصاً أن الاحاديث تؤكد أن الرجعة تكون على شكل أفواج ومجاميع فيكون الفوج الأول يقاتل مع القائم عليه السلام مع علمهم برجوع الحسين عليه السلام وصمته.

فإذا كانت الأفواج الأولى من الراجعين في الرجعة الخاصة مع بدايات عصر الظهور المبارك أي في السنة الثانية، وأن الإمام الحسين عليه السلام هو أول من ينشق القبر عنه، فهذا معناه أن الإمام الحسين عليه السلام هو أول الراجعين من الأئمة عليهم السلام (كما هو كلام الاحسائي الذي سنذكره)، لذلك أعتقد أن بقاء الإمام الحسين عليه السلام صامتاً (١١) سنة هو أمر منطقي لتسلسل الأحداث، فهو أول الراجعين من الأئمة، لكنه يبقى صامتاً لكي يمارس الإمام الحجة دوره في القيادة، وقد ذكرت المرويات عنهم عليهم السلام أنه لا يكون في الأرض إمامين إلا وأحدهما صامت والآخر ناطق، مع الأخذ بنظر الاعتبار أن هذه الأحداث في فترة حكم الإمام المهدي عليه السلام كما يعتقد الاحسائي وباللغة سبع سنوات كل سنة بعشر سنين من سنينا هذه.

عن الحسين بن أبي العلاء قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام (تترك الأرض بغير إمام؟ قال: لا. فقلنا له: تكون الأرض وفيها إمامان؟ قال: لا، إلا إمام صامت لا

أحاديث الرجعة وجاء في آخر كلامة العبارة التالية: (..... وغيرهم من مؤلفي الكتب التي عندنا ولم نعرف مؤلفه على التبيين، ولذا لم تُنسب الاخبار إليهم وان كان موجوداً فيها). وقال أيضاً في ص ٤٧: (وكتاب جامع الأخبار الذي نقلت منه هذه الاخبار قد استثناه الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي رحمه الله مع ما أستثناه من الكتب فلم ينقل منه شيئاً، وقال هذه كتب غير معتمد عليها لعدم ثبوت أسانيدها وعدم العلم بثبوت مؤلفيها). أنتهى كلامه.

وأعتقد أن الشيخ الاحسائي نقل هذا الحديث من هذه الكتب التي كانت عنده والتي يقول عنها أنه لا يعرف مؤلفيها، فلم ينسب الخبر لأحد وهذا الكلام يذكرنا بكلام العلامة الحر العاملي الذي ذكرناه في الفصل التمهيدي فقرة (إهمال النصوص)، والذي يقول فيه أنه أهمل العديد من أحاديث الرجعة، لأن رواها ممن لم يثبت لديه، ولعلها نفس الكتب التي يتحدث عنها الشيخ الاحسائي، وعبارة الشيخ الاحسائي تدل على أن هذه النصوص كانت موجودة وربما متداولة لغاية زمن الاحسائي أي في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي ولا ندرى ما هو مصيرها الآن.

يتكلم ويتكلم الذي قبله) (١).

ومن هنا نفهم شيء من قولهم عليه السلام (إذا زُفِع الإمام ساخت الأرض باهلها)، لأن الإمام علّة وجودية، فإذ مات أحدهما استوجب وجود آخر لدفعه (ولا يلي الوصي الا وصي)، فإذا مات الإمام المهدي عليه السلام وجب قانونياً أن يكون أحد الأئمة موجود، وهو ما صرحت به الروايات كون الإمام الحسين عليه السلام أول الراجعين وهو الذي يدفن المهدي عليه السلام، وحسب هذه القانونية لا يمكن أن تكون خالية من تواجد أحد المعصومين وهو الحسين عليه السلام الذي يقول عنه الشيخ الاحسائي انه يبقى صامتاً، وربما ظروف تلك الفترة فيها ملابسات لا نفهمها الآن وهي وليدة ذلك الحدث التي تجعل الحسين عليه السلام صامتاً، فإذا مات الحسين عليه السلام استوجب ظهور الإمام علي عليه السلام، وإذا مات لإمام علي عليه السلام استوجب ظهور آخر وهكذا قانونية الرجعة الى ان يجتمعوا كلهم.

ويوجد في الحديث السابق الذي ذكرناه في بداية هذه الفقرة عن (العايشي: عن صالح بن سهل عن ابي عبد الله عليه السلام) عبارة (.... المؤدّون إلى الناس: أن الحسين قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه وأنه ليس بدجال ولا شيطان والحجة القائم بين أظهرهم، فإذا أستقرت المعرفة في قلوب المؤمنين انه الحسين عليه السلام جاء الحجة الموت فيكون الذي يغسله ويكفنه ويحنطه ويلحده في حفرته الحسين عليه السلام ولا يلي الوصي إلا الوصي) .

هذه الاحاديث تشير من طرف أن الإمام الحسين عليه السلام كان (صامتاً) أو متخفياً في زمن المهدي عليه السلام لقوله (والحجة القائم بين أظهرهم) ، وان الشيعة لا تعلم بذلك، لذلك أحتاج المؤمنين وقت وتأكيد لمعرفته، كما ان عبارات (أن الحسين قد خرج في أصحابه حتى لا يشك فيه المؤمنون) و (انه ليس بدجال ولا شيطان) و (فإذا أستقرت المعرفة في قلوب المؤمنين) توحى أن هذه الاحداث مع أو بعد أحداث الدجال، فهؤلاء الناس قد رأوا الدجال وشاهدوا أحداثه وعلموا بأمكانياته، فهناك حاجز نفسي من هذه الاحداث إذ ان خروج الإمام الحسين عليه السلام في هذه الفترة أي بعد (٥٩) سنة من مدة حكم القائم عليه السلام قد يعيد إلى الازهان أيام الدجال، لذلك أحتاج المؤمنون إلى تطمين من قبل الإمام الحجة عليه السلام بأنه (ليس بدجال ولا

(١) بصائر الدرجات/محمد بن حسن الصفار.

أولاً: زمان الرجعة

شيطان) ولا بد من تفسير مقنع لصمته طول هذه المدة.
وهناك تعليقة للشيخ أحمد الأحسائي نقلها هنا لارتباطه بموضوع رجعة الإمام الحسين عليه السلام .

يقول الشيخ الاحسائي: (أقول: قوله عليه السلام (أول من تنشق عنه الأرض....) أي من الأئمة عليهم السلام وإلا فإن كثيراً ممن يرجع مع القائم عليه السلام يخرجون من قبورهم بين جماد ورجب من السنة التي يخرج فيها عليه السلام كما صرحت به الروايات) ^(١) أنتهى كلامه.

وهذا الكلام يحل لنا إشكال مهم أن أول من تنشق عنه الأرض هو الحسين عليه السلام ليس المقصد منه انه أول الراجعين، بل القصد أنه أول الراجعين من الأئمة عليهم السلام. وإذا اعتمدنا على معلومة الاحسائي كون الإمام الحسين عليه السلام يبقى صامتاً بعد خروجه (١١) عاماً في مدة حكم القائم البالغة (٧) سنوات كل سنة بعشر سنين من سنيننا هذه، أي (٧٠) سنة، فسيبرز لنا إشكال واضح وهو:

ان للقائم عليه السلام مدة حكم تبلغ (٧٠) سنة يخرج الإمام الحسين عليه السلام سنة (٥٩) منها ويبقى صامتاً (١١) سنة فتم السبعين، وفي نهايتها يأتي الحجة عليه السلام الموت ويقوم الحسين عليه السلام بغسله وتكفينه ودفنه، ويحكم الإمام الحسين بعده (٣٠٩) سنوات وبهذا لا ندري اين نضع فترة حكم القائم الأولى والبالغة (١٩) عام.

عن جابر الجعفي قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: (والله ليتمكن منا أهل البيت رجل بعد موته ثلاثمائة سنة يزداد تسعاً) قلت: متى يكون ذلك؟ قال: (بعد القائم) . قلت: وكم يقوم القائم في عالمه قال: (تسعة عشر سنة ثم يخرج المنتصر فيطلب بدم الحسين عليه السلام ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتى يخرج السفاح) ^(٢).

والمراد بالمنتصر هو الإمام الحسين عليه السلام والسفاح هو الإمام علي عليه السلام كما ورد عن أبي جعفر عليه السلام .

فإذا حكم القائم عليه السلام (١٩) سنة ومات فدفنه الحسين عليه السلام فكيف نفسر صمت

(١) كتاب رؤى حول الأسرار الحسينية في مدرسة الشيخ الاحسائي/ جمع وإعداد وتحقيق (راضي ناصر سلمان) دار المحجة البيضاء/ ص ٢٨٦
(٢) مختصر البصائر/عز الدين الحلبي.

الإمام الحسين عليه السلام بعده (١١) عاماً، وإذا قلنا ان الحسين عليه السلام يظهر في مدة حكم القائم عليه السلام الثانية البالغة (٧٠) عام فاذا مات القائم بعد (١٩) سنة وهي مدة الحكم الأولى فمن الذي يغسله ويدفنه وقد تظافت المرويات انه لا يلي الوصي إلا وصي، وتسلسل الاحداث بهذا الشكل سيكون مريبك جداً ولا نستطيع ان نضع له تصور واضح ولا نزيد في الوقت نفسه ان نقحم النص بما ليس فيه، إلا أننا هنا سندخل في خانة الاحتمالات ويمكن تصور احتمالين:

الإحتمال الأول: ان مدة حكم القائم عليه السلام الأولى البالغة (١٩) سنة متصلة مع مدة حكمه الثانية البالغة (٧٠) عام، وان ورود ذكر هاتين المدتين في الأحاديث الغرض منها التفريق بين حالتين ستحصلان في زمن حكم القائم عليه السلام، فعند ظهور القائم عليه السلام يحكم (١٩) سنة حسب قياسات الواقع الفلكي الذي نعرفه حالياً، وبعد هذه المدة يحدث الانقلاب الفلكي بان الأرض ستبسط من دورتها حول نفسها وحول الشمس فتكمل دورتها حول الشمس بعشر سنوات، فيحكم القائم عليه السلام وفق هذا الوضع الجديد (٧) سنوات تعادل بقياسات ذلك الواقع (٧٠) سنة، وبهذا يكون للقائم مدة حكم واحدة، لكنها تمر بطورين فلكيين مختلفين، فاختلفت مدة الحكم تبعاً لهذا التغير، وإلا فهي متصلة، ويمكن ان نفسر خروج الإمام الحسين عليه السلام في مدة حكم القائم الثانية ويبقى صامتاً إلى ان تنتهي مدة حكم القائم عليه السلام، فإذا قتل القائم في آخر السبعين سنة يكون الحسين عليه السلام هو الذي يغسله ويدفنه ويحكم بعده مباشرة (٣٠٩) سنة كما روت الاحاديث. ومسألة اتصال مدتي حكم القائم لا تثبت لوجود الحديث الصريح بانه بعد اكتمال فترة (١٩) سنة يموت القائم عليه السلام، عن جابر بن يزيد الجعفي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام : (..... قلت له: وكم يقوم القائم عليه السلام في عالمه حتى يموت؟ فقال: (تسع عشرة سنة من يوم قيامه إلى يوم موته) ^(١)).

الإحتمال الثاني: هناك حديث ورد يحدد ان بعد موت القائم عليه السلام تحدث حالة من الهرج تدوم (٥٠) سنة.

عن جابر قال: سمعت أبا جعفر يقول: (..... قال: قلت: وكم يقوم القائم في عالمه حتى يموت؟ قال: (تسع عشر سنة من يوم قيامه الى موته قال: قلت: فيكون

أولاً: زمان الرجعة

بعد موته هرج قال: نعم خمسين سنة^(١).

أي ان الإمام المهدي عليه السلام يحكم (١٩) سنة ثم يقتل ويكون الحسين عليه السلام موجود فيدفنه ويبقى صامتاً طيلة مدة الاضطراب هذه، فيكون الإمام الحسين عليه السلام قد خرج بعد (١٠) سنوات من مدة حكم القائم عليه السلام الأولى البالغة (١٩) سنة ويبقى صامت لمدة (٥٠) سنة مدة الهرج فيكون مجموع صمته (٥٩) سنة، ثم يعلن الحسين عن نفسه ويقا تل الراجعين ممن محض الكفر محضاً ويحكم (٣٠٩) سنة، والذي يؤكد هذا المعنى إن الذي يُعرّف الإمام الحسين عليه السلام إلى الناس هو الإمام المهدي عليه السلام كما في عبارة الحديث: (أن الحسين قد خرج حتى لا يشك المؤمنون فيه وأنه ليس بدجال ولا شيطان والحجة القائم بين أظهرهم فإذا أستقرت المعرفة في قلوب المؤمنين انه الحسين عليه السلام) .

وبهذا تكون مدة حكم القائم البالغة (٧٠) سنة المعادلة لسبع سنوات في ذلك النظام بعد حكم الإمام الحسين عليه السلام ، أما مدة الخمسين عام من الاضطرابات بعد قتل القائم عليه السلام فلا ندري على وجه الدقة ماذا سيحصل فيها، والذي يلوح في خاطري القاصر ان هذه الفترة ربما هي فترة خروج (الدجال) لأنها خمسين عام من الهرج^(٢).

(١) تفسير العياشي: ج٢/سورة الكهف/ ح ٢٤/ ص ٤٥٢ كذلك الامام المهدي عليه السلام في بحار الانوار/ ج٢/ باب ٢٩/ الرجعة/ ح ١٢٢/ ص ٥٩٦، وقد ورد نفس الحديث في مختصر البصائر/ عز الدين الحلي/ أحاديث في الرجعة من غير طريق سعد (٤٢٢/٤٢٢) . والغيبة/ النعماني/ باب ٢٦/ ح ٣، وغيبة الطوسي / ح ٥٠٥ الا انه لا يذكر فترة الخمسين سنة فيه.

(٢) إلا ان بعض الاحاديث تذكر انه سيكون بعد المهدي اثنا عشر مهدياً (وليس إماماً) ، وتصفهم بعض المرويات كونهم من أولاد الحسين أو من الشيعة، فلعلهم يتواجدون في هذه المدة (والله العالم) .

عن الصادق عليه السلام قيل له: (يا ابن رسول الله سمعت من أبيك انه قال: يكون بعد القائم اثنا عشر إماماً. فقال: قد قال اثنا عشر مهدياً ولم يقل اثنا عشر إماماً، لكنهم قوم من شيعتنا يدعون الناس إلى مولاتنا ومعرفة حقنا) . كمال الدين وتمام النعمة/ ج٢/ ص ٣٥٨/ ب/ ٣٣/ ح ٥٦ كذلك نوارد الاخبار/ الفيض الكاشاني/ كتاب انباء القائم / باب ما يكون بعده / ح ١ / ص ٣٧٣.

عن الصادق عليه السلام: (ان منا بعد القائم أحد عشر مهدياً من ولد الحسين عليه السلام) . مختصر البصائر / ص ٣٨.

والكلام حول أحوال هؤلاء (المهديين الأثنا عشر) طويل الذيل أكتفينا بالإشارة لانها تخرجنا من أصل الموضوع. وهناك بحث للمحقق الشيخ محمد السند ورد في كتابه (المهديون الأثنا عشر) يذكر فيه ان عنوان (المهديون) هو عنوان شامل لكل الأئمة حين رجعتهم في الرجعة لإقامة دولة العدل. عموماً هذه احتمالات نذكرها لان تسلسل أحداث الرجعة ليس بالامر الميسور

والحديث التالي ايضا يؤكد ان الامام الحسين عليه السلام يحكم بعد هذه الخمسين سنة. عن الامام الباقر عليه السلام انه قال (ليملكن رجل منا اهل البيت بعد موته ثلاثمائة وتسع سنين), قال: قلت له: متى يكون ذلك؟ قال (بعد موت القائم بخمسين سنة ثم يخرج المنتظر يعني الحسين عليه السلام فينتقم من اعدائه) ^(١).

رابحاً: ذكرت الاحاديث السابقة ان هناك مطرة تستمر لمدة أربعين يوم (من جماد الآخر إلى عشرة أيام من رجب) تكون سبب في أنبات لحوم وأبدان المؤمنين في قبورهم تمهيداً لرجوعهم، والواضح من جملة أحاديث الرجعة كما نفهم ان الافواج الأولى من الراجعين والذين يقاتلون مع القائم لا يشملهم هذا التصور، فهم يخرجون من قبورهم بدون الحاجة إلى هذا المطر، وقد ذكرت جملة من العبارات في الاحاديث تؤكد ان القائم عليه السلام هو الذي يخرجهم كما في حالات إحياء الموتى التي جرت على أيدي الانبياء والصالحين.

قال: قلت لابي عبد الله عليه السلام: كم يملك القائم عليه السلام؟ قال (سبع سنين تطول له الايام والليالي حتى تكون السنة من سنياه مقدار عشر سنين من سنينكم هذه, وإذا آن قيامه مطر الناس جمادي الآخر وعشرة من رجب مطراً لم يرى الخلائق مثله فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم من قبورهم فكأنني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب) ^(٢).

ومن خلال عبارة (وإذا آن قيامه) فهم جملة من الباحثين ان هذا الحديث يدل على ان هذه المطرة تكون مع بدايات عصر الظهور, لكننا إذا اعتمدنا على سياق الحديث سنلاحظ ان هذه المطرة ستكون مرافقة لبدايات التغيرات الفلكية التي ستحدث على كوكب الأرض والتي ستجعل الايام والسنين طويلة فالحديث بهذا التسلسل يشير إلى ان هذه المطرة ستقع في بدايات حكم القائم عليه السلام الثانية، لذلك بدأ الحديث بعبارة (إذا آن قيامه) اي قيام القائم بعد موته للرجعة، والحديث بصورة عامة يشير إلى ان الرجعة بمعناها العام ستكون منذ بدايات تغير النظام الطبيعي,

(١) مشكاة الانوار في اثبات رجعة محمد واله الاطهار عليهم السلام / الشيخ محمد بن علي ال عبد الجبار البحراني المتوفي سنة ١٢٥٠ هـ / ص ٢٤٢ / ح ١٦٩ / ط ١ / العتبة الحسينية المقدسة / تحقيق حامد رحمن الطائي

(٢) الايقاظ من الهجعة / الحر العاملي / باب ٩ / ح ٢٦٦ / ص ٢٥٧.

أولاً: زمان الرجعة

وبالجملة يمكن القول هناك عدة مراحل لحدوث فعاليات الرجعة لانها تحدث على شكل أفواج بينها فوارق زمنية.

١- رجعة الاموات في نفس سنة ظهور الإمام المهدي عليه السلام (عام الفتح) ، أو في العام الثاني، وسيرجع فقط أشخاص معينين بأعداد محدودة ذكرتهم الاحاديث بأسمائهم (مثل الحديث الذي يذكر المقداد ويوشع بن نون والأمة العالمة من قوم موسى وكذلك عدد من الانبياء والصالحين كما مذكور في الاحاديث التي ذكرناها في فصل سابق فراجع) ، وهؤلاء يقاتلون مع القائم عليه السلام منذ بدايات الظهور، وهم ممن علا إيمانهم فنالوا شرف الظهور معه مباشرة، ثم يتبعهم بعض الافواج الخاصة.

٢- رجعة أفواج من الاموات مع الإمام الحسين عليه السلام ومدة ملكه ومعه أصحابه ومحبيه، ثم رجوع افواج اخرى حسب ظهورات الائمة عليهم السلام في الرجعة.

٣- الرجعة بمعناها الشامل لكل المؤمنين ممن محض الإيمان محضاً والمشمولين بشرف نيل عضوية الدخول إلى ملكوت الله في الأرض، وهم المعنيون بخرجهم من قبورهم إثر المطرة التي تستمر أربعين يوماً.

وكما ذكرنا سابقا ان النظام الفلكي للارض بعد ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيتغير ويتحول من الحركة السريعة إلى الحركة البطيئة، لذلك قال الإمام الصادق عليه السلام: (سوف يأمر الله الفلك باللبوث وقلة الحركة فتطول الايام والسنين) ، وهذا ما شرحناه بشكل مفصل في كتابنا (نجم يتقلب في الآفاق) ، وهذا بدوره يؤدي في البداية إلى ظهور مرحلة برزخية إنتقالية من وقت (الزمن) باتجاه وقت (الدهر) ، وتظهر فيه الجنتان المدهامتان، ثم بعدها يكمل النظام رحلته باتجاه الدهر، وهذا معناه ان فعاليات الرجعة كونها حدث برزخي سيظهر بشكل تام في الايام البرزخية عند التحول الفلكي، وبما ان التغير الفلكي سيتم بطريقة تدريجية كذلك فعاليات الرجعة ستظهر بطريقة تدريجية، أو كما وصفها القرآن الكريم كونها على شكل أفواج ﴿يوم نحشر من كل أمة فوجاً﴾، فنبداً الفعاليات أولاً في بدايات زمن القائم عليه السلام بإرجاع أشخاص مخصوصين يقاتلون مع القائم عليه السلام ، ثم تبلغ العملية تمامها في رجعة امير المؤمنين عليه السلام ، ثم تصل العملية إلى كاملها عند رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله فعندها يُقتل إبليس وتظهر الجنتان المدهامتان^(١).

(١) يقول السيد كاظم الرشتي: (أعلم ان هذه الأحوال، أي ظهور دابة الأرض، إنما كان في الكرة

ويمكن النظر إلى مُدد حكم الأئمة في الرجعة على موجب فهمنا لتغير النظام الفلكي في تلك الايام، فستتغير حركة الفلك من السريعة إلى البطيئة بالتدريج وليس بصورة مفاجئة إلى ان يستقر إلى الوضع النهائي بان يكون اليوم بألف سنة مما تعدون ﴿وان يوماً عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾، ويمكن تشبيه الامر بنظام الأعداد المعروف، والذي فيه أربعة مراتب هي (مرتبة الآحاد مرتبة العشرات مرتبة المئات مرتبة الأولوف):

مرتبة الإحادي: هي النظام الحالي الذي نعيش فيه السنة بسنة، فإذا ظهر قائم آل محمد ظهر في البداية بنفس النظام الذي نعيش فيه ويحكم مدة الحكم الأولى البالغة (١٩) سنة مثل سنيننا هذه.

مرتبة العشرات: هي أول بدايات تغير النظام الفلكي وإبطاء سرعة الفلك، إذ تصبح فيها السنة (١٠) سنوات من سنيننا هذه كما ذكر الحديث ان القائم يحكم (سبع سنين كل سنه بعشر سنين من سنينكم هذه) وهي مدة الحكم الثانية.

الثانية، فإن له ﷺ كرتين ويقتل قتلتين ويخرج مرتين كما قال ﷺ: (أنا الذي أقتل مرتين وأحبي مرتين ولي الكرة بعد الكرة) ، الكرة الأولى بعد خروج سيدنا الحسين ﷺ وقتل القائم ﷺ واستقلال الحسين ﷺ بالأمر وهجوم الكفار عليه ﷺ من كل جانب واحتصاره في مكة المعظمة، فيخرج مولانا علي ﷺ لنصرة ابنه فيقاتل مع أولئك الكفار إلى ان يبدد شملهم ويفرق جمعهم فيبقى ﷺ مقدار بقاء أصحاب الكهف في الكهف وهو ثلاثمائة سنة وتسع سنين، ثم يقتل صلوات الله عليه فيبقى ما شاء الله ثم يرجع إلى الدنيا، فهو ﷺ هناك دابة الأرض ومعه عصا موسى وخاتم سليمان فيميز بين الخبيثين والطيبين فيظهر إبليس لعنه الله يجمع عساكره وجنوده فيقاتل علياً ﷺ بجنوده ويكون قتالاً عظيماً حتى يكون الغلب لعسكر إبليس فيأتي تأويل قوله تعالى: (هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة) ، فينزل رسول الله صلى الله عليه وآله من السماء وهو في الغمام والملائكة محتفون به صلى الله عليه وآله فيهرب إبليس لعنه الله إذ يرى تلك الحالة فيقول له أصحابه أين تهرب وقد صار لك النصر والغلب فيقول أني أرى ما لا ترون أني أخاف الله رب العالمين فيلحقه رسول الله صلى الله عليه وآله ويطعنه في كتفه فيقتله... . جواهر الحكم / ج١٣ / ص٤٨٧.

ورد في كلام السيد الرشتي معلومة مهمة وهي قوله: (واستقلال الحسين ﷺ بالأمر وهجوم الكفار عليه ﷺ من كل جانب وأحتصاره في مكة المعظمة فيخرج مولانا علي ﷺ لنصرة ابنه) ، وهي معلومة صحيحة لانه وردت في الاحاديث عن أبي جعفر ﷺ: (من حيث طويل..... ثم يخرج المنصور فيطلب دمه ودم أصحابه فيقتل ويسبي حتى يُقال: لو كان هذا من ذرية الانبياء ما قتل الناس كل هذا القتل، فيجتمع الناس عليه أبيضهم وأسودهم فيكثرون عليه حتى يُلجئونه إلى حرم الله، فإذا أشدت البلاء عليه مات المنتصر وخرج السفاح إلى الدنيا غضباً للمنتصر، فيقتل كل عدو لنا جائر ويملك الأرض كلها ويصلح الله أمره ويعيش ثلاثمائة سنة ويزداد تسعا. ثم قال أبو جعفر ﷺ: يا جابر وهل تدري من المنتصر والسفاح؟ يا جابر المنتصر الحسين والسفاح أمير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين). تفسير العياشي ٢: ٣٢٦ / ح ٢٤.

اولاً: زمان الرجعة

مرتبة المئات: وهي فترة إنتقال النظام إلى حالة إبطاء وهي مدة حكم الإمام الحسين عليه السلام والبالغة ثلاث مائة سنة ويزاد تسعة كما تذكر الاحاديث، وفيها رجعة امير المؤمنين عليه السلام والقتال مع أبنه الحسين عليه السلام ، وهي الرجعة بمعناها العام للبر والفاجر، ويمكن القول ان مدة حكم الحسين عليه السلام البالغة (٣٠٩) ربما هي سنة واحدة من سنين ذلك النظام وهي (٣٠٩) عام بقياساتنا الآن، ففي مدة حكم القائم يدور النظام حول الشمس كل (١٠) سنوات فتكون السنة في تلك الايام عشر سنوات من سنيننا هذه، وبما ان الفلك في رجعة الإمام الحسين عليه السلام سيكون أبطأ، فرمما تكمل الأرض دورتها حول الشمس بـ (٣٠٠) سنة، فيكون حكمه سنة في ذلك النظام يقابلها (٣٠٠) سنة في نظامنا هذا، لذلك تقول المرويات ان الحسين عليه السلام يحكم حتى يسقط حاجباه.

مرتبة الألوف: وهي مدة استقرار النظام الفلكي نهائياً بأن تكمل الأرض دورتها حول الشمس بألف سنة، وفيها الكرة الأخيرة لامير المؤمنين عليه السلام وحكمه البالغ (٤٤٠٠٠) سنة، وبعدها أو ضمنها يرجع رسول الله صلى الله عليه وآله ويقتل إبليس وتظهر الجنتان المدهامتان ويحكم رسول الله صلى الله عليه وآله (٥٠٠٠٠) سنة^(١).

وهذه المدد تتناسب مع الحركة التصاعدية الكونية بإتجاه المبدأ، فكلما أرتقى النظام درجة كبرت المساحة وبطئت السرعة ورقت الاشياء وهكذا وصولاً إلى الجنات العاليات.

ويمكن القول ان الراجعين سيظهرون في رجعتهم حسب مراتبهم الوجودية، فهناك تسلسل للمراتب الوجودية حسب العلة والمعلول للمخلوقات، أي أن كل مرتبة دنيا هي من شعاع المرتبة العليا كالتالي:

١- مرتبة الحقيقة المحمدية ومراتب الأئمة صلوات الله عليهم أجمعين.

٢- مرتبة الانبياء.

٣- مرتبة المؤمنين.

٤- مرتبة الملائكة.

(١) ذكرت المرويات ان القيامة خمسون موقفاً، كل موقف ألف سنة فيكون المجموع ايضاً خمسون ألف سنة وهي أحداث ما بعد الرجعة.

- ٥ - مرتبة الجن.
٦ - مرتبة الحيوان.
٧ - مرتبة النبات.
٨ - مرتبة الجماد. (١)

وسيكون لهذه المراتب الوجودية ظهورات على امتداد زمن ما بعد الظهور

فأول ما تظهر مرتبة الملائكة والمتمثلة ببدء جبريل عليه السلام يوم الثالث والعشرون يوم جمعة من شهر رمضان في سنة الظهور كما في الاحاديث، ثم يكون الظهور الثاني له على هيئة طائر أبيض على الكعبة عندما يجتمع أصحاب القائم عليه السلام عليه، وهم الثلاثمائة وثلاثة عشر رجلاً كما ورد في الحديث، ثم ظهور إسرائيل وميكائيل على مقدمة جيش الإمام عليه السلام عن يمينه وشماله كما في الحديث، وتظهر مرتبة الجان لورود جملة من الاحاديث بتواجد الجن في عسكر الإمام بأعداد بالآلاف، وتظهر مرتبة الخواص من المؤمنين برجوع أشخاص معينين ذكرتهم الاحاديث بالاسم (كسلمان وعمار ويوشع والأمة العاملة وأصحاب الكف) وغيرهم الكثير، وتظهر مرتبة الانبياء بنزول المسيح عليه السلام وجملة من الانبياء في كرة الإمام الحسين عليه السلام.

وتظهر مرتبة الإمامة برجوع الإمام الحسين عليه السلام وخواص أصحابه وجملة من الانبياء والصالحين، وتظهر مرتبة الحقيقة العلوية عليه السلام بعدة كرات وبقية مراتب الأئمة عليهم السلام، ثم تظهر أخيراً مرتبة الحقيقة المحمدية والرسالة الخاتمة بظهور أشرف الموجودات رسول الله صلى الله عليه وآله في آخر الكرات.

وكما قلنا ان موضوع الرجعة يرتبط بالتأويل، فيمكن النظر إلى جملة المدد التي سيحكم بها الأئمة من هذا الجانب فيكون التالي:

١ - مدة حكم القائم عليه السلام الأولى، وهي تأويل قوله تعالى ﴿قال اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم﴾ (٢).

(١) هذا الترتيب للمراتب الوجودية يسمى السلسلة الطولية بترتيب الموجودات حسب العلة والمعلول، وهو ترتيب فيه كلام كثير في مؤلفات المدرسة الشيعية للشيخ الاحسائي والسيد كاظم الرشتي والشيخ محمد كريم خان، وهو أصل يعتمدون عليه في تفسير جملة من شؤونات العوالم وطبيعة المخلوقات.

أولاً: زمان الرجعة

٢- رجعة الإمام الحسين (عليه السلام) ، وهي تأويل قوله تعالى ﴿وكذلك مكنا ليوسف في الأرض يتبوء منها حيث يشاء﴾^(١).

٣- مدة حكم القائم الثانية هي تأويل قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما أستخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم ولأبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني ولا يشركون بي شيئاً﴾^(٢).

٤- رجعة بقية الأئمة من آل محمد (عليهم السلام) تأويل قوله تعالى ﴿ونريد ان نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين﴾^(٣).

٥- رجعة أمير المؤمنين تأويل قوله تعالى ﴿وإذا وقع عليهم القول أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم﴾^(٤) ، وقوله تعالى ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾^(٥) ،

٦- رجعة رسول الله (صلى الله عليه وآله) تأويل قوله تعالى ﴿هل ينظرون إلا ان يأتيهم الله في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر وإلى الله ترجع الأمور﴾^(٦) ، وقوله تعالى ﴿ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾^(٧).

٧- وإذا رجع الأئمة جميعاً فذلك تأويل قوله تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين. وترى الملائكة حافين من حول العرش يسبحون بحمد ربهم وقضي بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين﴾^(٨).

وفي الرجعة ستظهر المقامات العالية والمناصب الخاصة والخطيرة لأئمة أهل البيت

(١) يوسف/٥٦.

(٢) النور/٥٥

(٣) القصص/٥

(٤) النمل/٨٢

(٥) الكهف/٤٤

(٦) البقرة/٢١٠

(٧) قصص/٨٥

(٨) الزمر/٧٤ ٧٥

عن أبي الحسن (عليه السلام) قال: لما حضر علي بن الحسين (عليهما السلام) الوفاة أغمي عليه ثلاث مرات فقال في المرة الأخيرة: (الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبوء من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين) . تفسير البرهان / البحراني / ج٦ / ح ٢ / ص ٥٦٨.

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين كما بينتها عبارات الزيارة الجامعة بأروع بيان ومنها قولهم عليه السلام (طأطأ كل شريف لشرفكم) ، ومنها: (حتى لا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل ولا صدّيق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا ديني ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلا عرفهم جلالة أمركم وعظم خطرهم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصتكم لديه وقرب منزلتكم منه.....) .

وأولها وليس لفضائلهم أول ولا آخر، عندما يصلي عيسى ابن مريم عليها السلام وهو من أولي العزم من الرسل خلف الإمام المهدي عليه السلام ، وهي نقلة نوعية في فهم الغايات التي سارت بها الديانات عبر التاريخ بإندراج مراتب الانبياء تحت مرتبة الإمامة.

فالانبياء في الرجعة يرجعون رعايا للأئمة وتحت سلطانهم ﴿وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه﴾^(١)، وسيظهر مفهوم النبوة الخاتمة بأعلى معانيه في عالم الرجعة للرسول الخاتم محمد صلوات الله عليه وعلى آله الطيبين الطاهرين، لذلك كان ظهوره في الرجعة في آخرها، لان حكم الرجعة في بداياتها للإمامة وفي آخرها للنبوة، فكل نبوات الانبياء تندرج تحت لواء الإمامة، وكل الأئمة يندرجون تحت لواء النبوة الخاتمة، لذلك قال ﷺ (لا نبي بعدي) ، لان نبوته خاصة خاتمة لا تقتضي التبعية لانها أصل ورأس لوحدها والكل تحت لوائه، على خلاف نبوة الانبياء الآخرين التي كانت تأخذ بتبعتها للإمامة، لذلك قال امير المؤمنين عليه السلام (كنت مع الانبياء سراً ومع رسول الله جهراً)^(٢)، لان كل الانبياء تأخذ من الإمام، والإمام يأخذ من الخاتم، لذلك عندما ظهر الخاتم ظهر الإمام جهراً.

وسيطر معنى النبوة الخاتمة بأجلى معانيها في آخر الرجعات كالشمس إذا غابت ظهر ضوء القمر والنجوم والكواكب، وإذا أشرقت غاب ضوء القمر والنجوم والكواكب فالانبياء عليهم السلام قبل رسول الله ﷺ نجوم وكواكب ظهر نورهم لغياب

(١) ال عمران/ ٨١

(٢) مصباح الهداية الى الخلافة والولاية/ ص ١٣٠

أولاً: زمان الرجعة

شمس المصطفى ﷺ ، وعندما أشرق نوره ﷺ بالنبوة الخاتمة أمحى نور الانبياء، وعندما رحل الخاتم ﷺ ظهر نور القمر بولاية الولي ويستمر نوره من الدنيا إلى الرجعة التي فيها يظهر (دابة الأرض) ، وهو البطل الذي يهزم الصفوف ولا يكثر بالألوف صاحب الكرات ودولة الدول أسد الله الغالب علي بن ابي طالب ﷺ ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم وقد خاب من حمل ظلماً﴾^(١) ، ويوم لا ظل إلا ظله ، ولا تسمع فيها صوت إلا صوته ، وفي آخر الرجعة تظهر شمس الحقيقة المحمدية ﷺ ويظهر ﴿وجه ربك ذو الجلال والاكرام﴾^(٢) ، وتندرج تحت لوائه كل الاقمار والنجوم والكواكب .

فنبوة الخاتم تأسيس ، وولاية الولي تدبير وتصرف في أحوال الخلق ، فلا تظهر الجنتان المدهامتان إلا في آخر الرجعات عند رجعة صاحب التأسيس ﴿كما بدأكم تعودون﴾^(٣) ، فنبوة الخاتم تبليغ عن الله بغير واسطة بشر ، كما وصفه الإمام الرضا ﷺ (المشيئة التي خلقها الله بنفسها) ، فهو (أول ما خلق الله نور نبيك يا جابر ومنه خلق كل خير) ، وهو مقام (إذا شئنا شاء الله) ، أما الولاية الكبرى والسلطنة العظمى للإمام علي ﷺ فهي بالأخذ من النبوة الخاتمة بالمباشر ، لذلك قال تعالى ﴿وانفسنا﴾ ، وقال رسول الله ﷺ (انت مني بمنزلة هارون من موسى) ، فكان للإمامة مقام التدبير والتصرف وتفصيل الجمل ، أما بقية النبوات فهي أخذ من مقام الولاية وكل حسب رتبته ﴿ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض﴾^(٤) ، فنبوة الانبياء جزء من ولاية آل محمد ﷺ ، والولاية على الأصل لهم وستظهر بأجلى معانيها في الرجعة وهي قوله تعالى ﴿هنالك الولاية لله الحق﴾^(٥) .

وفي آخر دولة الرجعة ترفع الزهراء عليها السلام ثم يرفع الثمانية المعصومين من صلب الحسين ﷺ ، من الإمام السجاد ﷺ إلى الامام الحسن العسكري ﷺ ، ثم يرفع القائم ﷺ ، ثم يرفع الإمام الحسين ﷺ ، ثم يرفع الإمام الحسن ﷺ ، ثم يرفع امير المؤمنين ﷺ ، ثم يرفع رسول الله ﷺ ، وتبقى الأرض بلا إمام وعندها

(١) طه/١١١

(٢) الرحمن/٢٧

(٣) الاعراف/٢٩

(٤) الاسراء/٥٥

(٥) الكهف/٤٤

تحدث القيامة الكبرى النهائية وهي مصداق قول رسول الله (القيامة لا تقع إلا على شرار الناس) ، ثم ينفخ إسرافيل نفخة الصعق ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله﴾،^(١) فموت أهل الرجعة وأهل البرزخ وكل من عليها وتبقى الأشياء هكذا لا حس ولا محسوس أربعمئة عام، ثم ينفخ إسرافيل النفخة الثانية ﴿ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾،^(٢) فتعود كل الخلائق للحساب النهائي.

(١) الزمر/٦٨

(٢) الزمر/٦٨

هل لإبليس كرات؟

هنا بقي أمر يجب ان نذكره وهو، هل لإبليس كرات أو رجعات؟

إبليس كينونة موجودة في الخارج وله كيان مستقل، وهو ينتمي إلى عالم الجن، تكلم مع الرب ورفض أمر السجود ولعن وطرد وهبط مع آدم إلى الأرض، ومُنذ رفضه السجود لآدم لحين ظهور قائم آل محمد ﷺ لا يسري عليه فعل الموت، لانه في فترة (إنظار) لقوله تعالى ﴿فانك من المنظرين . إلى يوم الوقت المعلوم﴾^(١)، فإبليس لا يموت حالياً لانه ممنوح هذه الخاصية بأمر الله، فلا سبيل للموت عليه إلا بعد حضور الوقت المعلوم، أما الأحاديث فتذكر ان إبليس يُقتل، ولكن تعددت الجهات التي ستقوم بقتله، فمرة تقول أن الذي سيقتله القائم ﷺ في مسجد الكوفة.

ففي مسند فاطمة عليها السلام روى محمد بن جرير الطبري بسنده عن وهب بن جميع مولى إسحاق بن عمار قال: (سألت أبا عبد الله ﷺ عن إبليس قوله ﴿رب فانظرنى إلى يوم يُبعثون قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ أي يوم هو؟ قال: (يا وهب أتُحسب أنه يوم يبعث الله تعالى الناس؟ ولكن الله عز وجل أنظره إلى يوم يُبعث قائمنا فيأخذ بناصيته ويضرب عنقه فذلك إلى يوم الوقت المعلوم)^(٢).

ومرة تقول أن الذي سيقتله رسول الله ﷺ .

عن أبي عبد الله ﷺ قال (ان إبليس قال: أنظرنى إلى يوم يبعثون فأبى الله ذلك عليه فقال: ﴿إنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرامة يكرها أمير المؤمنين. فقلت: وأنها لكرات؟ قال: نعم إنها لكرات وكرات ما من إمام في قرن إلا ويكر معه البر والفاجر في دهره حتى يدل الله المؤمن من الكافر

(١) الحجر / ٣٧ ٣٨

(٢) بحار الانوار/ ج ٦٠ / ص ٢٢١

فإذا كان يوم الوقت المعلوم كَرَّ امير المؤمنين عليه السلام في أصحابه وجاء إبليس وأصحابه ويكون ميقاتهم في أرض من أراضي الفرات يقال له الروحا قريب من كوفتكم فيقتتلون قتالاً لم يقتل مثله منذ خلق الله عز وجل العالمين، فكأني أنظر إلى أصحاب امير المؤمنين عليه السلام قد رجعوا إلى خلفهم القهقري مائة قدم وكأني أنظر إليهم وقد وقعت بعض أرجلهم في الفرات فعند ذلك يهبط الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة وقضي الأمر برسول الله بيده حرباً من نور فإذا نظر إليه إبليس يرجع القهقري ناكصاً على عقبيه فيقول له أصحابه: أين تريد وقد ظفرت؟ فيقول: أني أرى ما لا ترون أني أخاف الله رب العالمين، فيلحقه النبي صلى الله عليه وآله فيطعنه بين كتفيه فيكون هلاكه وهلاك جميع أشياعه فعند ذلك يعبد الله عز وجل ولا يشرك به شيئاً ويملك امير المؤمنين عليه السلام أربعاً وأربعين ألف سنة حتى يلد الرجل من شيعة علي ألف ولد من صلبه ذكراً وعند ذلك تظهر الجنتان المدهامتان عند مسجد الكوفة وما حولها بما شاء الله تعالى^(١).

حتى ان النص الانجيلي في رؤيا يوحنا يؤكد ان إبليس في بداية الامر سيقيد لمدة ألف عام ثم يطلق سراحه، جاء فيه (ثم رأيت ملاكاً نازلاً من السماء يحمل بيده مفتاح الهاوية وسلسلة عظيمة فأمسك التنين تلك الحية القديمة، أي إبليس أو الشيطان، وقيده لألف سنة ورماه في الهاوية وأقفلها عليه وختمها فلا يضل الأمم بعد حتى تتم الألف السنة ولا بد من إطلاقه بعد ذلك لوقت قليل)^(٢).

وفيه أيضاً: (ومتى تمت الألف سنة يطلق الشيطان من سجنه فيخرج ليضل الأمم في زوايا الأرض الأربع اي جوج وماجوج فيجمعهم للقتال وعددهم عدد رمل البحر فصعدوا على وجه الأرض وأحاطوا بمعسكر القديسين وبالمدينة المحبوبة فنزلت نار من السماء فأكلتهم وألقي إبليس الذي ظللهم في بحيرة النار والكبريت حيث كان الوحش والنبي الكذاب ليتعذبوا كلهم نهاراً وليلاً إلى أبد الدهور)^(٣).

والنص الانجيلي بهذا الشكل يؤيد ان نهاية إبليس تكون على مرحلتين، الأولى يقيد

(١) الايقلظ من الهجعة/ الحر العاملي

(٢) الانجيل / رؤيا يوحنا / الالف سنة/ ٢٠

(٣) الانجيل / رؤيا يوحنا / سقوط

هل لإبليس كرات؟

والثانية يتم ألقائه في بحيرة النار والكبريت أبد الدهر، كما ان النص يشير إلى أمر مهم جداً وهو ان خروج ياجوج وماجوج يكون بعد إطلاق سراح إبليس من القيد، مما يؤكد المرويات التي وردت عن الرسول الكريم محمد ﷺ كون علامات الساعة عشرة خروج ياجوج وماجوج في أواخرها.

وكل هذه الأحاديث صحيحة إذ لربما تكون لإبليس عدة رجعات أسوة بقيادات الذين آمنوا، فكما أن قيادات الذين آمنوا لهم عدة رجعات كما في الأحاديث عن الإمام علي عليه السلام بقوله (أنا الذي أقتل مرتين وأحيى مرتين ولي الكرة بعد الكرة) ، كذلك لقيادات الذين كفروا عدة رجعات من باب (العدل الالهي) ، فيكون له عدة ظهورات على مدى أحداث الرجعة.

والملاحظ من جملة الاحاديث ان هناك مدتان لحكم القائم ومدة طويلة لحكم الإمام الحسين عليه السلام وكرات متعددة لامير المؤمنين عليه السلام ، وفي كل هذه الاحداث إبليس موجود وأعوانه موجودين لان قسم من آل محمد ﷺ سيقتلون في الرجعة ويعودون مثل أمير المؤمنين والقائم عليه السلام، مما يدل على استمرارية مشروع إبليس إلى مرحلة متقدمة إلى ان ينتهي بقتله على يد رسول الله ﷺ في يوم الوقت المعلوم، وعموماً ليس لدينا حديث يؤكد صراحة هذا الأمر، إلا أننا نذكره كاحتمال وارد، ولكن لدينا استنتاج قرآني يؤيد ما نذهب إليه كون إبليس له رجعات من خلال الموارد القرآنية التالية:

قال تعالى ﴿قال فاخرج منها فانك رجيم . وان عليك اللعنة الى يوم الدين . قال رب فانظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم﴾^(١).

قال تعالى ﴿قال فانظرنى الى يوم يبعثون . قال فانك من المنظرين . الى يوم الوقت المعلوم﴾^(٢).

قال تعالى ﴿قال فاهبط منها فما يكون لك ان تتكبر فيها فاخرج انك من الصاغرين . قال انظرنى الى يوم يبعثون . قال انك من المنظرين﴾^(٣).

(١) الحجر / ٣٤ ٣٨

(٢) ص / ٧٩ ٨١

(٣) الاعراف / ١٣ ١٤

والآيات كلها تعبر عن حال إبليس وكلها تحمل نفس الطلب الذي طلبه منذ البداية بمنحه مدة زمنية إلى يوم يبعثون، أما الجواب الإلهي لهذا الطلب فهو قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، وكما هو معلوم ان يوم الوقت المعلوم هو يوم سابق ليوم يبعثون فيوم يبعثون أبعد زمنياً.

ففي مورد (الحجر / ٣٤ ٣٨) قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، وفي مورد (ص / ٧٩ ٨١) قوله تعالى ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ. قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾، ففي هذين الموردين رُفض طلب إبليس بالإمهال إلى (يوم يبعثون) وتم اعطائه فرصة إلى (يوم الوقت المعلوم)، لكن مورد (الاعراف / ١٣ ١٤) يعطينا صورة أخرى تكشف لنا شيء مهم، فعندما طلب إبليس الإنظار إلى يوم يبعثون، جاء الجواب في مورد الاعراف ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ ولم يحدد مورد الاعراف إلى متى وحسب السياق فهو مؤجل إلى (يوم يبعثون).

وهذا يؤدي إلى التناقض بين الموردين، فإبليس إما مؤجل إلى (يوم الوقت المعلوم) أو إلى (يوم يبعثون)، وبما ان يوم الوقت المعلوم هو غير يوم يبعثون، فيزول التناقض إذا تصورنا ان لإبليس كرات ورجعات بدلالة الاحاديث السابقة، فإبليس عليه لعنة الله حسب هذا التحليل يُقتل في يوم الوقت المعلوم فيتحقق قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ كما في مورد (الحجر) ومورد (سورة ص) والذي يقول عنه النص الانجيلي انه (يُقتل)، ثم يكر في الرجعة ويقتله رسول الله ﷺ (يوم يبعثون) حسب مورد (الاعراف).

ثانياً: مكان الرجعة

الأحاديث السابقة التي ذكرناها في بداية فقرة (زمان الرجعة) تشير إلى وجود مكان معين لهؤلاء الراجعين فالحديث المروي عن أمير المؤمنين رقم (٥) السابق يذكر ان هؤلاء الراجعين (قد تخللوا سكك الكوفة) ، وكذلك الحديث رقم (٧) يذكر عبارة (قد انطلقوا بسكك الكوفة) ، والحديث المروي عن رسول الله ﷺ الرقم (٦) يحدد هذا المكان بقوله (وموعدكم السلام) ، وعندما سأل (أبان) أبا عبد الله ﷺ عن السلام قال الإمام ﷺ (السلام ظهر الكوفة) ، فيما حدد الحديث المروي عن أبي عبد الله ﷺ بأنهم (مقبلين من قبل جهينة) .

ومما لا يخفي عن بال الجميع أن منطقة (الكوفة) سابقاً تمثل المساحة الجغرافية التي تمثل اليوم كل أرض (النجف) ^(١) وما حولها حالياً وتسمى أرض النجف بـ (ظهر الكوفة) و (وادي السلام) ، ولقد أختصت هذه الأرض برجعة الأموات للأسباب التالية:

١- أن أرض الكوفة هي مدفن للشيعة منذ أن سكنها الإمام علي ﷺ في بدايات القرن الهجري الأول، وقد زارها ومر بها وأقام ودفن بها عدد غير قليل من الأنبياء والأولياء، فهي مدفن آدم ونوح وهود وصالح وغيرهم من أنبياء الله ﷺ، أما أرض كربلاء فهي مركز ديني قديم من أيام السومريين وكانت تسمى (كور باب ايلو) باللغة السومرية وهي تعني (مدينة باب الله) ، والكوفة مشحونة بقبور الأنبياء والأولياء والصالحين والشيعة منذ أقدم العصور، لأن هذا الصنف من البشر موعودين بالرجوع إلى الحياة لنصرة هذا الدين، فتم جمعهم في هذا المكان لكي يُحشروا معاً، باعتبارهم ممن محض الإيمان محضاً لذلك سُملي سكك الكوفة وأزقتها بهم عند رجعتهم دون بقاع العالم.

٢- قام الإمام علي ﷺ بنقل مركز الخلافة الإسلامية من المدينة المنورة إلى الكوفة أثناء مدة خلافته، وهذه النقلة مقصودة لكي يتجمع كل أنصاره ومواليه فيها، (١) عن أبي جعفر ﷺ قال (كأني بالقائم ﷺ على نجف الكوفة.....) . هذا الحديث فيه دلالة على أن النجف هي جزء من الكوفة.

- وكذلك الإصرار على الدفن في هذا المكان الذي دفن فيه أمير المؤمنين عليه السلام .
- ٣- ذكرت الأحاديث أن الكوفة هي عاصمة الإمام المهدي عليه السلام وعاصمة العالم بعد الظهور، مما يستوجب أن يكون لهذه الأرض خصيصة مباركة دون بقاع العالم، فكما سكنها أمير المؤمنين عليه السلام كذلك سيسكنها الإمام الحجة عليه السلام ، وكما خرج من مكة خاتم الأنبياء صلى الله عليه وآله سيخرج من مكة الإمام المهدي عليه السلام .
- ٤- أن خروج الإمام الحسين عليه السلام من مكة وقدمه إلى كربلاء واستشهاده بما لم يكن أمراً عارضاً، بل هو امر أنبأ به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فهذه الأرض شهدت مقتله وستشهد خروجه بأذن الله مع القائم، فعن أبي عبد الله عليه السلام (أول من تنشق الأرض عنه الحسين بن علي عليه السلام) .
- ٥- أن عبارة (يتخللوا سكك الكوفة قد شهروا سيوفهم على عواتقهم يضربون كل عدو لله ورسوله وللمؤمنين) الواردة في الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام الحديث (٥) وعبارة (سيوفهم على عواتقهم ليضربوا بها هام الكفرة وجبايرتهم وأتباعهم من جبابرة الأولين والآخرين) في الحديث المروي عن أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً الحديث رقم (٧) لهو دلالة على ان الكوفة في زمن أحداث الرجعة تكون مكتنزة بهؤلاء الظلمة والجبارين فالأحاديث تشير إلى وجودهم في الكوفة، والمعارك الدائرة ساحتها الكوفة، وان ضراوة هذه المعارك قد أمتدت لتشمل حتى سكك وأزقة الكوفة.
- ٦- أما (جهينة) وهي العبارة الواردة في الحديث رقم (٢) (فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفضون شعورهم من التراب) ، ففي معجم البلدان (جهينة) أسم علم لأبي قبيلة من قضاة أو هي أسم قرية من نواحي الموصل، ولكن هذا التعريف لا يخدمنا إذا عكسنا هذا المعنى على الحديث (فجهينة) يجب أن تكون أسم من أسماء الكوفة أو النجف أو كربلاء، ولعل في هذا الاسم تصحيف أو خطأ من قبل الرواة، لكن اللغة الشعبية الشيعية في العراق كانت وما تزال تطلق على منطقة المقابر في النجف أسم (الجنّة) ، ولعل في هذا الأسم إنطباق على مفردة (جهينة) لأن الحديث يشير إلى قدوم هؤلاء الأموات (من جهة جهينة) فمنطقياً يكون مجيء الأموات من جهة المقابر التي دفنوا بها، أما الأحاديث فتسمي المقابر (الجبّانة) فلاحظ التشابه بين هذه المفردات (جهينة جبّانة الجنّة) .

ثانياً: مكان الرجعة

٧- هناك احاديث للإمام علي عليه السلام يحدد مكان معين لهؤلاء الراجعين.

قال عقبة: (أشترى أمير المؤمنين علي عليه السلام ما بين الخورنق والحيرة إلى الكوفة من الدهاقين بأربعين ألف درهم وأشهد على شرائها قال: فقيل له يا أمير المؤمنين تشتري بهذا المال وليس ينبت حطباً؟ فقال عليه السلام (سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: كوفان يُرد أولها على آخرها يُحشر من ظهرها سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب فاشتبهت أن يُحشروا من ملكي) ^(١).

عن الإمام علي عليه السلام (أن إبراهيم عليه السلام مرّ بانقيا ^(٢) وكان يُزلزل بها فبات بها فأصبح القوم ولم يُزلزل بهم، فقالوا: ما هذا وليس حدث؟ قالوا: نزل شيخ ومعه غلام له، فأتوه فقالوا له: يا هذا إنه كان يُزلزل بنا كل ليلة ولم يُزلزل بنا هذه الليلة، فبت عندنا، فبات فلم يزلزل بهم، فقالوا: أقم عندنا ونحن نُجري عليك ما أحببت، قال: لا ولكن تبعوني هذا الظهر ولا يُزلزل بكم، قالوا: فهو لك. قال: لا آخذه إلا بالشرء، قالوا: فخذ بما شئت. فاشتراه بسبع نعاج وأربعة أحمرّة، فلذلك يسمى بانقيا، وقال: فقال له غلام: يا خليل

(١) فرحة الغري عن مقامات المعصومين عند الانبياء والمرسلين.

الحيرة: وهي مدينة تاريخية تقع في جنوب وسط العراق على نهر الفرات غرباً على مسيرة ثلاثة أميال من الكوفة وتقع شمالها الآن كربلاء وتقع أنقاضها على مساحة سبعة كيلومترات إلى الشرق والجنوب الشرقي من مدينة النجف، وهي مشتقة من الكلمة الآرامية (حرتا) ومعناها المعسكر أو المقام، ويرجع تاريخها إلى القرن الثاني قبل الميلاد، وحكمتها مملكة تدمر حتى أخذها المناذرة عاصمة لهم، وقد سُميت الحيرة، و جنوب العراق بشكل عام تحت حكم الساساني بعربستان وبعد الإسلام فُتحت الحيرة صلحاً وفي عام (٦٩١) م في عهد عبد الملك بن مروان دُمجت كثيراً من ضواحي الحيرة مع الكوفة.

الخورنق: هو قصر كان في نواحي العراق يُعتقد أنه موجود قرب ما يسمى حالياً (أبو صخير) جنوب العراق، بناه النعمان بن المنذر بن عمرو القيس في القرن الرابع الميلادي، وصمد القصر لأكثر من (٨٠٠) سنة، وذكره أبو بطوطة في رحلاته، وهناك عدة رحلات للتنقيب عن آثار هذا القصر منها بعثة عراقية برئاسة الاستاذ طه باقر عام (١٩٣٨) حيث كشف عن سور من (اللبن) عرضه (١١٠) م يحيط به أبراج مدورة ومربعة، وساد الظن آنذاك ان الحصن يعود إلى القصرين (الخورنق) و (السدير).

(٢) في مجمع البحرين ٣: ٤٧٠ (بانقيا هي القادسية واقعة غرب الكوفة بينهما خمسة عشر فرسخا او ميلا وهي اخر ارض العرب وهي الذيب واول حدو سواد العراق اذا خرجت منها اشرفت على النجف.

وفي السرائر ١: ٤٧٩ (وانما سميت بانقيا لان ابراهيم عليه السلام اشتراه بمائة نعجة من غنمه لان (با) مائة و (نقيا) شاة بلغة النبط) وفيه ايضا: انما سميت قادسية لان ابراهيم عليه السلام دعا لها بالقدس وان تكون محلة الحاج وقال: كوني مقدسة أي مطهرة

الرحمن ما تصنع بهذا الظهر وليس فيه زرع ولا ضرع؟ فقال له: اسكت فان الله عز وجل يحشر من هذا الظهر سبعين ألف يدخلون الجنة بغير حساب يشفع منهم كذا وكذا) (١).

ربما يقول البعض ما هو الدليل على أن هؤلاء المحشورون في هذا الحديث في الرجعة وليس الحشر النهائي. أقول: ان الحشر النهائي يشمل كل بقاع الأرض، أما هذا الحديث فيحدد مكان باحداثيات معروفة ومساحة معلومة فهي أرض خاصة لحشر خاص أضافةً لما قلناه سابقاً كون هذه الأرض (الكوفة) مشحونة بقبور الأنبياء والصالحين والمحشورين منها هم قطعاً (من محض الأيمان محضاً) ، أما الحشر النهائي فهو لكل برها وفاجرها.

٨- جاء في كتاب ((أسرار الملائكة)) للشيخ أحمد الاحسائي في فقرة (الملائكة النقالة) نص عبارته التالية:

(أن الله خلق سبعين ألف ملكاً وجعلهم ينقلون الأموات مواضع تربتهم، وأصل ذلك أن نطفة الرجل حارة يابسة كالنار ونطفة المرأة باردة رطبة كالماء فإذا وقعت نطفة الرجل في رحم المرأة نفرت نطفة المرأة من نطفة الرجل ونطفة الرجل من نطفة المرأة لما بينهما من التنافر ولا يخلق الله تعالى منهما كما قال تعالى ﴿يُخْرِجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ﴾ (٢)، لان نطفة الرجل من صلبه ونطفة المرأة من ترائبها، فأمر الله سبحانه ملكاً فقبض تربةً من الأرض يابسة فخلطها بالنطفتين فيبوستها توافق نطفة الرجل لأنها حارة يابسة وبرودتها تسكن حرارة نطفة الرجل وبرودتها توافق نطفة المرأة لأنها باردة رطبة ويبوستها تسكن رطوبة نطفة المرأة فيحصل التوافق بين النطفتين، فكانت مادة الإنسان ثلث من الرجل وثلثان من المرأة لان نطفتها أثقل من نطفة الرجل وشيء من قبضة التراب، وهي أقل منهما إلا انه كان التراب أكثر كان المني أعقل. فإذا مات الإنسان لا بد أن يدفن في هذا الموضع الذي أخذت من تلك القبضة من التراب، فإذا دفن الميت فيها لم ينقل وان دفن في غيرها لا بد ان ينقل من ذلك المكان إلى موضع تربته، وأيضاً ربما يكون الرجل تربته من كربلاء

(١) علل الشرائع نقلا عن نفس الرحمن في فضائل سلمان/الميرزا حسيني النوري/الباب السادس/
مدينة بانقيا/ ص ٢٩٢
(٢) الطارق/٧

ثانياً: مكان الرجعة

ويدفن في يزد مثلاً سنة أو اقل أو اكثر ثم ينقلونه أهله إلى كربلاء، والسر في ذلك ان التربة التي قبضها الملك وخلطها بالنطفتين كانت في كربلاء ونقلتها الرياح أو الملائكة إلى الموضع الذي دفن فيه وبقيت تلك التربة في ذلك الموضع بقدر تربته فيه فإنه يدفن في الموضع الذي نقلت التربة إليه بقدر ما بقيت ان كان يوماً وان كان عشر سنين أو أقل أو أكثر، لكن الاموات تختلف أحوالهم فإن لم ينقله أهله فمنهم من تنقله الملائكة في أيامه بغير مهلة لاجل أسباب يعلمها هو سبحانه، وان كان ما حصل سبب موجب لنقله بلا مهلة بقي في قبره إلى ان تأكل الأرض من جسده كل الاعراض والمواضع وتبقى طينته الاصلية قائمة، فتحمله الملائكة الطبيعيون الموكلون بها وبالجملة الملائكة النقاله دل على ثبوتهم العقل والنقل دل على ان عددهم سبعون ألف ملك). أنتهى كلامه.

اما الحديث الذي يستند عليه الشيخ الاحسائي في إثبات هذا الامر فهو حديث روي عن الإمام الصادق عليه السلام قال (أن الله خلق سبعين ألف ملك يقال لهم (النقالة) ينتشرون في مشارق الأرض ومغربها فيأخذون أموات العباد ويدفنون كلا منهم مكاناً يستحقه وأنهم يستلبون جسد الميت عن نعشه ويضعون آخر مكانه من حيث لا تدرون ولا تشعرون وما ذلك ببعيد وما الله بظلام للبعيد).^(١)

وهناك عدة أحاديث تؤكد المعنى نفسه منها:

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ (أن الله تعالى ملائكة ينقلون أموات العباد حيث يناسبهم)^(٢).

عن السيد المرتضى انه جيء إلى عمر بن الخطاب بعد قتل مولاه فأمر بقصاصه إذ دخل أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام فقال فيم أنتم قال عمر: يا أبا الحسن ان هذا عبد قتل مولاه بقصاصه فسأله الإمام علي عليه السلام مهلاً: أفقتلت أنت مولاك؟ قال العبد نعم. قال عليه السلام: ولم تقتله؟ قال: لأنه هوى أليّ وطالبي عن نفسي فقتلته، فأمر أمير المؤمنين عليه السلام بنيش قبره فلم يجدوه، فقال عليه السلام (صدق حبيبي رسول الله ﷺ أني سمعته يقول من عمل من أمتي عمل قوم لوط يحشر

(١) نفس الرحمن في فضائل سلمان / ميرزا حسين النوري / ص ٦٣٦

(٢) الكتاب المبين الانوار العلوية.

معهم) (١).

عن امير المؤمنين عليه السلام (يقول أدفنوا أمواتكم أنى شئتم فلوا كانوا صلحاء أبرار لنقلتهم الملائكة إلى جوار بيت الله الحرام ومدينة رسول الله المعظم، ولو كانوا فساقاً أشراراً لنقلتهم الملائكة إلى حيث يجدون أهلاً له) (٢).

وعن ميثم التمار قال: قلت له: يعني الإمام علي عليه السلام جعلت فداك أتأذن لي ان أنقل أمي إلى طيبة. فقال عليه السلام (لو كانت صالحة لها لنقلوها إليها دونك) .

عن أبي بصير قال: (حججت مع أبي عبد الله عليه السلام حتى زار قبر جده عليه السلام بالمدينة وزرنا معه وقال له رجل من بني يقظان: يا بن رسول الله عليه السلام انهم يزعمون انهم يزورون أبا بكر وعمر في هذه القبة فقال عليه السلام (مه يا أخا يقضان انهم كذبوا فوالله لو نبش قبرهما لوجدوا مكانهما سلمان وابو ذر فوالله انهما أحق بهذا الموضع من غيرهما) . قال أبو بصير: فقلت: يا بن رسول الله كيف يكون إنتقال الميت ووضع آخر مكانه. فقال عليه السلام: (يا أبا محمد ان الله عز وجل خلق سبعين ألف ملك يقال لهم النقالة ينتشرون في مشارق الأرض ومغاربها يأخذون أموات العباد يدفنون كلا منهم مكاناً يستحقونه وانهم يسلبون جسد الميت من نعشه ويضعون آخر مكانه من حيث لا تدرون ولا تشعرون وما ذلك بعيد وما الله بظلام للعبيد) .

واستناداً لهذه الأحاديث المباركة وإلى التحليل الذي ذكره الشيخ الاحسائي حول نطفة الرجل والمرأة والتراب الممتزج معها وموضوع الملائكة النقالة يمكن ان نقول: ان كل المؤمنين الذين حُلِقوا من تراب (الكوفة برقعتهما الجغرافية المعروفه حالياً أو

(١) بحار الانوار/ المجلسي مثله في السراط المستقيم.

(٢) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم عن امير المؤمنين عليه السلام قال: (أوصاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا علي ان وجدت فئة تقاتل بهم فأطلب حذك وإلا فالزم بيتك فأني قد أخذت لك العهد يوم غدير خم بأنك خليفتي ووصيي وأول الناس من بعدي فمثلك كمثل بيت الله الحرام يأتونك الناس ولا تأنيهم) . (بحار

الانوار/ المجلسي/ ج ٩٠ / تفسير النعماني/ ص ١٥

عبارة (بيت الله الحرام ومدينة رسول الله المعظم) واضحة كون المراد منها الكعبة والمدينة المنورة، ويمكن ان نستشف معنى ذوقى للعبارة، فلا يخفى على الشيعة المتأمل في كلام اهل البيت عليهم السلام إن بعض العبارات في الاحاديث لها معاني باطنية، مثل (بيت الله الحرام) تعني موضع قبر أمير المؤمنين عليه السلام وعبارة (مدينة رسول الله المعظم) هي أرض السلام (النجف) ، وهي مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنا مدينة العلم وعلي بابها) . ولقد دأب الشيعة في كل مكان على ان يأتون امير المؤمنين عليه السلام أحياءاً وأمواتاً.

ثانياً: مكان الرجعة

حدودها التي يعلمها الله) ، لا بد ان هذا التراب الداخل في تكوينهم راجع بعد الموت إلى محله الأصلي لرجوع كل شيء إلى أصله، فهم إذا ماتوا في أي زمان وفي أي مكان فلا بد من نقلهم إلى هذه الأرض لانهم خلقوا منها، وعليه سيكون مكان رجعة المؤمنين مختصة بموقع جغرافي معين واحد (الكوفة) لتواجد تراب وطينة وأحداث كل المؤمنين فيها على مر الزمن بواسطة الملائكة النقالة، لذلك ورد عنهم عليهم السلام: (كل مؤمن يدخل الكوفة حياً وميتاً) .

عن الإمام الحسن عليه السلام: (من حديث طويل..... وأما العين التي تأوي إليها أرواح المشركين فهي عين يقال لها (برهوت) ، وأما العين التي تأوي إليها أرواح المؤمنين فهي عين يقال لها (سلمى)) .^(١) فتكون (سلمى) هي (الكوفة) لأختصاصها بهذا الامر.

ووجود الملائكة النقالة دال بشكل مباشر على وجود حشر الرجعة، إذ ما فائدتهم إذا كان الراجعين كل يرجع من مكانه الذي دُفن فيه، ودال أيضاً على محدودية المكان الذي سيُحشر منه الراجعين وليس عموم الأرض، لان الملائكة النقالة تجتمع في مكان واحد مخصوص.

كما ورد حديث آخر لأمير المؤمنين عليه السلام قوله: (لن يكون هذا الأمر حتى تجتمع أرواح كل المؤمنين في كوفانكم هذه) ، ويقصد بهذا الأمر هو خروج القائم عليه السلام ، وفي الحديث إشارة دقيقة إلى (اجتماع الأرواح) ، فهي ستتجمع في منطقة جغرافية محددة لان تراب المؤمنين وطينتهم في تلك المنطقة أيضاً، لكي تحل هذه الأرواح بالأبدان عند إكمال قوامها بعد المطرة المرتقبة بين جمادي ورجب، فالروح تحتاج إلى آلة لكي تعمل من خلالها في عالم الدنيا والكثافة، لذلك ذكر الحديث انهم مقبلين من جهة (جهينة) التي هي أرض المقابر في (الكوفة) حالياً لان أرواح وتراب المؤمنين مخزونة بها على مر الزمن.

واستناداً إلى هذا التحليل يكون هناك مكانين لخروج الأموات، الأول خاص بالمؤمنين ناتج عن جمع أجسادهم (طينتهم) في أرض الكوفة وأرواحهم في عين

(١) الاحتجاج/ الطبرسي/ ج٢/ احتجاجات الامام الحسن عليه السلام / ح ١٤٩ .
عن امير المؤمنين عليه السلام قوله للأصْبغ بن نباته عن الكوفة: (يا أصْبغ ان هذا الظهر أو قال في هذا الظهر مجمع أرواح المؤمنين ولو كشف لك ما كشف لرأيتهم حلقاً يتحدثون على منابر من نور) .

تدعى (سلمى) وهما معنيان لمفهوم واحد، وان المطر المذكور في الحديث موضوع البحث هو خاص بهذه البقعة الجغرافية وحدها لانه يقول ان هذا المطر (سيكون سبباً في أنبات لحوم وأبدان المؤمنين في قبورهم) ، فهذا المطر لهذه الأرض فقط وللمؤمنين فقط، أما المنطقة الثانية لخروج الأموات فهي (حضر موت) في اليمن من عين تدعى (برهوت) ، وهما أيضاً معنيان لمفهوم واحد فلا بد ان تكون طينة الكافرين قد تم نقلها بواسطة الملائكة إلى موقع جغرافي معين وهو حضر موت مادامت أرواحهم في (برهوت) .

وإذا رجعنا إلى كلام الشيخ الاحسائي السابق كون الإنسان يتكون من نطفة الرجل زائد نطفة المرأة زائداً التراب نجد ان هناك عدد من الآيات القرآنية تؤيد هذا المعنى، قوله تعالى ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون﴾^(١).

وقد قال الكثيرون ان هذه الآية تشرح عملية تكوين الجنين داخل رحم أمه وفق هذا التسلسل الذي تذكره الآية (نطفة علقة طفلاً....) ، لكنهم لم يشرحوا أو يسيروا لنا ما هو دور التراب الذي تذكره الآية في هذه العملية، فكما هو معلوم ان (النطفة + البويضة) هي العناصر الداخلة في تكوين الجنين عند تلقيح أحدهما للآخر، وقد يقول البعض ان هذا (التراب) المتحدث عنه في هذه الآية هو إشارة لعملية خلق آدم ﷺ والذي جاءت منه بقية البشرية على هيئة نطف في الأرحام، لكن وجود (ثم) في ترتيب سياق الآيات يؤكد التتابع وليس الانفصال أو تبعض المواضيع، فكما ان (ثم) تفصل بين (النطفة) و (العلقة) ، وهي مرحلتان متتابعتان زمنياً، كذلك (ثم) تفصل بين (التراب) و (النطفة) .

وعليه فإن الكلام السابق للشيخ الأحسائي يحل لنا هذا الإشكال كون التراب عنصر داخل في تكوين الجنين في بطن أمه فتكون هناك ثلاثة عناصر لبدء عملية تكوين الإنسان في بطن أمه وهي (التراب + البويضة + النطفة)، وهناك شواهد قرآنية تؤكد دخول التراب في عملية الخلق:

قال تعالى ﴿قال لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من

ثانياً: مكان الرجعة

نطفة ثم سواك رجلاً^(١).

قال تعالى ﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مُضْغَةٍ مُخْلَقَةٍ وَغَيْرِ مُخْلَقَةٍ﴾^(٢).

قال تعالى ﴿ومن آياته ان خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشراً تنتشرون﴾^(٣).

قال تعالى ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً﴾^(٤).

(١) الكهف/٣٧

(٢) الحج/٥

(٣) الروم/٢٠

(٤) فاطر/١١

أيام الله المرجوة

عن الصادق عليه السلام (أيام الله المرجوة ثلاثة، يوم القائم، ويوم الكرة، ويوم القيامة)

يمكن وضع حدود تقريبية للفترات الزمنية التي تشغلها هذه الأيام الثلاثة القادمة وفق ما بيناه من سير الموجودات من الزمان إلى البرزخ إلى الدهر.

يوم القائم: (يوم زمني) .

وهو المدة الزمنية الممتدة من يوم ولادة الإمام المهدي عليه السلام مروراً بالغيبة الصغرى والكبرى إلى يومنا هذا، ثم أحداث الظهور وحكم الإمام المهدي عليه السلام ، وينتهي هذا اليوم بموت الإمام المهدي عليه السلام ، فمن يوم ولادته إلى يوم وفاته هو (يوم القائم) ، ويعني (وقت القائم) ، ويشغل مساحة في الزمن قد تتجاوز الألف سنة، ولذلك سمّي المهدي (صاحب الزمان) لان وقته شغل مساحة في الزمان.

يوم الكرة: (يوم برزخي) .

يوم الرجعة، أي (وقت الرجعة) ، يبدأ يوم (خروج الحسين عليه السلام هو وأصحابه) ^(١) قبل وفاة القائم بعدد من السنين، وهو يوم (برزخي) طويل نهايته تكون كل يوم بألف سنة مما تعدون، يحكم فيه كل الأئمة ويرجع فيه كل المؤمنين الماحضين للإيمان، ويتغير فيه النظام الفلكي بشكل متدرج وصولاً إلى الوقت البرزخي وتظهر فيه الجنتان المدهامتين، وينتهي برفع الأئمة عليهم السلام وآخرهم رسول الله صلى الله عليه وآله فتسيخ الأرض بأهلها.

يوم القيامة: (يوم دهرّي) .

وهو يوم الحشر النهائي الذي تحشر فيه كل الخلائق، ويمتد من بعد رفع رسول

(١) عن علي بن ابراهيم بن مهزيار (حديثه مع القائم عليه السلام) قلت/ يا سيدي ما يكون بعد ذلك؟ قال (الكرة الكرة الرجعة الرجعة) ثم تلا هذه الآية (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) (الاسراء/٦) وقد ورد في الأحاديث أن هذه الآية هي في ذكر خروج الحسين عليه السلام في الكرة مع أصحابه فيكون أول بداية يوم الرجعة هو خروج الحسين عليه السلام .

أيام الله المرجوة

الله ﷻ بأربعين يوم إلى نهاية الحساب، وهو يوم (دهري) بخمسين ألف سنة مما تعدون.

رجعة من محض الإيمان محضاً

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (..... إذا آن قيامه مُطر الناس جمادي الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم يرى الخلائق مثله فئبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم فكأنني أنظر إليهم مُقبلين من قبل جهينة ينفذون شعورهم من التراب) ^(١).

سنقوم في هذه الفقرة بمحاولة لفهم آية قانون الرجعة من خلال النص القرآني وأحاديث المعصومين عليهم السلام ومعطيات العلم الحديث وبالاستعانة بالشواهد والقرائن التي مر ذكرها سابقاً، والذي نريد ان نقوله إجمالاً ان هناك طبيعة للمادة الحية محكومة بقوانين تجعل للحياة أساس كيميائي وبالذات المادة الوراثية، وقد يتساءل البعض ماهي الفائدة التي يجنيها البحث في قانونية وآلية الرجعة؟ ألا يكفي ان نعترف بأن الله قادر على كل شيء وبإمكانه ان يُعيد هؤلاء الموتى بقدرته، فلماذا البحث والتفكير بقدره الله؟

في الحقيقة هذ رأي مطروح وتبناه جملة من الباحثين والمتدينين، وهو كما اعتقد (هروب من المسؤولية البحثية) ضناً منهم ان فهم القدرة باب مُغلق، فقد حث بعض العلماء على عدم التمعن والتفكر بموضوع الرجعة بالذات لان هذا الأمر لا يحقق فيه إلا أصحاب النظر الدقيق (يقصدون أنفسهم) ، وإنما يجب ان ننظر إلى هذا الأمر على بساطته، ولا سبيل لعامة الناس للتفقه فيه، وقالوا ان محاولة الكشف وسبر أغوار مثل هذه الأمور هو ضرب في التيه وفتح العيون في ظلام حالك، وقد يكون في هذا التصور نوع من المنطق من باب ان العلوم الخاصة يجب ان لا يجادل بها عامة الناس ممن ليس لهم حظ كافي من المعرفة قد تجعله يسقط في شبهات لا يمكن أخراجه منها، لكن هل قام العلماء (وهم خاصة الناس) بالبحث والتدقيق في هذا الأمر أم انه أهمل كما أهملت مواضيع خاصة تتعلق بأحداث آخر الزمان، وبإمكانك ان تراجع النتاج الفكري والفلسفي لعلماء الشيعة لمئة عام أو أكثر قد مضت فلا تجد في نتاجهم أي أثر لهذا الموضوع إلا إشارات فقط تُذكر في كُتب

العقائد، فيما أهملت الكتب التي تناولت موضوع المعاد هذا الأمر كلياً. أما إذا تأملنا في الحديث أعلاه المروي عن الإمام الصادق عليه السلام ، فستجد ان الحديث فيه مجموعة من العلائق والمراحل والآليات لفهم هذه الحالة، والحديث بمجمله يشير إلى ان الإمام عليه السلام يريدنا ان نبحث في هذا الموضوع فأعطانا عدة مفاتيح للدخول، فقد حدد الحديث (زمان معين) و (مكان معين) و (مطر بمواصفات معينة) و (إشارة لعملية إنبات اللحوم) ، فهل هذه العلائق والروابط ذكرها الحديث إعتباطاً (وحاشاهم من العبث) ، أم إن الحديث فيه إشارة للبحث على البحث والربط مع الآيات القرآنية التي ربطت رجعة الأموات مع عملية (الإنبات) كما سنوضح لاحقاً، وعليه سنقوم بمتابعة فقرات هذا الحديث المبارك واحدة تلو الأخرى ومن الله التوفيق ﴿ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا﴾^(١).

١- (إِذَا أُوْ قِيَامِهِ) .

ذكرنا سابقاً ان الراجعين الذين يشاركون في المعارك الأولى ليسوا خاضعين لآلية السقي والإنبات التي يتحدث عنها الحديث مورد البحث، فهؤلاء هم الوجبة الأولى من الراجعين ممن كمل إيمانهم وبقيت أجسادهم كاملة بعد الموت، وقد ذكرت الأحاديث هؤلاء بالاسماء كعمار وأبا ذر وسلمان والمقداد وأصحاب الكهف ويوشع بن نون وخمسة عشر من قوم موسى عليه السلام ، لان الرجعة تتم بنظام (الأفواج) وهذا هو الفوج الأول الخاص الذين يظهرون بعد ظهور القائم عليه السلام ، او ربما يكونون من اول الافواج بعد رجعة الامام الحسين عليه السلام في زمن القائم باعتبار ان الاحاديث تقول ان اول من ينشق القبر عنه الحسين بن علي عليهما الصلاة والسلام، أما المؤمنون الذين تنبت أبدانهم بفعل هذه المطرة ووفق هذه الآلية، فهم وجبات لاحقة كل حسب استعداده، هذا إذا أخذنا برأي العلامة الاحسائي الذي فيه الكثير من الوجاهة كون عبارة (إذا آن قيامه) تعني قيامة القائم من الموت بعد قتله، فتكون هذه المطرة في مدة حكم القائم عليه السلام الثانية.

يقول الشيخ احمد الاحسائي (لان القائم عليه السلام يُقتل وابليس اللعين موجود وانما قال عليه السلام في الاخبار المتقدمة اذا قام القائم عليه السلام الخ لان المراد بقيامه الى الدنيا لا

رجعة من محض الإيمان محضاً

خروجه الاول فانه بعد قتله عليه السلام يرجع مع ابائه الكرام عليهم السلام (...).^(١)

ومراد الشيخ الاحسائي من كلامه واضح كون ظهور الامام المهدي عليه السلام في بداية الامر هو ظهور بعد غيبة ولا بد بعد ان يحكم وان يقتل ولفظة القيام تعني قيامه من الموت.

٢- (مُطر النّياس جمادى الآخر وعشرة أيام من رجب مطراً لم يري الخلائق مثله) .

لقد أقرنت الحياة منذ البداية بالماء، فهو الرابط الكوني للمخلوقات وهمة الوصل لكل فعاليات الطبيعة، وقد ورد في القرآن الكريم مرتباً بعدة مواضع لها علاقة ببداية الحياة واستمراريتها، فلا تكاد تجد حدث كوني كبير ومؤثر إلا وكان الماء طرفاً فيه، فمرة يكون سبباً للعذاب ومرة سبباً للرحمة، وعندما سُئل الإمام الصادق عليه السلام عن طعم الماء قال: (هو طعم الحياة) ، فإذا كان الماء عنصر في عملية الخلق الأولى، فلا محالة ان يكون عنصر في كل عملية خلق لاحقة، فله دور في بداية الأحداث وفي آخرها، وإن المطرة التي يتحدث عنها هذا الحديث لا تخص موضوع الرجعة فقط، بل ورد عن رسول الله وآل بيته عليهم السلام إن السماء قبل يوم القيامة أيضاً سُمطر لمدة أربعين يوماً لإخراج الناس من قبورهم إلى الحشر الكلي.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال (إذا أراد الله ان يبعث الخلق أمطر السماء على الأرض أربعين صباحاً فأجتمعت الأوصال ونبت اللحوم)^(٢).

وفي الحديث أمر مهم جداً وهو ان هذه المطرة تستمر أربعين يوم (من جماد الآخر إلى عشرة أيام من رجب) ، وتسلسل الشهور بهذا الشكل وكون هذه الايام أربعين يوماً، يدل بشكل واضح على ان النظام الفلكي للأرض أثناء هذه المطرة على ما هو عليه الآن، والراجع حسب سياق الحديث ان هذه المطرة في بدايات مدة حكم القائم عليه السلام الثانية، لذلك بدأ الحديث بقوله: (إذا آن قيامه) ، أي قيام القائم عليه السلام في الرجعة كما يعتقد الاحسائي، وبعد هذه المطرة بفترة لا نعلمها تبدأ عمليات تغير النظام الفلكي التي يتبعها تغير في الأيام والسنين، فكما ذكرت الاحاديث

(١) الرجعة/ الاحسائي/ ص ١٨٤

(٢) الامالي/ الشيخ الصدوق: ٦/٢٥٨ ص ٢٤٣

ان القائم عليه السلام يحكم سبعة سنوات كل سنة بعشر سنين من سنينكم هذه، وكما تلاحظ ان الآلية التي سينشر بها الناس في الرجعة هي نفسها في الحشر الكلي النهائي مما يؤكد وحدة القانون ووحدة النتائج ولكن الفرق في الزمان فقط.

وقد حدد القرآن الكريم أنواع متعددة من الماء منها (ماء دافق) ، (ماء طهور) ، (ماء معين) ، وسنشرح في الفقرة اللاحقة بشكل مفصل ان هذا المطر هو نوع خاص من الماء حددته الاحاديث بمواصفات نادرة وغريبة جداً منها كون رائحته أشبه برائحة (المني) ، مما يشير بصورة واضحة إلى ان ما يحدث في القبر نتيجة هذه المطرة هو عين ما يحدث داخل الارحام، لكن عندما يخرج الإنسان من رحم أمه يخرج صغيراً لا يعلم شيئاً، أما في الرجعة فسيرجعون كباراً وبوعي تام لانهم ينادون (ليبك لبيك داعي الله) .

٣- (لم يرى الخلائق مثله) .

نفهم من هذه العبارة عدة وجوه:

أولاً: ان عبارة (لم يرى الخلائق مثله) لا تعني بالضرورة ان هذا المطر ذا كمية كبيرة وان استمرت إلى أربعين يوم، لان البشرية شهدت عملية طوفان في زمن نوح طغى فيها الماء على بقاع الأرض^(١)، فلا يمكن ان تكون كمية المياه النازلة أكبر من كمية ماء الطوفان في زمن نوح عليه السلام ، فتكون عبارة (لم ترى الخلائق مثله) دالة على النوعية وليس الكمية، لان هذه المطرة خاصة لإنبات أبدان المؤمنين ورفاتهم موجود ومجموع في منطقته محددة سلفاً وهي الكوفة، وهذه النوعية من المطر غير مألوفة لان الأثر المترتب عليها هو (إنبات لحوم المؤمنين وأبدانهم) ، وان لفضة (لحوم) تدل على ان اجساد هؤلاء المؤمنين قد تأكلت بمرور الزمن، فكان هذا المطر سبباً في نموها من جديد، مما يعزز ان هذه الآلية لا تشمل الفوج الأول من الراجعين الذين ذكرناهم في الفقرات السابقة والذين حافظوا على أجسادهم بعد الموت، إذأ هذا المطر ذو نوعية وليس كمية^(٢)

(١) ان مسألة عمومية أو محدودية الطوفان لا زال محل اختلاف عند أهل البحث عموماً، لكننا نزيد ان نقول ان هذه المطرة لايمكن ان تكون بحجم الماء النازل في عملية الطوفان في زمن نوح عليه السلام .

(٢) يقول الحاج محمد كريم خان الكرمانى (....وذلك الماء ليس بلزوجة مياه هذه الدنيا وغلظتها

رجعة من محض الإيمان محضاً

ثانياً: ان عبارة (لم يرى الخلائق مثله) قد تعني استمرار التدفق خلال هذه الفترة البالغة أربعين يوماً (جماد الآخرة وعشرة أيام من رجب) ، فتكون استمرارية هطول هذا المطر على طول هذه المدة حدث لم ترى الخلائق مثله.

ثالثاً: ان العمليات المذكورة في القرآن الكريم لإحياء الموتى (إحياء الميت بواسطة البقرة إحياء الطيور لنبي الله ابراهيم عليه السلام إحياء الألوف الذين خرجوا من ديارهم إحياء الموتى للسيد المسيح عليه السلام وغيرها) ، لم ترتبط بالمطر فتكون عملية إحياء الموتى في الرجعة بهذا الشكل الجماعي والمتسلسل هو أمر لم يحدث في الأمم السابقة بهذه الكيفية، فالقانون هنا سيأخذ مداه الأوسع من خلال مقدمات طبيعية كبيرة وغير مألوفة سابقاً، فتكون عملية إحياء الموتى في الأمم السابقة هي عمليات مصغرة إذا ما قيست بأحداث الرجعة، فهذا المطر النازل (لم يرى الخلائق مثله) لانه سبب لحدث لم ترى الخلائق مثله.

رابعاً: ان عبارة (لم ترى الخلائق مثله) دالة على وجود خلائق عند حدوث هذه المطرة على خلاف المطرة التي ستكون سبباً في خروج الأموات من قبورهم يوم

وثقلها والا لما وقف في السماء وتحت العرش ولم يكن في الجنة فذلك الماء الطف من شعلات الكواكب سبعين مرة فاذا وقع على الارض ينفذ فيها للطافته ولا يبيل وجه الارض بلبل هذه المياه الدنياوية وكذلك اذا نزل اربعين يوماً لا يغرق الدنيا غرق الماء الجسماني وان عتمها وطبقها حتى بلغ عنان السماء.....) انتهى كلامه. مكارم الابرار/ الحاج محمد كريم خان/ ج ٣١ / ص ١٨٥

اذا كانت هذه المطرة قبل القائم عليه السلام كما يعتقد البعض, او اذا كانت في بدايات الظهور كم يعتقد اخرون فلا يمكن تصور ماء ينزل في هذه الفترة بهذه المواصفات التي يقولها الحاج الكرمانى, لان هذا الماء النازل من عالم اعلى من عالم الدنيا, فهو اما من الملكوت او من البرزخ الكوني, وهي عوالم رقيقة لا كثيفة فاذا نزل منها شيء الى الدنيا وعالم الملك لا يبقى على رفته بل يتكاثف حسب طبيعة عالم الدنيا الكثيف, كما ان حقيقة الانسان في الذر رقيقة بسبب طبيعة ذلك العالم واذا نزل من ذلك العالم الى الدنيا استجن في الابدان البشرية عن طريق الولادة فيكون جسمه كثيف مثل كثافة هذا العالم, وكذلك انت في هذه الدنيا لا ترى الروح بل تعرفها عن طريق تواجدها في الجسد الكثيف, كذلك هذا المطر اذا نزل من عالم علوي رقيق لا بد وانه سيتكثف على هيئة الماء كما هو في عالمنا, بدليل ان الرواية تقول عن هذا المطرة (لم ترى الخلائق مثلها) فهو مطر مرئي.

ولكن هذا الكلام للحاج الكرمانى يمكن ان يصح اذا قلنا ان هذه المطرة لا تحدث في بداية زمن الظهور حيث الزمان هو نفسه لم يتغير, بل ستحدث في المرحلة التي ستصل فيها الموجودات بحركتها الكونية الى الافق البرزخي في نهايات الرجعة او الرجعة العامة والتي سينتهي فيها مفهوم الزمان بعد ان تحول بالتدرج الى مفهوم البرزخ, وعندها اذا مطرت السماء مطر من عالم علوي فسوف يكون رقيقاً ايضاً لانه وصل الى عالم رقيق ايضاً وهو عالم الرجعة, وهذا يؤيد ما اذهب اليه كون هذه المطرة ليست في بدايات ظهور القائم عليه السلام كما يعتقد جملة من الباحثين بل هي في اخر الرجعات لانها سبب الرجعة العامة.

القيامة النهائي، فهذه المطرة الخاصة بيوم القيامة تقع بين نفختي الصور وهي فترة تصفها الاحاديث بقولهم عليه السلام (تبقى الأرض أربعمئة عام لاحس ولا محسوس) ، فإذا كانت النفخة الثانية (فإذا هم قيام ينظرون) .

خامساً: يقول الشيخ الاحسائي (أقول المراد بالمطر الذي يقع على الأرض فتحي به الموتى هو ماء ينزله الله عز وجل من بحر تحت العرش أحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب من المسك يُقال له (صاد) ، وهو الذي قال جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ ليلة المعراج لما أراد أن يتوظئ ليصلي بالملائكة قال: (أدُنْ من صاد) ، فدنى فتوظئ، ورائحة ذلك الماء كرائحة المني وهو الذي حُمرت منه طينة الخلق في بدئهم ويُخمرها منه في عودتهم ذلك تقدير العزيز العليم) (١).

هنا عدة نقاط يثيرها كلام الشيخ الاحسائي

١- لم يذكر الشيخ الاحسائي المصدر الذي وردت فيه هذه المعلومات ولعله أستند على الحديث المروي عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام الذي سنذكره لاحقاً.

٢- كيف يكون هذا الماء (أطيب من المسك) وله (رائحة المني) ، لم يوضح لنا الشيخ الاحسائي هذا الفرق المهم، ربما يكون لهذا الماء رائحة المسك عندما يكون تحت العرش فإذا وصل إلى الأرض تبدلت رائحته برائحة المني.

٣- ان هذه المعلومة كون الماء النازل له رائحة المني مهمة جداً، بل دقيقة، لان الإنسان بعد موته يتحلل إلى عناصر الطبيعة إلا الطينة التي خُلق منها كما ورد في الحديث، عن الإمام الصادق عليه السلام عندما سُئل عن الميت يُلبى جسده فقال: (نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خُلق منها فأثما لا تُبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خُلق أول مرة)، والحديث واضح الدلالة كون الصفة المادية لجسد الميت لا تنتهي بالمرّة، بل يبقى منها جزء صغير جداً يُعاد خلق الإنسان منه، فتكون عملية نزول هذه الماء الخاص على قبور الموتى بمثابة عملية التلقيح فيكون ماء المطر بمثابة مني الرجل (لان له رائحة المني) والطينة المتبقية من الجسد بمثابة البويضة الانثوية والقبر بمثابة الرحم (ظلام ورطوبة) ، وبعد التلقيح تنشأ الأبدان وستكون لهذه الأبدان الصورة الاصلية للإنسان نفسها،

(١) الرجعة / الشيخ الاحسائي.

رجعة من محض الإيمان محضاً

لانها ناتجة من الطينة المتبقية (الجدث) التي تحتوي كل المورثات الشكلية، فتتحد النفوس الخاصة بهذه الأبدان بعينها كما ذكرنا سابقاً، لان النفوس تحتوي على نفس المعلومات الموجودة في (الطينة الجذث) فينطبق كل شيء على مثاله، والأبدان الناتجة هذه المرة تكون أكثر قوة وأكثر رقيماً لأنها لم تنتج من تلقيح المني العادي الذي أنتج الإنسان في المرة الأولى والناتج من المواد الغذائية التي أكلها، بل هذه الأبدان ناتجة من مادة (سماوية) وهو (الماء النازل من تحت العرش) وهذا هو سبب تكامل هذه الابدان ومميزاتها التي ذكرتها جملة من الأحاديث.

عن الإمام الحسن العسكري عليه السلام (.....) أما في الدنيا فيلاقي ماء الرجل ماء المرأة فيحيي الله الذي كان في الأصلاب والأرحام ميتاً، وأما في الآخرة فإن الله ينزل بين نفختي الصور بعدما ينفخ النفخة الأولى من دُوين السماء الدنيا من البحر المسجور الذي قال الله تعالى ﴿والبحر المسجور﴾^(١) وهو مني كمني الرجل فيمطر ذلك على الأرض فيلقي الماء المني مع الاموات البالية فينبتون من الأرض ويحيون....^(٢).

هذا الحديث هو الذي أستقى منه الشيخ الاحسائي كلامه السابق الذي ذكرناه, كما ان عبارة (فينبتون من الأرض ويحيون) تتطابق مع عبارة (فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم), واليك الحديث التالي الذي يبين الية رجوع الموتى وبعثهم في الحشر النهائي كما افهم من الحديث ويمكن ان تبين بعض جوانب كيفية رجوع الراجعين في الرجعة.

في سؤال الزنديق عندما سأل الامام الصادق عليه السلام, قال الامام الصادق عليه السلام (ان الروح مقيمة في مكانها, روح المحسن في ضياء وفسحة, وروح المسيئ في ضيق وظلمة, والبدن يصير تراباً كما منه خلق, وما تقذف به السباع والهوام من اجوافها مما اكلته ومزقته كل ذلك في التراب محفوظ عند من لا يعزب عنه مثقال ذرة في ظلمات الارض ويعلم عدد الاشياء ووزنها, وان تراب الروحانيين بمنزلة الذهب من التراب فاذا كان حين البعث مطرت الارض مطر النشور

(١) الطور/٦.

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ ج١/ ص٢٤٣/ ح١ حول تفسير الآيات (٦٧ ٧٣) من سورة البقرة حول قصة بقرة بني اسرائيل في حديث طويل أخذنا منه موضع الحاجة.

فتربوا الارض ثم تمخضوا محض السقاء, فيصير تراب البشر كمصير الذهب من التراب اذا غسل بالماء والزبد في اللبن اذا مخض, فيجتمع تراب كل قالب الى قابله, فينتقل باذن الله القادر الى حيث الروح فتعود الصور باذن المصور كهيئتها وتلج الروح فيها فاذا قد استوى لا ينكر من نفسه شيء) (١).

ولو دقت النظر في الحديث ستجد ان التراب الذي هو بمنزلة الذهب ليس هو عامة التراب بل هو الاجداث لذلك سماها بالذهب, فعندما تمطر الدنيا وتمخض الارض كما تمخض السقا يتم فرز الذهب عن التراب كما يتم فرز الزبد عن اللبن.

٤- (فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم).

قوله تعالى ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم﴾ (٢).
الاية تشير الى معنى دقيق, فهذا الانسان قبل ان يعترض على مسألة إحياء الموتى وهم رميم, عليه ان يسأل نفسه أولاً من أين أتى هو أصلاً؟

ان عملية تكوين الإنسان من نطفة لا تقل غرابة وإعجاز عن مسألة إنبات أجساد الموتى في قبورهم ورجوعهم إلى هذه الحياة, فإذا أردنا ان نعرف ونفهم كيف ستتمو وتخرج هذه الأبدان من القبور يجب ان يكون لنا فهم واضح لعملية تحول النطفة إلى إنسان داخل الرحم, فالنطفة نوع من أنواع الماء تتحول إلى كائن حي بأعضاء وحواس متعددة وفق مراحل متتالية وثابتة زمنياً في مكان فيه رطوبة وظلام وإمداد غذائي, وهي تحاكي عملية نشوء الأبدان في القبور لتوفر العوامل نفسها.

وهذه العملية تجعلنا ننظر بشكل آخر إلى المعاجز التي ستحدث في آخر الزمان, فأغلب الناس آمنوا بمسألة إحياء الموتى يوم القيامة نتيجة قناعات تولدت من التربية وضغط المعلومة المسبقة, فأكثرهم أيضاً لا يؤمن بإمكانية عودة هذا الإنسان وحصوله على حياة كاملة للمرة الثانية قبل يوم القيامة, فهذه الفكرة بصورة عامة تخالف برجة الأكثرية بحجة أنهم لم يروا أموات عادوا إلى الحياة, لان الإنسان بصورة عامة يميل للتصديق بما يراه, أما ما لا يراه فأمر صعب إثباته, بل قد يبلغ الأمر

(١) الاحتجاج/ الطبرسي/ ج٢/ ح ٢٢٣

(٢) يس/ ٧٨

رجعة من محض الإيمان محضاً

بعضهم إلى ان ينكر حتى ما تراه عيناه، وهنا يكمن أصل المعادلة في موضوع الإيمان بالغيب، قوله تعالى ﴿ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون. لقالوا انما سُكِّرَتْ أَبصارنا بل نحن قوم مسحورون﴾^(١)، ومن هذه الآية المباركة سنفهم ان هناك من سيعاند بالرغم من حدوث المعجزات.

إن أجواء زمن ما قبل الظهور المبارك ستسود فيه علوم (الباراسيكولوجي التقدم التكنولوجي البيولوجي النانو الخلايا الجذعية) التي تجعل نتاجات هذه العلوم تحاكي الكثير من الخوارق، فيتم إنكار بعض الآيات الألهية بهذه الحجج، حتى ان الإمام علي عليه السلام في أحد خطبه يصف أحوال هذا الزمن القادم بقوله: (وإذا رأيت آيات الله لا يُفزع لها)، والحق ان الكثير من الفعاليات الطبيعية والسماوية التي ستظهر في آخر الزمان لها أصل قانوني في أصل النظام الطبيعي والكوني، لكننا نجهل طريقة عملها، فوجب علينا ان نحوض في معرفة هذه القوانين وطريقة عملها وتأثيرها لكي نكون مسلحين بعقيدة راسخة يمكن من خلالها التمييز بين النتائج التي تحصل عليها قوى الشر من خلال معرفتها لهذه القوانين، وبين النتائج التي تظهر من خلال عمل الخير أو السير الطبيعي والحتمي لهذه القوانين وبالتالي السير التكاملي للموجودات، فإذا عرفنا طريقة عمل هذه القوانين تمكنا من معرفة حقيقية مستخدم هذه القوانين، وبالتالي التمييز بشكل كامل بين (الولي والشيطان)، وقد صدق من قال (لا تنظر إلى الحركات ولكن أنظر إلى المحركات)^(٢).

فنحن عندما جننا إلى هذه الحياة رأينا وسمعنا وفهمنا ان الإنسان يُصنع ويُنتج من خلط المكونات الوراثية بين الذكر والانثى بوضع حيمن الرجل في رحم الأنثى بعملية الجماع المعروفة، وتحتضن المرأة هذه المكونات في رحمها لتسعة أشهر وفق مراحل متتالية للنمو، وبعدها تحدث الولادة ثم رحلة الإنسان في هذه الدنيا، من هنا نفهم لماذا يستغرب الناس من فكرة عودة الأموات لانهم يستغربون إمكانية نشو جسد خلاف الطريقة التي يألفونها، ولو فرضنا اننا جننا إلى هذه الحياة ووجدنا ان عملية إنتاج الاجساد البشرية ممكنة من خلال وضع المكونات الوراثية في الأرض^(٣)، لأستغربنا ممن يقول ان إنتاج الإنسان ممكن عن طريق الأرحام، ومن

(١) الحجر/ ١٤ ١٥

(٢) هذه العبارة وردت في أحد مؤلفات الشيخ الاحسائي.

(٣) سنشرح في فصل لاحق إمكانية إنتاج أجساد بشرية عن طريق الإنبات خارج الأرحام مستدلين

خلال هذا الفرض نريد ان نقول ان القوانين الطبيعية لها عدة صور في الظهور، فإذا رأينا خلال حياتنا شكل واحد من قانون معين، فهذا لا يعني عدم وجود شكل آخر يمكن معرفته، ففي وقتنا الحالي يوجد بيننا آلاف من الناس الأسوياء الذين جاؤا إلى الدنيا على طريقة (أطفال الأنابيب) ، بغير طريقة الجماع العادية من خلال تلقيح الحيمن والبويضة داخل أنبوبة الاختبار ثم وضعها داخل الرحم، وهذه الطريقة مألوفة في عالمنا ولا يستغربها أحد، ولو قيلت لشخص في الأزمنة الماضية قبل (٢٠٠ أو ٣٠٠ سنة أو أكثر) لاعتبرها كفر صريح وفي أحسن الأحوال خرافة.

ولدينا شاهد قرآني على إتخاذ قانون الولادة أكثر من شكل بالظهور، وهو ولادة المسيح ﷺ من دون أب، وهذه العملية ليست خرق للقانون بل هي شكل من أشكال القانون، ظهر نتيجة وجود مقدمات معينة وخصائص تكاملية لمريم عليها السلام مكنتها من ظهور القانون لديها بهذا الشكل النادر، منها إنها مصطفاة و بنت نبي وهي سليلة خط كامل من الانبياء متفوق بايولوجياً وروحياً وهو خط إسحاق بن إبراهيم عليه السلام ﴿ذرية بعضها من بعض﴾^(١)، بالإضافة لبعض الخصائص البايولوجية النادرة التي لا توجد إلا في بنات الانبياء كما ذكرت الاحاديث ان بنات الانبياء لا يطمنن ولا يجري عليهن ما يجري على النساء، فهن ذوات أرحام طاهرة مطهرة، وهذه الخصائص وغيرها أظهرت هذا الشكل من القانون.

وبالنتيجة يكون وهكذا أشخاص يولدون وفق هذه الآلية خصائص يختلفون بها عن غيرهم من البشر، فجرت على يد السيد المسيح ﷺ عدة معاجز لوجود هذا التكامل فيه ومنها إحياء الموتى، لذلك نكرر ما قلناه في مقدمة هذا البحث ان المعجزة لا تنفك عن ذات النبي، وهي تابعة لكماله الروحي، فكلما ارتقى جرى على يديه ما لا يجري على يد غيره.

وهناك شكل آخر لقانون الولادة جرى عند بعض الانبياء من خلال ولادات من أنبياء كبار في السن وزوجة عقيمة أو عاقر، كما في حالة إبراهيم و زكريا عليه السلام وزوجاتهم، قال تعالى ﴿الحمد لله الذي وهب لي على الكبر إسماعيل

بقوله تعالى: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) في الفصل الخاص بآيات لها علاقة بالرجعة فتابع.
(١) آل عمران/ ٣٤

رجعة من محض الإيمان محضاً

وإسحاق^(١)، وقال سبحانه ﴿قال رب أنى يكون لي غلام وكانت امرأتي عاقراً وقد بلغت من الكبر عتياً﴾^(٢).

وكذلك الحال مع الصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء ابنة خاتم الانبياء وكفى بها ميزة، والروايات متظافرة كون جبريل عليه السلام أتى بثفاحة من ثمار الجنة لرسول الله صلى الله عليه وآله فأكلها وواقع خديجة فأنعقدت النطفة من تلك الثفاحة فكانت فاطمة عليها السلام الحوراء الأنسية، وبالتالي أنتقلت هذه الخصائص كاملة إلى الإمامين الحسن والحسين عليهما السلام.

أما إذا نظرنا إلى مسألة تكوين الأبدان البشرية في القبور من خلال قوانين العلم السائدة حالياً ومنها قانون حفظ الطاقة الذي يقرر ان المادة والطاقة وجهان لعملة واحدة يتحول أحدهما إلى الآخر، فالمادة لا تفنى بل تتحول من شكل إلى آخر، فالطاقة تتجسد والمادة تتموج، بمعنى ان هناك جملة من العمليات الكيميائية والاحيائية يتم من خلالها تحويل المادة إلى طاقة كعملية الاحتراق والتفسيخ الاحيائي، لكن هل يمكن تحويل الطاقة إلى مادة؟

من الناحية العلمية التجريبية لم يستطع العلم لحد الآن من خلال المختبرات والمفاعلات النووية من تحويل الطاقة إلى مادة، لكن هذه العملية موجودة في النظام الطبيعي وتجري يومياً من خلال النباتات، فيتم أخذ طاقة الشمس (الحرارة) بالإضافة إلى الهواء والماء، وتحويلها إلى ثمار وأوراق وبقية أجزاء النبات، وهذا القانون بصورة عامة يجعل كمية الطاقة والمادة متوازنة بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر.

ويمكن ان تلاحظ ان عملية تفسخ الأجساد بعد الموت وتحلل الجسم إلى عناصر الطبيعة ينتج طاقة (حرارة)، وهي الطاقة الرابطة لذرات الجسم، كما تخرج الطاقة من أي خشبة تحترق والمتخلف هو الرماد، فتكون عملية إنتاج الأجساد في القبور هو عملية احيائية بامتصاص طاقة لإنتاج مادة كما يحدث في النباتات، لذلك قلنا ان هناك تشبيه قرآني في أكثر من مورد يُشبهه عملية خروج الموتى بإنبات النبات، وإليك بعض الموارد الواضحة.

قال تعالى ﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإننا خلقناكم من تراب ثم

(١) ابراهيم/٣٩

(٢) مريم/٨

من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء أهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج^(١).

قال تعالى ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾^(٢).

قال تعالى ﴿ونزلنا من السماء ماءً مباركاً فأنبتنا به جنات وحب الحصيد والنخل باسقات لها طلع نضيد رزقاً للعباد وأحيينا به بلدة ميتاً كذلك الخروج﴾^(٣).

قال تعالى ﴿هو الذي يرسل الرياح بשרاً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون﴾^(٤).

قال تعالى ﴿والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور﴾^(٥).

وهذه الطاقة ضرورية لإنتاج أبدان الراجعين، لذلك ترى، وكما قلنا سابقاً، ان هناك عملية (نفخ في الصور) تسبق كل حشر في الرجعة أو في يوم القيامة، لان كل عملية خلق يرافقها (نفخ) كما في خلق آدم ﴿فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين﴾^(٦)، وكما في عملية خلق المسيح ﷺ ﴿ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا﴾^(٧)، وخلق الطير من الطين على يد المسيح ﷺ ﴿فانفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله﴾^(٨)، وكذلك قوله للحشر النهائي ﴿ونفخ في الصور فجمعناهم جمعا﴾^(٩)، وكذلك قوله لحشر الرجعة ﴿يوم ينفخ

(١) الحج/٥.

(٢) نوح/١٧ ١٨

(٣) ق/٩ ١١

(٤) الاعراف/٥٧

(٥) فاطر/٩

(٦) الحجر/٢٩

(٧) التحريم/١٢

(٨) آل عمران/٤٩

(٩) الكهف/٩٩

في الصور فتأتون أفواجا^(١).

وكما ان البذرة في النبات حاوية لكل الصفات الوراثية للنبات، أي الخارطة الوراثية لكل نوعها^(٢)، ومنها تنشأ الشجرة، كذلك (الطينة) المتبقية من جسد الإنسان في القبر ينبت منها الجسد عند توفر عناصر الإنبات، وأليك بعض الأحاديث التي تؤكد عملية إنبات الموتى من قبورهم

قال رسول الله ﷺ (ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما تنبت البقل وليس في الإنسان شيء إلا بلي إلا عظم واحد وهو عجب الذنب)^(٣).

قال رسول الله ﷺ (وليس من الإنسان شيء يُبلى إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب، منه يركب الخلق يوم القيامة. وسئل عن عجب الذنب فقال: مثل حبة خردل منه تنشأون)^(٤).

ولحد الآن نناقش الأمر من زاوية هي ان هذه المطرة هي السبب في إنبات الأجساد في الأرض، لكن يمكن ان ننظر للموضوع من جانب أوسع وهو ان هذه المطرة ليس الهدف منها تكوين أبدان الراجعين فقط، بل لهدف آخر وهو إصلاح النظام الطبيعي ونقله إلى مرحلة تطورية جديدة، كأن تكون هذه المطرة أيضاً سبباً في ظهور نظام نباتي وحيواني جديد، بل ربما نوعيات جديدة من الحياة، فربما ليس هناك عملية إنقراض للكائنات كما هو المتعارف عليه الآن من كون هناك أصناف وأجناس من الحيوانات والنباتات قد انقرضت وأنتهت من الوجود نتيجة عوامل طبيعية، فكل كائن له وجود مستقل كالحوانات إذا ماتت تبقى مادتها الوراثية مطمورة في تركيب الطبيعة، فربما للحوانات أيضاً مادة وراثية أصلية عصية على التفكك بفعاليات الطبيعة كما عند الإنسان والتي سمينها بالجدث، ويمكن تقريب المعنى بان نعتبرها هي مادة ((DNA الحاوية على مورثات أي كائن منقرض، فتكون هذه المطرة لا تُفعل المادة الوراثية للإنسان فقط بل لكل الحيوانات المنقرضة وكذلك النباتات التي أختفت نتيجة تدهور النظام الطبيعي، وهذا المعنى تؤيده

(١) النبأ/١٨

(٢) صدق الشاعر والاديب الكبير جبران خليل جبران عندما قال في قصيدة المواكب (ان في التمر نواةً حفظت سر النخيل).

(٣) أخرجه البخاري ومسلم ومالك في الموطاء وابو داود والنسائي

(٤) رواه البخاري ومسلم

جملة من المرويّات التي شرحت بالتفصيل جوانب بيئية ونباتية وحيوانية في دولة العدل الالهى في زمن الإمام المهدي عليه السلام، منها ان السباع ستتصالح فيما بينها وان الأسد سيأكل التبن وان الغنم ستزعى مع الذئب وان الطفل يلعب مع الأفعى وان الجارية تفري الاسد والنباتات تعطي ثمارها في العام مرتين، وكل هذه السلوكيات والمظاهر الحياتية في الحيوانات والنباتات لا نجدّها الآن في زماننا، مما يدل على ان هناك عملية إنقلاب بيئي وبيولوجي وفلسفي في تركيبه هذه الحيوانات والنباتات جعلتها تختلف عما عليه الآن، وبما ان الراجعين من الناس ممن محض الإيمان محضاً سيرجعون بأبدان خاصة ومواصفات خاصة تتناسب مع نوع النظام الجديد وهم رجعوا حسب الآلية التي شرحناها من خلال تفعيل مادتهم الاصلية بهذه المطرة، فمن غير المستبعد ان المادة الوراثية للحيوانات والنباتات أيضاً تتفاعل مع هذا الماء النازل فيتم إنتاج حيوانات ونباتات بمواصفات تتطابق مع واقع الجنة الأرضية، بل حتى عودة الكائنات المنقرضة التي أختفت من العصور السابقة.

وهذا التحليل يخدمنا أيضاً في فهم عملية خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان، والتي نعتقد بان خروجهم سيتم في مرحلة متقدمة من مراحل أحداث عصر ما بعد الظهور، والتي تذكر المرويّات ان عملية خروجهم تكون قريبة من أحداث الساعة، إذ نعتقد ان هذه المطرة ستفعل مادتهم الوراثية المخزونة في النظام الطبيعي فيتم إنتاجهم من هذه المطرة أيضاً أسوة بالذين محضوا الكفر محضاً^(١).

أما الجانب النباتي فيشملة التصور نفسه، فنوع الماء في هذه المطرة سينتج نباتات بمواصفات ذلك العالم الجديد، وقد ذكرت المرويّات أيضاً هذا الأمر كون النباتات ستعطي نتاجها في العام مرتين، والأرض ستكون خضراء من كثرة النباتات والتي عبر عنها القرآن الكريم بقوله تعالى: (مدهامتان) أي خضراوان.

(١) لقد ناقشنا عملية خروج يأجوج ومأجوج بالتفصيل في كتابنا (أيام الله) عند شرح قصة ذي القرنين حسب نظرية لبوث الفلك.

أحتمالات نشوء أجساد المؤمنين المشمولين بالرجعة

الإحتمال الأول:

هو ان الأرض حافظت على أجسادهم كاملة بدون تحلل من يوم موتهم إلى يوم خروجهم، ويتحقق هذا الأمر بعاملين، الأول طبيعي صرف متمثل بطبيعة الأرض التي دفنوا بها، أي ذات مواصفات جيولوجية معينة، مثلاً تكون رملية وليست صخرية، والثاني عوامل خاصة مثل كون الأرض التي دفنوا فيها أرض مباركة وان هؤلاء الأشخاص أصحاب حظ عالي من التقوى والإيمان والممارسات العبادية التي لها تأثير بالمحافظة على هذه الأجساد، فالممارسات العبادية والسلوك الإيماني للإنسان له أثر دنيوي وأخروي، وأمثال هذه الحالات كثيرة جداً فقد ذكرنا قسماً منها في فصول سابقة، ومن خلال هذا الفهم سيكون رجوع المؤمنين المشمولين بالرجعة متفاوت على شكل (أفواج) حسب الاستعداد المسبق للمؤمن، لذلك كان الحسين عليه السلام أول الراجعين لأنه أعلاهم كمالاً، فجسده الشريف له من الكمالات ما لا يكن لغيره، ثم بعده عليه السلام المؤمنين بدرجات متفاوتة ذكرتهم الأحاديث، ثم بعدهم الأفواج الأخرى كل حسب استعداده المسبق.

الإحتمال الثاني:

وهي حالة المؤمنين الذين مُزقت أجسامهم أو قُطعت وأنتشرت في عدة إماكن كما في حالات الافتراس أو الحرق الكلي أو من لم يكن لديه قبر أصلاً أم من تحلل جسده بالكامل وهي الحالة الشائعة، وكل هذه الحالات واحده لان الجزء المتبقي من جسم الإنسان (الطينة) التي ذكرتها الأحاديث مادة عصبية على التفكك بعوامل الطبيعة أو العوامل الخارجية، فلا يمكن ان تتحول إلى عدم ولا يمكن وفق النظام الطبيعي تحويل شيء إلى لا شيء، بل كل المواد تتحول من شكل إلى آخر، ومن هنا سنفهم الحقيقة المرعبة لمن سيدخل إلى النار، وهي ان مادته لا تتحول إلى (لا

أحتمالات نشوء أجساد المؤمنين المشمولين بالرجعة

شيء) بمعنى العدم، لانه لا يحول الشيء إلى عدم إلا الله كما يقول الإمام الصادق عليه السلام فمهما أستمر في العذاب فمادته لا تنفذ، فلو كانت مادته تنفذ وتتحول إلى عدم لأنتهى عذابه، لكن المادة لا تفنى بل تتحول إلى طاقة ثم إلى مادة وهكذا، كما يقرر ذلك قانون حفظ الطاقة فيبقى في عذاب دائم كما يقول عز وجل ﴿ لا يموت فيها ولا يحيا ﴾ ، إذا سيتم إعادة هذه الأبدان من الطينة المتبقية أينما كانت.

هنا سيبرز لنا سؤال وهو: إذا كان المؤمنون يرجعون حسب استعدادهم المسبق، فكما عظمت درج إيمان الإنسان كان من أوائل الراجعين، فلماذا لا يكون رسول الله ﷺ هو أول الراجعين بدلاً من الحسين عليه السلام حيث حددت الأحاديث انه أول الراجعين، علماً ان الرسول الكريم ﷺ هو أشرف الموجودات في عالم الإمكان.

لقد تضافرت أحاديث آل البيت عليهم السلام ان رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام من طينة واحدة ومخلوقين قبل ان يخلق الله الخلق وبهم بدأ الله وبهم يحتتم، وعلى الرغم من انهم عليهم الصلاة والسلام لهم أهداف وغايات واحدة، إلا ان هناك تنوع في الأدوار المناطة لكل واحد منهم، فلكل دوره الذي يكمل به ما قام به الذي قبله، ويؤسس للذي يأتي من بعده، فرسول الله ﷺ دوره الأساس هو التنزيل من خلال نزول القرآن الكريم وسن الشرائع، فيما كان أحد أدوار الإمام علي التاويل، لذلك قال رسول الله ﷺ (يا أبا الحسن لقد قاتلت على التنزيل ولسوف تقاتل أنت على التاويل) ، وهكذا لبقية الأئمة عليهم السلام.

أما دور الإمام الحسين عليه السلام فهو أكبر حدث جلل في تاريخ الإسلام بل في تاريخ البشرية كلها، فمن خلال دمه الطاهر أستمرت الرسالة وبقي نور النبوة، فإكراماً لهذا الدور ولأهمية هذه التضحية ولعظيم مظلومية الحسين عليه السلام جعله الله سبحانه وتعالى من أول الراجعين بياناً منه لعظيم خطر هذا الموضوع، فإن للإمام الحسين عليه السلام خصيصة عرفها محبوه^(١)، فإذا كان الإسلام بدأ محمدياً وأستمر حسينياً، فإنه في الرجعة سيبدأ حسينياً وينتهي محمدياً.

(١) ورد في الأحاديث ان سورة الفجر خاصة بالإمام الحسين عليه السلام ، يقول السيد كاظم الرشتي في كتابه (أسرار العبادات): (أما صلاة الصبح فلأهل عالم الصوغ الثاني بعد الكسر في الطبيعة ومقام ظهور الانوار العقلية والاسرار الخفية في العالم الجسماني في بدن الإنسان.....) ، وفي الموضوع إشارة للرجعة لانه يتحدث عن صوغ ثاني بعد الكسر في الطبيعة.

أحتمالات نشوء أجساد المؤمنين المشمولين بالرجعة

قوله تعالى ﴿ان الذي فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد﴾، فعن أبي عبد الله عليه السلام عندما سُئل عن هذه الآية قال: (نبيكم راجع إليكم) .

هذا اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الاحاديث لا تذكر ان رسول الله ﷺ يخرج من الارض او ينشق عنه القبر بل تصفه بانه (يرد) او (يرجع) وفي حديث (ينزل)

الكُمأة

كان من المقرر ان نضع هذا العنوان في فقرة سابقة وهي (الأدلة والقرائن العلمية) ولكننا تعمدنا تأخير الكلام عنها إلى هذا الموضوع من البحث لان موضوعها يخدمنا في فهم رجعة الأموات وآلية نشوء الأبدان في القبور، فهي تخدم الهدف الذي نحاول أثباته، عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ (الكُمأة من المنّ، والمنّ من الجنة وماؤها شفاء العين) ^(١)، عن الإمام علي عليه السلام قال: قال رسول الله ﷺ (الكُمأة من المن الذي نزل على بني إسرائيل وهي شفاء للعين.....) ^(٢).

تُصنّف الكُمأة علمياً بأنها من الفطريات، وتتكون في الأرض بدون زرع وتنمو على شكل درّن البطاطا وليس لها ورق ولا ساق، وتنمو تحت سطح الأرض بعمق (١٥٥) سنتمتر، وله عدة أنواع منها ما ينمو في الصحارى ومنها ما ينمو قرب الاشجار، وله عدة ألوان (أبيض أحمر أسود محمر أسود)، أما أحجامه فهي مختلفة قد يصل حجم أحداها إلى حجم البرتقالة، أما أجودها فهو ينمو في الأرض الرملية القليلة الماء، وتنمو الكُمأة وتتواجد في عدة مناطق (البادية السورية الأنبار غرب العراق السعودية إفريقيا فرنسا إيطاليا)، وإن أفضل طريقة لحفظه هو وضعه في مكان مظلم وبارد.

أما مكوناته فهي (دهن ١٪) (بروتين ٩٪) (نشويات وسكريات ١٣٪) مع نسبة من المعادن مشابهة لتلك التي يحتويها جسم الإنسان (فسفور كالسيوم بوتاسيوم فيتامينات)، وهذا يجعل تركيبها شبيهاً بتركيب (لحم الضأن)، وتؤكل نية ومطبوخة، ويقال انها سُميت كُمأة لاستتارها، ويعتقد البعض ان مادتها جوهر أرضي بخاري مُحْتَقَن في الأرض نحو السطح فتتميه أمطار الربيع.

أما كيف ينشأ الكُمأة فهذا ما يهمنا، إن الأمطار المبكرة لشهري تشرين أول وثاني المصحوبة بالرعد، وأمطار آذار والربيع الرعدية، هي العناصر الأساس لتأمين موسم الكُمأة، والرعد هو شرارة كهربائية عنيفة ترفع درجة حرارة الجو الذي حولها

(١) تفسير البرهان/ البحراني/ج ١/ ص ٢٢٤/ ح ٣

(٢) تفسير البرهان/ البحراني/ج ١/ ص ٢٢٤/ ح ٢

إلى (٣٠٠٠) درجة مئوية فيتحول الأوزوت^(١) الحر في الهواء إلى حمض الأوزوت الذي يتحول بعد ان يصل إلى التربة مع الأمطار إلى نترات، فتنشأ الكمأة بوجود هذه الأسمدة الأوزوتية، لذلك حاول الاوربيون ان يجدوا طريقة لزراعة الكمأة فلم يستطيعوا، والغريب ان العرب أيضاً تسمى الكمأة (بنات الرعد) ولا ندري هل حصل العرب على هذه المعلومة من جهات أخرى أم انهم أكتشفوا العلاقة السببية لنشؤ الكمأة مع الرعد من خلال الملاحظة، لأن عملية ربط فعاليات الطبيعة مع بعضها يحتاج إلى تأمل دقيق وملاحظة ثاقبة مما يعزز كون الاستنتاج الفطري السليم يسبق الاكتشاف العلمي.

قد يقول البعض: ما علاقة تكوين الكمأة في موضوع البحث؟ ان الآلية التي يتم فيها تكوين الكمأة خلال دورة الطبيعة هذه مهمة جداً في هذا البحث لوجود عدة عناصر مجتمعة لإتمام هذه العملية (مطر رعد مكونات الأرض نوع الأرض)، ف نوعية المطر ليس أي مطر، بل هو مطر خاص يرافقه الرعد لتحويله إلى حمض، فتفاعل هذه المكونات مع تربة الأرض فينتج الكمأة، فالعملية ليست احيائية فقط بل فيزيائية كيميائية احيائية، كما ان لنوعية الأرض دور فلا ينبت الكمأة على كل أرض حتى لو نزل عليه المطر الحمضي، والعملية بمجملها تؤدي إلى تكوين مادة غذائية لا نستطيع ان نقول عنها في كل الأحوال انها نبات، لان نسبة البروتين نسبة مهمة، وكذلك لعدم وجود المادة الخضراء التي تميز النباتات، لذلك فشلت عملية زراعة الكمأة لعدم وجود قابلية التمثيل الغذائي الموجودة في النباتات، مما يجعل الكمأ خارج منظومة النبات فهو للحم أقرب، ومن هنا يتضح ان عوامل الطبيعة (مطر رعد جو تراب) تقابل العناصر الأربعة للتكوين (ماء تراب هواء نار)، وان تفاعل هذه المكونات ينتج (لحم)، وهذا الترتيب يعطينا مثل من أصل النظام الطبيعي يساند الحديث المروي عن الإمام الصادق عليه السلام (ورد البحث: (فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم)، فالحديث أيضاً يحدد المكونات نفسها لإنتاج هذه الأبدان، مطر بنوعية خاصة، تربة بنوعية خاصة، مكان معين، وكما يتكون الكمأ داخل الأرض، كذلك ينتج البدن داخل القبر، والعملية بمجملها إنبات

(١) الأوزوت: هو العنصر الطبيعي المعروف بالنيتروجين وهو يتواجد في طبقات الجو وخصوصاً طبقة (الستراتوسفير) الممتدة لمسافة (١٢ ٥٥) كيلو متر فوق مستوى سطح البحر وهذه الطبقة غنية بمكوناتها وتفاعلاتها.

للحوم المؤمنين، وهي إثبات علمي لتصديق الحديث^(١).

وكما ان المطر النازل لإنتاج الكَمَا يمر بمراحل متعددة وتفاعلات مختلفة لكي يكون بمواصفات خاصة تجعله يختلف عن بقية أنواع المطر، فكذلك المطر النازل لإحياء الموتى سيمر بعدة تفاعلات نادرة في طبقات الجو لتصبح رائحته كرائحة المني، فيكون مطر لم ترى الخلائق مثله بنوعيته^(٢).

(١) تتكون الحياة على الأرض من ستة عناصر (كربون هيدروجين أوكسجين نتروجين كبريت فسفور) ، وهي المكونات اللازم إجتماعها لتشكيل أبسط أنواع الحياة، وقد أجرى بعض العلماء تجارب على هذه العناصر بتعريضها إلى تيار كهربائي فأنتجت حوامض أمينية، والتي هي الوحدة الأساس لبناء البروتين، وان هذه التجارب توفر لنا فهم علمي لإمكانية تواجد أنماط حياة عضوية مختلفة في أنظمة كوكبية أخرى مما يعزز نظرية الكائنات الفضائية.

يقول الدكتور ميشيو كاكو: (شكلت التجربة الشهيرة التي أجراها (ستانلي ميلر) و (هارولد يوري) عام ١٩٥٣ المثال الأكثر بروزاً حول أهمية الكربون، وأظهرت ان الشكل التلقائي للحياة قد يكون النتاج الطبيعي الثانوي لكيمياء الكربون. أخذنا محلولاً من الأمونيا والميثان ومواد كيميائية سامة أخرى أعتقدوا أنها وجدت في المراحل الأولى لتشكيل الأرض، ووضعها في قارورة وعرضها لتيار كهربائي صغير ثم ببساطة أنتظروا. وخلال أسبوع أستطاعا ملاحظة دليل على تشكل الأحماض الأمينية تلقائياً في القارورة. كان التيار الكهربائي كافياً لتحطيم الروابط الكربونية في الأمونيا والميثان ثم إعادة ترتيب الذرات إلى أحماض أمينية، وهي التي تشكل البروتينات. وبمعنى ما فالحياة يمكن ان تشكل تلقائياً، ومنذ ذلك الوقت وجدت الأحماض الامينية داخل الشهب وفي سحب الغازات في أعماق الفضاء). فيزياء المستحيل / الدكتور ميشيو كاكو / عالم المعرفة / العدد ٣٩٩ / ص ١٥٦.

(٢) (فإذ نفخ نفخة الإحياء والنشور تركبت كما تفككت، فإذا أراد الله سبحانه النشور أمطر ماء من صاد وهو بحر من ماء تحت العرش رائحته كرائحة المني، وهو أبرد من الثلج وأحلى من الشهد، وهو الذي توضع منه رسول الله ﷺ ليلة المعراج، فقال له جبريل (أذن من صاد فتوضع للصلاة) ، أمطر على الأرض أربعين صباحاً فيكون وجه الأرض بحراً واحداً، فتضربه الريح فتجتمع أجزاء كل شخص في قبره على هيئة صورته التي يحشر عليها، فتنبت اللحوم كل في قبره كما تنبت الكَمَا في الأرض). أحوال البرزخ والآخرة / للشيخ الاحسائي / ص ٩٨

وهذا الكلام سواء كان القصد منه وصف الحشر النهائي أو الرجعة، فالنتيجة واحدة، لان الكلام يؤيد مسألة إنبات الأبدان الآدمية من الأرض وفق هذه الآلية، والأهم انه يشبه الموضوع بعملية إنبات الكَمَا، ونعتقد ان لفظة الكَمَا هنا مقصودة لان الآلية التي تجري على الكَمَا هي نفسها التي ستجري على خروج الأموات، لذلك لا يمكن التشبيه إلا بها دوناً عن بقية النباتات لانها ليست نبات.

ملاحظة قرآنية

قوله تعالى ﴿وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾^(١).

قوله تعالى ﴿وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم﴾^(٢).

من خلال الحديث السابق لرسول الله ﷺ قوله (الكمأة من المن الذي نزل على بني إسرائيل) نلاحظ في كلا الآيتين وجود الغمام المرافق لنزول المن وهو مصداق لحديث رسول الله ﷺ ، فلا وجود للكمأة بدون مطر مصدره الغمام، فهدف الغمام هو (التضليل) على بني إسرائيل وسبباً في إنتاج (المن) الذي على ما يبدو نوعية فاخرة من الكمأ، لذلك قال الرسول الكريم ﷺ (الكمأة من المن) وليس العكس، فالكمأ الذي في أيدينا درجة متدنية من المن.

وفي الآيتان الكريمتان معنى آخر كما نعتقد إذ تشابهت الآيتان بكل ألفاظها إلا لفظ واحد في الأولى قال (عليكم) وفي الثانية قال (عليهم) ، وقد دأب المفسرون عند تناولهم لهذه الآيات على قولهم أنها من المتشابهات، وفي الحقيقة هذه الآيات القرآنية المتشابهة في كل ألفاظها أو المختلفة في لفظ واحد كثيرة في القرآن الكريم وبحاجة إلى عمل جاد لجمعها وفهرستها، فهناك رأي وجيه ومعتبر للعلامة (عالم سبيط النيلي) طرحه في أحد مؤلفاته مفاده ان هكذا نوع من الآيات والتي يقولون عنها أنها من المتشابهات تتحدث عن موضوعين أحدهما حدث والآخر سيحدث، وقد قال رسول الله ﷺ (لتركبن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلموه). فقيل: من يا رسول الله ﷺ ؟ قال: وهل غير بني إسرائيل هؤلاء) ، فدلالة الحديث واضحة كون ما جرى على بني إسرائيل سيجري على هذه الأمة، فإذا نزل المن والسلوى (عليهم) فلا بد انه في يوم من الأيام سينزل (عليكم) ، وهذا ما سيحدث إن شاء الله بركات الإمام المهدي

(١) البقرة/٥٧

(٢) الاعراف/١٦٠

عَلَيْهِ السَّلَامُ في دولة العدل الالهي، فالآيتان تشيران إلى حدثان أحدهما حدث والآخر سيحدث، وهذه أهمية متابعة الآيات القرآنية المتشابهة الالفاظ لان فيها باب واسع لقراءة المستقبل نرجوا من الله عز وجل ببركة محمد وآل محمد ان يوفق أحد المؤمنين للولوج في هذا البحر الزاخر.

رجعة من محض الكفر محضا

الحديث السابق الذي شرحناه يحدد رجعة المؤمنين فقط لقوله (فينبت الله به لحوم المؤمنين) ، إذاً كيف ومتى سيرجع إلى الدنيا من محض الكفر محضا؟ هل سيرجعون بالآلية نفسها أم لهذا الأمر قانونية أخرى تتناسب مع واقع هؤلاء؟ فكلا الطرفين سيرجعان ولكن الغاية تختلف المؤمنون سيرجعون لأخذ الثأر ومن ثم التنعم بدولة العدل الالهي، والكافرون سيرجعون، لكن للقصاص منهم وتعذيبهم، حتى ان الاحاديث ذكرت ان قسماً منهم سيقتل في اليوم الواحد ألف قتلة، ووصفهم حديث آخر بأنهم سيأكلون (العدرة) .

عموماً وحسب إطلاعي لا يوجد في الاحاديث ما يشير إلى الآلية التي سيرجع بها هؤلاء، لكننا نستشف من خلال الآيات والاحاديث ان فعاليات الرجعة أولاً ستبدأ بأفواج خاصة من الذين محضو الإيمان محضاً والذين ذكرتهم الاحاديث بالاسماء وهم سيقاتلون مع القائم الاحياء من جابرة أهل زمان الظهور، أما عملية رجوع من محض الكفر محضاً فستأتي بعد خروج الأفواج الخاصة للمؤمنين، فإذا كانت الأحاديث تحدد ان أرواح المؤمنين تجتمع في عين تدعى سلمى وأرواح الكافرين في عين تدعى برهوت في حضرموت، فإذا كانت سلمى هي الكوفة كما نعتقد فستكون برهوت هي المكان الذي سيرجع فيه ويحشر منه من محض الكفر محضاً.

وربما يمكن القول ان المطرة التي ستستمر لأربعين يوم وتكون سبباً في إنبات لحوم وأبدان المؤمنين هي نفسها التي ستنبت لحوم وأبدان الكافرين، وهنا قد يعترضنا كون الماء النازل من هذه المطرة هو ماء خاص من تحت العرش كما تذكر المرويات فكيف يدخل في إعادة إنتاج من محض الكفر محضاً؟ هذا احتمال ولكنه عندي وارد لان هذا الماء السماوي صالح لتلقيح أجدات الأبرار والفجار، إلا ان الخلل ليس في الماء، بل في الجذث نفسه، فمن كان جذثه مشحون بالاعمال الصالحة تكون منه بدن ماحض الإيمان، ومن كان جذثه مشحون بالاعمال الطالحة تكون منه بدن ماحظ الكفر، ومن هنا سنفهم لماذا يخرج ماحض الإيمان بأبهي صورة لان جذثه نقي، بينما ماحض الكفر على هيئة المسوخ لان جذثه فاسد، وبهذا تكون

المطرة شاملة (لسلمى وبرهوت) .

أما خروجهم فقد حددته آيات شرحناها سابقاً مثل قوله تعالى ﴿ويوم نحشر من كل أمة فوجاً ممن يكذب بآياتنا فهم يوزعون﴾، فالآية تحدد ان هناك فوج راجع من كل أمة (تكذب بالآيات) ، والآية بهذا الشكل لا تخص المؤمنين وقد ذكرنا تعقيب حول الآية في فصل سابق وهو فصل أدلة الرجعة فراجع, ويمكن الاستدلال قرآنيا على ان الجذث الطيب يخرج بدنأ طيباً والجذث الخبيث يخرج بدنأ خبيثاً من قوله تعالى ﴿وهو الذي يرسل الرياح بشرا بين يدي رحمته حتى اذا أقلت سحابا ثقالا سقناه لبلد ميت فا نزلنا به الماء فاخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون . والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا كذلك نصرف الايات لقوم يشكرون﴾^(١), كما تلاحظ بان الله يُشَبِّه عملية خروج الاموات بعملية سقي الماء وانبات الارض فاذا نزل الماء على بلد طيب اخرج نباتاً طيباً, واذا نزل على بلد خبيث اخرج نباتاً خبيثاً, وكذلك اجداث الراجعين الطيب يخرج بدن طيب والخبيث يخرج بدن خبيث, وبما ان الروايات لم تذكر (كما افهم) آلية معينة لعملية رجوع الكافرين, فبدورنا نتوقف لعدم وجود النص والدليل.

كلام حول آية قرآنية

قوله تعالى ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾^(١)، ربما يقول البعض هل من المعقول إن إنسان أذنب وأستلب حقوق الناس في الحياة الدنيا ثم مات ودخل عالم البرزخ وتعذب على ذنوبه ورأى أهوال العذاب وأيقن إن الله حق والنار حق والجنة حق والحساب حق ثم توفرت لهذا الشخص فرصة ثانية بالرجوع للدنيا ومع ذلك يبقى على موقفه الأول كما يقول سبحانه وتعالى ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾.

كلام الله أصدق من ظنوننا وعلمه بما في النفوس ليس كما نفهم من أحوال الناس، والسبب كما أفهم إن الأحاديث ذكرت انه لا يحاسب في القبر إلا محاض الإيمان ومحاض الكفر والآخريين يُلهى عنهم وقال الرسول ﷺ (إذا مات الإنسان فقبره روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار)، والمؤمن حتى إذا ناله بعض العذاب في القبر فالهدف منه تصفيته لإزالة اللطخ الحبيث الذي لحق به في الدنيا لكي يصفوا، وعذاب المؤمن تصفية لأنه بالأساس نسبة العمل الطيب فيه أكثر، فبعد تصفيته يصبح (محاض للإيمان) كما في الذهب عند تعرضه للنار يصفو، أما الكافر فإن عذابه في القبر لا يصفيه لان نسبة الحث فيه عالية جداً، فيكون العذاب سبباً في تركيز هذا الحث فلا يزيده العذاب إلا خبثاً فيصبح (محاض الكفر)، فإذا عاد لا يصدر منه إلا نكدا لذا قال عز من قال تعالى ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وأنهم لكاذبون﴾، ويؤيد الآية قول امير المؤمنين ﷺ (لو ضربت خيشوم المؤمن بسيفي هذا على ان يبغضني ما ابغضني، ولو صببت الدنيا بجماتها على المنافقين على ان يحبني ما احبني، وذلك انه قضى فانقضى على لسان النبي الامي ﷺ انه قال: يا علي لا يبغضك مؤمن، ولا يحبك منافق)^(٢).

ومثل هذه الحالة تجد لها مصداق في حياتنا الواقعية، فمن ادمن على المخدرات

(١) الانعام/ ٢٨

(٢) موسوعة الامام علي بن ابي طالب ﷺ في الكتاب والسنة والتاريخ/ محمد الريشهري/ ج ١١/ ص ٢١٨

لفترة طويلة وتمكنت منه فهو لا يستطيع مقاومتها حتى لو ادخلوه الى ارقى المستشفيات, والمدمن في الحقيقة لا يُسلب منه الخيار فهو كانسان صاحب ارادة يمكنه ان يترك المخدرات, ولكن الداعي الذي فيه بلغ من السيطرة عليه بحيث انه لا يخالف نفسه ابدا, فهو له الخيار على ترك المخدرات ولكن ليس له القدرة على تركها في نفس الوقت, وهذه هي طبيعة من وصل الى مرحلة محض الكفر فهو صاحب خيار ولو عاد الى الدنيا لرجع الى نفس ذنوبه, كما ان المدمن اذا خرج من المستشفى عاد لشرب المخدرا.

والنص القرآني واضح بعدم قبول توبة من رأى البأس.

عن ابراهيم بن محمد الهمداني قال: قلت لابي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام: لأبي علة اغرق الله عزّ وجلّ فرعون وقد آمن به وأقرّ بتوحيده؟ قال (لانه آمن عند رؤية البأس, والايمان عند رؤية البأس غير مقبول, وذلك حكم الله تعالى في السلف والخلف, قال الله عزّ وجلّ ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به كافرين . فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا﴾^(١), وقال عزّ وجلّ ﴿يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل او كسبت في إيمانها خيراً﴾^(٢), وهكذا فرعون لما أدركه الغرق قال ﴿آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين﴾^(٣), فقيل له ﴿الان وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين . فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية﴾^(٤) (....)^(٥).

(١) غافر/ ٨٤

(٢) الانعام/ ١٥٨

(٣) يونس/ ٩٠

(٤) يونس/ ٩٢ ٩١

(٥) عيون اخبار الرضا عليه السلام / ج ١ / ص ٨٣ / ح ٧

أحداث الرجعة

يمكن وضع تسلسل إجمالي عام لأحداث الرجعة، ولكن وضع تسلسل زمني ومنطقي لها أمر بغاية الصعوبة ويرتقي في بعض مفاصله إلى مستوى التعقيد لأسباب كثيرة، ربما منها ضياع الكثير من النصوص وإهمالها، ومنها ما يتعلق ببقية العلامات المتداخلة مع موضوع الرجعة، فقد ظن جملة من الباحثين أن علامات مثل الدجال وطلوع الشمس من مغربها وأجوج ودابة الأرض أنها قبل خروج القائم عليه السلام، والحقيقة أن نظرة لأحداث الرجعة تدل بشكل واضح أن كل هذه الأحداث بعد خروج القائم عليه السلام ومتداخلة بشكل مباشر مع أحداث الرجعة الجسيمة، وهذا التشابك في الأحداث بحاجة إلى دقة نظر للفرز والترتيب، لذلك يجد الباحث نفسه هنا وهناك أمام حلقات فارغة في تسلسل الأحداث لا يمكن ملئها بسهولة، ولكننا هنا سنذكر حديث مبارك أهميته ان سياقه يعطينا تسلسل مهم لبعض أحداث الرجعة المهمة.

عن جابر قال: سمعت ابا جعفر عليه السلام يقول (والله ليملكن رجل منا اهل البيت الارض بعد موته ثلاثمائة سنة ويزداد تسعة)، قال: قلت: فمتى ذلك؟ قال (بعد موت القائم). قال: قلت: وكم يقوم القائم في عالمه حتى يموت؟ قال (تسع عشرة سنة من يوم قيامه الى موته). قال: قلت: فيكون بعد موته هرج؟ قال (نعم خمسين سنة)، قال: (ثم يخرج المنصور الى الدنيا فيطلب بدمه ودم اصحابه فيقتل ويسبي حتى يقال: لو كان ذا من ذرية الانبياء ما قتل الناس كل هذا القتل، فيجتمع الناس عليه ابيضهم واسودهم فيكثرون عليه حتى يلجئون الى حرم الله فاذا اشتد البلاء عليه مات المنتصر وخرج السفاح الى الدنيا غضبا للمنتصر فيقتل كل عدو لنا جائر ويملك الارض كلها ويصلح الله له امره ويعيش ثلاثمائة سنة ويزداد تسعا)، ثم قال ابو جعفر عليه السلام (يا جابر ول تدري من المنتصر والسفاح؟ يا جابر المنتصر الحسين والسفاح امير المؤمنين صلوات الله عليهم اجمعين) ^(١).

(١) تفسير العياشي ٢: ٣٢٦ ح ٢٤

والحديث التالي يبين بعض احوال هذه الفترة

وعن أبي عبد الله عليه السلام قال: (إن لعلي عليه السلام في الأرض كربة مع ابنه الحسين صلوات الله عليهم يقبل برايته حتى ينتقم له من بني أمية ومعاوية وآل معاوية ومن شهد حربه، ثم يبعث الله إليهم بأنصاره (يومئذ من أهل الكوفة) ثلاثين ألفاً ومن سائر الناس سبعين ألفاً، فيلقاهم بصفين مثل المرة الأولى حتى يقتلهم فلا يبقى منهم مخبراً، ثم يبعثهم الله عز وجل فيدخلهم أشد العذاب مع فرعون وآل فرعون. ثم كربة أخرى مع رسول الله صلى الله عليه وآله حتى يكون خليفته في الأرض ويكون الأئمة عماله، وحتى يعبد الله علانية فتكون عبادته علانية في الأرض كما عبد الله سرا في الأرض. ثم قال: أي والله وأضعاف ذلك - ثم عقد بيده أضعافاً - يعطي الله نبيه ملك جميع أهل الدنيا منذ خلق الله الدنيا إلى يوم يفنيها حتى ينجز له مواعده في كتابه كما قال ﴿ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون﴾ ^(١).

والاحاديث تشير الى ان عدة شخصيات ستجتمع في زمن واحد

عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال (قال الحسين بن علي عليه السلام لأصحابه قبل أن يقتل: إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لي: يا بني أنك ستساق إلى العراق وهي أرض قد ألتقى فيها النبيون وأوصياء النبيين، وهي أرض تدعى (عمورا) ، وأنتك لتستشهد بها ويستشهد جماعة معك من أصحابك لا يجدون ألم مس الحديد وتلا (يانار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم) . تكون الحرب برداً وسلاماً عليك وعليهم، فأبشروا فوالله لئن قتلونا فأنا نرد على نبينا صلى الله عليه وآله . ثم أمكث ما شاء الله فأكون أول من تنشق الأرض عنه فأخرج خرجة توافق ذلك خرجة امير المؤمنين عليه السلام وقيام قائمنا عليه السلام وحياء رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم لينزلن علي وفد من السماء من عند الله عز وجل لم ينزلوا إلى الأرض قط، ولينزلن ألي جبرئيل وميكائيل وأسرافيل وجنود من الملائكة ولينزلن محمد صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام وأنا وأخي عليه السلام وجميع من من الله عليه في حمولات الرب، خيل بلق من نور لم يركبها مخلوق....) ^(٢).

(١) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/ باب ١٠ / ح ١١٨

(٢) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/ باب ١٠ / ح ٩٥ / ص ٣٥١

أحداث الرجعة

لاحظ عبارة (فأخرج خرجة توافق ذلك خرجة أمير المؤمنين عليه السلام وقيام قائمنا عليه السلام وحياة رسول الله صلى الله عليه وآله) الدالة على اجتماعهم في زمن واحد، وهذا ربما يفسر لنا الكثير من تداخلات الاحداث الخاصة بهذه الشخصيات في الرجعة، فربما هذه الحالة التي يذكرها لنا الحديث تسد لنا الفراغات في تسلسل الاحداث، وعبارة (وقيام قائمنا) في الحديث كونها مزامنة لرجعة امير المؤمنين تدل على قيامه للمرة الثانية اي ظهوره الثاني

ومجمل هذه الاحاديث تضعنا امام التسلسل التالي:

- ١- المهدي عليه السلام يملك تسعة عشر سنة ثم يموت.
- ٢- هرج خمسين سنة بعد موت القائم عليه السلام.
- ٣- خروج المنصور او المنتصر الذي هو الحسين عليه السلام طالبا بدمه ودم اصحابه
- ٤- اجتماع الناس على المنصور وموته.
- ٥- خروج السفاح الذي هو امير المؤمنين عليه السلام غضباً للمنتصر.
- ٦- فترة حكم لمدة ثلاثة مائة سنة ويزداد تسعه وحسب سياق الحديث هي اما للامام علي عليه السلام او للامام الحسين عليه السلام ^(١).
- ٨- مدة حكم القائم عليه السلام الثانية.
- ٩- كرة امير المؤمنين عليه السلام.
- ١٠- رجوع رسول الله صلى الله عليه وآله.

ولأجله سنضع تسلسل (أولي) وليس (قطعي) لأحداث الرجعة حسب ما فهمناه من أحاديث آل محمد عليهم السلام ، فأرجوا من القارئ الكريم إن لا ينظر إلى هذا الترتيب الذي سنضعه كونه ترتيب قطعي، بل هو محاولة لترتيب الأحداث لرسم صورة أولية بحاجة إلى مراجعة بين الحين والآخر في عمومياتها وفي تفاصيلها.

(١) سياق الحديث الذي يتحدث عن (٣٠٩) سنة يوجب بان هذه الفترة للامام علي عليه السلام ولكن توجد بعض الاحاديث تشير الى انها ممكن ان تكون للامام الحسين عليه السلام عن حمزان بن أعين قال: قال أبو جعفر عليه السلام لنا (إن أول من يرجع لجاكركم الحسين بن علي عليه السلام ، فيملك حتى تقع حاجباه على عينيه من الكبر) الايقاظ من الهجعة/الحر العاملي/باب ١٠/ح ١٠٨

١	ظهور القائم <small>عليه السلام</small> .
٢	مدة حكم القائم <small>عليه السلام</small> الأولى البالغة (١٩) سنة وأشهر وفيها: أولاً: الخروج من مكة ودخول العراق. ثانياً: الانتصار على السفلياني وقتله في بلاد الشام. ثالثاً: بداية الفتوحات (أوروبا، تركيا، الصين، دول العالم) ، وتوزيع عماله على الأمصار رابعاً: نزول المسيح <small>عليه السلام</small> . خامساً: الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> يقتل إبليس في مسجد الكوفة (ربما يكون هنا هو الدجال نفسه وإذا كان لإبليس عدة كرات فتكون هذه القتلة الأولى تتبعها كرة أولى) .
٣	خروج الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> في مدة حكم القائم <small>عليه السلام</small> الأولى كما ورد في الحديث (أول من ينشق القبر عنه الحسين بن علي <small>عليه السلام</small>) ومن المتوقع أن تكون في السنة (١٠) لظهور القائم ويبقى الحسين صامتا يظهر في اواخر هذه الفترة، وذكرت الاحاديث ان
٤	سيطرة القائم <small>عليه السلام</small> على كل العالم وظهور بوادر دولة العدل.
٥	موت (قتل) الإمام المهدي <small>عليه السلام</small> بعد (١٩) سنة من ظهوره، أي بعد خروج الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> ب (٩) سنوات فيكون الذي يغسله ويكفنه ويلحده الحسين <small>عليه السلام</small> ولا يلي الإمام إلا إمام كما تقول الأحاديث.
٦	مدة (٥٠) سنة هرج ومرج كما تقول الأحاديث وفيها: أولاً: الإمام الحسين في هذه المدة موجود، لكنه صامت، فإذا جمعنا مدة الخمسين سنة هذه مع التسع سنوات التي كان فيها الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> موجوداً في مدة القائم <small>عليه السلام</small> فتكون مدة صمته (٥٩) سنة كما يقول الشيخ الاحسائي. ثانياً: من الراجح أن تكون مدة الخمسين عام هي مدة خروج الدجال لأنها مدة (هرج ومرج) لاسيما أن الأحاديث تشير من طرف إلى أن الحسين <small>عليه السلام</small> موجود في هذه المدة وكذلك الدجال. ثالثاً: ربما تكون الخمسين عاماً من الهرج والمرج هي مدة حكم (المهديين الأثنا عشر) الذين ذكرتهم الأحاديث وتقول عنهم أنهم (أحد عشر) من ولد الحسين <small>عليه السلام</small> ، فإذا كان الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> موجود في هذه المدة وهم أحد عشر مهدياً، فيكون المجموع اثنا عشر تقول عنهم الأحاديث (أنهم قوم من شيعتنا يهدون الناس ألبنا) ، ويكونون كلهم تحت أمرة الحسين <small>عليه السلام</small> في هذه المدة.

أحداث الرجعة

٧	الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> في كرتة في سبعين من الصالحين (أصحابه وجملة من الأنبياء) في دفعات الرجعة الأولى وهي تأويل قوله تعالى: (ثم رددنا لكم الكرة عليهم وأمددناكم بأموال وبنين وجعلناكم أكثر نفيراً) .
٨	كرة الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> تأويل قوله تعالى: (يوم ترجف الراجفة) توافق كرة الإمام علي <small>عليه السلام</small> وتأويل قوله تعالى: (تتبعها الرادفة) يقاتلون فيها بني أمية وأشياعهم يرجوع أصناف خاصة من كلا الطرفين ماحضي الإيمان وماحضي الكفر.
٩	ربما بعد هذه المدة يحكم الإمام الحسين <small>عليه السلام</small> (٣٠٩) سنوات كما في الأحاديث حتى يسقط حاجباه.
١٠	تغير النظام الفلكي (لبوث الفلك) وفيه أولاً: قيام القائم <small>عليه السلام</small> ورجعته ويحكم فيها (٧) سنوات كل سنة بعشر سنين من سنينكم هذه كما ورد في الحديث. ثانياً: رجعة إبليس. ثالثاً: في بدايات هذه الفترة تمطر السماء مطر خاص رائحته كرائحة المني يستمر لمدة (٤٠) يوم من جماد الآخر إلى عشرة أيام من رجب تكون سبب في إنبات لحوم وأبدان المؤمنين في قبورهم (كما ورد في الحديث) . رابعاً: صيحة النشر الأصغر للرجعة. خامساً: النفخ في الصور الأصغر للرجعة. سادساً: الرجعة بمعناها العام من كلا الفريقين (سيعود إلى هذه الدنيا من محض الإيمان محضاً ومن محض الشر محضاً) . سابعاً: طلوع الشمس من مغربها (غلق باب التوبة) . ثامناً: الكرة الثانية لأمير المؤمنين <small>عليه السلام</small> (دابة الأرض) .
١١	المعركة النهائية والملحمة الكونية بين طرف الخير بقيادة أمير المؤمنين علي بن ابي طالب <small>عليه السلام</small> وطرف الشر بقيادة إبليس اللعين.
١٢	رجوع رسول الله <small>صلى الله عليه وآله وسلم</small> وهي تأويل قوله تعالى: (ان الذي فرض عليك القرآن لرادك الى معاد) ، وفيها يقتل إبليس بان يطعنه بحربة من نور في ظهره، وهي تأويل قوله تعالى: (يوم يأتي الله بظلل من الغمام) .
١٣	حساب الخلائق (أن الذي يلي حساب الخلق في الرجعة الحسين بن علي، أما يوم القيامة فبعث للجنة والنار) .
١٤	ظهور الجنتان المدهامتان من ظهر الكوفة (استقرار النظام الفلكي على حالة اللبوث كما نعتقد) .

<p>مدة حكم الرسول ﷺ والأئمة عليهم السلام بمدد مختلفة تجمعها عبارة (تمتعه فيها طويلاً) ومنها حكم الإمام علي عليه السلام البالغة (٤٤٠٠٠) سنة ومدة حكم رسول الله ﷺ البالغة (٥٠٠٠٠) سنة وهو ملك آل محمد الطويل.</p>	<p>١٥</p>
<p>نهاية عالم الرجعة تدريجياً برفع الأئمة عليهم السلام حسب الترتيب التالي: ترفع الزهراء عليها السلام ثم الأئمة الثمانية من ولد الحسين عليه السلام من الإمام السجاد عليه السلام إلى الإمام العسكري عليه السلام ثم يرفع القائم عليه السلام ثم يرفع الحسين عليه السلام ثم يرفع الحسن عليه السلام ثم يرفع الإمام علي عليه السلام ثم يرفع رسول الله ﷺ وبرفعه تسيخ الأرض بأهلها وهم محضوا الكفر وتقع القيامة الكبرى وهي قول رسول الله ﷺ: (القيامة لا تقع إلا على شرار الناس) .</p>	<p>١٦</p>
<p>رجوع كل الخلائق بدون استثناء للحشر النهائي (فريق إلى الجنة وفريق إلى السعير)</p>	<p>١٧</p>

تصور اخر لرجعة ما حضي الايمان

يوم الرجعة من ايام الله المرجوة، وهو يوم طويل كالف سنة مما تعدون فيه احداث جسيمة متداخلة مع بعضها، والراجعين فيه على شكل افواج كما ذكرت الايات والروايات ويرجع كل امام في قرنه، فمن المنطقي ان تكون هناك عدة تصورات لهذا الحدث الكبير، ولدينا تصور اخر لفهم عملية سير افواج الراجعين على شكل مرحلتين كليتين سنذكره هنا اتماماً للفائدة .

١- ان كل عمليات رجوع الموتى في فترة حكم القائم الاولى البالغة (١٩) سنة وما بعدها من الاحداث برجع بعض الائمة مثل الحسين عليه السلام الى يوم المطرة النهائية هي عبارة عن رجعة بمعنى احياء الموتى، وهو رجوع المؤمنين على شكل افواج كما ذكرته الاحاديث، وهي فترة ممتدة من يوم ظهور القائم عليه السلام الى يوم المطرة الموعودة، فمنهم من يرجع مع المهدي عليه السلام ومنهم من يرجع مع الحسين عليه السلام في رجعته ومنهم من يرجع مع الامام علي عليه السلام في رجعته، فهذه رجعة بمعنى احياء موتى تشمل كل هذه الفترة، والسبب في ذلك كون الحديث واضح ويجدد ان (لكل مؤمن موته وقتله) .

عن جابر بن يزيد، عن أبي جعفر عليه السلام قال (ليس من المؤمنين أحد إلا وله قتلة وموتة، أنه من قُتل نُشر حتى يموت، ومن مات نُشر حتى يُقتل..... ثم قال (ما في هذه الأمة أحد برّ ولا فاجر، إلا سُنْشِر. فأما المؤمنون فينشرون إلى قرة أعينهم، وأما الفجار فينشرون إلى خزي الله إياهم، ألم تسمع أن الله تعالى يقول ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾^(١) .

فمن مات في الدنيا ينشر لكي يقتل مع القائم عليه السلام او احد الائمة عليه السلام، ومن قتل في الدنيا ينشر لكي يموت مع القائم عليه السلام او احد الائمة عليه السلام، وما داموا يجري عليهم فعل الموت والقتل فهم لا يزالون في طور الاجسام الدموية اللحمية، فهذه رجعة يغلب عليها معنى احياء الموتى، والراجع ان اغلب الراجعين في هذه

الفترة هم ممن لم تأكل الارض اجسادهم وهم الانبياء والاولياء والصالحين وخواص المؤمنين ممن محض اليمان محضاً وسيقاتلون مع القائم عليه السلام او احد الائمة الراجعين في معاركه، وحتما ان قسماً منهم سيقتل اذا لم يكن مقتولا في الدنيا، وهذه تشملها عبارة الحديث، عن المفضل بن عمر قال: ذكر القائم عليه السلام ومن مات من أصحابنا ينتظره. فقال أبو عبد الله عليه السلام (إذا قام أنى المؤمن في قبره فيقال له: يا هذا أنه قد ظهر صاحبك فأن شئت أن تلحق به فالحق وأن تشاء أن تقيم في كرامة ربك فأقم) ^(١)، فهذه رجعة تخيرية عل خلاف الرجعة اللاحقة التي ستكون كونية شمولية لا يستثنى منها احد من ماحضي اليمان.

مخلص القول من مات في الدنيا ينشر مع القائم عليه السلام او احد الائمة عليهم السلام ليقتل، ومن قتل في الدنيا ينشر مع القائم عليه السلام او احد الائمة عليهم السلام ليموت، وفي كلا الحالتين بعد ان قتل او مات ينتظر المطرة في اخر الكرات لكي يرجع الرجعة النهائية للمشاركة في المعركة النهائية وليدخل الجنتان المدهامتان ويتنعم بملك الرجعة الطويل.

٢- الرجعة بواسطة المطرة، وهي المظهر الختامي لاحداث الرجعة وتصاحب التغير الفلكي وظهور دابة الارض، والراجع هي قبل المعركة النهائية، وتشمل كل المؤمنين دفعة واحدة، وتتم عن طريق الانبات كما يذكر الحديث، وكلهم سيشاركون بالمعركة النهائية.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (..... فإذا كان يوم الوقت المعلوم ظهر ابليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم وهي آخر كرة يكرها أمير المؤمنين صلوات الله عليه. فقلت: وأنها لكرات قال: نعم. أنها لكرات وكرات ما من إمام في قرن إلا ويكرّ معه البر والفاجر في دهره حتى يدبل الله عز وجل المؤمن من الكافر) ^(٢)

وهنا سيعودون بالابدان الزاهرة لان ابدانهم تكونت من مطر خاص نزل من السماء وهي ابدان تتناسب مع نعيم الرجعة وملك الرجعة لان الارض اقتربت من الافق البرزخي وتغير النظام الفلكي، وهذه الابدان لا تموت باي عارض طبيعي

(١) الغيبة للطوسي: ٤٥٨/٤٧٠، وكذلك الايقاظ من الهجعة/باب ٩/ح ٧٧/ص ٢٧٩.

(٢) مختصر البصائر/الحسن بن سلمان الحلي.

تصور اخر لرجعة ماخضي الايمان

كالسيف والمرض وغيرها فهي ابدان مهينة للعيش في الجنة ولا تتفكك هذه الابدان الا في نهاية الرجعة عندما ينفخ اسرافيل نفخة الصعق فيموت كل من عليها

الفصل الثامن

مناقشة آيات قرآنية ذات علاقة بالرجعة^(١)

(١) يقول السيد كاظم الرشتي (إياك إياك وان تؤول القرآن أو تكلم فيه بحسب الباطن وليس لك سند من الحديث والرواية لأنك جاهل لا تعلم القرآن ولا تعلم الآيات فان التفسير بالرأي أي بما لم يكن له سند من حديث من قبيل الهديان والزندقة ولا يصغي إليه فلو أتفق أن الرجل تكلم بالباطن بدون السند وبعد ذلك وجد السند فقد أخطأ يعذبه الله على ذلك أو يعفو عنه.... والسند لا ينحصر بالتصريح في كل موضع والتخصيص في كل مطلب بل تكفي العمومات والإشارات والتلويحات وأمثال ذلك) . جواهر الحكم / ج ١١ / ص ٢٣٤.

مناقشة آيات قرآنية ذات علاقة بالرجعة

لقد دأب المفسرون بصورة عامة على تفسير آيات القرآن الكريم وفق طرائق شائعة عندهم ومنها التفسير حسب أسباب النزول، أو حسب قواعد اللغة، وربما في بعض المواطن بحسب ما أجمعت عليه كلمة علماء الأمة، وجملة من المناهج حكمت على النص وفق ضوابط وآليات خارجة عنه ولم تكلف نفسها باستخراج قواعد التفسير من القرآن نفسه أو من كلام حملة القرآن من آل محمد صلوات الله عليهم أجمعين، والتي أبتعد عنها أغلب المفسرين وهم يعلمون بان مرويات أهل البيت عليهم السلام توفر لهم المادة الفكرية والعملية لفهم ظواهر وبواطن القرآن الكريم، وكل المفسرين يعلمون أن ما في أيديهم من الطرائق والمناهج لا توفر لهم المساحة الكافية للتعامل مع علوم القرآن الكريم فهم يذهبون في كل مرة وفي كل شيء إلى قواعد اللغة وما قاله العرب وما جمعته القواميس لفهم معاني ألفاظ القرآن الكريم، والمعنى الذي يحصلون عليه يعكسونه على معنى الآيات الممزوج بالذائقة الفكرية والفلسفية للمفسر التي هي نتاج مقدمات فلسفية وكلامية هي في كل الأحوال غير ثابتة وغير مقطوع بصحتها، وهذا بدوره انعكس على مجمل العملية التفسيرية التي أصبحت تابعة لقواعد وأفكار المفسرين، والتي أدت إلى جملة من التناقضات في كل مفاصل العملية التفسيرية، وفي بعض الأحيان إلى حدوث نزاع فكري وعقائدي حول عائدة ضمير من الضمائر في بعض الآيات وهو أمر عانى منه موضوع الرجعة بشكل واضح.

والمناهج الصحيح للنظر في علوم القرآن هو بالأخذ من حملة القرآن أنفسهم صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين وقد قالوا عليهم السلام (لا يفهم القرآن إلا من خوطب به)، وقالوا (أن القرآن لا تدركه عقول الرجال).

ولا نريد هنا أن نتجنى على المفسرين وجهودهم البحثية، فلكل جهد ظروفه الذاتية والموضوعية وزمنه الخاص، ولا نريد أن نقول أن جملة هذه الطرائق خاطئة بالكلية، بل أنها حجّمت من آفاق القرآن بشكل واضح، وجعلت المعاني الناتجة تدور في افق المفسر وما يفهمه وليس حقيقة ما يريده القرآن وحملة القرآن، مما جعل كل الجهود البحثية تدور في دائرة (الظاهر) على أحسن الأحوال وفي دائرة (الإبهام) في بعض الأحيان، ولا ترتقي للوصول إلى (الباطن) إلا على النادر، فقواعد اللغة تخص كلام الناس أما القرآن فله قواعد الخاصة.

وبما أن موضوع الرجعة كله يندرج تحت مفهوم (الباطن والتأويل) فقد أنكرته أغلب

المناهج التي تعاطت مع القرآن الكريم، لأنها مناهج تدور في إطار الظاهر ولا تغوص لأعماق الباطن، فأصبح موضوع الرجعة خارج المنظومة السنيّة بالمرة وداخل المنظومة الشيعية باستحياء واضح، لذلك لا يمكن الولوج إلى فهم أحاديث الرجعة إلا من خلال كلام أهل الباطن والتأويل أنفسهم عليه السلام، فهم وحدهم من يعرفون مقاصد الإله والغايات المتعلقة بالنص القرآني.

والغريب ما في الأمر أن الأئمة من آل محمد صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين قد وضعوا في كلامهم قواعد وتصنيفات للنظر بمجمل النص القرآني وهي من الكثرة بمكان عرفها من تتبع الآثار (وجاس خلال الديار)، واغلب المفسرين على حسب إطلاعي لم يعتمدون على هذه القواعد والتصنيفات في تفاسيرهم وكأن آل محمد عليه السلام أجنب عن القرآن الكريم وهم الذين يقول عنهم القرآن ﴿في بيوت إذن الله ان ترفع﴾^(١).

ولكي يكون القارئ على بينة من هذه القواعد القرآنية، فإننا سنذكر جزء من حديث طويل للإمام علي عليه السلام، والذي هو بحق باب يُفتح منه ألف باب، لكي يرى الفرق بين كلام أهل التفسير وقواعدهم وكلام آل محمد عليه السلام وقواعدهم، وبالتالي سيعرف الإنسان المنصف والمؤمن الغيور حجم الغربة التي يعيشها القرآن وحجم الغربة التي عاشها آل محمد عليه السلام، بل حجم الغربة التي يعيشها قائم آل محمد عليه السلام فهو الغريب الحامل لكل هموم الغرباء.

قال أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن جعفر النعماني رضي الله عنه في كتابه في تفسير القرآن: حدثنا أحمد بن محمد بن سعيد بن عقدة قال: حدثنا أحمد بن يوسف بن يعقوب الجعفي عن إسماعيل بن مهران، عن الحسن بن علي بن أبي حمزة، عن أبيه عن إسماعيل بن جابر قال: سمعت أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام يقول:

(إن الله تبارك وتعالى بعث محمداً فختم به الأنبياء فلا نبي بعده، وأنزل عليه كتاباً فختم به الكتب، فلا كتاب بعده، أحل فيه حلالاً، وحرم حراماً، فحلاله حلال إلى يوم القيامة، وحرامه حرام إلى يوم القيامة، فيه شرعكم، وخبر من قبلكم، وبعدكم. وجعله النبي صلى الله عليه وآله عالماً باقياً في أوصيائه،

فتركهم الناس، وهم الشهداء على أهل كل زمان، وعدلوا عنهم، ثم قتلوهم واتبعوا غيرهم، وأخلصوا لهم الطاعة، حتى عاندوا من أظهر ولاية ولاة الامر، وطلب علومهم، قال الله سبحانه: « فانسوا حظاً مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم » وذلك أنهم ضربوا بعض القرآن ببعض، واحتجوا بالمنسوخ، وهم يظنون أنه الناسخ واحتجوا بالمتشابه وهم يرون أنه المحكم، واحتجوا بالخاص وهم يقدرون أنه العام، واحتجوا بأول الآية، وتركوا السبب في تأويلها، ولم ينظروا إلى ما يفتح الكلام وإلى ما يجتمه، ولم يعرفوا موارده ومصادر، إذ لم يأخذوه عن أهله، فضلوا وأضلوا، واعلموا رحمكم الله أنه من لم يعرف من كتاب الله عز وجل الناسخ من المنسوخ والخاص من العام والمحكم من المتشابه والرخص من العزائم والمكي والمدني، وأسباب التنزيل، والمبهم من القرآن في ألفاظه المنقطعة والمؤلفة، وما فيه من علم القضاء والقدر، والتقديم والتأخير، والمبين والعميق، والظاهر والباطن والابتداء والانتها، والسؤال والجواب، والقطع والوصل، والمستثنى منه والجاري فيه، والصفة لما قبل مما يدل على ما بعد، والمؤكد منه، والمفصل وعزائمه ورخصه، ومواضع فرائضه وأحكامه، ومعنى حاله وحرامه الذي هلك فيه الملحدون، والموصول من الألفاظ والمحمول على ما قبله، وعلى ما بعده، فليس بعالم بالقرآن، ولا هو من أهله، ومتى ما ادعى معرفة هذه الأقسام مدع بغير دليل، فهو كاذب مرتاب، مفتر على الله الكذب ورسوله، ومأواه جهنم وبئس المصير.

ولقد سأل أمير المؤمنين صلوات الله عليه شيعته عن مثل هذا، فقال: إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن على سبعة أقسام كل منها شاف كاف، وهي أمر وزجر، وترغيب وترهيب، وجدل، ومثل، وقصص. وفي القرآن ناسخ ومنسوخ ومحكم ومتشابه، وخاص وعام، ومقدم ومؤخر، وعزائم ورخص، وحلال وحرام، وفرائض وأحكام، ومنقطع ومعطوف ومنقطع غير معطوف وحرف مكان حرف. ومنه ما لفظه خاص، ومنه ما لفظه عام محتمل العموم، ومنه ما لفظه واحد ومعناه جمع، ومنه ما لفظه جمع ومعناه واحد، ومنه ما لفظه ماض ومعناه مستقبل، ومنه ما لفظه على الخبر ومعناه حكاية عن قوم آخر، ومنه ما هو باق محرف عن جهته، ومنه ما هو على خلاف تنزيله، ومنه ما تأويله في تنزيله،

ومنه ما تأويله قبل تنزيله، ومنه ما تأويله بعد تنزيله. ومنه آيات بعضها في سورة وتماها في سورة أخرى، ومنه آيات نصفها منسوخ ونصفها متروك على حاله، ومنه آيات مختلفة اللفظ متفقة المعنى، ومنه آيات متفقة اللفظ مختلفة المعنى، ومنه آيات فيها رخصة وإطلاق بعد العزيمة، لأن الله عز وجل يجب أن يؤخذ برخصه كما يؤخذ بعزائمه. ومنه رخصة صاحبها فيها بالخيار، إن شاء أخذ، وإن شاء تركها، ومنه رخصة ظاهرها خلاف باطنها يعمل بظاهرها عند التقية ولا يعمل بباطنها مع التقية ومنه مخاطبة لقوم والمعنى لآخرين، ومنه مخاطبة للنبي صلى الله عليه وآله ومعناه واقع على أمته، ومنه لا يعرف تحريمه إلا بتحليله، ومنه ما تأليفه وتنزيله على غير معنى ما انزل فيه، ومنه رد من الله تعالى واحتجاج على جميع الملحدين والزنادقة والدهرية والثنوية والقدرية والمجبرة وعبدة الأوثان وعبدة النيران، ومنه احتجاج على النصراني في المسيح عليه السلام، ومنه الرد على اليهود، ومنه الرد على من زعم أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص، وأن الكفر كذلك، ومنه رد على من زعم أن ليس بعد الموت وقبل القيامة ثواب وعقاب، ومنه رد على من أنكر فضل النبي صلى الله عليه وآله على جميع الخلق، ومنه رد على من أنكر الأسراء به ليلة المعراج، ومنه رد على من أثبت الرؤية، ومنه صفات الحق وأبواب معاني الإيمان ووجوبه ووجوهه، ومنه رد على من أنكر الإيمان والكفر والشرك والظلم والضلال، ومنه رد على من وصف الله تعالى وحده، ومنه رد على من أنكر الرجعة ولم يعرف تأويلها، ومنه رد على من زعم أن الله عز وجل لا يعلم الشيء حتى يكون، ومنه رد على من لم يعلم الفرق بين المشيئة والإرادة والقدرة في مواضع، ومنه معرفة ما خاطب الله عز وجل به الأئمة والمؤمنين. ومنه أخبار خروج القائم منا عجل الله فرجه، ومنه ما بين الله تعالى فيه شرائع الإسلام، وفرائض الأحكام، والسبب في معنى بقاء الخلق ومعايشهم ووجوه ذلك، ومنه أخبار الأنبياء وشرائعهم وهلاك أممهم، ومنه ما بين الله تعالى في مغازي النبي صلى الله عليه وآله وحروبه، وفضائل أوصيائي، وما يتعلق بذلك ويتصل به.....^(١).

والحديث طويل جداً أخذنا منه موضع الحاجة، ولا احد يدعي انه قد عرف كل

مناقشة آيات قرآنية ذات علاقة بالرجعة

هذه العلوم فدون ذلك خرط القتاد, وقد قال الإمام علي عليه السلام عن القرآن انه (كتاب لا تنفذ عجائبه) ، لكنه يدل بشكل واضح انه (لا يفهم القرآن إلا من خوطب به) ، فخلاصنا الوحيد بالأخذ منهم عليهم أفضل الصلاة والسلام وسوف نستثمر بعض الأجواء التي تفرزها هذه القواعد القرآنية في هذا الحديث المبارك للنظر بموضوع الرجعة لكي لا يتهمنا البعض بمقولة السقوط في الرأي أو التضارب بين آيات القرآن الكريم، فنحن مأمورين بالتدبر والأخذ من آل محمد عليهم السلام باعتبارهم (تراجمة الوحي) و (شركاء القرآن) .

الآية الأولى

قوله تعالى ﴿وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِأَذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، وقوله ﴿وَإِذ تَخْرُجُ الْمَوْتَى بِأَذْنِي﴾^(٢).

كلتا الآيتين تخص أحوال السيد المسيح ﷺ، وبالنظر إلى الآيتين الكريمتين نلاحظ أنهما تتحدثان عن مستويين، الأول أسمته (إحياء الموتى)، والأخرى أسمته (إخراج الموتى)، فالسؤال هو: هل أن (إحياء الموتى) و (إخراج الموتى) أمر واحد، أم أنهما أمران مختلفان؟ وهل هما يختلفان كلياً أم يتحدان في جوانب ويختلفان في جوانب أخرى؟ وهل يوجد بينهما فارق زمني؟

ولأجل الإجابة على هذه التساؤلات يجب علينا أن نقوم بعملية مسح ومتابعة لكل حالات (إرجاع) الموتى و (إحيائهم) التي ذُكرت في القرآن الكريم مع ذكر الأنبياء الذين جرت على أيديهم هذه المعجزة والمدد الزمنية الخاصة بتواجد هؤلاء الأنبياء ﷺ، لكي يمكننا أن نحدد الإطار العام للمستويين أعلاه (إحياء الموتى) و (إخراج الموتى).

عند مراجعة الخط الزمني لتسلسل الأنبياء ﷺ من آدم ﷺ إلى الرسول المصطفى محمد ﷺ، نجد أنه ليس كل الأنبياء والأوصياء (قرانياً) جرت على أيديهم هذه المعجزة، فقسم منهم ذكرهم القرآن الكريم بأنهم أحيوا الموتى مثل عيسى ﷺ، فيما يذكر القرآن الكريم أن قسماً منهم حدثت هذه الحالة على يديه أثناء نبوته واستمرت في أنبياء أمته و جرت على يد عدد من الأنبياء والأوصياء كما حدث على يد موسى ﷺ في حياته وفي أمته، كما أن بعض الروايات عن أئمة الهدى ﷺ ذكرت أسماء أنبياء وأوصياء جرت هذه المعجزة على أيديهم ولكن لم يذكرهم القرآن صراحةً بل ذكرهم أجمالاً بدون ذكر الأسماء، لذلك سنقتصر على ذكر الحالات (القرانية) أولاً، ثم نذكر الحالات الأخرى لإحياء الموتى التي وردت عن طريق أئمة أهل البيت ﷺ، أما الأنبياء الذين لم يرد ذكر هذه المعجزة في أممهم أو خلال مدة نبوتهم في القرآن أو في أحاديث المعصومين ﷺ فلن نتطرق

(١) آل عمران/٤٩

(٢) المائدة/١١٠

لأخبارهم لعدم وجود الأدلة على هذا الأمر عندهم مثل (آدم نوح هود صالح إسماعيل إسحاق يعقوب يوسف داود سليمان ذو الكفل شعيب يحيى) عليهم السلام.

١- إحياء الموتى لإبراهيم عليه السلام .

أ- قوله تعالى ﴿وَإِذ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ إِلَيْكَ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾^(١).

عن علي بن محمد الجهم من حديث طويل، أن المأمون سأل الرضا عليه السلام فأخبرني عن قول إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى﴾.

فقال الرضا عليه السلام (أن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أني متخذ خليلاً أن سألني إحياء الموتى أجبته له فوقع في قلب إبراهيم عليه السلام انه ذلك الخليل فقال ﴿رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوْ لِمَ تُؤْمِنُ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ على الخلة قال ﴿فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَأْتِيَنَّكَ سَعْيًا﴾. فأخذ إبراهيم عليه السلام نسرًا وبطاً وديكاً وطاووساً فقطعهن وخلطهن ثم جعل على كل جبل (من الجبال التي كانت حوله وكانت عشرة) منهن جزءاً، وجعل مناقيرهن بين أصابعه، ثم دعاهن بأسمائهن ووضع عنده حباً وماءً، فتطايرت تلك الأجزاء بعضها إلى بعض حتى أستوت الأبدان وجاء كل بدن حتى أنضم إلى رقبته ورأسه، فخلى إبراهيم عن مناقيرهن فطرن ثم وقعن فشربن من ذلك الماء والتقطن من ذلك الحب وقلن: يا نبي الله أحييتنا أحياك الله، فقال إبراهيم عليه السلام: بل الله يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير). فقال المأمون بارك الله فيك يا أبا الحسن^(٢).

أن أول هذه العمليات قرآنيًا جرت على يد إبراهيم عليه السلام في مسألة إحياء (الطير) ، وليس هناك شاهد قرآني ظاهر يدل أن هذه العملية جرت قبل زمن إبراهيم ، وان كانت بعض الأحاديث تشير إلى أن إدريس عليه السلام قد أحيأ ميتاً، وكما هو معلوم فان إدريس عليه السلام قبل إبراهيم عليه السلام ، علماً ان الرواية الواردة عن أئمة الهدى عليهم السلام تشير إلى ان إبراهيم عليه السلام اوحى اليه بان الله سيتخذ خليلاً، وعلامة هذا

(١) البقرة/٢٦٠

(٢) تفسير البرهان/البحراني/ج١/ ص ٥٥٠ / ح ٢ كذلك عيون أخبار الرضا عليه السلام / الشيخ الصدوق.

الآية الأولى

الخليل انه يحيي الموتى فطلب ابراهيم ﷺ من ربه ان تتم هذه العملية على يديه (للأطمئنان على مرتبة الخلة)، وحسب ظاهر القرآن الكريم كانت هذه العملية هي الأولى وميزة من ميزات الخليل ابراهيم ﷺ ، علماً أن الآية المباركة تحدد أن هذه المخلوقات التي تم إعادة الحياة لها هي (طير) وليس إنسان، حتى أن الحديث الذي ذكرناه سابقاً يحدد نوعية هذه (الطير) وهي (نسراً وبطاً وديكاً وطاووساً) (١).

ب- قوله تعالى ﴿ألم ترى إلى الذي حاج إبراهيم في ربه أن آتاه الله الملك إذ قال إبراهيم ربي الذي يحي ويميت﴾ (٢).

الآيات الكريمة الخاصة بمحاججة ابراهيم ﷺ للنمرود تدل (ضمناً) أن ابراهيم ﷺ أحيأ ميتاً، لكننا لا نعرف هوية هذا الميت هل هو إنسان أم من غير صنف الإنسان (٣)، وهذا يدل على أن عملية إحياء الموتى (الطير) على يد ابراهيم ﷺ كانت قبل هذه المحاججة مع النمرود، فليس من المعقول أن يحاجج ابراهيم ﷺ بأمر لا يعرفه مسبقاً ولم يجري على يديه، أما إحياء الموتى (كإنسان) فمن خلال ظاهر القرآن الكريم قد جرت في زمن موسى ﷺ وهي عملية إحياء الميت من خلال ضربه ببعض البقرة وإحياء السبعين الذين كانوا مع موسى ﷺ، وكما تلاحظ من خلال هذين الموردين القرآنيين في (أ) و (ب) أن ما جرى على يد ابراهيم ﷺ هو (أحياء للموتى) وليس (إخراج للموتى) الأول أحياء للطيور والثانية أحياء لإنسان على الأرجح كما نفهم من أجواء محاوره إبراهيم ﷺ مع النمرود.

٢- إحياء الموتى لموسى ﷺ وبني إسرائيل.

أ قوله تعالى ﴿ألم ترى إلى الذين خرجوا من ديارهم وهم ألوف حذر الموت فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾ (٤).

(١) وهذه الآية المباركة والحديث المفسر لها فيه إشارة إلى بطلان شبهة الأكل والمأكول، فهذه الطيور بعد تقطيعها ونثرها على عدة أماكن واختلاط بعضها ببعض عادة كما كانت.

(٢) البقرة/٢٥٨

(٣) للعلامة عالم سبب النبيل كلام مهم حول هذه الآيات المباركات حول محاججة ابراهيم ﷺ مع النمرود في كتابه (مدخل إلى نظام المجموعات) ، إذ من غير المعقول ان نمرود يقتنع أن رب إبراهيم يحيي ويميت لمجرد أن قال له ابراهيم ﷺ: (أن ربي يحيي ويميت) ، فلا بد أن يكون ابراهيم ﷺ قد أحيأ ميتاً للنمرود لكي يصح إدعائه وتثبته الحجة.

(٤) البقرة/٢٤٣

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى: (ألم ترى إلى الذين خرجوا من ديارهم.....) فقال: (أن هؤلاء أهل مدينة من مدائن الشام وكانوا سبعين ألف بيت كان الطاعون يقع فيهم في كل أوان وكانوا إذا حسوا به خرج الأغنياء لقوتهم وبقي الفقراء لضعفهم فيقل الطاعون من الذين خرجوا ويكثر في الذين أقاموا، قال: فأجتمع رأيهم جميعاً أنهم إذا أحسوا بالطاعون خرجوا من المدينة كلهم فلما أحسوا بالطاعون خرجوا جميعاً وتنحوا عن الطاعون حذر الموت فساروا في البلاد ما شاء الله، ثم أنهم مروا بمدينة خربه قد جلا أهلها وأفناهم الطاعون فنزلوا بها فلما حطوا رحلهم قال لهم الله: موتوا جميعاً فماتوا من ساعتهم وصاروا رميماً، وكانوا على طريق المارة فجمعوهم في موضع فمر بهم نبي من أنبياء بني إسرائيل يقال له حزقيل فلما رأى تلك العظام بكى واستعبر وقال: رب لو شئت لأحييتهم الساعة كما أمتهم فعمروا بلادك وولدوا عبادك وعبدوك مع من يعبدك من خلقك. فأوحى الله إليه أفتحب ذلك؟ قال: نعم. فأوحى الله إليه كذا وكذا، فقال الذي أمره الله أن يقول، فقال أبو عبد الله عليه السلام: وهو الأسم الأعظم قال: فلما قال حزقيل ذلك الكلام ونظر إلى العظام يطير بعضها إلى بعض فعادوا أحياء ينظر بعضهم إلى بعض يسبحون الله ويكبرونه ويهللونه، فقال حزقيل عند ذلك: ان الله على كل شيء قدير). قال عمر بن يزيد: قال أبو عبد الله عليه السلام (فيهم نزلت هذه الآية) ^(١).

من خلال الحديث نلاحظ الأمور التالية:

- ١- ان الله سبحانه وتعالى ذكر في الآية أن هناك عملية إحياء للموتى وليس إخراج للموتى، ونسب فعل إماتتهم وإحيائهم إليه سبحانه ﴿فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم﴾، والعملية هنا عملية جماعية وليست فردية.
- ٢- نسب الحديث إحياء هؤلاء الموتى إلى نبي من أنبياء بني إسرائيل وهو حزقيل (وليس هناك تعارض مع النص الذي يشير أن الله هو الذي أحياهم)، وهذه العملية لم تتم في زمن موسى عليه السلام، لان حزقيل عليه السلام جاء بعد موسى عليه السلام، وبنو إسرائيل لم يسكنوا مدائن الشام إلا بعد موسى عليه السلام.
- ٣- يشير الحديث أن هؤلاء لم يدفنوا، بل بقوا على حالهم فوق الأرض إلى أن

(١) تفسير البرهان/البحراني/ج١/ص٥١٤ / ح١ كذلك الكافي/ ج٨/ص١٩٨/ح٢٣٧.

أصبحوا رميم وعظام، ولا نعلم ولم يشير الحديث إلى المدة الزمنية التي بقوا فيها وهم أموات، وهي بلا شك الفترة اللازمة لتحولهم إلى رميم أو عظام.

٤ - ما رواه الطبرسي في هذه الآية أيضاً أنهم كانوا قوم حزقيل فأحياهم الله بعد ثمانية أيام (وهي مدة قصيرة بعد موتهم) .

٥ - سواء كانت هذه المدة ثمانية أيام أو مدة كافية لتحولهم إلى رميم وهم فوق الأرض، فهي بالتأكيد مدة زمنية قصيرة.

٦ - بصوره عامة الآية المباركة والحديث المفسر لها يشير إلى عملية إحياء للموتى وليس إخراج للموتى.

بقوله تعالى ﴿وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِّمَّنْ ظَنَّنَا أَن لَّنْ نَّأْخُذَهُمْ بِالرِّجْفَةِ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُم مِّن قَبْلِ وَإِيَّاي﴾^(١). عن الحارث بن المغيرة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قلت له أن عبد الله بن عجلان قال في مرضه الذي مات فيه انه لا يموت فمات؟ فقال: (لا غفر الله شيئاً من ذنوبه أين ذهب)؟ أن موسى عليه السلام أختار سبعين رجلاً من قومه فلما أخذتهم الرجفة قال: رب أصحائي قال: أي أبدلك من هو خير لكم منهم فقال: أي عرفتهم ووجدت ريجهم قال فبعثهم الله له أنبياء)^(٢)، النص أعلاه يتحدث عن حالة وقعت في زمن موسى عليه السلام وتم إرجاعهم إلى الحياة بعد مدة قصيرة ولم يدفنوا.

ج قوله تعالى ﴿وَإِذ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنُ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهُ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ. ثُمَّ بَعَثْنَاكَ بِمُوسَىٰ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾^(٣)، النص يتحدث عن حادثة في زمن موسى عليه السلام أيضاً، لكن هنا يصف إرجاعهم إلى الحياة بعبارة (بعثناكم)، وتم إرجاعهم إلى الحياة بعد مدة قصيرة ولم يدفنوا.

قوله تعالى ﴿وَإِذ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً... إِلَىٰ قَوْلِهِ تَعَالَى: وَإِذ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ فَكَلْنَا أُضْرِبُوهُ بَعْضُهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾^(٤)، وهذه القصة

(١) الاعراف/١٥٥

(٢) تفسير البرهان/البحراني/ج٣/ ص ٢١٨ / ح ١ كذلك تفسير العياشي/ج٢/ ص ٣٤/ ح ٨٣.

(٣) البقرة/٥٦٥

(٤) البقرة/٦٧/٧٣

معروفة إذ قُتل واحد من بني إسرائيل ولم يتم التعرف على قاتله، فاستشاروا موسى ﷺ فأمرهم أن يذبحوا بقرة ويضربوا الميت (ببعضها) فعادت إليه الحياة، عن محمد بن مسعود العياشي: مرفوعاً عن الصادق ﷺ قال: (كان المقتول شيخاً مثرياً قتلوه بنو أخيه وألقوه على باب الأسباط إلى ان قال: فأوحى الله إلى موسى أن يأمرهم بذبح بقرة ويضربوا القليل ببعضها فيحيي الله القليل).

وفي هذه القصة عدة أمور:

- ١- هذه الحادثة وقعت في زمن موسى ﷺ .
 - ٢- الميت لم يدفن بل تم إحياءه بدون عملية الدفن.
 - ٣- الآية تتحدث عن عملية إحياء للموتى وليس (إخراج للموتى) بدليل قوله تعالى: (أضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى).
 - ٤- هذه الحادثة تدل على وجود آلية معينة لإحياء الموتى تختلف عن الحالات السابقة التي تم إحياء الموتى فيها بالدعاء أو الصلاة أو النداء عليهم، بل تم استخدام حالة وسطية وهي البقرة، بل جزء من هذه البقرة (أضربوه ببعضها).
- هو قوله تعالى ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَا يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى عِظَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لِحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾^(١)، نلاحظ الأمور التالية في الآية المباركة:

- ١- أن الذي مات وُبعث هو من بني إسرائيل، ووقع التصريح في الأحاديث انه كان نبياً وظاهر القرآن الكريم انه من الأنبياء لما تضمنه من الوحي والخطاب له. وقد روي عن أئمة اهل البيت ﷺ انه (أرميا النبي) وفي بعضها انه (العزير النبي).
- ٢- الآية تتحدث عن عملية بعث بعد الموت.

٣- هناك أطراف أخرى تواجدت في هذه العملية وهي (الطعام) و (الحمار) ، فالطعام هنا لم (يتسنه) أي لم يتعفن، أما الحمار فاكثفت الآية بالقول (وانظر إلى حمارك) ولم تذكر نوع التغير الذي طرأ عليه، لكن كلام الآية عن العظام واللحم يدل على وجود عملية تآكل لهذه الأجزاء لذلك قال (ثم نكسوها لحما) .

و قوله تعالى ﴿وأيوب إذ نادى ربه أي مسني الضر وأنت أرحم الراحمين فاستجبنا له وكشفنا ما به من ضر وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾^(١).

عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله عز وجل ﴿وآتيناه أهله ومثلهم معهم﴾ قلت: ولده كيف أوتي مثلهم معهم؟ قال: (أحيا له من ولده الذين كانوا ماتوا قبل البلية، وأحيا له أهله الذين ماتوا قبل ذلك بأجلهم مثل الذين هلكوا يومئذ)^(٢).

الآية المباركة تتحدث عن أيوب عليه السلام وهو من أنبياء بني إسرائيل فتكون هذه الحادثة بعد زمن موسى عليه السلام، ذكرت المرويات عن أهل البيت عليهم السلام أن عملية إحياء الموتى تمت على يد إدريس عليه السلام، ونبوة إدريس عليه السلام كانت قبل نبوة نوح عليه السلام، أي قبل أحداث الطوفان فتكون هذه أقدم حادثه تذكرها المرويات عن أحياء الموتى.

عن أبي جعفر عليه السلام (من حديث طويل): (أن إدريس عليه السلام أضطره الجوع إلى أن وقف على باب عجوز فقال لها أطعميني فأني مجهود من الجوع، فقالت: أنهما قرصتان واحدة لي و واحدة لأبني. فقال لها: أن أبنيك صغير يجزيه نصف قرصة فيحي بها ويجزيني النصف الآخر فأحيي بها. فأكلت المرأة قرصتها وكسرت النصف الآخر بين إدريس وبين أبنيها فلما رأى أبنيها إدريس عليه السلام يأكل من قرصته، اضطرب حتى مات. فقالت أمه: يا عبد الله قتلت علي أبني جزعاً على قوته؟ قال إدريس: فأنا أحياه بأذن الله فلا تجزي، ثم أخذ إدريس عليه السلام بعضدي الصبي فقال: أيتها الروح الخارجة من بدن هذا الغلام بأذن الله أرجعي إلى بدنه وأنا إدريس النبي، فرجعت روح الغلام إليه بأذن الله. فلما سمعت المرأة ذلك ونظرت إلى أبنيها قد عاش قالت: أشهدت انك إدريس النبي وخرجت

(١) الانبياء/٨٣ ٨٤

(٢) تفسير البرهان/البحراني/ج٥/ ص ٢٤٠ / ح ١

(تنادي) .

هذا الحديث المبارك يدل أيضاً على عملية إحياء للموتى، وليس إخراج، بدون عملية دفن، كما أن الميت عاد إلى الحياة بعد مدة قصيرة جداً قضائها في الموت كما هو واضح.

٣- إحياء وإخراج الموتى للمسيح ﷺ .

قال تعالى ﴿وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بأذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بأذني وتبرئ الأكمه والأبرص بأذني وإذ تخرج الموتى بأذني﴾^(١).

قال تعالى ﴿ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بأذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بأذن الله﴾^(٢).

عن أبي عبد الله ﷺ انه سُئل هل كان عيسى ﷺ أحياً أحداً بعد موته حتى كان له أكل ورزق ومدة وولد؟ قال: (نعم انه كان له صديق مؤاخ له في الله وكان عيسى ﷺ يمر به وينزل عليه، وان عيسى ﷺ غاب عنه حيناً ثم مر به ليسلم عليه، فخرجت إليه أمه فسألها عنه فقالت: مات يا رسول الله. قال: أفتجبين أن تربيه؟ قالت: نعم فقال لها: إذا كان غداً فأتيك حتى أحييه لك بأذن الله. فلما كان من الغد أتتها فقال لها: أنطلقني معي إلى قبره. فوقف عليه عيسى ﷺ ثم دعا الله عز وجل فأنفخ فيه فخرج منها حياً فلما رآته أمه ورأها بكيا، فرحمها عيسى ﷺ فقال عيسى ﷺ: أتحب ان تبقى مع أمك في الدنيا؟ فقال: يا نبي الله بأكل ورزق ومدة أم بغير أكل ورزق ولا مدة؟ فقال عيسى ﷺ: بل بأكل ورزق ومدة تعمر عشرين سنة وتتزوج ويولد لك. قال: نعم إذاً. فدفعه عيسى ﷺ إلى أمه فعاش عشرين سنة وتزوج وولد له)^(٣).

صريح الحديث يدل على أن المسيح ﷺ أخرج هذا الميت من القبر، أي نحن هنا أمام عملية إحياء وإخراج، ثم أن هذا الحديث فيه إشارة مهمة كون الذي رجع من الموت كُتب له رزق ومدة وعاش حياة طويلة وتتزوج وولد له، وهذا يذكرنا بأحاديث

(١) المائدة/١١٠

(٢) آل عمران/٤٩

(٣) تفسير البرهان/البحراني/ج٢/ ص ٣٩ /ج٧ كذلك تفسير العياشي/ج١/ ص١٩٨ /ح٥١.

الرجعة التي تنص على أن الراجعين سوف يعمرن طويلاً ويرزقون ويولد لهم. عن أبي عبد الله عليه السلام قال (بينما عيسى ابن مريم في سياحته إذ مر بقرية فوجد أهلها موتى في الطريق والدور فقال: أن هؤلاء ماتوا بسخطه ولو ماتوا غيرها تدافنوا. قيل له يا روح الله نادهم فقال: يا أهل القرية فأجابه مجيب لبيك يا روح الله ثم ذكر ما جرى بينهم من كلام).

وهذا الحديث يدل على أنهم لم يدفنوا. فيما ذكرت أحاديث أخرى أن المسيح عليه السلام أحيا سام بن نوح عليه السلام.

ما رواه الطبرسي في تفسيره لقوله تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام ﴿وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بأذن الله﴾ قال: قيل: أن عيسى عليه السلام أحيا أربعة أنفس: عازر وكان صديقاً له وكان قد مات منذ ثلاثة أيام فقال لأخته أنطقي إلى قبره ثم قال: اللهم رب السماوات السبع ورب الأرضين السبع أنك أرسلتني إلى بني إسرائيل أَدعوهم إلى دينك وأخبرهم أنني أحيي الموتى فأحيي عازر وخرج من قبره وبقي وولد له. وأبن العجوز تركته على سريريه ميتاً فدعا الله عيسى عليه السلام فجلس على سريريه ونزل عن أعناق الرجال ولبس ثيابه ورجع إلى أهله وبقي وولد له. وابنة العاشر، فقيل أحييها وقد ماتت أمس فدعا الله فعاشت وبقيت وولدت. وسام بن نوح دعاه باسم الله الأعظم فخرج من قبره وقد شاب نصف رأسه وقال: قد قامت القيامة؟ قال: لا ولكني دعوتك باسم الله الأعظم. قال ولم يكونوا يشيرون في ذلك الزمان وان سام بن نوح قد عاش خمسمائة عام وهو شاب فقال له: مت فقال: بشرط ان يعتقني الله من سكرات الموت فدعا الله ففعل.

من خلال الآيات القرآنية والأحاديث المباركة نستنتج ما يلي:

١- أن عملية (إحياء الموتى) هي غير عملية (إخراج الموتى)، وان كانت القضيتان متساويتان في كون الحالتين يعود فيها الميت إلى هذه الدنيا.

٢- أن عملية (إحياء الموتى) تتم دائماً على أشخاص لم يدفنوا، لذلك فهي لا تتضمن عملية (إخراج الموتى)، على عكس حالة (إخراج الموتى) فهي تتضمن الإحياء أيضاً بالإضافة إلى الإخراج.

٣- أن عملية (إحياء الموتى) تتم على يد الأنبياء والأولياء لأشخاص لم تجري

عليهم عملية الدفن، كما في إحياء الطيور لابراهيم عليه السلام وإحياء أصحاب موسى عليه السلام وإحياء صاحب قصة البقرة والموارد الأخرى التي تم ذكرها.

٤- الأشخاص الذين تم (إحيائهم) لم يتوغلوا كثيراً في الموت بل تم إعادتهم بعد مدة زمنية قصيرة.

٥- عملية (إخراج الموتى) تمت لأشخاص دفنوا وتم إخراجهم بعد مدة قصيرة، كما في إخراج العازر، أو بعد مدة طويلة كما في إخراج سام بن نوح على يد المسيح، علماً أن القرآن الكريم لم يصرح بأسماء هؤلاء ولكن ذكر العملية بشكل إجمالي تحت عنوان (تخرج الموتى).

٦- عملية (إحياء الموتى) قرآنيّاً جرت على يد الأنبياء، أما عملية (إخراج الموتى) لم تذكر قرآنيّاً إلا على يد المسيح عليه السلام.

٧- عملية (إخراج الموتى) التي تمت على يد المسيح عليه السلام كانت بشكل فردي، أي إخراج ميت واحد لا أكثر في كل مرة، على عكس عملية (إحياء الموتى) فقد تمت على شكل جماعي وفردى.

٨- من خلال الآيات والأحاديث نلاحظ أن عملية (إحياء الموتى) تمت على يد الكثير من الأنبياء كما قلنا سابقاً، أما عملية (إخراج الموتى) فلم تجري إلا على يد المسيح عليه السلام وبشكل فردي، ومن ملاحظة الآيات القرآنية حول استخدام الفعل (خرج) يتضح أن هذه العملية (إخراج الموتى) لم تقع في الأمم السابقة بشكل جماعي، بل حصلت بشكل فردي على يد السيد المسيح عليه السلام فقط.

إذاً فالآيات تتحدث عن حدث مستقبلي يقع في آخر الزمان يكون إخراج الموتى فيه على شكل مجاميع، وهو حالة فريدة لم تقع من قبل، لذلك أفرد لها يوم خاص من أيام الله المرجوة وهو يوم الرجعة ﴿ذلك يوم الخروج﴾. فعليه نستنتج أن عملية إحياء الموتى حصلت في الأمم السابقة، أما إخراج الموتى فهي حدث مستقبلي.

الآية الثانية

قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةَ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ. وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾^(١).

ظاهر الآيات الكريمة يوحي بلقاء بين رسول الله ﷺ وموسى ﷺ، باعتبار ان السياق العام للآيات يُخاطب الرسول الكريم ﷺ، وقد اختلف جملة من علماء التفسير في مرجع الضمير في قوله (من لقاؤه).

يقول المفسر الطباطبائي في (تفسير الميزان): قوله تعالى ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مَرْيَةَ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾، المراد بالكتاب التوراة، والمرية الشك والريب، وقد اختلفوا في مرجع الضمير في قوله (من لقاؤه) ومعنى الكلمة، فقيل: الضمير لموسى وهو مفعول اللقاء والتقدير فلا تكن في مرية من لقاء موسى وقد لقيه ليلة المعراج كما ورد في الروايات، فإن كانت السورة نازلة بعد المعراج فهو تذكرة لما قد وقع، وان كانت نازلة قبلها فهو وعد منه تعالى للنبي ﷺ انه سيراه.

وقيل: الضمير لموسى ﷺ والمعنى: فلا تكن في مرية من لقائك موسى يوم القيامة.

وقيل: الضمير للكتاب والتقدير فلا تكن في مرية من لقاء موسى ﷺ للكتاب.

وقيل: التقدير من لقائك الكتاب أو من لقاء الكتاب إياك.

وقيل: الضمير لما لقي موسى من الأذى من قومه والمعنى: فلا تكن في مرية من لقاء الأذى كما لقيه موسى من قومه، وأنت خبير بأن الطبع السليم لا يقبل الشك من هذه الوجوه على أنها لا تفي لبيان وجه إتصال الآية قبلها). أنتهى كلامه.

وقارئ هذا الكلام سيسأل نفسه ما فائدة قواعد اللغة إذا كانت هذه المقدمات لا تستطيع إعادة (ضمير) إلى مرجعه الأصلي، وهل من العلم والمنطق أننا عندما

نواجه إشكال قرآني نقتصر على ذكر الاحتمالات، فماذا سيفهم القارئ المسلم أمام كل هذه الاحتمالات هل يأخذ بها جميعاً؟ أم يتركها جميعاً؟ وهنا لنا أن نتساءل: ألا يوجد في أحاديث آل محمد ﷺ كلام وتفسير وهكذا آيات؟ ألا يوجد ضوابط وقواعد في كلام المعصومين عليهم السلام يمكن أن تبيِّننا على هكذا إشكالات؟ ونريد هنا ان نركز على العبارة المهمة التي ذكرها الطباطبائي وهي (..... وأنت خير أن الطبع السليم لا يقبل الشك من هذه الوجوه على أنها لا تفي لبيان وجه اتصال الآية قبلها) ، واضح من خلال هذه العبارة أن الطباطبائي لا يرجح أي من هذه الاحتمالات التي ذكرها وهذا أمر جداً مهم لان الموضوع عنده غير محسوم، وبالتالي فهو لا يبت بموضوع الآية.

أما سبب عدم ترجيح أحد هذه الاحتمالات عندي فهو واضح، وهو الاعتماد الكلي من قبل المفسرين على قواعد اللغة في فهم مثل هذه الإشكالات، وكأن كلام الله تابع لهذه القواعد وليس العكس، وهذا بالضرورة يؤدي إلى الابتعاد عن كلام آل محمد ﷺ في فهم معاني القرآن، وهم سلام الله عليهم عدل القرآن الكريم.

هنا سنحاول حل الإشكال من خلال الاعتماد على نفس الآيات القرآنية وأحاديث آل محمد ﷺ لفهم الموضوع لما له من علاقة بموضوع الرجعة كما نفهمو اذ أن هذا اللقاء المرتقب بين رسول الله ﷺ وموسى عليه السلام لا بد أن يكون حاصل في أحد المواضع الثلاثة (١) في المعراج، (٢) في الرجعة، (٣) في القيامة.

ولا يوجد في سياق الآيات معنى يُفسَّر لنا لماذا أنفرد شخص موسى عليه السلام بهذا اللقاء دوناً عن بقية الأنبياء، علماً أن الأثر الديني من آيات وأحاديث يؤكد أن رسول الله ﷺ قد رأى والتقى بكل الأنبياء في المعراج، وأنه لا بد لاقيتهم يوم القيامة، والأحاديث التي أنفردت بها الشيعة في موضوع الرجعة تؤكد ان هناك لقاء ونصرة لكل أنبياء الله عليهم السلام لرسول الله ﷺ ، باعتبارهم ممن محض الإيمان محضاً وكلهم راجعون، ولم تذكر لنا الآيات أيضاً الأثر الناتج عن هذا اللقاء سواءً عندما حدث (كما في المعراج) ، أو سيحدث كما في (الرجعة أو القيامة)، وإذا كانت هذه الآيات تتحدث عن اللقاء في المعراج فلماذا قال: ﴿في مريّة من لقائه﴾، ولم يقل: (في مريّة من لقائهم) وقد التقى بجميع الأنبياء.

الآية الثانية

أن آيات السجدة (٢٣ ٢٤) تتحدث عن لقاء رسول الله ﷺ في الرجعة مع شخص الإمام علي عليه السلام للأسباب التالية:

١- أن الأسماء في القرآن الكريم تُصرف على عدة وجوه، وهي طريقة قرآنية لحفظ المعلومات، وإن القرآن يحوي على إشارات للدلالة على معانيه المخفية.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (نزل القرآن بآياك أعني واسمعي يا جارة) (١).

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (أن في القرآن ما مضى وما سيحدث وما هو كائن وكانت فيه أسماء الرجال فألقيت وإن الاسم الواحد في وجوه لا تحصى يعرف ذلك الوصاة) (٢).

عن بريد بن معاوية العجلي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: يا بن رسول الله ﷺ أخبرني عن إسماعيل الذي ذكره الله تعالى في كتابه حيث يقول: ﴿وَأذْكَرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ أَنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٣)، أكان إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام فقال: (إسماعيل مات قبل إبراهيم عليه السلام) وإن إبراهيم كان حجةً لله قائماً صاحب شريعة فألى من أرسل إسماعيل إذاً؟ قلت: فمن كان جعلت فداك؟ قال عليه السلام (ذاك إسماعيل بن حزقيال النبي) (.....) (٤).

والحديث واضح كون الآية تشير إلى شخص اسمه إسماعيل، وبما أن عامة الناس لا تعرف في التاريخ الديني شخص باسم إسماعيل إلا إسماعيل بن إبراهيم عليه السلام، فصرفوا الآية باتجاهه حتماً، بينما المعصوم عليه السلام يعرف أن الأسماء في القرآن تُصرف على وجوه، ولكن المعصوم هنا لم يصرف الاسم باتجاه إسماعيل بن حزقيال عليه السلام هكذا بدون دليل أو قرينة، فقد أعطى الدليل بنفس الحديث كون المخاطب هنا إسماعيل بن حزقيال وليس إسماعيل بن إبراهيم كون إسماعيل بن إبراهيم مات في حياة أبيه، وبما أن إبراهيم صاحب شريعة فيجب أن يكون إسماعيل ولده يُدين بشريعة أبيه، وعليه فلا يمكن إن يكون إسماعيل ابن إبراهيم رسول بوجود إبراهيم عليه السلام بل هو نبي، وهذا دليل روائي يثبت أن الاسم الواحد في القرآن يُصرف على

(١) الكافي/ج٢/ص٦٠٢/ح١٤٤/باب١٣.

(٢) تفسير العياشي

(٣) مريم/٥٤

(٤) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي/ باب١٠/ح٤٢/ص٣٣٠.

عدة وجوه.

٢- الأحاديث الواردة عن اهل البيت عليهم السلام والتي تصرف عبارة (بني إسرائيل) باتجاه شخص امير المؤمنين عليه السلام .

عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام في دعاء يوم الغدير (ربنا فقد أجبنا النذير المنذر محمد عليه السلام عبدك ورسولك إلى علي بن أبي طالب الذي أنعمت عليه وجعلته مثلاً لبني إسرائيل انه امير المؤمنين عليه السلام مولاهم ووليهم إلى يوم القيامة يوم الدين فأنت قلت: ﴿أن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾^(١) .

وكذلك قوله تعالى ﴿قل أرأيتم أن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل فآمن واستكبرتم أن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾^(٢) .

علي بن إبراهيم قال: قل أن كان القرآن من عند الله ﴿وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم﴾ قال: الشاهد امير المؤمنين عليه السلام والدليل عليه سورة هود ﴿فمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه﴾^(٣) .

٣- أحاديث الرجعة التي تحدد أن هناك لقاء مستقبلي مرتقب بين رسول الله عليه السلام والإمام علي عليه السلام في (السلام) .

عن أبان بن تغلب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: انه بلغ رسول الله عليه السلام عن بطنين من قريش كلام تكلموا به فقالوا: يرى محمد أن لو قد قضى أن هذا الأمر يعود في أهل بيته من بعده فأعلم رسول الله عليه السلام ذلك فباح في مجمع من قريش بما كان يكتبه فقال: (كيف أنتم معاشر قريش وقد كفرتم بعدي ثم رأيتموني في كتيبة من أصحابي أضرب وجوهكم ورقابكم بالسيف. قال: فنزل جبريل عليه السلام فقال: يا محمد قل: إن شاء الله أو يكون ذلك علي بن ابي طالب عليه السلام إن شاء الله. فقال رسول الله عليه السلام : أو يكون ذلك علي بن ابي طالب عليه السلام إن

(١) الزخرف / ٥٩

(٢) الاحقاف / ١٠.

(٣) تفسير البرهان / البحراني / ج٧ / ص ١٨٧ / ح ١ كذلك تفسير القمي / ج٢ / ص ٢٧٢.

في قوله تعالى: (أفمن كان على بينة من ربه ويتلوه شاهد منه ومن قبله كتاب موسى إماماً ورحمة....)، عن أبي بصير والفضيل، عن أبي جعفر عليه السلام قال: انما أنزلت (أفمن كان على بينة من ربه يعني رسول الله عليه السلام ويتلوه شاهد منه إماماً ورحمة ومن قبله كتاب موسى أولئك يؤمنون به) فقدموا وأخروا في التأليف. (تفسير العياشي / تفسير البرهان) .

شاء الله تعالى. فقال جبريل عليه السلام: واحدة لك واثنان لعلي بن ابي طالب عليه السلام وموعدكم السلام. فقال أبان: جعلت فداك وأين السلام؟ فقال (يا أبان السلام ظهر الكوفة) ^(١).

٤- عند مراجعة الآيات التي قبل الآيات (٢٣ ٢٤) من سورة السجدة ستلاحظ هناك سياق متصل يخدم المعنى الذي ذهبنا إليه.

قوله تعالى: ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون. ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه ثم أعرض عنها إنا من المجرمين منتقمون. ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه وجعلناه هدى لبني إسرائيل. وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لما صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ ^(٢).

لاحظ أن بداية الآيات تتحدث عن (العذاب الأدنى) الذي فسره الأئمة عليهم السلام كما ذكرنا في أحاديث سابقة بأنه الرجعة، وهو عذاب يسبق العذاب الأخروي العذاب الأكبر، فيكون سياق الآيات يتحدث عن زمن الرجعة الذي سيقع فيه هذا اللقاء بين رسول الله صلى الله عليه وآله والإمام علي عليه السلام الذي سمته الآيات (موسى) لاتصال السياق، كما ان آيات السجدة ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لم صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ تؤكد ان بني إسرائيل هنا ليسوا أبناء يعقوب عليه السلام، بل هم أبناء الإمام علي عليه السلام لأنهم هنا تسميهم أئمة.

عن جابر الجعفي عن أبي جعفر عليه السلام قال: نزلت هذه الآية في ولد فاطمة عليها السلام خاصة ﴿وجعلنا منهم أئمة يهدون بأمرنا لم صبروا وكانوا بآياتنا يوقنون﴾ ^(٣).

وان لفظة (الكتاب) في قوله تعالى: (ولقد آتينا موسى الكتاب.....) (السجدة/٢٣) تذكرنا بقوله تعالى: ﴿قل كفى بالله شهيداً بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب﴾ ^(٤).

وإليك حديث واضح عن لقاء رسول الله صلى الله عليه وآله بالإمام علي عليه السلام في الرجعة. عن أبي مروان، قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله جلّ وعزّ: ﴿أن الذي

(١) الايقاظ من الهجعة / الحر العاملي.

(٢) السجدة/٢١ ٢٤

(٣) تفسير البرهان/البحراني/ج٦/ ص ٢١٠ / ح ٤٣

(٤) الرعد/٤٣

فرض عليك القرآن لرادك إلى معاد ﴿ قال: فقال لي: (لا والله لا تنقضي الدنيا ولا تذهب حتى يجتمع رسول الله ﷺ وعلي ﷺ بالثوية^(١)، فيلتقيان وبينيان بالثوية مسجد له اثنا عشر ألف باب) ^(٢).

وسياتيك كلام مفصل في الفقرة اللاحقة حول آيات السجدة (٢٧ ٣٠) المكملة لهذا الموضوع والموضحة لبعض جوانبه لما له من علاقة بالرجعة.

(١) الثوية: موضع بقرب الكوفة.

(٢) مختصر البصائر/ الحلي /تتمة ما تقدم من أحاديث الرجعة /ح. ٤٣/٥٥٠ ص ٤٩٠.

ربما يقول البعض في قوله تعالى: (فلا تكن في مرية من لقائه) ان المرية هي الشك والتردد، فإذا كانت الآية تخاطب رسول الله ﷺ فكيف يكون شك ومتردد في هذا اللقاء؟

قد ورد عنهم ﷺ أن القرآن نزل بطريقة (إياك أعني وأسمعي يا جارة) ، وورد عنهم ﷺ ان هناك آيات في القرآن (المخاطب بها رسول الله والمعني أمته) ، كما في الحديث عن أبي الحسن الثالث ﷺ انه سئل عن قول الله عز وجل: (ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر) ؟ فقال ﷺ: (وأي ذنب كان لرسول الله ﷺ متقدماً أو متأخراً؟ وإنما حمّله الله ذنوب شيعة علي ﷺ من مضى منهم ومن بقي ثم غفرها له) .

فنستشف من أجواء الآية والأحاديث ان المخاطب فيها رسول الله والمعني المؤمنين، أي لا تكن أيها المؤمن شك أو متردد في مسألة رجعة رسول الله ﷺ ولقائه بامير المؤمنين ﷺ في الرجعة.

الآية الثالثة

قوله تعالى ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون. ويقولون متى هذا الفتح أن كنتم صادقين قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون. فأعرض عنهم وانتظر أنهم منتظرون﴾^(١).

علي بن إبراهيم في قوله تعالى ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز﴾ قال: الأرض الجرز وهو مثل ضربه الله في الرجعة والقائم عليه السلام فلما أخبرهم رسول الله ﷺ بخبر الرجعة قالوا ﴿متى هذا الفتح أن كنتم صادقين﴾، وهي معطوفة على قوله تعالى ﴿ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر﴾، فقالوا ﴿متى هذا الفتح ان كنتم صادقين﴾ فقال الله تعالى: (قل) لهم يا محمد ﴿يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون. فأعرض عنهم﴾ يا محمد ﴿وانتظر أنهم منتظرون﴾^(٢).

عندما نقرأ قوله تعالى ﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون﴾ سنذهب بفكرنا بالتأكيد إلى التفسير الظاهر لهذه الآية، وهي أن هناك ماء يسقي أرضاً جدباء، فخرج النبات نتيجة عملية السقي هذه وتم الإستفاده منه بأن تأكل منه الأنعام والناس، ولكن تكملة الآيات التي بعدها يجعلك تذهب إلى موضوع آخر وهو قوله تعالى ﴿ويقولون متى هذا الفتح أن كنتم صادقين﴾ يا ترى ما علاقة الفتح بعملية السقي والإنبات؟ أن سياق الآيات يدل على وجود موضوع بين الآيتين كان هناك حوله كلام وجدل، ف ضرب لهم مثل حول هذا الموضوع بعملية السقي والإنبات ولشدة استغرابهم سألوا ﴿متى هذا الفتح ان كنتم صادقين﴾، وعبارة (يوم الفتح) لا يقصد بها فتح مكة

(١) السجدة/ ٢٧ - ٣٠

(٢) تفسير البرهان/ للبحراني/ ج/ ٦/ ص ٢١٠ / ٤٦، كذلك تفسير القمي/ ج/ ٢/ ص ١٤٨
يقول السيد كاظم الرشتي (أرض الجرز أرض القابليات، أي الماهية الأولى). جواهر الحكم/ ج ٢ / ص ٣٦٥

قطعاً، فلو كان هذا الفتح هو فتح مكة ما قال عنهم ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾، لأن يوم فتح مكة قد نفع الذين كفروا إسلامهم واعتذارهم من رسول الله ﷺ، فحقتوا دمائهم فقال لهم رسول الله ﷺ (أذهبوا فأنتم الطلقاء)، وكذلك عبارة (الفتح) عبارة استخدمها المعصومين عليه السلام لوصف العام الذي يخرج فيه القائم عليه السلام وهو (عام الفتح).

عن الامام ابي عبد الله عليه السلام قال (سنة الفتح يبتثق الفرات حتى يدخل على أزقة الكوفة) (١)، وهو من العلامات المتأخمة للظهور بل في سنه الظهور، وعن أبي عبد الله عليه السلام عندما سئل عن (ربيع الأول وربيع الثاني) قال (ربيع أول وربيع ثاني فيهما الفتح من أولهما إلى آخرهما) (٢).

ويقصد بهذه الأشهر هي الأشهر اللاحقة لخروج الإمام عليه السلام بعد الإعلان الرسمي في شهر محرم من عام الفتح.

فالأيات لا تتحدث عن فتح مكة بل عن فتح القائم عليه السلام، وهذا اليوم (يوم القائم) فيه صفات ذكرتها الآية وهي قوله تعالى ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾، لذلك لن ينفع الذين كفروا إيمانهم كما نفعهم يوم فتح مكة، كما في قوله تعالى ﴿فلما رأوا بأسنا قالوا آمنا بالله وحده وكفرنا بما كنا به مشركين. فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا سنت الله التي خلت في عباده وخسر هنالك الكافرون﴾ (٣).

وبما أنهم سيكذبون وكذبوا بالفعل بهذا الأمر الذي هو (الفتح) ورجعة الأموات مع القائم، لذلك أرجى الله حسابهم لذلك اليوم فأخبر رسوله الكريم ﷺ بالأعراض عنهم وهو قوله تعالى ﴿فأعرض عنهم وانتظر أنهم منتظرون﴾، فالحال هنا حال انتظار لهذا اليوم.

عن ابن دراج قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: في قوله عز وجل ﴿قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون﴾ قال: (يوم الفتح يوم تفتح الدنيا على القائم عليه السلام ولا ينفع أحداً تقرب بالإيمان ما لم يكن قبل مؤمناً وبهذا

(١) الارشاد/ الشيخ المفيد/ ج٢/ ص ٣٧٧

(٢) العوالم/ ج٤/ ص ١٤٥

(٣) المؤمن/ ٨٤ ٨٥

الآية الثالثة

الفتح موقناً. فذلك الذي ينفعه إيمانه ويعظم عند الله قدره وشأنه وتزخر له يوم القيامة والبعث جنانه وتحجب عنه نيرانه وهذا أجر الموالين لأمير المؤمنين عليه السلام ولذريته الطيبين عليهم السلام (١).

وهناك حديث آخر يؤكد أن هذا الفتح هو ليس فتح مكة.

عن حمزة بن عمران قال أبو عبد الله عليه السلام (يا حمزة سأحدثك في هذا الحديث لا تسأل عنه بعد مجلسنا هذا. أن الحسين بن علي عليه السلام لما مثل متوجهاً دعا بقرطاس فكتب فيه (بسم الله الرحمن الرحيم) من الحسين بن علي إلى بني هاشم أما بعد فإنه من لحق بي منكم أستشهد ومن تخلف عني لم يبلغ الفتح والسلام) (٢).

هذا الحديث فيه إشارة إلى بني هاشم الذين لم يخرجوا لنصرة الحسين عليه السلام غير مشمولين بإدراك يوم الفتح وهو يوم القائم ويوم الرجعة، وفي هذا الموضوع لمحة خاصة من الإمام الحسين عليه السلام لكي يفهم الناس لماذا اصطحب معه أطفاله ونسائه فهو يريد لهم أن يستشهدوا لكي يدركوا الفتح مع القائم عليه السلام ، وسيكون عبد الله الرضيع بلا شك من جملة الراجعين، هذا الطفل الذي أدمى قلوب آل محمد عليهم السلام ، ومن هنا نفهم لماذا دفن عبد الله الرضيع على صدر الإمام الحسين عليه السلام ، فلا يرجع أبا عبد الله إلا ومعه (عبد الله) .

وأليك عزيزي القارئ الكريم مقطع من خطبة للإمام علي عليه السلام يؤول فيها آيات السجدة موضع البحث بأحداث الرجعة، وبإمكانك أن تربط بين المعاني التي يذكرها الحديث الذي أوردناه في بداية هذا الفصل عن أنواع آيات القرآن الكريم والحديث التالي، فستجد وحدة الهدف ووحدة الموضوع والتناسق واضح في كلامهم عليهم السلام.

عن الإمام علي عليه السلام (.....) وتخرج لهم الأرض كنوزها ويقول القائم عليه السلام كلوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية فالمسلمون يومئذ أهل صواب للدين أذن لهم في الكلام فيومئذ تأويل الآية ﴿وجاء ربك والملك صفاً صفاً﴾ فلا يقبل الله يومئذ إلا دينه الحق ألا لله الدين الخالص فيومئذ تأويل هذه الآية

(١) تفسير البرهان/البحراني/ج٦/ص٢١٠/ح٢ تأويل الآيات/ج٢/ص٤٤٥/ح٩

(٢) مدينة المعاجز/السيد هاشم البحراني/ج٣/ص٤٦١

﴿أولم يروا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون. ويقولون متى هذا الفتح أن كنتم صادقين. قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون . فاعرض عنهم وانتظر أنهم منتظرون﴾^(١).

واضح إن الإمام علي عليه السلام يؤول هذه الآيات باتجاه زمن القائم عليه السلام وهو الفتح المرتقب.

(١) خطبة المخزون للإمام علي عليه السلام / أورده الشيخ حسن بن سلمان الحلي في كتابه منتخب البصائر/ نقلاً عن كتاب الخطب النادرة لأمير المؤمنين عليه السلام / لعبد الرسول زين الدين ص ٧٥.

الآية الرابعة

قوله تعالى ﴿ولو أن قرآناً سُيرت به الجبال أو قُطعت به الأرض أو كُلّم به الموتى﴾^(١).

النصوص القرآنية تحدثت عن عودة للاموات إلى الحياة بعدة صيغ وعدة مستويات منها (إحياء الموتى) و (إخراج الموتى) و (بعث الموتى) ، أما هنا فالحديث حول حالة أخرى وهي (تكليم الموتى) .

عن أبي الحسن الأول عليه السلام من حديث طويل قال: (.....) وان الله يقول في كتابه ﴿ولو أن قرآن سيرت به الجبال أو قطعت به الأرض أو كلّم به الموتى﴾ وقد ورثنا نحن هذا القرآن الذي فيه ما تسير به الجبال وتقطع به البلدان وتحى به الموتى. ونحن نعرف الماء تحت الهواء، وان في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به مع ما قد يأذن الله كتبه الماضون، وجعله الله لنا في أم الكتاب. أن الله يقول ﴿وما من غائبة في السماء والأرض إلا في كتاب مبين﴾^(٢)، ثم قال ﴿ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا﴾^(٣)، فنحن الذين اصطفى الله عز وجل وأورثنا هذا الذي فيه تبيان كل شيء^(٤).

الآية المباركة موضوع الكلام تتحدثت عن (تكليم للموتى) وذكر الحديث المبارك عبارة (وان في كتاب الله لآيات ما يراد بها أمر إلا أن يأذن الله به) ، مما يدفعنا إلى الاعتقاد بأن هذه الأمور الجسيمة والعظيمة التي تتحدثت عنها الآية وهي (سير الجبال) و (تقطيع الأرض) و (تكليم الموتى) لم تقع في الأمم السابقة، فهناك عملية (تنق) للجبل لقوم موسى عليه السلام كما في قوله تعالى ﴿وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة﴾^(٥)، وهناك تسبيح للجبال مع داود عليه السلام ﴿وسخرنا مع داود الجبال

(١) الرعد/٣١

(٢) النمل / ٥٧

(٣) فاطر / ٣٢

(٤) تفسير البرهان/ للبحراني/ج٤/ ص ٢٨٥/ح٢ كذلك الكافي/ ج ١ / ص ١٧٦/ ح٧

(٥) الاعراف/١٧١

يسبحن ﴿١﴾.

ولم يذكر القرآن أن هناك حالة تقطيع للأرض لأحد الأنبياء السابقين ولا تسيير للجبال ولا تكليم للموتى، بل ذكر أن هناك (إحياء للموتى) و (إخراج للموتى) ، فيتضح من ذلك أن هذه الأمور التي تتحدث عنها الآية وبدلالة الحديث الشريف هي من الحوادث المستقبلية، بل هي من خصائص دولة القائم عجل الله فرجه .

والمعلوم أن دابة الأرض التي ستخرج في آخر الزمان عزفها الأئمة عليهم السلام بأنها الإمام علي عليه السلام ، ومن خصائص هذه الدابة أنها (تكلمهم) قوله تعالى ﴿وإذا وقع عليهم القول أخرجنا لهم دابةً من الأرض تكلمهم﴾ (٢).

فعملية الكلام والتكلم من خصائص بعض الراجعين إلى الدنيا، فهناك عملية حساب وعقاب وثواب لكلا الطرفين الظالم والمظلوم، وقد حددت آية أخرى في كتاب الله أن هذا الأمر لن يكون سبباً في إيمان هؤلاء، بل سيستمرون في كفرهم وهي قوله تعالى ﴿ولو إننا نزلنا إليهم الملائكة وكلمهم الموتى وحشرنا عليهم كل شيء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا﴾ (٣).

مع الأخذ بنظر الاعتبار الحالات التي يمكن أن تندرج تحت عنوان (تكليم الموتى) فمنها حالات تم تكليم الموتى قبل دفنهم كما تكلم رسول الله صلى الله عليه وآله مع قتلى المشركين من قريش بعد معركة بدر، وكما تكلم الإمام علي عليه السلام مع طلحة بعد قتل طلحة في معركة الجمل وحالات أخرى تم الكلام مع الأموات وهم في قبورهم، كما تكلم الإمام علي عليه السلام مع أهل القبور عند مروره من قرب المقابر والشواهد كثيرة.

ويمكن ان استشف من الآية معنى آخر من خلال النظر بمجمل أحاديث الرجعة، وهو: أن الأحاديث ذكرت أن جملة من أصناف الناس لا يرجعون وهي الأمم التي وقع عليها العذاب، وكذلك أصناف لم يصلوا إلى مرحلة من محض الإيمان محضاً ولا مرحلة من محض الكفر محضاً من الأمم المشمولة بالرجعة، فهم في أحداث الرجعة يبقون في عالمهم (عالم الأموات) ويستمر بقائهم إلى يوم يبعثون، فلربما قصد الآية

(١) الانبياء/٧٩

(٢) النمل/٨٢

(٣) الانعام/١١١

الآية الرابعة

المباركة بعملية (التكليم) هو باتجاه هذا الصنف من الناس لأنهم لا يرجعون, فتبقى عملية الاتصال بهم بالكلام فقط, فإذا كانت أحداث الرجعة هي إعادة الذين ماتوا إلى الحياة, فإن كلامهم هو تحصيل حاصل, فما فائدة أن يفرد القرآن لهذه العملية موضوع خاص وهو (تكليم الموتى), فيكون هؤلاء ليسوا من الراجعين لان الراجعين سيتكلمون حتماً, أما المعنيين هنا فهم الذين بقوا في عالم الموتى (المرجون لأمر الله, كما شرحنا سابقاً) , فيتم الكلام معهم فقط وهم في عالمهم لأسباب تتعلق بالحساب والثواب بالنسبة للراجعين, وبالتالي إذا كانت هذه الآية المباركة خاصة بعصر الظهور الذي من خصائصه إحياء الموتى, فيكون التكليم مع مجموعة لا ترجع, لذلك ذكرت الأحاديث أنه عند خروج القائم عليه السلام (يتمنى الأموات الأحياء) . وسنورد لكم تصور معين عن أحوال هؤلاء في الفقرة اللاحقة فتابع.

الآية الخامسة

قوله تعالى ﴿قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾^(١).

هنا نستشف معنى للآية من خلال الصورة التي يرسمها لنا موضوع الرجعة، وعلينا

(١) المؤمن/١١.

وردت عدة تفسيرات لهذه الآية المباركة عند أهل التفسير ننقل قسمًا منها للفائدة والاطلاع. ورد في كتاب المعاد/ج ١ / ص ١٩٠ / الأدلة القرآنية على الحياة البرزخية/ للسيد كمال الحيدري أستعراض لعدد من هذه الآراء حول الآية المباركة منها (والآية تشير إلى تحقق إحيائين وإماتتين إلى يوم البعث، وقد تعددت آراء المفسرين بشأن المراد من الآية. قال الطبرسي في تفسير هذه الآية: (أختلف في معناه على وجوه أحدهما: أن الإمامة الأولى في الدنيا بعد الحياة والثانية في القبر قبل البعث والإحياء الأول في القبر للمساءلة والثاني في الحشر، عن السدي وهو اختيار البلخي وثانيهما: ان الإمامة الأولى حال كونهم نطفًا فأحياهم الله في الدنيا ثم أماتهم الموتة الثانية ثم أحياهم للبعث فهاتان حياتان ومماتان. وثالثها: ان الحياة الأولى في الدنيا والثانية في القبر ولم يرد الحياة يوم القيامة والموتة الأولى في الدنيا والثانية في القبر أنتهى. واختار الرازي في تفسيره الوجه الأول ثم ذكر عليه وجوهاً من الاعتراضات وأجاب عنها بالتفصيل.... واعتبر الطباطبائي في الميزان ان (هذه من الآيات التي يستدل بها على وجود البرزخ بين الدنيا والآخرة فأنها تشمل على إماتتين فلو كان أحدهما الموت الناقل في الدنيا لم يكن بد من تصوير الإمامة الثانية في فرض حياة بين الموتين وهو البرزخ). أنتهى كلامه.

والعجيب ان السيد الطباطبائي صاحب تفسير الميزان (ج ١٧ / ص ٣٣٠) ينقل اختلاف المفسرين في تفسير الإماتتين والإحيائين فذكر لهم ستة أقوال وناقش خمسة منها وردها واختار الأول وهو أن المراد من الإماتتين والإحيائين الإمامة في الحياة الدنيا والإحياء في البرزخ في القبر ثم الإمامة عند البرزخ والإحياء للحساب يوم القيامة، لكنه على ما يبدو نسي انه حسب هذا الترتيب سيكون للإنسان ثلاث حيوات لأنه لم يحسب الحياة قبل الموتة الأولى وهو خلاف الآية وعند مناقشة الأقوال الستة للعلماء لم يذكر موضوع الرجعة أصلاً في تفسير الآية علما ان القول بها من الأقوال المشهورة على الأقل عند مفسري الشيعة لما تضافر من أحاديث أهل البيت عن هذه الآية بالذات. فيما يقول الشيخ محمد رضا المظفر في كتابه/عقائد الامامية/٣٢- عقيدتنا في الرجعة (والآية المتقدمة) (قالوا ربنا أمتنا اثنتين وأحييتنا اثنتين....) فانه لا يستقيم معنى الآية بغير الرجوع إلى الدنيا بعد الموت وان تكلف بعض المفسرين في تأويلها بما لا يروي الغليل ولا يحقق معنى الآية). أنتهى كلامه.

وقد ذكرنا في الفصل الأول من هذا البحث كلام صاحب تفسير الجلالين وتفسير صاحب الميزان حول هذه الآية فراجع. والمتابع لأقوال المفسرين يجد تخبط واضح في كلامهم بل ان أغلبهم يتبنى رأي ثم يفنده لاحقاً ولم يقر لهم قرار حول الآية، والسبب كما ذكرنا واضح هو ابتعادهم عن كلام آل محمد كون الآية خاصة لاقوام معينين وليست عامة فاحترار المفسرين بها لأنهم صرفوها باتجاه يوم القيامة ولا نستطيع ان نذكر كل كلام المفسرين هنا ولكن نقول أن كل الاقوال التي قيلت في الآية قد فندها المفسرين أنفسهم.

أن نذكر أولاً الآيات الكريمة التي تسبق هذه الآية والتي بعدها لكي نعرف من خلال السياق القرآني من هم المخاطبون.

قال تعالى ﴿أَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ. قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ. ذَلِكَ بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ يُشْرِكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾^(١).

واضح من خلال سياق الآيات أنها ليست عامة لكل الناس، بل هي خاصة للكافرين فقط، بدلالة تعريفه تعالى لهم بقوله ﴿أَنْ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، وقولهم ﴿فاعترفنا بذنوبنا﴾، وقولهم ﴿هل إلى خروج من سبيل﴾، وقوله عنهم ﴿إذا دُعي الله وحده كفرتم﴾، فالآيات بكل ألفاظها تصف حال الكافرين وعباراتها لا يصح صدورها من المؤمنين، ومن هنا وقع الإشكال عند المفسرين كون الآية خاصة لمجموعة معينة فيما يصرّفها المفسرون باتجاه العموم فهم تصوروا أن كل من مات تسري عليه الموتين والحياتين، وهذا غير صحيح فهناك موتتين وحياتين لمجموعة معينة ولا تجري على الكل.

وبما أن محض الكفر عاش للمرة الأولى في الحياة الدنيا ثم مات، ثم تم أحياءه في الرجعة، وظل في حالة عذاب إلى يوم يبعثون، فهنا يكون عندنا لهم موتة واحدة وحياتين فأين الموتة الثانية.

فإذا افترضنا أن هؤلاء الكفرة من الذين محضوا الكفر محضاً قد بقوا يعذبون إلى يوم القيامة ثم ماتوا بأحداث القيامة ثم بعثوا في الحشر الكلي النهائي، فبذلك يصبح لهم موتتين كما تقول الآية، لكن الإشكال لازال قائماً لأنهم سيصبح لهم ثلاثة (حيوات)، الأولى في الحياة الدنيا والثانية في الرجعة والثالثة بعد الحشر الكلي بينما الآية تقول (أحييتنا اثنتين).

فالآيات الكريمة لا تشمل الذين محضوا الإيمان محضاً، كما قلنا ولا تشمل من محض الكفر محضاً، فلا بد أنها تشمل مجموعة أخرى غير محضى الإيمان والكفر.

كما ذكرت ان هناك معنى نستشفه من خلال فهمنا لموضوع الرجعة كون الراجعين

الآية الخامسة

من محض الكفر محضاً ييقون في حالة عذاب إلى يوم القيامة، وبدلالة الحديث المروي عن رسول الله ﷺ (القيامة لا تقع إلا على شرار الناس) ، فمعناه أن هؤلاء الأشرار استمرت بهم الحياة إلى يوم القيامة، وهو ما يؤكد استنتاجنا السابق، ويلحق بهم المحشورين بالحشر النهائي، فهؤلاء كلهم لهم حياتين وموتة واحدة (الحياة الدنيا الموت الحياة بعد الموت في الرجعة) ، وحتى لو ماتوا بأحداث القيامة وبعثوا للحشر النهائي فيصبح لهم موتتين وثلاث حيوات، إذاً من هم أصحاب الموتين والحياتين؟

عن أبي إبراهيم موسى بن جعفر عليه السلام قال (لترجعن نفوس ذهبت وليقتص قوم بقوم ومن عذب يقتص بعذابه ومن أعيظ بغيظه ومن قتل أقتص بقتله وترد لهم أعداؤهم معهم حتى يأخذوا بثأرهم ثم يعمرن بعدهم ثلاثين شهراً ثم يموتون في ليلة واحدة قد أدركوا ثأرهم وشفوا أنفسهم ويصير عدوهم إلى أشد النار عذاباً ثم يوقفون بين يدي الجبار (عز وجل) فيأخذ لهم بحقوقهم) (١).

واضح أن هؤلاء ليسوا ممن محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً كما شرحنا سابقاً في (الفصل الثاني فقرة الرجعة عامة أم خاصة فراجع) ، وسيعاد هؤلاء كون لهم استحقاقات هم وأعدائهم، فهم صنفان (ظالم ومظلوم) لكنهم لم يرتقوا إلى مرتبة المحض في الكفر والإيمان مما يدفعنا للاعتقاد بشمول الرجعة لمجاميع أخرى ليسوا من الماحضين الكفر والإيمان.

وبعد أن يتم حسابهم وأخذ الاستحقاقات لا ييقون في عالم الرجعة بل يموتون كلهم في ليلة واحدة بعد ثلاثين شهراً، فيكون عند هذا الصنف من الناس حياتين وموتتين (الحياة الأولى في الدنيا، ثم بعدها الموتة الأولى والدخول إلى عالم البرزخ، ثم الحياة الثانية في الرجعة يعمرن ثلاثين شهراً، ثم الموتة الثانية)، وهم بعد ان يُحاسبوا على صنفين، الأول مظلوم يقول عنهم الحديث: (قد أدركوا ثأرهم وشفوا أنفسهم)، والثاني ظالم يقول عنه الحديث: (ويصير عدوهم إلى أشد النار عذاباً) ، وهم الذين قالوا في نهاية المطاف كما وصفتهم الآية (فهل إلى خروج من سبيل)، فالآية تعبر عن حالهم.

عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى ﴿قالوا ربنا أمتنا أثنتين وأحييتنا أثنتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروج من سبيل﴾ قال: (هو خاص لأقوام في الرجعة بعد

الموت فتجري في القيامة فبعداً للقوم الظالمين^(١).

الحديث واضح كون الآية (خاصة) وهذا هو السبب في تحبب المفسرين في شرح الآية المباركة لأنهم صرفوها باتجاه العموم فلم يستقيم المعنى لديهم.

والدليل الآخر أن هؤلاء المتحدث عنهم الذين يعمرن لمدة (ثلاثين شهراً) ثم يموتون في ليلة واحدة) ، هو الأحاديث التي تشير إلى أن ملك آل محمد عليه السلام ودولة القائم عليه السلام تستمر لفترات زمنية طويلة، فهل كل الراجعين يعيشون (٣٠) شهراً، لاسيما وأن بعض الأحاديث تذكر أن المؤمنين في دولة القائم عليه السلام لن يموت أحدهم إلا وله ألف ولد ذكر، وهذا لا يتناسب مع الـ (٣٠) شهراً، فيكون هؤلاء من عامة الناس وليسوا تحت عنوان من محض الإيمان محضاً أو محض الكفر محضاً، مما يشير إلى شمول الرجعة لجهات أخرى.

وهذا المعنى ذكره الشيخ الاحسائي رحمه الله بقوله: (نعم... ورد أناساً ممن لم يمحص الإيمان محضاً ولا الشرك محضاً وليسوا من أهل الرجعة ولا ممن يُسألون في قبورهم يرجعون، وذلك لأن بعضهم له قصاص والبعض الآخر عليه القصاص، فيرجع القاتلون والمقتولون، حتى يستوفوا قصاصهم من قاتليهم ويعيشون بعد أخذ ثأرهم ثلاثين شهراً ثم يموتون في ليلة واحدة)^(٢).

ويقول أيضاً: (الذين تلحق أرواحهم بالجنة هم خُص المؤمنون الخالصين والخالصين، وهم الذين يجمعهم أنهم محضوا الإيمان محضاً، وهؤلاء هم الذين في قبورهم، ومن سواهم تبقى أرواحهم في قبورهم إلى يوم القيامة، وهؤلاء ليس لهم برزخ ولا يُبعثون في رجعة آل محمد عليه السلام ، ولا يسألون في قبورهم. نعم كان من هؤلاء له قصاص أو عليه قصاص فأهم يُبعثون في الرجعة ليقصص المقتول من القاتل ويعيشون بعدما يقتلون ثلاثين شهراً ثم يموتون في ليلة واحدة)^(٣).

ويقول أيضاً: (أن الموت هو خروج الروح من البدن، أما بالقتل أو بموت، فأما القتل ففيه خلاف هل هو عند انقضاء العمر المكتوب بحيث لو ترك ولم يقتل مات وقيل لا يموت. وأختلف هؤلاء في قدر ما يبقى لو لم يقتل على أقوال لعدم

(١) تفسير البرهان / للبحراني / ج ٧ / ص ١٤ / ح ٢٠.

(٢) رؤى حول الأسرار الحسينية / الشيخ أحمد الأحسائي / ص ٢٨٧.

(٣) جوامع الكلم / الشيخ الاحسائي / ج ٨ / ص ٥٣٧

الآية الخامسة

عثرهم على نص يدل على شيء والنص موجود يذكرونه في الكتب ويقراءونه ولا يفهمون معناه وهو (أنه يبقى سنتين ونصف) . وأعلم أن كثيراً من العلماء ذهبوا إلى أن الموت أمر اعتباري عدمي ليس بموجود لأنه عدم الحياة مما شأنه الحياة, والحق أن الموت شيء موجود مخلوق كما قال تعالى: ﴿الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً﴾، أنهى كلامه^(١).

والسنتين والنصف تساوي (٣٠) شهراً، فهذا معناه أن كل شخص قُتل قد سلب حقه في الحياة، أي له حق في الحياة لم يستوفه بعد، ولو تُرك لمات من نفسه بعد سنتين ونصف، لذلك سيتم تعويض هؤلاء بهذه الفترة المستلبة منهم في الرجعة، وبما أنهم ليسوا من المشمولين بالرجعة كونهم ليسوا ممن محض الإيمان محضاً أو ممن محض الكفر محضاً، فيؤخذ لهم حقهم المسلوب في الحياة الدنيا ويموتون في ليلة واحدة ويؤجل أمرهم إلى الحشر النهائي (إلى يوم يبعثون) .

(١) أحوال البرزخ والآخرة / للشيخ الاحسائي / الفصل الأول / الموت حقيقته وأحداثه / جمع وأعداد وتحقيق احمد الدباب.

الآية السادسة

قوله تعالى ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾^(١). ذكرت هذه الآية المباركة عملية (الإنبات) و (الإخراج) ، وقد يرى البعض أن هناك مبالغة في التحليل الذي سنورده ولهم الحق في ذلك لأن ما حدث في الأمم والحضارات السابقة مازال إلى يومنا الحاضر عبارة عن مجموعة ألغاز ورموز لم يتم كشف أسرارها، فوجهة النظر القائلة بأن الأمم والحضارات السابقة هي أقل منا تطوراً هي وجهة نظر خاطئة، لأن من ينظر إلى هذا الأمر بهذا الشكل يعتقد ان التطور هو مجموعة من الأبنية الشائخة والآلات الكبيرة المعقدة والطائرات والسفن، وبما أن تلك الأمم ليس لها حظ من هذه الاختراعات فهي بالضرورة أقل منا رقياً ومدنية، فكانت النظرة العامة إلى الحضارات السابقة من قبل بعض الناس كونهم متطورين أكثر منّا أمر مستغرب، لأنهم تعودوا أن ينظروا للأمور من وجهة نظر واحدة وهي عادة وجهة نظر تربينا وتثقفنا عليها، أن واقع القرآن الكريم يشير إلى أن هذه الحضارات ذات مدنية وتطور عالي لم تصل إليه تكنولوجيتنا حالياً وان تطورهم ليس كما نفهمه نحن من التطور.

قال تعالى ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أحسن أثاثاً ورءياً﴾^(٢)، وقال تعالى ﴿لم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم في الأرض ما لم نمكن لكم﴾^(٣)، وقال تعالى ﴿وكم أهلكنا قبلهم من قرن هم أشد منهم بطشاً﴾^(٤).

كما أن الأنبياء ﷺ لم يُرسلوا إلى شعوب متدنية حضارياً، نعم قد يكون هناك تدني أخلاقي واضح لدى تلك الأمم حين أرسل إليهم أنبيائهم، لكن كان هناك مستوى حضاري وثقافي واضح لديهم، وليس من الحكمة والمنطق أن يُرسل الأنبياء إلى أمم وأقوام ليس لهم حظ فكري وثقافي وحضاري، فيكون نجاح الرسالات الالهية

(١) نوح/١٧-١٨

(٢) مريم/٧٤

(٣) الانعام/٦

(٤) ق/٢٦

غير حقيقي لو أرسل هؤلاء الأنبياء إلى أمم متخلفة فكرياً وحضارياً، فيُسند نجاح هذه الرسائل إلى جهل وتخلف هذه الأمم، فلن يكون لهذه الرسائل في هذه الحالة بُعد فكري وثقافي إذا أرسلت إلى هكذا مجتمعات، أن قوة الرسالة والنبوة يأتي من كونها أرسلت لكي تكون منهج فكري وحضاري والهي واضح التأثير من خلال تعاملها وتفوقها على مجتمعات ذات نصيب وافر من الحضارة والتطور، لذلك سننظر لهذه الآيات الكريمة من خلال هذا التصور.

أن سياق الآيات الكريمة التي وصفت هذه العملية تقودنا إلى هكذا تصور، ولكي تكون الصورة واضحة علينا أن نورد السياق العام الذي وردت فيه الآيات المباركة لكي ننظر إليها بصورة إجمالية من خلال موقعها في سورة (نوح).

قال تعالى ﴿أنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن أنذر قومك من قبل أن يأتهم عذاب.... إلى قوله: وأني كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستكبروا استكباراً. ثم آني دعوتهم جهاراً. ثم آني أعلنت لهم وأسررت لهم اسراراً. فقلت استغفروا ربكم انه كان غفاراً. يرسل السماء عليكم مدراراً. ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً. مالكم لا ترجون لله وقاراً. وقد خلقكم أطواراً. ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً. وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً. والله أنبتكم من الأرض نباتاً. ثم يعيدكم فيها ويخرجكم أخرجاً﴾^(١).

سياق الآيات الكريمة يتحدث عن دعوة نبي الله نوح عليه السلام لقومه لعبادة الله وحده، وتذكر الآيات أنهم كانوا قوماً مستكبرين مما حدى بنوح عليه السلام بأن يذكرهم بنعم الله عليهم وحثهم على الاستغفار لكي تُنزل عليهم هذه النعم وهي المطر وكثرة الأنهار والجنات ثم بدأ يذكرهم بأمر قد يبدو للوهلة الأولى انه واضح، لكنه في الحقيقة فيه الكثير من الغرابة وهو قوله تعالى ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً﴾، فهذه الآية الكريمة تدل على أن نوح عليه السلام وقومه كانوا يرون هذه (السماوات السبع) إذ لو لم يكن لهم هذه القابلية على رؤية هذه السماوات السبع لاعترضوا عليه ولقالوا له أننا لا نرى إلا سماء واحدة، فلو عكسنا هذا الأمر على واقعنا الحالي وجاءنا من يقول (انظروا إلى هذه السماوات السبع) لأنكرنا عليه ذلك وقلنا أننا

الآية السادسة

لا نرى إلا هذه السماء الدنيا.

إذاً كانت هناك سبع سماوات مرئية في فترة نوح عليه السلام ، وهذا الامر يمكن ان يكون متصور لو اننا تصورنا ان النظام الفلكي للارض قبل الطوفان يختلف عما عليه الان، لذلك ذكرهم بهذه النعمة عليهم، ثم أكدت الآية التي تليها هذا المعنى وهي قوله تعالى ﴿وجعلنا القمر فيهن نورا وجعل الشمس سراجا﴾، فعبارة ﴿القمر فيهن﴾ يدل على أن القمر موجود في هذه السماوات السبع أو على أقل تقدير هو متحرك ضمن السماوات السبع بالتتابع^(١)، وهذا يدفعنا للاعتقاد أن الآيتين السابقتين تشيران إلى وجود واقع فلكي معين كان واضحاً وظاهراً في أيام نوح عليه السلام واختفى هذا الواقع بعد مدة من الزمن لا نعلمها، فنحن الآن نرى سماءً واحدة تطل علينا كل ليل ونهار مع قمرها المتنقل فيها.

هذا الواقع الفلكي والسماوي الذي كان موجوداً في زمن نوح عليه السلام يؤدي بالضرورة إلى أن نفهم أن ذلك العصر فيه من المميزات والخصائص ما ليس لغيره من العصور التي تلتها، فكانت هاتين الآيتين المباركتين ﴿ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً. وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً﴾، هي مقدمة تمهيدية لذكر موضوع آخر له أهميته، وهو عملية الإنبات من الأرض وهي قوله تعالى ﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾.

وقد يرى البعض أن هذه الآية هي عبارة عن كناية أو تشبيه لعملية الولادة على اعتبار أن الأرض هنا تشبيه عن دور الأم، أو أن الآية تشير إلى عملية الخلق الأولى وهي عملية خلق آدم عليه السلام ، أي بمعنى أنها تذكرهم ببداية خلقهم من التراب، لذلك شبه عملية إخراجهم بعملية الإنبات، وهذا الأمر غير صحيح لان عملية خلق آدم لم تكن إنبات، بل ذكر القرآن الكريم لهذا الأمر عدة مراحل وعدة مستويات منها (التراب) و (الطين) و (صلصال من حمأ مسنون) و (التسوية) و (النفخ) ، ولم يتم تشبيه هذه العمليات بالإنبات، فليس لهذا الأمر علاقة بعملية خلق آدم عليه السلام .

(١) لقد شرحنا مضمون هذه الآية (ألم تروا كيف خلق الله سبع سماوات طباقاً. وجعل القمر فيهن نوراً وجعل الشمس سراجاً) في كتابنا (أيام الله) بشكل مفصل وأوردنا الأدلة العلمية على إمكانية رؤية السماوات السبع في الأزمنة السابقة وكيفية ظهور هذا الواقع الفلكي للمرة الثانية في قادم الزمان.

ومن هنا نستشف ان في هذه الآية إشارة واضحة إلى ان عملية التكاثر في زمن نوح عليه السلام لم تكن مقتصرة على عملية التناسل بين الذكر والأنثى، بل هناك طريقة أخرى توصلوا اليها، مما حدى نبي الله نوح عليه السلام بأن يذكرهم بهذه العجيبه التي أنعم الله عليهم بها ومكنهم من معرفتها وهي عملية إنشاء أجسام بشرية من خلال عملية الإنبات، أو على أقل تقدير ان هؤلاء قد توصلوا إلى معرفة كيفية المحافظة على أجسامهم بعد الموت ثم عملية استخراجها كما يخرج النبات من الأرض (كما شرحنا سابقاً حول كيفية إعادة الإنسان من خلال الطينة أو الجذث) ، وبهذا فهم يتمتعون بحياة ثانية بعد الموت من خلال هذه الطريقة، فهم بالأصل تكونوا في الأرحام وبعد موتهم يعاد إنتاجهم بالإنبات، وقد تكون هذه العملية ذات طابع زمني ليس بالقصير أسوةً بعملية الإنبات في النباتات العادية، وبعد ان تتم عملية الإنبات سيعودون إلى هذه الأرض بعد الموت لذلك قال بعدها مباشرة **﴿ثم يعيدكم فيها﴾**، أي الأرض ثم ذكر عملية (الخروج) بقوله **﴿ويخرجكم إخراجاً﴾**، فعبارة **﴿ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً﴾** توحى بهذا المعنى^(١).

عن الإمام الرضا عليه السلام (وقد علم ذووا الألباب ان الاستدلال على ما هناك لا يكون إلا بما هيئنا)^(٢).

فلا يكون شيئاً هناك إلا وله آية يستدل بها عليه هنا، فجميع ما في جنة الدنيا من اللذائذ والمطاعم والمشارب له مشابه في هذه الدنيا، وكذلك ما في (جنة الدنيا) مثال لما في (جنة الآخرة) ، وفي هذا إشارة إلى قوله تعالى **﴿كلما رزقوا منها من**

(١) من خلال متابعة أحوال الأمم والحضارات التي ظهرت بعد فترة الطوفان كتسلسل تاريخي والتي ذكرها القرآن الكريم كأول ظهور للأمم والشعوب بعد الطوفان وهم عاد قوم هود عليه السلام وثمود قوم صالح عليه السلام ، تجد ان القرآن الكريم يذكر لهم مواصفات بدنية عالية من حيث القوة والضخامة، والراجح أنهم ورثوا هذه الصفات ممن سبقهم زمنياً، وهم قوم نوح عليه السلام فطبيعة أجسام هذه الحضارات تشير إلى هكذا معنى، ولعل الحضارة الفرعونية التي نشأت بعدهم بزمن قد أخذت منهم شيء حول هذا الموضوع بالذات، لذلك ركزت الحضارة الفرعونية بشكل أساس على تحنيط الموتى والمحافظة على جثثهم، فالموضوع إجمالاً له علاقة بنتائج من سبقهم، ولهذا تجد إشارة ضمنية لهذا الأمر في القرآن الكريم عندما سأل فرعون نبي الله موسى عليه السلام عن هذا الأمر كما نعتقد بقوله: (فما بال القرون الأولى) ، فلابد ان تكون القرون الأولى تمتلك أصل معرفي حاول فرعون الحصول عليه من خلال سؤاله لموسى عليه السلام .

(٢) عيون اخبار الرضا/ ج١/ باب ١٢/ ح١/ حوارية عمران الصابي مع الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام

الآية السادسة

ثمره رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً^(١)، أو كما في قول رسول الله ﷺ (الدنيا مزرعة الآخرة)^(٢)، ولهذا أيضاً مصداق لما سأل النصراني الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام عن أهل الجنة: كيف صاروا يأكلون ولا يتغوطون؟ أعطي مثلهم في الدنيا فقال أبو جعفر عليه السلام (هذا الجنين في بطن أمه يأكل مما تأكل أمه ولا يتغوط)^(٣).

فإذا كان هذا الاستنتاج الذي ذكرناه صحيح وهو انه في زمن نوح عليه السلام، كانت هناك إمكانية طبيعية ونعمة أنعم الله بها عليهم، وهي إنتاج أجسام بشرية بعملية أشبه بعملية الزرع والإنبات، فهنا نسأل أنفسنا سؤال: هل لهذه العملية شيء مشابه في (جنة الدنيا) استناداً إلى حديث الإمام الرضا عليه السلام أن ما هنالك لا يعلم إلا بما هنا، وهذا التساؤل يجيب عليه حديث مروي عن الصادق عليه السلام قال (يا أبا محمد أن في الجنة نهرًا في حافته حور نابتات إذا مر المؤمن بجارية أعجبتته قلعتها وأنبتت مكانها أخرى)^(٤).

هذه الجنة هي جنة الدنيا والتي تظهر في عهد الإمام الحجة عليه السلام، وهذا معناه أن هذا النظام موجود في جنة آدم عليه السلام كونها جنة دنيوية، وبما ان قوم نوح عليه السلام هم أقرب عهداً بآدم عليه السلام، فقد يكون هذا النظام معمول به إلى زمن نوح عليه السلام، لذلك قال تعالى ﴿وَأَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ أَنْبَاتًا﴾ مخاطباً قوم نوح عليه السلام ومذكرهم بتلك النعمة.

والتأمل في أجواء هذه الآية يعطينا نظرة حول البدايات الالدمية التي سبقت ادم وجوداً لاسيما ان تاريخ الحضارات القديمة يذكر لنا جملة من المشاهد حول هذا الأمر ومنها بعض العبارات الواضحة في الأثر السومري تؤيد فحوى الآية جاء فيها: (أن الرب أنليل الروح الأعلى حفر شقاً في الأرض ووضع بدايات البشرية في الشق وعندها بدأ البشر يظهر كالحشيش من الأرض).

وهذا يجعلنا نجري وراء تصور أن بدايات خلق الإنسان لم تكن فردية، بل كانت

(١) البقرة/٢٥

(٢) ارشاد القلوب

(٣) الكافي/الكليبي

(٤) البحار / المجليبي روضة الكافي/الكليبي.

البداية جماعية فهذه البذور وضعت في الطين وأنتجت ولادات بشرية كاملة خرجت من الطين أو من التراب، وهذا هو نفسه مشهد البعث النهائي حينما يخرج الناس من التراب للحساب، وهذا تناسق واضح في فعاليات الكون، فكما ان النهاية جماعية وجب أن تكون البداية جماعية أيضا، لاسيما أن الرسول الكريم ﷺ يصف حال البعث النهائي كون الناس (ينبتون كما ينبت البقل) وقد وصفهم القرآن الكريم ﴿كأنهم جراد منتشر﴾^(١) فصورة البداية والنهاية واحدة.

وتجد لهذا التصور عدة مصاديق قرآنية كما في قوله تعالى ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾^(٢)، فالأداة (ثم) فاصلة بين موضوعين قد يكون بينهما فاصل زمني طويل، فالبداية من التراب ثم بعدها الانتشار، فالنشأة الأولى من التراب، ثم الثانية من الأرحام، ثم في الرجعة والحشر من التراب أيضاً، وقد عبر مورد قرآني آخر عن هذا التابع من نشأة الأرض إلى نشأة الأرحام ﴿إذ أنشئكم من الأرض وإذا أنتم أجنة في بطون أمهاتكم﴾^(٣).

عن جابر بن يزيد قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قوله تعالى ﴿أفبعينا بالخلق الأول بل هم في لبس من خلق جديد﴾^(٤)، فقال: (يا جابر تأويل ذلك أن الله عز وجل إذا أفنى هذا الخلق وهذا العالم وأسكن أهل الجنة الجنة وأهل النار النار جدد الله عز وجل عالما غير هذا العالم وجدد عالما من غير فحولة ولا إناث يعبدونه ويوحدونه وخلق لهم أرضا غير هذه الأرض تحملهم وسماء غير هذه السماء تظلمهم لعلك ترى أن الله عز وجل إنما خلق هذا العالم الواحد وترى أن الله عز وجل لم يخلق بشرا غيركم بل والله خلق الله تبارك وتعالى ألف ألف عالم وألف ألف آدم أنت في آخر تلك العوالم وأولئك الآدميين)^(٥).

والحديث واضح كون الاوادم اللاحقين لدورتنا وكذلك الاوادم السابقين بدؤا بشكل جماعي لقوله: (من غير فحولة ولا إناث)، فإذا كانت البداية من غير فحولة ولا إناث فالراجح أنها بدأت من (البيوض) في حواضن الطين كما نفهم وكما تؤيده

(١) القمر / ٧

(٢) الروم / ٢٠

(٣) النجم / ٣٢

(٤) ق / ١٥

(٥) الخصال / ص ٦٥٢

الآية السادسة

جملة من النصوص السومرية، ثم بدأ التخصص بعدها في مراحل لاحقة إلى ذكور وإناث، وبعدها بدأت ولادات الأرحام متأخرة، ثم خلق آدم ونفخت فيه الروح، وهذا الترتيب تجده واضح في قوله تعالى ﴿وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلاله من ماء مهين ثم سواه ونفخ فيه من روحه﴾^(١)، وهذه مراحل متتالية تفصلها الأداة (ثم) ، فالأولى خلق الطين وهي عملية جماعية كالإنبات من الأرض لقوله: (وبدأ خلق الإنسان من طين)، ثم تخصصت هذه المخلوقات إلى ذكر وأنثى فجاءت المرحلة الثانية بالتكاثر في الأرحام عن طريق الماء المهين لقوله: (ثم جعل نسله من ماء مهين)، ثم تم اصطفاء واحد وهو آدم وأجريت عليه عمليات متسلسلة منها التسوية ثم نفخ الروح فيه والتي جعلته مميزاً عن أفراد جنسه لوجود هذا العامل المللكوتي فيه والذي استوجب سجود الملائكة له.

وهناك آية أخرى تؤيد الآية موضوع البحث وهي قوله تعالى ﴿وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره هو أنشاكم من الأرض واستعمركم فيها﴾^(٢)، لاحظ انه في موارد أخرى قال: (خلقكم من تراب) ، وهنا يقول: (أنشاكم من الأرض) .

فالخلق كما قلنا هو عملية تحول من مادة بهيئة معينة إلى هيئة أخرى كتحويل التراب أو الطين إلى إنسان أو النار إلى جان وهكذا، أما الإنشاء فهو النمو والإنباء من شيء موجود سابقاً ويمر بعدة عمليات متتابعة وصولاً إلى مظهر كامل، وهو أقرب إلى الإنبات.

فعملية تكوين الجنين داخل رحم الأم هو عملية خلق متتابعة لان المادة تتحول من مظهر إلى آخر (نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظام ثم إكساء اللحم) ، أما عملية نمو الإنسان بعد الولادة فهي إنشاء، أي انه يحتفظ بمظهره لكن تجري عليه عمليات نمو، وهذه الحالة موجودة أيضاً في النبات، فما يجري على البذرة داخل الأرض هو عملية خلق أما بعد خروجها فهو إنشاء ونمو.

وهذا يؤكد ما قلناه سابقاً حول هذه الأمم كونها ذات أجسام قوية وبمواصفات

(١) السجدة/ ٩٧

(٢) هود/ ٦١.

خاصة فقالت آية (هو/٦١) أعلاه ﴿هو أنشأكم من الأرض﴾ ولم يقل خلقكم^(١).

(١) سنورد هنا كلام المفسرين حول هذه الآية إكمالاً للفائدة ولكي يجري القارئ الكريم مقارنة سريعة لما قالوا. يقول السيد محمد حسين الطباطبائي (المراد بالرؤية العلم، وتوصيف السماوات السبع والكلام سوق الحجة. يدل على أنهم كانوا يرون كونها سبعاً ويسلمون ذلك، فأحتج عليهم بالمسلم عندهم وكيف كان موضوع حديث السماوات السبع في كلام نوح ﷺ دليل كونه مأثوراً من الأنبياء ﷺ من أقدم العهود. قوله تعالى: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) أي أنبتكم إنبات النباتات، وذلك ان الإنسان تنتهي خلقته إلى عناصر أرضية تركبت تركيباً خاصاً يتغذى وينمو ويولد المثل وهذه حقيقة النبات فالكلام مسوق سوق الحقيقة من غير تشبيه واستعارة). أنتهى كلامه.

يقول الطبرسي في (مجمع البيان): (قيل فيه وجوه (أحدهما) ان المعنى وجعل القمر نوراً في السماوات والأرض عن ابن عباس قال: يضيء ظهره لما يليه من السماوات ويضيء وجهه لأهل الأرض وكذلك الشمس. (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) يعني مبدأ خلق آدم وآدم خلق من الأرض والناس ولده. وقال أيضاً: وقيل معناه إنشاء جميع الخلق بالاعتناء ما تنبته الأرض). (أنتهى كلامه)

أقول: إذا كان قصد الآية هو مبتدأ خلق آدم باعتبار انه خلق من تراب الأرض، فليس لهذا الأمر علاقة بالنبات، فأدم ﷺ لم ينبت كالنبات، بل خلق من طين ثم سواه فعدله ونفخ فيه، أما قوله (باغتذاء) فهو بعيد جداً عن معنى الآية.

أبن كثير: يقول في قوله تعالى: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) قال: هذا أسم مصدر والإتيان به ههنا أحسن. أقول: ما فائدة هكذا تفسير؟

تفسير الجلالين: (والله أنبتكم من الأرض نباتاً) والله أنبتكم من الأرض إذ خلق آدم منها.

تفسير الطبري: يقول: والله أنشأكم من تراب الأرض فخلقكم من إنشاء.

تفسير القرطبي: يقول: يعني آدم ﷺ خلقه من أديم الأرض كلها.

الآية السابعة

قوله تعالى ﴿أن الأرض يرثها عبادي الصالحون﴾^(١).

ذكرت أحاديث الرجعة أن كل الأنبياء والمرسلين يشملهم مستوى (من محض الإيمان محضاً) وهم كلهم بلا استثناء راجعون.

عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى ﴿وَأَذِ أَخَذَ اللهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾^(٢) ، قال عليه السلام (ما بعث الله نبياً من لدن آدم فهلم جراً إلا ويرجع إلى الدنيا وينصر أمير المؤمنين عليه السلام وهو قوله ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ﴾ يعني رسول الله صلى الله عليه وآله ، ﴿ولتنصرنه﴾ يعني أمير المؤمنين عليه السلام ، ثم قال لهم في الذر ﴿أقررتم وأخذتم على ذلكم أصري﴾، أي عهدي، (قالوا أقررنا) قال الله للملائكة ﴿فأشهدوا وأنا معكم من الشاهدين﴾^(٣).

أن آية (الأنبياء/١٠٥) موضوع الكلام تحدد بصورة واضحة أن وراثه الأرض ستكون لمجموعة من عباد الله أسمتهم (الصالحون) ، والآية قطعاً لا تتحدث عن يوم القيامة فليس في يوم القيامة النهائي أي موضوع للوراثة قوله تعالى ﴿ولله ميراث السماوات والأرض﴾^(٤)، بل الآية تخص حدث في الحياة الدنيا سابق ليوم القيامة، وان هذه (الوراثة) هي نفسها التي تتحدث عنها آية أخرى بصورة واضحة جداً، قوله تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض ننبؤاً من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين﴾^(٥)، وهي واضحة الدلالة كون هذه الوراثة أرضية وفيها (جنة) ومربوطة (بالوعد الالهي) ، إذأً فما علينا إلا أن نتابع هذه المجموعة (الصالحون) قرآناً لمعرفة مدى انطباق تفاصيل هذا الموضوع على أحداث الرجعة.

(١) الانبياء/١٠٥

(٢) آل عمران/٨١

(٣) الايقاظ من الهجعة/ الحر العاملي.

(٤) آل عمران/١٨٠

(٥) الزمر/٧٤

أرتبط موضوع (الصلاح) قرآنياً بعدة محاور منها (وراثة الأرض) و (الجنة) و (الأنبياء) و (الصديقين) و (الشهداء) و (الرحمة) و (الآخرة) وغيرها، وهي في أغلب مواردنا تخص مراتب ودرجات خاصة بالمستقبل، فهي أمنية الأنبياء والمرسلين والتي تكشف لنا حتمية رجوعهم في آخر الزمان لارتباطهم بهذا الموضوع المستقبلي واليك بعض الشواهد.

١- قال تعالى ﴿ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾^(١)، لاحظ أن اصطفاة ابراهيم ﷺ في الدنيا، أما مرتبة الصلاح فهي مرتبطة بالآخرة لأنه قطعاً من (الوارثين) وهذه الوراثة دنيوية أرضية كما حددتها آية (الأنبياء/١٠٥)، وهذا المعنى يؤكد قوله تعالى ﴿أن إبراهيم كان أمةً قانتاً لله حنيفاً ولم يك من المشركين. شاكراً لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم. وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين﴾^(٢)، وكذلك قوله تعالى ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب وجعلنا في ذريته النبوة والكتاب وآتيناه أجره في الدنيا وانه في الآخرة من الصالحين﴾^(٣)، وبامكانك أن تلاحظ أن الآيات الثلاث أعلاه كلها مشتركة بمركب لغوي واحد وهو ﴿وانه في الآخرة من الصالحين﴾، وهناك مورد آخر خاص بابراهيم ﷺ أيضاً وهو قوله تعالى ﴿رب هب لي حكماً وألحقني بالصالحين﴾^(٤)، بل أن هذا الأمر شمل حتى ذرية ابراهيم ﷺ، قوله تعالى ﴿ووهبنا له إسحاق ويعقوب نافلة وكلا جعلنا صالحين﴾^(٥)، وقوله تعالى ﴿رب هب لي من الصالحين فبشرناه بغلام حلیم﴾^(٦)، والمقصود هنا بالغلام الحلیم إسماعيل ﷺ .

٢- قال تعالى ﴿كانتا تحت عبيدين من عبادنا صالحين﴾^(٧)، وهو مورد لوصف أحوال (نوح ولوط) عليهما السلام.

(١) البقرة/١٣٠

(٢) الحل/١٢٠ ١٢٢

(٣) العنكبوت/٧٢

(٤) الشعراء/٨٢

(٥) الانبياء/٧٢

(٦) الصافات/١٠٠

(٧) التحريم/٦٦

الآية السابعة

٣- قال تعالى ﴿وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا أَنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١)، وهو مورد خاص بلوط ﷺ .

٤- قال تعالى ﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٢)، وهو مورد خاص بيحيي ﷺ .

٥- قال تعالى ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣)، وهو مورد خاص بعيسى ﷺ^(٤).

٦- قال تعالى ﴿أَنْتَ وَلِيٌّ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تُوَفِّيهِمْ مَسَلْمًا وَأُحْقِنِي بِالصَّالِحِينَ﴾^(٥)، وهو مورد خاص بيوسف ﷺ .

٧- قال تعالى ﴿وَأَدْخَلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٦)، والمورد خاص بسليمان ﷺ .

٨- قال تعالى ﴿فَاجْتَبَاهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٧)، وهو مورد يونس ﷺ .

٩- وهناك عدة موارد لجانعة للأنبياء ﷺ.

قال تعالى ﴿فَأَوْثَقْنَاكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾^(٨)، وهو مورد جامع لمراتب راقية من صفوة عباد الله، وقوله ﴿وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِيلَاسَ كُلِّ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(٩)، وقوله ﴿وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلِّ مِنَ الصَّابِرِينَ. وَادْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا أَنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾^(١٠).

١٠- وقد شملت هذه المرتبة (الصالحين) مجاميع من الأديان الأخرى غير الأنبياء وهم (أهل الكتاب)، قوله تعالى ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ

(١) الانبياء/٧٥

(٢) آل عمران/٣٩

(٣) آل عمران/٤٦

(٤) وقد ورد في تفسير شبر (ص/٩٠) انه قيل رفعه شاباً فالمراد كهلاً بعد نزوله في الرجعة) .

(٥) يوسف/١٠١

(٦) النمل/١٩

(٧) القلم/٥٠

(٨) النساء/١٦٩

(٩) الانعام/٨٥

(١٠) الانبياء/٨٥/٨٦

يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون. يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين ﴿١﴾.

١١- فيما تجرد مجاميع أخرى اندرجت تحت عنوان (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) كما في قوله تعالى ﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلنهم في الصالحين﴾^(٢)، وهذا المركب (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) له عدة ارتباطات مع جملة من المواضيع المستقبلية والتي تتفق مع مواضيع (الصالحين) ، ومنها (الجنة استيفاء الأجر المغفرة الأجر العظيم الاستخلاف) ، ومنها مورد واضح جداً وهو مورد (الاستخلاف) ، قوله تعالى ﴿وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض﴾^(٣) ، وموضوع الاستخلاف مربوط بالوعد والأرض وهي نفس مواضيع (الوراثة) .

وعليه فإن مواضيع (الوعد) (الاستخلاف) (الوراثة) مرتبطة بمجموعتين، الأولى هم (الصالحون) ، والثانية (الذين يعملون الصالحات) ، وهاتين المجموعتين يشملهم عنوان (من محض الإيمان محضاً) ، وبالتالي فهي تؤكد موضوع رجعتهم لأن موضوع الرجعة موضوع (أرضي) .

(١) ال عمران/ ١١٣ ١١٤

(٢) العنكبوت/ ٩

(٣) النور/ ٥٥

الفصل التاسع

المعاد والرجعة عند الشيخ الاحسائي^(١)

(١) هو الشيخ أحمد بن زين الدين الاحسائي من مشاهير علماء الإمامية وكبار الفلاسفة والحكميين (١١٦٦ ١٢٤١ هجري).

المعاد والرجعة عند الشيخ الاحسائي

اعتقد أن شرح المنظومة الفكرية والحكّمية للشيخ الاحسائي عن المعاد والرجعة أمر مهم ومكمل لهذا البحث، لانه ناقش موضوع الرجعة من جملة شؤونات المعاد، فجاءت طريقته في شرح المعاد بطرائق واستدلالات تختلف عما هو شائع عند أهل البحث العقائدي فيمن سبقه وفيمن عاصره ولا يشترك معه في تبني أفكاره حول المعاد والرجعة ألا تلامذته الذين تخرجوا من مدرسته الحكّمية وعلى الأخص تلميذه النجيب السيد كاظم الرشتي⁽¹⁾.

وقد ناقشنا موضوع الرجعة في هذا البحث كونه حشر أصغر أو معاد أصغر قبل الحشر والمعاد الأكبر، فوجدنا من المفيد جداً أن نستعرض ونثقف على منظومة الشيخ الاحسائي الفكرية والحكّمية التي تناول فيها موضوع المعاد والرجعة، لان الملفت للانتباه انه لا يفصل بين الرجعة والمعاد، بل الموضوعان عنده يجريان بالاتجاه نفسه وعلى الوتيرة نفسها، وهو مما لا نجده عند كل من كتب في موضوع المعاد من علماء الإمامية بصورة عامة، ولا بد قبل الشروع بالكلام عن منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة من مقدمة بسيطة حول موضوع المعاد عموماً.

المعاد عند المسلمين:

المعاد من الأصول الاعتقادية عند فرق المسلمين، ويناقشون فيه عودة الأرواح إلى الاجسام يوم القيامة والخروج من القبور والحشر والحساب والجزاء لكل الخلائق أمام الله سبحانه وتعالى، والموضوع عندهم من المسائل الفلسفية ويتطرقون إلى جملة من المواضيع المرتبطة به مثل الروح والنفس والخلود والوجود والكيفيات والغايات وإعادة الاجسام والعلل وكيفية الحشر والنشر وغيرها الكثير من المواضيع ذات الصلة. وفكرة المعاد فكرة أصيلة في تاريخ الديانات بل في تاريخ البشرية من أول ظهورها،

(1) ربما لاحظ القارئ الكريم أننا في هذا البحث استشهدنا في أكثر من مورد بكلام الشيخ الاحسائي والسيد كاظم الرشتي والسبب في ذلك إننا لم نجد في كلام العلماء عبر الزمن كلام حول الرجعة على مستوى التحليل والمتابعة كما وجدناه عند الشيخ الاحسائي والسيد الرشتي، إذ اقتصر أغلب كلام العلماء عن الرجعة أما بذكر متون الأحاديث فقط، أو بتقريرات مقتضبة كونها حق نطق بها القرآن والأحاديث وأنها من مكملات الإيمان، وذلك لأنهم لم يدرجوا موضوع الرجعة من ضمن شؤونات المعاد كمل فعل الاحسائي والرشتي.

فهي قاسم مشترك بين كل الديانات, وهي متعلقة بأول الأسئلة التي سألها الإنسان لنفسه عن كيف نموت ولماذا نموت وكيف نبعث وما هو مصير الإنسان بعد الموت, فهذه الأسئلة كانت الشغل الشاغل لكل الفلاسفة والمفكرين والمتدينين والعلماء بمختلف انتماءاتهم على مر التاريخ, وبما أن أمزجة الناس مختلفة فكان لكل فئة تصور معين لهذه الأمور الكبيرة والحساسة في الفكر الإنساني فتشابهت من جهة واختلفت من جهات, فمنهم من أنكر المعاد أصلاً, ومنهم من أثبت المعاد الروحاني فقط, ومنهم من أثبت الروحاني والجسماني, واختلفوا بطرق الاستدلال وطريقة البرهان.

ويعتقد الشيعة الإمامية كما هو حال كل المسلمين أن الله عز وجل يُعيد الخلائق ويُحييهم بعد الموت بشكل جماعي يوم القيامة للحساب والجزاء, فأما إلى الجنة وأما إلى النار, وان الذي يُعاد هو الشخص (بذاته) روحه وجسده أي نفسه الذي عاش في الدنيا.

وفي موضوع المعاد أثرت عدة شُبُهات ونشأت عدة أسئلة شكَّلت عقبات كبيرة في فهم هذا الموضوع العقائدي ناقشها الفلاسفة والمتكلمون والعلماء بطرق عديدة, مثل شبهة الأكل والمأكل, وشبهة إعادة المعدوم, وكيفية عودة هذه الاجساد بعد الموت وماهيتها, لكن المسلمين أجمعوا أن المعاد دعامة من دعائم الإسلام الثلاث كما يقسمونها (التوحيد النبوة المعاد) وضرورة من ضروريات الإسلام, وعدوا من لا يؤمن به ليس مسلماً, وقد أقر أغلب العلماء أن المعاد جسماني وروحاني.

والمتابع سيجد ان المناهج الفلسفية عند عموم الفلاسفة المسلمين اختلفت في النظر لشؤون المعاد حسب المنهج الفلسفي الذي اعتمدت عليه كل مجموعة وهي كما ارى ثلاث مجاميع.

الأولى: جيل الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين الشريعة والفلسفة.

الثاني: جيل الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين الشريعة والتصوف والعرفان.

الثالث: جيل الفلاسفة الذين حاولوا التوفيق بين الشريعة والفلسفة والحكمة.

ومما لا شك فيه ان الاحسائي وعموم فلاسفة المدرسة الشيخية هم من اصحاب الطريقة الثالثة فجاءت ارائهم مخالفة لمن سبقهم بسبب اختلاف المنهج المتبع في

فهم العقيدة.

والكلام في حيثيات المعاد كثيرة ومطولة ولا يمكن اختصارها في هذه المقدمة البسيطة ومن أراد المزيد فليراجع كتب الأصول والعقائد وهي من الكثرة بمكان.

مقدمة حول أفكار الإحسائي واعتراضات معاصريه:

لقد أثير جدل كبير بل صراع بين الاحسائي وعلماء عصره حول أفكاره في المعاد والرجعة، لأن الشيخ الاحسائي تناول الموضوع بطرق واستدلالات جديدة على أبناء عصره جعلهم بعد نقاش طويل يتهمونه بإنكار المعاد الجسماني.

ولكن العارف بأحوال الاحسائي وحياته العلمية، يجد أن السنين الطويلة التي قضاها في قراءة وتتبع الأحاديث وتأملها أنتجت لديه ذوق خاص في فهم الأحاديث ومعانيها، الأمر الذي انعكس بالتالي على البناء الفكري للاحسائي بشكل طبيعي، فكانت له ذائقة خاصة في فهم مطالب الشريعة بشكل عام والمعاد والرجعة بشكل خاص، وجاهد الشيخ الأحسائي من خلال التمسك بأحاديث آل محمد عليهم السلام بإعادة النظر بالكثير من المواضيع وفتح الأبواب التي نسيها فقهاء الشيعة.

ولكن والحق يُقال لو أننا توخينا الدقة في متابعة وفهم كلام الاحسائي نجد انه أثبت المعاد الروحاني والجسماني كما يعتقد عامة المسلمين، لكنه كما قلنا اختلف عنهم بطريقة الاستدلال، فلم يفهمه معاصريه علماً أنهم من العلماء والفقهاء ويعرفون أسلوب الاصطلاح الشائع في الكلام في مثل هذه الأمور العقائدية، ولا نريد هنا أن نطيل الكلام في بدايات وأصل المشكلة بين الفريقين، إلا أننا نفهم من خلال متابعة الموضوع تاريخياً أنه كان صراعاً علمياً في الظاهر وشخصياً في الباطن حاول فيه خصوم الاحسائي تسقيطه بطرق شتى لنبوغه الواضح وتفوقه عليهم علمياً، ويبدو أن كره الآخرين ضريبة يدفعها دائماً أصحاب العقول والأفكار الكبيرة^(١).

(١) يقول الفيلسوف الفرنسي هنري كوربان: (فان أساتذة الشيخية قد أفضوا إلى تطوير نقاط اعتقادية لا تفهم إلا من خلفيات لها أهلية خاصة للميتافيزيقيا والحكمة الالهية، ولذا واجهوا في آن معا الحاسدين الذين قرأوا دون أن يفهموا وأتباعاً أو متحمسين جائرين بل قساة لأنهم لم يفهموا كفاية) مشاهدات روحية وفلسفية للإسلام في الإطار الإيراني/ الكتاب السابع / الإمام الثاني عشر / ص ٤١ / ترجمة وتحقيق وتقديم نواف محمود الموسوي.

وإذ نذكر هنا بعض حيثيات هذا الصراع لان موضوع الرجعة عانى من نفس الأمر، فهناك على ما يبدو أعداء تقليديين لكل من يتحدث عن موضوع الرجعة ولا أحد يتبنى ويبحث في موضوع الرجعة ويخرج سالماً لان أعداء الرجعة هم (حقل ألغام) لا يمكن اجتيازُهُ بسهولة.

وفي رأيي أن علماء عصر الاحسائي لم ينظروا إلى نتاجه الفكري في موضوع المعاد والرجعة من باب الصح والخطأ ولا من باب حجم الاجابات التي تحملها أفكاره حول هذه المواضيع الكبيرة، بل حاولوا أن يخطئوه بأي شكل من الأشكال، علماً أن موضوع المعاد عندهم من الأمور العويصة وكتبهم حوله مليئة بالتناقضات بل بالتخبطات، وكان الأولى بهم أن يلتفتوا إلى حجم هذه التناقضات في كلمات علمائهم قبل الاستشكال على الاحسائي، فهم تعاملوا معه من باب (رمتني بدائها وأنسلت) فتم التعامل مع أفكار الاحسائي بطريقة ركزوا فيها على بعض العبارات التي من الممكن أن تصرف إلى وجوه فقلبوها رأساً على عقب.

عموماً لا نريد ان نطيل الكلام حول هذا الموضوع من جانبه التاريخي والشخصي، لكننا هنا نشير إلى بعض أسباب ونتائج هذا الصراع لأنه أنتهى إلى نتيجة خطيرة على المستوى العقائدي كما نفهم، وهي إهمال موضوع الرجعة كلياً في المبحث العقائدي لعلماء ما بعد الاحسائي.

ومن هذه الأسباب التالي:

١- أن معظم معاصري الاحسائي ينطبق عليه معنى (الفقيه) فهم علماء بالحلال والحرام ومدار علمهم يدور على النحو والصرف واللغة والمنطق والكلام، وهي علوم لا يمكن التعويل عليها في فهم الأمور الحكمية، وليس لهم باع في المجال الفلسفي الذي برع فيه الاحسائي، فلم يكونوا نداءً كفواً له في هذا العلم، فما بالك إذا عرفت أن بعض متعلقات المعاد والرجعة متعلقة بالجانب الحكمي^(١) الذي هو جانب

(١) نقصد بالجانب الحكمي هو الذوق الحاصل من كثرة البحث والتأمل بأحوال الموجودات مما يجعل صاحبها يمتلك دليل مشعر القلب بالكشف والإلهام وهو علم يقع في القلب نتيجة إرتقاء الإنسان، أو كما عبر عنه رسول الله ﷺ (العلم نور يقذفه الله في قلب من يشاء)، وهي كما يقول امير المؤمنين ﷺ (ليس العلم في السماء فينزل أليكم ولا في الأرض فيخرج أليكم، لكنه فيكم تخلقوا بأخلاق الروحانيين يظهر لكم). (نقلت الحديث بالمعنى).
ومن الملاحظ أن مدرسة الاحسائي قد اعتمدت الأسلوب الحكمي لأنها تعتقد ان آل محمد نطقوا

المعاد والرجعة عند الشيخ الاحسائي

معدوم كلياً عند خصوم الاحسائي.

٢- منظومة المعاد والرجعة عند الشيخ الاحسائي اعتمدت كلياً على استخراج بواطن دفيئة لأحاديث آل محمد ﷺ ، فلم تكن منطلقات الشيخ الاحسائي معتمدة على القواعد الفلسفية والكلامية المعتمدة المقررة سلفاً من قبل معاصريه.

٣- موضوع المعاد من المواضيع المتنازع عليها من جهة الاستدلال العقلي والكلامي فهم يُصرّحون بأن الكثير من شؤون المعاد لم تثبت بالدليل العقلي وأكتفوا بدليل القرآن وخبر النبوة، مما دفع جملة من علماء الإسلام إلى إنكار المعاد الجسماني، ولا أدري لماذا لا تُثار مثل هذه الزوبعة على من أنكر المعاد الجسماني كما أثّرت على الاحسائي وهو القائل بالمعاد الروحاني والجسماني، ولعلمهم كانوا خائفين من أن تكون أفكار الاحسائي غير منسجمة مع ظواهر الشريعة وهذا المعنى أيضاً تجده واضحاً في العداء التقليدي بين الفقهاء الاصوليين وأصحاب المسلك العرفاني.

ويعتقد الاحسائي ان هذا الخلل في عدم إمكانية الاستدلال العقلي منشأه هو الابتعاد عن مرويات آل محمد ﷺ في فهم حيثيات المعاد، وهو يستدل على إمكانية المعاد الجسماني عقلاً بقوله (كما أن العقول والأرواح والنفوس تُعاد للجزاء لأنها كُلفت وأطاعت أو عصت، كذلك الاجسام هي مكلفة فأطاعت أو عصت فيجب حشرها) ، ويقول (العلة الموجبة لإعادة الأرواح جارية في الاجسام) ، ويقول (الدليل العقلي الدال على إعادة الأرواح بعينه دال على إعادة الاجسام، وأنما يقول الذين بحثوا في هذه المسألة بذلك وقالوا بأن العقل ليس فيه ما يدل على إعادة الاجسام وأنما دل عليه الكتاب والسنة لأنهم لا يعرفون الكتاب والسنة) (١).

٤- الاحسائي ناقش المعاد بطريقة جديدة على الوسط الديني من خلال فهمه لطبيعة العوالم وتسلسلها، فهو عاجل موضوع المعاد من خلال نظرة كلية لسير الموجودات من المبدأ إلى المعاد، فالفكرة الكبيرة في شرح الاحسائي انه لم يتعامل مع المعاد كونه نقطة نهاية تصل إليها الخلائق وسير الموجودات، بل هو عنده مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمبدأ ومراحل سير الموجودات خلال العوالم باعتبار الكون

بالحكمة فكان أسلوبها أسلوب الفهم والتفهم على خلاف المنهج الفلسفي الذي يعتمد على أسلوب الجدل والاستدلال.

(١) الاحسائي/ جوامع الكلم/ ج ٨ / ص ١٢ ١٣

ما هو إلا ازدحام مكتض من الموت والحياة، لذلك فهو يؤسس لهذه الفكرة من خلال تبنيه لموضوع (الجسمين والجسدين)، مما جعل موضوع المعاد يدخل عنده من بداية العوالم العلوية مروراً بعالم الدنيا ثم الرجعة ثم الحشر النهائي، وهي فكرة كما هو واضح لم يستوعبها معاصريه، وعلى هذا الأساس فمن اعتقد أن الرجعة من جزئيات المعاد فهو واهم لأن المعاد والرجعة يتمم أحدهما الآخر، فما الرجعة إلا معاد مصغر.

إن منظومة الاحسائي الفكرية تقول لنا كيف يمكن أن نتصور معاد الإنسان ونحن لا نعرف كيف بدأ، وكيف نفهم عملية انتقاله بين العوالم ونحن لا نعرف خصائص وتسلسل هذه العوالم، فالمعاد والمبدأ عند الاحسائي يستند على ركيزتين هما طبيعة عوالم الوجود وحركة الإنسان خلالها، والتركيبية الجسدية والنفسية والروحية للإنسان أي طبيعة الإنسان وطبيعة العوالم التي سيمر بها.

فطريقة الاحسائي تذكرنا بأمر كلنا نعرفه ولكننا ننساه دائماً وهو أننا إذا أردنا ان نعرف المستقبل فلا بد ان نعرف الماضي أولاً، فلا يمكن أن تكون صورة المعاد واضحة إلا إذا عرفنا المبدأ.

٥- هذه الطريقة الكلية التي تعامل معها الاحسائي لموضوع المعاد جعلته يستخدم ألفاظ واصطلاحات لا يألفها الوسط الديني، لان هذه الألفاظ والاصطلاحات ناتج طبيعي لطريقته بالتفكير والاستدلال، فكل موضوع جديد يحتاج إلى اصطلاحات تعبر عنه ومن هذه الألفاظ (هورقليا الجسدين الجسمين محذب الجهات فلك الأطلس.....)^(١).

٦- موضوع المعاد عند الاحسائي مرتبط بجملة من العلوم الطبيعية الدقيقة التي تكلم عنها الشيخ الاحسائي في جملة من مؤلفاته بشيء من التفصيل، وبما أن معاصريه أيضاً ليس لهم إلمام واسع في هذه العلوم فلم يفهموا ما قاله.

٧- من جملة أسباب عدم فهم موضوع المعاد والرجعة عند بعض الناس الذين قرؤوا للاحسائي هو أن الموضوع كُتب على هيئة رسائل متفرقة في عدة عناوين ولم يُجمع

(١) لقد أشتهر بين العلماء عبارة (لا مشاحة في الاصطلاح) ويعنون بها أن كل أحد له الحق أن يصيغ اصطلاحات خاصة به لإيصال معنى كلامه وموضوعه الذي يعمل عليه فليس للكلام مجرى واحد والبيان لا ينحصر بصورة واحدة.

المعاد والرجعة عند الشيخ الاحسائي

في كتاب واحد، وهذا هو أسلوب الاحسائي في الكتابة، لان كل مؤلفاته عبارة عن أجوبة للمسائل التي ترد عليه، فإذا أردت أن تعرف مُراد الاحسائي بشكل إجمالي يجب أن تجمع كل ما كتبه لتعرف فحوى كلامه على العموم، لان هناك بعض الأمور المهمة في رسالة معينة تجد لها جواب في رسالة أخرى، ولا أعتقد أن هذا المعنى كان غائباً عن بال معاصريه من العلماء، لكن الصراع حول هذه الأفكار كان شخصياً كما ذكرت لذلك تم طرح أفكار الاحسائي أمام الناس من قبل خصومه بهيئة (البدعة) ، وهذه الحالة تجدها واضحة على مر التاريخ كونها مرافقة لكل فكرة تسبق مستوى عصرها.

٨- اعتقد أن أهم الأسباب التي جعلت معاصري الاحسائي ينكرون عليه أفكاره هو تبنيه لموضوع الرجعة، لان الاحسائي قد أدخل هذا الموضوع كجزء أساس في ترتيب سلسلة حيثيات المعاد من خلال فكرة (الجسدين والجسمين) ، فإذا كانت حيثيات المعاد عند علماء عصر الاحسائي متنازع عليها والموضوع بمجمله لا يخلو من التناقضات وهو عندهم لم يثبت بالدليل العقلي، فما بالك إذا أضفت موضوع الرجعة إليه وهو موضوع تعاملوا معه بحرجة واضحة، لذلك كانت فكرة الاحسائي عموماً متناسقة بإدخال موضوع الرجعة للمعاد، فمن خلاله تستقيم فكرة تسلسل العوالم الطولية صعوداً إلى المبدأ، مما جعل منظومة الاحسائي تحتوي على (الآيات والأحاديث والفلسفة والطبيعات والحكميات) ، فخرجت منه مادة علمية مركزة فأستوحش الذوق (الفقهي) من هذا الذوق (العلمي)، لان الكثير من شؤون المعاد عند علماء ما قبل الاحسائي ومعاصريه قد تركوها (في سنبله)، لذلك تلاحظ أن جملة العلماء من المدرسة الاصولية عند كلامهم عن المعاد أخرجوا الرجعة من مادتهم الفكرية^(١).

(١) يقول الفيلسوف الفرنسي الدكتور هنري كوربان: (تري المدرسة الشيخية في ضوء علمها الخاص بالكيان البشري أن للإنسان أربعة أجسام، فهي تختلف في نظرتها وتصورها للجسم المثالي عن كل الفلاسفة والحكماء الظاهريين الذين تمسكوا بظاهر الألفاظ، فإذا قال أحد أو أقر أن أصول معتقدات الشيخ أحمد في موضوع المعاد الجسماني تتفق مع عقيدة الملا صدرا الشيرازي (كما قال البرغاني) فمعنى ذلك أنه لم يفهم كتب الشيخ أحمد ولا مواضع الملا صدرا). ويقول: (أما بالنسبة إلى البرغاني فقد تصور ان المعاد الجسماني على النحو الذي فهمه الشيخ أحمد يتساوى مع إنكار المعاد الجسماني وكان معذوراً في تصوره في ذلك فصياغته وطبيعته ليست من النمط المؤهل لاستيعاب المسائل المعنوية وهنا ننوه إلى أنه من الافضل بالنسبة لمن لا يملكون القدرة على فهم حكمة محمد وآل محمد ان لا يخوضوا في هذا المجال) .

والمتابع للنتاجات الفكرية المتعلقة بالمعاد خصوصاً عند علماء المدرسة الاصولية ممن جاء بعد الاحسائي يجدهم يتناولون الموضوع بأدوات فلسفية وعقلية، أما الاحسائي فقد أعتمد على منظومة أحاديث آل البيت عليهم السلام بشكل رئيس، فطرح كل شيء مخالف لكلامهم عليهم السلام، فلا تجد عنده فكرة أو رأي إلا ولها ما يؤيدها من كلام آل محمد عليهم السلام، فيما تجد كتب الآخرين مشحونة بآراء الفلاسفة والمنطقيات والعقليات، فخصوم الاحسائي ينظرون للشريعة وفق هذه الأدوات فقط وأهملوا الجانب الروحي والوجداني والعلمي المتعلق بالغايات والنتائج.

وقد أدى الاختلاف في سبل المعرفة بين الاحسائي وفقهاء عصره إلى نتيجة خطيرة تبناها أغلب فقهاء الشيعة لما بعد فترة الاحسائي، وهي تصلهم الواضح من المسؤولية البحثية لموضوعي (الرجعة والتأويل) في مشهد مأساوي من تاريخ الفكر الشيعي.

كلمة لآبنا منها:

هنا أمر لا بد من أن اذكره ابتداءً وفي الوقت نفسه تبرئةً للذمة وهو: ان كلام الشيخ الاحسائي في المعاد والرجعة جاء متناثراً على شكل رسائل متفرقة وتمت الإجابة في هذه الرسائل حسب نوع السؤال، هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار أن للاحسائي أسلوبه الخاص بالكتابة وهو أسلوب العبارة والإشارة والتصريح والتلميح، لأنه أسلوب الكلام في الحكميات، فلا بد للباحث المُنصف أن يجمع كل ما قاله الاحسائي حول الموضوع ليخرج بتصوير كلي، وبما أن للاحسائي كلام طويل في هذه المواضيع لا يمكن أن نردها هنا بنصها، لذلك أرجوا من القارئ الكريم أن يعلم أنني قد شرحت أحوال المعاد والرجعة عند الاحسائي (حسب ما فهمته من كلامه)، إذ لربما عندما يقرأ أحد القراء نصوص الاحسائي في مؤلفاته يخرج بتصوير أكثر نضجاً وأكثر عمقاً مما كتبتُه هنا.

فأنا لا أطرح نفسي هنا كمدافع عن الاحسائي، بل أقول ما فهمته من كلامه،

ويقول: (ومن المؤسف أن خصوم الشيخ كانوا عاجزين عن الارتفاع بمستواهم الفكري إلى الحد الذي يتيح لهم استيعاب مثل هذه المواضيع والبحث فيها، وعلى الرغم من كل هذه الحوادث فقد نفخت المدرسة الشيعية حياة جديدة في مسائل المعاد). نظرة فيلسوف في سيرة الشيخ الاحسائي/ ص ٨٤ ٨٥ ٨٦ / ترجمة خليل زامل.

المعاد والرجعة عند الشيخ الاحسائي

ولأجله فأني أُحيل القارئ الكريم إلى مواطن المتنون في كتب الاحسائي التي ورد فيها كلامه عن أحوال المعاد والرجعة، وهي موجودة بكليتها في كتاب (جوامع الكلم) وكالآتي:

(ج/٤ ص ٤٥٩ ٤٦٠ ٤٦١ ٤٦٢) (ج/٥ ص ٢) (ج/٥ ص ١٢٩ ١٣٠ ١٣١)
(١٣٢) (ج/٥ ص ٥١٣ ٥١٢ ٥١٣) (ج/٥ ص ٥٦٠ ٥٦٤) (ج/٥ ص ٥٢٦)
(ج/٨ ص ٦٥٩) (ج/٩ ص ٥٥٩) وكذلك (الزيارة الجامعة/ج ٤ فقرة أجسادكم في الأجساد) .

شرح منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة

يعتقد الاحسائي أن أصل الاشتباه عند المتكلمين حول شبهة الأكل والمأكل (وربما كل أحوال المعاد) هو أنهم لم يفرّقوا بين العوالم وأحوالها^(١)، ولو أنهم فرّقوا بين عالم الدنيا وعالم البرزخ وعالم الآخرة لما حصل عندهم الاشتباه، وهذه النقطة هي المدخل الحقيقي لفهم كلام الاحسائي حول حيثيات المعاد لاسيما قوله: (أن للإنسان جسدين وجسمين) ، فهو يعتقد كما يعتقد جملة من الفلاسفة أن الأشياء ومن ضمنها الإنسان نزلت بحقائقها من خزائنها في العوالم العلوية، وكلما نزلت رتبة لحقتها أعراض تلك الرتبة، وبالنتيجة فالإنسان في عالم الملكوت قد لحقت به أعراض عالم الملكوت، وعند نزوله من عالم الملكوت إلى عالم الملك (الكثافة الدنيا) لحقت به أعراض عالم المادة الكثيفة، وبعد موت الإنسان تبدأ رحلة صعوده إلى المبدأ فتزول عنه تلك الأعراض التي لحقت به كلما ارتقى درجة في عوالم قوس الصعود.

فالإنسان في عالم الدنيا لحقته الأعراض البشرية العنصرية عناصر عالم المادة الكثيفة، وبها كان محسوساً بالحواس الظاهرة، لذلك فأنت في عالمنا عالم الكثافة ترى الإنسان ولا ترى روحه، فإذا مات زال عنه هذا الجسد العنصري وتحررت روحه إلى عالم أعلى من عالم المادة مجانس لها ولطبيعتها وهو عالم البرزخ، وهكذا في كل عالم صعوداً.

وهو يضرب مثل لتوضيح الفرق بين خصائص العوالم وهو أنك إذا ضربت زيد بالسيف فإنه ينقطع لان زيد له جسم عنصري كثيف يتأثر بالسيف الكثيف مثله،

(١) يعتقد الفلاسفة والعرفاء والحكميون أن الكون فيه ثلاثة عوالم كلية وهي: (عالم الجبروت عالم الملكوت عالم الملك) ، والموجودات تتحرك في هذه العوالم نزولاً وصعوداً، وهو المصطلح عليه عندهم بقوس النزول وقوس الصعود، ولكل عالم خصائصه ومميزاته، ويعتقدون أن كل عالم أسفل رشح من العالم الذي أعلى منه، فعالم الملكوت رشح من عالم الجبروت وعالم الملك رشح من عالم الملكوت، وعالم الملك هو آخر عالم في سلسلة الطول وهو أدناها رشحاً لأنه عالم المادة الكثيف، وان الإنسان قد تحرك من البداية من تلك العوالم العلوية نزولاً إلى ان وصل إلى عالم الملك ثم بعدها يترك عالم الملك عند الموت ويتحرك صعوداً باتجاه المبدأ.

لكن روح زيد الكامنة فيه لا تنقطع لأنها ليست من جنس مادة هذا العالم. لهذا السبب الرئيس كان للاحسائي تصور للمعاد والرجعة حسب أحوال هذه العوالم، وهو على هذا الأساس يقول أن للإنسان (جسدين وجسمين) تداخلت عند نزول حقيقة الإنسان من العوالم العلوية فاجتمعت كلها في عالم الدنيا داخل هذا الإنسان، وستظهر تباعاً بعد موت الإنسان وصعوده إلى العوالم العلوية إلى أن يصل غايته بالدخول إلى الجنة أو النار النهائية، أي إلى أن يصل إلى الخلود، واليك مُلخص اعتقاد الاحسائي (كما فهمته) من كلامه.

الجسد الأول:

وهو هذا الجسد البيولوجي الدموي اللحمي المؤلف الذي عليه نحن الآن في عالم (المادة الكثيفة الدنيا) والمتكون من إنعقاد النطفة في رحم الأم والذي يكبر بالتغذية من عالم الطبيعة، وهذا (الجسد الأول) بعد الموت يدخل إلى القبر ويتحلل إلى عناصر الطبيعة بالإنحلال التدريجي عبر الزمن.

عن الامام الصادق عليه السلام قال (مثل روح المؤمن وبدنه كجوهرة في صندوق اذا اخرجت الجوهرة طرح الصندوق ولم يعبأ به) ^(١)، وعبارة (لم يعبأ به) دالة بشكل واضح على انتهاء دوره فيتحلل ويعود للنظام الطبيعي، وقال عليه السلام في حديث اخر (والبدن يصير تراباً كما منه خلق).

وبعد التحلل تدخل أجزاءه في الأنظمة الطبيعية، فيعود الماء إلى الماء والتراب إلى التراب والهواء إلى الهواء والنار إلى النار، وعودة هذه العناصر إلى نظام الطبيعة عودة (ممازجة) لا عودة (مجاورة) كما عبر عنها الإمام علي عليه السلام بقوله (فإذا فارقت عادت إلى ما منه بُدئت عود ممازجة لا عود مجاورة فتتعدم صورها ويبطل فعلها ووجودها ويضمحل تركيبها) ^(٢)، ونقصد بعود (الممازجة) أن عنصر الماء مثلاً الداخل في تركيب الإنسان بعد الموت يعود لعنصر الماء الطبيعي كما تعود قطرة الماء إلى البحر فتمتزج به، وهكذا كل عناصر الإنسان تذوب في النظام الطبيعي

(١) مستدرك سفينة البحار/ الشيخ علي النهمازي الشاهرودي/ ج٤/ ص٢٣٤

(٢) شرح الأربعين/ القيمى ص ٢٨٥.

شرح منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة

وتمتزج معه^(١).

وهذا (الجسد الأول) لا يعود ولا حساب عليه ولا عقاب ولا نعيم ولا ثواب ولا شعور، وأما هو بمنزلة ثوب لبسته في عالم المادة متكون من أعراضها، فإذا جاء الموت نزعتُه وتركتُه في عالم المادة وتذهب حقيقة الإنسان إلى عالم أعلى بثوب جديد من جنس ذلك العالم.

الجسد الثاني:

عند موت الإنسان وتحلل (جسده الأول) إلى عناصر الطبيعة يبقى منه جزء صغير لا يتحلل في القبر مستدير متغيماً في الأرض (كسحالة الذهب في دكان الصائغ) وهذا الجزء تسميه الأحاديث (الطينة).

عن عمار بن موسى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سُئِلَ عن الميت يُبلى جسده؟ قال: (نعم حتى لا يبقى له لحم ولا عظم إلا طينته التي خُلِقَ منها فأُفكها لا تُبلى تبقى في القبر مستديرة حتى يُخلق منها كما خُلِقَ أول مرة)^(٢)، وهذه الطينة ليست من مادة هذا العالم (الكثيف الدنيا)، وهي التي سيتم إعادة الانسان منها في الرجعة، ونزلت من عالم اخر (أما من عليين وأما من سجين) وهذا العالم يسميه الاحسائي (عالم هورقليا)، وهورقليا لفظة سريانية تعني (مُلك آخر)، والمراد به عالم برزخي يتوسط عالم الملكوت وعالم الملك أي يقع بينهما، ويقع هذا العالم عند الاحسائي في (الاقليم الثامن)، وهذا التوسط يجعله عالم برزخي يحمل شيء من

(١) أن شبهة الأكل والمأكول ظهرت من هذه النقطة بالذات لأنهم يعتقدون ان عناصر هذا الإنسان المادية التي تفرقت بعد الموت في الطبيعة لا يمكن جمعها للمرة الثانية عند البعث، لاعتقادهم ان هذا الجسد العنصري المادي هو الذي سيعود بنفس عوارضه فصعب عليهم تصور رجوع هذه الأجزاء لأنها تفرقت، فظهرت شبهة ثانية وهي شبهة إعادة المعدوم لأنهم على هذا الأساس تصوروا الموت عدم لاستحالة جمع الأجزاء.

وهذه الشبهات محلولة إذا نظرنا إليها من خلال حقيقة أن هذا الجسد المادي العنصري بعد الموت يتحلل ولا يعود لأنه من عوارض هذا العالم، وأنما الذي سيعود هو هيكل آخر يتناسب مع عالم الآخرة لأنه من مادة ذلك العالم الذي لا يشابه عالم المادة، فعليه فان المعرفة بأحوال العوالم تحل لنا هذه الشبهات، لذلك لم يفهم البعض مراد الاحسائي من قوله ان هذا الجسد الأول لا يعود فقالوا انه لا يؤمن بالمعاد الجسماني، بل هو يقول كما سنشرح بان الذي يعود هو هيكل يتناسب مع عالم الآخرة.

(٢) الكافي / ج ٣ / ص ٢٥١: باب النوادر.

شرح منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة

صفات المادة وشيء من عالم المثال، ، فكانت هذه الطينة هي جسد الإنسان في ذلك العالم، فإذا مات الإنسان في عالم الدنيا تحللت أجزائه المادية ولم يبق منه إلا تلك الطينة التي لا تتفكك لأنها ليست من جنس هذا العالم فسمها الاحسائي (الجسد الثاني) .

وعند ورجوع الزمان البرزخي في الرجعة سيتم إعادة الإنسان منها لكن بهيكله جديدة تناسب وطبيعة العالم الذي سيخرج فيه، لأنه هذه المرة سيصاغ من مادة هذه الطينة البرزخية، وهذه (الطينة) هي نفسها (التراب) الذي تأتي به الملائكة وتمزجه مع نطفة الإنسان أول تكونه في رحم أمه.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (ان الله عز وجل خلق خلقاً خلاقاً خلاقين فإن أراد أن يخلق خلقاً أمرهم فأخذوا من التربة التي قال في كتابه ﴿منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارةً أخرى﴾، فعجن النطفة بتلك التربة التي يُخلق منها بعد أن أسكنها الرحم أربعين ليلة، فإذا تمت له أربعة أشهر قالوا: يا رب تخلق ماذا؟ فيأمرهم بما يريد من ذكر أو أنثى أبيض أو أسود، فإذا خرجت الروح من البدن خرجت هذه النطفة بعينها منه كائناً ما كان صغيراً أو كبيراً ذكراً أو أنثى فلذلك يغسل الميت غسل الجنابة) (١).

إذاً مادة هذا (الجسد الثاني) ليست من هذا العالم وهو الآن مُغيب داخل (الجسد الأول) أي قبل الموت، أما معنى (استدارته) فهي تعني أن أجزائه متسلسلة في الترتيب داخل القبر (الرأس ثم الرقبة ثم الصدر ثم الأرجل) ، وهذا (الجسد الثاني) إذا أكلته السباع أو الأسماك أو تقطعت أوصال الميت أو لم يكن له قبر، فهو في كل الأحوال باقى لأنه مادة عصبية على التفكك في ظروف العالم المادي وحتى في

(١) بحار الأنوار: ج٥٧/ص٣٣٧.

هناك شواهد قرآنية تؤكد دخول التراب في عملية الخلق. قوله تعالى ﴿قال لصاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذي خلقك من تراب ثم من نطفة ثم سواك رجلاً﴾، قوله تعالى ﴿يا أيها الناس ان كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مُضغة مُخلقة وغير مُخلقة﴾، قوله تعالى ﴿ومن آياته أن خلقكم من تراب ثم إذا انتم بشراً تنتشرون﴾، قوله تعالى: ﴿والله خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم جعلكم أزواجاً﴾، قوله تعالى: ﴿هو الذي خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم يخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ثم لتكونوا شيوخاً ومنكم من يتوفى من قبل ولتبلغوا أجلاً مسمى ولعلكم تعقلون﴾.

لاحظ ان النصوص القرآنية تفصل بين التراب والنطفة بأداة (ثم) التي تدل على تتابع العمليات، وإلا لو كان الإنسان يتكون من النطفة فقط فما فائدة وجود التراب.

شرح منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة

العوالم الأخرى، لأنه (مادة الإنسان الأصلية) ولا تجري عليه فعاليات الطبيعة مهما طال الزمن لأنها ليست من جنس مادة هذا العالم.

وهذه (الطينة) أو (الجسد الثاني) هي التي سيتم إنتاج الإنسان منها في الرجعة أو في القيامة بعد أن تتلحق هذه الطينة بماء نازل من السماء بمواصفات خاصة كما شرحنا.

الجسم الأول:

وهو المعبر عنه في الروايات هيكل كهيكل الدنيا فإذا رأته قلت هذا فلان.

عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن أرواح المؤمنين فقال: (في الجنة على صورة أبدانهم لو رأته لقلت فلان) ^(١).

وهذا (الجسم الأول) شكله وصورته وهيكلته مثل (الجسد الأول) بالضبط، أي لو رأته لقلت هذا فلان وهو كامن قبل الموت في (الجسد الأول العنصري) ، فإذا مات الإنسان تفككت أجزائه، والذي يدخل إلى القبر هو (الجسد الأول) ، وبعد تفككه تبقى منه الطينة (الجسد الثاني) ، أما (الجسم الأول) فيدخل إلى عالم مجانس له من نفس مادته وهو عالم البرزخ الذي يسميه الاحسائي (هورقليا) وهو في هذا العالم على ثلاثة أنواع.

النوع الأول: هم من محض الإيمان محضاً: وهو (جسم أول) متنعم بنعيم وجنة عالم البرزخ وهو مشمول بالرجعة وهي قوله تعالى ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةٌ وَعِشْيَةٌ﴾ ^(٢)، لأنها من جنات الدنيا وجنات الآخرة ليس فيها بكرة وعشيا.

النوع الثاني: هم ممن محض الكفر محضاً: وهو (جسم أول) مُعَذَّب بعذاب ونار عالم البرزخ وهو مشمول بالرجعة وهي قوله تعالى ﴿النار يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا

(١) تهذيب الاحكام / الشيخ الطوس / ج ١ / ص ٤٤٦

روى عن يونس بن ظبان انه قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام جالسا فقال عليه السلام (ما يقول الناس في أرواح المؤمنين) ؟ قلت: يقولون في حواصل طيور خضر في قناديل تحت العرش. فقال أبو عبد الله عليه السلام (سبحان الله المؤمن أكرم على الله من أن يجعل روحه في حوصلة طائر أخضر) ، يا يونس المؤمن إذا قبضه الله تعالى صير روحه في قالب كقالبه في الدنيا، فيأكلون ويشربون فإذا قدم عليهم القادم عرفوه بتلك الصورة التي كان فيها في الدنيا) تهذيب الاحكام / الشيخ الطوس / ج ١ / ص ٤٤٦

(٢) مريم / ٦٢

شرح منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة

وعشيا^(١)، لأنها نار الدنيا وليس في نار الآخرة غدوا وعشيا.

وهذين النوعين هما المعنيين بقول رسول الله ﷺ (إذا مات الإنسان فقبره روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار).

النوع الثالث: وهم ليسوا ممن محض الإيمان أو الكفر وسماهم القرآن (المرجون لأمر الله) ، وقالت عنهم الأحاديث (يُلهمي عنهم) ، وهم أنواع وهؤلاء يبقون في عالم البرزخ بدون سؤال مجاورين لطينتهم التي في القبر (الجسد الثاني) ، وهم في انتظار يوم القيامة النهائي وليس لهم حض في الرجعة.

وهذا (الجسم الأول) هو (ذات الإنسان) أي (نفسه) ، وهو مُركَّب من خمسة أشياء (عقل روح نفس طبيعة مادة مثال) ، فالعقل في الروح وكلاهما في النفس، والنفس بما فيها في الطبيعة والكل في المادة، وقوة هذا (الجسم الأول) أكثر بسبعين مرة من (الجسد الأول العنصري الدنياوي) ، وان الروح في عالم البرزخ لا تفارق هذا (الجسم الأول) إلا ما بين النفتين^(٢).

فإذا نزل ذلك المطر ذو المواصفات الخاصة في أحداث الرجعة تلقحت الطينة (الجسد الثاني) التي في القبر بهذا الماء الذي له رائحة المني، فيتكون جسد جديد خالي من الأعراض الدنيوية، لان جسد الإنسان في الدنيا تكون من النطفة التي هي من نفس مادة عالم المادة، أما هنا فهذه الأجساد ستتكون من الماء النازل من السماء، وبما ان هذا الماء مصدره السماء وبما أن الطينة (الجسد الثاني) هي أيضاً ليست من مواد هذا العالم، فيكون الماء والطينة من عوالم علوية فيكون الجسد الناتج منها جسد بمواصفات خاصة وهي أجساد أهل الرجعة، فيحل (الجسم الأول) الموجود في عالم البرزخ في هذا الجسد الخاص به (لأنه مخلوق من طينته الخاصة به) ، فينطبق كل شيء على مثاله، وبما ان هذه التركيبة الجديدة للإنسان مكونة من عناصر ليست من عناصر هذا العالم المادي، فهي لا بد وان تظهر عندما يظهر ذلك العالم، أي أن أهل الرجعة سيعودون عندما يكون الوقت برزخي.

(١) غنفر / ٤٦

(٢) ذكرنا في فصل سابق تحت عنوان (تركيبة الإنسان) اننا نعتقد ان الإنسان سباعي التركيب من المواضيع التالية (عقل روح نفس طبيعة مادة مثال جسد) ، وإذا طبقت ما يقوله الاحسائي مع هذا التقسيم فتكون (المادة) هي (الطينة أي الجسد الثاني) ، أما (المثال) فهو (الجسم الأول الهورقليائي) ، أما (الجسد) فهو في الدنيا الجسد الأول.

شرح منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة

وفي نهاية أيام الرجعة ونهاية الأيام البرزخية وعند النفخ في الصور تتفكك هذه الأجزاء البرزخية لأنها لا تتفكك إلا في عالمها، وهي مقدمة لظهور (الجسم الثاني) ، وهنا لابد من ذكر نص كلام الاحسائي لانه يعتقد ان (الجسم الأول) عارض يزول ويتكسر في عالمه.

يقول: (والجسم الأول تخرج به الروح إذا قبضها ملك الموت وتبقى فيه إلى نفخة الصور الأولى نفخة الصعق وهو المؤلف لقواها في عالم البرزخ، فإذا نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور نفخة الصعق خلعتة وبطلت، وهو أيضاً كالجسد الأول عارض من جملة أعراض البرزخ لأنه صورة كما مثل الصادق عليه السلام كما تقدم باللينة.....، فالجسد الأول هو الصورة العنصرية والجسم الأول هو الصورة البرزخية..... فالنفس مغايرة للجسد الأول الفاني وللجسد الثاني الباقي وللجسم الأول الفاني، أما الجسم الثاني فهو هو وهي هي على تفصيل مراتب يطول ذكرها) (١).

وبهذا فهو عنده أن (الجسد الثاني) الطينة لا تفسى، لان الجسد الثاني عنده هو المادة والجسد الاول والجسم الاول صور وهذه الصور تنتهي في النفخ النهائي اما المادة فباقية، وبعد أن يكسر الجسم الأول في نهاية عالم البرزخ يتم صياغة الإنسان منها للمرة الثانية فيظهر (الجسم الثاني) (٢).

واضرب لك مثال لتوضيح المعنى، ان (الجسد الثاني) مثل الصورة في المرأة، فالمرأة اذا اعتبرناها هي (الجسد الاول) فاذا انكسرت المرأة لم تنكسر الصورة ولكنها غابت، واذا اعيدت المرأة اعيدت الصورة، وكلما كانت المرأة اصفى كانت الصورة اصفى، فاذا تم اعادة الانسان في الرجعة بهيكل اصفى ظهرت صورته بشكل اصفى، فتلقى الروح فيه مثالها، وهذا الهيكل الجديد هو (الجسم الاول) الذي سيحصلون عليه في الرجعة والذي سيتكسر في نهاية الرجعة عند النفخ في الصور.

فاذا دخل ماحض الايمان وماحظ الكفر الى البرزخ دخل بيدنه البرزخي المتكون من عناصره البرزخية أي مرآة برزخية، لذلك يحاسب في القبر ماحظ الكفر وماحظ

(١) جوامع الكلم / ج٤ / ص ٤٦١ / شرح العرشية.

(٢) عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: (يوم هم على النار يُفْتَنُونَ) قال: (يكسرون في الكزة كما يكسر الذهب حتى يرجع كل شيء إلى شبهه) يعني إلى حقيقته الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة/ الحر العاملي/ب/٩٦/ح١١٣/ص٢٩٦.

الايمان فقط بنص الحديث, اما الذين يلهى عنهم أي الذين ليس لديهم برزخ فانه عند الموت تنكسر مراتهم ولا تجتمع عناصرهم البرزخية في البرزخ, أي لا تتكون لهم مرآة فلا تلقي الروح مثالها, فيبقون هكذا لا برزخ لهم فهم لا يدركون ولا يفهمون ولا يسألون في البرزخ وهم بانتظار الحشر النهائي عندما ينفخ في الصور وينقضي عمر البرزخ وتتكسر المرايا البرزخية أي الاجساد البرزخية فتظهر حقائق الكل في ارض المحشر بالهيكل النهائي الخالد, الذي هو (الجسم الثاني)

الجسم الثاني:

قوله تعالى ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيم ينظرون﴾^(١).

عن الإمام السجاد علي بن الحسين عليه السلام سُئل عن النفختين كم بينهما؟ قال: (ما شاء الله)^(٢), وفي أحاديث أخرى (٤٠٠) عام حيث تبقى الأشياء لا حس ولا محسوس ثم ينفخ النفخة الثانية للنشور النهائي لكل الخلائق.

عند النفخة الأولى في الصور تنفصل الروح عن (الجسم الأول) الخاص بأهل الرجعة وتتفكك عناصره وتبقى جميع الخلائق خامدة إلى حين حضور وقت النفخة الثانية للحشر النهائي، وتقول الأحاديث انه في هذه المرة ستمطر السماء أيضاً مطراً من نوع خاص ولكن ليس لإحياء أهل الرجعة فقط، بل كل الخلائق، وهنا سيظهر (الجسم الثاني) الذي كان كامناً في (الجسد الثاني الطينة) بالنسبة لأهل الرجعة وأهل القيامة الذين ليسوا من أهل الرجعة ممن هلك من الأمم السابقة والمرجوعون لأمر الله.

وهذا (الجسم الثاني) هو الخالد في الجنات الأخروية أو النار الأخروية، وهو الحامل للعقل والروح، وهو أشد الأربعة قوة وتحققاً، وهو عند أهل الجنة الأخروية أكثر رزاقاً ورقة ولطافة، أما عند أهل النار الأخروية فهو أكثر سواداً وظلمة، وهذا (الجسم الثاني) هو نفسه الأصلي في عالم الذر حين عُرض عليهم التكليف كلهم

(١) الزمر/ ٦٨

(٢) تفسير البرهان / ج ٦ / ص ٥٦٠ / ح ١

شرح منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة

﴿أستبريكم قالوا بلى﴾^(١)، فهو الأول في سلسلة العوالم الطولية نزولاً، وهو الأخير في سلسلة العوالم العلوية ظهوراً.

وهذا معناه إجمالاً أن (الجسد الأول) الذي في الدنيا عرض يفنى، و (الجسم الأول) في البرزخ والرجعة عارض يفنى، أما (الجسد الثاني) الذي هو الطينة فهو باقٍ، فمنه يصاغ جسم الرجعة الفاني ومنه أيضاً يصاغ (الجسم الثاني) الخالد.

والسبب في ذلك أن الاحسائي يقرر في أكثر من مورد في مؤلفاته أن لكل شيء (مادة وصوره)، فالجسد الأول هو الصورة العنصرية والجسم الأول هو الصورة البرزخية، أما الجسد الثاني فهو مادة الجسم البرزخي والجسم الأخروي (الثاني)، وهذا (الجسم الثاني) موجود في غيب الإنسان حالياً وكامن فيه ولا يظهر إلا بعد عدة عمليات للكسر والتصفية وهو الخالد في الجنة أو النار الأخروية.

وعليه فأنت كذات نفسك في الدنيا ونفسك في البرزخ ونفسك في الرجعة ونفسك في الآخرة، ولكنك تتحول من دار إلى دار، فأنت نفسك ولكن أحوالك هي المتغيرة حسب نوع وطبيعة العالم الذي ستحل فيه.

ويضرب الاحسائي مثل في أحد مؤلفاته متعلق بطبيعة المواد في النظام الطبيعي لتوضيح واختصار ما يريد قوله في موضوع تبدل أحوال الإنسان عبر مسيرته في العوالم فيقول (مثاله الزجاج فإنه في الصخر والقلبي وهما كثيفان بمنزلة الجسد العنصري المعروف عند العوام، فلما أُذيب ذهب منه الكدورة، فكان هو نفسه زجاجاً شفافاً يُرى ظاهره من باطنه وباطنه من ظاهره، وهو نظير الجسد الثاني الذي يبقى في القبر يدخل عليه من الجنة روح وريحان، والكثافة نظير الجسد العنصري أنظر كيف خرج من الصخر والقلبي الكثيفين جسداً شفافاً لطيفاً وهو ذلك الصخر وهو غيره، وهذا الزجاج إذا أُذيب وأُلقي عليه دواء يجمع جسمه في الطبع كان بلوراً كما لو القي عليه دواء الحكمة الذي هو أكسير البياض، فيكون بلوراً يحرق في الشمس لأنه يجمع الأشعة التي تقع عليه من الشمس وهذا من الزجاج بل هو غيره بل هو هو وإنما اتاه شيء صفاه حتى أعلى رتبة من الأول) أنتهى كلامه.

وبهذا المعنى فان (الصخر والقلبي) نظير (الجسد الأول الدنياوي)، فإذا صُنِّي تحول

إلى (زجاج) ، وهو نظير (الجسد الثاني الطينة) ، فإذا صُفي أكثر كان بلوراً، وهو نظير (الجسم الأول) ، وإذا صُفي أكثر كان ألماساً، وهو نظير (الجسم الثاني) الذي لا يفنى.

ومن هذا الشرح يتضح لنا واحدة من أسباب خلاف معاصري الاحسائي معه حول منظومته في المعاد والرجعة، لان خصوم الاحسائي يعتقدون بان الذي يُعاد في الحشر هو هذا الجسد الدنياوي (على اختلاف طريقتهم بالاثبات) ، بينما الاحسائي يؤمن بوجود جسمين كامنين في هذا الإنسان يظهران بالتتابع نتيجة اختلاف أحوال العوالم، لذلك استقامت أفكار الاحسائي وحملت معها جملة من الإجابات بسبب إدخال موضوع الرجعة وأحوال العوالم في موضوع المعاد، أما خصومه فعندهم الرجعة خارج منظومة المعاد، فجاءت تحليلاتهم مبتورة ومتناقضة مما اضطرهم للقول بان أمور المعاد لا يمكن أثباتها عقلاً^(١).

الصحة في فهم مراد الإحسائي:

هنا نريد أن نشير إلى أمر مهم اعتقد أنه اعترض كل من قرأ موضوع المعاد عند الاحسائي وهو أن موضوع (الجسدين والجسمين) ورد في مؤلفاته ليس بنمط واحد، فمثلاً في كتاب (جوامع الكلم/ ج ٩ / ص ٥٥٨ و ٥٥٩) يسميه الجسم الأول وهو الخالد وآخرها ظهوراً، بينما هو المفروض (الجسم الثاني) لأنه في (ج ٤ / ص ٤٦١) يسمي الذي يقبضه ملك الموت (الجسم الأول) .

ويقول في (ج ٩/ ص ٥٥٩) (الجسد الأول فهو مخلوق من عناصر هورقليا) ، والمفروض ان المخلوق من عناصر هورقليا هو الجسد الثاني (الطينة) كما هو مذكور في (ج ٤ / ص ٤٦٠ أن الجسد الأول هو المخلوق من عناصر هورقليا) .

ويقول في (ج ٩/ ص ٥٥٩) (اما الجسد الثاني فهو مخلوق من العناصر المعروفة تكون من لطائف الأغذية) ، بينما المفروض الذي تكون من الغذاء هو (الجسد

(١) نذكر هنا إتماماً للفائدة كلام للسيد كاظم الرشتي كونه تلميذ الاحسائي وكلامه يطابق مراد الاحسائي حول المعاد والرجعة.

يقول: (اعلم ان الجسد جسدان، عنصرى وهو الذي عرفت حكمه، وجسد عنصرى لكن لا من عناصر الدنيا، بل من عناصر البرزخ وهو عالم هورقليا الغائبة في لب هذه العناصر وغيبيها وكانت جنة آدم من ذلك العالم). جواهر الحكم/ ج ١١ / ص ١٨٥.

شرح منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة

الأول) كما هو مذكور في (ج ٤ / ص ٤٦٠) بقوله: (فالجسد الأول هو الظاهر المؤلف من العناصر الأربعة) .

وربما هذا من خطأ النساخ التي من خلالها قد يحصل اللبس عند القارئ، لكنني أرى في هذا الموضوع أمر آخر ليس له علاقة بخطأ النساخ، وهو ان الاحسائي شرح أحوال المعاد بطريقتين:

الأولى: أتبع فيها تسلسل العوالم (نزولاً) من عالم الجبروت إلى عالم الملكوت إلى عالم المادة، وعلى هذا التسلسل كان عنده الأول ظهوراً هو (الجسم الأول) الخالد، ثم (الجسم الثاني) الذي يقع عليه الموت، ثم الجسد الأول وهو الطينة من عالم البرزخ، ثم الجسد الثاني وهو الدنياوي.

الثانية: أتبع فيه تسلسل العوالم (صعوداً) ، فكان الأول عنده في عالم الدنيا وهو (الجسد الأول) الذي هو في النزول في الفقرة (أولاً) (الجسد الثاني) ، وهكذا بالعكس لكل ما قبلها، فأرجوا الانتباه لذلك، وهذا تجده واضحاً في كلامه في الجزئين الذين ذكرناهما سابقاً.

أنواع الجنات

بعد ان انتهينا من ذكر أحوال المعاد والرجعة عند الشيخ الاحسائي، لابد من ذكر بعض الاستنتاجات التي لها علاقة بطبيعة العوالم وطبيعة الإنسان وأحواله في الحركة في هذه العوالم، ومنها انه يمكن أن نرصد قرآنياً وروائياً ثلاثة أنواع من الجنات حسب أنواع العوالم، وهذه الجنات الثلاثة الكلية توجد في ثلاث عوالم وهي التي جمعها عبارة الزيارة الجامعة (وحجج الله على اهل الدنيا والاخرة والاولى) .

الدنيا: هي عالمنا الزماني

الاولى: هي البرزخ الكوني بين الاخرة والدنيا

الاخرة: هي عالم الاخرة الدهري التي ارضها عالم المحشر والذي هو نفسه عالم الذر

وستظهر هذه الجنات تباعاً حسب سير الموجودات من الدنيا الى البرزخ الى الاخرة

الجنة الاولى (في الدنيا) .

هي جنة ارضية أختفت نتيجة تغير الوضع الفلكي للأرض (كما اعتقد) ، وستظهر لاحقاً أن شاء الله في مرحلة متقدمة من دولة العدل الالهي في زمن القائم عليه السلام وبالذات بعد يوم الرجعة عندما يتغير النظام الفلكي للأرض ويعود كما كان في زمن آدم، وهذه الجنة قرآنياً هي (المدهامتان)، وهي مختفية في باطن هذا العالم كالأكسير المستجن، فإذا زالت العوارض ظهرت وحالها حال الحجر الأسود فهو عندما نزل من الجنة كان أبيض من الثلج وأسود من خطايا بني آدم، فإذا زالت الأوساخ رجع إلى أصله، وستظهر في اخر الزمان عندما تقترب الحركة الكونية من البرزخ الكوني وتعتدل الافلاك وتصفوا الطبائع وتزول الاعراض وتظهر الاحكام الواقعية وهي قوله تعالى ﴿وقالوا الحمد لله الذ صدقنا وعده واورثنا الارض نتبوا من الجن حيث نشاء فنعم اجر العاملين﴾^(١)، وهي المعنية في الحديث عندما سُئل احد الائمة

عَنْ النَّبِيِّ ﷺ عَنِ الْجَنَّةِ قَالَ (هنا في الارض)

الجنة الثانية (في البرزخ الكوني الأول)

وهي جنة عالم البرزخ الكوني ما بين الدهر والزمان وهي من جنس عالم المثال وهي موجودة ومخلوقة حالياً وهي نفسها التي يسميها بعض العرفاء والحكماء بعالم هورقليا التي تعني (مُلك آخر) ، وفي هذا العالم المدينتان في المشرق والمغرب التي تسميها الأحاديث (جابلقا وجابلصا) ، وقد وردت جملة من الاخبار في وصفها في رحلة المعراج النبوي عندما التقى بالانبياء.

قيل للامام الرضا ﷺ يا ابن رسول الله اخبرني عن الجنة والنار هما اليوم مخلوقتان؟ فقال (نعم وان رسول الله صلى الله عليه واله دخل الجنة ورأى النار لما عرج به الى السماء) قيل له فان قوما يقولون انهما اليوم مقدرتان غير مخلوقتين، فقال ﷺ (ما اولئك منا ولا نحن منهم من انكر خلق الجنة والنار فقد كذب النبي صلى الله عليه واله وكذبنا وليس من ولايتنا على شيء وخلد في نار جهنم قال الله عز وجل ﴿هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون يطوفون بينها وبين حميم آن﴾^(١).

وهذه الجنة تنتهي في حلول يوم القيامة النهائي لان عندها ينتهي عالم البرزخ الكوني، لذلك هذه الجنة مرتبطة باجل السماوات والارض ﴿خالدين فيها ما دامت السماوات والارض الا ما شاء ربك﴾^(٢).

الجنة الثالثة (في الدهر الاخيرة)

وهي جنة الخلود الدائم يدخلها الخلق بعد تفاصيل يوم القيامة النهائي، وهي ألطف من جنة آدم بسبعين ألف مرة، وهي مخلوقة حالياً وموجودة، وهي التي دخلها الرسول الكريم ﷺ في المعراج، والتي تقول عنها الأحاديث أن سماؤها باطن العرش، ويقول عنها الرسول الكريم ﷺ (فيها ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر) .

اذن فهناك ثلاث ظهورات لمفهوم الجنة حسب طبيعة العوالم وكل نوع منها فيه

(١) بحار الانوار/ ج٨/ ص ٢٨٤

(٢) هود/ ١٠٧

درجات

الأولى: جنة ارضية يكون فيها الانسان متناسق مع الطبيعة وسائر ببركة القانون.
الثانية: جنة برزخية يكون فيها الانسان جزء من النظام ﴿لا يسبقونه بالقول وهم بآمره يعملون﴾^(١).

الثالثة: جنة اخروية دهرية يكون فيها الانسان جزء من قدرة النظام تقول للشيء كن فيكون وهي قوله تعالى ﴿خالدين فيها ابدا﴾^(٢) وقوله ﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾^(٣).

وتوجد جنة ونار اخرى موجودة في برزخ الاموات تأوي إليها الأرواح بعد الموت، لان البرزخ هو أشبه بالحافطة التي تحفظ الأرواح لحين الحشر والبعث سواء في الرجعة أم في الحشر النهائي، وأرواح المؤمنين منعمة في هذه الجنة البرزخية لحين يوم الرجعة.

(١) الانبياء / ٢٧

(٢) النساء / ١٢٢

(٣) ق / ٣٥

سؤال محتمل

ربما يقول البعض أن رحلة الإنسان الوجودية من مبدأه إلى معاده تمر بعدة عوالم، وهو ما يسمى بسلسلة العوالم الطولية كما ذكرت، وعلى موجب هذا التسلسل تكون الرجعة هي حركة تفهقرية خلاف التسلسل على اعتبار أن الإنسان يتحرك من الدنيا إلى البرزخ ثم إلى الآخرة، وان رجوع الإنسان من البرزخ إلى الدنيا خلاف التسلسل الصعودي، إذ لا بد أن يعود من البرزخ إلى الآخرة.

هذا الكلام يصح لو كان نظام الرجعة من نفس سنخ هذا العالم الدنياوي، لكنه في الحقيقة نظام برزخي وحالة تصاعدية من الدنيا باتجاه الآخرة، فالإنسان لو رجع إلى الدنيا بجسده هذا الذي هو عليه الآن (العنصري) لصح الاعتراض، لكنه سيعود (بالجسم الأول) في زمن برزخي إنتقالي، أي في حركة تصاعدية باتجاه الآخرة، ولو صح هذا السؤال لوجب إنكار المعاد الجسماني الأخروي يوم القيامة، أي أنهم يوم القيامة لو رجعوا بهذه الابدان (العنصرية) لصح الاعتراض، لكنهم يوم القيامة سيرجعون (بالجسم الثاني) الخالد.

تعدد النشآت - استدلال قرآني

يمكن الاستدلال قرآنيًا على وجود أكثر من نشأة للإنسان خلال مسيرته الوجودية، مما يضيف دليل قرآني على موضوع الرجعة ونشأة الرجعة، ويعزز التقسيم الذي يتبناه الشيخ الاحسائي حول موضوع الجسدين والجسمين.

فقرآنيًا هناك ثلاث نشآت (النشأة الأولى) و (النشأة الأخرى) و (النشأة الآخرة) ، وتعدد صيغ التعبير للفظ القرآني للنشآت الإنسانية دليل واضح على وجود ثلاثة ظهورات للإنسان حسب تسلسل العوالم الطولية والمراحل الزمنية (أولى أخرى آخرة)

قوله تعالى ﴿ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تذكرون﴾^(١).

قوله تعالى ﴿وان عليه النشأة الأخرى﴾^(٢).

قوله تعالى ﴿ثم الله ينشئ النشأة الآخرة﴾^(٣).

النشأة الأولى:

وهي نشأة الأرحام وتختلف عن عملية الخلق الأولى أي خلق (آدم) ، فهذه مراحل أولية للتأسيس للجنس الإنساني، أما موضوع (النشأة الأولى) فهي نشأة التكرار في الأرحام لذلك قال ﴿ولقد علمتم﴾ ، لأننا رأينا في هذه الحياة تكون الإنسان عن طريق الأرحام على خلاف خلق (آدم) ، فتلك مراحل لم نرها فتكون النشأة الأولى هي الظهور الأول لكل إنسان في عالم الدنيا لأنه لأول مرة يلبس الجسد الإنساني، وسياق الآيات في سورة الواقعة يؤكد هذا المعنى لارتباط (النشأة الأولى) مع (المخي) كما في قوله تعالى ﴿أفرايتم ما تمنون ءأنتم تخلقونه أم نحن الخالقون ولقد علمتم النشأة الأولى﴾.

عن الإمام علي بن الحسين عليه السلام: (..... العجب كل العجب من أنكر النشأة

(١) الواقعة/٦٢

(٢) النجم / ٤٧

(٣) العنكبوت/ ٢٠

الأخرى وهو يرى النشأة الأولى^(١)، والحديث واضح الدلالة كون النشأة الأولى هي ما نراه في هذه الحياة، وهذه (النشأة الأولى) تقابل (الجسد الأول) حسب تقسيم الاحسائي فهي نشأة الأرحام في الدنيا، وبعد الموت تتفكك مركبات الجسد الأول إلى عناصر الطبيعة ولا يبقى منه إلا الطينة التي خلق منها أو الجسد التي سيُعاد منها مرة أخرى في (النشأة الأخرى) .

النشأة الأخرى:

وردت لفظة (الأخرى) قرآنيًا مرتبطة مع عدة مواضيع وهي تشير إلى معنى (الثانية) مقابل (الأولى) كما في قوله تعالى ﴿فتذكر أحدهما الأخرى﴾^(٢)، و﴿فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة﴾^(٣)، و﴿تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى﴾^(٤)، و﴿ولقد مننا عليك مرة أخرى﴾^(٥) وغيرها.

فتكون (النشأة الأخرى) هي الثانية التي تأتي بعد (النشأة الأولى) فهي (أخرى ثانية) ، وليست (آخرة) ، وهذه نشأة الرجعة وتقابل في تقسيم الاحسائي (الجسم الأول) بعد الخروج من الأحداث، وهي خاصة بمن محض الإيمان محضاً ومحض الكفر محضاً، والآخرين الغير مشمولين بالرجعة (من الأمم التي وقع عليها العذاب وممن يُلهمي عنهم) ليس لهم حظ فيها، إنما هم بانتظار (الحشر النهائي) و (النشأة الآخرة) .

النشأة الآخرة:

ارتبطت (الآخرة) قرآنيًا مع (الحياة الدنيا) في موارد كثيرة منها ﴿أشتروا الحياة الدنيا بالآخرة﴾^(٦)، وقوله ﴿لهم في الدنيا خزي ولهم في الآخرة عذاب عظيم﴾^(٧)، وقوله ﴿ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة﴾^(٨)، لذلك قال تعالى ﴿فلله

(١) تفسير البرهان/ البحراني/ ج٧ / ص ٤٢٦ / ح ١

(٢) البقرة/ ٢٨٢

(٣) آل عمران/ ١٣

(٤) طه/ ٢٢

(٥) طه/ ٣٧

(٦) البقرة / ٨٦

(٧) البقرة / ١١٤

(٨) البقرة / ٢٠١

تعدد النشآت - استدلال قرآني

الآخرة والأولى ﴿١﴾ باعتبار الأولى والآخرة طرفي الموضوع والأخرى بينهما. والنشأة الآخرة تقابل في تقسيم الاحسائي (الجسم الثاني) ، وهو الظهور الأخير في الحشر النهائي لكل الخلائق، لذلك سماها (آخرة) وليس (أخرى) .
وعلية تكون الفعاليات كالآتي:

النشأة الأولى	الأولى	الأرحام	الدنيا	جسد أول
النشأة الأخرى	الثانية	من الأرض	الرجعة	جسم أول
النشأة الآخرة	الثالثة	من الأرض	القيامة	جسم ثاني

طبعاً (الجسم الثاني) في الآخرة هو نفسه في عالم الذر لقوله تعالى ﴿كما بدأكم تعودون﴾، فيكون عالم الذر في قوس النزول هو نفسه أرض المحشر في قوس الصعود.

والتقسيم الثلاثي تجد له انطباق على موضوع القيامة ايضاً فهناك ثلاث قيامات.

١- **القيامة الصغرى**: عند موت الانسان كما ورد عن رسول الله ﷺ (اذا مات الانسان قامت قيامته)

٢- **القيامة الوسطى**: وهي قيامة الرجعة

٣- **القيامة الكبرى**: الحشر النهائي

كذلك موضوع الساعة له ثلاث ظهورات

١- **الساعة الأولى**: وهي ساعة موت الانسان وتقابل القيامة الصغرى

٢- **الساعة الثانية**: وهي ساعة قيام القائم وتقابل القيامة الوسطى وعالم الرجعة

٣- **الساعة الثالثة**: وهي ساعة حشر الخلائق للحساب النهائي وتقابل يوم القيامة النهائي

تعدد النشاطات - استدلال قرآني

الساعة الاولى	قيامه صغيرى	النشأة الاولى
الساعة الثانية	قيامه وسطى	النشأة الاخرى
الساعة الثالثة	قيامه كبرى	النشأة الاخرة

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

يعتقد جملة من الفلاسفة ان للإنسان في الوجود رحلتين، الأولى هي قوس النزول والثانية قوس الصعود، وهو بهاتين الحركتين يمر بعدة عوالم من مبدأه إلى معاده، لكن أصحاب هذه النظرية ناقشوا هذه الحركة كونها (سفر معنوي فردي) في رحلات السالك الأربعة، فهي رحلة داخلية أكثر من كونها رحلة خارجية^(١).

والوجود بصورة عامة يتكون من ثلاثة عوالم كلية (من عالم الجبروت، وعالم الملكوت، وعالم الملك)، وكل عالم له وقته الخاص وهي ثلاثة أوقات (من السرمد إلى الدهر إلى الزمان)، وبالتالي فان لكل عالم قوانينه الخاصة.

وسنناقش هنا حركة الإنسان كحقيقة كون لها وجود مُشخّص في بعض هذه العوالم، فهي رحلة داخلية يعرف بها الإنسان نفسه، ورحلة خارجية لمعرفة آثار ربه، ومنها سيتبين التسلسل الواقعي لرحلة الإنسان في كل تلك العوالم، فهو سفر معنوي من جهة وسفر حقيقي من جهة أخرى.

فالإنسان له حقيقة وجودية من (مادة وقت حركة)، وبالتالي فإن الأشكال الوجودية التي مر بها خلال رحلته في كل تلك العوالم تابع لهذه المتغيرات الثلاثة.

ففي عالم (الجبروت حوقت السرمد) عالم النورانية والحركة البطيئة جداً الأقرب للسكون^(٢)، وهو عالم الحقيقة المحمدية عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وعالم المشيئة التي خلقها الله بنفسها^(٣)، وهي أول ظاهر بأول ظهور لم يسبقها حدث فهي أول مراتب الوجود، والعقل راسخ منها (الذي هو من مراتب الحقيقة المحمدية)، وهو أول خلق من الروحانيين^(٤)، وهذا عالم خاص بالحقيقة المحمدية ولم يكن للإنسان

(١) وهي النظرية التي يتبناها الفيلسوف الملا صدرا الشيرازي والتي تسمى بنظرية وحدة الوجود ومنها السفر المعنوي للسالك في رحلاته الأربعة التي يسمونها قوس النزول وقوس الصعود.

(٢) يقول الإمام الرضا عليه السلام في وصف ذلك العالم: (ساكن لا يدرك بالسكون).

(٣) يقول الامام الصادق عليه السلام (خلق الله المشيئة بنفسها وخلق الأشياء بالمشيئة).

(٤) تقول أحاديث الأئمة عليهم السلام: (أول ما خلق الله العقل فقال له: أقبل فأقبل، قال له: ادبر فادبر، وهذا هو العقل الكلي وهو من مراتب الحقيقة المحمدية، وقد سمي العقل عقلاً لأنه معتقل الأشياء، فكل الأشياء موجودة فيه، والوجود تكون نتيجة حركة العقل إقبالاً وإدباراً).

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

هناك ذكر فيه أو تحقق فلم يكن للإنسان وجود متحقق بالعلم ولا في الخارج كما في قوله تعالى ﴿أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئاً﴾^(١).

عن مالك الجهني قال سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله تعالى ﴿أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئاً﴾، قال: (لا مُقدراً ولا مكوناً) قال: وسألته عن قوله: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾، قال: (كان مُقدراً غير مذكور)^(٢).

عن حمران قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً﴾، فقال: (كان شيئاً ولم يكن مذكوراً)، قلت: فقوله ﴿أولاً يذكر الإنسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئاً﴾ قال: (لم يكن شيئاً في كتاب ولا علم)^(٣).

فالإنسان في وقت السرمد وعالم الجبروت ليس له وجود لأنه غير مكوّن (لم يك شيئاً)، (لا مُقدّر ولا مُكوّن)، أي ليس مقرر له أن يوجد بعد، وبالتالي فهو غير مكوّن، كما هو الحال في دواة الحبر فالحبر مادة خام صالحة لانتاج كل الكلمات إلا أنها فيه مُجملة لا مُقدّرة ولا مُكوّنة.

وبعد عالم السرمد جاء عالم الملكوت ووقت الدهر وكان للإنسان فيه (مُقدّار)، لكنه غير مذكور، كما ورد في الحديث ﴿لم يكن شيئاً مذكوراً﴾، قال: (كان شيئاً ولم يكن مذكوراً) عن أبي عبد الله عليه السلام قال (كان مذكوراً في العلم ولم يكن مذكوراً في الخلق)^(٤).

والحالة هذه كان للإنسان فيها حصّة وجودية، أي أصبح شيء لكنه غير مذكور فهو مذكور في العلم غير متحقق في الخلق أي غير مميز، ولا يمكن أن يصبح للشيء كيان إلا إذا له (لفظ) يميزه عن غيره وينطبق عليه، لذلك قالوا أن الحروف هي (الابداع الثاني)، فكان لكل تشخص أو كيان لفظ دال عليه وينطبق عليه إنطباقاً

(١) مريم/ ٦٧

(٢) تفسير البرهان/ البحراني / ج ٥ / ص ١٣٥ / ح ١

(٣) تفسير البرهان/ البحراني / ج ٥ / ص ١٣٦ / ح ٣

(٤) تفسير البرهان/ البحراني / ج ٨ / ص ١٧٥ / ح ٤

يقول السيد كاظم الرشتي: (الذكر الأول للشيء لا يكون إلا إحداث مادة الشيء إذ ليس للشيء قبل مادته ذكراً أصلاً).

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

تماماً، أي (كن فيكون) ، وهو إنطباق الدال على المدلول فتكونت الأشياء. وحال الانسان هنا كحال القطرة التي أخذت من الحبر، فهو اصبح مذكور في العلم لان هذه قطرة يمكن ان يتحقق من خلالها، وهي مادة خام مبهمه يمكن ان يكتب بها اي شيء، الا انها بالعلم حُصصت للانسان ولكنه في الخلق لم يظهر بعد، فهو ليس من الخلق لانه لم يتشخص بعد، أي موجود بالقوة غير متحقق بالفعل، فيتم التمييز بالكتابة عن طريق القلم لكي يصبح مذكور بالعلم ومتحقق في الخارج.

ومن خلال متابعة أحاديث (الطينة) التي خلق الله منها آدم ﷺ ، وأحاديث عالم (الذر) ، يتضح أن عالم (الطينة) سابق على عالم (الذر) لان الطينة (هي المادة الأصلية للتخليق) والتي منها ستتكون (الذرات) ، أي الحصص المادية الوجودية للمخلوقات، فلا يمكن أن تُعرض العهود والمواثيق على مادة (خام) لم تتشخص^(١)، ومن هذه الطينة تم تخصيص حصة (ذرة) أي (حيز وجودي) له لكي يستقل بذاته.

فيكون عالم العقل الذي هو أعلى وأسبق من عالم الطينة هو (عالم التقدير)، وعالم الطينة هو (عالم التكوين)، وعالم الذر هو (عالم التشخيص)، وهناك طينتان، مصدر الطينة الطيبة هو رشحات العقل الكلي، ومصدر الطينة الخبيثة هو رشحات الجهل الكلي^(٢)، وعالم الطينة كمادة خام أولية للتخليق ذات طابع عنصري مشحونة بكل الطبائع (حرارة ييوسة برودة رطوبة)، وليس لها (وعي) فهي مادة عنصرية ذات طبائع، ثم تذكر الأحاديث أن الطينة الطيبة والطينة الخبيثة قد تم مزجها فأصبح لدينا ثلاثة أنواع من الطينات.

(١) عن زرارة أن رجلاً سأل أبا جعفر ﷺ عن قوله تعالى: (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم) الآية، فقال وأبوه يسمع: (حدثني أبي أن الله جلّ وعزّ قبض قبضة من تراب التربة التي خلق منها آدم ﷺ فصب عليها الماء العذب الفرات ثم تركها أربعين صباحاً، ثم صب عليها الماء المالح الاجاج فتركها أربعين صباحاً، فلما اختمرت الطينة أخذها فعركها عركاً شديداً فخرجوا كالذر من يمينه وشماله). مختصر البصائر/الشيخ عز الدين الحسن بن سلمان الحلي / أحاديث الذر ٢/٤٤ ص ٣٨٢.

(٢) عن أبي جعفر ﷺ قال (ان الله عز وجل خلق الخلق فخلق من أحب مما أحب وكان ما أحب أن خلقه من طينة الجنة، وخلق من أبغض مما أبغض وكان ما أبغض أن خلقه من طينة النار..). مختصر البصائر-٦/٥٦٧ ص ٥٠١ تنمة ما تقدم من أحاديث الذر.

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

الأولى: الطينة الطيبة التي سُيخلق منها كل قيادات العقل (الخير) وبعض أجزاء الأتباع^(١).

الثانية: الطينة الخبيثة التي سُيخلق منها كل قيادات الجهل (الشر) وبعض أجزاء الأتباع.

الثالثة: الطينة المختلطة التي سُيخلق منها عموم الناس والأتباع على اختلاف مراتبهم.

عن أبي حمزة الثمالي عن الإمام الباقر عليه السلام (ان الله خلقنا من أعلى عليين, وخلق قلوب شيعتنا مما خلقنا منه, وخلق أبدانهم من دون ذلك, وقلوبهم تحن إلينا, لأنها خلقت ممن خلقنا, ثم تلا هذه الآية: ﴿كَلَّا أَنْ كَتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عَلَيِّينَ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا عَلَيِّونَ. كِتَابَ مَرْقُومٍ. يَشْهَدُهُ الْمُقْرَبُونَ﴾, وخلق عدونا من سجين, وخلق قلوب شيعتهم مما خلقهم, وأبدانهم من دون ذلك, فقلوبهم تهوي إليهم, لأنها خلقت مما خلقوا منه, ثم تلا هذه الآية: (كَلَّا أَنْ كِتَابَ الْفُجَارِ لَفِي سَّجِينٍ. وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَّجِينٍ. كِتَابَ مَرْقُومٍ. وَيَلْ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِبِينَ)^(٢).

وبعد مزج الطينتين مع بعضهما تمازجت بنسب مختلفة وتم نُثرت مكونات هذه الطينة على شكل ذر أشبه بذرات الغبار التي نراها في الجو عندما تشرق عليها الشمس بأعداد لا تُعد ولا تُحصى، وأصبح لكل ذرة من هذه الذرات حيز في الوجود فهي هنا تشخصت وأصبح لها أسم (جامع) وهو (ذرة) فعالم الذر هو عالم الظهور الأول وهو عالم الفصل عن الأصل.

فأصبحت هذه الذرات هي (الوعاء الوجودي) الذي من خلاله ستنتقل العملية من (التشخص) إلى (التذوت) عن طريق إضافة نور العقل, بسبب موضوع (الاختيار) الذي سيُعرض على الخلائق, فلا بد من وجود مفهوم من خلاله يمكن الاختيار والتمييز لكي يكون كل شخص مسؤول أمام الله عن اختياره، وإلا لبطل مبدأ الثواب والعقاب, فأصل عملية المزج بين الطينة الطيبة والخبيثة هو لخلق موضوع الاضداد, لانه بلا أضداد لا يمكن الاختيار فجعل في كل ذرة نسبة من هذا ونسبة

(١) عن الأئمة عليهم السلام: (ان قلوب شيعتنا خلقت من فاضل طينتنا).

(٢) الكافي ١/٣٩٠

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

من هذا ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما كفوراً﴾^(١).

وهنا أشرق على الذرات نور العقل الكلي فأخذت كل ذرة من هذا الاشرار بحسب استعدادها الوجودي، أي حسب قابلية (وعائها الوجودي)، لذلك ورد في الأحاديث (ان العقل له رؤوس بعدد رؤوس الخلائق)، والذي أفهمه أنها بعدد ذرات عالم الذر، فمن كانت فيه نسبة الطينة الطيبة عالية أخذ نسبة عالية من العقل والعكس صحيح، ومن كانت طينته مختلطة بنسبة مُعينة أخذ بمقدار تلك النسبة.

وهذه الرشحات والاشراقات من العقل الكلي هي التي نقلت هذه الذرات إلى عالم التدوت، فأصبح لكل ذرة ذات مشخصة واعية جاهزة للإجابة فيما لو عُرض عليها العهود والمواثيق، لذلك قال الصادق عندما سُئل عن كيفية إجابتهم في عالم الذر قال: (جُعل فيهم ما إذا سأهم أجاوبه)، عن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: كيف أجاوبوا وهم ذرّ؟ قال: (جعل فيهم ما إذا سأهم أجاوبه)، يعني في الميثاق^(٢).

وهنا جاء الخطاب لكل الخلائق (ألست بربكم)، ﴿وإذ اخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾^(٣)، فالكل قالوا بلى، لكنها تختلف من شخص لآخر حسب استعداد الوجودي ونسبة الخلط والمرج فيه، وهي مصداق قوله تعالى ﴿أفي الله شك فاطر السموات والأرض﴾^(٤)، وقوله تعالى: ﴿فطرة الله التي فطر الناس عليها﴾^(٥)، فمنهم من هو الأول بالإجابة الذي تقول عنه الأحاديث انه رسول الله صلى الله عليه وآله^(٦)، ثم آل محمد عليهم السلام.

(١) الانسان / ٣

(٢) الكافي / ج ٢ / ص ١٠ / ج ١ كذلك تفسير البرهان / للبحراني / ج ٣ / ص ٢٣٦ / ح ٥.

(٣) الاعراف / ١٧٢.

(٤) ابراهيم / ١٠

(٥) الروم / ٣٠

(٦) عن أبي عبد الله عليه السلام: (أن بعض قريش قال لرسول الله صلى الله عليه وآله بأي شيء سبقت الأنبياء وأنت بُعثت آخرهم وخاتمهم؟ فقال: (أني كنت أول من آمن بري وأول من أجاب حين أخذ الله ميثاق النبيين وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى، فكنت أنا أول نبي قال بلى فسبقتهم بالإقرار بالله). تفسير البرهان / البحراني / ج ٣ / ح ١ / ص ٢٣٥.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال: (لما أراد الله أن يخلق الخلق خلقهم ونشرهم بين يديه ثم قال لهم: من ربكم؟ فأول من نطق رسول الله صلى الله عليه وآله وأمير المؤمنين عليه السلام والأئمة صلوات الله عليهم أجمعين

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

ثم الأنبياء ﷺ الأكمل فالأكمل، ثم الصالحين، وهكذا حسب المراتب الوجودية لأتباع الخير وهؤلاء كانت إجابتهم قلباً ولساناً ﴿الذين أنعمت عليهم﴾^(١) وهم قيادات الخير.

ومنهم قال بلى لكنها من لسانهم وليس من قلبهم (وربما قالوا بلى لست برينا) ، وهي قوله تعالى ﴿سواء عليهم ءانذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾^(٢) وهم قيادات الشر.

أما الأعم الأغلب الواقعين تحت حالة الخلط والمزج فقالوا بلى ، فمن غلبت عليه الطينة الطيبة كان أسرع في الإجابة، ومن غلبت عليه الطينة الخبيثة أبطء في الإجابة، وهكذا تعددت الإجابات بتعدد الخلائق، فكان لكل إنسان بصمة خاصة تختلف عن الآخرين، يتبعه إجابة خاصة تختلف عن الآخرين، فلا تجد إنسان يشبه إنسان في كل شيء، فهم يميلون إلى طرفي المعادلة حسب استعدادهم الوجودي وهو ما عبرت عن الآية بأصدق بيان: ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾^(٣)، فهم بهذا المعنى كلهم قالوا بلى، لكن بنسب، لذلك قال الحديث (لولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه)^(٤)، وقال رسول الله (الإنسان يولد على الفطرة) .

هنا تأتي الاحاديث وتوضح أمر مهم وهو ان الخطاب لم يأتي فقط بسؤال واحد (ألست بربكم) ، بل هناك أسئلة أخرى عرضت وأختلفت الإجابات أيضاً

عن أبي عبد الله ﷺ في قوله عز وجل: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ قال: (أخرج الله من ظهر آدم ذريته إلى يوم القيامة فخرجوا وهم كالذر عرفهم نفسه ولولا ذلك

فقالوا: أنت ربنا، فحملهم العلم والدين.....) . مختصر البصائر / تنمة ما تقدم من أحاديث الدر

٥/٥٦٦ ص ٥٠١

(١) الفاتحة / ٧

(٢) البقرة / ٦

(٣) البقرة / ٢٥٧

(٤) عن ابن مكان عن أبي عبد الله الصادق ﷺ في قوله: ﴿وإذا أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى﴾ قلت: مُعَايِنَةٌ كَانَ هَذَا؟ قَالَ: (نعم، فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه، ولولا ذلك لم يدر أحد من خالقه ورازقه، فمنهم من أقر بلسانه في الدر ولم يؤمن بقلبه. فقال الله: ﴿فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل﴾.

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

لم يعرف أحد ربه، ثم قال: (ألست بربكم قالوا بلى) ، وان محمد رسولي وعلياً أمير المؤمنين خليفتي وأميني) (١).

فمن أجاب على رسول الله بنعم حسب استعداده، كان مسلماً وأصبح رسول الله ﷺ له نبياً، فهذا لا ينزل إلى الدنيا إلا في وقت الرسالة المحمدية وما بعدها، ومن كانت إجابته غير موفقة حسب نسبة استعداده الوجودي فقد أصبح نصرانياً أو يهودياً وهكذا، فهذه الإجابة حددت انتمائه لموضوع النبوة وهكذا أصبح لكل مخلوق رباً ونبياً.

وعندما عُرض الأمر الثالث على الخلائق وهو موضوع الولاية (عليّ إمامكم) ، هنا الأحاديث تذكر أن من قال بلى عددهم (مثل الشعرة البيضاء في الثور الأسود) ، وهو الأمر الذي اختلفت فيه الخلائق، وهي قوله تعالى ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ. عَنِ النَّبَأِ الْعَظِيمِ. الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ (٢).

فكان الإمام علي عليه السلام رحمة الله على الأبرار ونقمة على الفجار، وهو السور الذي له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، وأصبح هو قسيم النار والجنة، وهو فتنة الله الكبرى التي بها يُثيب وبها يُعاقب، وأصبح هذا الأمر هو مدار (الإيمان) بل مدار الحساب.

ومن هنا عرف كل مخلوق بان له رباً ونبياً ولكن ليس لكلهم إمام، فالذي لا إمام له لا عمل له، وان كان أعبد الناس، فلا قبول للأعمال إلا بالولاية، لأنها السبب المتصل بين الأرض والسماء وهي وجه الله الذي يتوجه به الأولياء، لكن قبول هذه الولاية كان أيضاً بنسب حسب نسبة مكونات كل شخص وحسب كمية الطينة الطيبة فيه ومقدار إشراق العقل فيها، فأصبحوا درجات (محبين موالين ناصرين شيعة وهكذا) ، وهي قوله تعالى ﴿وهدوا إلى الطيب من القول﴾ (٣)، أما من

(١) تفسير البرهان/ البحراني / ج ٣ / ح ١٦ / ص ٢٤٠

(٢) النبأ/ ٣١

عن أبان بن تغلب قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله عز وجل: عم يتساءلون عن النبأ العظيم الذي هم فيه مختلفون) ، قال: (هو علي بن ابي طالب عليه السلام ، لان رسول الله ﷺ ليس فيه خلاف) . تفسير البرهان/ البحراني / ج ٨ / ص ١٩٥ / ح ٣.

قال امير المؤمنين عليه السلام (ما لله آية هي أكبر مني، ولا لله نبأ أعظم مني، ولقد فُرضت ولايتي على الأمم الماضية فأبت أن تقبلها) بصائر الدرجات/ ص ٨٨ / ح ٣

(٣) الحج/ ٢٤

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

رفض الولاية فهم من ينطبق عليه قوله تعالى ﴿أن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم﴾^(١)، وقوله تعالى ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾^(٢).

وهكذا توالت الأسئلة سؤال بعد سؤال لكل إمام سؤال (أليس الحسن إمامكم) ، (أليس الحسين إمامكم) (أليس علي بن الحسين إمامكم) وهكذا إلى القائم عليهم صلوات الله وسلامه أجمعين، فمن قال على الحسين عليه السلام نعم وتوقف أصبح فرقة، ومن قال على الأئمة نعم ووصل الصادق عليه السلام وتوقف أصبح فرقة، وهكذا لبقية الفرق ومن قال عليهم كلهم بلى إلى القائم فذلك هو الشيعي الموالي، وكل حسب رتبته واستعداده^(٣).

والأحاديث تذكر أمر خطير وهو أن من قال على القائم عليه السلام بلى أيضا بنسب، فليس كل من قال بلى عليه صمد وثبت عزمه، فقد ورد في الأحاديث (انه لن يثبت على هذا الأمر إلا من ثبته الله بالقول الثابت في الذر الأول) ، وقولهم (سيخرج من هذا الأمر من كان يدعو إليه) ، لان كل هؤلاء هم من نتاج الطينة المزوجة وبعضهم لهم نسب متساوية تقريبا في الطيبة والخبثاة فتجري عليهم التغيرات في عالم الدنيا، ومن هنا كان البداء الذي هو من أجلى مظاهر العدل الالهي لان الله يريد ان يقول لنا في موضوع البداء إذا كان هناك شخص له إجابة غير موفقة في عالم الذر، فإن موضوع البداء يُعطيه أمل كبير لكي يُعدّل موقفه في الدنيا، فالبداء بهذا المعنى فرصة ثانية يمنحها الرب العادل الرحيم لعباده بأن فتح لهم باب يمكن من خلاله أن يغير لهم الله مصيرهم إذا عدلوا مواقفهم في الدنيا، كما في قوله تعالى ﴿أن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾^(٤)، لذلك قال الصادق عليه السلام (ما عبد الله بشيء مثل البداء)^(٥)، لان الإيمان بالبداء هو إيمان بعدل الله ورحمته الواسعة^(٦).

(١) التوبة/ ٨٠

(٢) الانعام/ ٢٨

(٣) ومن هنا كان التعدد في الفرق فمنهم الكيسانية والناوسية والفتحية والاسماعيلية وغيرها الكثير.

(٤) الرعد/ ١١

(٥) الكافي/ الاصول/ باب ٤٦/ ح ٣٦٤

(٦) عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله تعالى: (واذ أخذ ربك من بني آدم... الآية) قال: فكل شيء أخذ الله منه الميثاق فهو خارج وان كان على صخرة صماء. تفسير البرهان البحراني/ ج ٣ / ح ٨ / ص ٢٣٧.

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

مع الأخذ بنظر الاعتبار أن كمية الطينة الطيبة والخبيثة التي دخلت في تكوين هذا المخلوق لم تتوزع فيه بشكل متجانس كصفات وطبائع ومراتب، فربما هذه الطينة دخلت في تكوين عقله وقلبه ولم تدخل في تكوين صدره وحواسه، وربما دخلت الطينة الخبيثة في تكوين عقله وان كانت إجابته موفقه، لذلك فمن الممكن ان تجد مؤمن فيه قساوة وتجد كافر فيه لين، أو تجد مؤمن له استعداد عقلي بسيط وتجد كافر لديه استعداد أكبر، وان كانت الأحاديث تشير إلى أن (قلوب المؤمنين خلقت من فاضل طينة آل محمد ﷺ ، فهذه لا تخضع لهذه المعادلة، لذلك ستبقى هذه القلوب تحن إلى محمد وآل محمد ﷺ مهما كانت الظروف ومهما كانت نسبة الخلط الخبيث فيها، وهي قوله تعالى: ﴿واجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم﴾^(١)، أو كما قال رسول الله ﷺ: (أن لولدي الحسين حرارة في قلوب المؤمنين لا تنطفئ أبداً) .

لذلك لو جمعت كل هذه المتغيرات في معادلة واحدة لخرجت بنتيجة وهي أن كل إنسان بصمة خاصة لا تتكرر فلا يوجد شخص يشبه شخص في كل شيء،

الأحاديث مُشعرة أن هذا التمييز على شكل أصناف وأنواع المخلوقات جاء بعد عرض موضوع الولاية والتي من خلالها تحدد نوع وصنف المخلوق، لذلك ورد في الأحاديث: (أن ولايتنا عرضت على كل شيء) ، فمنهم من رضي ومنهم من رفض.

(١) عن عبد الله بن سنان قال: قلت لأبي عبد الله ﷺ: جعلت فداك أني لأرى بعض أصحابنا يعتريه النزق والحدة والطيش فأغتم لذلك غمًا شديدًا، وأرى من خالفنا فأراه حسن السميت. قال: (لا تقل حسن السميت فان السميت سمت الطريق ولكن قل حسن السيماء) فإن الله عز وجل يقول: (سيماهم في وجوههم) قال: قلت له: فأراه حسن السيماء له وقار فأغتم لذلك. قال ﷺ: (لا تغتم لما رأيت من نزق أصحابك ولما رأيت من حسن سيماء من خالفك، أن الله تعالى لما أراد ان يخلق آدم ﷺ خلق تلك الطينتين ثم فرّقهما فرقتين، فقال لأصحاب اليمين كونوا خلقاً بأذني، فكانوا خلقاً بمنزلة الذر يدرج ثم رفع لهم ناراً فقال: أدخلوها بأذني فكان أول من دخلها محمد ﷺ ثم أتبعه أولوا العزم من الرسل وأوصيائهم وأتباعهم. ثم قال لأصحاب الشمال أدخلوها بأذني فقالوا: ربنا خلقتنا لتحرقنا؟ فعصوا فقال لأصحاب اليمين: أخرجوا من النار بأذني فخرجوا لم تكلم النار منهم كلاً ولم تؤثر فيهم أثراً، فلما رآهم أصحاب الشمال قالوا ربنا نرى أصحابنا قد سلموا فاقلنا ومرنا بالدخول قال: قد أقلتكم فادخلوها فلما دنوا وأخذهم الوهج رجعوا وقالوا: يا ربنا لا صبر لنا على الاحتراق فعصوا. وأما أصحاب اليمين فأمرهم بالدخول ثلاثاً كل ذلك يطيعون ويخرجون وأمر أولئك ثلاثاً كل ذلك يعصون ويرجعون فقال لهم: كونوا طيناً بأذني فخلق منهم آدم ﷺ . قال: فمن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء ومن كان من هؤلاء لا يكون من هؤلاء، وما رأيت من نزق أصحابك وخلقهم فمما أصابهم من لطح أصحاب الشمال، وما رأيت من حسن سيماء من خالفكم ووقارهم فمما أصابهم من لطح أصحاب اليمين) .
مختصر البصائر / أحاديث الذر ٨/٤٤٦ ص ٣٩٣ .

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

ولو جمعنا أطراف هذه المعادلة (طينة + عقل + إجابة) فهذه صورة (النفس) الإنسانية، فالطين هو مادته الوجودية ووعائه الذي يمسك به وجوده وفيها الطباع، والعقل هو قابليته على التمييز ومنظومته القانونية للتعامل مع الأشياء، وإجابته هي اختياره، وبدخول عامل الروح كطاقة مشغلة لربط كل هذه الأجزاء تكونت النفس الإنسانية في عالم مجانس لها وهو عالم المثال وهي مكونة من المواضيع التالية (عقل روح نفس طباع مادة مثال) ، وهي لحد الآن بهيئتها البرزخية المثالية بقبالها المثالي في عالمها المثالي، وهي تنتظر النزول لعالم الدنيا حسب استعدادها الوجودي الذي حددته العلائق والمتغيرات التي ذكرناها من طينة إلى إشراق عقلي إلى إجابة وهكذا، وبهذا يكون الإنسان كحقيقة وجودية جاهز للنزول إلى عالم الدنيا بنقلة ذات خصوصيات جديدة، فهو سينزل إلى عالم الأصلاب ثم عالم النطفة ثم عالم الأرحام ثم العلقة ثم المضغة ثم العظام ثم اللحم ثم ﴿انشأناه خلق آخر﴾، فهي نقلة نوعية لهذا الإنسان من عالم المثال إلى عالم الكثافة فيتحول من الحالة (المثالية) إلى الحالة (الاحيائية البيولوجية) بهذا الجسد الاحيائي الذي أستجّن فيه العقل والروح والنفس والطباع والمادة والمثال، وبعد ان ينزل الإنسان إلى عالم الدنيا تكون الإجابة قد حُفظت في كل مخلوق، لكنها (نُسيّت) لذلك قال الصادق عليه السلام (ثبتت المعرفة ونسيتم الموقف ولسوف تذكرون) ، ومن هذه الإجابة في عالم الذر سيتحدد مصير الإنسان لما بقي من رحلته الوجودية، فهو هنا خرج من مرحلة (الاختيار) ودخل إلى مرحلة (لا جبر ولا تفويض بل منزلة بين منزلتين) ، فأول ما نزل إلى عالم الجماد كحصاة هبائية، ثم صعد إلى عالم النبات كنفس نباتية، ثم صعد إلى عالم الحيوان كنطفة ومظهر من مظاهر الحياة، ثم ترقى في الرحم من نطفة إلى علقة إلى مضغة إلى عظام ثم خرج إلى الدنيا (خلق آخر) ﴿فتبارك الله أحسن الخالقين﴾^(١)، وبهذا فهو برحلته الوجودية وصل من (الدهر) إلى (الزمان) فجاءت

(١) ربما يعترض البعض ويقول كون الإنسان عندما يأتي إلى الدنيا لديه معلومات مخزونة منسية عن عالم سابق هو أمر يعارض القرآن الكريم لقوله تعالى: (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم لا تعلمون شيئا) .

أن مسألة عدم العلم هنا تعني (النسيان) ، ودليله قوله تعالى: (ألست بربكم قالوا بلى) ، بدلالة الحديث (ثبتت المعرفة ونسيتم الموقف) ، فهذه إجابة مركوزة في الذاكرة البشرية، لكنها نُسيّت، وربما تقول كيف تصرف (عدم العلم) بالنسيان. أقول: كما هو واضح في القرآن كون (النسيان) هو (الترك) كما في قوله تعالى: (نسوا الله فنسيهم) ، فهل يعقل ان ينسى الله، كلا وحاشا (وما كان ربك نسيا) ، فالنسيان هنا هو الترك، أي تركوا الله فتركهم، فهذا النسيان الذي أصاب بني آدم في هذه

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

الشرائع والرسول تذكر الإنسان بتلك العهود والمواثيق التي أخذت عليه ﴿فذكر
أما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر﴾^(١)، ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكراً وإما
كفوراً﴾^(٢)، ونشأة الدنيا هي نشأة التكليف (والاختبار) ، أما نشأة الذر فهي
نشأة (الاختبار) ، فليس مهمتك في هذه الدنيا أن تختار لأنك قد اخترت مسبقاً،
وإنما وظيفتك هنا ان تعلم لماذا اخترت، لذلك ارتبط وجودك في الدنيا بالاختبار
لكي تعرف حقيقة اختيارك.

وبعدها يموت الإنسان ويترك هذه الدنيا ويترك فيها جسده للتحلل إلى عوالم
الطبيعة بعودة كل شيء إلى أصله، ويدخل إلى عالم آخر هو أشبه بالحفاضة للنفوس
وهو عالم البرزخ، وفيه نوعين من الناس ماحض الإيمان وماحض الكفر فقط، أما
الآخرون (فيلهى عنهم) ، لذلك كان القبر كما يقول الرسول ﷺ (أما حفرة من
حفر النار أو روضة من رياض الجنة) .

وبعد الموت يأتي عالم الرجعة ذو الطابع البرزخي بانتقال الموجودات من الزمان باتجاه
الدهر، فيعود إلى هذه الدنيا من محض الإيمان محضاً للنعيم ومن محض الكفر محضاً
للعذاب، والآخرون (الذين يُلهى عنهم) يبقون في حفرهم إلى يوم (يبعثون) .

وفي الرجعة يكون للإنسان ماحض الإيمان هيكلية جديدة في غاية اللطافة تتناسب
مع تلك المرحلة الوجودية في سيره، ولماحظ الكفر هيكلية بغاية الكدورة والسوداوية،
ويستمر نعيم ماحضي الإيمان وعذاب ماحضي الكفر في زمن الرجعة إلى نهايتها.

ثم ينفخ إسرافيل نفخة الصور الأولى ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات
والأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾^(٣)، فيموت
عالم البرزخ ويموت أهل الرجعة وتموت كل الخلائق (إلا من شاء الله) ، وتبقى الأرض
هكذا لاحس ولا محسوس (٤٠٠) عام، ثم ينفخ النفخة الثانية ﴿ثم نفخ فيه أخرى
فإذا هم قيام ينظرون﴾، فيعود الكل من محض الإيمان ومن محض الكفر والذين

الحياة ليس ضده العلم، بل ضده التذكر، لذلك قال الصادق ﷺ: (ولسوف تذكرون) ولم يقل
ولسوف تعلمون، ولقد ناقشنا هذه الاحتمالات بشكل موسع في كتابنا (المزايلة) .

(١) الغاشية ٢١ ٢٢

(٢) الانسان / ٣

(٣) الزمر / ٦٨

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

يلهى عنهم ﴿وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً﴾^(١)، ﴿وعرضوا على ربك صفاً
لقد جئتمونا كما خلقناكم أول مرة بل زعمتم أن نجعل لكم موعداً﴾^(٢).

فالمؤمنون يكملون رحلتهم الوجودية إلى عالم الدهر حيث ما لا عين رأت ولا أذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر، والكافرون يكملون رحلتهم إلى (سجين).

وربما يقول البعض أن الإنسان برحلته الوجودية من نزوله إلى صعوده يعود إلى أصل
مبدأه وهو السرمد فيفنى فيه وتتلاشى ذاته مع مبدأه وينتهي تشخصه كما يعتقد
أصحاب فلسفة (وحدة الوجود) بإتحاد العابد مع المعبود، وهذا عندي غير صحيح
لأن رحلة الإنسان الوجودية لم تبدأ بالسرمد حتى تنتهي بالسرمد فهذه رحلة الحقيقة
المحمدية ﷺ فقط لأنه (الأول والآخر)، أما الإنسان فرحلته بدأت من الدهر
وتنتهي بالدهر ولا يمكن في حركته الوجودية أن يصل إلى السرمد، فلا شيء يتجاوز
مبدأه ولو وصل إلى هناك لارتقى إلى مقام الحقيقة المحمدية، وهذا محال، ولو كان
ذلك ممكن لارتقت الحقيقة المحمدية إلى مستوى (الواجب)، وهذا محال أيضاً،
فكل شيء يدور في سنخ مادة وجوده ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾^(٣).

ولا يمكن للإنسان في حركته الوجودية أن يتغير تذوته لأن الأشياء عندما كتبت
أصبح لها وجود (تذوتت)، وهذه الذات لا تُعدم بل تتحول من شكل إلى آخر،
وهي بهذا التحول قد تفقد صورتها، لكن لا تفقد ذاتها، وهكذا يتبدل الإنسان من
دار إلى دار وتبقى ذاته الإنسانية، فهو في البدء (لا مقدر ولا مكون) وفي الدهر
(مقدراً غير مكون)، وهو في عودته إلى مبدئه لا يتحد معه بمعنى الممازجة، بل
يترقى في رتبته إلى ما لا نهاية من الكمالات، لأنه مهما ارتقى لا يصل إلى مرتبة
صانعه، فهناك (خالق ومخلوق) و (عابد ومعبود)، فلا يوجد إتحاد بمعنى الممازجة
والذوبان الكلي الذي يفقد فيه الإنسان ذاته، بل هو قرب بمعنى التكامل وبمعنى
العمق وبمعنى الخلوص، فهو يبقى يدور على نهاية الدهر وحافات السرمد.

وهكذا هي رحلة الإنسان ابتداءً من الذر حين أصبح له وجود ثم نزل إلى عالم
العناصر ثم إلى الأصلاب ثم إلى النطف ثم إلى الأرحام ثم إلى الدنيا.

(١) الكهف/٤٧

(٢) الكهف/٤٨

(٣) الصافات/ ١٦٤

حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)

فالذرة رحلة من التكوين إلى الرحم.
والدنيا رحلة من الرحم إلى القبر.
والرجعة رحلة من القبر إلى النفخ الأول في الصور.
والآخرة رحلة من النفخ الثاني إلى الأبدية.
حيث تنتهي كل الأشياء وتبدأ كل الأشياء حيث الأول هو الآخر والظاهر
هو الباطن (فسبحان من ملكه دائم وسلطانه قديم) .

الحياة العنصرية والحياة الاحيائية

هناك خلط في التسلسل المنطقي عند بعض الباحثين لعناوين رئيسة تتعلق بالكون والخلق والحياة، فهم ربطوا بدون تمييز بين بداية الكون وبداية الحياة، وبين بداية الحياة وبداية البشرية، فتصرف البعض وكأن خلق آدم ﷺ هو بداية الحياة وهو غير صحيح، لان قبل آدم ألف ألف آدم، بل قبل آدم أجناس أخرى ومظاهر متعددة للحياة، لهذا وجب ترتيب الأمور زمنياً ومنطقياً لفهم الأحداث وفهم النصوص، فيكون تسلسل المواضيع كالتالي (بداية الكون بداية الحياة المخلوقات قبل آدم خلق آدم استمرارية أبناء آدم الغايات) .

ونقصد ببداية الحياة هو تشخص وتذوت الموجودات، أي ظهورها إلى عالم الإمكان، ولا بد ان تنوع الموجودات يدل على تنوع أنماط الحياة، إلا أننا نعتقد كنظرة كلية لسير الموجودات ان هناك نمطين رئيسين للحياة تندرج تحتها كل أنواع الحياة الأخرى وهي (الحياة العنصرية) و (الحياة الاحيائية العضوية) .

ونقصد بالحياة العنصرية هي مرحلة (عالم الذر) عالم الطينة التي هي المادة الخام للتخليق، وهذه ليست حياة عضوية بل مادة خام جاهزة للتشكل إلى أشكال متعددة، وهي مكونة من عناصر التخليق الأربعة (الماء التراب الهواء النار) ، وتظهر عليها خصائص الطبائع الأربعة (البرودة الحرارة اليبوسة الرطوبة) ، فهذا النمط من الحياة خالي من الدم واللحم والعظام وكل مظهر نسيجي أو بايولوجي.

وهذه الحياة العنصرية في عالم الذر رُكِّب فيها العقل لقوله ﷺ (وضع فيهم من أن لو سئلوا لأجابوا) ، فهي في هذه المرحلة انتقلت من كونها مادة خام إلى كونها مادة (واعية) مدركة، لذلك عرضت عليها العهود والمواثيق للاختيار ﴿ألست بربكم قالوا بلى﴾ ، وبقيت هذه الحياة في عالمها محتفظة بإجابتها و بانتظار التحول إلى نمط حياة أخرى بالنزول للأصلاب والأرحام ثم للحياة الدنيا.

ولكن كيف يتم التحول من الحياة العنصرية إلى الحياة البيولوجية؟

تتم هذه النقلة بتحول هذه الحياة العنصرية إلى حياة بايولوجية من خلال طرفين،

الطرف الأول هما الوالدان اللذان يعدان النطفة والبويضة في الأصلاب والأرحام وبالتالي إعداد وعاء أحيائي وهي البيضة المخصبة، وتجري على هذه البيضة المخصبة كل قوانين الوراثة بمعناها البيولوجي، أما الطرف الثاني فهو كما ذكرت الأحاديث أن الملائكة تأتي بتلك (الطينة العنصرية) وتمزجها مع البويضة كوعاء أحيائي في رحم الأم، فتمتزج الحياة العنصرية مع الحياة الاحيائية فينتج كائن حي ذو حياة بايولوجية بوظائف كاملة للأعضاء، فحقيقة الإنسان هي تلك الطينة وذلك الوعي وليس جسمه البيولوجي الذي سيفقده بعد الموت ويتحلل إلى عناصر الطبيعة ويبقى منه فقط تلك الطينة التي كانت في عالم الذر كما ذكرت الأحاديث والتي نعتقد بأنها قرآنيا (الحدث) .

أما في الرجعة فيتم تلقيح هذا الحدث بماء نازل من السماء من غير مادة هذا العالم، فتنشئ أبدان في القبور ذات نمط احيائي بايولوجي، لكن بمواصفات خاصة لان الحياة الاحيائية داخل الرحم تكونت من النطفة والبويضة التي تكونت من أغذية هذا العالم، أما في الرجعة فيتكون البدن من ماء ليس من مادة هذا العالم، بل من نفس مادة عالم الطينة، فتنشئ أبدان ذات حياة بشكل راقى جداً وبمواصفات راقية تصفوا فيها العناصر وتعادل الطبائع فهي حياة (عنصرية بايولوجية ملكوتية) وستعيش في وضع بيئي يتناسب وطبائعها وهو وقت البرزخ وعالم الجنة الأرضية.

وبعد أن ينتهي عالم الرجعة تتحلل هذه الأبدان البرزخية بالنفخة الأولى في الصور، ولا يبقى من هذا الإنسان إلا طينته الأصلية (الحدث) ، وهي المادة العصية على التفكك، وتبقى في حالة سُبات إلى أن ينفخ إسرافيل نفخة الصور الثانية ﴿فإذا هم قيام ينظرون﴾، وفي هذه النشأة ستنشأ أجساد خالية من المادة الاحيائية، بل هي أجساد عنصرية من نفس مادة الطينة التي خلق منها أول مرة ﴿كما بدأكم تعودون﴾^(١).

فعالم الذر حياة عنصرية.

وعالم الدنيا حياة بايولوجية ذات كثافة عالية.

وعالم الرجعة حياة بايولوجية صافية معتدلة.

الحياة العنصرية والحياة الاحيائية

وعالم الآخرة حياة عنصرية ﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾.

فيكون لدينا التالي:

١- **جسم الجنيا:** هو النظام (الاحيائي) الواقع تحت سيطرة الطبيعة لذلك يهرم ويشيخ ويموت.

٢- **جسم (بدن) الرجعة:** هو النظام (الاحيائي) المتناسق مع الطبيعة لذلك لا يكبر ولا يهرم وتطول الاعمار, لان البرزخ هو أعلى رتبة من عالم الطبيعة الزمانية.

٣- **جسم الآخرة:** هو النظام (العنصري) المتناسق مع الكون.

فالحياة الأصلية هي الحياة العنصرية، أما الحياة البايولوجية فهي مرحلة يليها الإنسان في مرحلة ثم ينزعها نتيجة مروره بعدة عوالم، لكن عندما تعود الحياة إلى أصلها كحياة عنصرية في الجنات النهائية، لا تتصور أنها ستمتزج مع بعضها وتعود طينة واحدة كما بدأت، بل تعود بهيئة عالم الذر، لان المخلوق إذا تذوت لا يفقد ذاته، بل يتحول من حياة إلى أخرى، فهو يعود إلى أصله عود مجاورة وليس عود مازجة كما هو الحال في دواة الخبر، فإذا كتبت كلمة من هذا الخبر فهي لا ترجع إلى حبر مرة ثانية لأنها تذوتت، وهكذا يبقى الإنسان محافظ على ذاته سواء دخل الجنة أم دخل النار، لكن سيكون هذه المرة بواقع جديد لاسيما عند أهل الجنة، وهو أن يكون هناك (شعور جمعي) لهذه الحياة العنصرية المتذوتة.

وبهذا يكون للإنسان في رحلته الوجودية أربعة أنواع من أشكال الحياة يستتبعها أربعة أنظمة جسمية منها حياتين عنصريتين بهيكلية عنصرية وحياتين احيائيتين بهيكليتين عضوية وهي حسب الترتيب كالتالي:

الحياة العنصرية الأولى: وهي حياة دهرية رقيقة والظهور الأول في عالم الذر حيث هيكله الإنسان من تلك الطينة التي هي المادة الخام للتخليق وهي حياة واعية بصفاتها العنصرية.

الحياة الإحيائية الأولى: وهي حياة زمانية في عالم الدنيا وهي نشأة الأرحام، وهي حياة بايولوجية واعية بكثافة واضحة، ويتم فيها خلط ما هو عنصري بما هو أحيائي.

الحياة الإحيائية الثانية: وهي حياة برزخية في عالم الرجعة، وهي حالة وسط بين الكثافة والرقّة تكون فيها هيكلّة الإنسان بمواصفات عضوية وحيائية راقية، وتظهر فيها للإنسان حواس جديدة تتناسب مع الواقع الذي سيعيشه، وهي نشأة من الأرض وليس من الأرحام^(١).

الحياة العنصرية الثانية: وهي حياة دهرية عنصرية رقيقة خالدة تكون يوم القيامة النهائي برجوع كل شيء إلى أصله بعد ان تمت عليه عملية التصفية في الدنيا والرجعة، وهذه الحياة تشبه حياة عالم الذر من حيث المادة والوقت (الدهر) ، إلا أنّها في الذر اختارت، أما بعد القيامة فإنّها ستنعم أو تعذب نتيجة هذا الاختيار، فهي حياة واعية مستقلة ولكن بوجود الشعور الجمعي لان الأشياء إذا تذوت وأصبح لها تشخص لا تعود كمادة خام، كما ان الحبر يمكن ان تكتب به كلمات إلا ان الكلمات لا تعود وتصبح حبراً لأنها تذوت، ولو فقد المخلوق ذاته وعاد كمادة خام لا يصح موضوع النعيم والعذاب بعدها.

لذلك إذا كانت البداية في عالم الذر ستكون النهاية في عالم الذر، وإذا كانت البداية عنصرية ستكون النهاية عنصرية، وإذا كانت البداية مشخصة ومذوتة ستكون النهاية مشخصة ومذوتة، لكن البداية للاختيار والدنيا للاختبار والآخرة للنعيم أو للجحيم.

ولزيد من البيان نقول:

أن لكل شيء مادة وصورة، فلو نظرت إلى كائن معين مثل النخلة وسحقت كل أجزائها فإنّها ستفقد صورتها وتصبح مادة مسحوقة، من ثم تفقد حتى الاسم، فإذا قيل لك ما هذا الناتج من عملية السحق ستقول انه مادة ولا تستطيع ان تعطيتها

(١) ويمكن القول ان جسم الإنسان في عالم الزمان ذو كثافة عالية لأرتفاع نسبة التراب فيه من جملة العناصر الاربعة للتخليق (النار. الهواء. الماء. التراب) ، فجسم الإنسان تكون من الاغذية التي مصدرها النبات الذي مصدره التراب وكذلك النطفة منتهاها إلى التراب، فهو كائن ترابي لأرتفاع نسبة التراب فيه وان كان له (دم ولحم وعظم)، أما في الوقت البرزخي وعالم الرجعة فسوف يتم إعادة إنتاج هذا الإنسان في القبر، لكن بنسب جديدة يكون فيها الغلبة لعنصر الماء، فتتكون أبدان من دم ولحم وعظم، لكن بمواصفات خاصة تابعة لغلبة عنصر الماء، ومنها طول العمر لان الماء لا يتحلل بسهولة كما يتحلل التراب، ومنها كثرة الذرية والصفاء والجمال وربما حتى قابلية تغير الشكل لوجود طابع السيولة في الماء مما يستتبعه أفق جديد في طبيعة الحواس والملكات الإنسانية، اما أعمار عالم الجن فطويلة لغلبة عنصر النار الذي لا تجري عليه عملية الكسر والتآكل.

الحياة العنصرية والحياة الاحيائية

أسم لأنها فقدت صورتها، فالاسم للصورة وليس للمادة، لذلك قال الفلاسفة الحكميين المادة أب والصورة أم، فالوجود واحد والصور متعددة، وكذلك الإنسان إذا مات تتحلل أجزائه العرضية بعوامل الطبيعة فيفقد الصورة وتبقى منه مادته الأصلية (الطينة) التي هي من جنس عالم آخر، وسيخلق منها في الرجعة ويُعطى صورة جديدة تتناسب مع جنس عالم الرجعة باستخدام نفس مادته الأصلية، لذلك قال تعالى ﴿فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(١) لان المادة قابلة للتصوير بعدة صور.

وفي نهاية الرجعة وعند النفخ الأول في الصور ستتكرر أجساد الرجعة البرزخية وتعود المادة إلى عناصرها الأصلية، إلى طينتها العنصرية كما في عالم الذر وبعد النفخ الثاني تتجمع ويعود كل شيء إلى أصله، فما كان من الطينة الطيبة عاد إليها، وما كان من الطينة الخبيثة عاد إليها عود مجاورة وليس عود ممزجة، ولو أنها عادت عود ممزجة وفقدت ذاتها لبطل مبدأ الثواب والعقاب، بل ان كل ذرة تعود متجاورة مع مثيلاتها من الطينة الطيبة، وكل ذرة مع مثيلاتها من الطينة الخبيثة، وتجتمع إجتماع مجاورة لا ممزجة لان كل شيء في الوجود إذا خرج من الخزان وجرى به القلم تشخص وتدوت، فإذا عاد لأصله عاد عود مجاورة لا ممزجة، كما ان الخبر إذا كتبت به كلمة لا تعود هذه الكلمة إلى الخبر مرة أخرى، لأنها أصبحت لها ذات مستقلة، وكل شيء لا يتجاوز مبدأه، فمن خلق من الطين عاد إلى الطين ولكن بكمالات أعلى، ومن خلق من الطينة الطيبة عاد إليها، ومن خلق من الطينة الخبيثة عاد إليها، وقد ورد في الحديث الشريف أن قلوب الشيعة خلقت من فاضل طينة الأئمة عليهم السلام فيها يدخلون الجنة وليس بأعمالهم.

عملية النفخ

يمكن الاستفادة من هذه المقدمات للنظر في موضوع (النفخ) الذي ورد في القرآن الكريم من زاوية معينة، إذ ارتبط موضوع النفخ مع عملية خلق آدم ﷺ، والظاهر من الآيات انه عملية اضافة طابع إلهي لهذا المخلوق، والنفخ في (أحد) معانيه التي نستشفها هو تحويل المادة من الطبيعة العنصرية إلى الطبيعة الاحيائية، أو هو تحويل المادة من نوع إلى نوع آخر^(١)، والشاهد القرآني الواضح هو فعل المسيح ﷺ ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِهِ فَتَفْخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَظْفَارِهِ﴾^(٢)، فالطين هو المادة العنصرية الجاهزة لتكوين (هيئة) أو (شكل)، وهذه الهيئة العنصرية ذات الشكل لا تتحول من الطبيعة العنصرية إلى الطبيعة الاحيائية إلا بالنفخ، والآية تحدد وجود عمليتين هما (الخلق) و (النفخ) لذلك قال في البداية ﴿إِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ﴾، أي أن عملية الخلق هي تحويل الطين من مادة (هيولية) ليس لها شكل ثابت إلى موضوع له شكل ثابت (هيئة)، أما النفخ فهو إكساب هذا الشكل الحياة، فبالنفخ تحولت الحياة من الطابع العنصري إلى الطابع الاحيائي (الدموي اللحمي)، وهذه العملية لها أيضا شاهد قرآني آخر بعملية خلق آدم ﷺ ﴿وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِأَظْفَارِهِ فَتَفْخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِأَظْفَارِهِ﴾^(٣)، ثم جرت عليه عملية تسوية

(١) من الناحية العلمية الصرفة يمكن تشبيه عملية النفخ بالصعقة الكهربائية فالحياة على الأرض من ستة عناصر (كربون هيدروجين أوكسجين نيتروجين كبريت فسفور)، وهي المكونات اللازم اجتماعها لتشكيل أبسط أنواع الحياة، وقد أجرى بعض العلماء تجارب على هذه العناصر بتعريضها إلى تيار كهربائي فإنتجت حوامض أمينية التي هي الوحدة الأساس لبناء البروتين.

والتجربة الشائعة في علوم الحياة أن ساق (عضل) الضفدع ينتفض إذا لامسه قضيب معدني، مما يشير على علاقة الكهرباء بمصدرية الحياة، والأعصاب أشبه بالأسلاك الناقلة للكهرباء، ونفس المبدأ يُعمل به عند تعرض الإنسان لتوقف القلب، فيتم إنعاش عضلة القلب بصدمة كهربائية، وهذه قرائن نذكرها لوجود حالة التشابه من جهة معينة بين النفخ والصعق الكهربائي، حتى أن النص القرآني يذكر أن من نتائج النفخ هو (الصعق) بقوله تعالى (ونفخ في الصور فصعق من في السموات والأرض)، وربما من هنا جاءت فكرة الاعتقاد بان الأجزاء المتناثرة تجتمع بقوة الصعق الكهربائي كما في فكرة (فرنكشتاين).

(٢) المائدة/ ١١٠

(٣) ص/ ٧٢ ٧١

﴿فإذا سويته﴾، وهي تقابل ما جرى على يد المسيح ﷺ بلفظة (كهينة) ، أي التسوية هي عملية إكساب هذا المخلوق هيئة ذات شكل وأبعاد أي (تصميم) ، وتحويله من الحالة الطينية (الهيولية) إلى حالة الشكل الثابت والمميز، فالإنسان في مرحلة التسوية لا زال مخلوق طيني، وعندما نفخ فيه الروح تحول من الحالة الطينية إلى الحالة الاحيائية (دم لحم أنسجة أجهزة عظام) مع الاخذ بنظر الاعتبار ان ادم هنا في عالم المثال اي عالم الجنة، فهو بهذه النفخة حصل على الجسم المثالي وليس الدموي اللحمي، لذلك ذكرت الاحاديث ان لادم ﷺ مواصفات راقية غير موجودة حالياً عند الناس لانهم ولادة ارحام وطبائع دموية لحمية.

فعملية النفخ بآدم وتحويله من كائن طيني إلى كائن مثالي أضافت إليه عنصر المعرفة لان هذه الروح روح خاصة ﴿ونفخت فيه من روحي﴾، ومن هنا نفهم الفرق بين عملية النفخ من قبل (الخالق) وعملية النفخ من قبل (المخلوق) ، فعملية النفخ من قبل الخالق تُضيف للمخلوق بُعد معرفي لكي يحمل أعباء النبوة لذلك كان آدم إبداع وجسده مثالي وذريته تكرر في الارحام بجسد دموي لحمي، لان آدم نشأة طين وذريته نشأة أرحام، أما عملية النفخ من قبل المخلوق كما فعل المسيح ﷺ فهي تحول المادة من شكل عنصري إلى شكل احيائي ولا تضيف للمخلوق أي بُعد معرفي لذلك كان الله (أحسن الخالقين) .

ومن هنا سنفهم لماذا كانت عملية (النفخ في الصور) ملازمة وسابقة لكل عملية خلق وكل عملية قيامة وحشر ﴿ونفخ في الصور فإذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون﴾^(١)، فالإنسان إذا مات في الحياة الدنيا يتحلل جسمه إلى عناصر الطبيعة ولا يبقى منه إلا تلك الطينة التي خلق منها أول مرة، فإذا عاد في الرجعة لا بد من عملية نفخ في الصور لكي يتحول من الحالة الطينية إلى حالة اخرى وهي حال ابدان الراجعين.

أما في القيامة النهائية بعد الرجعة وبعد النفخة الثانية في الصور ﴿ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون﴾^(٢)، فلن يتحول الإنسان من الحالة الطينية إلى الحالة الاحيائية،

(١) يس / ٥١

(٢) الزمر/ ٦٨

عملية النفخ

بل يبقى بصفته العنصرية، فهناك نوعان من النفخ نفخ الحياة ونفخ الصعق، فنفخة الصعق تميز الخلائق على عكس النفخة التي تكلمنا عنها التي تحيي الخلائق، لكن هذه النفخة ستزيل منه كل الأوساخ بالنسبة للمؤمن، فيتحول من الحياة الطينية ذات الشوائب إلى الحياة العنصرية الصافية من كل الاكدار برجوع كل شيء إلى أصله

الفصل العاشر

في هذا الفصل مجموعة من المواضيع المتفرقة والتي لها علاقة بالرجعة أرتأينا أن نجمعها في فصل خاص إتماماً للفائدة واستكمالاً للموضوع.

الرجعة والكتب الموجهة من الأئمة عليهم السلام

عن عبد الله بن عجلان قال: ذكرنا خروج القائم عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت له: كيف لنا أن نعلم ذلك، فقال (يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة مكتوب (طاعة معروفة))^(١).

عن عبد الله بن عجلان قال: ذكرنا خروج القائم عليه السلام عند أبي عبد الله عليه السلام فقلت: كيف لنا ان نعلم ذلك فقال (يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة مكتوب (طاعة معروفة) [أسمعوا واطيعوا]^(٢).

يمكننا أن نفهم من هذا الحديث المعاني التالية:

أن السائل كان يتوقع خروج الإمام القائم عليه السلام في وقت قريب، لذلك طلب الطريقة التي يمكن من خلالها معرفة خروجه عليه السلام.

أن الإمام أبا عبد الله عليه السلام كان يعلم ان السائل لن يدرك زمن القائم عليه السلام، لكنه لم يجب بشكل مباشر، فإن هذا الأمر قد يصيب السائل بنوع من اليأس إذا ذكر الإمام عليه السلام مدة زمنية طويلة لخروج الإمام الحجة عليه السلام، لذلك اختصر الجواب بأنه (يصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة)، وبذلك أبتعد الإمام عن ذكر الوقت أو المدة.

ذكر الإمام عليه السلام ان علامة شمول المنتظر بمعرفة ظهور الإمام المهدي عليه السلام سيتم عن طريق إبلاغ المنتظرين (بصحيفة) تُعلمه بوقت خروجه.

أن هذه الصحيفة فيها عبارة معينة وهي (طاعة معروفة)، ولعل هذه العبارة هي عنوان هذه الصحيفة، فقد يكون في هذه الصحيفة ديباجة أو متن فيه تعليمات

(١) كمال الدين وتمام النعمة/ الشيخ الصدوق/باب ٥٧/ ح ٢٢/ ص ٥٩٣
(٢) منتخب الأنوار المضيئة/ السيد علي بن عبد الكريم النيلي النجيفي/ ص ١٧٨

للمنتظرين، لكن الإمام عليه السلام أقتصر على ذكر العنوان الرئيس لهذه الصحيفة.

أن عبارة (طاعة معروفة) هي مقطع من آية (٥٣) في (سورة النور) وهي قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا بِطَاعَةِ مَعْرُوفَةٍ أَنِ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا تَعْلَمُونَ﴾، فربما هذه العبارة (طاعة معروفة) هو إشارة من الإمام عليه السلام إلى هذه الآية لكي نعرف الموضوع المرتبط بها، ومن خلال متابعة الآية (٥٣/سورة النور) نجد انه ورد فيها المركب اللغوي ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ وأن هذا المركب قد ورد في عدة آيات قرآنية:

قال تعالى ﴿أَهْوَاءَ الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ أَنَّهُمْ لَكُمْ﴾^(١).

قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لِيُؤْمِنُوا بِهَا﴾^(٢).

قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمِينٍ﴾^(٣).

قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن أُمِرْتُمْ لَيَخْرُجُنَّ﴾^(٤).

قال تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِن جَاءَتْكُمْ نَذْرٌ لِيَكُونَ أَهْدَىٰ مِنْ أَحَدٍ الْأُمَمِ﴾^(٥).

وهذه المجموعة من الناس الذين يصفهم هذا المركب اللغوي (وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ) في هذه الآيات المباركة هم أنفسهم في كل الموارد، فهي تعبير عن حال هذه المجموعة سواء كانت في زمن الرسالة أو في آخر الزمان، فلهم نفس الخصائص وان اختلفت أشكالهم وأزمانهم، لذلك جاء الجواب لهذه المجموعة في آية (النور/٥٣) بقوله: (قُلْ لَا تُقْسِمُوا) فأنكم لم ولن تخرجوا لنصرة هذا الأمر، وهؤلاء المتحدثين في هذه الآية والذين ﴿يُقْسِمُونَ بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ هم من الأشخاص الذين يحيطون برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلو كانوا كفار ما قال عنهم ﴿لَئِن أُمِرْتُمْ﴾، فهم من المسلمين بلا شك بل من المنافقين قطعاً ﴿فَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عِدْتَهُ﴾، لذلك جاءت هذه العبارة ﴿طَاعَةِ مَعْرُوفَةٍ﴾ بعد قوله عز وجل ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾

(١) المائدة/٥٣

(٢) الانعام/١٨

(٣) النمل/٣٨

(٤) النور/٥

(٥) فاطر/٤٢

دلالة على أن لهذا الأمر أهل ورجال وهم المخصوصون به ممن أعدوا لهذا الأمر عدته.

وان هذه المجموعة وردت في قوله تعالى ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾^(١)، وهذه الآية كما قلنا سابقاً في بداية البحث هي من الآيات التي استدلو بها على الرجعة.

فعن أبي بصير قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام قوله تبارك وتعالى: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتَ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾. قال: (وما يقولون بها)؟ قلت يزعمون أن المشركين كانوا يحلفون لرسول الله صلى الله عليه وآله أن الله لا يبعث الموتى. قال: (تباً لمن قال هذا ويلهم هل كان المشركين يحلفون بالله أم باللات والعزى قلت: جعلت فداك فأوجدنيه أعرفه قال: لو قام قائمنا بعث الله إليه قوماً من شيعتنا يتابع سيوفهم على عواتقهم فيبلغ ذلك قوماً من أعدائنا فيقولون يا معشر الشيعة ما أكذبكم؟ هذه دولتكم وأنتم تكذبون فيه لا والله ما عاشوا ولا يعيشون إلى يوم القيامة. فحكى الله قولهم ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾^(٢).

فمن ملاحظة الآيات القرآنية والأحاديث التي أوردناها يتضح أن هذه مجموعة ممن كان يصحب رسول الله صلى الله عليه وآله ولهم تمثيل في آخر الزمان، لها نفس التوجه والأفكار فهم من المسلمين لكنهم منافقين لا يؤمنون بالرجعة، فلو كان الموضوع يخص حشر يوم القيامة ما أنكروه، لكنهم ﴿أَقْسَمُوا بِاللَّهِ﴾ أن هؤلاء الموتى لا يرجعون لأن الموضوع هو حشر قبل يوم القيامة فأنكروه.

وورد حديث آخر لأبي عبد الله عليه السلام يذكر فيه تفاصيل أكثر، فالحديث السابق ذكرت فيه عبارة (كيف لنا أن نعلم ذلك)، أي خروج القائم عليه السلام، لكن الحديث الذي سنورده فيه عبارة (ما تأمرني) لذلك أعطى الإمام معلومة أخرى للسائل.

عن عمر بن أذينة عن فضيل بن يسار قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أن خرج السفياي ما تأمرني؟ قال: (إذا كان ذلك كتبت إليك). قلت: أعلمني آية كتابك

(١) النحل/٣٨

(٢) تفسير العياشي/ ج ٢ / ص ٢٥٩

(كيف اعلم انه كتابك) . قال: (أكتب إليك بعلامة كذا وكذا وقرأ آية من القرآن) . قال: فقلت لفضيل ما تلك الآية؟ قال: ما حدث بها أحداً غير يريد العجلي. قال زرارة: أنا أحدثك بها هي ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ بَلَىٰ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا﴾. قال: فسكت الفضيل ولم يقل لا ولا نعم) (١).

ومن خلال الأحاديث السابقة نستنتج ما يلي:

علم الإمام عليه السلام ان الفضيل من المشمولين بالرجعة ولم يرد ان يخبر الفضيل بذلك. علم الإمام عليه السلام ان وقت خروج القائم عليه السلام والسفياني هو حدث بعيد يمتد لأكثر من عمر الفضيل بن يسار، فأجابه بهذا الشكل لكي لا يسري اليأس في روح الفضيل.

ان هؤلاء الأشخاص الذين تم تبليغهم بهذا الامر قد ماتوا، وإذا كانوا مشمولين بالرجعة فما فائدة ان يرسل إليهم الإمام الكتب، بل وان هذه الكتب ستوضع تحت وسائدهم، الذي نفهمه من هذه الاحاديث ان الإمام عليه السلام ذكر ما ذكر ليكون معلوم عند شيعة آل محمد عليهم السلام الأحياء في عصر الظهور صيغة ومتن الكتاب ونوع الآية الموجهة إليهم من قبل الإمام المهدي عليه السلام أثناء الظهور، فعبارة (ويصبح أحدكم وتحت رأسه صحيفة) هو أمر واضح للأحياء وليس للأموات، وهذا المعنى سيدفع كافة المنتظرين للتمعن والتدبر في هذه الاحاديث والآيات القرآنية الواردة فيها لأنها ستحوي في طياتها أوامر عصر الظهور المبارك وطريقة العمل في تلك المرحلة، ولعل هذه الكتب ستصدر في الزمن الموافق لزمن رجعة الأموات، وان هذا الحدث كما هو واضح سيثير لغط وكلام وشكوك كثيرة من قبل المشركين والمنافقين، لذلك ذكر الإمام هذه الآية بالذات ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ يَمُوتٍ﴾، لكي تكون دليلاً وبرهاناً لشيئته من ان هذا الأمر قد ذكر في القرآن الكريم، وانه قد جاء وقته، فأختيار الآية هنا مقصود وله هدفه بل وله زمنه أيضاً. من الراجح ان هذه الكتب سترسل من قبل الإمام المهدي عليه السلام لشيئته، باعتبار ان الأحياء منهم في زمن ظهوره هم ممن تحت إمامته المباشرة، فقد ورد عنهم عليهم السلام ان لديهم صحيفة فيها أسماء شيئتهم من بدء الخلق إلى يوم القيامة.

عن داود الرقي قال: قلت لأبي الحسن الماضي عليه السلام: (أسمي عندكم في السفط التي فيها أسماء شيعتكم؟ فقال: (أي والله في الناموس) ^(١)).

وسنذكر حديث مهم ورد عن رسول الله ﷺ فيه قرّة عين حقيقية للشيعة.

عن ابن عباس عن النبي ﷺ انه كان يكتب إلى شيعة علي عليه السلام (إلى المختارين في الأظلة، المنتخبين في الملة، المسارعين إلى الطاعة، المبصرين في الكرة، سلام عليكم تحية منا إليكم، أما بعد فقد دعاني الكتاب إليكم لأستبصاركم من العمى، ودخولكم من باب الهدى، فاسلكوا في سبيل السلامة فأنتها جوامع الكرامة، أن العبد إذا دخل حفرة جاءه ملكان فسألاه عن ربه ونبيه ووليه فأجاب نجا وان أنكر هوى) ^(٢).

الحديث يحدد عبارة (المختارين في الأظلة) ، والأظلة هي عالم سابق قبل عالمنا وفي تلك العوالم تم اختيار هؤلاء، كما تمت شهادتهم وإقرارهم في عالم الذر ﴿وإذ أخذ ربك من بني آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم قالوا بلى شهدنا أن تقولوا يوم القيامة أنا كنا عن هذا غافلين ﴾.

وان عبارة (المختارين في الأظلة) تؤكد الحديث المروي عنهم عليهم السلام من أنهم لديهم صحيفة فيها أسماء شيعتهم من بداية الخلق إلى يوم القيامة، أما عبارة (المبصرين في الكرة) فهي واضحة الدلالة من أن هذا الكلام موجه لأهل زمن (الكرة) ، فهي حدث مستقبلي سيشاركون فيه، لذلك وصفهم بأنهم (مبصرين في الكرة) .

(١) بصائر الدرجات/ محمد بن حسن الصفار

(٢) مشارق أنوار اليقين/ البريبي

شبهات حول الرجعة

هناك إشكالات أثارت حول موضوع الرجعة وأحوال الراجعين وتكليفهم الشرعي، فهل يجري عليهم التكليف كما يجري على أحياء ذلك الزمان، أم أن لهم تكليف خاص، أم أنهم بلا تكليف، وهل تُقبل توبة أحدهم إذا تاب ممن محض الكفر محضاً وبذلك ينجو من العقاب، وهل هذه الابدان التي سيرجعون بها هي أبدانهم الأصلية أم هي (أبدان مثالية)، فلو كانت الرجعة بالبدن المثالي فهو عندهم باطل فاسد لا وجه له لأنه قول التناسخ وهي تعلق الروح ببدن آخر في الدنيا، والمشهور بين العلماء بطلانه^(١)، أم أنهم يعودون إلى هذه الدنيا بنفس أبدانهم السابقة التي ماتوا عليها للتصريحات الكثيرة بأنهم يخرجون من قبورهم ينفضون التراب من رؤوسهم وغير ذلك.

وكذلك قولهم عندما تتعلق تلك الروح بالبدن فهل هذا البدن المتواجد في القبر يكون ذلك الإنسان الأول بنفسه أم هو غيره، فأن كان الأول لزم ما تقدم من مفسد وان كان غيره لم يجز عقوبته بالضرب والقتل لان هذا البدن لم يذنب، ويلزم ذلك قولهم ان يكون مكلفاً إذا رجع إلى الدنيا وتعود المفسد، وان كان الإنسان الثاني غير الأول لم تصدق أحاديث الرجعة، أما عذاب البرزخ فلا نسبة له إلى عذاب الرجعة، وإنما هو عذاب الروح، وهذه بمجموعها جملة من الاعتراضات التي وجهت حول هذا الأمر، ولمعتقدي الرجعة أجوبة ساقوها حول هذه الشبهات مما يطول ذكره وتفصيله^(٢).

ولا نريد في هذا البحث الخوض في هذا الجانب بالذات فقد أسهب الآخرون في

(١) يعتقد الرافضون للرجعة انها تناسخ والمشهور بطلانه عند فرق المسلمين؟ أقول: لو كانت هذه النفوس ترجع إلى الأبدان كيفما أتفق أو أي بدن، لكانت هذه عملية تناسخ لان التناسخ هو حلول النفوس في أبدان غيرها كما هو المشهور عند اهل الملل، لكن في الرجعة كما هو في القيامة النفوس ترجع وتتحد مع أبدانها الخاصة الناتجة من نمو الجسد في القبر، فكل نفس ترجع لجسدها الخاص، وهذا ما يحصل في الحشر النهائي ايضا

(٢) ورد ذكر هذه الشبهات والردود عليها بصورة مفصلة في كتاب (الإيقاظ من الهجعة في البرهان على الرجعة) للحر العاملي فراجع.

ذكره، وقد ذكرنا في فقرة (الجسم الجسد البدن) التي شرحناها في بداية هذا البحث وجهة نظرنا الكلية في كيفية عودة الأموات، وكذلك في فصول أخرى وفي شرحنا إجابات ضمنية حول كل هذه الشبهات، أما مسألة كون هؤلاء الراجعون مكلفون وقد تصدر التوبة من أحدهم ممن محض الكفر محضاً فينجو من العقاب، فهذا الأمر قد أجاب عليه القرآن عندما وصفهم بقوله تعالى ﴿ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه﴾ وقد تكلمنا عن هذه النقطة سابقاً.

وعليه نؤكد ما قلناه سابقاً كون واحدة من أهداف وغايات إرجاع الموتى هو ليس إعادة التكليف لهم، بل الهدف من الرجعة هو الحساب وإعادة لكل ذي حقاً حقه، فهو يوم حُصص للجزاء والعقاب، فالمؤمنون ينعمون والكافرون يعذبون، علماً أن هناك الكثير من الأحكام الشرعية والتكاليف ستظهر في دولة الإمام عليه السلام وهي غير مألوفة لدينا الآن بل هي مما ننكره، فالأحاديث تشير إلى أن الإمام عليه السلام سيقتل مانع الزكاة، ويورث بالأظلة، ولا يقبل الجزية من قوم، ويحكم بحكم داود من غير بينة (أي بدون دليل وشهود) لأنه يعلم ما في النفوس وما يجول في الصدور بتعليم الله له، وهذه الأحكام بمحملها غير معمول بها حالياً، وهذه الأحكام هي قوانين مستخرجة من النص الإلهي نفسه ستظهر في حينها، وموضوع التكليف الشرعي لهؤلاء الراجعين (ممن محض الإيمان محضاً) هو قطعاً من اختصاص الإمام عليه السلام لزمن الإمام حصراً، واعتقد أن محاولة تحديد أو صياغة أحكام شرعية خاصة بدولة الإمام عليه السلام وبوجوده عليه السلام أمر غير صحيح بل غير مجدي، لذلك يكفي الإشارة إلى هذا الموضوع ولا داعي للخوض في موضوع هو من اختصاص الإمام عليه السلام وفي زمن الإمام، هذا الزمن الذي سيشهد انقلابات خطيرة ومظاهر جديدة وحياة أخرى، فقد ورد في توقيع للإمام الحجة عليه السلام قوله: (..... فأغلقوا باب السؤال عما لا يعينكم ولا تتكلفوا ما قد كُفيتكم، وأكثروا الدعاء بتعجيل الفرج فإن ذلك فرجكم) ^(١).

قال عليه السلام (يقوم بامر جديد وكتاب جديد وسنة جديدة وقضاء جديد على العرب شديد) ^(٢).

(١) الغيبة / للطويبي.

(٢) بحار الأنوار/ ج ٥٢ / ص ٢٣٠ / ح ٩٦

الجن والرجعة

ذكرت الأحاديث والمرويات عن رسول الله ﷺ وأئمة أهل البيت عليهم السلام عن رجوع الأموات من البشر إلى هذه الدنيا كما مر عليك سابقاً، وهم على شكل أفواج ومجاميع من المؤمنين والكافرين، ومن خلال اطلاعي القاصر على أحاديث المعصومين عليهم السلام لم أجد حديث يذكر رجعة أخواننا من عالم الجن بشكل مباشر، فقد يكون السبب عدم وجود أحاديث عن هذا الموضوع أو ضياع هذه الأحاديث وعدم وصولها إلينا، أو أن هذا الأمر هو مما لم يُسئل عنه الأئمة عليهم السلام في حينها، لذلك لم نجد لهذا الموضوع ذكراً، أو لعله والله أعلم وجود أحجام عن الكلام في هذا الموضوع لكي لا يقود المستمع إلى جملة من الأسئلة تتعلق بعالم الجن وعن أعمارهم وطريقة حياتهم وموتهم وكيفية دفنهم وما هي أجسامهم، مما قد يقود المستمع إلى مواضيع تبعده عن أصل الفكرة.

أن المعلومات المتوفرة عن عالم الجن لا تمثل إلا جزء صغير جداً من هذا العالم، مما يجعلنا نقف أمام عالم مجهول في كل أبعاده، ولكن من خلال أحاديث الرجعة نفسها يمكن الوصول إلى استنتاج منطقي لهذا الأمر، فقوله تعالى ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجاً﴾ التي أستدلوا بها على حدوث الرجعة، فمفردة أمة ليست مقتصرة على عالم الإنسان فقط، فكما تعلمون أن الجن والأنس يشتركون مع بعضهم البعض بالتكليف وفي الغايات كما تبينه الآيات التالية.

قال تعالى ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رِسَالٌ مِنْكُمْ يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي﴾^(١)، وقوله ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدْ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ﴾^(٢)، وقوله ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ﴾^(٣)، وقوله ﴿قُلْ لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون

(١) الانعام/١٣٠

(٢) الانعام/١٢٨

(٣) الاعراف/٣٨

بمثله^(١)، وقوله ﴿فيومئذ لا يُسئل عن ذنبه أنس ولا جان﴾^(٢)، وقوله ﴿وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون﴾^(٣)، وقوله ﴿يا معشر الجن والانس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا﴾^(٤)، وغيرها الكثير من الآيات التي تحمل نفس المعنى.

عن رسول الله ﷺ قال (خلق الله الجن خمسة اصناف, صنف كالريح في الهواء, وصنف حيات, وصنف عقارب, وصنف حشرات الارض, وصنف كبنى آدم عليهم الحساب والعقاب)^(٥)

فهم مثلنا لهم تكليفهم الشرعي وقد خوطبوا مثلنا في القرآن الكريم ولهم سورة خاصة باسمهم فيها تفاصيل عن أحوالهم وهي سورة الجن، وبما أن الانتظار هو تكليف شرعي للأنس والجن، وبما أن الجن مخلوقات يقع عليها فعل الموت حتماً، فأن المؤمنون بالمهدي والكافرون به الذين وقع عليهم فعل الموت أو القتل نقول (ربما) يكونوا راجعين أسوة باخوانهم من البشر، وهناك جملة من العبارات في أحاديث المعصومين عليهم السلام ربما تشير إلى رجعتهم، منها ان الجن والملائكة سيكونون من ضمن تشكيلات جيش الإمام المهدي عليه السلام، أما المعركة الحاسمة بين الخير والشر والتي ذكرناها بحدِيث سابق والتي ستقع في آخر الكرات ففيها عبارة (ظهر إبليس لعنه الله في جميع أشياعه منذ خلق الله آدم إلى يوم الوقت المعلوم)، فعبارة جميع أشياعه ربما دالة على رجعة بعضهم، ونورد هذا الكلام كاستنتاج منطقي، وإلا فالقول الفصل في هذا الموضوع هو كلام آل محمد عليهم السلام^(٦).

(١) /الاسراء/ ٨٨

(٢) /الرحمن/ ٣٩

(٣) /الذاريات/ ٥٣

(٤) /الرحمن/ ٣٣

(٥) بحار الانوار/ ج ٦٠ / ص ٢٦٧

(٦) يقول السيد كاظم الرشتي من كلام له طويل عن أحوال الجن (..... فإذا فرغوا من السؤال ينقل بهم من قبورهم بأرواحهم دون أجسادهم إلى الجنة وهذه الجنة ليست من الجنان الأصلية وإنما هي شعاع من الجنان الأصلية وهي التي تسمى بالحضائر، فهناك مقرهم إلى أن تظهر دولة الحق فيرجعون كما ترجع الانس لوجود المقتضى ورفع المانع...) . جواهر الحكم/الرسالة الجنية/ ج ٤ / ص ٥٠٨ - ٥٠٩.

وقال عن صفات الجن (وأما أعمارهم فهي طويلة لعدم مقتضى الفساد ولقوة التركيب لعدم مزج عناصر الكون والفساد، كيف وهم قد خلقوا من مارج من نار، والمارج هو الخالص فتبلغ أعمارهم ألف وألفين، بل أزيد وأزيد لوجود المقتضى ورفع المانع، فإن الله سبحانه أبقى أن يجري الأشياء

الرجعة في الانجيل

وردت قصة الرسول بولس في (أعمال الرسل), وأعمال الرسل هو كتاب تكمله الانجيل كما دونه (لوقا) وهو يروي كيف نشر التلاميذ الأوائل بهداية الروح القدس بشارة يسوع المسيح ويناقش الكتاب ثلاثة أقسام.

بدء النشاط المسيحي في اورشليم (القدس) بعد صعود المسيح ﷺ .

انتشار الأيمان المسيحي في سائر انحاء فلسطين.

أنتشاره في البحر الأبيض المتوسط حتى روما.

ويوجز الكتاب تعليم المسيحيين الأوائل وعدد من العظات والأخبار ليظهر قوة هذا التعليم في حياة المؤمنين.

أما القديس بولس أو الرسول بولس (٤ م ٦٤ م) فهو أكبر المبشرين بالمسيحية بدأت رسالته في الأرض المقدسة مروراً باسيا الصغرى الى بلاد أوربا وحسب الكتاب المقدس كان اسمه (شاؤل) أي (المطلوب) وقد دعي أيضاً باسم بولس ومعناه الصغير, ولد بولس في تركيا عام (٤م) وهو روماني الجنسية وكان يهودي الديانة وهو من سبطى بنيامين وعلى الرغم من أن القديس بولس زار القدس في زمن المسيح ﷺ إلا انه لم يلتقي به.

وبعد صلب المسيح وقيامته (حسب الديانة المسيحية) كان أتباع المسيح ﷺ يلقون التعذيب الشديد بتهمة الكفر وقد ساهم بولس في السطو على الكنائس وفي اتهام أتباع المسيح ﷺ بالزندقة وتعذيبهم وسجنهم ولكن حسب ما يحكي هو في العهد الجديد في أعمال الرسل في رحلته الى دمشق ظهر له ضوء في الطريق (مكان الرؤيا قرية كوكب قرب دمشق) واخبره صوت ما أنه يسوع وان عليه أن يذهب الى دمشق ليعرف ما المطلوب منه, جاء فيه:

إلا بأسبابها، ولولا الدواعي الأخرى والأسباب الخارجية كان يتاخر موتهم إلى ان ينفخ في الصور).
جواهر الحكم / الرسالة الجنية / ج ٤ / ص ٥٠٥.

((بينما أنا أقترب من دمشق سطع فجأة حولي عند الظهر نور باهر من السماء فوقعت إلى الأرض، وسمعت صوتاً يقول لي: شاول، شاول، لماذا تضطهدني، فأجبت: من أنت يا رب؟ قال: أنا يسوع الناصري الذي تضطهدني، وكان الذين معي يرون النور ولا يسمعون صوت من يخاطبني. فقلت: ماذا أعمل يا رب؟ فقال لي الرب: قم وأدخل إلى دمشق وهناك يقال لك ما يجب عليك أن تعمل. وكنت فقدت بصري من شدة ذلك النور الباهر فقادني رفاقي بيدي حتى دخلت دمشق وكان فيها رجل تقي متمسك بالشريعة أسمى حانيا يشهد له جميع اليهود في دمشق، فجئني وقال لي: يا أخي شاول أبصر فأبصرته في الحال، فقال: إله آبائنا أختارك لتعرف مشيئته وتشاهد فتاه البار وتسمعه يكلمك، فأنت ستكون شاهداً له عند جميع الناس بما رأيت وسمعت، والآن مالك تبطئ قم تعمد وتطهر من خطاياك داعياً بأسمه))^(١).

وبعدها تحول إلى المسيحية وكانت نقطة تحول في حياته وحياة المسيحية نفسها، فالرجل الذي كان عدواً للمسيحية أصبح الواضع لأهم أساسيات المسيحية ومن أئمة دعاها وأعظم أعمدها، وترجع شهرة القديس بولس إلى تبشيره بالديانة المسيحية وإلى ما كتبه عنها، وبأنه الرسول الذي نشر المسيحية في أوروبا، وإلى تطويره لأصول الشريعة المسيحية، فمن بين السبعة والعشرين سفرًا من كتاب (العهد الجديد) نجد القديس بولس قد ألف أربعة عشر سفرًا، ولقد أثار القديس بولس الكثير من الجدل حيث يتهمه البعض بأنه خالف ناموس موسى ﷺ نفسه أثناء وجوده بين اليهود، ولم يتزوج بولس ولم يقترب من امرأة مثل الكثير من أنبياء بني إسرائيل مثل (السيد المسيح ويوحنا المعمدان (يحيى)) ﷺ، وكذلك (إيليا النبي واليشع النبي) ﷺ حسب رأي الديانة المسيحية في عدم زواج هؤلاء، أنهت حياة بولس بقطع رأسه بحد السيف لتبشيره في مدينة (روما) سنة (٦٤) ميلادية، بأمر الامبراطور الروماني الذي صلب الرسول (بطرس) في الوقت نفسه.

وما يهمنا هنا بعد التعرف على (بولس) هو اعتقاله من قبل اليهود وتقديمه إلى المحاكمة، فقد كان سبب رغبة اليهود في قتل بولس هو إيمانه (بقيامه الاموات)، فقد كان المجتمع الديني في ذلك الزمن منقسم إلى فئتين دينيتين، الأولى (الصدوقيون)

الرجعة في الانجيل

الذين لا يؤمنون بقيامة الأموات ولا بوجود الملائكة والأرواح, والثانية (الفريسيون) الذين يؤمنون بكل تلك العناوين وكان بولس من الفريسيين.

وفي تلك المحكمة التي أنعقدت لمحكمة بولس جرت حوارات طويلة كان محورها إتهام بولس بإيمانه (بقيامه الأموات) ، وقد دافع بولس عن هذه النقطة بالذات في المحكمة بالعبارات التالية:

يقول (وكان بولس يعرف ان بعضهم صدوقيين والبعض الآخر فريسيون، فصاح في المجلس: أيها الأخوة أنا فريسي وأبن فريسي وأنا أحاكم الآن لأني أرجو قيامه الاموات) (١).

يقول (فليقولوا لك أي جرم وجدو لي حين وقفت في المجلس إلا هذه الكلمه التي ناديت بها وأنا بينهم أتم تحاكموني لأني أوّمن بقيامة الاموات) (٢).

يقول (لكني أقر أنني أعبد إله آبائنا على المذهب الذي يدعون انه بدعة، وأني أوّمن بكل ما جاء في الشريعة وكتب الانبياء راجياً الله ما يرجون هم، أي قيامه الابرار والاشرار) (٣).

يقول (لكني أقر بهذا أنني حسب الطريق الذي يقولون له شيعة هكذا أعبد إله آبائي مؤمناً بكل ما هو مكتوب في الناموس والانبياء ولي رجاء بالله في ما هم أيضاً ينتظرونه أنه سوف تكون قيامه للأموات الابرار والأئمة) (٤).

يقول (وأنا الآن أحاكم لأني أرجو ما وعد الله به آبائنا وما ترجوا عشائر بني إسرائيل الأثنا عشر عابدين الله ليلاً ونهاراً بهذا الرجاء ايها الملك يتهمني اليهود فلماذا لا تصدقون ان الله يقيم الاموات) (٥).

قد يقول البعض أن (قيامه الأموات) التي كان يؤمن بها بولس هي قيامه الأموات في يوم القيامة وليس كما نحاول أثباته وهو قيامتهم قبل يوم القيامة أي في الرجعة، بدليل انه ورد أن (الصدوقيون) وهم أعداء بولس لا يؤمنون بقيامة الأموات، فهم

(١) أعمال الرسل / ٢٣

(٢) أعمال الرسل / ٢٤

(٣) أعمال الرسل / ٢٤

(٤) أعمال الرسل / ٢٤

(٥) أعمال الرسل / ٢٦

يحاكمونه لأنه يخالف معتقدهم من خلال دعوة الناس إلى ما يؤمن به بولس.

أن قيامة الأموات يوم القيامة هو أمر أتفقت عليه جميع الديانات وجميع المذاهب المنحدرة من هذه الديانات، ولا يوجد ملة أو طائفة تنتمي إلى الرسالات السماوية العالمية الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلامية) ينكر قيامة الأموات في يوم القيامة للحساب والثواب، فبولس يقول (وأنا الآن أحاكم لأني أرجو ما وعد الله به آبائنا وما ترجو عشائر بني إسرائيل). هو دليل على أن كل من الصدوقيون والفريسيون يؤمنون بما آمن به (آبائنا) و (عشائر بني إسرائيل) فهم منحدرون من هذه العشائر الأثني عشر، وعليه يكون الصدوقيون يؤمنون بقيامة الأموات يوم القيامة، لكنهم ينكرون رجعتهم قبل هذا اليوم، لأجل ذلك فهم يحاكمون بولس على هذه التهمة (الرجعة) .

وهذا الموضوع يؤكد حديث رسول الله ﷺ قال (لتركبن سنن الذين من قبلكم حذو النعل بالنعل والقذة بالقذة. قيل من يا رسول الله قال: وهل غير بني إسرائيل هؤلاء) . فنحن الآن في هذه الأمة الإسلامية قد أنقسمنا حول موضوع الرجعة إلى قسمين كما أنقسم بني إسرائيل حوله، فالمذهب السني بكل طوائفه ومذاهبه أنكر الرجعة جملةً وتفصيلاً، لكنه يؤمن بقيامة الأموات في يوم القيامة، أما الشيعة فهم يؤمنون بقيامة الأموات يوم القيامة وبرجعتهم قبل يوم القيامة.

أن بولس كان يؤمن برجعة الأموات وقيامتهم قبل يوم القيامة، لأنه كان يفهم عبارة (ملكوت الله على الأرض) الواردة في الانجيل، لأن هذا الملكوت هو ملكوت أرضي يتنعم المؤمنون فيه قبل يوم القيامة، وهو الملكوت الذي ينتظره جميع الأنبياء والمرسلين والمؤمنين، وهو اليوم الذي سينزل فيه المسيح ﷺ فقد كانت التحية المعروفة بين المسيحيين الأوليين كلمة (ماران آثا) وهي كلمة آرامية معناها (ربنا آت) .

ويكتب بولس الرسول بالروح القدس عن مجيء المسيح مرات كثيرة بوضوح في رسائله ويقول (أننا نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب لا نسبق الراقدين لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء والأموات في المسيح سيقومون أولاً ثم نحن الأحياء الباقين سنخطف جميعاً معهم في السحاب

الرجعة في الانجيل

لملاقاة الرب في الهواء وهكذا نكون كل حين مع الرب) (١).

لاحظ عبارة (نحن الأحياء الباقين إلى مجيء الرب) تدل بصورة واضحة أن هذا الحدث هو ليس حدث أخروي في يوم القيامة، بل هو حدث يسبقها، وقد أوضحت العبارة التي تليها هذا المعنى عندما قال (لا نسبق الراقدين) ، أي انه عند قيامة هؤلاء الراقدين سيكون هناك أحياء في هذه الدنيا ينتظرون هذا الأمر (إلى مجيء الرب) .

ورد في انجيل يوحنا (وما أن يسمع صوت المسيح قادم في مجيئه الثاني حتى يقوم الأموات الذين في القبور يقومون تجتمع بقاياهم المختلطة بالتراب ويقومون الذين ماتوا في البحر والتهمتهم الأسماك والذين احترقوا بالنار واختلطوا بالرماد الجميع يقومون قال المسيح الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة يسمع فيها جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة) (٢).

وهذا النص المهم ففيه دلالة على موضوع الرجعة للنقاط التالية:

١- أن عودة هؤلاء الاموات وقيامتهم أقرنت بمجيء السيد المسيح ﷺ ، وهذه ليست من خصائص يوم القيامة، بل انه يسميه (المجيء الثاني) ، وكلنا يعلم ان المسيح سيعود قبل يوم القيامة فهي قيامة للرجعة.

٢- أن النص يشير إلى أن هؤلاء الراجعين قسمين (الذين عملوا الصالحات) و (الذين عملوا السيئات) ، وهذا يتطابق مع أحاديث اهل البيت ﷺ التي تقسم هؤلاء الراجعين إلى صنفين أيضاً (من محض الإيمان محضاً) و (من محض الكفر محضاً) .

٣- كما ذكرنا في فصول سابقة، أن قيامة هؤلاء الاموات تكون مرتبطة بالصيحة (وفي آخر الزمان عدة صيحات) ، ويؤكد النص الانجيلي هذا المعنى بقوله (الحق الحق أقول لكم أنه تأتي ساعة يسمع فيها جميع الذين في القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين فعلوا السيئات إلى قيامة الدينونة) ، وهو في

(١) تسالونيكي الأولى ٤: ١٣ ١٨

(٢) يوحنا/ ٥: ٢٨ ٢٩

هذا المقطع يصف (الصيحة) بأنها (صوت) ، لكنه لم يحدد من هو الذي (يصيح) ، لكن النص السابق وهو (تسالونيكي الأولى ١٣ : ٤ : ١٨) الذي أوردناه يحدد لمن هذا الصوت فهو يقول (لأن الرب نفسه بهتاف بصوت رئيس الملائكة وبوق الله سوف ينزل من السماء.....) .

وكم قلنا سابقاً أن الصيحة من مختصات جبريل عليه السلام الذي أسماه النص الانجيلي (رئيس الملائكة) ، والحالة هذه تقابل قوله تعالى ﴿ان كانت إلا صيحة واحدة فإذا هم جميع لدينا محضرون﴾^(١) ما تم شرحه سابقاً، ونحن قرآنياً نفرق بين (النداء) و (الصيحة) ، وان كانت كلاهما من مختصات جبريل عليه السلام ، فالنداء صوت مفهوم مربوط بجمل واضحة للتبليغ والبشارة بواسطة الملائكة، أما الصيحة فهي أيضاً صوت، لكن فيه شدة وليس فيه عبارة، لان الهدف منها إنزال العذاب، لذلك تجد ان النص الانجيلي يذكر عبارة مهمة ربما استوقفت القارئ الكريم وهي (بهتاف بصوت) ، فالهتاف هنا هو (النداء) والصوت هو (الصيحة) والذي بدوره يتطابق مع النص القرآني الوحيد الذي جمع (النداء والصيحة والخروج وإحياء الموتى) في مورد وحيد متصل في القرآن وهو قوله تعالى ﴿واستمع يوم ينادي المناد من مكان قريب . يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج . أنا نحي ونميت وإينا المصير . يوم تشقق الأرض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير﴾^(٢).

٤ - ان عبارة (ويقومون الذين ماتوا في البحر والتهمتهم الاسماك واحترقوا بالنار وأختلطوا بالرماد.....) تدل على ضعف وهشاشة شبهة الأكل والمأكول التي أخذت حيزاً كبيراً من جهود المفكرين، وهو يؤكد ما قلناه سابقاً كون كل هؤلاء الراجعين سيتم إعادتهم من (الطينة الجذث) وهي المادة الوحيدة المتبقية من جسم الإنسان والعصية على التفكك، حتى وان تقطعت أوصالهم أو احترقت أو أكلتها الأسماك أو الوحوش.

أن (أعمال الرسل) كما قلنا هو كتاب تكملة الانجيل، أي أنه ليس جزء من الانجيل الموحى إلى المسيح عليه السلام ، بل هو كتاب تاريخي وعظي لزمان ما بعد السيد المسيح عليه السلام ، وهذا الشكل من الكتب تجده واضحاً في التاريخ الإسلامي أيضاً،

(١) يس / ٥٣

(٢) ق / ٤١ : ٤٤

الرجعة في الانجيل

(فالقُرآن) هو كتاب موحى من الله عز وجل إلى رسوله الكريم محمد ﷺ وكل ما ورد فيه هو وحي الهي، أما مجموعة الكتب التي وضعت وألفت بعد نزول القرآن الكريم مثل كتب الحديث والسيرة والمواظ ككتاب (نهج البلاغة) للإمام علي ﷺ، وكتب الحديث عند السنة والشيعة فهي كتب تنقل أحاديث الرسول ﷺ وكلام أهل البيت ﷺ الموضح لمعاني القرآن والسنة (وان كنت أو من بأن كل أحاديث الرسول وأهل البيت هي وحي وبمنزلة القرآن)، بالإضافة لمجموعة كتب التاريخ التي نقلت أحداث الرسالة الإسلامية وتاريخ المسلمين.

وكما قلنا سابقاً أن القرآن الكريم عندما تحدث بموضوع الرجعة لم يذكره بصورة مباشرة، بل وضع بين السطور وخلف الكلمات، لذلك تكفل أهل البيت ﷺ بإظهار هذه المعاني الغامضة من خلال حديثهم، والتي استطعنا من خلالها فهم موضوع الرجعة، هذا التوضيح أدى إلى انقسام هذه الأمة إلى قسمين، فمنهم من أنكر الموضوع واكتفى بظاهر الآيات وقال ان الحشر نهائي أخروي فقط وليس هناك رجعة، ومنهم من اعتمد على التفسير الباطن من خلال النظر بمجمل أحاديث الرسول الكريم ﷺ وأهل البيت ﷺ التي تؤكد وجود باطن للقرآن ومنها قوله ﷺ (أن للقرآن ظهر وبطن وللبطن بطن حتى سبعة أبطن)، فتم تأويل قسم من آيات القرآن الكريم بالرجعة استناداً لهذه الحقيقة.

فموضوع الرجعة أمر قد وقع الخلاف فيه بشكل واضح بعد حياة رسول الله ﷺ، وإن كان هذا الموضوع مطروق خلال حياته الشريفة، والأحاديث تؤكد ذلك، لكن الموضوع لم يأخذ طابع الخلاف إلا بعد رحيل صاحب الرسالة المقدسة، ولم يقتصر الخلاف على موضوع الرجعة وحده، بل شمل كافة مفاصل الدين.

أن هذا الأمر وقع بعينه في الأمم السابقة ومنه أمة عيسى ﷺ، فقد وقع الاختلاف بعد رفع عيسى ﷺ إلى السماء، فبقي موضوع الرجعة موجوداً ضمناً في الانجيل، لذلك تكفل بولس بإثارة هذا الموضوع وإخراجه إلى الناس، فكانت النتيجة انه رُفض وقُدّم إلى المحكمة وقتل بسبب هذه التهمة وهي إيمانه (بقيامة الأموات)، وقد تكفل كتاب (أعمال الرسل) بإيضاح هذا الأمر من خلال تلك المحاكمة.

لذلك كان لزاماً علينا أن ننوه إلى هذا الأمر لكي يعلم القارئ الكريم أن موضوع

الرجعة موجود أصلاً في الكتب المقدسة بشكل غير مباشر (كما ذكرنا في المقطع من أنجيل يوحنا) ، وان الاختلاف فيه وقع بعد حياة الأنبياء ﷺ بعد أن قام أتباعهم بنشر علوم هذه الكتب المقدسة, فكما أن بولس قتل لإيمانه بهذا الموضوع ستجد في هذه الأمة من يُطارد ويقتل لنفس السبب.

وحسبنا ما قاله الانجيل بهذه العبارة الواضحة والصادقة على لسان السيد المسيح قال (ان كل احد لا يولد ثانية لا يقدر ان يرى ملكوت الله) ^(١), هذا الملكوت هو (ملكوت الله على الأرض) ، فهو ملكوت سماوي فيه جنة أرضية يتنعم بها المؤمنون، ولن يدخله ولا يراه إلا من ولد للمرة الثانية، ولا ولادة ثانية إلا في الرجعة.

رؤيا يوحنا: (الفصل./ ٢.)

يوحنا بن زبدي هو صاحب أحد الأناجيل الأربعة المعروفة وهو أحد الحواريين الأثني عشر للسيد المسيح ﷺ ، وكتب رؤياه نحو عام (٩٥) م وذكر فيها ما يجري في المستقبل واقتراب يوم الدينونة وانتصار الخير على الشر، وهو يصرح في بداية الرؤية بأن هذا ما أعلنه المسيح بواسطة ملاكته ليخبر به عبده يوحنا (هذا ما أعلنه يسوع المسيح بحبة من الله ليكشف لعباده ما لا بد من حدوثه عاجلاً فأرسل ملاكته ليخبر عبده يوحنا) (١).

جاء في الرؤيا (ورأيت عروشاً جلس عليها الذين أعطوا سلطة القضاء. ورأيت نفوس الذين سقطوا قتلى في سبيل الشهادة ليسوع وسبيل كلمة الله والذين ما سجدوا للوحش ولا لصورته وما نالوا على جباههم أو أيديهم سمة الوحش، فعاشوا وملكوا مع المسيح ألف سنة أما بقية، الأموات فلا يبعثون قبل أن تتم الألف سنة، هذه هي القيامة الأولى مبارك ومقدس من كان له نصيب في القيامة الأولى، فلا سلطان للموت الثاني عليهم بل يكونون كهنة الله والمسيح ويملكون معه ألف سنة)

وهنا عدة أمور في هذا المقطع من الرؤيا:

ان النص الانجيلي يسمي هذه الرجعة بالقيامة الأولى، وهي دلالة على وجود قيامة ثانية، مما يؤكد الاحاديث الواردة عن أهل البيت ﷺ بوجود (حشر أول) للرجعة، وحشر ثاني (للقِيامة) .

ان النص الانجيلي يحدد كون هؤلاء الراجعون في القيامة الأولى يصفهم بأنهم مباركون ومقدسون، وهذا يقابله في أحاديث آل محمد ﷺ مجموعة (من محض الإيمان محضاً) .

النص الانجيلي يحدد ان هؤلاء الراجعون لهم صفة مهمة وهي أنهم (سقطوا قتلى) تحت عنوانين كبيرين الأول (الشهادة ليسوع) والثاني (سبيل كلمة الله) .

وهذا يذكرنا بالأحاديث الواردة عن آل البيت والتي ذكرناها في بداية البحث من أن أئمة آل البيت عليهم السلام يفرقون بين الموت والقتل وان هذا القتل ليس أي قتل بل هو تحديداً (القتل في سبيل الله) الذي أسمته الأحاديث (القتل في سبيل علي وذريته) ، والتي وصفها النص الانجيلي بعبارة (سبيل كلمة الله) فالأئمة هم (كلمة الله) .

النص الانجيلي يحدد ان نعيم هؤلاء الراجعين في القيامة الأولى يستمر لمدة ألف سنة، فيما تحدد المرويات ان زمن الرجعة أيضاً طويل حتى أن المؤمن فيه يولد له ألف ولد ذكر.

أن النص الانجيلي يحدد أمر على غاية من الدقة والاهمية بالنسبة لهؤلاء الراجعين بأنهم (فلا سلطان للموت الثاني عليهم) ، أي انهم بعد خروجهم لن يموتوا للمرة الثانية، بل يكتسبوا صفة الخلود، وهذا له انطباق واضح مع النص القرآني الذي يحدد المعنى نفسه، قوله تعالى ﴿أن المتقين في مقام أمين. في جنات وعيون. يلبسون من سندس واستبرق متقابلين. كذلك وزوجناهم بحور عين. يدعون فيها بكل فاكهة أمنين. لا يذوقون الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم﴾^(١).

وهي تصف حال المؤمنين بلا شك بأن لهم موتة واحدة، فيما ذكرت سورة الدخان نفسها حال الكافرين بأنهم يؤمنون بأن لهم موتة واحدة فقط وينكرون الثانية، قوله تعالى ﴿أن هؤلاء ليقولن . أن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين﴾^(٢)، فيما يحدد نص قرآني آخر ان هناك من يموت مرتين، قوله تعالى ﴿قالوا ربنا أمتنا مرتين وأحييتنا مرتين فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى الخروج من سبيل﴾^(٣)، وهذه الآيات واضحة الدلالة كون المؤمنين لهم ميتة واحدة، وعليه يكون النص الانجيلي بقوله (فلا سلطان للموت الثاني عليهم) ، هو خاص بالمؤمنين الراجعين ممن محض الإيمان محضاً.

النص الانجيلي يقول (أما بقية الاموات فلا يعيشون قبل ان تتم ألف سنة) ، وهذه العبارة تذكرنا بالاحاديث التي ذكرت ان هناك قسماً من الناس لا تشملهم الرجعة أسماهم القرآن (المرجون لأمر الله) ، وأسماهم الاحاديث (يُلهى عنهم) .

(١) الدخان/٥٦٥١

(٢) الدخان/٣٥٣٤

(٣) المؤمن/١١

رؤيا يوحنا: (الفصل ٢٠.)

كما توجد هناك إشارة توراتية للرجعة نذكرها إتماماً للفائدة.
التوراة، نبوءة دانيال (في ذلك الزمان ينجو شعبك كل من يوجد مكتوباً في الكتاب
وكثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون بعضهم للحياة الابدية وبعضهم
للعار والذل الابدي) .

الرجعة في تنبؤات نوسترداموس

نوسترداموس أسم لاتيني لطبيب ومنجم فرنسي (١٥٠٣ ١٥٦٦) ميلادي, وهو ينتمي إلى أسرة يهودية تخلت عن عقيدتها واعتنقت المذهب الكاثوليكي المسيحي, حصل على شهادة البكلوريوس في الطب بعد ثلاث سنوات من الدراسة بيسر, وكان يستخدم طرق إبداعية في العلاج, وكانت شجاعته واضحة في مساعدة الناس أثناء حادثة الطاعون الأسود الذي أجتاح أوروبا في القرن السادس عشر.

قام بكتابة كتاب أسمه (التنبؤات) يحتوي على أهم الأحداث في زمانه إلى نهاية العالم الذي يتوقعه أن يكون عام (٣٧٩٧) ميلادية, وكان يكتب هذه النبوءات على شكل رباعيات غير مفهومة بأسلوب غامض باستخدام مفردات من لغات متعددة (اللاتينية البروفنسالية الايطالية الاغريقية) , وقد تقصد خلق حالة الإرباك في تسلسل النبوءات فلا تنكشف أسراره للناس العاديين.

وقد قام الكثير من الباحثين والشراح بشرح رباعيات هذا الكتاب وفك طلاسم هذه النبوءات, ويعتقد البعض أن في كتاب (التنبؤات) أحداث تنطبق على الحرب العالمية الأولى والثانية وحرب الخليج وواقعة (١١) سبتمبر, كما أنها تنطبق على شخصيات معاصرة مثل شخصية (هتلر) .

لقد كان نوسترداموس رجل حاد الذكاء ذو شغف كبير جداً بعلم الغيبات, لذلك شاعت شهرته بعد أن وضع كتابه, فهناك حادثة مهمة تُذكر حوله, فقد ذهب إلى إيطاليا وفيها رأى راهباً شاباً كان يعمل مريباً للخنازير يمر به في الشارع فركع أمامه مباشرةً وناداه (قداستكم) , وقد أصبح ذلك الشاب الذي يدعى (فيليتيش بيمرتي) (سيكستوس الخامس) عام (١٥٨٥) بعد وفاة نوسترداموس بوقت طويل.

وعندما توفي دفن واقفاً في أحد جدران كنيسة (كورديليه) في بلدة (صالون) بفرنسا, وأعيد دفن جثته أبان الثورة الفرنسية في كنيسة أخرى في (صالون) وهي كنيسة (سان لوران) حيث لا يزال يمكن رؤية قبره وصورته الشخصية مرسومة.

لقد تناول نوسترداموس في كتابه (التنبؤات) أحداث آخر الزمان بشكل واضح

وكبير، وذكر ظهور شخصية مهمة في آخر الزمان تنتمي إلى العالم الإسلامي ووصفه بأوصاف عظيمة وكبيرة، كما ذكر مجموعة من الأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية والسماوية ترافق ظهور هذه الشخصية، كظهور آيات في السماء وحروب ومجاعات وقتل ذريع وأحداث مهولة، وهنا سنذكر نص رباعية فريدة من نوعها من كتاب (التنبؤات) لها علاقة بموضوع الرجعة.

الرباعية: (١٠-٧٤)

(ينتهي عام العدد السابع الأكبر سيظهر في زمن تكثر فيه التسلية بالقتل ليس بعيداً عن فترة العصر الألفي السعيد العظيم عندما يخرج الموتى من قبورهم).

قد يتصور البعض أن هذه الرباعية تتحدث عن خروج الأموات في يوم القيامة، وهذا الكلام مردود لأسباب:

١- أن نوسترداموس شخصية متدينة ذات ثقافة دينية واسعة وهو على علم وأطلاع واسع بعقائد وتاريخ الديانات الكبيرة الثلاثة (اليهودية والمسيحية والإسلام)، وهو يعلم أن هذه الديانات متفقة على خروج الأموات من قبورهم يوم القيامة للحساب أمام الله، فهو يعلم أن هذه العملية واقع ديني يعرفه الجميع وليست نبوءة، وعندما يذكرها في رباعياته ويقصد بها يوم القيامة فيكون لم يأتي بشيء جديد، بل الأمر معروف من قبل الجميع، إذ لا بد أنه يقصد شيء آخر.

٢- أن الرباعية تتحدث عن أمرين مهمين، الأول: هو ظهور شخصية ذات شأن في عصر أسماء (العصر السعيد)، والثاني: هو أن هذه الشخصية تظهر في زمن يكثر فيه (التسلية بالقتل)، وهذان الأمران يدلان بصورة واضحة أن هذه الأحداث ليست من أحداث يوم القيامة بل هي قبلها بكثير.

٣- بما أن عملية (خروج الأموات من قبورهم) في هذه الرباعية ليست في يوم القيامة، فهي بلا شك حدث سيقع في آخر الزمان مرتبط بظهور شخصية مهمة يرافق ظهورها أحداث جسيمة.

٤- أن شخصية ذكويه مثل نوسترداموس لا بد قد أستوقفته النصوص الانجيلية التي تتحدث عن رجعة الأموات مثل (رؤيا يوحنا كما شرحنا سابقاً)، فالموضوع عنده نبوءة مستندة على واقع ديني وقراءة صحيحة للنصوص المقدسة.

مطر الحليب

تناول المتنبئ نوسترداموس في كتابه (التنبؤات) عدداً كبيراً من الأحداث الجسيمة والغريبة التي ستقع في المستقبل من حروب ومجاعات وعلامات سماويه وتغيرات مناخيه شديدة وفيضانات ومصير أشخاص وملوك وغيرها، وهذه التنبؤات تأتي على عدة مستويات، فمنها ما هو متصور الحدوث وغير مستغرب، بل متوقع كالحوادث والكوارث الطبيعية وموت ملوك وصعود آخرين حتى لو كان هؤلاء الملوك والقادة قد أتوا بعد نوسترداموس بمئات السنين فهذه الأمور وان كانت نبوءة إلا أنها نبوءة متصورة ومهضومة ومقبولة كأبي نبوءة أخرى صدرت من نبي أو عراف أو قارئ كف أو حتى ساحر، ومنها أيضاً ما هو غير مقبول وغير متصور سابقاً، لكن له مقدمات وتفسيرات حالياً، مثل نبوءته التي تتحدث عن ظهور المسوخ من دب وخنزيرة، فهذا الأمر كان سابقاً يُنظر إليه من باب المعجزة وعمل الإله، أما في الوقت الحاضر فإن عملية إنتاج المسوخ هي عملية نظرياً ممكنة من وجهة نظر علم الوراثة وعلم الجينات، فعندما يقول نوسترداموس بأنه سوف يولد مسخ من دب وخنزيرة في إحدى ربايعاته، فهذا الأمر في الوقت الحاضر متصور من خلال رؤية العلم المعمول به حالياً وهو علم الجينوم البشري والحيواني، فهناك عدة أوجه للتطابق والتشابه بين مورثات الكثير من الكائنات، وان عملية إنتاج هكذا كائنات (مسخ) ممكنة من خلال عملية أطفال الانابيب، فيمكن إجراء عدة عمليات تضارب وراثي بين عدة كائنات مختلفة قد يؤدي بعض هذه التجارب إلى إنتاج كائنات تحمل صفات متعددة لعدة كائنات، وهو المعبر عنها بالمسوخ وكذلك الحال مع بقية التنبؤات التي وردت في كتابه.

أن الكثير من هذه الأحداث التي ذكرها نوسترداموس في ربايعاته وإن كانت غريبة على أهل زمانه، قد تكون مفهومة لأهل زمان آخر، خصوصاً بعد أن تصدق النبوءة على الحدث وتصبح أمراً من الماضي، فالذين أطلعوا على نبوءات نوسترداموس ينظرون إلى حوادث تاريخية مثل الحرب العالمية الأولى والثانية وحادثة ضرب هيروشيما وناكازاكي بالقنبلة الذرية وقيادة هتلر لالمانيا، وهي أمور تنبأ بها نوسترداموس يعتبرونها أحداث مضت في زمن سابق، بينما في الزمن السابق لحدوث هذه الأحداث في بداية القرن العشرين مثلاً كان ينظر إليها كأغاز وطلاسم

لا يمكن فهمها، لذلك ترى معظم الشراح الذين شرحوا رباعيات نوسترداموس يهتمون بالرباعية التي تحققت ومر عليها الزمن، لأن لديه مادة تاريخية تنطبق على النبوءة، أما الرباعية التي تتحدث عن أزمنة لم تأتي بعد وعن شخصيات لم تظهر بعد وعن حوادث لم تقع بعد، أي ما يخص المستقبل، فلن تجد كلام مفيد حول هذه الرباعيات، واكتفى أكثرهم بقوله أن هذا كلام غريب أو أن هذه الرباعية مرتبكة إلى غيرها من التعليقات التي لا تضيف إلى الموضوع إلا حيرة وغرابة، وعلى شارح الرباعية حتى لو لم يتوصل إلى حل مقنع للرباعيات والنبوءات، فعليه على أقل تقدير أن يثير أسئلة أو مواضيع لها علاقة من قريب أو بعيد بهذه الرباعية أو تلك أو بالموضوع المبحوث عنه فلعل هذه الرؤى والأسئلة تشكل إطار فكرة معينة قد تقودنا إلى الحل، وعلى شارح الرباعية أن لا يبحث دائماً عن أمور معقولة ومنطقية للشرح فأن أغرب أجزاء عالمنا لم تكتشف بعد.

ولكن الحق يقال لو قُدر لنا أن نعيش إلى (٢٠٠) أو (٣٠٠) سنة أخرى لوجدنا ان الكثير من هذه الرباعيات مفهومة وواضحة بعد أن نكون قد عاصرنا الأحداث الخاصة بها، من هنا تبرز أهمية النبوءات وأهميه شرحها، فكما ان للمتنبئ موهبة لإنتاج كلمات تعبر عن حدث مستقبلي صعب الفهم على أهل زمانه، كذلك يجب ان يكون الشارح له نفس هذه الموهبة، أو على أقل تقدير يجب أن لا ينكر شيء منها ما دامت غير مفهومة بالنسبة له.

أن الكثير من نبوءات نوسترداموس التي تتحدث عن ظواهر طبيعية مناخية متطرفة مثل غرق البلدان الساحلية وجفاف مناطق معينه وجفاف الانهار وهبوب رياح عاتية وبأنواع متعددة وسقوط ثلج في غير أوانه وهطول المطر بأوقات غير أوقاته، كل هذه الأمور كانت مستغربة وغير مفهومة سابقاً، أما عند أهل القرن الواحد والعشرين فهي على أقل تقدير يمكن فهمها من خلال الأخطار الكبيرة التي تتحدث عنها التقارير العلمية الصادرة من علماء هذا الزمان والناجحة من ظاهرة الاحتباس الحراري، فإن عبث الإنسان بالطبيعة لا بد وان يقودنا في يوم من الأيام أن تتور هذه الطبيعة في وجوهنا محدثةً دماراً كبيراً وفق نظام متسلسل من الكوارث ذكر لنا نوسترداموس كلاماً طويلاً ومهما عنها، فالطبيعة إذا ثارت تكون مفاجئة وعديمة الرحمة، فالموضوع بجملته حالياً لأهل هذا الزمن متصور ومفهوم ولا يفصلنا

الرجعة في تنبؤات نوستراداموس

عنه إلا الزمن، وعلى الرغم من أن هذا الكلام يجعلنا أمام مساحة واسعة وهي المساحة التي فتحها لنا العلم الحديث لفهم هذه النبوءات، فلا زال هناك بعض الأمور التي تحدث عنها نوستراداموس بحاجة إلى نوع من الخيال العلمي البعيد والنظرة الخاصة وبعض المقاربات الفكرية للنصوص الدينية، بل في الحقيقة تحتاج إلى مزاج فكري خاص لفهمها.

فعندما نتحدث هذه النبوءات عن هطول أمطار غزيرة لعدة أيام وأمطار في غير حينها، فهذا أمر يحدث في الطبيعة في أكثر من مناسبة وفي أكثر من زمن، فالتاريخ لا يخلو من هذه الفعاليات الطبيعية المتطرفة، فكم من دولة وحضارة هلكت بظواهر الطبيعة، كما يحدثنا القرآن الكريم عن هلاك قوم نوح عليه السلام بالطوفان وهلاك قوم عاد عليه السلام وقوم ثمود وغيرهم.

وحين تذكر لنا نبوءات نوستراداموس أن هذا المطر هو مطر من الحجارة أو من النار أو من الأسماك والصفادع أو من الثلج، فكلها أمور متوقعة ومفهومة ولها أسباب معروفة، فمطر الحجارة أمر حاصل نتيجة سقوط أعداد كبيرة من النيازك على الأرض وقد ذكر القرآن الكريم **﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ تِينٍ﴾**، ومطر النار متصور من خلال فهمنا لسقوط زخات من الشهب والنيازك على الأرض وهو أمر حاصل حتى في الأيام العادية، وهو أمر معروف عند أهل الفلك وله توقيتات معروفة، أما مطر الأسماك والصفادع فهو أمر أيضاً له عدة ظهورات على مر الزمن وهو دائماً موافق لرياح عاتية قد تحمل معها الأحياء المائية الموجودة في أي مستنقع أو مسطح مائي، كما تفعل الأعاصير الدوارة التي ترفع معها كل شيء يقف في طريقها، وبعد انتهاء هذه الأعاصير الدوارة تسقط ما حملته معها من الأرض من صفادع وأسماك^(١)، فتكون السماء في حينها وكأنها أمطرت سمكاً وصفادعاً، وهو كما قلنا حادثة ليست غريبة بل حدثت أكثر من مرة.

أما الحادثة التي ذكرها نوستراداموس في رابعيته لعدة مرات وهي موضوع هذه الفقرة والذي استوجبت منا وضع هذه المقدمة لشرحها فهي حادثة (مطر الحليب والدم).

(١) من يقرأ العهد القديم (التوراة) يجد ان السماء أمطرت في مصر صفادع حتى امتلئت الطرقات والبيوت والنهر والشوارع.

فلو قلنا أن السماء أمطرت ضفادع واسماك ونار وحجارة وثلج، فهي كما قلنا أمور حدثت وغير مستغربة، ولها أسبابها، لكن لا يوجد حسب علمي حادثة واحدة في التاريخ ذكرت أن السماء قد مطرت (حليياً) ، (سنذكر لاحقاً أن السماء مطرت دماً على الإمام الحسين عليه السلام) .

فربما يقول البعض أن هذا المطر المقصود هو مطر (الثلج) فهو أيضاً أبيض اللون لذلك سماه مطر الحليب. وهذا الكلام غير صحيح لأن مطر الثلج هو أمر حاصل في كل سنة في عدد كبير من البلدان، فلا يمكن في كل الأحوال تصنيفه كمعجزة أو نبوءة، وإذا كان هذا هو قصد نوسترداموس فهو بلا شك قصد ساذج جداً وغير مقبول، ونوسترداموس شخصية على درجة عالية من الذكاء والحرفنة في إيصال المعلومة، فهو يقصد ما يقول ولكن بطرق ملغوزة، فلو كان قصده مطر الثلج لعبر عنه بشكل آخر، بل ذكره صراحةً في رباعيات أخرى وذكر أنه مطر الثلج، أما هنا فهو يقصد أمراً حقيقياً، فأما أن يكون هو فعلاً مطراً للحليب، أي هذا الحليب المعروف، وبالتالي فنحن لا ندري من أين جاءت هذه الكمية من الحليب على شكل مطر، أو أنه يقصد شيء آخر فيه إشارة إلى أمر عظيم وخطير بحيث أراد أن يميزه عن ظاهرة المطر المؤلف فسماه (مطر الحليب) ، لذلك استخدم الأسلوب الرمزي والملغوز، لان هذه المعلومة إذا ذكرت بشكل صريح في زمانه، فانها تجر ورائها عدد من المشاكل العقائدية والتي قد تضرب بعض الثوابت الدينية في زمن نوسترداموس (كما حدث لبولس عند كلامه بشكل مباشر عن الرجعة) ، لذلك فنحن نعتقد بانه استخدم الرمز الصحيح لإيصال فكرته الخطيرة.

إذاً علينا الآن أن نذكر نص الرباعيات الخاصة بمطر الحليب لكي يتسنا لنا ولكم مناقشتها.

الرباعية (٢-٣١):

((في كامبا سوف يتسبب نهر كاسيلين في حدوث الكثير بحيث يرى المرء الحقول فقط يغمرها الماء وقبل المطر المستديم طويلاً وبعده لن يرى شيء أخضر فيما عدا الأشجار))

الرجعة في تنبؤات نوستراداموس

الرباعية (٢-٣٢):

((بعد شقاء كبير تتعرض له الإنسانية يدنو شقاء أكبر منه بكثير عندما تتجدد الدورة العظمى للقرون ستمطر السماء دماً وحليباً ومجاعة وحروب ومرضاً وسوف ترى نار في السماء وهي تجر ورائها ذيلاً من الشرور))

الرباعية (٣-١٨):

((بعد المطر الحليبي الطويل بعض الشيء سوف يمس البرق عدة أماكن في ريمز آه، أية معركة دموية تقترب منهم آباء وأبناء ملوك لن يجروا على الاقتراب))

الرباعية (٣-١٩):

((في لوكا سوف تمطر السماء دماً وحليباً قبل تبدل أحد الحكام بفترة قصيرة وسوف يُرى طاعون كبير وحروب ومجاعة وقحط بعيداً عن المكان الذي يموت فيه الأمير الحاكم))

في البدء نقول: من خلال قرأتنا لرباعيات نوستراداموس الخاصة (بمطر الحليب) نعتقد أن هذا المطر هو نفسه المطر الذي تحدث عنه الأئمة عليهم السلام.

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: (... إذا آن قيامه مُطر الناس جمادي الآخرة وعشرة أيام من رجب مطراً لم يرى الخلائق مثله فینبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم فكأني أنظر إليهم مقبلين من قبل جهينة ينفطون شعورهم من التراب).

وذلك لوجود عدة قواسم مشتركة تشير إلى هذا المعنى:

الرباعية (٢-٣١) تذكر عبارة: (وقبل المطر المستديم طويلاً وبعده) ، وهذه تتفق مع المعلومة الواردة في الحديث من ان هطول هذا المطر سيشغل مساحة زمنية مقدارها (٤٠) يوماً وهي عبارة (مطر الناس جمادي الآخرة وعشرة أيام من رجب) ، وهذا المطر يختلف عن غيره لطول مدة هطوله لذلك سماه نوستراداموس بـ (المطر المستديم) ، وقد يقول البعض ان هذا المطر المذكور في هذه الرباعية هو

مطر (مستديم) وليس له علاقة بـ (مطر الحليب) ، وهذا صحيح. لكن: هناك أسلوب أتبعه نوسترداموس في كتابة ربايعاته، فهو عندما يتحدث عن أمر كبير وله عدة تأثيرات يقوم بوضع هذه المعلومات في أكثر من رباعية، كما وضع عدة معلومات في عدة ربايعات تتحدث عن ظهور شخصية عظيمة في آخر الزمان، وعن كوارث طبيعية في عدد كبير من ربايعاته، لذلك ستلاحظ انه عندما ذكر (المطر المستديم) في الرباعية (٢-٣١) أعطانا معلومة أخرى عن هذا المطر في رباعيته (٣-١٨) حيث يقول (بعد المطر الحليبي الطويل بعض الشيء) فهنا أضاف معلومة مطر الحليب إلى طول مدة نزول هذا المطر.

الرباعية (٢-٤٦) تحدد ان هذا المطر مصدره السماء والدم مرافق له، وكما قلنا ان هناك حالات سابقة تاريخياً لظهور مطر الحجارة ومطر النار ومطر السمك والصفادع والدم، لكن ليس هناك ظهور في كل التاريخ لمطر الحليب، وهذا ينطبق على عبارة (لم ترى الخلائق مثله) الواردة في الحديث، فلو كان هذا المطر مطر حجارة ونار أو سمك وصفادع، لكانت الخلائق رأت مثله من قبل، لكن مطر الحليب ظاهرة غير معروفة سابقاً، بل هي حدث فريد من نوعه لم يقع لحد الآن. أن كانت الربايعات التي ذكرت مطر الحليب تذكر معه من الأحداث المرافقه له أو الغريبة الوقوع من زمن حدوثه، فالرباعية (٢-٣١) تحدد أختفاء الخضار بعد هذا المطر، بينما تذكر الرباعية (٣-١٨) حدوث معارك ونزاع يشارك فيه الملوك وأبناء ملوك، فيما حددت الرباعية (٣-١٩) حدوث طاعون كبير ومجاعة وقحط، فيما ذكرت الرباعية (٢-٤٢) أفتتان ظهور هذا المطر مع مجاعة وحرب ومرض وظهور نار في السماء تجر ورائها ذبلاً طويلاً توهي إلى نار احد المذنبات، لأنه الجرم الوحيد الذي له ذيل، هذا إذا أخذنا بنظر الاعتبار الحديث الذي ذكرناه في فقرة (رجعة من محض الإيمان محضاً) السابقة والذي نقلنا فيه كلام الشيخ الاحسائي عن نوعية هذا المطر الذي له رائحة كرائحة المني الذي خمرت منه طينة الخلق فراجع^(١).

لا بد من مناقشة هذه الرباعية لوحدها.

(١) يقول الكاتب صموئيل بكيت (كل المعاني قديمة وكل وسائل إنكارها أو تسخيفها هي جديدة) .

الرباعية (٢-٣٢):

((بعد شقاء كبير تتعرض له الإنسانية يدنو شقاء أكبر منه بكثير عندما تتجدد الدورة العظمى للقرون ستمطر السماء دماً وحليباً ومجاعة وحروب ومرضاً وسوف ترى نار في السماء وهي تجر ورائها ذيلاً من الشرور))

هذه الرباعية كما افهم تشير الى جملة من الاحداث بعد خروج الامام المهدي عليه السلام, فعبارتها الاولى (بعد شقاء كبير تتعرض له الإنسانية يدنو شقاء أكبر منه بكثير) تشير الى فترة الهرج البالغة (٥٠) عاما بعد موت المهدي عليه السلام كما ذكرت الاحاديث, والشقاء الكبير هو احداث ما قبل الظهور السريعة التي تترك العالم وتدخله في شقاء, اما الشقاء الاكبر فهو الهرج والمرج بعد الظهور, اما عبارة (عندما تتجدد الدورة العظمى للقرون) فهي اشارة الى تغير الوضع الفلكي للارض والذي تسميه الاحاديث الاستدارة الثانية للفلك ويسميه هنا (الدورة العظمى للقرون), وبعد هذا التغير الفلكي ستمطر السماء دما حليبيا وهو كما نفهم المطر النازل لانبات لحوم وابدان المؤمنين, اما الدم فهو كما اعتقد نتيجة موت المنصور في احداث الرجعة كما ورد في الاحاديث المنتصر هو الحسين عليه السلام, والملاحظ ان عملية مطر الدم هي امر ملازم لمقتل الحسين عليه السلام دائماً, ويرافق هذه الاحداث ظهو مذنب فترى نارا في السماء وهذا المذنب ليس هو المذنب الموعود الذي قبل الظهور

مطر الدم:

ذكر نوسترداموس نوعين من المطر في رباعياته أحدهما مطر الحليب الذي شرحناه سابقاً، والآخر هو مطر الدم، وذكر مطر الدم مع مطر الحليب في رباعيتين هما (٢ ٣٢) و (٣ ١٩) تحت عبارة واحدة (تمطر السماء دماً وحليباً) ، لكنه في الرباعية (٣ ١٨) ذكر مطر الحليب فقط دون ذكر لمطر الدم، وعندما يُذكر مطر الحليب والدم يربطه مع المجاعة والمرض، بينما مطر الحليب لا يربطه بهذه المواضيع. هذه الملاحظات تدفعنا للاعتقاد بعض الشيء أنهما حادثتان منفصلتين أو مطرتين منفصلتان أحدهما للحليب والأخرى للحليب والدم.

وكما قلنا سابقاً من انه لا توجد حادثة في التاريخ سابقة ذكرت أن السماء قد

مطرت حليياً، لكن مطر الدم ذكرته مرويات المسلمين ومرويات الشيعة فقد مطرت السماء دماً بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام .

في ذخائر العقبى للعلامة محي الدين الطبري قال: وذكر أبو نعيم الحافظ في كتاب (دلائل النبوة) عن نضرة الأزدي أنها قالت: لما قُتل الحسين بن علي عليه السلام أمطرت السماء دماً فأصبحنا وجبابنا وجرارنا مملوءة دماً.

وفي (الاتحاف في حب الاشراف) قال: ومما ظهرت يوم قتل الحسين من الآيات ان السماء أمطرت دماً وان أوانيهم ملئت دماً.

في (ذخائر العقبى) للطبري قال: عن أم سلمة قالت: لما قُتل الحسين عليه السلام ناحت عليه الجن ومطرنا دماً.

في (ينابيع المودة) للغندوري قال: وعن ابن عباس, قال: ان يوم قتل الحسين عليه السلام مطرت السماء دماً، وان هذه الحمرة التي ترى في السماء ظهرت يوم قتله ولم تُرى قبله.

ولا غرابه أن تبكي السماء والأرض والكون على الحسين عليه السلام فهي مخلوقات مثلنا لها حس ومشاعر وليست صماء جامدة كما يعتقد لبعض، وهذا ما تؤكده آيات القرآن الكريم قوله تعالى ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ﴾^(١)، ﴿فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ أْتِيََا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾^(٢).

وعليه تكون دموع السماء والأرض ليست كدموع الناس العادية، فلكل جنس من المخلوقات خصائصه، فبكاء السماء على الحسين عليه السلام لا بد أن يكون دماً حتى أن الدعاء المروي عن الإمام المهدي عليه السلام بقوله على الحسين عليه السلام (لابكينك بدل الدموع دماً) .

بصورة عامة قد شرحنا موضوع مطر الحليب والشواهد التاريخية تقول أن السماء مطرت دماً على الإمام الحسين عليه السلام ، أما رباعيات نوسترداموس إذا كانت تقصد ان مطر الدم سوف يقع في آخر الزمان فلا بد أن يكون مرتبط بحدث جليل، ونحن نعتقد أن السماء مطرت دماً على الحسين يوم قتله وسوف تمطر دماً أيضاً عند

(١) الدخان/٢٩

(٢) فصلت/١١

الرجعة في تنبؤات نوسترداموس

رجعته.

عن أبي عبد الله عليه السلام قال (أول من تنشق الأرض عنه ويرجع إلى الدنيا الحسين بن علي عليه السلام) ، وربما يكون هذا هو قصد الإمام المهدي عليه السلام بقوله بحق جده الحسين عليه السلام (لابكينك بدل الدموع دماً) ، أي بكاء الإمام المهدي عليه السلام في أحداث الرجعة، عند رجعة الحسين عليه السلام دماً حقيقياً، وهذا ما نعتقد وجداناً فتستجيب السماء لهذه الدموع الطاهرة من نفس جنسها، فتبكي دماً فتمطر السماء دماً حزناً على الحسين عليه السلام ومواساة للمهدي عليه السلام .

عن أمير المؤمنين الإمام علي عليه السلام (لا يقوم القائم عليه السلام حتى تفتق عين الدنيا وتظهر الحمرة في السماء وتلك دموع حملة العرش على أهل الأرض)

(١).

السينما الأمريكية والرجعة

لا يخفى على بال القارئ الكريم أن السينما الأمريكية مؤسسة إعلامية لا تجاريتها أي مؤسسة أخرى في العالم، والمتتبع لحجم الإنتاج الفني لهذه المؤسسة يدرك حجم ميزانيتها المالية التي تعادل ميزانيات دول مجتمعة، بل حتى أن لها وطن ثابت على الأرض فيه كل أدواتها المالية والفنية والإعلامية وهي مدينة هوليوود الأمريكية، والكل يعلم حجم التأثير الفكري والثقافي والإعلامي لهذه المؤسسة (الخطبوط) والذي بدء منذ نشوء السينما الصامتة في بدايات القرن العشرين بعد أن عاجلت مواضيع حساسة وكبيرة في مجالات شتى على مدى قرن كامل.

ولابد لهكذا مؤسسة تمارس عملها المؤسساتي ضمن ايدولوجية لها سياسات ثابتة وأخرى متغيرة، لاسيما أنها مؤجلة باتجاه ثقافة معينة من المقرر أن تكون على المدى البعيد هي الثقافة العالمية، وهو ما يسعى إليه صنّاع هذه المؤسسة تحت عنوان (العولمة) التي هي بالحقيقة تصدير للثقافة والأفكار والايولوجيا الأمريكية خصوصاً والغربية عموماً.

وربما يعتقد البعض أن السينما الأمريكية هي مؤسسة رأسمالية حالها حال بقية المؤسسات الرأسمالية الضخمة التي همها الأول والأخير هو الربح المادي عن طريق التنافس المحموم لتسويق بضاعتها، وهذا الجانب لا ينكره أحد لأن دورة رأس المال المتحركة بهذه المؤسسات هو الذي يوفر لها ديمومتها وبالتالي تأثيرها المستمر، لكن قد يخفى على البعض الجوانب العقائدية والايولوجية لهذه المؤسسة، فهي في كل الأحوال أداة من أدوات السياسة العالمية، فهي تنتج حسب توجيهات واحتياجات المؤسسة السياسية، لذلك كان حجم الإنتاج ونوعه لا يعتمد على الربح فقط الذي هو بالحقيقة ناتج عرضي لحركة هذه المؤسسة، بل هي خاضعة لأهداف وتوجيهات السياسة العالمية.

لقد ركزت السينما الأمريكية منذ بداياتها على إنتاج مواضيع معينة تتناسب مع طبيعة العلاقة القائمة في كل زمان ونوع الصراع الناتج عنها، والهدف منها بالأساس

هو صياغة شعور جمعي للكتل البشرية باتجاه هذه المواضيع ابتداءً من أفلام شارلي شابلن الصامتة والحرب العالمية الأولى والثانية، مروراً بأفلام رعاة البقر ثم حرب النجوم إلى أفلام الاكشن الحديثة والخيال العلمي، ويمكنك أن تلاحظ من خلال ترتيب مواضيع هذه الأفلام أنها تتناسق مع الحركة العالمية للمجتمع والتاريخ خلال القرن الماضي.

أما في الآونة الأخيرة وبالذات خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن العشرين وبدايات القرن الحادي والعشرين وبعد أن سادت ثقافة الكمبيوتر والانترنت، ستلاحظ وجود قفزة نوعية للأفكار والمواضيع المطروحة إلى الساحة السينمائية بعد أن فتح هذا التقدم التكنولوجي الإمكانية لإنتاج والتعامل مع مواضيع أكثر غرابة، فبدأ التركيز على مواضيع ذات سمات محددة (روحي ميتافيزيقي باراسايكولوجي) ، تعالج من خلالها مواضيع حساسة في الفكر الديني والبشري عموماً، وهذا بالضرورة أدى إلى أن تكون المادة الأصلية لهذه الأفلام مادة مستقاة من النصوص الدينية والفلسفية، فأصبح المأثور الديني والرمز الديني هو العنوان الغالب على عناوين الأفلام المنتجة، وواضح من خلال هكذا نوعية من الأفلام تبرز عناوين معينة وأفكار معينة وثقافة معينة.

أن السياسة الأمريكية والرؤيا الفكرية لها تحاول من خلال هكذا أفلام نشر عقائد وأفكار وتسقيط عقائد وأفكار أخرى، مما يوحي للمتتبع بوجود نفس لصياغة صراع مستقبلي مرتكز على عقائد دينية، وهو ما نلاحظه حالياً على الساحة الدولية أو كما يسمى في الأدبيات الغربية بصدام الحضارات، أو كما يحلو للسينما الأمريكية أن تسميه بـ (نهاية التاريخ) أو (الحرب العالمية الثالثة) ، وهذه العناوين العامة تتناغم مع الأثر الديني لكل الديانات بوجود معركة (هرمجدون) أو كما يسمى (بمعركة مآذبة الله الكبرى) .

هذه المقدمة سقناها لمناقشة أحد المواضيع المطروحة من قبل السينما الأمريكية وهو موضوع رجعة الأموات.

لقد بدأ التأسيس الأول لهذه الفكرة عن طريق أفلام الرعب التي اعتمدت بعض مواضيعها على مسألة عودة بعض الأموات وخروجهم من قبورهم كقاسم مشترك لهذه الأفلام، ثم تطورت بعدها لإنتاج سلسلة متصلة سميت بأفلام (زونبي) والتي

السينما الأمريكية والرجعة

تتحدث عن مجموعة من الأموات يُنشرون من قبورهم نتيجة أحداث طبيعيه أو بتدخل الإنسان، وأظهرتهم دائماً بصورة الأشرار المشوهين الذين ليس لهم هم إلا قتل الناس وأكل لحومهم بعد أن تسود حالة رعب عارمة في كل بقاع الأرض، مما يستدعي من الأبطال الأمريكيان التصدي لهذا الشر والقضاء عليه.

ثم جاءت بعدها أفلام المستذئبين الذين يتحولون إلى وحوش كاسرة عندما يصبح القمر بدرأً، وهي بدورها موازية لأفلام مصاصي الدماء هذه المخلوقات ذات القوة الهائلة والعمر الطويل والتي حازت على هذه الخصائص عن طريق الاقتيات على الدم الإنساني.

هنا نتساءل: من أين تأتي هذه الأفكار؟ ولماذا تتبناها السينما الأمريكية؟ وما هي الصورة التي تريد أن ترسمها لنا لقادم الزمان؟

أن هذه الأفلام توفر القاعدة المعلوماتية والثقافية لكل شعوب العالم والهدف منها كما قلنا هو صياغة شعور جمعي للبشر وتهيئة أفكار الناس لأحداث جسيمة أدركت قوى الشر أنها واقعة لا محالة في الزمن القادم، فهذه القوى لها قراءة خاصة للنصوص الدينية، فالسينما الأمريكية ليست بعيدة عن تلك الأيادي والأفكار ذات النزعة العقائدية الدينية، وخصوصاً أن أصحاب هذه المؤسسة والسياسة المرتبطة بها هم بالأصل جهات دينية متنفذة، ويمكنك أن تلاحظ هذا التوجه من خلال عدة مواضيع طُرحت في السينما في السنوات الأخيرة، بل في كل وسائل الإعلام وحتى الألعاب الالكترونية ومنها.

أفلام غزو الأرض من قبل مخلوقات فضائية.

أفلام المنقذ الموعود.

أفلام دمار الأرض نتيجة ضربها بنيزك.

أفلام الكوارث الطبيعية والامراض الناتجة عن عبث الإنسان.

أفلام المخلوقات التي تعيش معنا على الأرض وهي مختفية.

أفلام السحر والخوارق.

أفلام ظهور شخصيات من الشرق تهدد الغرب.

أفلام البحث عن الحضارات السابقة وفك المرموزات الدينية..... وغيرها الكثير .

في الحقيقة أن كل هذه المواضيع هي عبارة عن نبوءات وسيناريوهات موجودة في ملف أحداث آخر الزمان حسب وجهة النظر الدينية سواءً اليهودية أو المسيحية أو الإسلامية, فلا بد من إعداد الناس لهكذا أحداث لأنهم سيحاولون لأهداف عقائدية تحريك هذه الجماهير البشرية باتجاه أهدافهم وعناوينهم التي يؤمنون بها, خصوصاً بعد التقدم العلمي الكبير الذي حصل على كافة الأصعدة والذي من خلاله بدأ الإنسان يضع يده على كنوز معرفية وحلول لعدد من الأسئلة وعلامات الاستفهام التي كانت تدور حول مواضيع حساسة (كالروح والنفس والموت والسحر وطبيعة المادة وطبيعة الكون وأصل الإنسان ومستقبله.....) ، والآن لناخذ عينة من أحد هذه الأفلام لنلاحظ كيف تم التعامل مع موضوع (رجعة الأموات) .

الفلم هو (ثلاثية سيد الخواتم) ، توجت أحداث هذا الفلم بمعركة نهائية بين الخير والشر من خلال استدعاء جيش من الأموات محتجزين داخل منطقة جبلية على هيئة أرواح, وهذا الجيش ذكر له الفلم عدة خصائص منها أنهم بلا أخلاق وبلا عهد، أو كما عبر عنهم الفلم صراحةً بأنهم (جيش من الخونة) ، وأطلق عليهم لقب (الخونة) وحجزهم في عالم الأموات نتيجة خيانة سابقة صدرت منهم لأنهم تخلوا عن نصره بطل من أبطال الحق أثناء معركته مع قوى الشر، فأصابتهم اللعنة نتيجة هذه الخيانة, وان هذه اللعنة لا تنفك عنهم إلا بنصرة جانب الخير مرة أخرى في معركة مستقبلية, وجانب الخير هنا هو شخص مخصوص اسمه (اراغون) وهو ابن ذلك الشخص الذي خانته هذا الجيش سابقاً، واراغون يحمل سيف أبيه وجيش الأموات هذا لا يتأكد من كون هذا الشخص هو ابن القائد السابق إلا من خلال سيف خاص لا يملكه إلا أشخاص معينون, ومن مميزات هذا السيف أنه فعال حتى في عالم الأموات, وبعد أن ينصر جيش الأموات جانب الخير في هذه المعركة النهائية تزال اللعنة فتذهب أرواحهم بسلام إلى عالم الأموات.

ويمكن من خلال هذه القصة التي هي جزء من الفلم أن نستنتج مجموعة من المقاربات الدينية والرمزية لهذا الفلم مع المأثور الديني الإسلامي وخصوصاً الشيعي منه .

كما تلاحظ ان الفلم يؤكد على موضوع إمكانية إعادة الموتى وإشراكهم في معركة

السينما الأمريكية والرجعة

حاسمة، وهذا ما تؤكد الاحاديث كون هؤلاء الراجعون سيوفهم على عواتقهم يضربون هام الكفرة من جبابرة الأولين والآخرين.

ان بطل الخير (اراغون) هو شخص مخصوص بالاسم، وهكذا كل أبطال الخير في المأثور الديني، وان تكملة دور الخير لا يتم إلا من خلال ذرية (توارثت) هذا العمل، فالصراع يقوده أشخاص يرث أحدهم الآخر، وهذا يذكرنا بعقيدة الشيعة بشخصية الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، فهو شخص مخصوص ومعين (مسمى ومكنى) ، ويعود بالنسب لشخصية عظيمة جداً، من صفات هذا الشخص ان له سيف (مميز) ، بل ان هذا السيف له أسم خاص أسماه الفلم (نارسيل) فيما يسميه المأثور الشيعي (ذو الفقار) ^(١).

هذا السيف المميز له حملة خاصون، وقد قيل عن هذا السيف ما قيل في مرويات الشيعة وهو من جملة سيوف يتوارثها أبطال الخير، وتؤكد الاحاديث انه حالياً بحوزة الإمام المهدي عليه السلام.

ان عبارة (جيش الخونة) فيها نوع من التقصد على ما أعتقد، فلطالما تم خذل أبطال الخير على طول خط الصراع مع الشر من قبل الناس، حتى محبيهم، فكنا يعلم كيف خذل جيش المسلمين رسول الله ﷺ في معركة (أحد) بعدم التزامهم بالاوامر ونزولهم من الجبل، فحسمت هذه المعركة لجانب الشر نتيجة هذه المخالفة، وكذلك الحال عندما خذل جيش الإمام علي عليه السلام قائدهم في معركة صفين بعد عملية رفع المصاحف، وكيف تم خذل الإمام الحسين في كربلاء بعد ان بُعثت إليه آلاف الرسائل بالتأييد والنصرة، فالفلم يوحي بأن هؤلاء قد أصابتهم اللعنة التي لا تزول إلا في معركة قادمة ينصرون فيها وريث أولئك الابطال الذي يحمل سيف آباءه فهي عقوبة لمدة معينة يتم بها تعديل موقفهم، لكن هناك فارق مهم بين نوعية هذا الجيش في الفلم وبين نوعية الراجعين الذين سيظهرون في آخر الزمان لنصرة الحق، كونهم من الانبياء والصالحين والمؤمنين الذين جمعتهم عبارة واحدة وهي عبارة (من محض الإيمان محضاً)، والواضح عندي ان هكذا أفلام تريد ان توصل فكرة

(١) هذا يذكرنا بالأحاديث التي رويت عن اهل البيت عليهم السلام حول سلاح رسول الله ﷺ بقولهم بما معناه (أن السلاح فيهم كالتابوت في بني إسرائيل فمن كان من بني إسرائيل عنده التابوت كان نبياً ومن كان السلاح عنده من آل محمد ﷺ كان إماماً) والأحاديث بهذا المعنى كثيرة.

بطريقة غير مباشرة لتشويه موقف ما حضي الإيمان.

رسالة

من/ الذين ينتظرون إنهاء حياة قديمة.

إلى/الذين ذهبوا لبداية حياة جديدة.

إلى الذين سُلبت حقوقهم, وقُطعت أوصالهم, وسُلخت وجوههم

إلى الذين سُرقت منهم ألقابهم, وأسمائهم, وتيجانهم

إلى الذين سينهضون من الرماد

إلى الذين بحثوا عن وجه ولي الله المخفي بين عباده

إلى الابرار الذين سيشهدون زمن الدينونة

إلى المختارين الذين سيعيشون في نهاية الأزمنة

إلى الذين نظروا إلى أبعاد الكون وأصله

إلى الذين عرفوا أصل الشر والخطيئة

إلى المتمسكين بحس البشرية الأول الذي أفسدته القوة الشيطانية

إلى الذين سيشهدون تغير النظام الكوني

إلى الذين سينفضون التراب من رؤوسهم مؤترزين أكفانهم وسيوفهم على

عواتقهم

إلى الذين سيملئون أزقة الكوفة

والذين سيضربون هام كل جبار عنيد

إلى أصحاب السيوف التي تحمل روح المحارب

إلى أبطال الملحمة الكونية

إلى الذين أنشدوا في عالم الذر أنشودة الرجعة, بلى, بلى, بلى

والذين سيرددون عند رجعتهم ترنيمه الثأر (لبيك لبيك داعي الله)
إلى المباركين من قبل الواقف على التطنجين
والحائزين رضا الناظر في المشرقين والمغربين
إلى الذين وصلوا إلى هورقليا, إلى الاقليم الثامن
إلى الذين سيتنعمون بالجنان المدهامتين
إلى الذين سيعيشون الأيام البرزخية
إلى الذين كُتبت أسمائهم في كتاب الأيام
إلى الذين سيعيشون في ظل رب الأرض يوم لا ظل إلا ظله
إلى الذين سيمشون على أرض كفاثورة الفضة
يوم تشرق الأرض بنور ربها
إلى الواصلين إلى اورشليم الجديدة عدن الجديدة آدم الجديد الخلق الجديد
الكتاب الجديد
إلى المقيمين في دولة الفجر
إلى المتنعمين بالنظر لوجه الله الذي يتوجه به الأولياء
إلى الذين أفعالهم في الدنيا لها صدى في الخلود
إلى المجهولين عند أهل الأرض والمعروفين عند أهل السماء
إلى الذين عرفوا الطريق وساروا عليه
إلى الذين وظفوا مواهبهم في خدمة مولاهم
إلى الذين قرأوا لغة الكون السرية
إلى الذين عرفوا الصواب وفعلوه
إلى الذين عرفوا الحقيقة عندما رأوا الحقيقة
إلى الذين أنتظروا الحقيقة, فسمعوا الجواب, فأصبحوا جاهزين

إلى الذين تمسكوا بالماسك بالأسباب
إلى الذين فعلوا ما يرضي الله فرضى الله عنهم

إلى أنبياء الله أجمعين

إلى أوصياء أنبياء الله أجمعين

إلى أولياء الله أجمعين

إلى العباس

إلى زينب

إلى أولاد الحسين

إلى أصحاب الحسين

إلى سلمان وأبا ذر والمقداد وعمار ومالك

إلى أصحاب أئمة آل محمد ﷺ

إلى كل المؤمنين الصابرين في آخر الزمان وفي كل زمان

إلى الوجوه التي أفلحت

إلى المنتخبين في الأظلة

المدوحين في الملة

المسارعين إلى الطاعة

المبصرين في الكرة

سلام الله عليكم

يا سادتي يا من ترثون الأرض ومن عليها أذكرونا ومنوا علينا بأن تجعلوا لنا
مكاناً في عالمكم فأنتم مؤمنون والمؤمن شفيح.

اللهم أني أشهدك أني أوّمن بالرجعة فأرني ذلك اليوم.

فلقد أهلكني همّ يوم لا أدري كيف هو.

كلمة أخيرة

أي ليل طويل هذا الذي خيم على جوهرة العقيدة الحقبة وغيبها عن أذهاننا ونواظرننا. أي ظلم هذا الذي لحق بهذا الحجر الذي رفضه البناءون.

لكن له العزاء بسيد الغيب الذي غيبه السراق..... سراق الحقيقة, فكلاهما واجها نفس الهجمة القبيحة.

لكن سيأتي اليوم الذي ينفذ الأحبة التراب عن الجوهرة النفيسة مؤتزرين أكفانهم سيوفهم على عواتقهم ملبين زمراً زمراً..... لبيك لبيك داعي الله.

مُعلنين عن قدوم شريف الأزمنة, وجميل الحقيقة, وبطل اليوم الموعود, وحقيقة الحقائق, والدليل في الليل الأليل.

وستكتحل عيون المؤمنين برؤيته البهية وسنؤذن ونقيم في مسامع أولادنا الصغار.

أنتم في زمن الحقيقة.

أنتم في زمن التأويل.

حي على الحقيقة.

حي على التأويل.

الرجعة هي أن تؤمن أن هناك حياة كاملة وراء كل آية من آيات القرآن الكريم.

الرجعة هي حقيقة تصرخ بأننا ولدنا لحدود أبعد من الأرض.

الرجعة هي أن ترى الوطن خلفك والعالم أمامك.

الرجعة هي أن يختفي الشيطان الذي لا نراه والذي يكسر قلوبنا دائماً.

الرجعة هي أن تفهم انه لا مستحيل.

الرجعة هي أن تعيش حالة توازن بين الأرض والسماء.

الرجعة هي الوقت الذي ستلتقي فيه الارض بالسماء.
الرجعة هي حياة برزخية بين المستقبل والماضي.
المستقبل باتجاه رحلة السماء اللانهائية.
والماضي الأرضي بكل إمتداده.
فعندما ذهب الانسان الى القمر عرف الكثير عن الارض وعندما نعيش في
عالم الرجعة سنعرف الكثير عن الدنيا.
الرجعة هي تلك العقيدة التي تؤدي الى ذلك التحول من انسان ديني الى
انسان. سماوي مؤهل للتعامل مع الانسان الخالق الالهي.
الرجعة تقول أن الشرف كل الشرف هو أن تتولى محمد وآل محمد ﷺ .
الرجعة تقول الشرف كل الشرف أن تتبع محمد وآل محمد ﷺ .
الرجعة هي أن العالم سيحكمه رجل واحد من آل محمد ﷺ .
الرجعة تقول أن كربلاء لم تنتهي.
والفصل الأخير في ملحمة الماء والدم لم يكتب بعد.
لان كربلاء الدنيا كربلاء الدم والماء.
وكربلاء الرجعة كربلاء الثأر والقصاص.
الرجعة تقول أن العباس لا زال يلبس لامة الحرب.
الرجعة تقول أن العباس في الانتظار ﴿تَكَادُ تَمِيزُ مِنَ الْغَيْضِ﴾ .
الرجعة تقول أن حامل الراية لم ينتهي دوره بعد.
فعباس الدنيا عباس الماء.
وعباس الرجعة عباس الدم.
فإذا رجع العباس ستظهر معه حقيقة صنائع علي بن ابي طالب ﷺ .
وعندها سترى بأمر عينيك أرتعاد الفرائص وصريف الاسنان ﴿سَمِعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ
تَفُورُ﴾ .

كلمة أخيرة

فالرجعة تصرخ وتقول..... الويل لكم من العباس.
فما لا تعرفه عن العباس في الدنيا ستعرفه في الرجعة.
فكل نار تحتاج الى شرارة لكي تبدأ, والعباس شرارة جهنم في الرجعة.
وما حُفي عليك في الدنيا سيظهر في الرجعة.
وما أنكرته في الدنيا سيتحقق في الرجعة.
الرجعة هي أن تؤمن أن الإنسان خلق في الدهر وأُعد في البرزخ ومّر في
الدنيا وسيعود إلى البرزخ ويستقر في الدهر.
الرجعة هي لحن السماء الذي ستسمع فيه صرير الأفلاك وتسبيح الأملاك.
أما من كان في أذنيه وقر فهم ﴿عن السمع لمعزولون﴾ لأنهم سيفقدون
حواسهم البرزخية.

الرجعة هي نتيجة النتائج وكاشفة الحقائق ورحلة لا يحتاج مسافروها إلى أدلة عقلية
أو نقلية، وإنما جواز سفرهم (قلب ينبض بحب علي ودمعة على الحسين) لان
الذي يحب علي ويذرف الدمع على الحسين لن يبقى في القبر، بل سيقفون على
قبره وينفضون التراب من رأسه ويقولون له (ظهر صاحبك)، فإن شئت فأبقى في
قبرك وأنت على سلامة من دينك، وان شئت فالتحق مع ركب العاشقين للقاء
سيد الرجعة، ودولة الدول، وصاحب الكرات، وصاحب العصى والميسم، ومُنقذ
النفوس وحامل أسرار كل المهاجرين والغرباء من الأولين والآخرين لأنه (قائد الغر
المحجلين).

سيرى المؤمنون بالرجعة مستقبلاً عظيماً ينتظرهم، وسيندم الراضون لها على ما فرطوا
فيها، لان المؤمنون بالرجعة علموا أن الكون يسير وفق مثابات متتالية ومتناسقة
وسيفهمون بوعي تام بأنهم عبيد أحرار وان قمة عبوديتهم هو خدمة العناوين
المقدسة، لأنهم بإيمانهم الجليل ووعيهم للفكرة وإدراكهم لقوانين الله عرفوا معنى الغيبة
ومعنى الانتظار.

فالانتظار ما بين الحياة والرجعة رحلة مهيبة.

المنتظر فيها رجل، والميت فيها بطل، والراجع سيكون اسطورة.

فعندما نرجع سنرى اعدائنا، وسنرى اخواننا، وسنعرف انفسنا.

ولا تهتم أيها المؤمن بالرجعة إذا قالوا لك بأنك (مُغالي أو حشوي أو باطني أو غنوصي أو خيالي أو.....) فوالله ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾، فكل الأنبياء والرسل والصالحين قيل لهم ما قيل ﴿فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله﴾ لأنهم آمنوا وصدقوا ووثقوا بأمر ما، فلا تفقدوا إيمانكم لان الآخرين لا يؤمنوا بما تؤمنون.

وتذكر أيها المؤمن بالرجعة قول الإمام الصادق عليه السلام لهشام بن الحكم: (لو كان في يدك لؤلؤة وقال الناس أنها جوزه ما ضرك وأنت تعلم أنها لؤلؤة) .

وما يضرك أيها المؤمن بالرجعة إذا سخط عليك الناس وإمامك راض عنك.

وأما من لا يؤمن بالرجعة فكونوا معهم كما قال الإمام الصادق عليه السلام (كما تركوا لكم الحكمة فاتركوا لهم الدنيا) .

وربما يأتي يوم تفقد فيه ثقتك بإخوانك.

وربما يأتي يوم تفقد فيه الثقة بنفسك.

وربما يأتي يوم تفقد فيه الثقة بقوتك.

وربما يأتي يوم تتلاعب بنا الأهواء.

وربما يأتي يوم تصبح فيه مؤمناً وتمسي كافراً.

وربما يأتي يوم يتفل بعضنا في وجه بعض.

وربما يأتي يوم يلعن فيه بعضنا بعض.

وربما يأتي يوم تظلم علينا الدنيا.

وربما يأتي يوم تقتلنا الحيرة.

وربما يأتي يوم تقسوا فيه قلوبنا.

لكن لن يأتي ذلك اليوم الذي أشك فيه أنك ستأتي.

ولن يأتي ذلك اليوم الذي أشك فيه انك سترجعني.

كلمة أخيرة

يا علي يا علي يا علي

ذلك النبأ العظيم الذي نسجته يد السماء داخل جدران الكعبة، سيأتي من يتكأ عليها ويقول (ألا من حاجني في آدم فأنا أولى الناس بآدم).

ذلك الصوت الذي ستجتمع حوله نداءات السماء ﴿فلنولينك قبلة ترضاها﴾
وعندها.....

ما كُمرَّ في البذرة ستُظهره الثمرة.

وما ولد من الأرحام سيخرج من الأرض.

وما بدأه الطين سيُظهره المطر.

وما يسعى إليه العلم ستنجزه الطبيعة.

﴿كما بدأنا أول خلق نعيده﴾.

وبعدها.....

سينتهي الزمن ويأتي البرزخ.

سيختفي الظاهر ويظهر الباطن.

سيُمحى المنسوخ ويبقى الناسخ.

سننسى المتشابه ونعمل بالمحكم.

سيبطل العام ويُعمل بالخاص.

سينتهي المجاز وتظهر الحقيقة.

سيختفي الظلام ويظهر النور.

سينتهي النزول ويبدأ الصعود.

ستنتهي رحلة الإدبار وتبدأ رحلة الإقبال.

قال له أقبل فأقبل قال بك أثيب وبك أعاقب.

فالموتى لا يبقون طويلا.

والميت لا يظل ميتاً إلى الأبد.
فهناك عالم حقيقي بانتظارنا عالم أفضل.
وأنا واثق أن هناك من ينتظرنا.
أستودعكم الله الذي لا تضيع ودائعه.
وأني على أمل اللقاء بكم ثانية بين (جمادي ورجب) .

المصادر

- ١- القرآن
- ٢- الانجيل
- ٣- التوراة
- ٤- تفسير الميزان / محمد حسين الطباطبائي
- ٥- تفسير البرهان / العلامة المحدث السيد هاشم البحراني
- ٦- تفسير القمي / ابي الحسن علي بن ابراهيم القمي
- ٧- تفسير العياشي / ابي النصر محمد بن مسعود ابن عياش السلمي السمرقندي المعروف بالعياشي
- ٨- الايقاظ من الهجعة / الشيخ محمد بن الحسن الحر العاملي
- ٩- مختصر البصائر / عز الدين الحلبي
- ١٠- إلزام الناصب / الشيخ علي الحائري
- ١١- الغيبة / ابي جعفر محمد بن الحسن الطوسي
- ١٢- الغيبة / ابن ابي زينب النعماني
- ١٣- منتحب الأنوار المضيئة / النجيفي النيلي
- ١٤- المهدي في بحار الأنوار / المجلسي باب (٢٩)
- ١٥- مشارق أنوار اليقين / الحافظ رجب البرسي
- ١٦- الكافي / الشيخ محمد بن يعقوب الكليني
- ١٧- بحار الانوار / الشيخ محمد باقر المجلسي
- ١٨- وسائل الشيعة / الحر العاملي

- ١٩- بشارة الإسلام/ السيد حيدر الكاظمي
- ٢٠- عيون أخبار الرضا/ الشيخ الصدوق
- ٢١- الاحتجاج/ ابي منصور احمد بن علي بن ابي طالب الطبرسي
- ٢٢- التوحيد/ الشيخ الصدوق
- ٢٣- علل الشرائع/ الشيخ الصدوق
- ٢٤- النجم الثاقب/ النوري
- ٢٥- الدر المنثور/ السيوطي
- ٢٦- كمال الدين وتمام النعمة/ الشيخ الصدوق
- ٢٧- كتاب سليم بن قيس الهلالي
- ٢٨- المحجة فيما نزل في القائم الحجة/ هاشم البحراني
- ٢٩- قصص الانبياء/ السيد نعمة الله الجزائري
- ٣٠- ضياء الصالحين/ محمد صالح الجوهرى
- ٣١- مفاتيح الجنان/ الشيخ عباس القمي
- ٣٢- أسرار العبادات/ السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني
الرشتي
- ٣٣- جواهر الحكم/ السيد كاظم بن السيد قاسم الحسيني
الرشتي
- ٣٤- الاسرار الحسينية/ الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي
- ٣٥- جوامع الكلم/ الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي
- ٣٦- أحوال البرزخ والآخرة/ الشيخ احمد بن زين الدين
الاحسائي
- ٣٧- رسالة في المعاد/ الشيخ احمد بن زين الدين الاحسائي
- ٣٨- الخطب النادرة لأمير المؤمنين عليه السلام / عبد الرسول زين

الدين

- ٣٩- مدينة المعاجز/ هاشم البحراني
- ٤٠- الإرشاد/ الشيخ المفيد
- ٤١- مجمع البيان/ الطبرسي
- ٤٢- لسان العرب/ ابن منظور
- ٤٣- الرسالة التامة/الكرباسي
- ٤٤- المفردات/ الراغب الاصفهاني
- ٤٥- السيرة النبوية/ ابن هشام
- ٤٦- الإمام الثاني عشر/ هنري كوربان
- ٤٧- رسالة في اللاهوت والسياسة/ سبينوزا
- ٤٨- المعاد/ السيد كمال الحيدري
- ٤٩- أصل الشيعة وأصولها/ محمد حسين كاشف الغطاء
- ٥٠- ماذا بعد الموت/ محمد حسين الطباطبائي
- ٥١- الطور المهدوي/عالم سبيط النيلي
- ٥٢- مدخل إلى نظام المجموعات/ عالم سبيط النيلي
- ٥٣- أصل الخلق/ عالم سبيط النيلي
- ٥٤- كتاب الموتى الفرعوني
- ٥٥- نبؤات نوستراداموس

تم الفراغ هنة في ٢٧/٥/٢٠١١ بغداد

رقم الايداع في دار الكتب والوثائق بغداد ٢١٧٧ لسنة ٢٠١٤

كتب للمؤلف

1. **نجم يتقلب في الآفاق:** (بحث تحليلي نقدي للعلامات السماوية التي تسبق ظهور الإمام المهدي عليه السلام ودور الجبال في ظهور جنة الاستخلاف)
2. **المزايلة:** (ودائع مؤمنين في أصلاب قوم كافرين) (حرب الاصلاب والارحام غير المعلنة) - (معركة سلالات الدم)
3. **الرجعة:** حجر رفضه البناؤون / ظهور الباطن وانتصار التأويل
4. **أيام الله:** جغرافيا الكون وتكرار الأبدية / ونظرية لبوث الفلك دراسة لوصف حركة الموجودات في عوالم الوجود وطبيعة أوقاتها من السرمد إلى الدهر إلى الزمان مع شرح لمفهوم اليوم وتسلسل أيام الله القادمة ورؤية جديدة لقصة ذي القرنين من خلال واقع فلكي كان سائداً على الأرض قبل الطوفان مع دراسة قرآنية روائية علمية لكيفية ظهور الجنتان المدهامتان في آخر الزمان من خلال نظرية لبوث الفلك ودور الجبال في تغير النظام الطبيعي.
5. **مقاصد الجمع في القرآن:** متابعة لالفاظ قرآنية جُمعت بصيغتين .
6. **آية ورواية:** تأملات وتساؤلات في كلام القرآن والعترة.
7. **البداء:** نحو ام الغاء ام تغيير
8. **حدث وحديث:** تصور أولي اجمالي لاحاديث واحداث ما قبل وما بعد ظهور الامام المهدي عليه السلام
9. **كربلاء في العوالم :** نون والقلم وكريلاء وما يسطرون
10. **جامع احاديث الذر:** روايات ائمة اهل البيت صلوات الله عليهم عن عالم الذرّ
11. **عالم الذر:** فثبتت المعرفة ونسوا الموقف وسيذكرونه/ارشيف التكوين وكواليس الخليقة/ رحلة الانسان الوجودية من البداية الى الغاية

١٢. **شراب مختلف الوانه:** سياحة في احاديث آل محمد ﷺ
١٣. **كسوف وخسوف خلاف العادة:** آيتان للقائم ﷺ لم تكونا منذ هبط آدم ﷺ
١٤. **لا من شيء:** بحث روائي فلسفي عن ماهية (الشيء) و (اللاشيء) و (لا من شيء) و (العدم) و (الفراغ) .
١٥. **الجوامع:** من روايات أئمة اهل البيت صلوات الله عليهم.
١٦. **النور والكدورة:** في حكمة وفلسفة الشيخ الاحسائي
١٧. **دولة الدول وايام الولي:** نظام الدول والملك والكرّات وحساب الخلائق في عالم الرجعة

الفهرس

٧.....	مدخل
١٣.....	خاطرة
١٧.....	المقدمة

الفصل الأول

٢٩.....	أدلة الرجعة
٣١.....	أولاً: الآيات القرآنية الدالة على الرجعة
٣٩.....	ثانياً: الرجعة في الأمم السابقة
٤١.....	ثالثاً: أدلة الرجعة من سنة رسول الله ﷺ
٤٣.....	رابعاً: أحاديث أئمة أهل البيت <small>عليهم السلام</small>
٤٤.....	خامساً: عدم وجود المعارض
٤٤.....	سادساً: أحاديث مخالفة العامة
٤٤.....	سابعاً: الأدعية والزيارات
٤٦.....	ثامناً: كتاب سليم بن قيس الهلالي
٤٧.....	تاسعاً: كتاب بصائر الدرجات
٤٨.....	عاشراً: أستدلالات أخرى
٥٤.....	أحد عشر: آيات الرجعة مُحكمات أم متشابهات

الفصل الثاني

٥٧.....	من هم الراجعون
٦١.....	أولاً: من محض الإيمان محضاً
٦١.....	١- الرسول محمد ﷺ

- ٢- الإمام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام ٦٢
- ٣- الإمام الحسين بن علي عليه السلام ٦٤
- ٤- أئمة أهل البيت وانبياء الله جميعاً ٦٥
- ٥- أصحاب الحسين عليه السلام ٦٦
- ٦- المسيح عيسى ابن مريم عليها السلام ٦٧
- ٧- يوشع ودانيال عليهما السلام ٦٨
- ٨- أسماعيل بن حزقيال عليهما السلام ٦٩
- ٩- جميع الأنبياء والمرسلين ٧٠
- ١٠- أحاديث وردت فيها أسماء مخصوصة ٧٠
- ١١- عدة أسماء في حديث واحد ٧٠
- ١٢- حديث جامع ٧٣
- ثانياً: من محض الكفر محضاً ٧٥
- من هم غير المشمولين بالرجعة ٧٩
- الرجعة عامة أم خاصة ؟ ٨٧
- من هو ماحض الإيمان ٩٣

الفصل الثالث

- اسباب انكار موضوع الرجعة ٩٩
- ١- الجهل: ١٠١
- ٢- الموت ١٠١
- ٣- المعجزة ١٠٤
- ٤- التنظير الفلسفي ١١٣
- ٥- أسلوب الرمز ١١٧

- ٦- الثقافة الدينية الشعبية. ١١٨
- ٧- المعلومة المستقبلية. ١٢٣
- ٨- العدل الألهي. ١٢٤
- ٩- أهمال النصوص. ١٢٦
- ١٠- الثوابت الوراثة. ١٣١
- ١١- الحيرة في تصنيف الموضوع. ١٣٣
- ١٢- أهمال الباطن والتأويل. ١٣٧
- الكلام في الرجعة سبب سرور آل محمد ﷺ ١٤٣

الفصل الرابع

- الأدلة والقرائن العلمية ١٥١
- القسم الأول ١٥٥
- الأدلة والقرائن العلمية ١٥٥
- أولاً: الاستنساخ البشري. ١٥٧
- ثانياً: التحنيط: ١٦٠
- التحنيط عند الفراعنة: ١٦١
- طريقة التحنيط: ١٦٢
- ثالثاً: التجميد. ١٦٥
- رابعاً: تجميد وتحنيط الموتى. ١٦٥
- خامساً: تجميد الأجنة. ١٦٨
- سادساً: تجميد البويضة. ١٦٨
- سابعاً: فيل الماموث. ١٦٨
- ثامناً: الدباغة. ١٦٩

- ١٦٩ تاسعاً: السُّبُبات.
- ١٧٠ عاشرًا: أطفال الأنابيب.
- ١٧١ ثاني عشر: حالات أخرى.
- ١٧٢ ثالث عشر: شواهد تاريخية.
- ١٧٥ نظرة حول حالات المادة.
- ١٧٥ الحالة الرابعة للمادة (البلازما) .
- ١٧٦ الحالة الخامسة للمادة.
- ١٧٨ علم النانو.
- ١٧٩ المادة النقيضة.
- ١٨٠ نظرية الفضاء الموازي.
- ١٨٣ نظرية القوى الواعية.

الفصل الخامس

- ١٨٥ القسم الثاني
- ١٨٧ الأدلة والقرائن المستوحات من القرآن والأحاديث
- ١٩١ القبور والاجداث
- ٢٠٣ (النفخ في الصور - البعث - الحشر)
- ٢٠٤ الموضوع الأول: (نفخ في الصور/أصغر)
- ٢٠٥ الموضوع الثاني: البعث الأصغر - البعث الأكبر
- ٢٠٦ الموضوع الثالث: الحشر الأكبر - الحشر الأصغر
- ٢٠٧ تركيبة الإنسان
- ٢١٣ الروح
- ٢٢٨ حديث مهم:

٢٣١	النفس
٢٤٧	سؤال محتمل: تركيبة النفس
٢٥١	مواضيع أخرى لها علاقة بالنفس
٢٥١	أولاً: روح النفس
٢٥٥	ثانياً: العقل
٢٥٦	ثالثاً: صورة النفس
٢٥٩	الروح والنفس في سلسلة العوالم الطولية
٢٦٣	الجسد الجسم البدن
٢٧٣	اعتراضات محتملة
٢٧٣	الاعتراض الأول: الرجعة والاستنساخ
٢٧٥	الاعتراض الثاني: إحياء الموتى الرجعة
٢٧٦	الاعتراض الثالث: أبدان الراجعين
٢٧٩	نظرة في آية قرآنية
٢٨٥	الموت والقتل
٣٠٩	عالم البرزخ
٣١٧	مفهوم (الرجعة) و (الكرّة)
٣١٧	المستوى الأول: اليوم الطبيعي
٣١٧	المستوى الثاني: اليوم التاريخي
٣١٨	المستوى الثالث: اليوم الكوني

الفصل السادس

٣٢٣	أفكار وأستنتاجات
٣٢٥	أولاً: النخلة وأثرها في عالم الأموات

ثالثاً: هل هناك فرق بين الموت وملك الموت؟ ٣٣٤

رابعاً: هل يموت ملك الموت؟ ٣٣٥

الفصل السابع

زمان ومكان الرجعة..... ٣٤١

تسلسل الاحداث بعد خروج الإمام المهدي عنه السلام ٣٤٣

زمان ومكان الرجعة..... ٣٥٥

اولاً: زمان الرجعة..... ٣٥٩

هل لإبليس كرات؟ ٣٨١

ثانياً: مكان الرجعة..... ٣٨٥

أيام الله المرجوة..... ٣٩٥

رجعة من محض الإيمان محضاً..... ٣٩٧

١- (إذا آن قيامه) ٣٩٨

٢- (مُطر الناس جمادي الآخر وعشرة أيام من) ٣٩٩

٣- (لم يرى الخلائق مثله) ٤٠٠

٤- (فينبت الله به لحوم المؤمنين وأبدانهم في قبورهم) .. ٤٠٤

أحتمالات نشوء أجساد المؤمنين المشمولين بالرجعة..... ٤١١

الاحتمال الأول: ٤١١

الاحتمال الثاني: ٤١١

الكفاءة ٤١٥

ملاحظة قرآنية ٤١٩

رجعة من محض الكفر محضاً..... ٤٢١

كلام حول آية قرآنية..... ٤٢٣

أحداث الرجعة ٤٢٥

تصور اخر لرجعة محضي الايمان ٤٣١

الفصل الثامن

مناقشة آيات قرآنية ذات علاقة بالرجعة ٤٣٥

الآية الأولى ٤٤٣

الآية الثانية ٤٥٣

الآية الثالثة ٤٥٩

الآية الرابعة ٤٦٣

الآية الخامسة ٤٦٧

الآية السادسة ٤٧٣

الآية السابعة ٤٨١

الفصل التاسع

المعاد والرجعة عند الشيخ الاحسائي ٤٨٥

المعاد عند المسلمين: ٤٨٧

مقدمة حول أفكار الاحسائي واعتراضات معاصريه: ٤٨٩

كلمة لابد منها: ٤٩٤

شرح منظومة الاحسائي في المعاد والرجعة ٤٩٧

الجسد الأول: ٤٩٨

الجسد الثاني: ٤٩٩

الجسم الأول: ٥٠١

الجسم الثاني: ٥٠٤

الصعوبة في فهم مراد الاحسائي: ٥٠٦

٥٠٩ أنواع الجنات
٥١٣ سؤال محتمل
٥١٥ تعدد النشآت - استدلال قرآني
٥١٩ حركة الإنسان في الوجود المقيد (المبدأ والمعاد)
٥٣٣ الحياة العنصرية والحياة الاحيائية
٥٣٩ عملية النفخ

الفصل العاشر

٥٤٥ الرجعه والكتب الموجهة من الأئمة <small>عليهم السلام</small>
٥٥١ شبهات حول الرجعة
٥٥٣ الجن والرجعة
٥٥٥ الرجعة في الانجيل
٥٦٣ رؤيا يوحنا: (الفصل /٢٠)
٥٦٧ الرجعة في تنبؤات نوسترداموس
٥٦٩ مطر الحليب
٥٧٥ مطر الدم:
٥٧٩ السينما الأمريكية والرجعة
٥٨٥ رسالة
٥٨٩ كلمة أخيرة
٥٩٥ المصادر

